تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

تأليف

الشيخ محمد علي طه الدرة

(رحمه الله)

المجلد الرابع

من سورة الأنفال إلى سورة الرعد

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

المجلد الرابع

من سورة الأنفال إلى سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ ـ 2009 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-23-0

الموضوع : تفسير – علوم القرآن

العنوان : تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه 10/1

التأليف : الشيخ محمد علي طه الدرة

الورق : كريم

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 7520

القياس : 17×24

التجليد : فني – كعب لوحة

الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : 53dots – بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد – بيروت

دمشـــق ـ حلبـــوني ـ جـادة ابن ســـينا ـ بناء الجـابي

ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بـيروت ـ بـرج أبي حيـدر ـ خـلف دبـوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

9789953520230

سورة الأنفال

هي مدنية كلها، وهو الأصح كما في الخازن، وإن كانت الآيات السبع المذكورة في شأن المؤامرة التي عقدها زعماء قريش ليلة الهجرة في مكة، إذ لا يلزم من كون الواقعة في مكة أن تكون الآيات التي في شأنها كذلك، فالآيات المذكورة، نزلت بالمدينة تذكيراً للنبي ﷺ بما وقع في مكة.

وهي خمس وسبعون آية، وألف وخمس وسبعون كلمة، وخمسة آلاف، وثمانون حرفاً، وانظر شرح الاستعاذة والبسملة وإعرابهما في أول سورة (الفاتحة).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ①﴾

الشرح: ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾: الغنائم، جمع نفل بفتح النون والفاء، هذا والنَّفْل: الزيادة، ومنه نافلة الصلاة والصوم والحج، والصدقة التي يفعلها الإنسان المسلم زيادة على المكتوبات، وجمع النافلة: نافلات، ونوافل، هذا والنافلة العطية بدون مقابل كأنها مغنم، ومن هذا قوله سبحانه ممتنّاً على إبراهيم عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢].

﴿لِلَّهِ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به؛ لتخلف شروط الإجابة التي أعظمها أكل الحلال.

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: المراد به هنا: محمد ﷺ، هذا وتعريفه بالنسبة لجميع الرسل: هو ذكر، حر، من بني آدم، سليم عن منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به، ويؤمر بتبليغه، وإن لم يؤمر بالتبليغ؛ فهو نبي، هذا والنبي مأخوذ من النبأ وهو: الخبر؛ لأنه يخبر عن ربه فيما أوحي إليه. وقيل: بل هو مأخوذ منَ النَّبْوَة، وهو الارتفاع؛ لأنه رتبة النبي ارتفعت عن رتب سائر الخلق. وانظر عدد الأنبياء والمرسلين، وما ذكرته بشأنهم في الآية رقم [١٦٣] (النساء). و[٨٦] (الأنعام) تجد ما يسرك. ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾: أمر من التقوى وهي حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال

أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ والتحرز من المهالك في الدنيا والآخرة، وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة البقرة، هذا وأصل اتقوا: (اتَّقِيُوا) فحذفت الضمة التي على الياء للثقل، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، ثم قلبت كسرة القاف ضمة لمناسبة واو الجماعة.

﴿ذَاتَ﴾: مؤنث ذو، الذي هو بمعنى صاحب، وقد يثنى على لفظه، فيقال: ذاتا، أو ذَاتَيْ كذا، من غير رد لام الكلمة، وهو القياس، كما يثنى ذو بذوا، أو ذَوَيْ على لفظه، ويجوز فيها (ذواتَا) على الأصل برد لام الكلمة، وهي الياء ألفاً لتحرك العين، وهو الواو قبلها، وهو الكثير في الاستعمال، قال تعالى ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ وقال ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وانظر الآية رقم [١١٩] من آل عمران تجد ما يسرك. ومعنى ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحال التي بينكم أصلحوها بالمودة وترك النزاع، والمواساة والمساعدة فيما رزقكم، وتسليم الأمر لله ورسوله، هذا و«البين» يطلق على الوصال، والفراق، والبعاد، كما رأيت في الآية رقم [٩٤] الأنعام. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [١] الأعراف. هذا؛ و«السؤال» في هذه الآية سؤال استفتاء: لأن هذا أول تشريع الغنيمة، و«سأل» تارة يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول، فيتعدى بعن، كهذه الآية، وقد يكون لاقتضاء مال، ونحوه، فيتعدى لاثنين، نحو سألت زيداً مالاً.

تنبيه: سبب نزول الآية الكريمة وما بعدها اختلاف المسلمين في غنائم بدر: أنها كيف تقسم؟ ومن يقسم له: المهاجرون، أو الأنصار؟ وقيل: شرط رسول الله ﷺ لمن كان له عناء أن ينفله، فتسارع شبانهم إلى القتال حتى قتلوا سبعين رجلاً من المشركين، وأسروا سبعين منهم، ثم طلبوا ما شرط لهم النبي ﷺ من العطية، وكان المال المكتسب من المشركين قليلاً، فقال الشيوخ، والوجوه الذين كانوا عند الرايات مرابطين: إنا كنا ردءاً لكم، وفئة تنحازون إليها، فنزلت الآية الكريمة، فبينت: أن الغنائم لله ورسوله يجعلانها حيث شاءا، والله قَدْ وكل إلى نبيه أمر تقسيمها، فهو يمتثل أمر الله فيها، فقسمها بينهم على السواء، وانظر الآية رقم [٤٢] الآتية، فإنها ناسخة لحكم هذه الآية، وهذه الآية ناسخة لشرع من كان قبلنا؛ حيث كانت الغنائم محرمة عليهم، إذاً هذه الآية ناسخة من وجه، ومنسوخة من وجه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

الإعراب: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وفاعل السؤال يعود إلى معلوم، وهو من حضر بدراً. ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما المفعول الثاني، وقيل: ﴿عَنِ﴾ صلة، والأنفال مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وأيد بقراءة سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وعلي بن الحسين وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين (يسألونك الأنفال) بدون عن، والصحيح أن هذه القراءة على إرادة حرف الجر. انتهى. جمل، نقلاً عن السمين، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها. ﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْأَنفَالُ﴾: مبتدأ.

﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿قُلِ﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَالرَّسُولِ﴾: معطوف على لفظ الجلالة. ﴿فَاتَّقُوا﴾: الفاء: هي حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها وأمثالها الفصيحة. (اتقوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، وجملة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿وَأَصْلِحُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿ذَاتَ﴾: مفعول به منصوب، و﴿ذَاتَ﴾ مضاف و﴿بَيْنِكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ معطوفة على ما قبلها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٤] التوبة، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: «إن كنتم مؤمنين فاتقوا الله...» إلخ، أي: فإن الإيمان يقتضي أموراً ثلاثة، التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الكاملون في الإيمان. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فزعت لذكر الله، استعظاماً له، وتهيباً من جلاله، وقيل: هو الرجل يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله، فينزع عنها خوفاً من عقابه. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: كلما جاءهم شيء من عند الله؛ آمنوا به، فيزدادون بذلك إيماناً وتصديقاً، وذلك لاطمئنان النفس، ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة أو بالعمل بموجبها، وهو قول من قال: الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو قول الأشاعرة، وهو الصحيح.

وقال الماتريدية: الإيمان التصديق، وهو لا يزيد ولا ينقص، وتأولوا ما ورد في ذلك بأن الزيادة إنما هي في المؤمن به، وقال الأشاعرة: الإيمان أربعة أقسام: يزيد وينقص، وهو إيمان الأمة إنساً وجناً، ولا يزيد ولا ينقص، وهو إيمان الملائكة على المشهور، ويزيد ولا ينقص، وهو إيمان الأنبياء، وينقص ولا يزيد، وهو إيمان الفساق، وقد احتجوا على ذلك بحجج نقلية وعقلية، فمن النقلية الآية وغيرها، وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأل النبي ﷺ: الإيمانُ يزيدُ وينقصُ؟ قال: «**نعمْ يزيدُ حتى يدخِلَ صاحبَهُ الجنةَ، وَينقصُ حتَّى يدخلَ صاحبَهُ النارَ**». وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمان هذِهِ الأمَّةِ لَرَجَح بِهِ**». قال اللقاني رحمه الله تعالى: [الرجز]

ورُجِّحَتْ زِيادةُ الإيمانِ ... بما تزيدُ طاعةُ الإنسانِ

ونَقْصُهُ بِنَقْصِهَا، وقِيلَ: لَا   وقِيلَ: لا خلفَ كَذَا قَدْ نُقِلَا

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢٥] التوبة و[١٢٦] منها تجد ما يسرك، وكذلك الآية رقم [٦٧] المائدة. وجملة القول إن الإيمان هو التصديق، وإن النطق بالشهادتين شرط لإجراء الأحكام الدنيوية، وإن الإيمان يزيد، وينقص كما هو التحقيق نتيجة لأعمال الفرد. وانظر شرح (زاد) في الآية رقم [٦٨] الأنعام، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: يفوضون أمورهم، ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه. وانظر شرح ﴿رَبِّكُمْ﴾ في الآية رقم [٣] الأعراف. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: انظر الآية رقم [٦٢] الآتية.

تنبيه: ذكر الله في هذه الآية: أن المؤمنين يخافون الله عند ذكره، وذكر في قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ والجمع بين الآيتين: أن الخوف يكون من ذكر عقابه، والاطمئنان يكون بذكره بصفات الجمال، فينشرح الصدق بنور المعرفة، ويطمئن القلب بقوة اليقين، وهذا مقام الخوف والرجاء، وقد جمعا في آية واحدة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والمعنى: تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله رجاء ثوابه.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقابه، لا كما يفعله جهال العوام، والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم: أن ذلك وجد وخشوع، لم تبلغ أن تساوي حال الرسول، ولا حال أصحابه في المعرفة بالله والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله، والبكاء خوفاً من الله. انتهى. وانظر الآية رقم [٣٥].

تنبيه: فإذا كانت الآية الكريمة قد أفادت: أن إيمان الصحابة كان يزداد بنزول الآيات، فآية البقرة رقم [١٠] قد أفادت بأن نفاق المنافقين كان يزداد نفاقاً كلما نزلت الآيات القرآنية، وكذلك الآية رقم [١٢٥] وما بعدها من سورة التوبة.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض من التنوين في الاسم المفرد. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٢٠٠] الأعراف. ﴿ذُكِرَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿اللَّهُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح، وجملة ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها صلة الموصول، والجملة الاسمية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ ابتدائية أو مستأنفة لا محل لها، وإعراب ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ واضح إن شاء الله تعالى، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها معطوف على ما قبله، فهو من جملة الصلة. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، الهاء ضمير

متصل في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط الواو والضمير، أو هي مستأنفة، وجوز عطفها على جملة الصلة وعلى هذين الوجهين لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ إلخ أي: يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها وأركانها في أوقاتها، وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به في وجوه الخير، ويدخل فيه النفقة في الزكاة، والحج، والجهاد، وغير ذلك من الإنفاق في أنواع البر والطاعات. انتهى. خازن بتصرف، هذا؛ وانظر شرح الصلاة والزكاة في الآية رقم [٦] التوبة.

هذا؛ وقد قال الزمخشري: إن كل ما فاؤه نون، وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب، مثل: نفق ونفد، ونفث، ونفخ ونفش... إلخ، هذا؛ وأصل يقيمون: (يُؤَقْوِمُونَ) حذفت الهمزة للتخفيف، حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل: أُأَقْوِمُ، الذي حذفت همزته الثانية للتخلص من ثقل الهمزتين، فصار. (يُقْوِمُونَ) ثم يقال في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو، وهي الكسرة إلى القاف، فصار (يُقِْومونَ) ثم قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي مزيدة الهمزة في أوله للتعدية، مثل أجاب يجيب، وأكرم يكرم... إلخ، كما حذفت الهمزة الثانية من يؤمنون؛ لأن ماضيه آمن، وأصله أَأْمَنَ، والمضارع يُؤَأْمِن أؤمِن، فتحذف من الأول، وتسهل في الثاني، وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور، كما في قول أبي حيان الفقعسي: [الرجز]

فــإِنَّــهُ أَهْــلٌ لأَنْ يُــؤَكْــرَمَــا

ولا تنس: أن هذه المزيدة تحذف من اسمي الفاعل والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مكرِم ومكرَم، والقياس مُؤكرِم ومُؤَكْرَم، وقس على ذلك، تنبه لذلك واحفظه، وقل في ﴿يُنفِقُونَ﴾ ما قلته فيه، فإنه من أنفق الرباعي أيضاً.

تنبيه: وصف الله المؤمنين في هذه الآيات بخمس صفات: ثلاث منها قلبية، وهي المذكورة في الآية السابقة، واثنتان في هذه الأولى، إحداهما: بدنية، وهي الصلاة. وثانيتهما: مالية، وهي إنفاق الأموال، وانظر ما وصف الله بها المتقين في مطلع سورة البقرة، وما وصف به المخبتين في سورة الحج رقم [٣٥] والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل مما قبله، وقول الجمل: صفة لـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبله لا وجه له البتة، وجملة ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ صلته لا محل لها. ﴿وَمِمَّا﴾: متعلقان بما بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (من)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، إذ التقدير: رزقناهم إياه، ولا تحتمل (ما) المصدرية، وجملة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ: أي: الموصوفون بالصفات الخمس المذكورة. ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾؛ لأنهم حققوا إيمانهم بمكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص، والتوكل، ومحاسن أعمال الجوارح؛ التي هي عبارة عن الصلاة، وإنفاق الأموال. انتهى. بيضاوي بتصرف، ومعنى ﴿حَقًّاۚ﴾: يقيناً لا شك فيه، قال الخازن: وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على صفات مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الصفات فيه، وللفقهاء اختلاف في ذلك ونحوه.

فقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ يجوز أن يقول المسلم: أنا مؤمن حقاً، ولا يجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

وقال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله ولكل وجهة هو موليها. ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: كرامة وعلو منزلة.

وقيل: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم؛ لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة، ودرجات الجنة على قدر الأعمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنةِ مئَةَ درَجةٍ، ما بين كل درجتين مئة عام»**. أخرجه الترمذي. وله أيضاً عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: **«إنَّ في الجنة مئة درجةٍ، لَوْ أَنَّ العالَمِينَ اجتمعوا في إحْداهنَّ لَوَسِعَتْهُمْ»**. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: لذنوبهم. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: لا ينتهي عدده، ولا ينقطع مدده، صاف عن كد الاكتساب، وخوف الحساب، لا منة فيه، ولا عذاب. هذا؛ ومعنى ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، هذه العندية عندية تشريف، لا عندية مكان وإحاطة، وقيل: المراد بها: المجاز عن قربهم بالتكرمة، وعلو الشأن. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿هُمُ﴾ مبتدأ ثانياً مبنياً على السكون في محل رفع. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾:

خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿حَقًّا﴾: مفعول مطلق بفعل محذوف، التقدير: أحقه حقاً، أو هو صفة لمصدر محذوف، التقدير: هم المؤمنون إيماناً حقاً، أو هو حال مؤكد لمضمون الجملة الاسمية، كقولك: هو عبد الله حقاً، أي: حالة كونه محقاً. ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ﴾: معطوفان على ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة (رزق)، والجملة الاسمية ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: هذا خطاب من الله تعالى لرسوله ﷺ، وهذا الخروج كان للتعريض لعير قريش، ثم تحول للقتال في وادي بدر، وذلك أن عير قريش رجعت من بلاد الشام، وفيها تجارة عظيمة، ومعها أربعون رجلاً بزعامة أبي سفيان بن حرب، فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ بذلك، فندب المسلمين لتلقيها، ففرحوا لقلة الرجال، وكثرة المال، فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة، فوقف أبو جهل فوق الكعبة، ونادى: يا أهل مكة النجاء، النجاء، على كل صعب وذلول، عِيرُكم وأموالكم، إن أصابها محمد، فلن تفلحوا بعدها أبداً.

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت في منامها قبل ثلاثة أيام: أن ملكاً نزل من السماء، فأخذ صخرة من الجبل، فحلق بها فوق مكة ورماها، فلم يبق بيت من مكة إلا أصابه منها، فحدثت بذلك العباس، وبلغ ذلك أبا جهل اللعين، فقال: ما يرضى رجالهم حتى تنبأت نساؤهم، ثم خرج بأهل مكة، وسار بهم إلى بدر، وهو واد فيه ماء، كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوماً في السنة.

وكان الرسول ﷺ بوادي دفران، فنزل جبريل عليه السلام بالوعد بإحدى الطائفتين، إما العير، وإما قريش، فاستشار فيه أصحابه، فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهل له، إنا خرجنا للعير، فرد عليهم، وقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير، ودع العدو، فغضب رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، فأحْسَنَا، ثم قال مقداد بن عمرو: امض لما أمرك الله، فإنا معك حيث ما أحببت ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك، فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك، فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: أشيروا علي أيها الناس، وهو يريد الأنصار؛ لأنهم كانوا قد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم برآء

من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم، فتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل.

قال: إنا قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا لَصُبُر عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله، فسر عليه الصلاة والسلام بذلك، ثم قال:

سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين: العير أو النفير، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم، وانتهت غزوة بدر بقتل سبعين وأسر سبعين من رجال قريش، وعلى رأسهم رأس الكفر أبو جهل الخبيث لعنه الله تعالى. ﴿فَرِيقًا﴾: انظر الآية رقم [٣٠] من سورة الأعراف. ﴿لَكَرِهُونَ﴾ أي: الخروج إلى القتال كما رأيت، وتفسير السورة آية آية يوضح لك غزوة بدر، وقد أغرب القرطبي كل الغرابة حين قال: أي لكارهون ترك مكة وترك أموالهم وديارهم؛ فإن مجرى الآيات لا يؤيده أبداً!

الإعراب: ﴿كَمَآ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. ما: مصدرية. ﴿أَخْرَجَكَ﴾: ماض، والكاف مفعول به. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الكاف المفعول به، أي ملتبساً بالحق، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور، ذكر السمين في تعليقهما عشرين وجهاً، كلها غير معقولة المعنى سوى اعتبارهما متعلقين بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: قل: الأنفال ثابتة لله والرسول مع كراهيتهم ثبوتاً مثل ثبوت إخراج ربك إياك من بيتك، وهم كارهون، وأرى وجهاً لم يذكره أحد، وهو أن الجار والمجرور متعلقان بخبر محذوف مع مبتدأ محذوف يؤخذ من معنى الكلام السابق، التقدير: شأنهم في اختلاف الغنائم كائن كإخراجك من بيتك بالحق في حال كراهيتهم لهذا الخروج، وقدر الجلال وابن هشام في مغنيه قريباً من هذا، ولكنه غير واضح مثله. تأمل. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿فَرِيقًا﴾: اسم (إن). ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿فَرِيقًا﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿لَكَرِهُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كارهون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الاسمية (إن...) إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط الواو فقط على حد قوله تعالى ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾

الشرح: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ...﴾ إلخ: أي يجادلك بعض المؤمنين في إيثارك الجهاد لإظهار الحق، وهم يؤثرون تلقي العير، وجدالهم كان بقولهم: لم تخبرنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا لطلب العير، ﴿بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾ أي: لهم أنك لا تصنع شيئاً إلا بأمر ربك، وتبين لهم صدقك في الوعد. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ...﴾ إلخ: أي يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت: وهو يشاهد أسبابه، وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم، لا لضعف إيمانهم. هذا؛ والموت انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته، وموت القلب: قسوته فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿فِي ٱلۡحَقِّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بَعۡدَمَا﴾: (بعد): ظرف زمان متعلق بما قبله أيضاً. (ما): مصدرية. ﴿تَبَيَّنَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الحق في الظاهر، وفي الحقيقة محذوف، انظر تقديره في الشرح، و(ما) المصدرية والفعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (بعد) إليه، التقدير: بعد تبيين صدقك في الوعد، وجملة ﴿يُجَٰدِلُونَكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجوز اعتبارها حالاً من كاف الخطاب، أو من الضمير المستتر في ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾ والرابط على الاعتبارين الضمير فقط. ﴿كَأَنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُسَاقُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله. ﴿إِلَى ٱلۡمَوۡتِ﴾: متعلقان به، وجملة ﴿كَأَنَّمَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾ فهي حال متعددة، أو من واو الجماعة، فتكون حالاً متداخلة. ﴿وَهُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة ﴿يَنظُرُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من نائب الفاعل، والرابط: الواو والضمير، وهي حال متداخلة.

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿يَعِدُكُمُ﴾: انظر إعلال ﴿تَجِدُ﴾ في الآية رقم [١٧] الأعراف. فهو مثله، وانظر الوعد في الآية رقم [٤٤] الأعراف. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾: العير أو النفير، وانظر الآية رقم [٨٧] (الأعراف)، ﴿وَتَوَدُّونَ﴾: تحبون. ﴿غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ أي: العير، فإنه لم يكن معها سوى أربعين فارساً، ولذلك تمنوا لقاءها، وكرهوا ملاقاة النفير لكثرتهم وكثرة عددهم، والشوكة: الحدة مستعارة من واحدة الشوك، والمراد غير صاحبة السلاح والقوة والبأس، ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: يظهر الحق ويعلي شأنه، والمراد دين الإسلام الذي

هو الحق لا ريب فيه، انظر ﴿ذَاتِ﴾ في الآية رقم [١] وشرح ﴿وَيُرِيدُ﴾ في الآية رقم [٨٩] (الأعراف). وإعلال ﴿يُقِيمُونَ﴾ في الآية رقم [٣] فهو مثله. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: الموحي بها في هذه الحال، أو بأوامره للملائكة بالإمداد، وقال القرطبي، أي بوعده، فإنه وعد نبيه ذلك في سورة الدخان، فقال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي: من أبي جهل وأصحابه، وقال ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ هذا؛ وقرئ: بكلمته، وانظر شرح ﴿كَلِمَتُ﴾ في الآية رقم [١٣٧] الأعراف، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يهلكهم عن آخرهم، وانظر ﴿كَفَرُواْ﴾ في الآية رقم [٦٦] من سورة (الأعراف).

المعنى الإجمالي للآية: إن الله وعدكم على لسان نبيكم أن تفوزوا بكسب إحدى الفرقتين: العير بقيادة أبي سفيان، أو النفير بقيادة أبي جهل، وأنتم ترغبون بكسب الأولى التي ليس فيها حرب ولا طعان، والله يريد إعزاز دينه، وإظهار الحق، وهذا لا يكون إلا بالطعن والنزال، ومحاربة النفير الذي يقوده رأس الكفر، وزعيم الضلالة أبو جهل اللعين.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو ظرف متعلق بالفعل المحذوف، فهو مبني على السكون في محل نصب على الاعتبارين. ﴿يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾: مضارع، ومفعوله الأول، وفاعله. ﴿إِحْدَى﴾: مفعوله الثاني، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المقصورة، و﴿إِحْدَى﴾ مضاف، و﴿ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿يَعِدُكُمُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها، والكلام مستأنف لا محل له. ﴿أَنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و«ها»: اسمها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبرها، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب بدل اشتمال من: ﴿إِحْدَى﴾، وتقدير الكلام، وإذ يعدكم الله ملك إحدى الطائفتين. ﴿وَتَوَدُّونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿غَيْرَ﴾: اسمها، و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿ذَاتِ﴾ مضاف إليه، و﴿ذَاتِ﴾ مضاف، و﴿ٱلشَّوْكَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿تَكُونُ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر تقديره هي يعود إلى ما قبله. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونُ﴾، وجملة: ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿وَتَوَدُّونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يَعِدُكُمُ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، أو هي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: «وأنتم تودون...» إلخ وهذه الجملة الاسمية في محل نصب حال من الكاف الواقعة مفعولاً به، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: مضارع وفاعله. و﴿أَن يُحِقَّ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل (يحق)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَيُرِيدُ...﴾ إلخ معطوفة على

جملة: ﴿يَعِدُكُمُ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿وَيَقْطَعَ﴾: معطوف على ﴿يُحِقَّ﴾، فهو منصوب مثله، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿دَابِرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، و﴿وَيَقْطَعَ﴾ يؤول بمصدر مع الناصب المقدر، وتقدير الكلام، ويريد الله إحقاق الحق وقطع دابر الكافرين.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ...﴾ إلخ: المعنى أراد الله وقدر أن يلتقي المؤمنون بالكافرين في بدر، وتقع الحرب بين الفريقين لِيُظْهِرَ الحق، وهو دينه، ويعليه على الشرك بمحقه وإذلاله، وكسر شوكته، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: كره المشركون ما تقدم ذكره. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلْحَقَّ﴾ في الآية رقم [٣٢] الأعراف وانظر شرح ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ في الآية رقم [١٣٩] الأعراف، وتفسير ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ بالمشركين هو في الغالب، ولا تنس أن في المسلمين مجرمين يقترفون الكبائر والمنكرات، ويفعلون الشنيع من السيئات، ولا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه المادة، وران على قلوب أكثر المسلمين حب المال والمنصب والجاه، وغير ذلك.

تنبيه: لا يقال: إن ما في هذه الآية تكرار لما في قبلها؛ لأن المراد بالأول: تثبيت ما وعد الله به في هذه الواقعة من النصرة، والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني: تقوية الدين وإظهار الشريعة؛ لأن ما وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم، ومن قهر الكافرين مع كثرتهم، كان سبباً لإعزاز الدين وقوته. انتهى. جمل بتصرف. أقول: لذا لما ترامت الأنباء بهذا النصر المظفر لم تكد قبائل العرب المنتشرة في الجزيرة العربية تصدق به، وكذلك دهش اليهود المقيمون في المدينة له.

الإعراب: ﴿لِيُحِقَّ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿وَيُبْطِلَ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: مفعول به، و﴿وَيُبْطِلَ﴾ يؤول بمصدر مع الناصب المقدر، معطوف على ما قبله، وتقدير الكلام: أراد الله ما حصل وقدره لإحقاق الحق، ولإبطال الباطل. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَرِهَ﴾: ماض. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل مرفوع... إلخ، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح، وجملة: ﴿وَلَوْ كَرِهَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من إحقاق الحق وإبطال الباطل، والرابط: الواو، والضمير الذي رأيت تقديره، وانظر الآية رقم [٨٢] من سورة (يونس) عليه السلام.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تطلبون الغوث منه تعالى، والغوث: النجاة والمعاونة، واستغاثة الرسول ﷺ والمؤمنين كانت لما علموا وأيقنوا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون: ربنا انصرنا على أعدائك، أغثنا يا غياث المستغيثين! وعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ نظر إلى المشركين، وهم ألف، وإلى أصحابه، وهم ثلاثمئة، فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**». فما زال كذلك حتى سقط رداؤه، فقال أبو بكر: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. والسين والتاء للطلب، بخلافهما بقوله ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ فإنهما زائدتان؛ لأن استجاب بمعنى أجاب، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه: [الطويل]

وداعٍ دعَا يا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مُجِيبُ

﴿مُمِدُّكُم﴾: معينكم ومقويكم. ﴿بِأَلْفٍ﴾: وعدهم الله أولاً بألف من الملائكة، ثم صاروا ثلاثة، ثم خمسة آلاف، كما في سورة (آل عمران) الآية رقم [١٢٤] وما بعدها. ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾: انظر الآية رقم [١١] الأعراف، ﴿مُرْدِفِينَ﴾: متبعين المؤمنين أو متبعين بعضهم بعضاً، وقرئ بفتح الدال بصيغة المفعول، بمعنى: يتبعهم غيرهم، وقرئ بتشديد الدال مع فتحها وكسرها وتثليث الراء. هذا؛ وقال سبحانه في سورة (آل عمران) ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ وما أجدرك أن تنظر ذلك هناك مع ما ذكرته من الحكمة في قتال الملائكة، فإنه جيد بحمد الله تعالى وتوفيقه. ﴿رَبَّكُمْ﴾: انظر الآية [٣] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: بدل من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، أو هي على إضمار: «اذكر»، أو هي متعلقة بالفعل ليحق، ونحوه. ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿رَبَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿فَاسْتَجَابَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكُمْ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان به، وجملة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، وساغ عطف الماضي على المضارع؛ لأن الأول حكاية حال ماضية، وإن كان مضارعاً. ﴿أَنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿مُمِدُّكُم﴾: خبر (أن)، والكاف: في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأني، أو هو في محل نصب بنزع الخافض، هذا؛ وقرئ بكسر الهمزة، وعليه فالجملة اسمية، وهي في محل نصب مقول القول

لقول محذوف، أو هي في محل نصب بـ (استجاب)؛ لأن الاستجابة من القول. تأمل. ﴿بِأَلْفٍ﴾: متعلقان بـ ﴿مُمِدُّكُم﴾؛ لأنه اسم فاعل. ﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (ألف). ﴿مُرْدِفِينَ﴾: بفتح الدال حال من الكاف، أو هو صفة (ألف)، وبكسر الدال يحتمل الصفة لـ (ألف)، أو هو حال من الملائكة، واعتباره صفة لها لا يحسن لأنه نكرة، وهي معرفة.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: الهاء تعود على الألف، وقيل: تعود على الإرداف المفهوم مما قبله، وقيل: تعود على الإمداد المفهوم مما قبله، وقيل: تعود على قبول الدعاء المفهوم مما قبله، وكذلك الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ تحتمل الوجوه كلها. انتهى. مكي بتصرف. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿بُشْرَىٰ﴾: بشارة لكم بالنصر والعزة والكرامة. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾: لتهدأ وتسكن قلوبكم، فيزول ما بها من الخوف، فكان ما ذكر من مرجع الضمير بمنزلة السكينة لبني إسرائيل، بشارة بالنصر، وطمأنينة للقلوب. ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ...﴾ إلخ: أي لا من عند المقاتلة، ولا من عند الملائكة، ولكن الإمداد مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة، وكذلك كثرة العدد، فلا تيأسوا من النصر بفقد ما ذكر ﴿عَزِيزٌ﴾: قوي غالب على أمره. ﴿حَكِيمٌ﴾: يضع الأمور مواضعها، وقدم عزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته.

تنبيه: هذه الآية ذُكِرَت بجميع ألفاظها بسورة (آل عمران) برقم [١٢٦] مع تقديم وتأخير ببعض ألفاظها، وذكر الله بعدها هناك قوله ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ وهذه الآية بينت نتائج القتال في بدر.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿جَعَلَهُ﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بُشْرَىٰ﴾: مفعول لأجله مستثنى من عموم العلل، أو هو مفعول به ثان، والأول أقوى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، هذا؛ وحذف المتعلق، وذكر في آل عمران، وهو ﴿لَكُمْ﴾. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قُلُوبُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على ﴿بُشْرَىٰ﴾، فهما مفعول لأجله، وجر باللام لفقد شرط النصب من اتحاد الفاعل كما لا يخفى. انتهى. جمل. أو هما

متعلقان بفعل محذوف، التقدير: فعل ذلكم بكم لاطمئنان قلوبكم، وهذا على اعتبار ﴿بُشۡرَىٰ﴾ مفعولاً به ثانياً، والأول أقوى كما رأيت. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿ٱلنَّصۡرُ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِنۡ عِندِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عِندِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر أول. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية تعليل لحصر (النصر من عند الله) لا محل لها.

﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ يقرأ بتخفيف الشين من أغشاه. أي: أنزله بكم، وأوقعه عليكم، ويقرأ ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ بتشديد الشين، من غشَّاه تغشية غطاه، ويقرأ (يغشاكم النعاس) مثل: يلقاكم من غشيه إذا أتاه وأصابه، فيه ثلاث قراءات سبعية، فعلى الأولين يكون ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ مفعولاً به، وعلى الأخيرة يكون فاعلاً، هذا؛ والنُّعَاس والسِّنَة والْوَسَن: أوائل النوم. ﴿أَمَنَةً مِّنۡهُ﴾: أمناً منه تعالى أي: أماناً لكم من عدوكم أن يغلبكم.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان، والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال: أن الخائف على نفسه لا يأخذه النوم، فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلاً على الأمن، وإزالة الخوف، وانظر الآية رقم [١٥٤] من سورة (آل عمران)، تجد مثل ذلك، ولكن هناك حصل نعاس لم يعقبه نوم، بخلافه هنا، كما ستعرفه. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أي: يطهركم بالماء من الجنابة التي حصلت لبعضكم بالاحتلام، انظر شرح ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في الآية رقم [٩٦] الأعراف. ﴿مَآءً﴾: انظر الآية رقم [٩٩] من سورة (الأنعام)، ﴿وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: وسوسة الشيطان، والرجز: العذاب كما رأيت في الآية رقم [١٣٤] الأعراف، وجاز أن يسمى رجزاً لأنه سبب للرجز، وهو العذاب، وقرئ (رجس) بالسين، وهو في الأصل الشيء القذر، فجعل ما يفضي إلى العذاب رجساً استقذاراً له. ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: باليقين والصبر، والربط في اللغة: الشد، وكل من صبر على أمر، فقد ربط نفسه عليه، ففيه استعارة تصريحية تبعية؛ لأن الربط هو الشد بالحبل. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ أي: بالماء الذي نزل.

روي أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعفر، تسوخ فيه الأقدام، وحوافر الدواب، وكان المشركون قد سبقوهم إلى ماء بدر، فنزلوا عليه، وأصبح المسلمون على غير ماء، وبعضهم محدث، وبعضهم جنب، وأصابهم العطش، فوسوس لهم الشيطان وقال:

تزعمون أنكم على الحق، وفيكم نبي الله، وأنتم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون محدثين ومجنبين، فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى مطراً سال منه الوادي، فشرب منه المؤمنون، واغتسلوا، وتوضؤوا، وسقوا الركاب، وملؤوا الأسقية، وأطفأ الغبار، وَلَبَّد الأرض، حتى ثبتت عليها الأقدام، وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت نفوسهم، وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك، وكان دليلاً على حصول النصر والظفر. انتهى. خازن بتصرف.

الإعراب: ﴿إِذۡ﴾: بدل ثان من ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ﴾ أو هو متعلق بـ ﴿ٱلنَّصۡرُ﴾، أو بإضمار (اذكر). ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به أول، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى الله. ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾: مفعول به ثان، هذا؛ وعلى قراءة (يغشاكم النعاس) يكون ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ فاعلاً، كما رأيت في الشرح. ﴿أَمَنَةً﴾: مفعول لأجله، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف، والأول أرجح. ﴿مِّنۡهُ﴾: متعلقان بـ ﴿أَمَنَةً﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿عَلَيۡكُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة (نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً). ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَيُنَزِّلُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿لِّيُطَهِّرَكُم﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (ينزل). ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَيُذۡهِبَ﴾: مضارع معطوف على ما قبله منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿عَنكُمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رِجۡزَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ مضاف إليه، وإعراب الباقي مثل سابقه بلا فارق، وهو واضح إن شاء الله تعالى.

﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾

الشرح: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ أي: أوحى الله إلى الملائكة الذين أمد بهم النبي ﷺ، وأصحابه: أني معكم بالمعونة والنصر، وانظر (الوحي) في الآية رقم [١٦٣] من سورة (النساء). ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ أي: قووا قلوبهم، واختلف في كيفية هذه التقوية، والتثبيت، فقيل: كما أن للشيطان قوة إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر، فكذلك للملك قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير، ويسمى الأول: وسوسة. والثاني: لمة، وإلهاماً، وقيل: إن التثبيت هو حضورهم معهم القتال. ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ أي: الخوف،

وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين، وانظر (الإيمان) في الآية رقم [١]. ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾: هذا الأمر للملائكة، وفيه دليل على أنهم باشروا القتال، وهو المعتمد، فيكون متصلاً بما قبله، وقيل: هذا أمر للمؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله، والمراد بـ ﴿فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾: الرؤوس. ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: كل مفصل من أجسامهم.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يعني الأطراف، هذا؛ و«بنان» جمع: بنانة، وهي أطراف الأصابع، سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن الإنسان أن يبين ما يريد أن يعمله بيديه، وإنما خصت بالذكر من دون سائر الأطراف؛ لأن الإنسان يقاتل بها، ويمسك بها السلاح في الحرب، هذا؛ وقوله تعالى في سورة (القيامة) ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ يلفت النظر إلى أهمية خلق البنان حيث جعل خلقها دليلاً على قدرته، وقد ظهرت في هذا العصر حكمة ذلك حيث ثبت أن بنانة شخص لا تشبه بنانة آخر، ولذا يعتمد على طبعة البنانة في الوثائق التي تدون بين المتعاملين بالنسيئة، هذا؛ والإلقاء في الأجرام: الطرح والرمي والقذف، فاستعير ﴿سَأُلۡقِي﴾ هنا للمعاني.

تنبيه: روي عن أبي داود المازني ـ وكان شهد بدراً ـ قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري. وعن سهل بن حنيف، قال: لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف. انتهى خازن. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِذۡ﴾: بدل ثالث من ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ﴾ أو هو متعلق بالفعل (يثبت) أو بـ (اذكر) محذوفاً. ﴿يُوحِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿مَعَكُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (أن)، والكاف في محل جر بالإضافة، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وقيل في محل جر بحرف جر بمحذوف، التقدير: بأني، هذا؛ وقد قرئ بكسر الهمزة، وفيها وجهان: أحدهما: أن ذلك على إضمار القول، وهو مذهب البصريين، والثاني على إجراء ﴿يُوحِي﴾ مجرى القول؛ لأنه بمعناه، وهو مذهب الكوفيين. ﴿فَثَبِّتُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [١]. (ثبتوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] الأعراف. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿ءَامَنُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥] من سورة (الأعراف) وجملة: ﴿فَثَبِّتُواْ﴾ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿سَأُلۡقِي﴾: السين: حرف وعد هنا

وتحقيق. (أُلقي): مضارع مثل ﴿يُوحِي﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿فِي قُلُوبِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿قُلُوبِ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلة الموصول. ﴿ٱلرُّعْبَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿سَأُلْقِي...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱضْرِبُواْ﴾: مثل ﴿فَثَبِّتُواْ﴾ وتقدير الكلام، وإذا كان ذلك واقعاً ﴿فَٱضْرِبُواْ﴾. ﴿فَوْقَ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه ظرف مكان متعلق بما قبله، والمفعول محذوف، التقدير: اضربوهم فوق الأعناق، وثانيها: أنه مفعول به على الاتساع، وهذا غير جيد؛ لأنه ظرف غير متصرف، وثالثها: أن ﴿فَوْقَ﴾ بمعنى على، أي: على الأعناق. ويكون المفعول محذوفاً، تقديره: فاضربوهم على الأعناق، ورابعها: أن ﴿فَوْقَ﴾ زائدة، أي: اضربوا الأعناق. قاله الأخفش، وهو غير مسلم؛ لأن زيادة الأسماء لا تجوز، ﴿مِنْهُمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال من ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾، كان صفة له، كما في الآية السابقة. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿بَنَانٍ﴾ مضاف إليه وجملة: ﴿وَٱضْرِبُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الضرب المذكور في الآية السابقة والأمر به، وأيضاً إلقاء الرعب في قلوبهم، يدخل تحت الإشارة. ﴿شَآقُّواْ﴾: خالفوا الله ورسوله، والمشاقة: المخالفة؛ لأن كل واحد من المتعاديين يكون في شق خلاف شق الآخر، وانظر شرح الاسمين الكريمين في الآية رقم [١]. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: هذا وعيد وتهديد، وفحواه: أن ما وقع بهم في الدنيا من قتل وأسر شيء قليل بجانب ما أعد الله لهم في الآخرة من العقاب الشديد، والعذاب الأليم، هذا؛ و﴿يُشَاقِقِ﴾ هنا بالفك، وفي سورة الحشر بالإدغام، ولم أر من تعرض للفرق بينهما، ولا أرى سوى: أنهما قراءتان والقراءة توقيفية، والقواعد النحوية تجيز في المضارع المضعف المجزوم بجازم الفك والإدغام، هذا؛ وللشقاق ثلاثة معان: أحدها الخلاف، كما في هذه الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا...﴾ إلخ الآية رقم [٣٥] من سورة (النساء)، والثاني: العداوة مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ...﴾ إلخ الآية رقم [٨٨] من سورة (هود) عليه السلام، والثالث: الضلال مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ الآية رقم [٥٣] من سورة (الحج) وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ رقم [١٧٥] من سورة (البقرة).

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها.

﴿شَآقُّواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿شَآقُّواْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر أن، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، أي: ذلك قد وقع بهم بسبب كونهم شاقوا.. إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُشَاقِقِ﴾: مضارع فعل الشرط، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل يعود إلى (من) تقديره: «هو». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: معطوف على ما قبله. الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَدِيدُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾ مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، إذ التقدير: شديد عقابه، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها لأنها لم تحل محل المفرد، هذا؛ وقد اختلف في خبر المبتدأ الذي هو (من) فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، هذا؛ ولا بد من تقدير رابط في جملة الجواب، أي: شديد العقاب له، هذا؛ وإن اعتبرت الجواب محذوفاً، أي: من يشاقق الله ورسوله يعاقبه الله، فتكون الجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الإشارة إلى ما تقدم ذكره في الآية السابقة، والخطاب للكفار، وفي الآية السابقة للنبي ﷺ، فيكون في الكلام التفات من المفرد إلى الجمع، وانظر الالتفات في الآية رقم [٦] من سورة (الأنعام). ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أي: ذوقوا ما تقدم ذكره، ففي ذلك استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه ما حل بهم بالطعام الذي يؤكل، ثم حذفه، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإذاقة، هذا؛ والذوق يكون محسوساً ومعنىً، وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس فذُقْهُ، أي: اخْتَبِره، وانظر فلاناً فذُقْ ما عنده، قال الشماخ يصف فرساً: [الطويل]

فَذَاقَ فأعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جانِباً كَفَى وَلَهاً أنْ يغرِقَ السَّهْم حاجِزُ

وأصله من الذوق بالفم. انتهى. قرطبي، وانظر الآية رقم [١٠٦] من (آل عمران).

﴿ٱلنَّارِ﴾: أصلها النَّوَر، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنث المجازي. وقد تذكر، وتصغيرها: نُوَيْرة، والجمع: أَنْوُر، ونيران، وَنِيرة، ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين والفاسقين، وانظر الآية رقم [١٢] من سورة (الأعراف)، تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ذكر فيه السمين أربعة أوجه: أحدها أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: العقاب ذلكم، أو: الأمر ذلكم. الثاني: أنه مبتدأ، والخبر محذوف، أي: ذلكم العقاب، وعلى هذين يكون ما بعده كلاماً مستأنفاً، والثالث: أن ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ، والخبر ما بعده، وهذا على رأي الأخفش، الذي يرى زيادة الفاء في الخبر مطلقاً، أعني: سواء تضمن المبتدأ معنى الشرط أم لا، وأما غيره فلا يجيز زيادتها إلا بشرط أن يكون المبتدأ مشبهاً لاسم الشرط، أي: كما في الآية رقم [١٥] من سورة (النساء). والآية رقم [٤١] من سورة (المائدة). الرابع: أن ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ منصوب بفعل مضمر، يفسره ما بعده، ويكون من باب الاشتغال. انتهى. جمل بتصرف كبير. ﴿فَذُوقُوهُ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي زائدة انظر الإعراب المتقدم. (ذوقوه): أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي في محل رفع خبر المبتدأ، أو هي مفسرة حسب ما رأيت فيما تقدم من الإعراب. ﴿وَأَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أن) تقدم على اسمها. ﴿عَذَابَ﴾: اسمها المؤخر، و﴿عَذَابَ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، و﴿وَأَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر معطوف على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ على جميع الوجوه المذكورة فيه، أو هو في محل نصب على أنه مفعول معه، هذا؛ وقرئ بكسر الهمزة، وعليه فالجملة اسمية، وهي مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها حالاً فيكون الرابط الواو فقط.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟...﴾ إلخ: هذا النداء يعم كل مؤمن في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة، وانظر «الإيمان» في الآية رقم [٢] من سورة (الأعراف) ﴿إِذَا لَقِيتُمُ...﴾ إلخ: أي: في الحرب، ومعنى ﴿لَقِيتُمُ﴾: قابلتم، ومصدره «اللُّقِي» بضم اللام وكسر القاف، و«اللُّقى» بضم اللام مقصوراً، و«اللقاء» بكسرها ممدوداً ومقصوراً، ﴿زَحْفًا﴾ أي: زاحفين، هذا؛ والزحف الدنو قليلاً قليلاً، وأصله: الاندفاع على الإلية، ثم سمي كل ماش في الحرب إلى آخر زاحفاً، يقال: زحف إلى العدو زحفاً، أي: مشى بعضهم إلى بعض. ﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾: جمع دبر، أي: فلا تعطوا ظهوركم إلى الكفار منهزمين، فإن المنهزم يولي ظهره ودبره.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و«ها»: حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح بدل من أي، وانظر الآية رقم [١٥٨] الأعراف ففيها الدواء الشافي. ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾: فعل وفاعل والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿لَقِيتُمُ﴾: فعل وفاعل، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، مبني على الفتح

في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿زَحْفًا﴾: حال من الفاعل والمفعول بمعنى متزاحفين يدبون إليكم، وتدبون إليهم فلا تنهزموا، أو من الفاعل وحده. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (لا): ناهية. ﴿تُوَلُّوهُمُ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام لا محل له مثل الجملة الندائية، إذ هي مستأنفة مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ أي: ومن ينهزم ويعط ظهره للكفار يوم الحرب والقتال، إلا محتالاً بأن يري عدوه من نفسه الانهزام، وقصده طلب الكرة على العدو، والعود إليه، وهذا من مكايد الحرب وخدعها. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو منضماً إلى جماعة أخرى من المؤمنين ليستعين بهم، ويتقوى بكثرتهم. ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: رجع بغضب من الله واستحق عقابه. ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾: مستقره وملجؤه جهنم، وانظر الآية رقم [١٥١] من سورة (آل عمران) للفرق بين مأوى ومثوى. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: بئس المرجع والمآل. هذا؛ وانظر شرح ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (الأعراف). ﴿فِئَةٍ﴾: جماعة من الناس، وهي اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل قوم وفريق ومعشر... إلخ. ﴿وَبِئْسَ﴾: انظر الآية رقم [٤٠] الآتية.

تنبيه: جاء في الحديث الشريف عَدَّ الفرار من القتال في السبع الموبقات، ولا يكون هذا إلا إذا كان العدو دون مثلَيْ جيش المسلمين. أما إذا كان العدو أكثر من ضِعْفَيْ عددِ المسلمين، فإن الفرار يوم الزحف لا يكون كبيرة، وانظر آية المصابرة الآية رقم [٦٥] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُوَلِّهِمْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (من)، والهاء: مفعول به أول. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وإذ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين. ﴿دُبُرَهُۥٓ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مُتَحَرِّفًا﴾: حال من

الفاعل المستتر، وقيل: منصوب على الاستثناء من المولين، التقدير: إلا رجلاً متحرفاً. ﴿لِقِتَالٍ﴾: متعلقان بـ ﴿مُتَحَرِّفًا﴾. ﴿مُتَحَيِّزًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: متعلقان به. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿بَآءَ﴾: ماض والفاعل يعود إلى (من) أيضاً تقديره: «هو». ﴿بِغَضَبٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ (غضب)، أو بمحذوف صفة له، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٣] والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾: الواو: واو الحال. (مأواه): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل باء المستتر، والرابط الواو والضمير، وعطفها على جملة جواب الشرط لا يأباه المعنى. ﴿وَبِئْسَ﴾: الواو: حرف استئناف. (بئس): فعل ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: فاعله، والمخصوص الذم محذوف، التقدير: وبئس المصير جهنم، وهذا المخصوص فيه وجهان: كونه مبتدأ مؤخراً، والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم، وكونه خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هي جهنم، والجملة: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: الخطاب للمؤمنين، أي: إنكم لم تقتلوا المشركين يوم بدر، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي: بنصركم عليهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، أي: لم ترم رمياً توصله إلى أعين الكافرين حين رميت التراب، وذريته في الهواء. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أي: الذي أوصل التراب إلى أعينهم إنما هو الله تعالى. هذا؛ وقرئ بتخفيف: (لكن) ورفع لفظ الجلالة في الجملتين. ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: ولينعم الله على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة، والعزة والكرامة، هذا؛ وليبلي بمعنى ليختبر، وهذا الابتلاء والاختبار يكون بالخير والشر، انظر الآية رقم [١٦٨] من سورة (الأعراف) - ففيها الكفاية. ﴿سَمِيعٌ﴾: لأقوال المؤمنين ودعائهم واستغاثتهم. ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم وخفايا صدورهم، وهما صيغتا مبالغة بمعنى كثير العلم وشديد السمع. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿بَلَآءً﴾: اسم مصدر لا مصدر، وأصله بلاي، وإعلاله مثل إعلال ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في الآية رقم [٩٦] من سورة (الأعراف).

تنبيه: روي أنه لما طلعت قريش، ورآها الرسول ﷺ، قال: «**اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني**». فأتاه جبريل عليه السلام،

وقال له: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فلما التقى الجمعان، تناول كفّاً من الحصباء، فرمى بها في وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه!»، فلم يبق مشرك إلا وشغل بعينه، فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر، فيقول الرجل: قتلت وأسرت، فنزلت الآية.

تنبيه: وقيل: المعنى ما رميت بالرعب إذ رميت بالحصباء، ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم، وقيل: إنه نزل في طعنة طعن بها الرسول ﷺ أبي بن خلف يوم أحد، ولم يخرج منه دم، فجعل يخور حتى مات، وقيل: إن هذا الرمي كان يوم وقعة حنين، وقيل: إن المراد بالرمي السهم الذي رمى به رسول الله ﷺ في حصن خيبر، فأصاب به ابن أبي الْحُقَيْقِ وهو نائم على فراشه، والمعتمد أن الرمي كان في غزوة بدر.

الإعراب: ﴿فَلَمْ﴾: الفاء: مفاد كلام الزمخشري: أنها الفصيحة، إذ قدر: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم، وأراها حرف استئناف، وقيل: هي لربط الكلام بعضه ببعض، فإن أريد معنى، فلا بأس، وإن أريد إعراباً فلا وجه له. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَقْتُلُوهُمْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها، أو هو مبتدأ على القراءة الثانية. ﴿قَتَلَهُمْ﴾: ماض ومفعوله، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكن)، أو خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿رَمَيْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿رَمَيْتَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ إعرابها مثل سابقتها، وهي معطوفة عليها. ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان باسم المصدر بعدهما، وتعليقهما بمحذوف حال منه جيد؛ وعليه فهو في الأصل صفة، فلما قدم عليه صار حالاً، انظر الآية رقم [١١] وقيل: يعود الضمير على الظفر، وقيل: على الرمي، وعليهما فالجار والمجرور متعلقان بالفعل (ليبلي). ﴿حَسَنًا﴾: صفة ﴿بَلَآءً﴾، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على مثلهما، وهما متعلقان جميعاً بفعل محذوف، وتقدير الكلام: فعل الله ذلك؛ ليقهر الكافرين، وليختبر المؤمنين، وهذا الكلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها.

﴿سَمِيعٌ﴾: خبر. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية هذه مستأنفة أيضاً لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الخطاب للمؤمنين، والإشارة إلى البلاء الحسن، وهو النصر والظفر بالمشركين، أو إلى الرمي المذكور في الآية السابقة. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ...﴾ إلخ: أي: واعلموا أن الله مضعف كيد الكافرين ومذلهم بالقتل والأسر، وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، هذا؛ والكيد: المكر كما رأيت في الآية رقم [١٨٣] من سورة (الأعراف). ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الآية رقم [١] وانظر ﴿كَفَرُواْ﴾ في الآية رقم [٦٦] من سورة (الأعراف). هذا؛ وقد قرئ: (مُوْهِنٌ) بتشديد الهاء وتخفيفها، وتنوين النون وعدمه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، التقدير: ذلكم الإبلاء حق، وقيل: خبر لمبتدأ محذوف. التقدير: المقصود أو الأمر ذلكم، والأمر ذلكم، والأول أصح وأقوى. الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مُوهِنُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿كَيْدِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وعلى قراءة التنوين، فـ (كيد) مفعول به منصوب. وعلى الوجهين ففاعل ﴿مُوهِنُ﴾ مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، و﴿كَيْدِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه جمع مذكر سالم، والنون بدل من التنوين في الاسم المفرد، و﴿وَأَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع معطوف على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ على الوجهين المعتبرين فيه، هذا؛ ويجوز أن يكون المصدر في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: واعلموا أن الله... إلخ، وقال الزمخشري: معطوف على (ليبلي)، وليس بشيء.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: الخطاب لأهل مكة على سبيل التهكم؛ لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والذلة، وذلك: أنهم حين أرادوا الخروج إلى بدر تعلق أبو جهل وغيره بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وهذا الدعاء في الواقع عليهم، وإن قصدوا به الدعاء على الرسول ﷺ وحزبه، ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إن تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين، و﴿خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: الجنة أو النار. ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ أي: لمحاربة محمد ومعاداته. ﴿نَعُدْ﴾ أي: لنصرته عليكم. ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ...﴾ إلخ:

أي: لا تنفعكم كثرتكم مهما بلغت، وقوتكم مهما عظمت. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر والمعونة والتأييد، هذا؛ وقرئ بفتح همزة: (أنَّ) وكسرها، هذا؛ وقال البيضاوي: وقيل: الآية خطاب للمؤمنين، والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال، والرغبة عما يستأثره الرسول ﷺ فهو خير لكم، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار والتوبيخ، أو تهييج العدو، ولن تغني عنكم حينئذ كثرتكم، إذا لم يكن الله معكم بالنصر والتأييد، فإنه مع الكاملين في إيمانهم، ويؤكد ذلك الآية التالية. انتهى. بتصرف.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَسْتَفْتِحُواْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكُمُ﴾: ماض ومفعوله، والميم في الكل علامة جمع الذكور. ﴿ٱلْفَتْحُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وإعراب: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ مثل إعراب ما قبلهما بلا فارق، وهو ظاهر، إن شاء الله تعالى. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف استئناف. (لن): حرف نصب ونفي واستقبال. ﴿تُغْنِيَ﴾: مضارع منصوب بـ (لن). ﴿عَنكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فِئَتُكُمْ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، وقيل: نائب مفعول مطلق، التقدير: إغناء شيئاً. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَثُرَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى فئتكم، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فئتكم، والرابط الواو والضمير، هذا؛ وإن اعتبرت (لو) شرطية؛ يكن جوابها محذوفاً لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية: ﴿وَلَن تُغْنِيَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (أن)، و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، و﴿وَأَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، قدره السمين بتقديرين: الأول: ولأن الله مع المؤمنين كان كَيْتَ وكَيْت، والثاني: ولأن الله مع المؤمنين امتنع عنادهم، وقدر ثالثاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، التقدير: والأمر: أن الله مع المؤمنين، وهذا الوجه الأخير يقرب في المعنى من قراءة الكسر؛ لأنه استئناف. انتهى. بتصرف بسيط. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ أي: لا تتولوا عن الرسول ﷺ، فإن المراد من الآية الأمر بطاعته، والنهي عن الإعراض عنه، وذكر طاعة الله

للتوطئة، والتنبيه على أن طاعته في طاعة الرسول، لقوله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ هذا؛ وقد حذفت تاء المضارعة من الفعل: ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ إذ أصله: تتولوا، وهذا الحذف مستعمل وكثير في الآيات القرآنية، وفي الكلام العربي، هذا؛ وقد قيل: إن الضمير يعود للجهاد، أو للأمر الذي دل عليه الطاعة. ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾: القرآن والمواعظ سماع قبول وتصديق، وانظر الآية رقم [١٠٠] من سورة (الأعراف) ـ تجد فيها بحثاً جيداً في متعلق الفعل، هذا؛ وانظر الحديث في الآية رقم [١٢] من سورة (التوبة) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و«ها»: حرف تنبيه لا محل له من الإعراب، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح بدل من أي، وانظر الآية رقم [١٥٨] الأعراف ففيها بحث جيد. ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ انظر الآية رقم [١]، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿وَلَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿عَنۡهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَنتُمۡ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَسۡمَعُونَ﴾: فعل وفاعل والمفعول محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتُمۡ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ أي: بألسنتهم كالكفرة والمنافقين. ﴿سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ أي: سماع تدبر وتفكر وانتفاع، فهم بمنزلة من لم يسمع وأعرض عن الحق، ومفعول الفعل محذوف كما في الآية السابقة.

قال القرطبي: نهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم، فدلت الآية على أن قول المؤمن: سمعت وأطعت، لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال فعله، فإذا قصر في الأوامر، فلم يأتها، واعتمد النواهي فاقتحمها، فأي: سمع وطاعة عنده؟! وإنما يكون حينئذ بمنزلة المنافق الذي يظهر الإيمان ويسر الكفر. انتهى. بتصرف. وانظر القول في الآية رقم [٥] الأعراف.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونُواْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون، والواو اسمه والألف للتفريق. ﴿كَٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونُواْ﴾، هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى مثل، فتكون هي

الخبر، وتكون مضافاً، و(الذين) مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿سَمِعْنَا﴾ مع المفعول المحذوف في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وإعراب ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ في الآية السابقة، ومحلها كمحلها بلا فارق.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿شَرَّ﴾: انظر الآية رقم [١٢] الأعراف. ﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾: جمع دابة، وهي تشمل كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان، وحيوان. ﴿ٱلصُّمُّ﴾ أي: عن سماع الحق سماع تدبر وتفهم. ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ أي: عن النطق بالحق، والأول جمع: أصم، وهو فاقد السمع، والثاني جمع: أبكم، وهو المعقود لسانه عن الكلام. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يفهمون ما يقال لهم، ومعنى ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه وقضائه وتقديره، هذا؛ وقد جعل الله الكفار شر الدواب، وهو ما نوهت به الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف)، انظرها تجد ما يسرك.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد ﷺ فقتلوا جميعاً يوم أحد، وكانوا أصحاب اللواء، ولم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير، وسويبط بن حرملة رضي الله عنهما. انتهى. خازن. وقال البيضاوي: عدهم الله من البهائم، ثم جعلهم شرها، لإبطالهم ما ميزوا به، وفضلوا لأجله عن الحيوان، أي: وهو العقل. انتهى. بتصرف.

هذا؛ والعقل: نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه، أي: يمنعه من فعل الرذائل، لذا فإن كل شخص لا يسير على الجادة المستقيمة لا يكون عاقلاً بالمعنى الصحيح، فقد ورد: أنه مر رجل معتوه على مجلس النبي ﷺ، فقال الصحابة ـ رضي الله عليهم ـ «هذا رجل مجنون» فقال: «هذا مصاب إنما المجنون من أصر على معصية الله» هذا؛ والعقل: الدية سميت بذلك لأن الإبل المؤداة تعقل بباب ولي المقتول، والعقال بكسر العين: الحبل الذي تشد به ركبة الجمل عند بروكه ليمنعه من القيام والمشي، والعقال أيضاً صدقة عام، قال شاعر يهجو عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً، فَلَمْ يَتْرُكْ لَنا سَبَداً ... فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرو عِقَالَيْنِ؟

لأَصْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً، ولَمْ يَجِدوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ في الهَيْجَا جِمَالَيْنِ

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿شَرَّ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾: مضاف إليه. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿شَرَّ﴾ لأنه أفعل تفضيل، و﴿عِندَ﴾: مضاف،

و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلصُّمُّ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلْبُكْمُ﴾: خبر ثان. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر ثالث، وجملة: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ شَرَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: لو سبق علم الله أن فيهم خيراً، وهذا يكون بتقدير أزلي. ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: الحجج والبراهين إسماع تفهم، ولكن سبق علمه بشقاوتهم. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: وقد علم أن لا خير فيهم. ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾: لأعرضوا عن الإيمان، ولم ينتفعوا به، أو ارتدوا بعد التصديق والقبول، هذا؛ وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحي لنا قُصَيّاً، فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك، ونؤمن بك، ويكون المعنى: ولو أسمعهم كلام قصي، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فِيهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، واللام واقعة في جواب (لو)، والجملة الفعلية جواب (لو) الثانية لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله، والجملة الاسمية: ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال مؤكدة مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟...﴾ إلخ: هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف، والاستجابة الإجابة، وتكون بالطاعة والانقياد، وانظر الآية رقم [١] لشرح الاسمين الكريمين. ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ أي: الرسول ﷺ، وإنما وحد الضمير الفاعل؛ لأن إجابة الرسول استجابة لله تعالى، وإنما يذكران معاً للتوكيد، وهذه الآية تدل على أنه لا بد من الإجابة في كل ما دعا الله ورسوله إليه. عن أبي سعيد بن المعلى، قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: «**ألم يقل الله**: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾». رواه البخاري.

هذا؛ واختلف في إجابته ﷺ، فقيل: إن إجابته لا تقطع الصلاة؛ لأن الصلاة أيضاً إجابة، وقيل: إن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير، وهذه الآية مختصة بالنبي ﷺ، فعلى هذا ليس لأحد أن يقطع صلاته لدعاء أحد آخر، وقيل: لو دعاه أحد لأمر مهم لا يحتمل التأخير، فله أن يقطع صلاته. ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾: قال السدي: هو الإيمان؛ لأن الكافر ميت، فيحيا بالإيمان، وقال قتادة: هو القرآن؛ لأنه حياة القلوب، وفيه النجاة والعصمة في الدارين، وقال محمد بن إسحاق: هو الجهاد لأن الله أعزه به بعد الذل، وقيل: هو الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وقيل: هو العلوم الدينية، فإنها حياة القلوب، والجهل موتها، رحم الله القائل: [الرجز]

لا تُعْجِبَنَّ الْجَهُولَ حُلَّتُهُ فَذَاكَ مَيِّتٌ، وَثَوْبُهُ كَفَنْ

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾: قال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن، أو يكفر إلا بإذن الله، قال الخازن: وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول؛ لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواعي، وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الإرادة، وتلك الإرادة لا بد لها من فاعل مختار، وهو الله، فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ قلوبَ بَني آدمَ بين أُصْبَعينِ من أصابعِ الرحمنِ كقلْبٍ واحد يصرفُهُ حيثُ شاءَ ثم قال: اللَّهم مُصَرِّف القلوبِ ثبِّتْ قلوبَنَا على طاعتكَ**». متفق عليه. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلبَ القلوبِ ثبِّتْ قلوبَنا على دينِكَ**». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله قدْ آمنَّا بِكَ، وَبِما جِئْتَ بهِ، فَهَلْ تَخافُ عَلَيْنَا؟ قال: «**نعمْ إن القُلُوبَ بَيْنَ أصبعيْنِ من أصابعِ الرحمنِ يقلِّبُها كيفَ شاءَ**». أخرجه الترمذي، وهذا الحديث من أحاديث الصفات، فيجب تأويلها لتنزيه الله عن الجارحة والجسم، وقيل: معنى ﴿يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ هو تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد، كقوله ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنها صاحبها، وقيل غير ذلك. وفي ﴿يَحُولُ﴾ استعارة تبعية، فمعنى ﴿يَحُولُ﴾ يقرب، أو تمثيلية، وقيل: مجاز مرسل. انتهى. جمل. هذا؛ و﴿ٱلۡمَرۡءِ﴾ بفتح الميم وتضم في لغة، والمراد منه الإنسان، وقرئ: (المر) بفتح الميم وتشديد الراء، وتوجيهها أن يكون نقل حركة الهمزة إلى الراء، ثم شدد الراء، وأجرى الوصل مجرى الوقف. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وانظر الآية رقم [١٧٥] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٢٠] والمحال عليها. ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] الأعراف والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿إِذَا﴾: ظرف متعلق

بالفعل ﴿أَسْتَجِيبُواْ﴾. ﴿دَعَاكُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الرسول، والكاف مفعول به. ﴿لِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وما: تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿يُحْيِيكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى الرسول، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، إذ التقدير: يحييكم به، وعلى اعتبار ما مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر باللام، أي: لإحيائكم، واعتبار ﴿إِذَا﴾ شرطية ضعيف هنا. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَحُولُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: (اعلموا)، والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة ﴿أَسْتَجِيبُواْ﴾ لا محل لها مثلها. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمَرْءِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَنَّهُۥٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿تُحْشَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر معطوف على سابقه، فهو في محل نصب مثله.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ...﴾ إلخ: أي: احذروا وخافوا فتنة، إن كثرت، ونزل العذاب بسببها لا يقتصر على الظالمين والفاسدين، بل يعم الصالح والمفسد، والتقي والشقي، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم العذاب، وهذا هو الذي تعضده الأحاديث الصحيحة، ففي صحيح مسلم عن زينبَ بنتِ جحشٍ: أنها سألَتْ رسول الله ﷺ، فقالتْ: يا رسولَ الله! أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعمْ إذا كَثُرَ الخبَثُ**». وفي سنن الترمذي «**إنَّ الناسَ إذا رأوُا الظَّالِمَ، ولم يأْخُذُوا على يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يعمهم اللهُ بعذابٍ من عندِهِ**». وانظر الآية رقم [١٠٤] آل عمران والآية رقم [٨١] المائدة وما بعدها، والآية رقم [١٦٢] الأعراف، وما بعدها.

هذا؛ وقال البيضاوي: اتقوا ذنباً يعمكم أثره، كإقرار المنكر بين أظهركم، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد. وهذا على تفسير الفتنة بالذنب، وأما على تفسيرها بالبلاء الذي يتسبب عن المنكر، وهو العذاب الدنيوي، فيكون بالأمراض الخبيثة، والقحط، والغلاء، وتسلط الظلمة، وغير ذلك كافتراق الكلمة. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ

ﱡﭐاللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِﱠ أي: أيقنوا أن الله شديد الانتقام ممن عصاه، وممن رضي بالمعصية، وسكت، ولم ينكرها بما يقدر، ويغيرها بيده أو بلسانه، فعن عدي بن عميرة الكندي، قال: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يُعذبُ العامَّةَ بعملِ الخاصَّةِ حتى يَرَوُا المنكرَ بيْنَ ظَهْرانيهِمْ، وهم قادِرونَ على أن يُنْكروهُ فلا يُنكروهُ، فإذا فعلوا ذلِكَ عذَّبَ الله العامةَ والخاصَّةَ**». رواه البغوي، والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي المذكور: أن النبي ﷺ قال: «**إذا عُمِلَتِ الْخطِيئَةُ في الأرضِ كانَ مَنْ شَهِدَهَا فأنكرهَا، كَمَنْ غابَ عَنْهَا، ومَنْ غَابَ عنْها فَرَضِيهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَها**». أخرجه أبو داود، والأحاديث في ذلك كثيرة.

الإعراب: ﱡﭐوَاتَّقُواْﱠ: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﱡﭐفِتْنَةًﱠ: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﱡﭐلَّا تُصِيبَنَّﱠ: لا: نافية. ﱡﭐتُصِيبَنَّﱠ: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم في جواب الأمر، وهو في الحقيقة مجزوم بشرط مقدر عند البصريين كما يلي: (إن تتقوا فتنة لا تصيبن) وعند الكوفيين كما يلي: (واتقوا فتنة إن أصابتكم لا تصيبن)، وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة، لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه، كقوله تعالى حكاية عن قول النملة لجماعتها: ﱡﭐادْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥﱠ هذا وجه لإعراب هذه الجملة، والوجه الثاني أن الجملة في محل نصب صفة ﱡﭐفِتْنَةًﱠ، وﱡﭐلَّاﱠ للنفي، وفيه شذوذ؛ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم، أو هي (لا) الناهية، ولا يصح إلا على تقدير القول كقول الشاعر: [الرجز]

حَتَّى إذَا جَنَّ الظَّلامُ واخْتَلَطْ جَاؤُوا بِمذْقٍ، هَلْ رأَيْتَ الذِّئبَ قَطْ؟

التقدير في الآية الكريمة: اتقوا فتنةً مقولاً فيها: ﱡﭐلَّا تُصِيبَنَّﱠ، وفي البيت: بمذقٍ مقولٍ فيه: هل رأيت... إلخ، فالقول المقدر وقع صفة لـ ﱡﭐفِتْنَةًﱠ، ولمذق كما ترى، والوجه الثالث: أن الجملة جواب لقسم مقدر، التقدير: والله لا تصيبن، ويؤيده قراءة من قرأ: (لَتُصيبَنَّ) بلا ألف، قال المهدوي: يجوز أن تكون اللام مقصورة من (لا) حذفت الألف كما حذفت من (ما) وهي أخت (لا) في نحو: أم والله لأَفْعَلنَّ، وشبهه، ويجوز أن تكون مخالفة لقراءة الجماعة، فيكون المعنى: أنها تصيب الظالم خاصة، أقول: وهذا المعنى غير مراد من الآية كما رأيت فيما سبق، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، وقيل: صفة لـ ﱡﭐفِتْنَةًﱠ، فيقع المحذور السابق الذي من أجله قدر مقول محذوف لأن القسم إنشاء، وعلى جميع الوجوه المتقدمة فالفاعل مستتر تقديره هي يعود إلى ﱡﭐفِتْنَةًﱠ. ﱡﭐالَّذِينَﱠ: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﱡﭐظَلَمُواْﱠ: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﱡﭐمِنكُمْﱠ: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﱡﭐخَاصَّةًﱠ: صفة

لمفعول مطلق محذوف، التقدير: لا تصيبن... إصابة خاصة، وقيل: هي حال من الفاعل المستكن بالفعل: ﴿تُصِيبَنَّ﴾. (اعلموا): إعرابه مثل إعراب: (اتقوا). ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَدِيدُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلۡعِقَابِ﴾: مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، إذ الأصل شديد عقابه، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾

الشرح: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ...﴾ إلخ: هذا الخطاب للمهاجرين، وقيل: للعرب عامة، فإنهم كانوا أذلاء تحت سيطرة الروم والفرس. ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: في مكة يستضعفكم قريش. ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: كفار قريش، أو من عداهم، فإنهم جميعاً كانوا معادين للمسلمين مضادين لهم، هذا؛ والخطف: الأخذ بسرعة، وانظر شرح ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في الآية رقم [٨٢] الأعراف. ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ أي: إلى المدينة، وجعلها لكم مأوى تتحصنون به، هذا؛ وأوى إليه اطمأن وسكن إليه، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول لوط عليه السلام ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾. ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾: فقواكم وشد عزيمتكم على الكفار، وكان ذلك بإمداد الملائكة، أو بمعاونة الأنصار على الكفار. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المراد بها الغنائم التي أحلت للمؤمنين ولم تحل لمن قبلهم. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله على نعمه عليكم، وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [١٦٨] (الأعراف).

هذا؛ وقال الخازن: لما أمر الله المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله، وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم، فقال تعالى، اذكروا يا معشر المهاجرين المؤمنين، إذ أنتم... إلخ، وهذه الآية نزلت بعد غزوة بدر تذكر المسلمين بما أنعم الله عليهم.

الإعراب: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾: (اذكروا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف). ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بما قبله. ﴿أَنتُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قَلِيلٞ﴾: خبر أول. ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾: خبر ثان مرفوع... إلخ، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بـ ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾، وجملة: ﴿تَخَافُونَ﴾ في محل رفع خبر ثالث، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿أَنتُمۡ قَلِيلٞ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها، وجملة (اذكروا...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، وهو مفهوم من المقام، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، فهي في محل جر مثلها، وتقدير مبتدأ قبلها فيه تكلف، وما بعدها معطوف عليها، ولا تنس أن مفعول (رزق) الثاني محذوف، تقديره: حلالاً. ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تَشۡكُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لعل، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ تعليل للنعم المذكورة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿ءَامَنُواْ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٢] الأعراف. ﴿ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: انظر الآية رقم [١]. وخيانة الله ورسوله تكون بتعطيل الفرائض والسنن، أو بأن يظهر الإنسان خلاف ما يضمر، وهذا نفاق، وتكون الخيانة بالغلول في الغنائم، هذا؛ وأصل الخون: الغدر والنقص، كما أن أصل الأمانة الوفاء والتمام، والخيانة بجميع أنواعها صفة ذميمة تستوجب الذم، كيف لا؟ والرسول ﷺ، قد استعاذ منها بقوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وأعوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّها بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**». أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، هذا؛ وانظر الأمانة في الآية رقم [٥٨] من سورة (النساء). ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أنكم تخونون، أو: أنتم علماء تميزون الحسن من القبيح، أو ما في الخيانة من القبح والعار.

تنبيه: نزلت الآية في أبي لبابة، قال الجلال: اسمه مروان بن عبد المنذر، وقيل: اسمه رفاعة، وقيل: اسمه هارون، وقيل: عمرو، وهو أنصاري ـ رضي الله عنه ـ وكانت الحادثة فيما يروى: أن النبي ﷺ حاصر بني قريظة بعد نقضهم العهد والميثاق، وانضمامهم إلى قريش في محاصرة المدينة المنورة في غزوة الخندق إحدى وعشرين ليلة، فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير، وبني قينقاع، على أن يخرجوا إلى أذرعات وأريحاء بأرض الشام، فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فأبوا، وقالوا: أرسل لنا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم لأن عياله وأمواله في أيديهم، فبعثه إليهم، فقالوا: يا أبا لبابة، ما ترى؟ أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فقال: نعم، وأشار إلى حلقه: أنه الذبح، قال أبو لبابة. فما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله، ثم انطلق على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ، وشد نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوب الله علي، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، قال: أما لو جاءني لاستغفرت له، أما إذ فعل ما فعل، فإني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو

الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال يا رسول الله! إن تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال الرسول ﷺ: «**يجزيك الثلث أن تتصدق به**». فنزلت الآية الكريمة والتي بعدها، وقد تضمنتا الحادثة، وفيها إشارة إلى قبول توبته والعفو عنه.

وأما بنو قريظة فقد حكم فيهم سعد رضي الله عنه أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**». أي: سبع سموات، وذلك جزاء من ينقض العهد، ويحارب الله ورسوله. وسترى ذلك مفصلاً في سورة (الأحزاب) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٠]. ﴿لَا تَخُونُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾: مجزوم بسبب العطف على ما قبله، أو هو منصوب. بـ «أن» مضمرة بعد واو المعية، والجزم أو النصب بحذف النون، وعلى النصب تؤول «أن» المضمرة مع الفعل بمصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، والتقدير: لا يكن منكم خيانة لله ورسوله، ولا خيانة لأماناتكم، ﴿أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف: في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٢٠] ومفعول الفعل محذوف، كما رأيت في الشرح للتعميم.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: أيقنوا. ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾: قال ابن الأثير: المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها أكثر أموالهم، وقال الجوهري: ذكر بعضهم: أن المال يؤنث، وأنشد لحسان رضي الله عنه: [البسيط]

الْمَالُ تُزْرِي بِأَقْوامٍ ذَوِي حَسَبٍ ... وقد تُسَوِّدُ غيرَ السَّيِّدِ الْمَالُ

وعن الفضل الضبي: المال عند العرب الصامت والناطق، فالصامت الذهب، والفضة، والجواهر، والناطق هو البعير والبقرة والشاة، فإذا قلت عن حضري: كثر ماله فهو الصامت، وإذا قلت عن بدوي كثر ماله فالمراد الناطق، والنشب: المال الثابت كالضياع، ونحوها، فلا يقال للمنقول من المال المذكور آنفاً، قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي: [البسيط]

أمرْتُكَ الْخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بهِ ... فَقَدْ تركْتُكَ ذَا مَالٍ، وذَا نَشَبِ

هذا؛ وقد قيل: إن الذي لا تجب فيه الزكاة لا يقال له: مال، وهو مردود بقول النبي ﷺ: «**يقولُ ابْنُ آدمَ مَالي مَالِي، وإنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ما أَكلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى**». ﴿فِتۡنَةٞ﴾: ابتلاء واختبار وامتحان، أو سبب في الوقوع في الإثم. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ أي: ثواب كبير، وذلك لمن آثر رِضَا الله على المال والولد، وراعى حدوده، فلم يفتتن بشيء من ذلك، انظر الآية رقم [١٤] آل عمران وما بعدها ففيهما الدواء الشافي.

تنبيه: في الآية الكريمة تحذير من حب المال والولد، وتفضيلهما على طاعة الله ورسوله، فيجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة من حبهما؛ لأن ذلك يشغل القلب، ويصيره محجوباً عن خدمة المولى، وهذا من أعظم الفتن، وروى البغوي بسنده عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ أُتي بصبي، فقبله، وقال: «**أما إنهم مَبْخَلَة مَجْبَنَةٌ، وإنهم لَمِنْ رَيْحانِ الله**». وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم، قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو محتضِنٌ أَحدَ ابْنَيْ بنتِهِ، وهو يقول: «**إنكم لَتُبَخِّلُونَ وتُجَبِّنُونَ، وتُجَهِّلُونَ، وإنكم لَمِنْ رَيْحَانِ الله**». قال الترمذي: لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعاً عن خولة، ومعنى لمن ريحان الله: لمن رزق الله، وآيات التغابن رقم [١٤/ ١٥] تؤكد هذه الفتنة وتزيد عليها العداوة.

الإعراب: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾: (اعلموا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾: مبتدأ. و﴿وَأَوۡلَٰدُكُمۡ﴾: معطوف على المبتدأ، والكاف فيهما في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿فِتۡنَةٞ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل، وهذا المصدر مأخوذ من أن واسمها وخبرها، ولما كفت عن العمل بقي معناها كما هو ظاهر، ويؤيده المصدر المؤول بعدها. ﴿عِندَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَجۡرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٞ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أن)، هذا؛ وإن اعتبرت الظرف متعلقاً بمحذوف خبر (أن)، فيكون ﴿أَجۡرٌ﴾ فاعلاً بهذا الظرف، أي: بمتعلقه، والمصدر المؤول من (أن) واسمها وخبرها معطوف على ما قبله، فهو محل نصب مثله، وجملة: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا تَخُونُواْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾

الشرح: ﴿فُرۡقَانٗا﴾: قال البيضاوي: هداية تفرقون بها بين الحق والباطل، أو نصراً يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين، وإذلال الكافرين، أو مخرجاً من الشبهات، أو

نجاة عما تحذرون في الدارين. انتهى. وقال القرطبي: فإذا اتقى العبد ربه، فاتبع أوامره، واجتنب نواهيه، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال، جعل الله له بين الحق والباطل فرقاناً، ورزقه فيما يريد من الخير إمكاناً. انتهى. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: يمحوها. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: ذنوبكم؛ أي: بالتجاوز والعفو عنكم، قيل: السيئات: الصغائر، والذنوب: الكبائر، انظر الآية رقم [١٩٣] آل عمران، وقيل: المراد ما تقدم، وما تأخر؛ لأنها في أهل بدر، وقد غفرهما الله لهم، قال الرسول ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ، فقالَ: اعملُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى إنما هو تفضل منه وإحسان، وأنه ليس مما يوجبه تقواهم كالسيد إذا وعد عبده إنعاماً على عمل، قال الجلال: والآية نزلت في توبة أبي لبابة، ولم يقل به أحد غيره، والأولى التعميم لأهل بدر، وهي تشمل كل من اتقى الله إلى يوم القيامة؛ لأن خصوص السبب لا يمنعه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٠]. ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا...﴾ إلخ في الآية رقم [١٩] والجملة الشرطية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿وَيُكَفِّرْ﴾: مضارع معطوف على جواب الشرط، مجزوم مثله، ويجوز فيه الرفع والنصب، كما رأيت في الآية رقم [٢٨٣] (البقرة)، وهو مقرر في القواعد النحوية كما يلي: (إذا عطف مضارع بالواو أو بالفاء على فعل الشرط، يجوز جزمه ونصبه، وإذا عطف على الجواب مضارع بالواو أو بالفاء يجوز جزمه ونصبه ورفعه) فالنصب على إضمار: أن، والرفع على الاستئناف، ولكن لم أر من تعرض للقراءة على هذين الوجهين، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾. ﴿عَنكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ معطوف، وقل فيه مثل ما قلت بسابقه. ﴿وَاللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ذُو﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الستة، و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿الْفَضْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿الْعَظِيمِ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل الفعل المستتر والرابط: الواو وإعادة الاسم الكريم بلفظه، هذا؛ وإن اعتبرت الجملة الاسمية مستأنفة فلست مفنداً.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: قال الخازن: لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم؛ أي: في الآية رقم [٢٦] ذكر نبيه ﷺ نعمه عليه فيما جرى له بمكة من قومه؛ لأن هذه السورة مدنية، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل الهجرة، والمعنى: واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا. انتهى. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: بالوثاق، أو بالحبس، أو الإثخان بالجرح، من قولهم: ضربه حتى أثبته لا حراك به، ولا براح، وقرئ الفعل بتشديد الباء، وقرئ: (وليبيتوك) من البيات، و(ليقيدوك). ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: بسيوفهم. ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: من مكة، وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار، ومتابعتهم للرسول ﷺ فزعوا، واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة رجل هرم، وقال: أنا شيخ من نجد، سمعت بالذي اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فأذنوا له بالدخول.

فقال أبو البختري: أرى أن تحبسوه في بيت، وتسدوا منافذه، غير كوة، تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت، فقال الشيخ: بئس الرأي هذا، يأتيكم من يقاتلكم من قومه، ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو: أرى أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم، فلا يضركم ما صنع، فقال إبليس: بئس الرأي؛ يفسد قوماً غيركم، ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاماً جلداً، وتعطوه سيفاً صارماً، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل؛ عقلناه، أي: أدينا ديته، فقال إبليس الخبيث، هذا هو الرأي السديد، والقول الحميد! وتفرقوا على ذلك، فأخبر جبريل عليه السلام الرسول ﷺ بذلك، وأمره بالهجرة، فبيت ابن عمه علياً رضي الله عنه في فراشه، ودعا الله أن يعمي عليهم أمره، فطمس الله على أبصارهم، فخرج من بين صفوفهم، ووضع التراب على رؤوسهم، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾.. إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ من سورة (يس).

فلما أصبحوا؛ خرج عليهم علي كرم الله وجهه، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا، وخرج مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتوجها إلى غار ثور. ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾: المكر: تدبير الأمر في خفية، وهو أيضاً: احتيال وخداع. ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾: يرُدُّ الله مكرهم، ويجازيهم عليه، هذا؛ والله منزه عن المكر بالمعنى المذكور، واستعمال العقاب والجزاء بلفظ المكر إنما هو من باب المشاكلة وقد مر معنا كثير من هذا، انظر الآية رقم [١٤٢] من سورة (النساء). وانظر ﴿خَيْرُ﴾ في الآية رقم [١٢] الأعراف ومعنى ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أقواهم؛ لأنه سينتقم منهم، وفيه تنبيه على أن

كل مكر يبطله الله ويدحضه، وقيل: ليس المراد بالآية التفضيل؛ لأن فعل الله كله خير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: (إذ): مفعول به لفعل محذوف، أو هو ظرف لهذا المحذوف مبني على السكون في محل نصب، التقدير: اذكر وقت مكرهم بك، وهذه الجملة معطوفة على مثلها في الآية رقم [٢٦]. ﴿يَمْكُرُ﴾: مضارع. ﴿بِكَ﴾: متعلقان به. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (يمكر)، واللام بمعنى من، إذ التقدير: من أجل إثباتك، أو تثبيتك، أو تقييدك، و﴿يَقْتُلُوكَ﴾ و﴿يُخْرِجُوكَ﴾ معطوفان على ما قبلهما، منصوبين مثله... إلخ، وجملة: ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ مستأنفة لا محل لها. وجملة: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ مستأنفة لا محل لها أيضاً، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الاسم الكريم؛ فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط: الواو وإعادة الاسم الكريم بلفظه، وهو إظهار في محل الإضمار.

تنبيه: مجيء اللام الجارة بمعنى من مستعمل لغة، كقولك: سمعت له صراخاً؛ أي: منه، وقال جرير من قصيدة يهجو بها الأخطل: [الطويل]

لَنَا الْفَضْلُ في الدُّنْيَا، وأنفُكَ رَاغِمُ ... ونحنُ لكُمْ يومَ القيامَةِ أفضلُ

إذ المعنى: ونحن أفضل منكم يوم القيامة.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: تقرأ عليهم آيات القرآن، والمراد جميع قريش. ﴿قَالُوا﴾: القائل: هو النضر بن الحارث من بني عبد الدار، قال البيضاوي: وإسناده إلى الجميع، إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم، فإنه كان قاضيهم، وصاحب مشورتهم، هذا؛ وانظر القول في الآية رقم [٥] (الأعراف). ﴿سَمِعْنَا﴾ أي: مثل هذا القرآن؛ وهو التوراة والإنجيل، وانظر ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ في الآية رقم [١٠٠] الأعراف. ﴿نَشَاءُ﴾: انظر الآية رقم [٨٩] (الأعراف). ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ أي: مثل القرآن، وهذا صلف منهم ووقاحة لأنهم دعوا إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل القرآن، فلم يأتوا، وهو دليل عجزهم؛ إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا، وقد

تحداهم مراراً، وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثم قارعهم بالسيف، فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم أن يغلبوا خصوصاً في باب الفصاحة والبلاغة، هذا؛ وانظر ﴿مِثْلَ﴾ في الآية رقم [٩٣] من سورة (الأنعام) ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: انظر الآية رقم [٢٥] من سورة (الأنعام)، ففيها الكفاية، وانظر إعلال (قلنا) في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف).

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في النضر بن الحارث من بني عبد الدار، كان خرج إلى الحيرة في التجارة، فاشترى أحاديث كليلة ودمنة، وكسرى وقيصر، فلما قص رسول الله ﷺ أخبار من مضى، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا، وكان يقول: يأتيكم محمد بأخبار عاد وثمود، وأنا آتيكم بأخبار القياصرة والأكاسرة، يقصد بذلك أذى النبي ﷺ، فلما حصلت غزوة بدر الكبرى، وقع أسيراً في أيدي المسلمين، فأمر الرسول ﷺ بقتله صبراً، فحزنت عليه أخته قتيلة، وأرسلت أبياتاً للنبي ﷺ مطلعها: [الكامل]

أَمُحَمَّدٌ، وَلأَنْتَ نَجْلُ نَجِيبَةٍ ... في قَوْمِها وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ، وربَّمَا ... مَنَّ الْفَتَى، وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمحنَقُ

فلما سمع النبي ﷺ قصيدتها، قال: «**لو سمعتها تقول هذا قبل أن أقتله ما قتلته، ولعفوت عنه**». ثم قال: «**لا تقتل قريش أحداً بعد هذا صبراً**». انظر الشاهد [٤٧٠] من كتابنا فتح القريب المجيب تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: (إذا): انظر الآية رقم [٢٠١] من سورة (الأعراف). ﴿تُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان به. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر الآية رقم [٥] الأعراف. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَشَآءُ﴾: مضارع وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَقُلْنَا﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. ﴿مِثْلَ﴾: تنازعه كل من الفعلين: ﴿سَمِعْنَا﴾ و(قلنا). و﴿مِثْلَ﴾: مضاف، وهذا اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له، وجملة: ﴿لَقُلْنَا...﴾ إلخ جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها، هذا؛ والكلام بمجموعه ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ في محل نصب مقول القول ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٢٥] من سورة (الأنعام). وهو محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾: القائل هو النضر المذكور في الآية السابقة حكاه مجاهد وابن جبير، وقيل: هو أبو جهل حكاه عنه أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين، والمعتمد الأول. إذ روي أن النضر لما قال ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ...﴾ قال له النبي ﷺ: «**ويلك إنه كلام الله**». فقال ﴿ٱللَّهُمَّ إِن...﴾ إلخ. ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: أصله يا الله، فحذفت يا النداء، وعوض عنها الميم المشددة في الآخر، ولا يجمع بين العوض والمعوض عنه، إلا في الضرورة الشعرية، وهذا الحذف والتعويض من خصائص الاسم الكريم، كدخول «يا» عليه مع لام التعريف، وقطع همزته، وتاء القسم. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: قراءة الجمهور النصب، وقرأ الأعمش، وزيد بن علي برفعه، وانظر شرحه في الآية رقم [٣٣] من سورة (الأعراف). ﴿فَأَمْطِرْ﴾: انظر الآية رقم [٨٤] الأعراف. ﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: كالحجارة التي أمطرت على قوم لوط، ﴿ٱئْتِنَا﴾: انظر الآية رقم [٣٥] (الأعراف) وانظر ﴿ٱئْذَن﴾ في الآية رقم [٥٠] من سورة (التوبة) تجد ما يسرك، والمراد مثل ما عذبت به الأمم الماضية. وما قاله النضر تهكم واستهزاء وإيهام أنه على بصيرة وجزم ببطلانه، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

تنبيه: حكي: أن يهوديّاً لقي عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال اليهودي: ممن أنت؟ قال: من قريش، فقال: أنت من القوم الذين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ...﴾ إلخ؟ فهلا عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق، فاهدنا له! إن هؤلاء قوم يجهلون. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وأنت يا إسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه، وأنجى موسى وقومه، حتى قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فقال لهم موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فأطرق اليهودي مفحماً، وانظر الآية رقم [١٣٨] من سورة (الأعراف).

تنبيه: روي أن معاوية بن أبي سفيان قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك حيث قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ...﴾ إلخ ولم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق.. فاهدنا إليه، وهذا من الأجوبة المسكتة.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): معطوفة على مثلها في الآية رقم [٣٠]. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا) المحذوفة، والمعوض عنها الميم المشددة في الآخر. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم.

﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾، والهاء: حرف تنبيه لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، والكوفي يقول: هو حرف عماد. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ منصوب، هذا؛ وعلى قراءة الرفع ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِنْ عِندِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَقَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿حِجَارَةً﴾. ﴿أَوِ﴾: حرف عطف. ﴿ٱئْتِنَا﴾: أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره «أنت»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب الشرط. ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة عذاب، والكلام: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾: هذا بيان من الله تعالى لما كان الموجب لإمهالهم، وتأخير نزول العذاب بهم، وسببه وجود النبي ﷺ فيهم، أي: إقامته في مكة المكرمة؛ لأن سنة الله في خلقه بأن لا يعذب قوماً كافرين، ونبيهم بين أظهرهم، فإذا خرج وتركهم نزل العذاب بهم، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ فإن المراد بالأول: عذاب الاستئصال، والمراد بالثاني: العذاب الحاصل بالمحاربة والمقاتلة، وهذا كان بعد هجرة النبي ﷺ، ومغادرته مكة المعظمة. ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: اختلف بهذا الاستغفار، فقيل: المراد به ما كانوا يقولونه في طوافهم (غفرانك غفرانك) وقيل: المراد به استغفار المؤمنين المستضعفين المقيمين في مكة.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ المراد: أن فيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن، ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد وغيرهم، وقال أهل المعاني: دلت الآية الكريمة على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله أنزلَ عليَّ أَمَانَيْنِ لأُمَّتِي**: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ **فإذا مَضَيْتُ تركْتُ فيهم الاسْتِغفارَ إلى يَوْمِ القيامة**». أخرجه الترمذي.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة كردٍّ لما طلبوه من نزول العذاب بهم، وبيان لتأخير العذاب وسببه، وقيل: هذا كلام مستأنف أخبر الله به عن نفسه تعالى وتقدس، وعن سنته في إهلاك الكافرين المعاندين لرسلهم.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام الجحود، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به، والميم في الكل: حرف دال على جماعة الذكور، و«أن» المضمرة والفعل المضارع، في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، التقدير: وما كان الله مريداً تعذيبهم، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو، والاستئناف أقوى. ﴿وَأَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: وما يمنعهم من العذاب، فلا ريب أنهم مستحقون العذاب لِمَا ارتكبوا من القبائح والأسباب، ولكن لكل أجل كتاب فعذبهم الله بعد خروج النبي ﷺ من بين أظهرهم بالقتل والأسر يوم بدر، وما تلاه من هزائم وقعت بهم، وهم يصدون عن المسجد الحرام: أي: وهم يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت، وذلك حين صدوا رسول الله ﷺ، وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية، وكان قد قصده لأداء العمرة. ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ أي: ما كانوا مستحقين ولاية أمر المسجد الحرام مع شركهم، وهو رَدٌّ لما كانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم، فنصد من نشاء، وندخل من نشاء. ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: لا يستحق ولاية البيت الحرام، ورعاية شؤونه إلا المتقون. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن لا ولاية لهم عليه، كأنه سبحانه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ذلك، ولكنه يعتند معاندة، هذا؛ وقيل: المراد بالأكثر الجميع، أو المراد: لا يعلمون حكمة الله في أحكامه وتصريفه الأمور على حسب مشيئته وتقديره، وذكر الأكثر؛ لأن البعض لا يعرف الحق لنقصان عقله، أو التقصير في النظر.

﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿يَصُدُّونَ﴾: انظر الآية رقم [٤٥] الأعراف. ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾: انظر الآية رقم [٢٩] منها. ﴿أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: انظر معناه الحقيقي في الآية رقم [٣] منها. ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: انظر التقوى في الآية رقم [٢٦] منها أيضاً. هذا؛ ومعنى المسجد الحرام: المحرم فيه اللغو والرفث والإيذاء، وكل فعل قبيح، وعمل فاحش، وإن كان في غيره حراماً، فهو فيه أشد حرمة، وكذلك محرم على الكفار، فلا يجوز أن يدخله كافر أبداً، وانظر الآية رقم [١٠٠] من سورة (المائدة) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، انظر الشرح. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب واستقبال. (لا): نافية. ﴿يُعَذِّبَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ (أن)، والهاء مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل، و(أن) المصدرية والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، انظر الشرح، هذا؛ ويجوز اعتبار (ما) نافية، و﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والمصدر المؤول في محل رفع مبتدأ مؤخر، ومثل إعراب هذه الآية إعراب قول الشاعر: [البسيط]

وما عَلَيْنا ـ إذَا ما كُنْتِ جارَتَنا ـ أَنْ لَا يُجاوِرَنَا إلَّاكِ دَيَّارُ

وهو من شواهد «فتح القريب المجيب» و«فتح رب البرية» رقم [٧٣] وعلى الوجهين فالجملة الاسمية، وهي مستأنفة لا محل لها. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يَصُدُّونَ﴾: فعل وفاعل، ومفعوله محذوف، تقديره: الناس. ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْحَرَامِ﴾: صفته، وجملة: ﴿يَصُدُّونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية (هم...) إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَمَا﴾: (ما): نافية. ﴿كَانُوٓاْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: خبر كان، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض من التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية خبر (لكن)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾: لم يؤنث الفعل؛ لأن الصلاة ليست مؤنثاً حقيقياً، فيجوز تذكير الفعل وتأنيثه. ﴿مُكَآءً﴾: صفيراً، يقال: مكا الطير، يمكو: إذا صفر، والمكاء: اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صفر. ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تصفيقاً، وفي أصله واشتقاقه قولان: أحدهما: أنه من الصدى، وهو الصوت الذي يرجع من الجبل ونحوه، كالمجيب للمتكلم، ولا يرجع إلى شيء، الثاني: قال أبو عبيدة: أصله تصدِدَة، فأبدلت الياء من الدال الثانية، وفي فعلهم هذا قولان: الأول: أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون، ويصفقون فيها، والثاني: أنهم كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي ﷺ أن يصلي، يخلطون عليه، يريدون إيذاءه، وهذا مناسب لقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾، وسماها الله صلاة؛ لأنهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة، فخرج ذلك على حسب معتقدهم، وزعمهم. ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: فيه استعارة. انظر الآية رقم [١٤]. ﴿تَكْفُرُونَ﴾: انظر الآية رقم [٦٦] (الأعراف). وهذا؛ وإعلال: ﴿كُنتُمْ﴾ مثل إعلال ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف).

قال القرطبي رحمه الله تعالى: ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر تنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت. وانظر ما نقلته عنه في الآية رقم [٢].

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف تعليل. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿صَلَاتُهُمْ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بصلاتهم، أو بمحذوف حال من ﴿صَلَاتُهُمْ﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْبَيْتِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مُكَآءً﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: معطوف على ما قبله، وهذا؛ وقرئ بنصب ﴿صَلَاتُهُمْ﴾ على أنه خبر مقدم، ورفع ﴿مُكَآءً﴾ على أنه اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ كالتعليل لقوله ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾. ﴿فَذُوقُوا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة، انظر الآية رقم [١]. (ذوقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية [١١] الأعراف. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كانت صلاتهم كذلك، فيقال لهم يوم القيامة: ذوقوا. فتبين بهذا التقدير: أن الجملة مقولة لجواب الشرط المقدر. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. ما: مصدرية. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء

اسمه، وجملة: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (ذوقوا)، التقدير: ذوقوا العذاب بسبب كفركم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾

الشرح: ﴿يُنفِقُونَ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٢٨]. ﴿لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ليمنعوا الناس من الدخول في دين الإسلام، وانظر ﴿يَصُدُّونَ﴾ في الآية رقم [٤٥] الأعراف. وانظر ﴿سَبِيلِ﴾ في الآية رقم [١٤٢] الأعراف. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ أي: فسيعلمون عاقبة إنفاقها من الخيبة، وعدم الظفر بالمقصود، فحصلت المغايرة بين الإنفاقين. انتهى. بتصرف. ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ أي: ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة؛ لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يؤملون في نهاية الأمر، وإن ظفروا في بعض الأحيان، وانظر ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١٠٣] (الأعراف).

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في المطعمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش، يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر، أو في أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب، وأنفق عليهم أربعين أوقية، أو في أصحاب العير، فإنه لما أصيبت قريش ببدر، قيل لهم: أعينوا بهذا على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا، ففعلوا. انتهى بيضاوي.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مستأنفة، أو ابتدائية. ﴿لِيَصُدُّوا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف. تقديره: الناس، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: ينفقون أموالهم لصدِّ الناس. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾: الفاء: حرف استئناف. السين: حرف استقبال. (ينفقونها): مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَكُونُ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هي»، يعود على الأموال. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من حسرة، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿حَسْرَةً﴾: خبر

﴿تَكُونُ﴾. وجملة: ﴿تَكُونُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿يُغْلَبُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ثبتوا على الكفر، وسلموا من القتل والأسر يوم بدر. ﴿جَهَنَّمَ﴾: واد من أودية النار. وانظر دركات النار في الآية رقم [١٤٥] من سورة (النساء). ﴿يُحْشَرُونَ﴾: يساقون ويجمعون فيها.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: مبتدأ، وانظر باقي الإعراب في الآية السابقة. ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿يُحْشَرُونَ﴾: إعرابه مثل إعراب: ﴿يُغْلَبُونَ﴾ في الآية السابقة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿الَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها لا محل لها على الوجهين.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: يفصل الخبيث من الطيب، وماضيه «ماز»، ومثله: ميَّز وأماز بمعنى: فرز الشيء عن غيره، وبمعنى فضله على سواه، و﴿لِيَمِيزَ﴾ يقرأ بتشديد الياء وتخفيفها، وامتاز القوم: تميز بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المسلمين، وهذا يكون يوم القيامة، والمراد بالخبيث: الكفر والنفاق، أو الكافرون والمنافقون، والمراد بالطيب: الإيمان أو المؤمنون، كما يطلقان على العمل الصالح والسيئ وانظر الآية رقم [١٧٩] من سورة (آل عمران). ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: فيجمعه، ويضم بعضه على بعض حتى يتراكم ويتراكب لكثرته، ثم يجعله، أي: يلقيه في جهنم، وهي واد من أودية النار. ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة إلى المنفقين في سبيل الشيطان. ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: خسروا الدنيا والآخرة لأنهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة، وانظر الآية رقم [١٤٩] الأعراف تجد ما يسرك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لِيَمِيزَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿الْخَبِيثَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: متعلقان بالفعل (يميز)، أو بمحذوف حال من

﴿ٱلْخَبِيثَ﴾، و«أن» المضمرة والفعل (يميز) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تَكُونُ﴾، أو بـ ﴿يُغْلَبُونَ﴾، أو بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾. ﴿وَيَجْعَلَ﴾: معطوف على يميز، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْضَهُۥ﴾: بدل من ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل يجعل على أنهما مفعوله الثاني، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿بَعْضَهُۥ﴾، أي: بعضه عالياً على بعض. ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾: معطوف على ﴿وَيَجْعَلَ﴾ والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، فيه معنى التوكيد. ﴿فَيَجْعَلَهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به. ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١٧٨] من سورة (الأعراف) وهي هنا مستأنفة لا محل لها.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: قل يا محمد لمشركي قريش أبي سفيان وأتباعه، وانظر (القول) في الآية رقم [٥] الأعراف. ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾: عن الكفر وعن قبائح أعمالهم من إيذاء الرسول ﷺ وسب الإسلام، وغير ذلك، ودخلوا في دين الله. ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: من كفرهم، وما اقترفوه من آثام، ولقد أحسن أبو سعيد أحمد بن محمد الزبيري رحمه الله في قوله: [الرجز]

يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوَ الْفَتَى إِذَا اعْتَرَفْ ... ثُمَّ انْتَهَى عَمَّا أَتَاهُ وَاقْتَرَفْ

لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْمُعْتَرِفْ ... إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ

هذا؛ وقرئ بالخطاب (إن تنتهوا يغفر لكم ما قد سلف). ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾: إلى ما كانوا عليه من الكفر ومعاداة الرسول ﷺ وقيل: إلى القتال. ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: بإهلاك أعداء الدين، ونصر الأنبياء والمرسلين، ففي هذه الآية الكريمة تصريح بأن الكافر إذا أسلم تغفر له جميع ذنوبه السابقة، ولا يطالب بشيء من قضاء العبادات البدنية والمالية، ويكون ساعة إسلامه كيوم ولدته أمه. ﴿مَضَتْ﴾: أصله (مضى) فلما اتصلت به تاء التأنيث، صار مضات، فحذف الألف لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث. ﴿سُنَّتُ﴾: وهي الشريعة والطريقة، وانظر الآية رقم [١٣٧] من آل عمران. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جمع أول وانظر الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأعراف)

لشرحه، وهذه الجملة تجمع بين الوعيد والتهديد، وفي التمثيل بمن هلك من الأمم في سالف الدهر ما فيه من مزدجر لقوم يعقلون.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَفَرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، تقديره: بالله ورسوله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَنتَهُواْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُغْفَرْ﴾: مضارع مبني للمجهول جواب الشرط. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع نائب فاعل، وجملة: ﴿قَدْ سَلَفَ﴾ صلة ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿يُغْفَرْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ مثل سابقه، وجملة: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه. ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك، وقيل: بلاء. ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: خالصاً لله ليس للشيطان فيه نصيب، بل وتضمحل جميع الأديان أمامه، هذا؛ وانظر ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ في الآية رقم [١٦٢] (الأنعام) تجد ما يسرك. ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ أي: عن الكفر. . .إلخ، انظر الآية السابقة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: فإن الله لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ونياتهم، فهو يثيبهم على ما يستحقون من خير وشر، وانظر الآية تشبه الآية السابقة وما فيها من وعد ووعيد. هذا؛ وهذه الآية تشبه الآية المذكورة في سورة (البقرة) برقم [١٩٢] مع اختلاف في بعض الألفاظ، هذا؛ وإعلال: (انتهوا) مثل إعلال: (أتوا) في الآية رقم [١٣٨] الأعراف هذا؛ ويقرأ: (تعملون) بالتاء، فيكون في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، وانظر التفات في الآية رقم [٦] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (قاتلوهم): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة مستأنفة لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَكُونَ﴾: مضارع تام بمعنى توجد منصوب بـ «أن» مضمرة بعد (حتى). ﴿فِتْنَةٌ﴾:

فاعله، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدرفي محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (قاتلوهم)، ولا تنس أن ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا بمعنى (إِلَى أَنْ) ﴿وَيَكُونَ﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله، وهو ناقص. ﴿الدِّينُ﴾: اسمه. ﴿كُلُّهُ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ في محل نصب خبر ﴿وَيَكُونَ﴾، وجملة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ مستأنفة لا محل لها، وقال الجمل: معطوفة على قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ﴾ لكن لما كان الغرض من الأول التلطف بهم، وهو وظيفة النبي وحده جاء بالإفراد، ولما كان الغرض من الثاني تحريض المؤمنين على القتال جاء بالجمع فخوطبوا جميعاً. انتهى. بتصرف. ﴿فَإِنِ﴾: حرف شرط جازم. ﴿انتَهَوْا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، وهو في محل جزم فعل الشرط، والألف للتفريق، والجملة لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، ولا تنس: أن المتعلق محذوف. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿بَصِيرٌ﴾ بعدهما، وما تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها والعائد أو الرابط محذوف. التقدير: بالذي أو بشيء يعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعلمهم. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، أو معترض في آخر الكلام لا محل له الغرض منه ما رأيته في الشرح، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿كُلُّهُ﴾ توكيداً لـ ﴿الدِّينُ﴾ فيكون ﴿لِلَّهِ﴾ متعلقين بمحذوف خبر: ﴿وَيَكُونَ﴾.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرض كفار قريش عن الإيمان بالله ورسوله، ولم ينتهوا عن معاداة الرسول ﷺ، وإيذائه وإيذاء المؤمنين. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: اعتقدوا، وأيقنوا أن الله ناصركم عليهم، وحافظكم من كيدهم. هذا؛ وانظر الآية رقم [٣] الأعراف تجد ما يسرك، وانظر ﴿الْمَوْلَىٰ﴾ في الآية رقم [٥٢] من سورة (التوبة).

﴿نِعْمَ﴾ فعل ماض لإنشاء المدح، وضدها: «بئس» فعل ماض لإنشاء الذم، قال في المختار: (نعم) منقول من نَعِم فلان بفتح النون وكسر العين: إذا أصاب النعمة، و(بئس) منقول من بَئِس فلان بفتح الباء وكسر الهمزة: إذا أصاب بؤساً، فنقلا إلى المدح والذم، فشابها الحروف فلم يتصرفا، وفيهما أربع لغات: نِعْم وبِئْس بكسر فسكون، وهي أفصحهن، وهي لغة

القرآن، ثم نِعِم وبِئِس بكسر أولهما وثانيهما، غير أن الغالب في (نِعِم) أن يجيء بعده ما، كقوله تعالى: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ و(بئس) جاءت بعدها (ما) على اللغة الأولى الفصحى، كقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ واللغة الثالثة: نَعْم وبَأْس بفتح فسكون، والرابعة: نَعِم وبَئِس بفتح فكسر، وهي الأصل فيهما، ولا بد لهما من شيئين: فاعل ومخصوص بالمدح أو الذم، والقول بفعليتهما إنما هو قول البصريين، والكسائي؛ بدليل دخول تاء التأنيث عليهما في قول الرسول ﷺ: «**مَنْ توضَّأ يومَ الْجُمعةِ فبهَا ونِعْمَتْ، ومَنِ اغتسَلَ فالْغسلُ أفضلُ**». وقال الكوفيون إلا الكسائي: هما اسمان بدليل دخول حرف الجر عليهما في قول أعرابي، وقد أخبر بأن امرأته ولدت بنتاً له: (والله مَا هِيَ بنِعْمَ الولد، نصرُهَا بكاءٌ وبرُّهَا سَرِقةٌ) وقول غيره: (نعم السيْرُ على بئسَ الْعَيْر) وأوَّله البصريون على حذف كلام مقدر، إذ التقدير: والله ما هِيَ بولدٍ مقولٍ فيه: نعمَ الولدُ، ونعم السَّيْرُ على عَيْرٍ مقولٍ فيه: بئس الْعَيْرُ. انتهى. والمعتمد في ذلك قول البصريين.

الإعراب: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: انظر إعراب: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ في الآية السابقة. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اعلموا): أمر وفاعله، والألف للتفريق، ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف في محل جر بالإضافة، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (اعلموا)، وجملة: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط.. إلخ، و(إن) ومدخولها معطوف على مثله في الآية السابقة، هذا هو الظاهر، وعند التأمل يظهر لك أن جواب الشرط محذوف، التقدير: فلا تخشوهم، والجملة بعدها مفيدة للتعليل، التقدير: لأن الله مولاكم... إلخ. انتهى. جمل، وفيه تكلف ظاهر. ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: فعل وفاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: هو، وهذا فيه وجهان: أحدهما: أنه مبتدأ مؤخر خبره الجملة الفعلية قبله، والثاني: أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو، أي: هو الله، والكلام مستأنف لا محل له.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ الجزء ١٠

الشرح: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾: من العلم والمعرفة. ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: قرابة الرسول ﷺ. ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: جمع يتيم، وهو من الحيوان من فقد أمه فقط، ومن بني آدم من فقد أباه أو أمه، أو فقدهما معاً، والمراد بهم هنا من فقدوا معيلهم، وهو الأب، وهناك يتيم العلم، والعقل، والتربية، والخلق، والدين، وهو أسوأ حالاً من الأول، وإن كان قد بلغ من العمر الستين والسبعين، ويملك من الأموال الملايين، ولله دَرُّ القائل: [البسيط]

لَـيْـسَ الْـيَـتِـيـمُ الـذي قـد مـاتَ والـدُهُ إنَّ الـيـتـيـمَ يَـتـيـمُ الـعـقـلِ والأَدَبِ

ومنه من أهمل أبوه وأمه تربيته مع كونهما موجودين، وخذ قول الآخر: [الكامل]

لـيسَ الْـيـتـيـمُ مَـنِ انْـتَـهَـى أبـواهُ مِـنْ هَـمّ الْـحـيـاةِ، وخـلَّـفَـاهُ ذَلِـيـلا

إنَّ الـيـتـيـمَ هـو الـذي تـلْـقَـى لـهُ أُمّـاً تـخـلَّـتْ، أوْ أبـاً مـشْـغـولَا

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سأتكلم عن هذين في الآية رقم [٦١] من سورة (التوبة) إن شاء الله تعالى. ﴿كُنتُمْ﴾: انظر إعلال ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف)، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: الذي أنزله الله وتكرم به على نبيه وعلى المؤمنين يوم بدر من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من نزول الملائكة والنصر المبين الذي رفع الله به شأن الإسلام والمسلمين، وسمي يوم بدر يوم الفرقان لأنه فرق فيه بين الحق والباطل، و﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين، هذا، وانظر (نا) في الآية رقم [٧] (الأعراف) و﴿يَوْمَ﴾ في الآية رقم [١٢٨] (الأنعام). هذا؛ وذكر الرسول بلفظ ﴿عَبْدِنَا﴾ للتشريف والتعظيم، فإن الله أضافه لنفسه، ولم يجعل لغيره فيه حظاً ونصيباً، وانظر الآية رقم [٢٣] (البقرة). ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مقتدر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن ذلك نصره العدد القليل على الكثير يوم بدر، هذا؛ والغنيمة في اللغة ما يناله الإنسان بسعيه، والمغنم والغنيمة بمعنى، والمراد به في الآية الكريمة: ما أخذه المسلمون من الكفار على وجه الغلبة والقهر، هذا؛ والفيء: ما وصل ليد المسلمين من غير حرب، ولا إيجاف خيل، ولا ركاب، كالجزية، وما يصالح عليه الكفار المسلمين، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٩] الآتية.

تنبيه: رأيت في أول السورة كيف اختلف المسلمون في غنائم بدر، وكيف وكل الله أمر تقسيمها لنبيه ﷺ، ثم نزلت هذه الآية لتبين حكم ما يغنمه المسلمون من الكفار، إلى يوم القيامة حيث تقسم خمسة أخماس، فأربعة تعطى للمحاربين الغانمين الذين شهدوا الوقعة، وحازوا الغنيمة، فيعطى للفارس ثلاثة أسهم، سهم له، وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهماً واحداً، وقيل: غير ذلك، وأما الخمس الآخر فيقسم خمسة أخماس، وظاهر النص أنه يقسم ستة أسداس، ولكن الله لم يرد شيئاً من المال؛ لأن الدنيا والآخرة كلها له تعالى، وإنما ذكر اسمه على سبيل التبرك، وهذا قول الحسن، وقتادة، وعطاء، وإبراهيم النخعي، فقد قالوا: سهم الله وسهم رسوله واحد، وقيل: سهم الله يصرف إلى جميع هؤلاء الأصناف المذكورين بالسوية، وحكمه باق، غير أن سهم الرسول ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين، كما فعله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: إلى الإمام، وقيل: إلى الأصناف الأربعة، وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته، وصار الكل مصروفاً إلى

الثلاثة الباقية، وعن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: الأمر فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم، وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية، فقال: يقسم ستة أقسام، يصرف سهم الله إلى الكعبة؛ لما روي أنه ﷺ كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة؛ ثم يقسم ما بقي على خمسة، وقيل: سهم الله لبيت المال، وقيل: غير ذلك، وذو القربى: بنو هاشم، وبنو المطلب، لما روي: أن النبي ﷺ قسم سهم ذوي القربى عليهما، فقال له عثمان بن عفان، وجبير بن مطعم: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم، وحرمتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة. فقال ﷺ: «**إنهم لم يفارقونا في جاهلية، ولا في إسلام**». وشبك بين أصابعه. وقيل: بنو هاشم وحدهم،وقيل: جميع قريش، والغني والفقير سواء، وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل، وقيل: الخمس كله لهم، والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم، والعطف للتخصيص. انتهى. بيضاوي.

الإعراب: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾: (اعلموا): أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّمَا﴾: (أن): حرف مشبه بالفعل. (ما): اسم موصول مبني على السكون، أو هي نكرة موصوفة في محل نصب اسم (أن). ﴿غَنِمۡتُم﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، إذ التقدير: الذي: أو شيئاً غنمتموه. ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (ما). ﴿فَأَنَّ﴾: الفاء: صلة. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أن) تقدم على اسمها، وهو خمسة، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فحكمه أن لله خمسه، هذا؛ وقرئ بكسر همزة (إن)، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي في محل رفع خبر (أن) الأولى ودخلت الفاء على الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ والجملة هذه معطوفة على جملة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ...﴾ إلخ أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: معطوفان على ﴿لِلَّهِ﴾. ﴿وَلِذِي﴾: جار ومجرور معطوفان أيضاً، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و«ذي»: مضاف، و﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: معطوف على ﴿لِلَّهِ﴾ مجرور. . . إلخ. ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: معطوفان أيضاً على ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ في محل نصب خبر كان، والجملة: ﴿كُنتُمۡ...﴾ إلخ لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم. . . فاعلموا. ﴿وَمَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر معطوف على ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو

الرابط محذوف، التقدير: أنزلناه. ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، ونا: في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ ﴿أَنزَلْنَا﴾، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿الْفُرْقَانِ﴾: مضاف إليه. ﴿يَوْمَ﴾: بدل من سابقه. ﴿الْتَقَى﴾: ماض. ﴿الْجَمْعَانِ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى، والنون عوض من التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿وَاللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. تأمل وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾: هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ولمن معه من المؤمنين، والتقدير: اذكروا إذ كنتم بالعدوة، وقد قرئ بتثليث العين، والمشهور الضم والكسر، وهي طرف الوادي. ﴿الدُّنْيَا﴾: تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب، من: دنا، يدنو. والمراد بالعدوة الدنيا: مما يلي المدينة. ﴿الْقُصْوَىٰ﴾: البعدى تأنيث الأقصى، من: قصا، يقصو، وقياس الاستعمال أن يكون القصيا بالياء؛ لأنه صفة كالدنيا والعليا، وفعلى إذا كانت صفة قلبت واوها ياء فرقاً بين الاسم والصفة، فجاء على الأصل، وهو أكثر استعمالاً من القصيا، والمراد من الآية بيان موقف المسلمين وموقف المشركين في وادي بدر الذي حصلت فيه الموقعة.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: المراد ركب أبي سفيان، وهو قافلة التجارة التي كانت راجعة من بلاد الشام، فلما سمع أبو سفيان بمخرج النبي ﷺ وأصحابه؛ غير طريقه وسلك طريق الساحل. هذا؛ والركب: أصحاب الإبل في السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، والركبان الجماعة منهم، قال أبو البقاء: الركب: جمع راكب في المعنى، وليس بجمع في اللفظ. انتهى. ولا تقول العرب: رَكْبٌ إلا للجماعة الراكبي الإبل، ولا يقال لمن كان على فرس أو غيرها. هذا؛ وكان الركب على ثلاثة أميال من بدر، بحيث لو استغاث العدو به؛ لأغاثه.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي: لو تواعدتم أنتم وهم للقتال، ثم علمتم حالكم في القلة، وحالهم في الكثرة لاختلفتم أنتم وهم في الميعاد، خوفاً منهم لكثرتهم ويأساً من الظفر عليهم، ليتحققوا أن ما اتفق وحصل من النصر ليس إلا توفيقاً من الله، خارقاً للعادة، فيزدادوا إيماناً بالله، وشكراً له، هذا؛ والميعاد أصله: المِوْعَاد، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما

قبلها، وهو بمعنى الموعد يحتمل الزمان والمكان، وانظر الوعد في الآية رقم [٤٤] الأعراف. ﴿وَلَٰكِن﴾ أي: ولكن الله جمع بينكم على غير ميعاد.

﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: حقيقاً من نصر أوليائه وإعزاز دينه، وإهلاك أعدائه وقهرهم. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي: ليموت من مات بعد إقامة الحجة عليه وبرهان عاينه وشاهده؛ لئلا يكون له حجة ومعذرة يوم القيامة. ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾: ويعيش من عاش في هذه الدنيا عن علم ومعرفة بأحكام ربه، وتعاليم نبيه، هذا؛ ويمكن أن يراد بالأول: كفر من كفر، وبالثاني: إيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك للكفر، والحياة للإسلام والإيمان، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنعام) تجد ما يسرك. ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: بكفر من كفر وعقابه، وإيمان من آمن وثوابه، هذا؛ وقرئ الفعل (حَيَّ) بالفك والإدغام.

تنبيه: في الآية الكريمة تذكير للمؤمنين بما أنعم الله عليهم في غزوة بدر، وَبيَّن البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: أن الجملة الحالية: ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ فائدتها: الدلالة على قوة العدو، واستظهارهم بالركب، وحرصهم على المقاتلة عنها، وتوطين نفوسهم على أن لا يخلو مراكزهم، ويبذلوا منتهىٰ جهدهم، وضعف شأن المسلمين، والتباس أمرهم، واستبعاد غلبتهم عادة، ولذا ذكر الله مراكز الفريقين، فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾، وجوز اعتباره منصوباً بفعل محذوف تقديره: اذكر، وقيل: هو ظرف متعلق بـ ﴿قَدِيرٌ﴾. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِٱلْعُدْوَةِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة العدوة مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف، وجملة: ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ مثل سابقتها في إعرابها، وهي معطوفة عليها. ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾: مبتدأ. ﴿أَسْفَلَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، هذا؛ وأجاز الأخفش والكسائي والفراء رفعه على الخبرية، ولم أره قراءة، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في متعلق ﴿بِٱلْعُدْوَةِ﴾. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿أَسْفَلَ﴾. الواو: حرف استئناف، (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَوَاعَدتُّمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾ جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك لا محل له. ﴿لِّيَقْضِيَ﴾: مضارع منصوب بـ «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ في محل نصب صفة ﴿أَمْرًا﴾، و«أن» المضمرة

والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿لِّيَهْلِكَ﴾: بدل من ﴿لِّيَقْضِيَ﴾ وهو مثله في إعرابه، وجوز تعليقه بـ ﴿مَفْعُولًا﴾، وقيل: هو على إرادة حرف العطف، أي: وليهلك، فيكون متعلقاً بما تعلق به سابقه. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ صلة الموصول، والعائد رجوع الفاعل إليه. ﴿وَيَحْيَىٰ﴾: معطوف على ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ فهو منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مَنْ﴾: فاعله، وجملة: ﴿حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ صلة الموصول، والعائد رجوع الفاعل إليه، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ معترضة في آخر الكلام وتذييل له، الغرض منها ما ذكرته في الشرح.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، أي: اذكر يا محمد نعمة الله عليك إذ يريك المشركين في نومك قليلاً، قال مجاهد: أراهم الله في منامه قليلاً، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، وكان ذلك تثبيتاً لهم، وتقوية لقلوبهم، وانظر «النوم» في الآية رقم [٩٧] الأعراف. ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا﴾ أي: في المنام وأخبرت أصحابك بذلك. ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾: لجبنتم وضعف رأيكم. ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في أمر القتال بين الثبات والفرار. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: أنعم بالسلامة من الجبن واختلاف الرأي. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: يعلم ما يكون فيها، وما يغير أحوالها من جراءة وجبن وصبر وجزع، هذا؛ وانظر ﴿ذَاتَ﴾ في الآية رقم [١].

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: متعلق بـ (اذكر) محذوفاً، أو هو بدل ثان من: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، أو هو متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾، فهو مبني على السكون في محل نصب. ﴿يُرِيكَهُمُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به أول، والهاء مفعول به ثان. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿فِي مَنَامِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿قَلِيلًا﴾: مفعول به ثالث؛ لأن (يري) ينصب ثلاثة مفاعيل، ولا تنس أن الفعل (يري) هنا حلمي، وقد عومل معاملة الفعل العلمي بتعديته إلى ثلاثة مفاعيل. وجملة: ﴿يُرِيكَهُمُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿وَلَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ﴿أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب سابقتها مع ملاحظة أن فعلها ماض، ولا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾: فعل وفاعل، واللام واقعة في جواب (لو)، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب (لو)، و(لو) ومدخولها كلام معطوف على الجملة قبله، فهو في محل جر مثلها،

وهو أولى من الاستئناف. وجملة: ﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ معطوفة على جواب (لو) لا محل لها مثله. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها، وجملة: ﴿سَلَّمَ﴾ خبرها، والجملة الاسمية معطوفة على جواب (لو)، لا محل لها مثله. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿عَلِيمُۢ﴾: خبرها. ﴿بِذَاتِ﴾: متعلقان بـ ﴿عَلِيمُۢ﴾، وذات مضاف، و﴿ٱلصُّدُورِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة أو تعليلية لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ...﴾ إلخ: هذا خطاب للمؤمنين الذين شهدوا بدراً، وهو من تذكيرهم بنعمة الله عليهم حيث جعل المشركين في أعينهم قليلاً قبل التحام القتال لتقوى قلوبهم، وتشتد عزيمتهم للحرب حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن كان بجانبه: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مئة. ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾: حيث جعل المؤمنين في أعين المشركين قليلين، وذلك قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم، ولا يستعدوا لهم، حتى قال أبو جهل الخبيث في ذلك اليوم: إنما هم أكلة جزور، خذوهم أخذاً، واربطوهم بالحبال، فلما أخذوا في القتال عظم المسلمون في أعينهم وكثروا، كما قال جل شأنه في الآية رقم [١٣] آل عمران ﴿يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ﴾ وذلك لتفاجئهم الكثرة، فتبهتهم، وتكسر قلوبهم، وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة، فإن البصر، وإن كان قد يرى الكثير قليلاً، والقليل كثيراً، لكن لا على هذا الوجه، ولا إلى هذا الحد، وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض من التساوي في الشرط. انتهى. بيضاوي.

﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ﴾: تكرر هذا؛ لأن المعنى في الأول: من اللقاء والمواجهة، وفي الثاني: من قتل المشركين، وإعزاز الدين، وهو إتمام النعمة على المسلمين. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي: مصيرها ومردها إلى الله تعالى، فيجازي كل عامل على قدر عمله، فالمحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، هذا؛ وانظر شرح العين في الآية رقم [١١٦] (الأعراف). ﴿تُرۡجَعُ﴾: انظر الآية رقم [١٥٠] (الأعراف). ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [١].

﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى: القضاء يحتمل الحكم، أي: ليحكم ما قد علم أنه يكون كائناً، أو ليتم أمراً كان قد أراده، وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة. انتهى. هذا؛ والمصدر قضاء بالمد؛ لأن لام الفعل ياء، إذ أصل ماضيه (قضي) بفتح الياء، فقلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومصدره (قضياً) بالتحريك، كطلب طلباً، فتحركت الياء فيه أيضاً، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فاجتمع ألفان، فأبدلت الثانية همزة، فصار قضاءً ممدوداً، وجمع

القضاء أقضية، كعطاء، وأعطية، وهو في الأصل: إحكام الشيء، وإمضاؤه، والفراغ منه، ويكون أيضاً بمعنى الأمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾.

وبمعنى العلم، تقول: قضيت بكذا، أي: أعلمتك به، وبمعنى الإتمام قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وبمعنى الفعل، قال تعالى حكاية عن قول السحرة لفرعون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ وبمعنى الإرادة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وبمعنى الموت، كقوله تعالى حكاية عن قول أهل النار: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

وبمعنى الكتابة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: مكتوباً في اللوح المحفوظ، وبمعنى الفصل، قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وبمعنى الخلق، قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ وبمعنى بلوغ المراد والأرب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ وبمعنى وفاء الدين، كقولك: قَضَيْتُ ديني. انتهى قسطلاني بتصرف. وأضيف أنه يكون بمعنى «أوحينا» كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ...﴾ إلخ.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: فإذا كان القضاء يحتمل هذه المعاني، فلا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي بقضاء الله؛ لأنه إن أريد به الأمر فلا خلاف أنه لا يجوز ذلك؛ لأن الله تعالى لم يأمر بها، فإنه لا يأمر بالفحشاء، وقال زكريا بن سلام: جاء رجل إلى الحسن، فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً، فقال: إنك قد عصيت ربك، وبانت منك، فقال الرجل: قضى الله ذلك علي، فقال الحسن ـ وكان فصيحاً ـ: ما قضى الله ذلك، أي: ما أمر الله به؛ وقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾. انتهى.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: (إذ): معطوف على مثله في الآية السابقة. ﴿يُرِيكُمُوهُمْ﴾: انظر إعراب مثله في الآية السابقة، والفاعل يعود إلى (الله)، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم، لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، وهي حرف لا محل له. ﴿إِذِ﴾: ظرف متعلق بما قبله، مبني على السكون في محل نصب. ﴿ٱلْتَقَيْتُمْ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] الأعراف، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذِ﴾ إليها. ﴿فِىٓ أَعْيُنِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل «يري» والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿قَلِيلًا﴾: حال من هاء الغائبين؛ لأن الفعل «يري» بصري. ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ﴾: مضارع، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية معطوفة على ﴿يُرِيكُمُوهُمْ﴾ فهي في محل جر مثلها. ﴿فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ انظر الإعراب في الآية رقم [٤٣] والجار والمجرور الحاصلان من: ﴿لِيَقْضِىَ﴾ متعلقان بأحد الفعلين ﴿يُرِيكُمُوهُمْ﴾، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ﴾. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُرْجَعُ﴾: يقرأ بالبناء للفاعل وللمفعول. ﴿ٱلْأُمُورُ﴾: فاعل، أو نائب فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾

الشرح: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الآية رقم [٢]. ﴿لَقِيتُمۡ﴾: لقي بمعنى: صادف، ومصدره: اللقي بضم اللام، وكسر القاف، واللقى بضم اللام مقصوراً، واللقاء بكسرها ممدوداً ومقصوراً. ﴿فِئَةٗ﴾: جماعة، والمراد: الكفار. وترك وصفها؛ لأن المؤمنين ما كانوا يحاربون إلا الكفار. وانظر الآية رقم [١٦]. ﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾ أي: في ساحة الحرب، ولا تهربوا، وظاهر اللفظ يوجب الثبات في الميدان على كل حال، وذلك يوهم نسخ ما ذكر في الآية رقم [١٦] من التحرف والتحيز، والجواب أن آية التحرف والتحيز؛ لا تقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة، بل ربما كان الثبات لا يحصل إلا بذلك التحرف، والتحيز. ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ أي: في مواطن الحرب، داعين له، مستظهرين بذكره، مترقبين لنصره. ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله، وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل عليه بقلب فارغ البال، واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال. وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [١٦٨] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الإعراب في الآية رقم [٢٠]. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿لَقِيتُمۡ﴾: فعل وفاعل، ﴿فِئَةٗ﴾، مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (اثبتوا): فعل أمر مبني على حذف النون، الواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر المتعلق في الشرح، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام لا محل له؛ لأنه كلام ابتدائي كالجملة الندائية قبله. ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾: (اذكروا): فعل أمر وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿كَثِيرٗا﴾: صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: ذكراً كثيراً، ويجوز اعتباره نائب مفعول مطلق، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: إعراب هذه الجملة ومحلها مثل جملة: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ في الآية رقم [٢٦].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾

الشرح: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: فيما يأمرانكم به من الجهاد والثبات عند لقاء العدو، وقرن سبحانه طاعة نبيه بطاعته، وهذا يتكرر في القرآن الكريم، انظر الآية رقم [٦٨] من سورة

(النساء). ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ أي: لا تختلفوا. ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾: فتضعفوا وتجبنوا عند لقاء العدو. ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: تذهب قوتكم، فقد استعار الريح للقوة، من حيث إنها في تمشي أمرها، ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها، كما تقول: الريح لفلان؛ إذا كان غالباً في الأمر.

قال الشاعر: [الوافر]

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغْتَنِمْهَا ... فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ

ولا تَغْفَلْ عَنِ الإِحْسَانِ فِيهَا ... فَمَا تَدْرِي السكون مَتى يَكُونُ

هذا؛ والريح في الأصل: الهواء المسخر بين السماء والأرض، وأصله الروح، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: أرواح ورياح، وأصل رياح رواح، فعل فيه كما فعل بأصل ريح، والأكثر في الريح التأنيث كما في الآية الكريمة، وقد تذكر على معنى الهواء، والرياح الأصول أربع: إحداها: الشمال، وتأتي من ناحية الشمال، وهي شمال من استقبل مطلع الشمس، وهذه الريح حارة في الصيف، باردة في الشتاء، والثانية: الجنوب، وهي مقابلتها، أي: تأتي من جهة يمين من استقبل مطلع الشمس، وهي الريح اليمانية، والثالثة: الصبا بفتح الصاد، وتأتي من مطلع الشمس، وتسمى القبول أيضاً، والرابعة الدبور، وتأتي من جهة الغرب، وما أتى منها من بين تلك الجهات يقال لها: النكباء؛ ثم إن خرجت من بين الجنوب والشرق، قيل لها: أَزْيَب بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الياء، وإن خرجت من بين الشمال والغرب، قيل لها: جِرْبِيَا بكسر الجيم، وسكون الراء وكسر الباء، وإن خرجت من بين الشمال والشرق، قيل لها: صَابِيَة، وإن خرجت من بين الجنوب والغرب، قيل لها: هَيْف، بفتح الهاء وسكون الياء، وقد جمع الثمانية النواجي في قوله: [الطويل]

صَبَا وَدبورٌ، والجَنوبُ وشَمْأَلٌ ... بِشَرْقٍ وغَرْبٍ والتَّيَمُّنِ والضِّدِّ

ومِنْ بَيْنِهَا النَّكْبَاءُ أَزْيَبُ جِرْبِيَا ... وصَابِيَةٌ والهَيْفُ خَاتِمَةُ الْعَدِّ

هذا؛ وأضيف أن ريح الصبا نصر الله بها نبيه ﷺ في غزوة الخندق، حيث فعلت بقريش العجائب، فارتدوا على أعقابهم خاسئين، وأن ريح الدبور، أهلك الله بها قوم عاد، ونبيهم هود عليه الصلاة والسلام، كما رأيت في الآية رقم [٦٥] من سورة (الأعراف) وما بعدها. قال الرسول ﷺ: «**نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكتْ عادٌ بالدَّبُورِ**». ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ أي: على مقاساة الحرب وشدائدها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالمعونة والنصر، والتأييد والظفر، وانظر (الصبر) في الآية رقم [١٢٧] من سورة (الأعراف)، هذا؛ ومعية الله على نوعين: عامة وخاصة، فالأولى: لكل الناس، وهي معية بالعلم والقدرة، والثانية: للمؤمنين المتقين والمحسنين، وهي بالحفظ والنصر، والمعونة والظفر... إلخ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وقال هنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم خطيباً، فقال: «**أيُّها الناسُ لا تتَمَنَّوْا لِقاءَ الْعدُوّ، واسْأَلُوا الله الْعَافِيَةَ، فإذَا لَقيتموهُمْ فاصْبِرُوا، واعلَمُوا أنَّ الْجَنةَ تحتَ ظِلالِ السُّيوفِ**» ثم قال «**اللهمَّ مُنْزِلَ الكتابِ، ومُجْرِيَ السحابِ، وهازِمَ الأحزابِ، اهزمْهُمْ وانصرْنَا عَلَيْهِمْ**».

الإعراب: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: انظر إعراب (اثبتوا) في الآية السابقة، والآية رقم [١]. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَنَٰزَعُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة مع ما قبلها على جملة (اثبتوا) في الآية السابقة لا محل لها مثلها. ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾: مضارع معطوف على ما قبله مجزوم مثله، أو هو منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء، ويقويه عطف (تذهب) عليه بالنصب، كما قرئ بجزمه، وعلامة الجزم أو النصب حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى وجه النصب تؤول «أن» المضمرة مع الفعل بمصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم تنازع ففشل لكم، وذهاب ريحكم. ﴿رِيحُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم...﴾ إلخ: هذا نهي للمؤمنين عن التشبه بالكافرين البطرين المرائين، أبي جهل الخبيث وأمثاله الذين خرجوا لحماية العير التي كانت مع أبي سفيان في عودته من بلاد الشام، فقد خرجوا فلما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان، وقال لهم: ارجعوا، فقد سلمت عيركم، فقال أبو جهل الخبيث: لا والله حتى نقدم بدراً، ونشرب فيها الخمر، وتعزف علينا القينات، ونطعم من حضرنا من العرب، فوافوها، ولكنهم سقوا كأس المنايا، وناحت عليهم النوائح. هذا؛ وانظر شرح: ﴿دِيَٰرِهِم﴾ في الآية رقم [٧٨] الأعراف، والبطر: الفخر، والكبر، والأشر، قال القرطبي: هو التقوية بنعم الله عز وجل، وما ألبسه من العافية على المعاصي، وقيل: البطر: صرف النعمة في المفاخرة على الأقران، وتكاثر بها أهل الزمان، وإنفاقها في غير طاعة الرحمن، والرياء: إظهار الجميل ليراه الناس مع إبطان

القبيح، وهو من النفاق، وقيل في الفرق بينهما: النفاق إظهار الإيمان مع إبطان الكفر، والرياء إظهار الطاعة مع إبطان المعصية، وانظر الآية رقم [٢٦٣] (البقرة). هذا؛ وأصل ﴿وَرِئَآءَ﴾ رِيايا، فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة، والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة؛ لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة، والمفاعلة في رئاء على بابها؛ لأن المرائي يري الناس أعماله حتى يروه الثناء عليه والتعظيم له. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يمنعون الناس من الدخول في دين الإسلام، وانظر الآية رقم [٤٥] الأعراف فإنه جيد. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿مُحِيطٌ﴾ أي: عليم علماً دقيقاً فلا يفوته الكافرون، ولا يعجزونه، وأصله مُحْوِط؛ لأنه من حاط يحوط، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى الحاء فصار مُحِوْط، ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونُواْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿كَٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر الفعل الناقص، وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى مثل فهي الخبر، وهي مضاف، و(الذين) اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿بَطَرًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال على تأويل المصدر باسم الفاعل. ﴿وَرِئَآءَ﴾: معطوف على ما قبله على الاعتبارين، وجملة: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على بطراً ورئاء، والمعنى، وصادين الناس عن الدخول في دين الله تعالى. ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿مُحِيطٌ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، إذ التقدير بالذي، أو بشيء يعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿مُحِيطٌ﴾. ﴿مُحِيطٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة أو معترضة في آخر الكلام لا محل لها، المراد منها التهديد والوعيد.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: اذكر يا محمد، واذكروا يا مؤمنون وقت زين وحسن إبليس لمشركي قريش أعمالهم الخبيثة من كفر بالله ورسوله، وصد للناس عن الإسلام، ومحاربة للمسلمين. هذا؛ والمزين في الحقيقة هو الله تعالى، هذا مذهب أهل السنة، وإنما جعل

الشيطان آلة بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وليس له قدرة أن يضل أو يهدي أحداً، وإنما له الوسوسة فقط، فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه، حتى يقبل وسوسته، هذا؛ والشيطان اسم يطلق على عدو الله إبليس، وقد يطلق على كل نفس عاتية خبيثة، خارجة عن الصراط المستقيم من الإنس، والجن، والحيوان، وما أكثر الشياطين بهذا المعنى من بني آدم، انظر الآية رقم [١١٢] من سورة (الأنعام) وما ذكرته في شرحها. وقد قال الرسول ﷺ لأبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ «**يا أبَا! ذَرٍّ تعوَّذْ بالله مِنْ شياطينِ الإنسِ والْجِنِّ**». قال: أوَ لِلإنسِ شياطينُ؟ قال: «**نعم**».

ولا تنس أن لكل واحد من الإنس شيطاناً قريناً له، بدليل قول النبي ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ «**أجَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟**» قَالَتْ: أوَلِي شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «**مَا مِنْ أحَدٍ، إلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ**». قَالَتْ: وَأنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَال: «**وَأنَا إلَّا أنَّنِي أعَانَنِي اللهُ عَلَيْهِ فَأسْلَمَ، فلَا يَأْمُرُ إلَّا بِخَيْرٍ**». أسلم: يروى بفتح الميم على أنه ماض، وفاعله يعود إلى الشيطان فيكون من الإسلام، ويروى بضم الميم على أنه مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»، فيكون من السلامة، هذا؛ والشيطان مأخوذ من شطن إذا بعد، وقيل: مأخوذ من شاط إذا احترق، فعلى الأول: هو مصروف لأن النون أصلية، وعلى الثاني: هو غير مصروف، لزيادة الألف والنون، وشطن من باب قعد، وشاط من باب ضرب. وقال: أي: الشيطان، ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: لا يغلبكم اليوم أحد من الناس في هذه الحرب، انظر اليوم في الآية رقم [١٢٨] الأنعام. ﴿ٱلنَّاسِ﴾: انظر الآية رقم [٨٢] (الأعراف). ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾: مجير لكم من أعدائكم، هذا؛ والجار هو المجاور لك في المسكن، أو في المتجر، أو في الحقل، ويطلق على الشريك في العقار، والخفير، والمستجير، والحليف، والناصر، وجمعه في القلة: جيرة، وفي الكثرة: جيران، وأجوار، وجوار. ﴿تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: رأت كل فئة عدوتها، والمراد الجيشان: جيش الإيمان وجيش الكفر، وانظر شرح ﴿فِئَةٍ﴾ في الآية رقم [١٦]. ﴿نَكَصَ﴾: رجع، قال الشاعر: [البسيط]

لَيْسَ النُّكُوصُ عَلَى الأدْبارِ مَكْرُمَةً ... إنَّ المَكَارِمَ إقْدامٌ عَلَى الأَسَلِ

وقال الشاعر: [الطويل]

وَمَا ينفعُ الْمُسْتأْخِرينَ نُكُوصُهُمْ ... وَلَا ضَرَّ أهْلَ السَّابِقَاتِ التَّقَدُّمُ

﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: فاراً راجعاً، وعقبيه مثنى عقب، وهو مؤخر قدم الإنسان، وفي ذلك استعارة لإبطال كيده ومكره وخداعهم له. ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾: أعلن براءته منهم، وهم في أحرج الأوقات، وأحلك الساعات. وانظر شرح براءة في الآية رقم [١] من سورة (التوبة). ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾: إني أنظر وأبصر ما لا تبصرون. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾: قيل: خاف إبليس أن يكون يوم بدر اليوم الذي أُنْظِرَ إليه، والأصح أنه كذب في قوله، ولكنه علم: أنه لا قوة له

ولا حيلة في نصر المشركين عندما عاين الملائكة، هذا؛ وإعلال ﴿أَرَىٰ﴾ مثل إعلال (ترى) في الآية رقم [١٤٢] الأعراف وإعلال ﴿تَرَوْنَ﴾ مثل إعلال ﴿تَحْيَوْنَ﴾ في الآية [٢٥] (الأعراف).

تنبيه: قيل: إن ما ذكر في الآية الكريمة إنما هو وسوسة وتخييل للمشركين بأنهم لا يغلبون، ولا يطاقون لكثرة عدوهم وعددهم، وأوهمهم أن اتباعهم إياه هو الحق، حتى قالوا: اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين، وقال جمهور المفسرين: تصور إبليس لهم بصورة سراقة بن مالك المدلجي، وكان تزيينه لما أجمعت قريش على المسير إلى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من حروب، فخافوا من مداهمة مكة، فتبدَّى لهم إبليس في صورة سراقة، وكان من أشراف بني كنانة، وقال: أنا جار لكم من أن يأتيكم من كنانة شيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً، وهو معهم، ويده بيد الحارث بن هشام أخي أبي جهل، فلما حمي وطيس المعركة، وعاين الملائكة تنزل مدداً للمسلمين فر هارباً، فقال له الحارث: أتخذلنا في هذه الحالة؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث، وانطلق، فانهزموا، فلما بلغوا مكة، قالوا: هزم الناس سراقة، فلما بلغه ذلك، قال: والله ما شعرت بمسيركم، حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا؛ علموا: أنه الشيطان الرجيم.

عن طلحةَ بنِ عُبَيْدِ الله بْنِ كَرِيزٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَال: «**ما رُؤِيَ الشيطانُ يَوْماً، هو فيه أَصْغَرُ، ولا أدحَرُ، ولا أَغْيَظ، ولا أحقَرُ منهُ في يومِ عَرَفَةَ، وما ذَاكَ إلا لما يَرَى مِنْ تنزلِ الرَّحمةِ، وتجاوُزِ الله عَنِ الذُّنوبِ العِظامِ، إلَّا ما رَأَى يَومَ بَدْرٍ، فإنه قَدْ رأَى جِبْريلَ يزَع الملائكةَ**». أخرجه مالك في موطئه.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو ظرف متعلق بالمحذوف، مبني على السكون في محل نصب. ﴿زَيَّنَ﴾: ماض. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الشَّيْطَانُ﴾: فاعل. ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور، وجملة: ﴿زَيَّنَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿وَقَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾. ﴿لَا﴾: نافية للجنس. ﴿غَالِبَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، وهذا على لغة الحجازيين الذين يجيزون ذكر خبر ﴿لَا﴾، وأما على لغة بني تميم الذين يوجبون حذفه، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿غَالِبَ﴾، ولا يجوز تعليقهما بـ ﴿غَالِبَ﴾: إذ لو كان كذلك لوجب نصب ﴿غَالِبَ﴾، وتنوينه؛ لأنه حينئذ يكون شبيهاً بالمضاف. ﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر ثان على لغة الحجازيين، ومتعلق بمحذوف صفة ثانية لـ ﴿غَالِبَ﴾ على لغة بني تميم، الذين يوجبون حذف الخبر، ويقدرونه بموجود أو حاصل. ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير في متعلق ﴿لَكُمُ﴾ هذا؛ واعتبر أبو البقاء ﴿الْيَوْمَ﴾ ظرفاً متعلقاً في متعلق ﴿لَكُمُ﴾، وجملة: ﴿لَا غَالِبَ...﴾ إلخ

في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل جر مثلها. ﴿وَإِنِّي﴾: الواو: حرف عطف. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿جَارٌ﴾: خبرها. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿جَارٌ﴾ أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى حين عند الفارسي، وابن السراج، وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿تَرَاءَتِ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة. ﴿الْفِئَتَانِ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض من التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ لا محل لها على القول بحرفية (لما)؛ لأنها حينئذ ابتدائية، وهي في محل جر بإضافة (لما) إليها على القول بظرفيتها، وعلى اعتبارها متعلقة بالجواب. ﴿نَكَصَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾، والجملة الفعلية جواب: (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء، نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة؛ والهاء: في محل جر بالإضافة ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لما) لا محل لها مثله. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَرَىٰ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، وهو بصري؛ فلذا اكتفى بمفعول واحد، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ تعليل لبراءته منهم. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها المنفية صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً لا ترونه، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ تعليل آخر لبراءته منهم، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تعليل آخر، إن كانت من قول إبليس، ومستأنفة إن كانت من قول الله تعالى، ويكون المراد منها الوعيد الشديد، والتهديد البليغ.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَقُولُ﴾: انظر القول في الآية رقم [٥] الأعراف. ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾: أرجو أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٨] النساء، ففيها الكفاية. ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك،

ونفاق، فهو يمرض قلوبهم، أي: يضعفها بضعف الإيمان فيها، والمرض: حقيقة ما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفعاله، وقد يؤدي إلى الموت، استعير هنا لما في قلوبهم من الجهل، وفساد العقيدة، هذا؛ وقد اختلف في هؤلاء، فقيل: هم المنافقون، والعطف للترادف، وقال الخازن: هم قوم من أهل مكة تكلموا بالإسلام، ولم يقو الإيمان في قلوبهم، فلما خرج كفار قريش إلى بدر خرجوا معهم، فلما رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا وارتدوا، وقالوا ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ﴾ أي: خدع المسلمين دينهم الجديد الذي اعتنقوه رجاء الثواب الموهوم، والأجر المزعوم، وانظر شرح: (الدين) في الآية رقم [١٦١] الأنعام. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يسلم أمره إليه، ويفوض شؤونه لأمره، ويعتمد عليه في جميع أموره وأحواله. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: قوي غالب لا يذل من استجار به واعتمد عليه. ﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل، ويعجز عن إدراكه، وانظر الآية رقم [١٠].

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: هو مثل الآية السابقة. ﴿يَقُولُ﴾: مضارع. ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: فاعله مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، والجملة المقدرة (اذكر...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع معطوف على المنافقون. ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها، هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾ متعلقين بمحذوف صلة الموصول، ويكون ﴿مَّرَضٌ﴾ فاعلاً بذلك المحذوف، والتقدير: الذين استقر في قلوبهم مرض. ﴿غَرَّ﴾: ماض. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به، والهاء: حرف تنبيه لا محل له. ﴿دِينُهُمْۗ﴾: فاعل ﴿غَرَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿غَرَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [١٣] ومحله مثله أيضاً.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ، ومعناه: عاينت وشاهدت؛ لأن «لو» ترد المضارع إلى معنى الماضي، كما ترد (إنْ) الماضي إلى معنى الاستقبال. ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: وقت قبض الملائكة أرواح الكفار والمشركين. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: انظر الآية رقم [١١] (الأعراف). ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾: اختلف في وقت هذا الضرب، فقيل: هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه المشركين وأدبارهم بسياط من نار، وهذا عام في كل مشرك وكافر عند الموت، وهو ما تفيده الآية رقم [٢٧] من سورة (محمد ﷺ)، وقيل: كان هذا في

غزوة بدر، قيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار، يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحاتهم، والمراد بالأدبار: الظهور والأعجاز. ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: وتقول لهم الملائكة ذلك عند الضرب، وهو مختلف في وقته كسابقه، وهو وقت الضرب، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤] بشأن ﴿وَذُوقُواْ﴾، و﴿عَذَابَ﴾ انظر شرحه في الآية رقم [٣٨] (الأعراف). ﴿ٱلْحَرِيقِ﴾: بمعنى الحرق. هذا؛ وانظر ما يقال لهم، وهم في غمرات الموت في الآية رقم [٩٣] (الأنعام).

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَرَىٰٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، التقدير: ترى حال الكفار. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿يَتَوَفَّى﴾: مضارع مرفوع مثل ﴿تَرَىٰٓ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعل ﴿يَتَوَفَّى﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ في محل نصب حال من الملائكة، أو من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لأن فيها ضميراً يعود عليهما، هذا؛ ويقرأ: ﴿يَتَوَفَّى﴾ بالتاء والياء، وساغ ذلك؛ لأن الملائكة جمع تكسير؛ ولأنه فصل بين الفعل وفاعله، هذا؛ ويجوز أن يكون فاعل ﴿يَتَوَفَّى﴾ ضميراً تقديره: «هو» يعود إلى الله؛ وعليه فـ: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ، والجملة بعده خبره، والجملة الاسمية على هذا الاعتبار في محل نصب حال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والرابط الضمير فقط، وجملة: ﴿تَرَىٰٓ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لرأيت أمراً فظيعاً، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَذُوقُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف). ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَرِيقِ...﴾: مضاف إليه من إضافة الموصوف لصفته، إذ الأصل العذاب المحرق، وجملة: ﴿وَذُوقُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، إذ التقدير: ويقولون لهم: ﴿وَذُوقُواْ...﴾ إلخ. وهذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿يَضْرِبُونَ...﴾ إلخ. على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الضرب والعذاب المذكور في الآية السابقة. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي، ومحاربة الرسول ﷺ والمؤمنين، وعبر بالأيدي عن الأنفس لأن سائر الأعمال بهن، وانظر شرح ﴿يَدَهُۥ﴾ في الآية رقم [١٠٨] الأعراف. ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: انظر الآية رقم [١٨٢] من سورة (آل عمران) تجد ما يسرك.

تنبيه: الآية الكريمة مذكورة في الآية رقم [١٨٢] من آل عمران بألفاظها وحروفها مع اختلاف المراد من الآيتين، ولكن الإعراب لا يختلف أبداً؛ فلذا، أحيلك على إعرابها هناك، روماً للاختصار، والله المعين والموفق.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

تنبيه: هذه الآية مذكورة بسورة (آل عمران) برقم [١١] مع اختلاف بسيط في بعض كلماتها، وهو لا يؤثر في معناها ولا في إعرابها؛ فلذا أحيلك على شرحها وإعرابها هناك روماً للاختصار، وانظر الآية رقم [٥٥] الآتية.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما حل بهم يوم بدر من قتل، وأسر في الدنيا، وما يحل بهم عند الموت من عذاب. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً...﴾ إلخ: أي: بسبب أن الله لا ينزع نعمة من قوم حتى يفسدوا ويفعلوا المنكرات، والفواحش، هذا؛ والنعمة التي أنعمها الله على قريش هي الخصب، والسعة، والأمن، والعافية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ وقال السدي: نعمة الله عليهم محمد ﷺ، فكفروا به، فنقل إلى المدينة وحل بالمشركين العقاب. ﴿سَمِيعٌ﴾ أي: لأقوال خلقه، لا يخفى عليه شيء من كلامهم. ﴿عَلِيمٌ﴾: بما في صدورهم من خير وشر، فيجازي كل واحد على عمله، وانظر الآية رقم [١٧].

﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿يَكُ﴾: أصله (يكون) فلما دخل الجازم عليه صار: لم يَكُونْ، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، فصار (يَكُنْ) ثم حذفت النون الساكنة للتخفيف، ولكثرة الاستعمال، وهذا الحذف جائز وغير لازم، وله شروط: أن يكون مضارعاً ناقصاً من «كان»، وأن يكون مجزوماً بالسكون، وأن لا يكون بعده ساكن، ولا يتصل به ضمير كما في الآية الكريمة وغيرها كثير، وهو وارد في الشعر وفي الكلام العربي، ولا تحذف النون عند فقد أحد الشروط إلا في ضرورة الشعر، كما في قول الخنجر بن صخر الأسدي: [الطويل]

فَإِنْ لَمْ تَكُ الْمِرآةُ أَبْدَتْ وَسَامَةً ... فَقَدْ أَبْدَتِ الْمِرآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ

وقول الآخر: [الطويل]

إِذَا لَمْ تَكُ الْحَاجَاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى ... فَلَيْس بِمُغْنٍ عنكَ عَقْدُ الرَّتَائِمِ

وقرئ شاذاً قوله تعالى: (لم يك الذين كفروا من أهل الكتاب) ولم تحذف من قول أبي الأسود الدؤلي لجريانه على القاعدة: [الطويل]

دَعِ الْخَمرَ تَشربْها الغُوَاةُ فإنَّني رأيتُ أخَاها مُجزِئاً بمكانِها

فإلَّا يَكُنْهَا، أو تكنْهُ فإنَّهُ أخُوهَا غَذَتْهُ أمُّهُ بلبانِهَا

يريد نقيع التمر، وانظر شرح ﴿قَوۡمٍ﴾ في [٣٢] من سورة (الأعراف) وشرح ﴿بِأَنفُسِهِمۡ﴾ في الآية [٩] منها.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جر. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَمۡ﴾: حرف قلب ونفي وجزم. ﴿يَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَمۡ﴾، وعلامة جزمه سكون النون المحذوفة للتخفيف، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله. ﴿مُغَيِّرٗا﴾: خبر ﴿يَكُ﴾، وفاعله مستتر فيه. ﴿نِّعۡمَةً﴾: مفعوله؛ لأنه اسم فاعل يعمل عمل الفعل. ﴿أَنۡعَمَهَا﴾: ماض ومفعوله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية صفة: ﴿نِّعۡمَةً﴾. ﴿عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَمۡ يَكُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ؛ والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يُغَيِّرُواْ﴾: مضارع منصوب بـ (أن) مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بِأَنفُسِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَا﴾، أو بمحذوف صفتها، و(أن) المضمرة والفعل المضارع، في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿مُغَيِّرٗا﴾ أيضاً. ﴿وَأَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَمِيعٌ﴾: خبرها. ﴿عَلِيمٞ﴾: خبر ثان، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر معطوف على المصدر المؤول السابق، هذا؛ ويقرأ بكسر همزة (إنَّ)، وعليه فالجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٥٤﴾

الشرح: ﴿كَدَأۡبِ﴾: الدأب: العادة والشأن والحال، وهو أيضاً مصدر دأب في العمل من باب قطع: إذا جد، واستمر فيه، وهو بمعانيه كلها تفتح الهمزة وتسكن. ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾: انظر

الآية رقم [١٠٣] و[١٠٩] من سورة (الأعراف). ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ أي: من الأمم كقوم نوح، وقوم صالح، وقوم هود، وغيرهم. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فلم يصدقوا، وهو معنى: كفروا. ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: الآيات: جمع آية، وهي في الأصل العلامة الظاهرة، وتقال للمصنوعات في هذا الكون المترامي الأطراف من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته، كما تقال لكل طائفة من القرآن. انتهى. بيضاوي بتصرف، ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم التي من أعظمها الكفر، والإهلاك كان بالرجفة والزلزلة، أو بالخسف، أو بالحجارة، أو بالرياح العاتية، أو بالغرق، وإهلاك كفار قريش كان بالسيف. ﴿وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ أي: كل من الأمم التي أهلكت كانت ظالمة لنفسها بالكفر بالله، ولنبيها بالتكذيب، فلم يهلك الله قوماً استئصالاً بدون ذنب وكفر، وانظر الظلم والبغي في الآية رقم [١٤٦] من سورة (الأنعام). وانظر (نا) في الآية رقم [٧] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿كَدَأْبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: حالهم، وشأنهم كحال، وشأن آل فرعون، أو التقدير: غير كفار قريش نعمة الله تغييراً كائناً مثل تغيير آل فرعون وغيرهم نعمة الله، وهذا يعني أن: ﴿كَدَأْبِ﴾ متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف مع فعله. تأمل. و(دأب): مضاف، و﴿ءَالِ﴾: مضاف إليه، و﴿ءَالِ﴾: مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر معطوف على ﴿ءَالِ﴾. ﴿مِن قَبْلِهِمْۚ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥] الأعراف. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿كَذَّبُواْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من آل فرعون، وما عطف عليه، والرابط الضمير فقط، وهي على تقدير (قد) قبلها، والجملتان ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾. ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ﴾ معطوفتان عليها، فهما في محل نصب حال مثلها. ﴿وَكُلٌّ﴾: مبتدأ، والمضاف إليه محذوف، أي: كلهم. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَكُلٌّ كَانُواْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير الذي رأيت تقديره. هذا؛ والاستئناف ممكن.

تنبيه: قال سليمان الجمل: كرر ﴿كَدَأْبِ...﴾ إلخ لأن الأول: إخبار عن عذاب لم يمكن الله أحداً من خلقه على فعله، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم. والثاني: إخبار عن عذاب مكن الله الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك بالسيف والإغراق، وقيل: غير ذلك. انتهى.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٥﴾

الشرح: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٢٢]. ﴿كَفَرُواْ﴾: انظر الآية رقم [٦٦] من سورة (الأعراف)، والمراد أن الكفر رسخ في قلوبهم، وتغلغل بدمائهم وعظامهم. ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: فلا يتوقع منهم إيمان.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة وما بعدها في بني قريظة من اليهود، وقد كان الرسول ﷺ قد عاهدهم بعد هجرته إلى المدينة المنورة، أن لا يحاربوا ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد، وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله ﷺ، وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم ثانية فنقضوا العهد أيضاً، ومالؤوا الكفار يوم الخندق، وهذا شيء معروف فصلته سورة (الأحزاب)، وذهب كعب بن الأشرف إلى مكة، فوافق المشركين على مخالفة رسول الله ﷺ، ومعاداة الإسلام والمسلمين، انظر ما ذكرته في شرح الآية رقم [٥١] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٢٢] ففيه الكفاية. الفاء: حرف تعليل. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: فعل وفاعل، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالاتباع.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾: عقدت معهم معاهدة عدم اعتداء، وعدم ممالأة مع الكفار من أهل مكة. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣] الأعراف. ﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾: فيه استعارة، فقد استعار الحبل للعهد، وفكه لإبطال العهد بجامع الإفساد في كل. ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ أي: لا يخافون الله في نقض العهد؛ لأن عادة من يرجع إلى دين وعقل وحزم أن يتقي نقض العهد؛ حتى يسكن الناس إلى قوله، ويثقون بكلامه، فبين الله عز وجل: أن من جمع بين الكفر ونقض العهد هم من شر الدواب. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: يجوز فيه أوجه: أحدها الرفع على أنه بدل بعض من الموصول قبله، أو على النعت له، أو عطف البيان والنصب على الذم بفعل محذوف، والرفع على أنه مبتدأ، والخبر الجملة الشرطية في الآية التالية، ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط. انتهى. جمل

نقلاً عن السمين بتصرف كبير مني، كما جوز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. ﴿عَٰهَدتَّ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على تضمينه معنى (أخذت منهم) وقيل: (من) حرف صلة، فيكون الضمير مجروراً لفظاً، منصوباً محلاً على أنه مفعول به. وقال أبو البقاء: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ متعلقان بمحذوف حال من العائد المحذوف، وقيل: (من) بمعنى «بعض» أي: عاهدت بعضهم، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. وجملة: ﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿فِي كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿مَرَّةٖ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وانظر إعراب مثلها في الآية السابقة.

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾

الشرح: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ﴾: فإما تصادفنهم وتظفرن بهم، ويأتي بمعنى: تجدنهم، وهو ما في الآية رقم [١٩٠] من سورة (البقرة) وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء، علماً كان أو عملاً، فهو يتضمن معنى الغلبة، ولذلك استعمل فيها، قال الشاعر: [الوافر]

فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي ... فَمَنْ أَثْقَفْ فَلَيْسَ إِلَى الخُلُودِ

﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: فرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة حتى لا يجرؤ عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم، وقال الزجاج: افعل بهم ما تفرق به جمعهم، وتطرد به من عداهم، هذا؛ وقرئ: (فشرذ) بالذال وهو بمعنى الأول، كما قرئ: ﴿مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ بكسر الميم، والمعنى واحد. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعل المشردين يتعظون، أو لعل من خلفهم يعتبرون ويتعظون بهم، وبما حل بهم، والترجي في هذه الآية وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج لشيء من عباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإعراب: ﴿فَإِمَّا﴾: (إما): هي (إن) الشرطية مدغمة في (ما) الزائدة لتؤكد معنى الشرط؛ لأن معنى (إنْ) في الأصل الشك، فزال هذا المعنى بسبب (ما) ولذا أكد الفعل بنون التوكيد. ﴿تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فِي ٱلۡحَرۡبِ﴾: متعلقان بما قبلهما. الفاء: واقعة في جواب الشرط. (شرد): أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿بِهِم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّنۡ﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿خَلۡفَهُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق

بمحذوف صلة الموصول، أو بمحذوف صفة ﴿مَّن﴾ على اعتبارها نكرة موصوفة، والهاء: في محل جر بالإضافة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في الآية رقم [٢٦] وجملة: ﴿فَشَرِّدْ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة الشرطية: ﴿فَإِمَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ على وجه مر ذكره في الآية السابقة، أو هي مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾

الشرح: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي: إذا ظهرت لك آثار الخيانة من قوم معاهدين وثبتت دلائلها عندك. ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: فاطرح إليهم عهدهم على عدل وطريق قصد في العداوة، ولا تداهمهم الحرب فإنه يكون خيانة منك، وهذا يكون بإعلام العدو بنبذ العهد، أو بإعلان الحرب عليهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ أي: الذين يخونون بالعهود، ويخلفون الوعود.

وجملة القول في الآية الكريمة: أنه إذا ظهرت للإمام آثار نقض العهد ممن هادنهم من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب كما فعل الرسول ﷺ بأهل مكة، وإن ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتتضح للإمام من غير أمر مستفيض، فحينئذ يجب عليه أن ينبذ إليهم العهد، ويعلمهم بالحرب كما فعل الرسول ﷺ ببني النضير وقريظة. ﴿سَوَاءٍ﴾: يأتي بمعنى مستو، وبمعنى الاستواء، كما في الآية رقم [٦] (البقرة). ويأتي بمعنى الوسط، كما في الآية رقم [١٠٨] البقرة، ويأتي بمعنى المساواة، وقد أتى هنا بمعنى العدل، وهو بكل معانيه مصدر، أو اسم فاعل؛ فلذا صح الإخبار به عن متعدد في بعض الحالات، وهو لا يثنى ولا يجمع، وقالوا: هما وهم سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى، قالوا: سيان، وإن شئت قلت: سواءان، وفي الجمع هم أسواء، وهذا كله ضعيف ونادر، وأيضاً على غير قياس: هم سواس وسواسية، أي: متساويان، ومتساوون، هذا؛ ومعنى محبة الله لعبده: رضاته عنه، وغفر ذنوبه، وستر عيوبه، وعدم محبته له عكس ما ذكر، وانظر الآية رقم [٥٥] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فإعراب هذا الكلام مثل إعراب الكلام في الآية السابقة. ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل (انبذ) المستتر، أو من الضمير المجرور محلاً بـ (إلى)، والأول هو النابذ، والثاني هو المنبوذ، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل والمفعول بمعنى متساويين، ومفعول (انبذ) محذوف، التقدير: انبذ إليهم عهدهم. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، وفاعله ضمير يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾. ﴿الْخَائِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن

الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، والجملة الشرطية ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية السابقة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: ولا يظنن الذين، ماضيه بكسر السين، ومضارعه بكسرها وفتحها، أي: هو من بابين الرابع والسادس، والفعل يقرأ بتاء المضارعة وبالياء. ﴿سَبَقُوٓا۟﴾ أي: أفلتوا من القتل والأسر يوم بدر، فهم لا يفوتون الله، ولا يجدون طلبهم عاجزاً عن إدراكهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يعجزون الله، فهو ينتقم منهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار، وفيه تسلية للنبي ﷺ فيمن فاته من المشركين يوم بدر، والذين كانوا يؤذونه شديد الأذى، ولم ينتقم منهم، فأعلمه ربه: أنهم لا يعجزونه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿يَحْسَبَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، أي: النبي ﷺ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني عل الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ صلة الموصول، والمتعلق محذوف، وجملة: ﴿سَبَقُوٓا۟﴾ في محل نصب مفعول به ثان. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه، والهاء: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية، وجملة: ﴿يُعْجِزُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، هذا؛ ويقرأ بفتح همزة (أن) وهي تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، التقدير: لكونهم لا يعجزون الله، هذا؛ وقد قال أبو البقاء العكبري: ﴿لَا﴾ زائدة على الوجهين: كسر الهمزة، وفتحها: وأرى: أن المعنى يختل على الوجهين باعتبارها زائدة. تأمل هذا؛ وعلى قراءة الفعل ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، فـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعله، والمفعول الأول محذوف، تقديره: أنفسهم، وجملة: ﴿سَبَقُوٓا۟﴾ المفعول الثاني، وقيل: إن التقدير: (أن سبقوا) فـ (إنْ) مخففة من الثقيلة، وتؤول مع اسمها وخبرها بمصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾، وقيل: إن الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعوله الأول، وجملة: ﴿سَبَقُوٓا۟﴾ مفعوله الثاني، وعلى الأوجه الثلاثة فهمزة ﴿إِنَّهُمْ﴾ مكسورة، والجملة الاسمية مستأنفة، و﴿لَا﴾ نافية، هذا؛ والوجه المرتضى عندي أن تعتبر جملة: ﴿سَبَقُوٓا۟﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، وهي على تقدير (قد) قبلها، والرابط: الضمير فقط و﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ بفتح الهمزة في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ و(لا) صلة.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد طلب التقوى فيما سبق، وإن الله جلت قدرته لو شاء لهزمهم بالكلام، والتفْل في وجوههم، وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ في غزوة بدر، ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق، وقضائه النافذ، وكل ما تعده لصديقك من خير، أو لعدوك من شر، فهو داخل في عدتك. انتهى. قرطبي.

ولا يخفى أن عدة الحرب في هذا الزمن تختلف كل الاختلاف عن العدة في الزمن الماضي، فيجب على المسلمين أن يتخذوا العدة التي توائم وتناسب العصر الذي هم فيه، كما يجب عليهم أن يسايروا العصر بما يكون فيه من مخترعات وصناعات، وأنواع الأسلحة المستحدثة، ولكن المسلمين ـ ويا للأسف ـ أهملوا ذلك في هذا الزمن حتى صاروا أضحوكة بين الناس، بل وصاروا لقمة سائغة لأعدائهم، وذلك بسبب التفرق، والأنانية وحب الذات، وجلب المنفعة الشخصية حتى صدق على المسلمين في هذا العصر قول الرسول ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعى عليكُمُ الأمَمُ كمَا تَداعَى الأكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا**». قَالوا: أمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يومئذٍ يا رسولَ الله؟ قال: «**بَلْ أنتمْ كَثِيرونَ ولكنكُمْ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ولَيَنْزِعَنَّ الله من صدور أعدائِكُمُ الْمهابَةَ مِنْكُمْ، وليقذفن في قلوبِكُم الوهنَ**». قَالوا: ومَا الْوَهَنُ؟ قالَ: «**حُبُّ الدنيَا وكراهِيَةُ الْموتِ**». أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما من حديث ثوبان رضي الله عنه، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: كان هذا في الزمن الماضي قوة تخوف أعداء الله، وكان مفخرة يفخر بها المسلم، قال الشاعر: [الكامل]

أَمَـرَ الإلَـهُ بِـربْـطِـهـا لِـعَـدُوِّهِ ... فـي الْـحَـرْبِ إنَّ الله خَـيْـرُ مُـوَفِّـقِ

وقال مكحول بن عبد الله رضي الله عنه: [الطويل]

نَـلُـومُ عـلَـى رَبْـطِ الْـجِـيـادِ وحَـبْـسِـهـا ... وَأَوْصَـى بـهـا الله الـنَّـبِـيَّ مُـحَـمَّـدَا

فعن عروة بن الجعد البارقي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**الخيلُ مَعقودٌ في نواصِيها الْخَيرُ إلَى يوْمِ الْقِيامةِ الأجرُ والغنيمةُ**». متفق عليه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ احْتَبَسَ فَرَساً في سَبيلِ الله إيماناً بالله وتَصْدِيقاً بوعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ، وريَّهُ، ورَوْثَهُ، وبوْلَه في ميزانِهِ يومَ القيامَةِ**». يعني حسنات، رواه البخاري، وقال عليه الصلاة والسلام: «**كلُّ شيءٍ يلْهُو بِهِ الرَّجُلُ باطِلٌ، إلا رَمْيَهُ بقوْسِهِ، وتأديبَهُ فَرَسَهُ، ومُلاعَبَتَهُ أهْلَهُ، فإِنَّه مِنَ الحقِّ**».

هذا؛ و﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ اقتناؤها، وربطها للغزو، وفي سبيل الله، هذا؛ ويقرأ: (رُبُطْ) بضم الراء والباء، وسكون الباء، أيضاً على أنه جمع رباط، ورباط الخيل هو من جملة القوة، وإنما خصها الله بالذكر تنويهاً بفضلها وشرفها، كما خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة في الآية رقم [٩٨] (البقرة). هذا؛ والخيل اسم جمع لا واحد له من لفظه، فمفرده فرس وحصان، وانظر الآية رقم [١٤٤] الأنعام. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾: تخوفون، والضمير عائد على ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾ أو لـ ﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾. ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: اليهود وقريش وكفار العرب، وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الأعراف) لشرح عدو. ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: يعني الفرس والروم، وقيل: المراد كل من لا تعرف عداوته، ولا بأس به، ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ أي: لا تعرفونهم بأعيانهم، والله يعرفهم. هذا؛ والفرق بين العلم والمعرفة: أن المعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات دون النِّسَب، بخلاف العلم فإن متعلقه المعاني والنسب. ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ﴾ أي: تتصدقوا به، وقيل: تنفقوه على أنفسكم، أو خيلكم في أوقات الحرب، ولا بأس به، انظر (نفق) في الآية رقم [٣] و﴿شَىْءٍ﴾ في الآية رقم [٨٥] (الأعراف) و(دون) في الآية رقم [٣] (الأعراف). ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طريق كل خير أمر الله به من جهاد وغيره، وانظر شرح ﴿سَبِيلِ﴾ في الآية رقم [١٤١] الأعراف. ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: تقبضون أجره في الآخرة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة إلى أضعاف كثيرة، وكذلك الخلف في الدنيا والبركة في ما يبقى بأيديكم من هذا المال تحقيقاً لوعد الله ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾. ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: بنقص ثوابكم وأجركم، وانظر الظلم، والبغي في الآية رقم [١٤٦] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿وَأَعِدُّوا۟﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (أعدوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية رقم [١١] الأعراف. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، إذ التقدير: الذي أو شيئاً استطعتموه. ﴿مِن شَىْءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَّا﴾ وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَّا﴾ نفسها. ﴿وَمِن رِّبَاطِ﴾: معطوفان على: ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ و﴿رِّبَاطِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخَيْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿تُرْهِبُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عَدُوَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تُرْهِبُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من ﴿مَّا﴾ لأن في الجملة ضميرين يعود أحدهما إلى الواو، والثاني إلى: ﴿مَّا﴾. ﴿وَءَاخَرِينَ﴾: معطوف على ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِن دُونِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آخرين)، والهاء في محل جر

بالإضافة، وجملة: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ في محل نصب صفة ثانية لـ (آخرين)، أو في محل نصب حال منه؛ بعد وصفه بما تقدم، واكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه من المعرفة، لا من العلم اليقيني، وقيل: المفعول الثاني محذوف، التقدير: لا تعلمونهم فازعين أو محاربين، وهو تكلف لا داعي له. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَعْلَمُهُمْ﴾: فعل ومفعوله، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿مَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم لفعل شرطه، أو هو مبتدأ، فيكون المفعول محذوفاً. ﴿تُنفِقُوا﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية ابتدائية على اعتبار (ما) مفعولاً مقدماً. ﴿مِن شَيْءٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَا﴾، أو ﴿مِن﴾ المفعول المحذوف، ومن بيان لما أبهم في (ما). ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تُنفِقُوا﴾، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿يُوَفَّ﴾: مضارع مبني للمجهول جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة، والفتحة قبلها دليل عليها، ونائب الفاعل يعود إلى شيء، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، هذا؛ وخبر (ما)، على اعتبارها مبتدأ مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٣] والجملة الاسمية، أو الفعلية الشرطية على اعتبار (ما) مفعولاً مقدماً مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأَنتُمْ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُظْلَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾: مالوا، أي: المشركون، وغيرهم من يهود ونصارى، أو: الذين نبذ إليهم عهدهم. فهو من باب دخل، وفتح. ﴿لِلسَّلْمِ﴾ أي: المسالمة والمهادنة، قرئ بفتح السين وكسرها، كما في الآية رقم [٢٠٧] البقرة. وإن كان هناك بمعنى الإسلام. ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾: يقرأ بفتح النون وضمها تبعاً لمضارعه، هذا؛ وأنث الضمير العائد إلى السلم لحملها على نقيضها، وهو الحرب والعداوة، قال العباس بن مرداس السلمي الصحابي من أبيات يخاطب بها أبا خراشة خفاف بن ندبة ـ رضي الله عنهما ـ: [البسيط]

السِّلْمُ تأخُذُ مِنْهَا ما رضِيتَ بِهِ والْحرْبُ يكفِيكَ مِنْ أنفاسِهَا جُرَعُ

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فوض أمورك إليه، واعتمد عليه في كل شؤونك، واستسلم لحكمه وقضائه وقدره. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: انظر الآية رقم [٥٤] و[١٧] من هذه السورة.

تنبيه: اختلف في حكم هذه الآية، هل هو منسوخ أم لا؟ فقال قتادة وعكرمة والحسن: حكمها منسوخ بآية السيف، وقالوا: نسخت سورة براءة كل موادعة حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وقيل: إن حكمها غير منسوخ لكن الآية تتضمن الأمر بالصلح، إذا كان فيه مصلحة ظاهرة للمسلمين، فإن رأى الإمام أن يصالح أعداءه من الكفار، وفيه قوة، فلا يجوز أن يهادنهم أكثر من سنة، وإن كانت القوة للمشركين جاز أن يهادنهم عشر سنين، ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله ﷺ.

والمعتمد: أنه يجوز المهادنة مع قوة المسلمين، وشدة شكيمتهم، فقد هادن الرسول ﷺ أهل خيبر، وهادن الضمري في غزوة الأبواء، وهادن أُكَيْدِر سيدَ بني كِنْدَة، وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرحناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة، فقد صالح أصحاب رسول الله ﷺ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومَن بعده من الأئمة كثيراً من بلاد العجم، على ما أخذوه منهم وتركوهم على ما هم فيه، وهم قادرون على استئصالهم. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿جَنَحُواْ﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، الواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لِلسَّلۡمِ﴾، متعلقان بما قبلهما. ﴿فَٱجۡنَحۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اجنح): أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وجملة: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ معطوفة على جملة جواب الشرط، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول اعتباره توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل. والثاني: اعتباره ضمير فصل لا محل له من الإعراب. وعلى هذين الوجهين فالسميع خبر إن. الثالث: اعتباره مبتدأ، و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ خبره، و﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ خبر ثان، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها من الإعراب. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ أي: الكفار. ﴿أَن يَخۡدَعُوكَ﴾: بأن يظهروا لك السلم والمهادنة، ويبطنوا الغدر والخيانة، فاجنح لما طلبوا ظاهراً، وما عليك من نياتهم الفاسدة، وما أحراك أن تنظر الخداع

والمخادعة في الآية رقم [٩] البقرة والآية رقم [١٤٢] النساء، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك بنصره ومعونته. وانظر الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة)، وخذ قول جرير في هجاء: [الكامل]

إنِّي وجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبُكُمْ ... أَنْ تَلْبَسوا خَزَّ الثِّيابِ وَتَشْبَعُوا

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: شد أزرك، وقواك بنصره يوم بدر وفي سائر أيامك بالمؤمنين من الأنصار، قال النعمان بن بشير رضي الله عنه: نزلت في مدح الأنصار. ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج بعد أن كانوا أعداء، وحرب بعاث دامت بينهم أربعين سنة، وكان تآلف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من معجزات النبي ﷺ؛ لأن أحدهم، كان يلطم اللطمة، فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وأكبر دليل على ذلك حرب بعاث بين الأوس والخزرج، وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وحرب البسوس بين بني بكر وبني تغلب، وكانوا أشد خلق الله حمية، فألف الله بينهم بالإيمان، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين، وآية المجادلة الأخيرة أكبر دليل على ذلك.

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ: هذا بيان من الله عز وجل: أنه هو الذي ألف بين قلوب العرب، وأن القلوب بيده يصرفها كيف يشاء ويريد، ولو أن منفقاً أنفق جميع الأموال الموجودة في الأرض بسبيل تأليف قلوب العرب؛ لما أمكنه ذلك، إلا أن يشاء الله ويريد ذلك بقدرته وحكمته البالغة. إنه عزيز حكيم، انظر الآية رقم [١٠] و[٥٠]. هذا؛ وبين ظرف مكان بمعنى وسْط بسكون السين، تقول: جلس بين القوم، كما تقول: جلس وسْط القوم، هذا؛ والبين: الفراق والبعاد، وهو أيضاً الوصل، فهو من الأضداد، كَالْجَوْن يطلق على الأسود والأبيض، ومن استعماله بمعنى الفراق والبعاد، قول كعب بن زهير رضي الله عنه في قصيدة البردة: [البسيط]

وَمَا سُعادُ غَداةَ الْبَيْنِ إذْ رَحَلُوا ... إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

الإعراب: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾: هو مثل: ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ في الآية السابقة، و﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به لفعل الإرادة، وقد صرح به لأنه شيء مستغرب، انظر الآية رقم [٨٩] (الأعراف). ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿حَسْبَكَ﴾: اسم إن، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر (إن)، وهو في المعنى فاعل بالمصدر، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ في محل جزم جواب الشرط في الظاهر، وعند التأمل يتبين لك: أن جواب الشرط محذوف، تقديره: فصالحهم، ولا تخف من كيدهم؛ وعليه فجملة: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ تعليل لهذا المحذوف، وانظر الشرح. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿أَيَّدَكَ﴾: ماض والفاعل يعود إلى الذي تقديره: «هو»، وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِنَصْرِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله،

ومفعوله محذوف، التقدير: بنصره إياك. ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأَلَّفَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ أيضاً. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿قُلُوبِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَأَلَّفَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنفَقْتَ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (الأعراف). ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، وإن اعتبرتها موصوفة أيضاً؛ فلست مفنداً. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة (ما)، أو بمحذوف صفتها. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿مَّا﴾ مؤكدة. ﴿مَّآ﴾: نافية. ﴿أَلَّفْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿قُلُوبِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿مَّآ أَلَّفْتَ...﴾ إلخ جواب لو لا محل لها، ولو ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. وجملة: ﴿أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ في محل رفع خبر (لكن) والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب لو، لا محل لها مثله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تعليل لما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلنَّبِىُّ﴾: انظر الآية رقم [١] ﴿حَسْبُكَ﴾: كافيك، وانظر الآية السابقة. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [١] ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: المعنى: حسبك الله، وحسبك المهاجرون والأنصار، وقيل: المعنى كافيك الله، وكافي من تبعك.

تنبيه: قال الخازن: روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن هذه الآية نزلت في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال سعيد بن جبير: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً، وست نسوة، ثم أسلم عمر، فنزلت هذه الآية، فعلى هذا القول تكون الآية مكية، كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله ﷺ، وقيل: إنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال؛ فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: إلى غزوة بدر، وقيل: أراد به الأنصار، وتكون الآية نزلت بالمدينة، وقيل: أراد جميع المهاجرين والأنصار. انتهى، هذا؛ وانظر الإيمان في الآية رقم [٢] الأعراف وزيادته في الآية [٢].

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له من الإعراب، وأقحم للتوكيد، وهو عوض عن المضاف إليه. ﴿ٱلنَّبِىُّ﴾: بدل من أي، وانظر الآية رقم [١٥٧] من سورة

(الأعراف) ففيها بحث جيد. ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر، وانظر الآية السابقة، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿وَمَنِ﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون فيه ثلاثة أوجه:

الأول: النصب فمن وجهين، إما أن يكون مفعولاً معه، أو مفعولاً به على تقدير فعل: (يحسب)، وهو الصحيح لأنه لا يعمل في المفعول معه، إلا ما كان من جنس ما يعمل في المفعول به، ويكون العطف من قبيل الجملة الفعلية على الاسمية.

الثاني: الجر إما بالعطف على الضمير المجرور محلاًّ بالإضافة، من غير إعادة الجار، وهو جائز عند يونس، والأخفش، والكوفيين، وهو اختيار ابن مالك، أو على إضمار حسب أخرى، وهو الصواب عند ابن هشام، وأيضاً هو مذهب أكثر البصريين القائلين بمنع العطف في الصورة المذكورة، وأجاز السيوطي أن تكون الواو واو القسم.

الثالث: الرفع بالعطف على الاسم المرفوع بتقدير المضاف، أي: وحسب من اتبعك، ثم حذفت حسب، وخلفها المضاف إليه. وقيل: ﴿وَمَنِ﴾: معطوف على ﴿ٱللَّهُ﴾، وهو لا يحسن معنى، كما لا يحسن قولهم: ما شاء الله وشئنا، وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف، التقدير: وحسبك من اتبعك، وقيل: هو مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: ومن اتبعك من المؤمنين كذلك. هذا؛ ومثل الآية الكريمة قول الشاعر: [الطويل]

إذا كَانَتِ الْهَيْجاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا ... فَحَسْبُكَ والضَّحَّاكُ سيْفٌ مُهَنَّدُ

فإن قوله: (والضحاك) يروى بنصب الكاف وجرها ورفعها، وهذا هو الشاهد رقم [٩٦٧] من كتابنا فتح القريب المجيب. ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى من، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في (مَنْ).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾: انظر الآية رقم [١] ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾: حثهم وحضهم عليه، هذا؛ والحَرَض الهلاك والضعف والهزال بسبب هم وغم، قال تعالى حكاية عن قول أولاد يعقوب لأبيهم ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾. والحض، والتحريض: الحث على الشيء بكثرة تزيينه وتسهيله للإنسان، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ

صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾: قال القرطبي: لفظه خبر ضمنه وعد بشرط. انتهى؛ لأن معناه: إن يصبر منكم عشرون في القتال ويثبتوا في الميدان يغلبوا مئتين من أعدائهم بعون الله وتأييده، وإنما حسن هذا التكليف؛ لأن الله وعدهم بالنصر، ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الأعداء، هذا؛ وقرئ (حرص) بالصاد من الحرص. . . ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾: لا يفهمون، فهم جهلة بالله واليوم الآخر، لا يثبتون في المعارك ثبات المؤمنين، رجاء الثواب، ورفيع الدرجات قَتَلوا أو قُتِلوا، لا يستحقون من الله إلا الخزي والخذلان والهوان، هذا؛ وانظر ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ في الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف)، فإنه جيد.

فائدة: قال سليمان الجمل: وقعت مادة الكون هنا خمس مرات، آخرها قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ وحاصل ما يتعلق بها من القراءات: أن الأول، والرابع بالياء التحتية لا غير، وأن الثاني، والثالث، والخامس بالياء والتاء.

فائدة: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: عشرون، وثلاثون، وأربعون، كل واحد منها موضوع على صورة الجمع لهذا العدد، فإن قال قائل: لِمَ كسر أول عشرين، وفتح أول ثلاثين، وما بعده، إلى ثمانين إلا ستين؟ فالجواب عند سيبويه: أن عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد، فكسر أول عشرين كما كسر أول اثنان، والدليل على هذا قولهم: سِتون وتسعون، كما قيل: سِتة وتِسعة. انتهى. احفظه فإنه جيد.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿حَرِّضِ﴾: أمر، وفاعله أنت مستتر فيه. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿حَرِّضِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص فعل الشرط. ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿يَكُن﴾ تقدم على اسمه. ﴿عِشْرُونَ﴾: اسم ﴿يَكُن﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿صَٰبِرُونَ﴾: صفة ﴿عِشْرُونَ﴾ مرفوع مثله، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿يَكُن﴾ تامًّا، فالجار والمجرور ﴿مِّنكُمْ﴾ متعلقان به، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿عِشْرُونَ﴾ كان صفة، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً»، وعلى الوجهين فالجملة فعلية، وهي لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَغْلِبُوا۟﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية. ﴿مِا۟ئَتَيْنِ﴾: مفعول به منصوب. . . إلخ، هذا؛ وأرى: أن الجملة الشرطية ﴿إِن

يَكُن...﴾ إلخ في محل نصب مقولة لقول محذوف، التقدير: وقل لهم: إن يكن... إلخ، وهذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿حَرِّضِ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا﴾ إعراب هذا الكلام مثل سابقه، وهو معطوف عليه. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَلْفًا﴾، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، هذا؛ ولا تنس أنه قد وصف عشرون في الجملة الأولى بـ ﴿صَٰبِرُونَ﴾، ولم يصف ﴿مِّائَةٌ﴾ في الجملة الثانية، وأثبت سبحانه في الثانية قيداً، وهو قوله ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وحذفه من الأولى، فحذف من كل منهما ما أثبته في الآخر، ويسمى مثل هذا في فن البلاغة احتباكاً. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿قَوْمٌ﴾: خبرها، وجملة: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ في محل رفع صفة ﴿قَوْمٌ﴾، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿يَغْلِبُوٓاْ﴾ في الموضعين، أفاده الجمل، وهذا يعني أنه على التنازع، وأرى أن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ذلك بأنهم... إلخ، وله مثل كثيرة في كتاب الله تعالى، انظر الآية رقم [٦١] المائدة و[٨٥] منها وغيرهما كثير؛ وعليه فالجملة الاسمية: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ﴾ كتب على المؤمنين ألا يفر واحد من عشرة، ولا عشرون من مئتين، أي: من مقابلتهم في ساحة الحرب، ثم نزلت ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ فكتب أن لا يفر مئة من مئتين، وفي رواية أخرى عنه، قال: لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ...﴾ إلخ شق ذلك على المسلمين، فنزلت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ﴾ فظاهر هذا أن الآية الثانية ناسخة لما تقدم، ولما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم. انتهى. خازن بتصرف كبير، هذا؛ وعلم ليس على ظاهره، فعلم الله بضعفهم قديم أزلي.

أقول: الآيتان يطلق عليهما آيات المصابرة، وأن الثانية ناسخة للأولى، وهذا النسخ من الأشد إلى الأخف، ويفهم من لفظ: (شق ذلك على المسلمين): أن الثانية متأخرة عن الأولى في النزول.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾: هذه الكلمة ملازمة للظرفية غالباً، مبنية على الفتح دائماً لتضمنها معنى الإشارة، وألفها منقلبة عن واو لقولهم في معناها: الأوان، وقيل: عن ياء لأنه من آن يئين: إذا قرب،

وقيل: أصله: (أوان) قلبت الواو ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين، ورد بأن الواو قبل الألف لا تقلب كالجواد، والسواد، وقيل: حذفت الألف، وغيرت الواو إلى الألف، كما قالوا: راح ورواح، استعملوه مرة على فَعَلَ، ومرة على فَعَال كزَمَن وزَمَان. ﴿ضَعۡفًاۚ﴾ أي: في البدن، لا في الدين، ويقرأ بفتح الضاد، وضمها. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: انظر الآية رقم [٤٧].

الإعراب: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده مبني على الفتح في محل نصب، وجملة: ﴿خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾ مستأنفة لا محل لها من الإعراب، و﴿أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفًاۚ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (علم)، والجملة الفعلية ﴿وَعَلِمَ أَنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ...﴾ إلخ انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية السابقة، مع ما فيها من الاحتباك الذي ذكرته فيها، والكلام كله مفرع عما قبله ومستأنف لا محل له من الإعراب. ﴿بِإِذۡنِ﴾: متعلقان بأحد الفعلين ﴿يَغۡلِبُوٓاْ﴾ على التنازع، ولا يتأتى هنا ما ذكرته بقوله ﴿بِأَنَّهُمۡ...﴾ إلخ إلا على ضعف، و(إذن) مضاف، و﴿ٱللَّهِۗ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: انظر إعراب ما يشبهها في الآية رقم [٤٧] وهي مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من لفظ الجلالة، فالمعنى لا يأباه، والرابط: الواو وإعادة الاسم الكريم بلفظه.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾

الشرح: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ...﴾ إلخ: لا ينبغي ولا يحق لنبي أو ما صح، ولا استقام له، وقرئ: (ما كان للنبي) أن يأخذ الفداء من أسرى يقعون في يده حتى يكثر القتل في المشركين، وبذلك يذل الكفر ويقهر، ويعز الإسلام، وينتصر، وانظر الآية رقم [١١٤] سورة (التوبة)، هذا؛ وانظر شرح ﴿لِنَبِيٍّ﴾ في الآية رقم [١]. و﴿أَسۡرَىٰ﴾ جمع أسير، ويجمع على أسارى بضم الهمزة وفتحها، والأول أقوى وقد قرئ بذلك، وانظر الآية رقم [٨٥] من سورة (البقرة)، والإثخان كثرة القتل، والمبالغة فيه من الثخانة، وهي: الغلظ والكثافة، وقيل: الإثخان: القوة، والشدة. ﴿تُرِيدُونَ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾: حطامها الفاني، وإنما سمى سبحانه منافع الدنيا عرضاً؛ لأنه لا ثبات لها ولا دوام، فكأنها تعرض، ثم تزول بخلاف منافع الآخرة، فإنها دائمة لا انقطاع لها، و﴿عَرَضَ﴾ بفتح العين والراء هنا، وهو بضم العين وسكون الراء ناحية الشيء من أي وجه جئته، وهو بفتح العين وسكون الراء: ضد الطول، وهو بكسر العين وسكون الراء: النفس، يقال: أكرمت عنه عِرضي، أي: صنت عنه نفسي، وهو أيضاً: رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أو خبيثة، يقال: فلان طيب العِرض، أو منتن العرض، وانظر شرح: ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في الآية رقم [٢٩] من سورة (الأنعام). ﴿يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ أي: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام ورفعه

شأن أهله. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: قوي لا يقهر، يغلب أولياءه على أعدائه. ﴿حَكِيمٌ﴾: يصنع ما فيه حكمة، ويعلم ما يليق بكل حال، ويخصه بها، كما أمر بالإثخان، ومنع الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين، وخير بينه وبين المن أو أخذ الفداء حين صارت الغلبة والشوكة للمؤمنين.

روي أن النبي ﷺ أتي يوم بدر بسبعين أسيراً، فيهم العباس عمه، وعقيل ابن عمه، فاستشار فيهم أصحابه، فكان رأيهم مختلفاً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قومك، وأهلك فاستبقهم، لعل الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك، وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله اضرب أعناقهم؛ فإنهم أئمة الكفر، وإن الله أغناك عن الفداء، مكني من فلان نسيب له، ومكن حمزة، وعلياً من أخويهما، فلنضرب أعناقهم.

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: يا رسول الله! انظر وادياً كثير الحطب، فأضرمه عليهم، فمال الرسول ﷺ إلى رأي: أبي بكر رضي الله عنه، وقال: «**إن الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم حيث قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **ومثل عيسى، حيث قال:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ **ومثلك يا عمر مثل نوح قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ **ومثل موسى حيث قال** ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾». ثم قال: «**أنتم عالة، فلا ينفلتنَّ أحد إلا بفداء أو ضربة عنق**». فأخذ الفداء، ولم يقتل سوى النضر بن الحارث الذي حدثتك عنه في الآية رقم [٣١] فنزلت الآية الكريمة والتي بعدها، فدخل عمر رضي الله عنه المسجد فوجد الرسول ﷺ وأبا بكر يبكيان، فقال: يا رسول الله! أخبرني، فإن أجد بكاء بكيت، وإلا تباكيت، فقال: «**أبك على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة**». لشجرة قريبة منه، وكانت قد نزلت الآية الكريمة والتي بعدها. وينبغي أن تعلم أن هذه الآية وافقت رأي: عمر رضي الله عنه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٤] من سورة (المائدة).

تنبيه: في الآية الكريمة التفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ...﴾ إلخ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ﴾ انظر الآية رقم [٦] من سورة (الأنعام). هذا؛ وقد قرئ شاذاً بجر ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾ وذلك على تقدير مضاف، إذ التقدير (والله يريد عرض الآخرة) فلما حذف المضاف بقي المضاف إليه على جره، ومثل الآية الكريمة قول عدي بن زيد العبادي: [المتقارب]

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً ... وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا؟

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِنَبِيٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، واسمه محذوف يفهم من المقام، التقدير: ما كان لنبي أخذ الفداء، انظر الشرح يظهر لك ذلك جلياً. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب

بـ ﴿أَن﴾. ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَسۡرَىٰ﴾: اسم ﴿يَكُونَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿أَن﴾ والمضارع الناقص في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من كون أسرى له والجار والمجرور متعلقان باسم ﴿كَانَ﴾ الذي رأيت تقديره، وجملة: ﴿مَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وانظر إعراب الآية رقم [١٦١] من آل عمران. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يُثۡخِنَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل يعود إلى: (نبي). ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة ويثخن في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿كَانَ﴾، أو باسمها الذي رأيت تقديره، وجملة: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾

الشرح: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: لقد اختلف المفسرون في تأويل هذه الجملة على أقوال كثيرة: الأول: لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ، وهو أنه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده، الثاني: لولا حكم من الله... في أنه لا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون. الثالث: لولا حكم من الله... في أنه لا يعذب أهل بدر. الرابع: لولا حكم من الله... في أن الفدية ستحل لهم. الخامس: لولا حكم من الله... في أن الله لا يعذب المسلمين ومحمد ﷺ فيهم. السادس: لولا حكم من الله... في أنه سبحانه قضى محو الصغائر باجتناب الكبائر. هذا؛ وانظر شرح: ﴿كِتَٰبٞ﴾ في الآية رقم [٢] الأعراف. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿لَمَسَّكُمۡ﴾: لأصابكم، ونزل بكم. ﴿فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ أي: من الفداء. ﴿عَذَابٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٨] من سورة (الأعراف).

تنبيه: روي: أن النبي ﷺ قال: «**لَوْ نزلَ الْعَذابُ لَما نَجَا منهُ غيرُ عمرَ وسعدِ بن معاذ**». وذلك لأنه أيضاً أشار بالإثخان، وانظر ما ذكرته عن عبد الله بن رواحة في الآية السابقة رضي الله عنهم أجمعين.

تنبيه: ما في الآيتين الكريمتين عتاب له ﷺ على ترك الأولى، إذ كان الأولى له تدارك كثرة القتل فيهم لا الفداء، وليس عتاباً على ترك محرم تنزيهاً لمنصب النبوة عن ذلك. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٦] النساء فإنه جيد جداً، وأيضاً الآية رقم [٤٤] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿لَّوۡلَا﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿كِتَٰبٞ﴾: مبتدأ. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿كِتَٰبٞ﴾، أو هما متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿سَبَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿كِتَٰبٞ﴾،

والجملة الفعلية صفة: ﴿كِتَٰبٌ﴾، وخبر المبتدأ محذوف، تقديره: موجود، وقيل: تقديره تدارككم. اللام: واقعة في جواب ﴿لَّوْلَا﴾. مسكم: ماض، والكاف مفعوله. ﴿فِيمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (في)، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، إذ التقدير: في الذي، أو في شيء أخذتموه. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل (مسَّكم). ﴿عَظِيمٌ...﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿كِتَٰبٌ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، وجملة: ﴿لَمَسَّكُمْ...﴾ إلخ جواب ﴿لَّوْلَا﴾ لا محل لها، و﴿لَّوْلَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَكُلُوا۟...﴾ إلخ، المعنى: فقد أحلت لكم الغنائم، وأخذ الفداء فكلوا... روي: أنه لما نزلت الآية السابقة كف أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء، فنزلت هذه الآية التي تحل الغنائم لهذه الأمة، وكانت قبل ذلك حراماً على جميع الأمم الماضية، فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خمساً لمْ يُعْطَهنَّ أحَدٌ قبلي: نُصِرْتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مسْجِداً، وَطهوراً، فأيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصلاةُ فَلْيَتَيَمَّمْ ولْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغنائمُ، ولمْ تَحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومِهِ خاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً**». رواه البخاري وغيره.

هذا؛ ومن معناها التبعيض، أي: كلوا بعض ما غنمتم؛ فإن الغنيمة ليست كلها للغانمين، انظر الآية التي قسمت الغنائم برقم [٤٢] تجد ما يسرك. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: خافوا الله أن تعودوا، وأن تفعلوا شيئاً من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: قد غفر لكم ما أقدمتم عليه من الذنب، ورحمكم، ومعنى ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أي: خالياً من العتاب والعقاب، هذا؛ وانظر: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ في الآية رقم [١].

الإعراب: ﴿فَكُلُوا۟﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفاء الفصيحة على ما رأيت في الشرح، إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فكلوا. كلوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. والألف للتفريق. ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: إعراب هذا مثل إعراب: ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ في الآية السابقة بلا فارق. ﴿حَلَٰلًا﴾: حال من ما، أو من الضمير المحذوف العائد عليها، وقيل: هو صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: أكلاً حلالاً. ﴿طَيِّبًا﴾: صفة ﴿حَلَٰلًا﴾، وانظر الآية رقم [١٦٨] من سورة (البقرة). ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، وقيل: معترضة بين التعليل وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والمعلل، وهو الأمر ﴿فَكُلُوا۟...﴾ إلخ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾

الشرح: ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ أي: من وقع أسيراً في قبضة أيديكم يوم بدر، هذا؛ وانظر شرح ﴿يَدَهُۥ﴾ في الآية رقم [١٠٨] الأعراف. و﴿ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٦٧]. ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: إيماناً وإخلاصاً. ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾: يخلف عليكم أفضل وأعظم من الفداء الذي أخذه الرسول ﷺ منكم. ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ أي: ما سلف منكم قبل الإيمان. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾: لمن آمن وتاب من كفره، ومعاصيه. ﴿رَّحِيمٞ﴾: بأهل طاعته، وهما اسما مبالغة من غفر ورحم، هذا؛ وانظر ﴿خَيۡرٗا﴾ في الآية رقم [١٢] الأعراف فإنه جيد.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في العباس عم رسول الله ﷺ، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة إلى بدر، وكان قد خرج؛ ومعه عشرون أوقية من ذهب، ليطعم بها إذا جاءت نوبته، فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر، فأراد أن يطعم ذلك اليوم، فاقتتلوا، لم يطعم شيئاً، وبقيت العشرون أوقية معه، فلما أسر أخذت منه، فكلم رسول الله ﷺ أن يجعل العشرين أوقية من فدائه، فأبى، وقال: «**أما شيء خرجت به لتستعين به على حربنا، فلا أتركه لك!**». وكلفه فداء ابْنَيْ أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، فقال: يا محمد! تتركني أتكفف قريشاً، ما بقيت، فقال له الرسول ﷺ: «**فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة؟ وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث، فهذا لك، ولعبد الله، ولعبيد الله، وللفضل، وقثم ـ يعني بنيه ـ**». فقال العباس: وما يدريك يا ابن أخي؟ قال: «**أخبرني به ربي**». قال العباس ـ رضي الله عنه ـ أشهد أنك لصادق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله! لم يطلع عليه أحد إلا الله، وأمر ابْنَيْ أخيه عقيلاً ونوفلاً فأسلما، ثم بعد ذلك قال العباس ـ رضي الله عنه: فأبدلني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً، كلهم تاجر يضرب بمال كثير، أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل. انتهى. خازن.

هذا؛ والآية تشير إلى: أن العباس رضي الله عنه كان مسلماً، وهو المعتمد، وأن النبي ﷺ كان قد أمره بالبقاء في مكة، عيناً له، فكان يخبره بما يتآمر به أهل مكة ضد الإسلام والمسلمين، فبقي في مكة حتى قبيل فتحها.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٦٤]. ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلها. ﴿فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾: جار

ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء للثقل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق ﴿فِىٓ أَيْدِيكُم﴾ وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إعرابه ظاهر إن شاء الله تعالى، وانظر الآية: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾ في الآية رقم [٦٢]. ﴿يُؤْتِكُمْ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والكاف مفعول به أول. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّمَّآ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرًا﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بمن. ﴿أُخِذَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ما)، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع نائب الفاعل إليها. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يُؤْتِكُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿وَيَغْفِرْ﴾: مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، ويجوز في مثله النصب على إضمار (أن)، والرفع على الاستئناف، وإضمار مبتدأ، انظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٥] النساء. ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾: يعني الأسرى. ﴿خِيَانَتَكَ﴾: نقض ما عاهدوك عليه. ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ﴾: بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ في الأزل. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل موقعة بدر. ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: بالقتل والأسر، فإن أعادوا الخيانة؛ فسيمكنك منهم أيضاً. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيء من أفعال عباده، ويضع الأمور مواضعها على مقتضى ما تقتضيه الحكمة، هذا؛ وأصل خيانتك: خوانتك؛ لأنه من: خان يخون، وهو أجوف واوي، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، ووقوع الألف بعدها.

الإعراب: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ﴾ انظر الآية رقم [٦٢] وما بعدها. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَانُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٥] الأعراف. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: مبني على الضم في محل جر لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنى، وجملة: ﴿فَقَدْ خَانُوا۟...﴾ إلخ في محل جزم، هذا هو الظاهر، وعند التأمل يتبين لك: أن جواب الشرط محذوف، التقدير: وإن يريدوا خيانتك فلا يضرونك شيئاً، وقدره الجلال

فليتوقعوا مثل ذلك؛ إن عادوا والأول أولى؛ وعليه، فالجملة الفعلية ﴿فَقَدْ خَانُوا۟...﴾ إلخ تعليل للجواب المحذوف. ﴿فَأَمْكَنَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: انظر مثلها في الآية السابقة إعراباً ومحلاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ: المراد بهم المؤمنون السابقون من أهل مكة الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم تركوا أوطانهم وأموالهم، وهاجروا إلى المدينة المنورة، ثم بذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله، ونصرة نبيه ﷺ، ولا أتكلم عن الهجرة والجهاد في سبيل الله بأكثر مما ذكرته في الآية رقم [٨٩] النساء و[٩٦] منها، ففيهما الكفاية. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٢] الأعراف ورقم [٣]. ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٢٨]. ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٩] الأعراف. ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دين الله الذي ارتضاه لنفسه ولأمة محمد ﷺ وانظر الآية رقم [٤٥] الأعراف، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾: المراد بهم الأنصار أهل المدينة الذين آووا النبي ﷺ والمهاجرين الذين أتوهم من أهل مكة، فأسكنوهم منازلهم، وبذلوا لهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، هذا؛ وإعلال: ﴿ءَاوَوا۟﴾ مثل إعلال (أتوا) في الآية رقم [١٣٨] (الأعراف). ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المهاجرين والأنصار معاً. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ أي: في العون والنصرة دون أقربائهم من الكفار.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: في الميراث. انتهى. وتأويله: أن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة، دون أقربائهم وذوي أرحامهم، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة، وانقطعت الهجرة، فتوارثوا بالأرحام حيثما كانوا، فصار ذلك منسوخاً بالآية الأخيرة، وهي رقم [٧٥] وهذا التوارث حصل بعد أن آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، حيث جعل مع كل أنصاري مهاجراً، فكان الأنصاري يعطف على المهاجري عطف الأب على ابنه والأخ على أخيه. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟...﴾ إلخ: فقد قطع الله الميراث والتوارث بين المهاجرين، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟﴾، انظر الآية رقم [٩٧] (النساء) وما بعدها تجد ما يسرك، هذا؛ والولاية هنا بمعنى: الميراث، ويجيء بمعنى النصرة

والمعاونة، وهو بفتح الواو، وقرئ بكسرها، والفتح أحسن وأبين، وقد تطلق الولاية بفتح الواو وكسرها أيضاً على الإمارة والرياسة، هذا؛ وانظر شرح ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٨٥] (الأعراف).

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ أي: إن طلب منكم أيها المهاجرون الذين لم يهاجروا معاونتهم بنفس أو بمال فأعينوهم على المشركين، ولا سيما إن كانوا مستضعفين لا يقدرون على الهجرة، كما رأيت في الآية رقم [٩٧] من سورة (النساء) وما بعدها. ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي: فيجب عليكم نصرهم إلا إذا استنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم عهود ومهادنة عدم اعتداء، فلا تنصروهم عليهم، ولا تنقضوا العهد حتى تنتهي مدته. ﴿ٱلدِّينِ﴾: انظر الآية رقم [١٦٢] الأنعام. ﴿مِّيثَٰقٌ﴾: انظر إعلال ﴿ٱلْمِيعَٰدِ﴾ في الآية رقم [٤٢] فهو مثله. ﴿وَٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [١].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿ءَامَنُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وما بعدها معطوف عليها، ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. و﴿ٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿ءَاوَواْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، الواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية صلة الموصول، وجملة: ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبتدأ ثان، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿بَعْضٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿بَعْضُهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو استئنافية لا محل لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، والجملة بعده صلته. ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يُهَاجِرُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ(لم)، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وتعليقهما بمحذوف حال من المبتدأ المؤخر لا يجيزه كثير من النحاة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ

معطوفة على الجملة الاسمية السابقة لا محل لها مثلها. ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿مَا﴾ النافية لأن فيها رائحة الفعل (انتفى). ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ انظر إعراب: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ في الآية رقم [٦٢] فهو مثله إفراداً، وجملاً. ﴿فَعَلَيْكُمُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عليكم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿النَّصْرُ﴾: مبتدأ مؤخر، ولو قيل: عليكم: اسم فعل أمر، و(النصر) بالنصب مفعول به، فهو مقبول معنىً وإعراباً، ولكن لم أطلع على قراءة بنصبه، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال. ﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿وَبَيْنَهُم﴾: معطوف على ما قبله، والكاف والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّيثَاقٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل جر صفة ﴿قَوْمٍ﴾. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٤٠].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: في الميراث والمؤازرة والمعاونة، وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والتآزر بينهم وبين المسلمين، والآية الكريمة نصت بأن الكفر ملة واحدة مهما اختلفت أنواعه وألوانه، وهو بجميع أصنافه حرب على المسلمين في كل عصر وزمان، والتاريخ شاهد صدق على ما أقول، وانظر ﴿كَفَرُوا﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف). ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضاً حتى في التوارث، وقطع الصلة والمودة بينكم وبين الكفار. ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: تقع في الأرض فتنة عظيمة، وهي ظهور الكفر وتقويته، وضعف شوكة المسلمين، وذلك فساد للدين، وقرئ: (كثير) بالثاء. هذا؛ والضمير في ﴿تَفْعَلُوهُ﴾ عاد على معنى الكلام السابق دون لفظه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَاءُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿بَعْضٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية السابقة لا محل

لها مثلها. ﴿إِلَّا﴾: (إنْ): حرف شرط جازم. (لا): نافية. ﴿تَفْعَلُوهُ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿تَكُن﴾: مضارع تام جواب الشرط. ﴿فِتْنَةٌ﴾: فاعله. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿تَكُن﴾. ﴿وَفَسَادٌ﴾: معطوف على ﴿فِتْنَةٌ﴾. ﴿كَبِيرٌ﴾: صفته، وجملة: ﴿تَكُن...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا .. وَّنَصَرُوا﴾: انظر شرحه مفصلاً في الآية رقم [٧٢]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٤] لشرح هذا الكلام.

وأنقل لك ما ذكره البيضاوي بحروفه، قال رحمه الله تعالى: لما قسم الله المؤمنين ثلاثة أقسام؛ بين أن الكاملين في الإيمان، منهم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد، وبذل المال، ونصرة الحق، ووعد لهم الموعد الكريم، فقال ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تبعة له، ولا منة فيه.

تنبيه: لا تكرار في الكلام؛ لأن الله ذكر في الآية الأولى حكم ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً، ثم ذكر في هذه الآية ما منَّ به عليهم من المغفرة والرزق الكريم، وقيل: إعادة الشيء مرة بعد مرة أخرى تدل على مزيد الاهتمام به، فلما ذكرهم أولاً، ثم أعاد ذكرهم دل ذلك على تعظيم شأنهم، وعلو درجاتهم، وهذا هو الشرف العظيم. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى ﴿وَّنَصَرُوا﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٧٢]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٤] وهي اسمية في محل رفع خبر المبتدأ والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿لَّهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَرِزْقٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ﴾: لقد اختلف في قوله ﴿مِن بَعْدُ﴾ فقيل: من بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان، وهي الهجرة الثانية، وقيل: من بعد نزول هذه الآية، وقيل: من بعد

غزوة بدر، والأصح أن المراد به أهل الهجرة الثانية؛ لأنها بعد الهجرة الأولى؛ لأن الهجرة انقطعت بعد فتح مكة؛ لأنها صارت دار الإسلام بعد الفتح، ويدل عليه قول النبي ﷺ «لا هِجْرَةَ بعدَ الْفَتحِ، وَلكِنْ جهادٌ ونيَّةٌ» وقال الحسن: الهجرة غير منقطعة، ويجاب عن هذا بأن المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة إلى المدينة، فأما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على إظهار دينه من كثرة الكفار وغلبتهم، وجب عليه أن يهاجر إلى بلد لا يخاف فيه على إظهار دينه. انتهى. خازن.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ أي: صاروا من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار، وإن تأخر إيمانهم وهجرتهم وجهادهم، ولكن لا يخفى أن مرتبة السابقين أعلى وأشرف من مرتبة المتأخرين. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ...﴾ إلخ: ذكرت لك في الآية رقم [٧٢] أن هذه الآية ناسخة للتوارث بالأخوة الإسلامية والهجرة، وقد استدل بها أيضاً على توريث ذوي الأرحام، وهو مذهب أبي حنيفة، والمراد بكتاب الله: اللوح المحفوظ، وقيل: المراد: القرآن الكريم، وهو ما ذكر في سورة (النساء) من المواريث.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾: حيث فصل وبين جلت قدرته ما فيه حكمة ومنفعة لعباده، وهو أعلم بمراده وأسرار كتابه. هذا؛ وانظر شرح ﴿كِتَٰبِ﴾ في الآية رقم [٢] الأعراف. ﴿شَيۡءٍ﴾: انظر الآية رقم [٨٥] منها. ﴿وَأُوْلُواْ﴾: أصحاب، ولا واحد له من لفظه، وإنما واحده (ذي) المضاف إن كان مجروراً، و(ذا) المضاف إن كان منصوباً، و(ذو) المضاف إن كان مرفوعاً. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الآية رقم [١].

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وبني بعده على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ معطوفتان على جملة الصلة لا محل لها. ﴿مَعَكُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. الفاء: زائدة في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿مِنكُمۡۚ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَأُوْلُواْ﴾: (أولوا): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و(أولو) مضاف، و﴿ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: مضاف إليه. ﴿بَعۡضُهُمۡ﴾: مبتدأ ثان، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿أَوۡلَىٰ﴾: خبر المبتدأ، مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِبَعۡضٖ﴾: متعلقان بـ ﴿أَوۡلَىٰ﴾. ﴿فِي كِتَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر بـ ﴿أَوۡلَىٰ﴾، و﴿كِتَٰبِ﴾:

مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها من جمل اسمية لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما، و(كل) مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

تمت سورة (الأنفال) بحمد الله وتوفيقه.

تفسيراً وإعراباً والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

وهي مدنية، قال ابن الجوزي: إلا آيتين في آخرها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ إلخ فإنها نزلت بمكة، وهي آخر سور القرآن الكريم نزولاً، وهي: مئة وتسع وعشرون آية، وأربعة آلاف، وثمان وسبعون كلمة، وعشرة آلاف وأربعمئة، وثمان وثمانون حرفاً، ولهذه السورة أسماء عشرة: سورة (التوبة) وسورة براءة، وهذان الاسمان مشهوران والمقشقشة قاله ابن عمر، سميت بذلك؛ لأنها تقشقش من النفاق، أي: تبرئ منه، والمبعثرة؛ لأنها تبعثر عن أخبار المنافقين، وتبحث عنها وتثيرها، والفاضحة، قاله ابن عباس؛ لأنها فضحت المنافقين، وسورة العذاب، قاله حذيفة رضي الله عنه، والمخزية؛ لأن فيها خزي المنافقين، والمدمدمة سميت بذلك؛ لأن فيها هلاك المنافقين، والمشردة، سميت بذلك؛ لأنها شردت جموع المنافقين، وفرقتهم، والمثيرة، سميت بذلك؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين، وكشفت أحوالهم، وهتكت أستارهم. انتهى خازن. وزيد المنكلة، والمنقرة، والحافرة، والبحوث، وغير ذلك.

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: قلت لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سورة (التوبة) قال: بل هي الفاضحة، ما زالت تقول، ومنهم، ومنهم، ومنهم... حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة (الأنفال)، قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة (الحشر)، قال: بل سورة بني النضير. أخرجاه في الصحيحين. انتهى. خازن.

تنبيه: لقد اختلف بسبب ترك التسمية في أول هذه السورة الكريمة، وها أنذا أنقل لك ما كتبه الخازن في هذا الصدد: فعن محمد بن الحنفية ـ رضي الله عنهما ـ قال: قلت لأبي، يعني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لِمَ لم تكتبوا في براءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟ قال: يا بني إن براءة نزلت بالسيف، وإن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أمان، وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين، وقال المبرد: لم تفتح هذه السورة الشريفة بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ لأن التسمية افتتاح للخير، وأول هذه السورة وعيد، ونقض عهود، فلذلك لم تفتح بالتسمية.

وسئل أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن هذا، فقال: إنها نزلت في آخر القرآن، وكان رسول الله ﷺ يأمر في كل سورة بكتابة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ولم يأمر في براءة بذلك، فضمت إلى الأنفال لشبهها بها، وقيل: إن الصحابة اختلفوا في أن سورة (الأنفال)،

وسورة براءة هل هما سورة واحدة، أو سورتان، فقال بعضهم: سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال، ومجموعهما معاً مئتان وثمانون آية، فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال، وقال بعضهم: هما سورتان، فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة، تنبيهاً على قول من يقول: إنهما سورتان، ولم يكتبوا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وتنبيهاً على قول من يقول: هما سورة واحدة. انتهى. خازن.

وقيل: كان النبي ﷺ إذا نزلت عليه سورة، أو آية بين موضعها، وتوفي؛ ولم يبين موضعها، وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال، وتناسبها؛ لأن في الأنفال ذكر العهود، وفي براءة نبذها، فضمت إليها. انتهى. بيضاوي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١﴾

الشرح: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: أصل البراءة في اللغة: انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، فأنا بريء منه، أي: انقطعت بيننا العصمة، ولم يبق بيننا علقة، وقيل: معناه التباعد مما تكره مجاورته، وانظر شرح ﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (الأنفال). ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: إلى الذين عاهدهم رسول الله ﷺ؛ لأنه كان المتولي للعقود، وأصحابه جميعهم راضون بذلك، فكأنهم عاقدوا، وعاهدوا فنسب العقد إليهم، وكانت هذه البراءة بعد أن نكث المشركون، ما عاهدوا عليه النبي ﷺ، فإنهم نكثوا إلا أناساً منهم: بنو ضمرة وبنو كنانة، فأمرهم الله بنبذ العهد، إلى الناكثين، وإمهال من لم ينكث من المشركين أربعة أشهر، وهو نص الآية التالية.

الإعراب: ﴿بَرَآءَةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه براءة. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ ﴿بَرَآءَةٌ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَرَسُولِهِۦٓ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بما تعلق به ما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: عاهدتموهم. ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، هذا؛ وجوز اعتبار ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ وسوغ الابتداء بالنكرة وصفها كما رأيت، هذا؛ وقرئ بنصب: (براءة) على تقدير: اسمعوا، أو التزموا براءة، ففيه معنى الإغراء.

﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَسِيحُواْ﴾: سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين بحرب، ولا سلب، ولا قتل، ولا أسر. ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم؛ لأن الآية نزلت في شوال، وقيل: هي عشرون من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر؛ لأن التبليغ كان يوم النحر، كما ستعرفه، وانظر شرح الأشهر في الآية رقم [٣٧]. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: اعتقدوا وتيقنوا: أنكم لا تعجزون الله، ولا تفوتونه، واعتقدوا أن الله مذل الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، والعذاب في الآخرة، وانظر شرح ﴿كَفَرُواْ﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف)، هذا؛ و﴿غَيْرُ﴾ اسم شديد الإبهام، ولا يتعرف بالإضافة لمعرفة وغيرها، وهو ملازم للإضافة، ويجوز أن يقطع عنها، إن فهم المعنى، أو تقدمت كلمة ليس عليها، يقال: قبضت عشرة ليس غير، وهو مبني على الضم، أو الفتح خلاف، وإن أردت الزيادة فانظر مبحثها في كتابنا: «فتح القريب المجيب».

تنبيه: لقد اختلف العلماء في هذا التأجيل، وفي هؤلاء الذين برئ الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فقال مجاهد: هذا التأجيل من الله للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدته أكثر حطه إليها، ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حدَّه بها، ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله، يقتل حيث أدرك، ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان، وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر، وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر في السنة التاسعة للهجرة على المعتمد.

وكان النبي ﷺ قد أراد الحج، فقيل له: إن المشركين يحضرون، ويطوفون بالبيت عراة، فقال: «**لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك**». فبعث أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ في تلك السنة أميراً على الحج، ثم بعد مسيره بأيام نزلت الآيات من أول سورة براءة، فبعث بها مع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على ناقته العضباء ليقرأ الآيات على الناس، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى، وعرفة: أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله من كل مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فقيل له: لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يبلغ عني إلا رجل مني، فلما قرب علي رضي الله عنه سمع أبو بكر رضي الله عنه الرغاء، فوقف، وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ، فلما لحقه، قال: أمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور، فلما كان يوم التروية، خطب أبو بكر الناس، وعلمهم مناسكهم، ووقف علي يوم النحر عند جمرة العقبة، وقال: يا أيها الناس! إني رسول الله إليكم. قالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم الآيات من أول سورة براءة ثلاثين أو أربعين، ثم قال: أمرت بأربع:

أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، وأن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد، فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد، فأجله أربعة أشهر، وهذا يخالف ما روي عن مجاهد.

تنبيه: بَعْثُ النبيِّ ﷺ علياً رضي الله عنه ليبلغ ما ذكر، ليس عزلاً لأبي بكر رضي الله عنه عن إمارة الحج ذلك العام، ولا دليل فيه على فضل علي على أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ، وإنما كان هذا البعث والتولي جارياً على عادة العرب أن لا يتولى تقرير العهد، أو نقضه إلا سيد القبيلة وعظيمها، أو رجل من أقاربه، وكان علي رضي الله عنه أقرب الناس إلى النبي ﷺ، فبعثه الرسول لهذا السبب، ولئلا يقولوا: هذا على خلاف ما نعرفه عن عادتنا في عهد العهود ونقضها انتهى. بيضاوي وخازن بتصرف كبير. هذا؛ ولا تنس أن في الكلام التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب، وأيضاً من خطاب إلى خطاب آخر، انظر الالتفات في الآية رقم [٦] من سورة (الأنعام) فإنه جيد. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿فَسِيحُواْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سيحوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مقولة لقول محذوف، إذ التقدير: قل لهم: سيحوا... إلخ، وهذه الجملة مستأنفة لا محل لها. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَرْبَعَةَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و﴿أَرْبَعَةَ﴾: مضاف، و﴿أَشْهُرٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: إعرابه مثل سابقه. ﴿أَنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿غَيْرُ﴾: خبر (أن)، وهو مضاف، و﴿مُعْجِزِى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿مُعْجِزِى﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل (اعلموا)، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وأيضاً المصدر المؤول من ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مثله، هذا؛ و﴿مُخْزِى﴾ خبر (أن) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وهو مضاف، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مضاف إليه... إلخ، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَذَٰنٌ﴾: إعلام، والأذان، من الإيذان، كالأمان من الإيمان، والعطاء من

الإعطاء. ﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: انظر الآية رقم [١] (الأنفال). ﴿ٱلنَّاسِ﴾: انظر الآية رقم [٨٢] (الأعراف). ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: يوم عيد الأضحى؛ لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله أو المراد به يوم عرفة؛ لأن الوقوف فيها أهم أركان الحج وأفعاله، ووصف الحج بالأكبر؛ لأن العمرة تسمى الحج الأصغر، أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون، ووافق عيده عيد أهل الكتاب، أو لأنه ظهر فيه عزُّ المسلمين، وذلُّ المشركين كما رأيت في الآية السابقة. ﴿بَرِيٓءٌ﴾: انظر شرح براءة في الآية رقم [١]. ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الذين اتخذوا معه إلهاً آخر من حجر، أو شخص، أو حيوان، وغير ذلك.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ أي: هو بريء أيضاً من المشركين، وعهودهم. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر، والغدر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: فالتوبة خير لكم، وانظر شرح ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [١٢] من سورة (الأعراف). ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التوبة من الكفر، وأعرضتم عن الإيمان بالله ورسوله. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٢]. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ إلخ: أصل البشارة أن تكون بما يسر المخبر به، وقد تستعمل بالشر وبما يسوء على سبيل التهكم والاستهزاء، وهو ما في الآية الكريمة، ومثلها كثير. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٨] من سورة (النحل)، إن أردت الزيادة، وانظر ﴿كَفَرُوا۟﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف). وفي الكلام التفات كما ترى.

الإعراب: ﴿وَأَذَٰنٌ﴾: الواو: حرف عطف. (أذان): خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا أذان: أو قل: الآيات الآتي ذكرها (أذان). ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (أذان)، أو هما متعلقان به؛ لأنه مصدر. و﴿وَرَسُولِهِۦٓ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بما تعلق به ما قبلهما. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما تعلق به الجار والمجرور قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَجِّ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾: صفة ﴿ٱلْحَجِّ﴾، هذا؛ وقيل: إن يوم متعلق بصفة: (أذان) المحذوفة، ولا يحسن أن يتعلق بـ (أذان)؛ لأنه وصف، فخرج عن حكم الفعل، وقيل: متعلق بـ ﴿مُخْزِى﴾، وفيه بعد، هذا؛ ويجوز اعتبار (أذان) مبتدأ، و﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ متعلقان بمحذوف خبره، و﴿يَوْمَ﴾ متعلق بالخبر المحذوف أيضاً، وعلى الاعتبارين في (أذان) فالجملة الاسمية معطوفة على قوله ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ لا محل لها، الأولى بالابتداء، والثانية بالاتباع، هذا؛ والمصدر المؤول من ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف مقدر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة: (أذان) على الوجه الأول فيه، ومتعلقان بمحذوف خبره على الوجه الثاني فيه، وينبغي أن تلاحظ: أن الصفة قد تعددت وهي شبه جملة على الوجه الأول، وأن الخبر قد تعدد، وهو شبه جملة على الوجه الثاني، هذا؛ وقرئ بكسر همزة: (إنَّ)، فتكون الجملة تعليلاً لما تقدم أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾: (رسوله): بالرفع فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو معطوف على الضمير المستتر في: بريء، وما بينهما يجري مجرى التوكيد؛ فلذا ساغ العطف، والثاني: هو مبتدأ محذوف خبره، التقدير: ورسوله بريء أيضاً، والثالث: هو معطوف على محل اسم (أنَّ)، وهو عند المحققين غير جائز؛ لأن المفتوحة لها موضع غير الابتداء بخلاف المكسورة، وقرئ بالنصب من وجهين: أحدهما: العطف على اسم (أنَّ)، وثانيهما: على أنه مفعول معه، والواو بمعنى مع، وقرئ شاذاً بالجر على إرادة القسم، وحذف جوابه لفهم المعنى. وقيل: على الجوار، كما أنهم نعتوا أو أكدوا على الجوار، كما رأيت في الآية رقم [٧] من سورة (المائدة). ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. ﴿فَإِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تُبۡتُمۡ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال؛ لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيۡرٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَّكُمۡ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيۡرٞ﴾، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مفرع عما قبله لا محل له من الإعراب، وما بعده معطوف عليه، وإعرابه مثله، ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾: إعراب هذه الجملة مثل الآية رقم [٢]. ﴿وَبَشِّرِ﴾: أمر، وفاعله أنت. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلته. ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفته، وجملة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، والعطف لا يؤيده المعنى.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾

الشرح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ...﴾ إلخ: المراد بهؤلاء بنو ضمرة - حي من كنانة - فقد أمر الله رسوله والمؤمنين بإتمام عهدهم، إلى تمام مدته، وكان قد بقي من ذلك تسعة أشهر، والسبب فيه أن هؤلاء القوم لم ينقضوا العهد، ولم يعاونوا أحداً على الرسول ﷺ، وإذا كان ذلك واقعاً منهم؛ فلا يعاملون معاملة الناكثين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، انظر هذا الحب في الآية رقم [٥٩] الأنفال، هذا؛ وقرئ (ينقضوكم) بالضاد، أي: لم ينقضوا العهد الذي بينكم وبينهم، هذا؛ وانظر ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿يَنقُصُوكُمۡ﴾: انظر (زاد) في الآية رقم [٦٩] الأعراف. ﴿شَيۡـٔٗا﴾: انظر الآية رقم [٨٥] (الأعراف). ﴿أَحَدٗا﴾: انظر الآية رقم [٨٠] (الأعراف). ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الأنفال). ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب على الاستثناء من المشركين، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف، إذ التقدير: عاهدتموهم... ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَنقُصُوكُمْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به ثان، وقيل: نائب مفعول مطلق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وكذلك جملة: ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ معطوفة عليها لا محل لها أيضاً. ﴿فَأَتِمُّوٓا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. ﴿فَأَتِمُّوٓا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عَهْدَهُمْ﴾: مفعول به. ﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال مما قبلهما، التقدير: ممتداً إلى مدتهم، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منهم فأتموا... إلخ، هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، واعتبار: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبره، وتكون الجملة الاسمية في محل نصب على الاستثناء من الكلام المتقدم، والإعراب الأول أقوى وأولى. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل لما أمروا به من وفاء العهود، وإتمام المدة للذين لم ينقضوا العهود. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: إذا انتهت، وانقضت الأشهر الحرم، وقد اختلف في الأشهر الحرم، فقيل: هم خمسون يوماً منها عشرون من شهر ذي الحجة والمحرم، والمعتمد: أنها أربعة أشهر، وهي المدة التي ضربها الله للمشركين فيما رأيت، وسميت حرماً مع كون صفر وربيع ليسا من الحرم لتحريم قتل المشركين فيها، ومنحهم فرصة التأمل، والتفكر لعلهم يثوبون إلى رشدهم، ويدخلون في دين الله أفواجاً، وهذا هو الذي حصل بعدئذ. هذا؛ والانسلاخ في الأصل: الكشط، والنزع، ومنه سلخت جلد الشاة، فانسلخ، فقد استعير الانسلاخ لمضي الأشهر وانقضائها، كما استعير في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ للإزالة،

وكشف النهار من الليل وإيضاحه. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: المراد بالمشركين هنا عبدة الأوثان يستثنى منهم الأطفال، والشيوخ، والغرض من ذلك تطهير الجزيرة العربية من عبادة الأوثان، وأما الكفرة من يهود ونصارى فيقرون بالجزية، كما فعل الرسول ﷺ بأهل خيبر وغيرهم، و﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي: في حل أو حرم، ولو في جوف الكعبة. ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي: خذوهم أسرى. ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾: احبسوهم، أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام. ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: كل طريق، والمرصد في الأصل: الموضع الذي يرقب فيه العدو، وهو هنا اسم مكان. ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾: عن الشرك، ورجعوا إلى الإيمان. ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾: فدعوهم، ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك، وفيه دليل على أن تارك الصلاة، ومانع الزكاة، لا يخلى سبيله. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفور لمن تاب ورجع عن الشرك إلى الإيمان؛ لأن الإسلام يجب ما قبله. ﴿رَحِيمٌ﴾: بأهل طاعته وأوليائه. هذا؛ والأشهر جمع: شهر، ويجمع أيضاً على شهور، وسمي الشهر شهراً لشهرته برؤية القمر في أوله. ﴿حَيْثُ﴾: انظر الآية رقم [٢٧] الأعراف. ﴿وَخُذُوهُمْ﴾: انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤٥] (الأعراف). ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوها في أوقاتها، وحافظوا على طهارتها، وركوعها وسجودها وخشوعها، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل، يقال عنه: صلى ولا يقال: أقام الصلاة، هذا؛ والصلاة في اللغة: الدعاء والتضرع، وهي في الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة، مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، ولها أركان، وشروط، ومبطلات، ومكروهات مذكورة في الفقه الإسلامي، والصلاة من العبد معناها: التضرع والدعاء، ومن الملائكة على العبد معناها الاستغفار، ومن الله على عباده: الرحمة وإنزال البركات، وقد جمعت الأنواع الثلاثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ والزكاة في اللغة: التطهير، والإصلاح، والنماء، وفي الاصطلاح: اسم لما يخرج عن مال، أو بدن على وجه مخصوص، وتدفع لأشخاص مخصوصين مذكورين في الآية رقم [٦١] وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢] الآتية. ﴿سَبِيلَهُمْ﴾: انظر [١٤٢] من سورة (الأعراف). ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: صيغتا مبالغة.

تنبيه: قال الحسن بن الفضل: نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الإعراض عن المشركين، والصبر على أذى الأعداء.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب. ﴿انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿الْحُرُمُ﴾: صفة ﴿الْأَشْهُرُ﴾. ﴿فَاقْتُلُوا﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (اقتلوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿اسْجُدُوا﴾ في الآية رقم [١١]

(الأعراف). ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ فتولدت واو الإشباع، والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، وجملة: ﴿فَٱقْتُلُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب. ﴿وَخُذُوهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وإعرابه مثل إعراب: ﴿فَٱقْتُلُوا۟...﴾ إلخ، والجملة معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثله، وأيضاً جملة: ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ﴾ معطوفتان على جواب (إذا) لا محل لهما مثله. ﴿كُلَّ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، وقيل: هو منصوب بنزع الخافض، التقدير: على كل، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿مَرْصَدٍ﴾: مضاف إليه ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ إعرابه مثل إعراب: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ في الآية رقم [٤] وجملة: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوفتان على جملة فعل الشرط لا محل لهما مثلها، وجملة: ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و﴿إِنَّ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليل للأمر لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾

الشرح: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: وإن استأمنك يا محمد أحد المشركين الذين أمرت بقتالهم، وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، ليسمع كلام الله الذي أنزل عليك، وهو القرآن، فأجره حتى يسمع كلام الله، ويعرف ما له من الثواب إن آمن، وما عليه من العقاب إن أصر على الكفر، ثم أبلغه مأمنه؛ أي: إن لم يسلم أوْصِلْه إلى الموضع الذي يأمن فيه، وهو دار قومه، وإن قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه؛ فاقتله. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾: ما الإيمان، وما حقيقة ما تدعوهم إليه، فلا بد من أمانهم، ريثما يسمعون ويتدبرون، قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة، أي: باق حكمها.

هذا، وانظر شرح ﴿أَحَدٌ﴾ في الآية رقم [٨٠] من سورة (الأعراف). ﴿يَسْمَعَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٠] منها. ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [١٤٤] منها. ﴿قَوْمٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٢] منها. ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعرفون، وانظر الآية رقم [٦١] (الأنفال).

الإعراب: ﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَحَدٌ﴾: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده. ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَحَدٌ﴾.

﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿أَحَدٌ﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية مفسرة لا محل لها، وهذا عند البصريين، وأما الكوفيون فيجيزون أن يكون ﴿أَحَدٌ﴾ فاعلاً مقدماً بالفعل بعده. انظر الشاهد [٩٩٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» تجد ما يسرك. ﴿فَأَجِرْهُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أجره): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَسْمَعَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدٌ﴾. ﴿كَلَٰمَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل أجره. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَبْلِغْهُ﴾: فعل ومفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة جواب الشرط. ﴿مَأْمَنَهُۥ﴾: مفعول به ثان، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها. ﴿قَوْمٌ﴾: خبرها، وجملة: ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع صفة ﴿قَوْمٌ﴾، و(أنّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾: استبعاد أن يكون للمشركين عهد وأمان من الله ورسوله، ولا ينكثون؛ لأن قلوبهم تغلي حقداً وحسداً، وهم مطبوعون على خلف الوعود، ونقض العهود، وهذا هو الذي حصل من المشركين فقد نقض كفار قريش العهد الذي أبرموه مع الرسول ﷺ في الحديبية، نقضوه بإعانة بني بكر حلفائهم على بني خزاعة حلفاء الرسول ﷺ. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: وهم بنو ضمرة، فهم ثابتون على عهدهم، ووفائهم، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ أي: ما داموا محافظين على عهودهم، ومواثيقهم فأتموا إليهم المدة المبرمة بينكم وبينهم، وهو ما أفادته الآية رقم [٥]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: يخافون الله، فيفون بالوعود، ويتممون العهود التي يبرمونها، وانظر الآية رقم [٥٩] الأنفال. ﴿عَهْدٌ﴾: انظر الآية رقم [١٠٢] من سورة (الأعراف). ووصف الله الكعبة بـ ﴿ٱلْحَرَامِ﴾ تنويهاً بشأنها، ورفعة لقدرها، وتعظيماً لحرمتها.

الإعراب: ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام، واستبعاد، مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿يَكُونُ﴾ تقدم عليها وعلى اسمها، أو خبر: ﴿يَكُونُ﴾ الجار والمجرور: ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أو الخبر متعلق الظرف: ﴿عِندَ﴾ وهو على الاعتبارين الأولين متعلق بمحذوف صفة: ﴿عَهْدٌ﴾، أو هو متعلق به؛ لأنه مصدر، أو هو متعلق بالفعل ﴿يَكُونُ﴾، و﴿كَيْفَ﴾ على الاعتبارين الآخرين في محل نصب حال من عهد، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً»، هذا؛ وجوز اعتبار ﴿يَكُونُ﴾ تاماً، فيكون ﴿عَهْدٌ﴾ فاعلاً به، و﴿كَيْفَ﴾ حالاً منه، والظرف والجار والمجرور متعلقان بالفعل، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَعِندَ رَسُولِهِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، أو هي حرف حصر. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه في محل نصب على الاستثناء من المشركين. الثاني: أنه في محل جر بدل من المشركين. والثالث: أنه في محل رفع مبتدأ؛ وعليه فالاستثناء منقطع، وهو بمعنى: لكن الذين، والجملة الفعلية بعد الموصول صلته، والعائد محذوف، التقدير: عاهدتموهم. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿الْمَسْجِدِ﴾: مضاف إليه. ﴿الْحَرَامِ﴾: صفة ﴿الْمَسْجِدِ﴾. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف تفريع، أو هي زائدة. (مَا): ظرفية مصدرية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بفعل الأمر الآتي، التقدير: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. ﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا حصل منهم ثبات على العهد ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، و﴿اسْتَقَامُوا﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، و(استقيموا) أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿قَالُوا﴾ في الآية رقم [٥] الأعراف، والشرط المقدر ومدخوله معطوف على ما قبله، هذا؛ وجوز اعتبار (ما) اسم شرط جازماً. وفي محلها وجهان: أحدهما: أنها في محل نصب على الظرف الزماني، التقدير: أيَّ زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم، والثاني: أنها في محل رفع بالابتداء، وفي الخبر الاختلاف الذي رأيته في الآية رقم [١٣] الأنفال، ويحتاج الكلام إلى تقدير رابط، أي: أيَّ زمان استقاموا لكم فيه، هذا؛ والجملة الشرطية في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿الَّذِينَ﴾ على وجه رأيته فيه، وتكون الفاء زائدة؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥] وهي مفيدة للتعليل.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿كَيْفَ﴾: فالفعل بعده محذوف؛ إذ الأصل: كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله ورسوله؟! ومثل هذه الآية قول كعب الغنوي في مرثية أخيه مع صاحبيه: [الطويل]

لَعَمْرُ أَبِي إِنَّ البَعِيدَ الَّذِي مَضَى وإِنَّ الَّذي يأتي غداً لَقَرِيبُ
وخَبَّرْتُماني أَنَّمَا المَوْتُ بالقُرَى فكَيْفَ، وهَاتَا هضبةٌ وقليبُ؟

إذ التقدير: فكيف مات أخي في هذا الموضع، وهو برية، فقد أعاد سبحانه التعجب من أن يكون لهم عهد مع خبث أعمالهم. ﴿وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾: معناه وإن يغلبوكم ويتمكنوا من قتلكم لا يراعوا فيكم إِلّاً ولا ذمة، هذا؛ والإِلُّ: القرابة، أو الرحم، وقال قتادة: هو الحلف، وبمعنى القرابة، قال حسان رضي الله عنه: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ

الإِلُّ: القرابة، والسقب: حوار الناقة، والرأل: ولد النعام، يريد: أنه لا قرابة بينك وبينهم، كما أنه لا قرابة بين السقب وولد النعام. ﴿ذِمَّةً﴾: عهداً أو حقاً، هذا؛ وقيل: الإِلُّ: الإله، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب: إن هذا الكلام لم يخرج من إِلٍّ، أي: من الله، وعلى هذا القول يكون معنى الآية: لا يرقبون الله فيكم، ولا يحفظونه، ولا يراعونه، وفي القاموس: الإل بالكسر العهد، والحلف، وموضع، والجؤار، والقرابة والمعدن، والحقد، والعداوة، والربوبية، واسم الله تعالى، والرضا، والأمان، والجزع عند المصيبة. انتهى. فظهر لك: أنه يستعمل في الأضداد. ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلك بوعد الإيمان والطاعة، والوفاء بالعهد، وهم يبطنون الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليكم، هذا؛ و(تأبى) من الإباء، وهو الامتناع، أو أشده، وإباء الله: قضاؤه ألا يكون الأمر، أو عدم قضائه أن يكون، كما في الآية رقم [٣٣] الآتية، هذا؛ ويكون متعدياً إذا كان بمعنى كره، ولازماً إن كان بمعنى امتنع، وهذا الفعل يتضمن النفي والإيجاب؛ لأنه بمعنى لا يقبل إلا... إلخ، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: مارقون خارجون عن طاعة الله متمردون، لا عقيدة تردعهم، ولا مروءة تزجرهم، وانظر الآية رقم [٤٥] (الأعراف). وكل كافر فاسق.

الإعراب: ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الحال عامله وصاحبه محذوفان. انظر الشرح. ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال، (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَظْهَرُواْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْقُبُواْ﴾: جواب الشرط مجزوم، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿فِيكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلًّا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿ذِمَّةً﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَا يَرْقُبُواْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا

الفجائية، و(إن) ومدخولها في محل نصب حال من الضمير الموجود في الجملة المحذوفة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿يُرْضُونَكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَتَأْبَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: استبدلوا، والاشتراء: استبدال عين مرئية بعوض معلوم، فقد استعاره لإعراض الكفار عن الإيمان، ورضاهم بالكفر. ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: المراد بها: القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، وانظر الآية رقم [٩] (الأعراف). ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عوضاً يسيراً، وهو اتباع الأهواء والشهوات، وقيل: نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ بسبب أكلة أطعمهم إياها أبو سفيان، وطلب منهم ذلك فأجابوه، هذا؛ والدنيا كلها ثمن قليل بجانب الآخرة. ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: منعوا الناس من الدخول في دين الإسلام، وانظر ﴿يَصُدُّونَ﴾ في الآية رقم [٤٥] من سورة (الأعراف). ﴿سَآءَ﴾: يجوز فيه أن يكون على بابه من التصرف والتعدي، ومفعوله محذوف، أي: ساءهم الذي كانوا يعملونه، أو عملهم، وأن يكون جارياً مجرى بئس، فيحول إلى فعل بالضم، ويمتنع تصرفه، ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم، محذوفاً كما تقرر غير مرة. انتهى جمل نقلاً عن السمين. وانظر مثل إعلال ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ في الآية رقم [١٣٨] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ثَمَنًا﴾: مفعول به. ﴿قَلِيلًا﴾: صفته، وجملة: ﴿ٱشْتَرَوْا۟...﴾ إلخ ابتدائية أو مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر فيه وجوباً فسره التمييز، وهو ﴿مَا﴾ فإنها نكرة موصوفة بمعنى شيئاً مبنية على السكون في محل نصب، والجملة بعدها صفتها، والرابط محذوف، التقدير: ساء الشيء شيئاً كانوا يعملونه، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير:

المذموم عملهم، وهذا الإعراب على اعتبار الفعل جامداً، وأما على اعتباره متصرفاً، فمفعوله محذوف، التقدير: ساءهم، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعله، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: ساءهم الذي، أو شيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم عملهم. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿سَاءَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: المعنى إن هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهداً، ولا ذمة، ولا قرابة، فمن قدروا عليه قتلوه، وأولئك هم المتجاوزون حدود الله بنقض العهود، والكفر، وتحليل ما حرم الله ورسوله، وليس في الكلام تكرير لأن الأول يشمل المشركين والكافرين، والثاني يخص اليهود الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، حيث باعوا حجج الله وبيانه بطلب الرياسة، وجمع حطام الدنيا الفاني.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْقُبُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿فِي مُؤْمِنٍ﴾: متعلقان به. ﴿إِلًّا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿ذِمَّةً﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، والاستئناف ممكن. الواو: واو الحال. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿الْمُعْتَدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿هُمُ﴾ مبتدأ ثانياً، و﴿الْمُعْتَدُونَ﴾: خبره، فتكون الجملة الاسمية خبر (أولئك)، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية فهي في محل نصب حال مثلها، وإن اعتبرتها حالاً ثانية من واو الجماعة في الآية السابقة؛ فلست مفنداً، والاستئناف ممكن. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ أي: عن الكفر، وآمنوا بالله ورسوله. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: انظر الآية رقم [٦]. ﴿الدِّينِ﴾: انظر الآية رقم [١٦٢] من سورة (الأنعام). ﴿وَنُفَصِّلُ

﴿ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: نبين حجج أدلتنا، ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك، ويفهمه، والعلم هنا بمعنى المعرفة، انظر الآية رقم [٦١] الأنفال. هذا؛ وخصَّ الله الذين يعلمون بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالبيان والتوضيح، وانظر (نا) في الآية رقم [٧] (الأعراف).

تنبيه: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أمرتم بالصلاة، والزكاة، فمن لم يزك؛ فلا صلاة له، وقال ابن زيد: افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرق الله بينهما، وأبى أن يقبل الصلاة، إلا بالزكاة، وقال: يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه، يعني بذلك ما ذكره أبو بكر رضي الله عنه في حق من منع الزكاة، وهو قوله: «والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما» يعني: الصلاة والزكاة. انتهى. خازن.

ومن القرطبي: وفي حديث أن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ فَرَّقَ بينَ ثلاثٍ فرَّقَ اللهُ بيْنَهُ وبيْنَ رحمتِهِ يَوْمَ الْقِيامةِ: مَنْ قالَ: أَطِيعُ اللهَ ولا أُطِيعُ الرَّسولَ، والله يقولُ** ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ **ومَنْ قال: أقيمُ الصلاةَ، ولا أوتِي الزكاة، والله تعالى يقول** ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **ومَنْ فرق بين شكر الله وشكر والديه، والله عز وجل يقول** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾». انتهى. وانظر جزاء مانعي الزكاة في الآية رقم [٣٥] و[٣٦] الآتيتين، وانظر شرح الصلاة والزكاة في رقم [٥].

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. إن: حرف شرط جازم. ﴿تَابُوا۟﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، والجملتان بعدها معطوفتان عليها. ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إخوانكم): خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهم إخوانكم، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَنُفَصِّلُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع وفاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿لِقَوْمٍ﴾، وجملة: ﴿وَنُفَصِّلُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي: إن نقض الكفار ما بايعوا عليه من الأيمان، والوفاء بالعهود، فالنكث: النقض، وهو في الأصل في كل ما فتل، ثم حل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ لذا فقد استعير النقض للأيمان

والعهود استعارة، وانظر الآية رقم [١٠٢] الأعراف. ﴿وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾: عابوا دينكم بصريح التكذيب، وتقبيح الأحكام، أو قدحوا في أصوله وقواعده، هذا؛ ومضارع طعن: يطعُن، بضم عين المضارع في كل ما هو حسي كيطعُن في الرمح ونحوه، وأما المعنوي كيَطْعَنُ في النسب أو في الدين فهو بفتح العين، وأجاز الفراء فتح العين فيه في جميع تصرفاته ومعانيه لمكان حرف الحلق، أي: فهو من الباب الثالث لوجود حرف الحلق فيه، وهو العين. هذا؛ والطعن المعنوي استعارة من الحسي كما هو ظاهر، ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ أي: فقاتلوهم، فوضع الاسم الظاهر مكان الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة، والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل.

وما نقله الخازن عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أن الآية نزلت في زعماء قريش يبعده أن نزولها في السنة التاسعة، وكانت شوكة قريش في تلك السنة قد قضي عليها، فلم يبق منهم إلا مسلم أو مسالم بعد فتح مكة، فعلى هذا يكون كل من نقض العهد، وتبعه غيره في ذلك يكون من أئمة الكفر. ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ﴾ أي: لا عهود لهم بمعنى: لا وفاء لهم بالعهود والمواثيق، وقرئ بكسر الهمزة بمعنى: لا دين لهم ولا تصديق، وهو بفتح الهمزة جمع: يمين، والمراد به: الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه، واليمين أيضاً اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على أيمان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾: عن كفرهم ومعاداتهم للإسلام وأهله، والمعنى: ليكن غرضكم، وغايتكم من قتالهم انتهاءهم عما هم عليه؛ لا مجرد إيذائهم، كما هو شأن المؤذين، وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٥٨] الأنفال. هذا؛ وأئمة جمع: إمام، وهو من يقتدى به في فعل الخير، وقد يكون قدوة في الشر، فهنيئاً للأول، وويل للثاني، والمراد به هنا: زعماء الكفار ورؤساؤهم، وأصله أَأْمِمَة مثل: خباء وأَخْبِيَة، فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة، وأدغمت في الميم الأخرى، فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل، ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها المنقولة إليها، ولا يجوز هنا أن تجعل بين بين، كما جعلت همزة أئذا؛ لأن الكسرة هنا منقولة، وهناك أصلية، ولو خففت الهمزة الثانية هنا على القياس، لكانت ألفاً؛ لانفتاح ما قبلها، ولكن ترك ذلك لتتحرك حركة الميم في الأصل، وفيها ثلاث قراءات مشهورة.

تنبيه: استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين؛ إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين، لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله، واستقامة فروعه، وقال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ عليه القتل. انتهى. قرطبي. أقول: سواء أكان من المسلمين أم من الكافرين يقتل، واختلفوا إذا سبه، ثم أسلم تقية من القتل، فقيل: يسقط بإسلامه قتله؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب، قال الله عز وجل ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ وقيل: لا يسقط الإسلام قتله.

الإعراب: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾: انظر الآية السابقة. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَيۡمَٰنَهُم﴾ أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعۡدِ﴾: مضاف، و﴿عَهۡدِهِمۡ﴾: مضاف إليه، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَئِمَّةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلۡكُفۡرِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس. ﴿أَيۡمَٰنَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح... إلخ، وانظر إعراب: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة (الأنفال) لبقية الإعراب، والجملة الاسمية: ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمۡ...﴾ إلخ تعليل للأمر بالقتال. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٢٦] الأنفال، وهي تعليل أيضاً للقتل.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾: فيه توبيخ، وفيه حض على قتال المشركين الذين نقضوا العهود التي أبرموها مع الرسول ﷺ في الحديبية على أن لا يعاونوا عليهم، فعاونوا حلفاءهم بني بكر على حلفاء الرسول بني خزاعة. ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: من مكة، وذلك كان يوم تآمروا في دار الندوة، كما رأيت في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنفال)، و﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾: وذلك كان يوم بدر؛ لأن النبي ﷺ خرج للعير، ولما أحرزوا عيرهم كان يمكنهم الانصراف والرجوع إلى مكة، فأبوا إلا الوصول إلى بدر، وشرب الخمر فيها، كما رأيت في الآية رقم [٤٨] الأنفال، ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ﴾ أي: أتخافونهم، فتتركوا قتالهم. ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ أي: أحق بالخوف منه، وفي آية (المائدة): ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ هذا؛ والخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، هذا؛ والماضي: خشي، والمصدر خشية، والرجل خَشْيَان، والمرأة خَشْيَا، وهذا المكان أخشى من ذاك، أي: أشد خوفاً، هذا؛ وقد يأتي الفعل (خشي) بمعنى (علم) القلبية، قال الشاعر: [الكامل]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنَّ مَنْ تَبِعَ الْهُدَى سَكَنَ الْجِنَانَ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قالوا: معناه: علمت، وقوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ قال الأخفش: معناه: كرهنا: بعد ما تقدم انظر: ﴿قَوۡمٗا﴾ في الآية رقم [٣٢] (الأعراف). و﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾

في الآية السابقة. ﴿أَوَّلَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٢] (الأعراف)، وانظر إعلال: ﴿تَحْيَوْنَ﴾ في الآية رقم [٢٥] الأعراف. فإعلال ﴿تَخْشَوْهُ﴾ مثله. ﴿كُنتُم﴾: انظر إعلال ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١١] الأعراف فهو مثله، ومعنى ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بوعد الله ووعيده، وانظر الإيمان في الآية رقم [٢] من سورة (الأعراف). هذا؛ و﴿وَهَمُّواْ﴾ قصدوا وأرادوا، والهم: العزم على الشيء وقصده.

هذا؛ والهم أيضاً: الحزن، ومثله الغم، ويفرق بينهما بأن الأول الحزن لأجل تحصيل شيء في المستقبل، والثاني لأجل فوات شيء، وفقدانه في الماضي، وبأن الأول: يطرد النوم، ويسبب الأرق، والثاني: يجلب النوم، ويسبب الهدوء والسكون، والهموم والأحزان، إذا تفاقمت على الإنسان؛ أسرع فيه الشيب، وهزل جسمه، روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**الهمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ**». وقال أبو الطيب المتنبي: [البسيط]

والْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... ويُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ، فَيَهْرَمُ

تنبيه: هذا؛ وقيل: إن المراد بالذين نكثوا العهد اليهود، وهذا دأبهم، فقد نقضوا عهد الرسول ﷺ مراراً كما هو معلوم ومشهور، ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من المدينة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ الآية رقم [٧٦] من سورة (الإسراء)، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالمعاداة، أو المقاتلة؛ لأن النبي ﷺ بدأهم بالدعوة، وإلزام الحجة بالكتاب، والتحدي به، فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة، فما يمنعكم أيها المسلمون أن تعارضوهم وتصادموهم؟ وانظر ما ذكرته في الآية السابقة، وإذا علمت: أن السورة نزلت في السنة التاسعة، بعد ما نقض اليهود العهد قبيلة قبيلة ثبت لك هذا. كما يمكن أن يراد بالآيتين قبائل العرب التي بقيت على كفرها بعد فتح مكة، وقيل: المراد الفرس والروم، وهذا ضعيف، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَا﴾: حرف تحضيض، متضمن معنى التوبيخ. ﴿تُقَاتِلُونَ﴾: فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ في محل نصب صفة: ﴿قَوْمًا﴾، وجملة: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب مثلها، و(إخراج) مضاف، و﴿ٱلرَّسُولِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَدَءُوكُمْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والكاف مفعول به، وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥] (الأعراف) ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان، وهو مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿بَدَءُوكُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها. ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. (تخشونهم): مضارع وفاعله

ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱللَّهُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿أَحَقُّ﴾: خبره. ﴿أَن تَخْشَوْهُ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعله، والهاء: مفعوله، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بـ (خشيتكم)، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿أَحَقُّ﴾ هذا؛ وجوز اعتبار المصدر المؤول في محل رفع بدل اشتمال من المبتدأ، كما جوز اعتباره مبتدأ ثانياً مؤخراً، و﴿أَحَقُّ﴾ خبره مقدماً، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول. والجملة الاسمية: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُم﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف؛ لأنه سبقه ما هو جواب في المعنى. إذ التقدير: إن كنتم مؤمنين؛ فاخشوا الله وحده.

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾: أمر للمؤمنين بالقتال، بعد بيان موجبه، والتوبيخ على تركه، والوعيد عليه. ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: بالقتل والأسر. فهو وعد من العزيز الحكيم بأن ينصر المؤمنين، ويمكنهم من رقاب المشركين. ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾: ويذلهم بما تقدم، وينزل بهم الذل والهوان، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾: يعني بني خزاعة، وقيل: بطوناً من اليمن وسبأ، قدموا مكة، فأسلموا، فلقوا من أهلها أذى شديداً، فشكوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشروا فإن الفرج قريب. انتهى. بيضاوي.

هذا؛ وقال الخازن: ومن المعلوم أن من طال تأذيه من خصمه، ثم مكنه الله منه، فإنه يفرح بذلك، ويعظم سروره، ويصير ذلك سبباً لقوة اليقين، وثبات العزيمة. انتهى. أقول: ﴿وَيَشْفِ﴾ استعارة تصريحية؛ لأن الشفاء في الحقيقة إنما هو للأجسام، واستعماله لشفاء القلوب من غيظها استعارة. ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: انظر الآية رقم [١٠٨] (الأعراف).

الإعراب: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ والواو فاعله، والهاء مفعوله، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] الأعراف. ﴿يُعَذِّبْهُمُ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، التقدير: إن تقاتلوهم يعذبهم، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، وجملة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية.

﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء للثقل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾: معطوف على جواب الطلب مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وأيضاً جملة: ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ...﴾ إلخ معطوفتان عليها لا محل لهما مثلها، والإعراب ظاهر إن شاء الله تعالى.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قلوب بني خزاعة بما نالوه من بني بكر بمساعدة قريش. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ أي: يهدي الله من يشاء إلى الإسلام فيوفقه للتوبة من الشرك، كما فعل بأبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر، فأسلموا يوم فتح مكة. ﴿عَلِيمٌ﴾: بما كان وما سيكون، ويعلم من سبقت له العناية الأزلية بالسعادة الأبدية، فيوفقه لعملها. ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يفعل إلا ما فيه حكمة، أو على وفقها. ﴿يَشَاءُ﴾: انظر الآية رقم [٨٩] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة جواب الطلب لا محل لها مثلها، وهي مثلها في الإعراب. ﴿وَيَتُوبُ﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وقرئ بنصب يتوب على إضمار (أن) بعد واو المعية؛ وعليه تؤول مع الفعل بمصدر معطوف بواو المعية على مصدر متصيد من الأفعال السابقة، ويكون تقدير الكلام: إن تقاتلوا المشركين؛ يكن لهم تعذيب بأيديكم، وخزي لهم، ونصر لكم عليهم، وشفاء لصدور قوم مؤمنين، وتوبة لمن يشاء الله له الخير والسعادة. ﴿عَلَى مَن﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مَن﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: يشاؤه، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها، والحالية ضعيفة هنا.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿حَسِبْتُمْ﴾ ظننتم: خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال، وقيل: هو للمنافقين، وانظر (حسب) في الآية رقم [٥٩] من سورة (الأنفال). ﴿أَن تُتْرَكُوا﴾ أي: من غير أن تبتلوا وتختبروا بما يظهر به المؤمن والمنافق الظهور الذي يستحق به الثواب والعقاب.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾: قال البيضاوي: نفى العلم، وأراد نفي المعلوم للمبالغة، فإنه كالبرهان عليه، من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه، وقال الخازن نقلاً عن الفخر الرازي: أراد بالعلم المعلوم؛ لأن وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله، لا جرم جعل علم الله بوجوده كفاية عن وجود. انتهى، ومثله الآية [١٦٦] و[١٦٧] من سورة (آل عمران). ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: معطوف على ما قبله، وهو داخل في حكمه، وما قيل فيه. ﴿وَلِيجَةً﴾: قال الفراء: هي البطانة من المشركين يتخذونهم، يفشون إليهم أسرارهم، وقال قتادة: وليجة، يعني: خيانة، وقال الضحاك: خديعة، وقال عطاء: أولياء، المعنى: لا تتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين، وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه، فهو وليجة، والرجل يكون في القوم، وليس منهم فهو وليجة من: الولوج. انتهى. خازن، وما أحراك أن تنظر ﴿بِطَانَةً﴾ في الآية رقم [١١٨] من آل عمران وسبب نزول تلك الآية فإنه جيد. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم. هذا؛ وبطانة، ووليجة تكونان للمفرد وغيره من مذكر ومؤنث. ﴿دُونِ﴾: انظر الآية رقم [٣] من سورة (الأعراف). و﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الأنفال).

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وهي بمعنى (بل) التي للإضراب. ﴿حَسِبْتُمْ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] الأعراف. والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُتْرَكُواْ﴾ في محل نصب سد مسد مفعولي حسب، والواو: نائب فاعل، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: أن تتركوا بدون تكليفكم بالقتال الذي كرهتموه. ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: واو الحال. (لما): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَعْلَمِ﴾: مضارع مجزوم بـ(لما)، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، واكتفى ﴿يَعْلَمِ﴾ به لأنه بمعنى يعرف، وجملة: ﴿جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ...﴾ إلخ في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير المجرور محلاً بمن، وجملة: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ فتكون من جملة الصلة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، فتكون حالاً متداخلة. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني إن كان متعدياً لمفعولين، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿وَلِيجَةً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» إن كان الفعل متعدياً لمفعول واحد، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَلَا﴾: زائدة لتأكيد النفي. ﴿رَسُولِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: زائدة لتأكيد النفي. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: معطوف على ما قبله مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه

جمع مذكر سالم... إلخ. ﴿وَلِيجَةً﴾: مفعول به. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿خَبِيرٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، هذا؛ وتحتمل (ما) المصدرية، فتؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿مَا كَانَ﴾: ما صح ولا استقام. ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾: هم عبدة الأوثان. ﴿أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: أن يبنوا المساجد، ويشيدوها، ويقوموا بمصالحها، أو بما يلزم لها من ترميم ونحوه، والمراد جميع المساجد في جميع بقاع الأرض، أو المراد المسجد الحرام، وجمع لأنه قبلة جميع المساجد، وإمامها، فعامره كعامر الجميع، ويؤيده قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ويعقوب: (المسجد) بالإفراد. ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾: وذلك بإظهار الشرك بعبادة الحجارة، وتكذيب الرسول ﷺ، والطواف بالكعبة عراة، وغير ذلك. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: ذهب ثوابها ضياعاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾. ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون لا يبرحون منها أبداً، وانظر الآية رقم [٥٥] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وانظر ﴿مَسْجِدٍ﴾ في الآية رقم [٢٩] (الأعراف)، ويقرأ ﴿يَعْمُرُوا۟﴾ من الثلاثي ومن الرباعي. ﴿أَنفُسِهِم﴾: انظر الآية رقم [٩] (الأعراف). ﴿بِٱلْكُفْرِ﴾: انظر الآية رقم [٦٦] (الأعراف). ﴿ٱلنَّارِ﴾: انظر الآية رقم [١٢] منها أيضاً.

تنبيه: روي: أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر، ومنهم العباس عم رسول الله ﷺ، فأقبل عليهم نفر من الصحابة يعيرونهم بالشرك، وجعل علي رضي الله عنه يوبخ عمه العباس بسبب قتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس ـ رضي الله عنه ـ ما لكم تذكرون مساوينا، وتكتمون محاسننا؟ فقيل له: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم أفضل منكم، نحن نعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، فنزلت الآية الكريمة وما بعدها، فقد أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك؛ لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده، فمن كان كافراً بالله، فليس له أن يعمر مساجد الله.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَعْمُرُوا۟﴾ في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر.

﴿مَسَٰجِدَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿شَٰهِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم﴾: متعلقان بـ ﴿شَٰهِدِينَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْكُفْرِ﴾: متعلقان بـ ﴿شَٰهِدِينَ﴾ أيضاً. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿حَبِطَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾، فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَفِى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بـ ﴿خَٰلِدُونَ﴾ بعدهما. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل وأكرم.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: بعد أن بين الله سبحانه في الآية السابقة: أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد، وهم الجامعون للكمالات العلمية والعملية، ويدخل في عمارتها تزيينها بالفرش، وتنويرها بالسرج، وإدامة العبادة والذكر فيها، ودراسة العلم، وصيانتها عما لم تبن له، كالبيع والشراء، وحديث الدنيا، وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان ثواب عمارها، وزوارها.

فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ بَنَى لله مَسْجِداً صَغِيراً، كَانَ أَوْ كَبِيراً بَنَى الله لَهُ بيْتاً في الجنة**». أخرجه الترمذي، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذَا رأيْتُمُ الرَّجُلَ يعْتادُ المساجِدَ فاشْهَدُوا لَهُ بالإيمانِ، فإنَّ الله عز وجل يقول**: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ **إلخ**». أخرجه الترمذي. ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: في أبواب الدين، فإن الخشية عن المحاذير جبلية، لا يكاد العاقل يتمالك عنها. انتهى. بيضاوي.

وقال القرطبي: إن قيل: ما من مؤمن إلا وقد خشي غير الله، وما زال المؤمنون، والأنبياء يخشون الأعداء، قيل له: المعنى ولم يخش إلا الله مما يعبد، فإن المشركين كانوا يعبدون الأوثان، ويخشونها، ويرجونها، وانظر (خشي) في الآية رقم [١٤]. ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: فعسى من الله لا تفيد الترجي، وإنما هي للوجوب، وانظر (الترجي) في الآية رقم [٥٨] من سورة (الأنفال). ﴿أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: الموفقين لما يحبه الله ويرضاه، هذا؛ واليوم الآخر، هو آخر أيام الدنيا، فيه الحشر، والنشر والحساب، إلى دخول أهل الجنة الجنة، وإلى دخول أهل النار النار، هذا؛ ولم يذكر الإيمان بالرسول؛ لأن تلك الأعمال لا تقبل، إلا ممن آمن به وصدقه.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة مفيدة للحصر. ﴿يَعْمُرُ﴾: مضارع. ﴿مَسَٰجِدَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبنية على السكون في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ﴾ صلة ﴿مَنْ﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوفتان على ما قبلهما على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَخْشَ﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَمْ يَخْشَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿ءَامَنَ﴾، وما عطف عليه، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَعَسَىٰٓ﴾: الفاء: حرف استئناف. (عسى): ماض جامد مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع اسم (عسى)، والكاف حرف خطاب. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَكُونُوا۟﴾: مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق.

﴿مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿يَكُونُوا۟﴾، و﴿أَن يَكُونُوا۟﴾ في تأويل مصدر في محل نصب خبر: (عسى)، وجملة: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾: في الكلام محذوف، التقدير: أجعلتم أصحاب سقاية الحاج مثل من آمن بالله، وجاهد في سبيله؟! أو التقدير: أجعلتم عمل سقي الحاج كعمل من آمن؟! وإنما وجب تقدير المحذوف؛ لأن المصادر لا تشبه بالجثث، أي: الأشخاص؛ لأن السقاية مصدر كالسعاية، والحماية، فجعل الاسم بموضع المصدر؛ إذ علم معناه، مثل: إنما السخاء حاتم، وإنما الشعر زهير، وقرئ (سقاة) و(عمرة) جمع ساق، وعامر، وأصل سقاة: (سُقَيَة) تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وانظر شرح ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ في الآية رقم [٨]. ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٧٢] الأنفال. ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله، وجاهدوا في سبيله بحال من سقى الحاج وعمَّر المسجد الحرام، وهو مقيم على شركه وكفره؛ لأن الله لا يقبل عملاً صالحاً إلا مع الإيمان به. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يوفق الذين ظلموا بأنفسهم بالكفر والمعاصي، وظلموا غيرهم بالاعتداء على حقوقهم، وحرماتهم، وسبق في علم الله الأزلي: أنهم من أهل النار، ولو تركوا وشأنهم، لما اختاروا غير ذلك. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

انظر الآية رقم [١٤٦] (الأنعام). بعد هذا انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨] بشأن نزول هذه الآيات.

الإعراب: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (جعلتم): فعل وفاعل. ﴿سِقَايَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿الْحَاجِّ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: سقايتكم الحاج. ﴿وَعِمَارَةَ﴾: معطوف على ﴿سِقَايَةَ﴾، وهو مضاف، و﴿الْمَسْجِدِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله... إلخ وفاعله محذوف. ﴿الْحَرَامِ﴾: صفة: ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على اللفظ. ﴿كَمَنْ﴾: الكاف: اسم بمعنى مثل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به ثان لـ (جعل)، والكاف: مضاف، و(مَنْ) مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، وجملة: ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ صفة (مَنْ)، أو صلتها، والعائد، أو الرابط: رجوع فاعل (آمنَ) عليها. وجملة: ﴿وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مستأنفة لا محل لها، وجوز اعتبارها حالاً من المفعول الأول، والأول أقوى. ﴿وَاللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿الْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿الظَّالِمِينَ﴾: صفة ﴿الْقَوْمَ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء... إلخ، وجملة: ﴿لَا يَهْدِي...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وقيل: هي تعليل لنفي المساواة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾

الشرح: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: ما أحراك أن تنظر شرح هذه الكلمات بالتفصيل في الآية رقم [٧٢] من سورة (الأنفال). ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾: إن الموصوفين بالصفات المذكورة أرفع درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام، وإنما لمن يذكر القِسْم المرجوح لبيان فضل القِسْم الراجح على من سواهم، والمراد بالدرجة: المنزلة والرفعة عند الله، هذا؛ وقد قال القرطبي: وليس للكافرين درجة عند الله، حتى يقال: المؤمن أعظم درجة، والمراد أنهم قدروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي، فخاطبهم على ما قدروه في أنفسهم، وإن كان التقدير خطأ. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: أي: بالثواب العظيم، ونيل الحسنى عند الله دون الكافرين.

الإعراب: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿آمَنُوا﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وجملة: ﴿آمَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة

الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ معطوفتان على جملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ لا محل لهما مثلها. ﴿أَعْظَمُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿دَرَجَةً﴾: تمييز. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿أَعْظَمُ﴾، أو هو متعلق بمحذوف صفة: ﴿دَرَجَةً﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١١] والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ أي: يبشر الذين آمنوا... إلخ، وانظر الآية رقم [٤]. ﴿رَبُّهُم﴾: انظر الآية رقم [٣] من سورة (الأعراف). ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾: وهذا من أعظم البشارات؛ لأن الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده. ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة، وانظر الآية رقم [٤٠] (الأعراف). ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا ينقطع، والنعيم: لين العيش، ورغده، ومقيم أصله: مؤقوم، انظر إعلاله في الآية رقم [٣] الأنفال والآية رقم [٦٩]، هذا؛ ويقرأ ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بالتشديد والتخفيف.

قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات. الإيمان والهجرة، والجهاد بالنفس والمال، قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث، بدأ: بالرحمة في مقابلة الإيمان؛ لتوقفها عليه، وثنى: بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان، في مقابلة الجهاد بالنفس والمال، ثم ثلث: بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان، إشارة إلى أنهم لما آثروا تركها؛ بدلهم داراً عظيمة دائمة، وهي الجنات. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾: مضارع، والهاء مفعوله. ﴿رَبُّهُم﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِرَحْمَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بمحذوف صفة رحمة، أو هما متعلقان بها. ﴿وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ﴾: معطوفان على (رحمة). ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو هما متعلقان بـ ﴿مُّقِيمٌ﴾ بعدهما. ﴿نَعِيمٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مُّقِيمٌ﴾: صفة ﴿نَعِيمٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَّهُمْ فِيهَا...﴾ إلخ في محل جر صفة (جَنَّاتٍ)، وجملة: ﴿يُبَشِّرُهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم. وأجل، وأكرم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: مقيمين لا يبرحون منها. ﴿فِيهَآ﴾: في الجنات. ﴿أَبَدًاۚ﴾: الأبد: هو الزمان الطويل الذي ليس له حد، فإذا قلت: لا أكلمك أبداً، فالأبد من وقت التكلم إلى آخر

العمر، هذا؛ وقيد سبحانه الخلود بالأبد حتى لا يفهم منه المكث الطويل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لمن آمن به وبرسوله، وعمل بطاعته وجاهد في سبيله.

الإعراب: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الضمير المجرور باللام منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿أَبَدًاۚ﴾: ظرف زمان متعلق به أيضاً. ﴿عِندَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجۡرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل، أو مستأنفة لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ: ظاهر هذه الآية: أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وروت فرقة: أن هذه الآية إنما نزلت في الحض على الهجرة، ورفض بلاد الكفرة، فالمخاطبة على هذا إنما هي للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب. انتهى. قرطبي.

أقول: خصوص السبب لا يمنع التعميم أبداً، وأحكام القرآن أغلبها نزل في سبب، وهي باقية إلى يوم القيامة بلا ريب وبلا شك. ولم يذكر الأبناء في هذه الآية؛ لأنهم تبع للآباء في الأغلب. ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم، وتؤثرون المقام معهم على الهجرة، وانظر الآية [٣] (الأعراف). ﴿ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾: أحبوا واختاروا الكفر على الإيمان، وانظر ﴿كَفَرُواْ﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف). و﴿ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ في الآية رقم [١] منها. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: يعني: ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد، فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله، واختيار الكفار على المؤمنين، وقال ابن عباس: هو مشرك مثلهم؛ لأن من رضي بالشرك فهو مشرك، هذا؛ والرضا بالمعصية معصية أيضاً، ولا تنس مراعاة لفظ (من) في الفاعل، ومعناها في الإشارة.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في المهاجرين، فإنهم لما أمروا بالهجرة، قالوا: إن هاجرنا قطعنا آباءنا، وإخواننا، وعشائرنا، وذهبت تجارتنا، وبقينا ضائعين.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض

عن المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من أي، وانظر الآية رقم [١٥٨] (الأعراف) ففيها بحث جيد، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَابَآءَكُمْ﴾: مفعول به أول. ﴿وَإِخْوَٰنَكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف: في محل جر بالإضافة، والميم: علامة جمع الذكور. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿إِنِ﴾: حرف شرط جازم. ﴿ٱسْتَحَبُّواْ﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْكُفْرَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْكُفْرَ﴾، التقدير: مفضلاً على الإيمان، وجملة: ﴿ٱسْتَحَبُّواْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. التقدير: إن استحبوا... فلا تتخذوهم.. إلخ. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَوَلَّهُم﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (من) تقديره: «هو»، والهاء مفعوله، ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١١] والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا ما تقدم. ﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ...﴾ إلخ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله، أي: لأجلهما. ﴿وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ أي: من أجل إعلاء دينه، وإعزاز نبيه، ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: فانتظروا وترقبوا، فهو تهديد ووعيد. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾: بقضائه وقدره، أي: ما أعده للمتخلفين عن الهجرة، والمخالفين لأوامره وأوامر نبيه. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: انظر الآية رقم [٢٠].

تنبيه: بين الله جلت قدرته: أنه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليماً، وأخبر: أنه إن كانت رعاية المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله، فأنتم مهددون بما تستحقون من الانتقام. (آباء وأبناء): أصلها آباوٌ، وأبناوٌ تبعاً لأصل مفردهما، فقل في إعلالهما: تحركت الواو وانفتح ما قبلهما فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة، ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾: جمع زوج، وانظر الآية رقم [١٩] (الأعراف). ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: وقرئ عشيراتكم، وعشائركم، أي: بالجمع، هذا؛ والعشيرة: أقرباء الإنسان الذين يعيشون معه، ويعاشرونه.

ومن الجدير بالذكر: أن العشيرة آخر طبقة من الطبقات السبع التي عليها العرب، وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ، والفصيلة والعشيرة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعِمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل، والفصيلة تجمع العشائر، وليس بعد العشيرة شيء يوصف عند العرب، واستحدث اسم الأسرة والعائلة لما يشمل الزوج والزوجة وأولادهما الذين يعيشون في دار واحدة، وأخيراً سمع قول العلي القدير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها، واقترف الذنب: عمله، وانظر ﴿وَأَمْوَٰلٌ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنفال). ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: تخافون عدم نفادها وعدم بيعها، ومن الغريب ما نقله القرطبي عن ابن المبارك، أنه قال: هي البنات، والأخوات إذا كسدن في البيت لا يجدن لهن خاطباً، قال الشاعر: [المتقارب]

كَسَدْنَ مِنَ الْفَقْرِ في قَوْمِهِنَّ ... وقَدْ زَادَهُنَّ مَقَامِي كُسُودا

أقول: لم يذكر الشاعر التجارة، وإنما ذكر الكساد وحده، وهو لا يتضمن معنى التجارة لا من قريب، ولا من بعيد. ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ أي: تعبتم في بنائها، وتجدون فيها راحتكم، وسروركم. ﴿أَحَبَّ﴾: أفعل تفضيل، أصله: أحبب، فنقلت فتحة الباء الأولى، إلى الحاء بعد سلب سكونها، ثم أدغمت الباء في الباء، وقد يقال فيه: حب، انظر الآية رقم [١٢] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك.

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [١] الأنفال والآية رقم [١٢] بعد هذا خذ قول الرسول ﷺ: **«لا يَطْعَمُ أحدُكُمْ طَعْمَ الإيمانِ حَتَّى يحِبَّ في الله، ويَبْغَضَ في الله، حتى يُحِبَّ في الله أبعدَ الناسِ، ويَبْغَضَ في الله أقْرَبَ الناسِ إلَيْهِ»**. انتهى. كشاف. ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: الذين يخالفون أوامر الله ورسوله، وانظر الآية رقم [١٤٥] من سورة (الأعراف). ومعنى ﴿لَا يَهْدِى﴾ لا يوفق إلى الإيمان، ولا إلى العمل الصالح، وهذا يرجع إلى علمه الأزلي بأنهم لو تركوا وشأنهم لما

اختاروا غير الفسوق والعصيان، والكفر والضلال، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٩] من سورة (الرعد). وانظر (خشي) في الآية رقم [١٤].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، وما بعده معطوف عليه، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم: علامة جمع الذكور. ﴿ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وانظر إعراب: ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في الآية رقم [٥] والجملة الفعلية في محل رفع صفة (أموال)، وجملة: ﴿تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ في محل رفع صفة: (تجارة)، وجملة: ﴿تَرْضَوْنَهَآ﴾ في محل رفع صفة (مساكن). ﴿أَحَبَّ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: كلاهما متعلق بـ ﴿أَحَبَّ﴾. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَجِهَادٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فِى سَبِيلِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (جهاد)، أو هما متعلقان به لأنه مصدر، وجملة: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَأْتِىَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (تربصوا)، وجملة: ﴿كَانَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى...﴾ إلخ. انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٢٠] إفراداً وجملة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: هذا خطاب للصحابة الكرام، وتذكير لهم بنعم الله عليهم، وانظر مثله في الآية رقم [١٢٣] من سورة (آل عمران). ﴿مَوَاطِنَ﴾: جمع موطن، وهو اسم مكان، والمراد: غزوات الرسول ﷺ، وسراياه التي حصلت في تلك المواطن. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ أي: وموطن يوم حنين، أو يقدر: في أيام مواطن حنين، وذلك ليتناسب المتعاطفان، وحنين: اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: انظر العجب في الآية رقم [٦٣] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك. ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: لم تنفعكم الكثرة في هذه الحرب نفعاً ما. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ

﴿ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي: برحبها: بسعتها، لا تجدون فيها مقرّاً تطمئن إليه نفوسكم، من شدة الرعب، خذ قول الشاعر: [الطويل]

كَأَنَّ بِلَادَ اللهِ، وهْيَ عَرِيضَةٌ عـلى الْخائِفِ الطَّلوبِ كِفَّةُ حابِلِ

هذا؛ و(الرحب) بالضم: السعة، وهو بفتح الراء الواسع، والفعل (رحب) من باب ظرف. ﴿وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ أي: منهزمين أعطيتم ظهوركم لأعدائكم.

تنبيه: الآية الكريمة، وما بعدها متعلقتان بغزوة حنين، وقد حصلت هذه الحرب مع قبيلة هوازن، وساعدهم بنو ثقيف بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وتسليم مقاليدها للرسول ﷺ، فإن قبيلة هوازن لما سمعوا بذلك؛ حشدوا جموعهم مع حلفائهم، وظنوا أنهم يقضون على الرسول العظيم، وعلى أصحابه أجمعين لتكون السيطرة لهم على مكة، بعد قريش الذين استسلموا، وكان أميرهم وصاحب رأيهم دريد بن الصمة، فولوا مكانه شاباً هو مالك بن عوف النصري، فساق مع الكفار أموالهم ومواشيهم، ونساءهم، وأولادهم، وزعم أن ذلك يحمي به نفوسهم، ويشد عزيمتهم.

فلما سمع القائد العظيم ﷺ بقدومهم، ندب أصحابه لملاقاتهم قبل هجومهم على مكة، وكانت عدة المسلمين عشرة آلاف، وخرج من أهل مكة معه ألفان، ممن أسلموا، حديثاً، وممن بقوا على شركهم بموجب معاهدة مع الرسول ﷺ، ولما خرج الجيش الخضم من مكة، قال رجل من الأنصار، يقال له: سلمة بن سلامة بن رقيش: لن نغلب اليوم من قلة، فساء رسول الله ﷺ كلامه، زلق بعض المفسرين فنسب الكلمة إلى رسول الله، وبعضهم نسبها إلى أبي بكر، وحاشاهما من ذلك.

وكانت قبيلة هوازن قد كمنت في مضيق يقع بين جبلين، فلما اندفع المسلمون إلى المضيق، رشقهم الكفار بالنبل، فدهش المسلمون، وانجفلوا هاربين، لا يلوون على شيء، وثبت الرسول ﷺ، وهو راكب على بغلته، وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، وثبت معه رجال قليلون يدافعون عنه، مثل أبي بكر وعمر وعلي والعباس، وأولاده، وابن أخيه أبو سفيان بن الحارث، الذي كان آخذاً بزمام بغلة رسول الله ﷺ، وغيرهم.

فقال الرسول ﷺ: «**يا عباس! ناد أصحاب السمرة**». وهي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية، فنادى العباس، وكان رجلاً صيتاً، ويروى من شدة صوته: أنه أغير يوماً على مكة، فنادى: واصباحاه! فأسقطت كل حامل سمعت صوته جنينها، فنادى بأعلى صوته: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأنهم بقر عطفوا على أولادها، فقالوا: يا لبيك! يا لبيك! فاقتتلوا مع الكفار، ثم أخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى، فرمى بهن وجوه الكفار، وقال: «**شاهت الوجوه**». ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**». فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك، وانظر

الآية رقم [١٧] من سورة (الأنفال). وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: حدثنا رجل من المشركين يوم حنين، قال: لما التقينا مع أصحاب رسول الله ﷺ، لم يقفوا لنا حلبة شاة، حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء؛ تلقانا رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها ـ يعني الملائكة ـ هذا؛ وقد قتل أيمن بن أم أيمن، وكان من الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ حين انهزم المسلمون، وقد قال العباس رضي الله عنه فيما بعد: [الطويل]

نَصَرْنَا رسولَ الله في الْحَرْبِ تِسْعَةً وقَد فرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عنهُ، وأَقْشَعُوا
وعَاشِرُنَا لاقى الحِمامَ بنفسِهِ بِمَا مَسَّهُ في الله لا يَتَوَجَّعُ

الإعراب: ﴿لَقَدۡ﴾: اللام: هي لام ابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله لقد. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: ماض ومفعوله، وفاعله، والجمل الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في اللام. ﴿فِي مَوَاطِنَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. ﴿كَثِيرَةٖ﴾: صفة ﴿مَوَاطِنَ﴾. ﴿وَيَوۡمَ﴾: معطوف على الجار والمجرور قبله، التقدير: ونصركم يوم حنين، وصرف ﴿حُنَيۡنٍ﴾ لأنه اسم مذكر، وهي لغة القرآن، ومن العرب من لا يصرفه؛ لأنه يعتبره اسماً للبقعة، خذ قول حسان رضي الله عنه في مدح الأنصار. [الكامل]

نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ، وشَدُّوا أَزْرَهُ بِحُنَينَ يومَ تَواكُلِ الأبْطَالِ

﴿إِذۡ﴾: ظرف بدل من (يوم) مبني على السكون في محل نصب. ﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾: ماض، والتاء: للتأنيث، والكاف: مفعول به. ﴿كَثۡرَتُكُمۡ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿فَلَمۡ﴾: حرف جازم. ﴿تُغۡنِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل يعود إلى ﴿كَثۡرَتُكُمۡ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿عَنكُمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿شَيۡـٔٗا﴾: مفعول به، أو هو نائب مفعول مطلق، وجملة: ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿بِمَا﴾: (ما): مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: برحبها، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (ضاقت). ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿وَلَّيۡتُم﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ في الآية رقم [١٠] (الأعراف). ﴿مُّدۡبِرِينَ﴾: حال مؤكدة للفعل منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣] من سورة (الأعراف). ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: رحمته التي سكنوا بها، حتى اجترؤوا على قتال المشركين، بعد أن ولوا مدبرين، ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾: وهم الملائكة يقوون المؤمنين، ويثبتونهم في القتال، وانظر الآية رقم [١٢] من سورة (الأنفال)، ويلقون الرعب في قلوب المشركين من حيث لا يرونهم، ومن غير قتال؛ لأن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر على الراجح. ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالقتل والسبي والأسر، وانظر ﴿كَفَرُواْ﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف). ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنكى، هذا؛ والجزاء المجازاة، والمكافأة على عمل ما، تكون في الخير، وتكون في الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ ومن الثاني ما في الآية الكريمة، فقد أراد جزاء الشر، والجزاء من جنس العمل، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌّ، هذا؛ والفعل: (جزى يجزي) ينصب مفعولين، هذا؛ وانظر سكينة بني إسرائيل في الآية رقم [٢٤٧] من سورة (البقرة).

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف، عطفت جملة: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ على الجمل قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما، وعلامة الجر الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم. . . إلخ، وجملة: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. ﴿لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمۡ﴾، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، وها: مفعوله، والفعل بصري اكتفى بمفعول واحد، والجملة الفعلية في محل نصب صفة جنوداً، وجملة: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَزَآءُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء. . إلخ، وهذه الإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية (ذلك. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ...﴾ إلخ: وذلك بالتوفيق للإسلام، كما فعل بمن بقي من هوازن، وانظر (شاء) في الآية رقم [٨٩] (الأعراف) ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾: لمن تاب وأناب. ﴿رَّحِيمٞ﴾: بعباده لا يعاجلهم العقوبة.

تنبيه: روي: أن ناساً من هوازن، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وأعلنوا إسلامهم، وقالوا: يا رسول الله! أنت خير الناس وأبرهم، وقد سبي أولادنا وأهلونا، وأخذت أموالنا ـ وكان قد سبي يومئذ ستة آلاف نفس، وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى ـ فقال ﷺ: «**اختاروا إما سباياكم، وإما أموالكم**». فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، فقام رسول الله ﷺ، وقال: «**إن هؤلاء جاؤوا مسلمين، وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً، فمن كان بيده سبي، وطابت نفسه أن يرده، فشأنه، ومن لا؛ فليعطنا، وليكن قرضاً علينا، حتى نصيب شيئاً، فنعطيه مكانه**». فقالوا: رضينا، وسلمنا، فقال: «**إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى، فمروا عرفاءكم، فليرفعوا إلينا**». فرفعوا: أنهم قد رضوا، وأتت النبي ﷺ أخته الشيماء من الرضاعة، وهي بنت حليمة السعدية ـ رضي الله عنها التي أرضعته ﷺ ـ فأكرمها وأحسن وفادتها».

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف، عطفت جملة: ﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ﴾ على ما قبلها من جمل، و﴿بَعۡدِ﴾: مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَلَىٰ مَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل يتوب، و﴿مَن﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾ والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، العائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: على الذي، أو على شخص يشاؤه، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٨﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: خصَّ الله المؤمنين بهذا النداء، ليتنبهوا للمشركين، ولما وصفهم الله به. ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ﴾: فهذا يعم جميع الكفار من مشركين، ويهود ونصارى، وهذه النجاسة هي نجاسة الباطن، أي: العقيدة، أو لأنه يجب أن يجتنبوا كما يجتنب النجس، أو لأنهم لا يتطهرون، ولا يتجنبون النجاسات، فهم ملابسون لها غالباً، أو لأنهم يجنبون ولا يغتسلون.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن أعيانهم نجسة كالكلاب، وبه أخذ الشيعة، لذا فإذا شرب كافر، أو أكل في وعائهم، فيكسرونه، فلا يطهر بالغسل، وأما أهل السنة، فقد قالوا بالقول الأول، وحبس ثمامة في المسجد قبل أن يسلم يدحض قول الشيعة، ويؤيد أهل السنة، هذا؛ وقرئ: ﴿نَجَسٌ﴾ بفتح النون والجيم، كما قرئ بكسر النون وسكون الجيم، وهو يوصف به

المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث. فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا: نهى سبحانه عن اقترابهم المسجد الحرام، وهو أبلغ في النهي من دخولهم فيه.

هذا؛ ويلحق بالمسجد الحرام جميع أرض الحرم المحيطة بمكة من جميع جهاتها، وقال الإمام مالك: يمنعون من دخول جميع مساجد المسلمين، والمراد بـ: ﴿عَامِهِمْ﴾ العام التاسع للهجرة الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه، وهو العام الذي وقع فيه الأذان، كما رأيت في الآية رقم [٣] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: العيلة: الفقر، وكان المسلمون يتعاملون مع المشركين بالتجارة، قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر، وقالوا: من أين نعيش؟ فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله، وقد حقق ذلك، ففتح عليهم باب الجزية من أهل الذمة، كما أغناهم بالخصب، ولم يلبث العرب أن آمنوا جميعاً، ودخلوا في دين الله أفواجاً، والتعليق بالمشيئة، إنما هو للتبرك، وقال البيضاوي: قيده بالمشيئة ليقطع الآمال إليه تعالى، ولينبه على أنه المتفضل في ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: انظر الآية رقم [١٦] وانظر المسجد الحرام في الآية رقم [٨].

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٤] ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر... إلخ. ﴿نَجَسٌ﴾: خبر المبتدأ ﴿فَلَا﴾ الفاء: حرف عطف على قول من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً؛ فلا.. إلخ. (لا): ناهية جازمة. ﴿يَقْرَبُواْ﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿ٱلْمَسْجِدَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْحَرَامَ﴾: صفة المسجد. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿عَامِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿عَامِهِمْ﴾ والهاء: حرف تنبيه. ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿خِفْتُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿عَيْلَةً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (سوف): حرف استقبال. ﴿يُغْنِيكُمُ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والكاف مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَسَوْفَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿شَآءَ﴾: ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى الله، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ تعليل، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾

الشرح: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: هذا أمر للنبي ﷺ وأصحابه الغر الميامين بمقاتلة الكفار من أهل الكتاب، وعدم إيمانهم بالله هو أنهم يصفونه بصفات لا تليق به من اتخاذ الولد وغير ذلك، وعدم إيمانهم باليوم الآخر هو اعتقادهم بعثة الأرواح دون الأجسام، وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها، ولا يشربون، ولا ينكحون. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: كالخمر، والخنزير، ونحوهما، وقيل: معناه: لا يحرمون ما حرم الله في القرآن، ولا ما حرم رسوله في السنة، وقيل: معناه لا يعملون بما في التوراة والإنجيل، بل حرفوهما، وأتوا بأحكام من قبل أنفسهم. ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: لا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق، الثابت الناسخ لجميع الأديان، ومبطلها. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: بيان للذين لا يؤمنون، وهم اليهود والنصارى، الذين أعطوا التوراة، والإنجيل. ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ﴾ أي: حتى يدفعوا الجزية المقررة عليهم، وسميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم، وحفظ أموالهم، وحقوقهم، ومعنى ﴿عَن يَدٖ﴾ عن قهر، وغلبة، يقال لكل من أعطى شيئاً كرهاً من غير طيب نفس: أعطى عن يد. ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: ذليلون حقيرون، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم، علماً بأنها تسقط بالإسلام.

تنبيه: مفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب، ويؤيده أن عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر، وأنه قال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**». وذلك لأن لهم شبهة كتاب فأُلحِقوا بالكتابيين، وأما سائر الكفرة من الوثنيين؛ فلا تؤخذ منهم بل يقتلون، وعند الإمام مالك: تؤخذ من كل كافر إلا المرتد.

بعد هذا انظر الشرح ﴿بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ في الآية رقم [١٩] و﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: في الآية رقم [١] من سورة (الأنفال) ﴿حَرَّمَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٥] الأنعام، ﴿دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾: انظر ما تقدم، وانظر ﴿دِينًا﴾ في الآية رقم [١٦١] الأنعام و﴿ٱلۡحَقِّ﴾ في الآية رقم [٣٣] (الأعراف) ﴿أُوتُواْ﴾: أصله (أوتيوا)، فاستثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فصار ﴿أُوتُواْ﴾ ثم قلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو. ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: انظر الآية رقم [٢] من سورة (الأعراف). ﴿يَدٖ﴾: انظر الآية رقم [١٠٧] منها أيضاً.

تنبيه: قال مجاهد نزلت الآية الكريمة حين أمر النبي ﷺ بقتال الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك، وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم، فكانت أول جزية أصابها

أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين، وينبغي أن تعلم أن الكلام على مشركي العرب قد تم عند الآية السابقة، وهي الآيات التي بعث بها النبي ﷺ عَلِيّاً ابن عمه ليقرأها على الناس يوم الحج الأكبر كما قد رأيت سابقاً.

الإعراب: ﴿قَـٰتِلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية رقم [١١] (الأعراف). ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَا﴾: زائدة لتأكيد النفي. ﴿بِٱلْيَوْمِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و﴿لَا﴾: زائدة لتأكيد النفي، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: حرمه الله ورسوله، وجملة: ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿دِينَ﴾: مفعول مطلق، أو هو مفعول به على تفسير (يدينون): يعتقدون، و﴿دِينَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه من إضافة الموصوف لصفته. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿أُوتُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول، والواو فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يُعْطُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون. .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول الأول محذوف؛ إذ التقدير: حتى يعطوكم . ﴿ٱلْجِزْيَةَ﴾: مفعول به ثان، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل (قاتلوا). ﴿عَن يَدٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، وجملة: ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾

الشرح: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: وقد اختلف في سبب قولهم هذا، فأكتفي بما قاله الكلبي: إن بختنصر لما غزا بيت المقدس بعد سليمان عليه السلام، وظهر على بني إسرائيل، وقتل من قرأ التوراة، كان عزيرٌ إذ ذاك صغيراً، فلم يقتله لصغره فلما رجع بنوا إسرائيل إلى بيت المقدس، وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيراً ليجدد لهم ما في التوراة،

ويكون لهم آية بعد ما أماته الله مئة عام، قال: فأتى ملك بإناء فيه ماء فشرب منه، فمثلت له التوراة في صدره، فلما أتاهم، قال: أنا عزير، فكذبوه، وقالوا: إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إن رجلاً منهم، قال: إن أبي حدثني، عن جدي: أن التوراة جعلت في خابية، ودفنت في كرم كذا، فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير، فلم يجدوه غادر حرفاً، فقالوا: إن الله لم يقذف التوراة في قلب عزير إلا لأنه ابنه، فعند ذلك، قالت اليهود: عزير ابن الله، وانظر الآية رقم [٢٥٨] (البقرة).

وأما قول النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ فكان السبب فيه: أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام، إحدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلة، ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع، يقال له: بولص، قد قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال بولص لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا، والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار، ودخلوا الجنة، فإني سأحتال، وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا، ثم عمد إلى فرس كان يقاتل عليه، فعرقبه، وأظهر الندامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه، ثم أتى إلى النصارى، فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عدوكم بولص، فقد نوديت من السماء: أنه ليس لك توبة حتى تتنصر، وقد تبت وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصروه، وأدخلوه بيتاً منها، لم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل، ثم خرج، وقال: قد نوديت: أن الله قبل توبتك، فصدقوه، وأحبوه، وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عمد إلى ثلاثة رجال: اسم الواحد: نسطور، والآخر: يعقوب، والثالث: ملكان، فعلم نسطور: أن عيسى ومريم والإله ثلاثة، وعلم يعقوب: أن عيسى ليس بإنسان، ولكنه ابن الله، وعلم ملكان: أن عيسى هو الله ولم يزل، ولا يزال، فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد في الخلوة، وقال له: أنت خالصتي، وادع الناس لما علمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام، وقد رضي عني، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح، وذبح نفسه، وتفرق أولئك الثلاثة، فذهب كل واحد إلى ناحية، وأظهر مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرقوا، واختلفوا، ووقع القتال بينهم، انتهى. خازن.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: يقولون ذلك بألسنتهم من غير علم يرجعون إليه، وانظر الآية [٣٣] الآتية. ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: يضاهي قولهم قول الذين..إلخ فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك لأن الجثث لا تقابل بالمصادر، كما رأيت في الآية [٢٠] ويقرأ الفعل بالهمز، وبدونه (يضاهون)، هذا؛ والمضاهاة: المشابهة، أو الموافقة، والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من الأمم السابقة، وقيل من مشركي العرب، حيث قالوا: الملائكة بنات الله. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: لعنهم الله، وقيل: هو دعاء عليهم بالإهلاك الذي سببه

القتل. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل بعد وضوح الدليل، وإقامة الحجة بأن الله واحد أحد. وانظر الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنعام) تجد مايسرك، وانظر: ﴿ٱلْيَهُودُ﴾ في الآية رقم [٢٠] المائدة، وانظر المسيح في الآية رقم [٤٥] آل عمران. و﴿كَفَرُوا۟﴾ في الآية رقم [٦٦] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿وَقَالَتِ﴾: (قالت): ماض، والتاء للتأنيث، وهي حرف لا محل له، وحركت بالكسر لالتقاء الساكنين. ﴿ٱلْيَهُودُ﴾: فاعله. ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، و﴿ٱبْنُ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية (قالت. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى...﴾ إلخ معطوفة عليها لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿قَوْلُهُم﴾: خبر المبتدأ، والهاء: في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: متعلقان بالمصدر قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من الهاء، والعامل فيه القول، وقيل: معنى الإشارة. ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾: فعل وفاعل، وانظر الشرح. ﴿قَوْلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، وبني قبل على الضم؛ لأنه مبهم، وقطع عن الإضافة لفظاً، لا معنىً، وجملة: ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: المقصود منها الدعاء، وهي مستأنفة لا محل لها أيضاً. ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام بمعنى كيف مبني على السكون في محل نصب حال من واو الجماعة، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿أَنَّىٰ﴾ بمعنى (أين) للمكان كما هو أصل معناها، فتكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلقة بالفعل بعدها. ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع. . . إلخ، والواو: نائب فاعله، ومتعلقه محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

تنبيه: رأيت أن (عزيراً) قد نون، وأن همزة ﴿ٱبْنُ﴾ قد ثبتت، والسبب في ذلك أن التنوين والألف إنما تحذفان للتخفيف إذا وقعت كلمة ﴿ٱبْنُ﴾ بين علمين، وكانت صفة للأول منهما، وهي ها هنا خبر عن الأول لا صفة له كما قد رأيت في الإعراب، هذا؛ ويقرأ بحذف تنوين ﴿عُزَيْرٌ﴾ ويبقى الإعراب كما هو، ويكون التنوين قد حذف لالتقاء الساكنين؛ إذ هو مشبه بحروف المد واللين، وتثبيت ألف ﴿ٱبْنُ﴾ في الخط، وعليه جاء قول الأسود بن يعفر من بني نهشل، وهو الشاهد رقم (٥٨) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أدْرِي، وإنْ كُنْتُ دَارِياً ... شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ، أمْ شُعَيْثُ ابنُ مِنْقَرِ

حيث ثبتت ألف ﴿ٱبْنُ﴾ في الجملتين الاسميتين، هذا؛ وأجاز أبو حاتم أن يكون ﴿عُزَيْرٌ﴾ اسماً أعجمياً لا ينصرف، وهو بعيد مردود؛ لأنه لو كان أعجمياً لانصرف؛ لأنه على ثلاثة أحرف، مثل لوط ونوح وهود ونحو ذلك، فصرفه في التصغير أولى، هذا؛ وقيل: إن ﴿عُزَيْرٌ﴾ مبتدأ و﴿ٱبْنُ﴾ صفة له، فيحذف التنوين على هذا استخفافاً، ولالتقاء الساكنين، ولأن الصفة والموصوف كاسم واحد، وتحذف ألف ﴿ٱبْنُ﴾ حينئذ من الخط، ويكون ﴿عُزَيْرٌ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، التقدير: عزير ابن الله صاحبنا أو نبينا أو معبودنا، أو يكون خبراً لمبتدأ محذوف يقدر ما تقدم. انتهى. عكبري ومكي بتصرف كبير مني. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ أي: اليهود، والنصارى. ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾: جمع حبر بكسر الحاء وفتحها لغتان. قاله الفراء، وهو الذي يحسن القول، وينظمه، ويتقنه بحسن البيان عنه، وهو العالم الفاهم، ولذا سمي عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حبر الأمة، أي: عالمها. ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: جمع: راهب، مأخوذ من الرهبنة، وهو الذي حمله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس، ويجعل زمانه له، وعمله معه، وأنسه به، فاتخذ لنفسه صومعة يتعبد فيها، واعتزل الناس وانظر الآية رقم [٤٧] و[٨٥] من سورة (المائدة) إن أردت الزيادة ﴿أَرْبَابًا﴾: جمع: «رب» بمعنى: معبود. وانظر الآية رقم [٣] من سورة (الأعراف). ﴿دُونِ﴾: انظر الآية رقم [٣] منها. ﴿وَٱلْمَسِيحَ﴾: هو لقب عيسى عليه السلام، وهو من الألقاب المشرفة، كالصديق، وأصله بالعبرية: مشيخا، ومعناه: المبارك، وفيه وجهان: أحدهما: أنه فعيل بمعنى فاعل، فحول منه مبالغة، فقيل: لأنه مسيح الأرض بالسياحة، وقيل: لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ، وقيل: هو بمعنى مفعول؛ لأنه مسيح بالبركة، أو لأنه مسح القدم، أو لمسح وجهه بالملاحة، والثاني: أن وزنه مفعل من السياحة، وعلى هذا كله فهو منقول من الصفة. ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: نسبه إلى أمه مع كون الرجال تنسب إلى آبائهم؛ لكونه لا أب له، ومريم ابنة عمران سمتها أمها صفة بذلك؛ لأن مريم في لغتهم العابدة، فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها من كيد الشيطان؛ حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، وأن يصدق ظنها بها، ألا ترى في الآية رقم [٣٦] من آل عمران، كيف أتبعت طلبها بالاستعاذة لها ولولدها من الشيطان الرجيم، وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [٤١] من آل عمران لبيان مكانتها عند الله. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: انظر الآية رقم [١٠٠] من سورة (الأنعام).

معنى الآية الكريمة: إن اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم، ورهبانهم آلهة من دون الله، وليست عبادتهم لهم حقيقة، وإنما أطاعوهم في الكفر، والضلال، ومعصية الله تعالى، وذلك: أنهم أحلوا

لهم أشياء، وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم، فأطاعوهم فيها، واتخذوهم كأرباب في التحليل والتحريم، فقد روى الترمذي، وأحمد، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيْتُ النبيَّ وفي عنقي صَليبٌ مِنْ ذهبٍ، فقال: «**يا عديُّ! اطرحْ عنْكَ هذا الوثنَ!**». فطرحْتُهُ، وسمعْتُهُ يقرأُ في سورةِ براءةَ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ حتى فرغَ، فقلتُ: يا رسول اللهِ! إنَّا لسْنَا نَعْبُدُهُمْ! فقال: «**أَلَيْسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويُحِلُّون ما حرَّم الله فتسْتَحِلُّونَهُ**». قلْتُ: بَلَى! قالَ: «**فتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**». قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: [المتقارب]

وهَلْ بَدَّلَ الدِّينَ إلَّا المُلوكُ وأَحْبَارُ سُوءٍ ورُهْبَانُهَا؟

لذا فإن كل إنسان يتبع إنساناً في كل زمان ومكان في تحليل أو تحريم ما لم يأذن به الله كمن اتخذه رباً.

الإعراب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥] (الأعراف). ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾: مفعول به أول. و﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: معطوف عليه، والهاء فيهما: في محل جر بالإضافة. ﴿أَرْبَابًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بـ ﴿أَرْبَابًا﴾، أو بمحذوف صلة له، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْمَسِيحَ﴾: معطوف على ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾، التقدير: واتخذوا المسيح، وقد حذف المفعول الثاني لدلالة الأول عليه. ﴿ٱبْنَ﴾: صفة (المسيح)، وهو مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَآ﴾: الواو واو الحال. (ما): نافية. ﴿أُمِرُوٓاْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِيَعْبُدُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به، ﴿وَٰحِدًا﴾: صفته. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأعراف)، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ثانية لـ ﴿إِلَٰهًا﴾. وقيل: مستأنفة مقررة للتوحيد، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أُمِرُوٓاْ﴾، واللام بمعنى الباء. تأمل. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله؛ فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافة المصدر لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه ومن فعله المحذوف مستأنفة لا محل لها، وهذا عند الخليل وسيبويه، وقال الكسائي: هو منصوب على أنه نداء مضاف، والأول أقوى. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر، أو بفعله المحذوف، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذين أو عن شيء يشركون به،

وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (عن)، التقدير: تنزه الله عن شركهم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: دلائله، وحججه، وبراهينه على توحيده، جعل البراهين بمنزلة النور؛ لما فيها من البيان، وقيل: المعنى نور الإسلام، أي: أن يخمدوا دين الله بتكذيبهم، وانظر (أراد) في الآية رقم [٨٨] (الأعراف). ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: جمع فوه على الأصل؛ لأن الأصل في فم (فَوْهٌ) مثل حوض وأحواض. ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾: انظر (تأبى) في الآية رقم [٩]. ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أي: أبى الله إلا إعلاء دينه، وإظهار كلمته، وإتمام الحق الذي بعث به نبيه ﷺ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: كرهوا الإسلام وإعلاء كلمته، لا بد وأن يحصل ما تقدم ذكره، وقد كان ذلك يوم اختار الله، وهيأ لهذا الدين من حمل لواءه، وبذلوا في سبيله ما بذلوا، والتاريخ شاهد صدق على ذلك، حتى سطع نوره، وعمَّ ربوع الدنيا.

الإعراب: ﴿يُرِيدُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو: فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُطْفِـُٔوا۟﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿نُورَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُرِيدُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿وَيَأْبَى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر لا محل له، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿وَيَأْبَى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب حال من إتمام نوره، والرابط: الواو، والمفعول المحذوف، هذا؛ وإن اعتبرت (لو) شرطية امتناعية، فشرطها المذكور، وجوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: ولو كره الكافرون ليتم نوره.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: الله الذي بعث محمداً ﷺ بالنور والقرآن. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: دين الإسلام ليعليه على جميع الأديان بالحجج

الدامغات، والبراهين الساطعات. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: هو مثل الآية السابقة وفيهما تغليب الرجال على النساء؛ إذ ما من شك: أن في النساء كافرات ومشركات، وهذا شيء معلوم لا ينكره مسلم، فامرأة أبي لهب كانت أضل من كثير من الرجال، وامرأة نوح وامرأة لوط كانتا أخبث وأضل، وانظر العكس في الآية [٤٥]. هذا؛ وقد قال البيضاوي، الآية الكريمة كالبيان لما تقدم، ولذلك كرر: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ غير أنه وضع ﴿ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ موضع ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله، والضمير في ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ للدين الحق، أو للرسول عليه الصلاة والسلام، واللام في ﴿ٱلدِّينِ﴾ للجنس، أي: على سائر الأديان فينسخها، أو على أهلها فيخذلهم.

تنبيه: قال أبو هريرة والضحاك: هذا، أي: ما ذكر في الآية الكريمة عند نزول عيسى عليه السلام، وقال السدي: ذاك عند خروج المهدي، ولا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، وأيد ذلك القرطبي، والصواب ما ذكرته في الآية السابقة.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، وجملة: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رَسُولَهُۥ﴾، أي: مقروناً، أو ملتبساً بالهدى، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: معطوف على (الهدى)، والإضافة من إضافة الموصوف للصفة. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء: مفعول به، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَرْسَلَ﴾. ﴿عَلَى ٱلدِّينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كُلِّهِۦ﴾: توكيد لـ ﴿ٱلدِّينِ﴾؛ لأنه بمعنى جميع الأديان، والهاء في محل جر بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية السابقة، والجمل الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: نادى الله المؤمنين خاصة، ولفت أنظارهم إلى ذلك؛ لأنهم هم الذين ينتبهون، فينتفعون بذلك. ﴿ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: يأخذونها بالرشى في الأحكام، سمي أخذ المال أكلاً لأنه الغرض الأعظم منه، وانظر: ﴿أَمْوَٰلَ﴾ في الآية رقم [٢٨] الأنفال. و﴿ٱلنَّاسِ﴾: في الآية رقم [٨٢] (الأعراف).

و﴿بِالْبَاطِلِ﴾: في الآية رقم [١٣٩] (الأعراف)، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: لقد اختلف في المراد بهؤلاء، فقال معاوية: هم الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين؛ وذلك: أنه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الأحبار والرهبان، في الحرص، على أخذ الأموال بالباطل؛ حذر المسلمين من ذلك، وذكر وعيد من جمع المال، ومنع حقوق الله فيه.

وقال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين، وكان الاختلاف في تفسير هذه الآية بين معاوية وأبي ذر سبباً في إبعاد أبي ذر عن المدينة، إلى الرَّبَذَةِ. ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾: لم يعد الضمير مثنى على الذهب والفضة، وفي ذلك أجوبة: الأول: قصد الأغلب والأعم، وهي الفضة، قاله ابن الأنباري، ومثله قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ فأعاد الضمير للصلاة وللتجارة، فالصلاة أعم، والتجارة أهم ـ الثاني: أن الضمير للكنوز ـ الثالث: أن الضمير للأموال ـ الرابع: الاكتفاء بضمير الواحد عن ضمير الآخر، إذا فهم المعنى، قال ابن أحمر: [الطويل]

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئاً، وِمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

لم يقل: بريئين، والطوي: البئر. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: انظر مثل هذه البشارة في الآية رقم [٤] وقد فسر النبي ﷺ البشارة في هذا العذاب بقوله: «**بشِّرِ الكنَّازين برضْفٍ يُحمى عليه في نارِ جهنمَ، فيُوضَعُ على حَلَمَة ثَدْي أحدِهم؛ حتى يخرج من نُغْضِ كَتِفيْه، ويوضع على نُغْضِ كتِفَيْه؛ حتى يخرج من حَلَمة ثدْيَيْه، فيتزلزل**». أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه. الرضف، والحجارة، والنغض بفتح النون وضمها: أعلى الكتف، قال العلماء: فخروج الرضف من حلمة ثديه إلى نغض كتفه؛ لتعذيب قلبه، وباطنه حين امتلأ بالفرح بكثرة المال والسرور في الدنيا، فعوقب بالهم والعذاب في الآخرة. انتهى. قرطبي. هذا؛ والنغْض بسكون الغين وبفتح النون وضمها.

روى أبو داود عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية كَبُر ذلك على المسلمين، فقال عمر: أنا أفرج عنكم، فانطلق، فقال: يا نبي الله! إنه كبر على أصحابك هذه الآية، فقال: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم**». قال: فكبَّر عمر رضي الله عنه، ثم قال له رسول الله ﷺ: «**ألَا أُخبركَ بخيرِ ما يكنِزُ الْمرءُ، المرأةُ الصالحةُ، إذا نظر إليها؛ سرَّتْه، وإذا أمرها؛ أطاعَتْه، وإذا غاب عنها؛ حفِظَتْهُ**». وروى الترمذي وغيره عن ثوبان رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: قد ذم الله سبحانه الذهب والفضة، فلو علمنا أي: المال خير حتى نكتسبه، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أسأل لكم رسول الله ﷺ فسأله، فقال: «**لِسانٌ ذاكِرٌ، وقلبٌ شاكِر، وزوجةٌ تعينُ الْمَرْءَ على دينِهِ**». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨٠] من سورة (آل عمران).

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٤]. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿كَثِيرًا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾: متعلقان بـ ﴿كَثِيرًا﴾. و﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَيَأْكُلُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (يأكلون): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَمْوَٰلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، وجملة: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة على جملة: ﴿لَيَأْكُلُونَ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: الفاء: زائدة. (بشرهم): أمر، وفاعله مستتر أنت، والهاء: مفعول به. ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة (عذاب)، هذا؛ وفي خبر المبتدأ وجهان: أحدهما أنه الجملة الفعلية: ﴿فَبَشِّرْهُم...﴾ إلخ وجاز دخول الفاء زائدة على الخبر؛ لأن المبتدأ أشبه الشرط في العموم؛ لكونه موصولاً صلته فعل مستقبل، وهذا على قول من يجيز وقوع الخبر جملة إنشائية، والوجه الثاني: أن الخبر محذوف، التقدير: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ...﴾ إلخ عذابهم ما يتلى عليكم، ويكون الفعل المذكور، دالاً على الخبر المحذوف، وهذا نظير ما قاله سيبويه في نحو قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ...﴾ إلخ وقوله جل شأنه: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ...﴾ إلخ. والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة على تفسير معاوية، ومعطوفة على جملة: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ على تفسير أبي ذر الغفاري - رضي الله عنهم أجمعين -.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: يوم توقد النار ذات حمى شديدة عليها، وأصله تحمى بالنار، فجعل الإحماء للنار مبالغة، ثم حذفت النار، وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيهاً على المقصود، فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير، وانظر ما ذكرته في مرجع الضمير في الآية السابقة، وانظر شرح ﴿نَارِ﴾ في الآية رقم [١٢] (الأعراف). ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾: الكي: إلصاق الحار من الحديد والنار بالعضو حتى يحترق موضعه من الجلد. ﴿جِبَاهُهُمْ﴾: جمع جبهة،

وهي مستوى ما بين الحاجب إلى الناصية. ﴿وَجُنُوبُهُمْ﴾: جمع جنب، والكي في الوجه، أشهر وأشنع، وفي الجنب والظهر آلم وأوجع، فلذلك خصَّ الله الثلاثة بالذكر من بين سائر الأعضاء. هذا؛ وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا يوضع دينار على دينار، ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده، حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته.

قال بعض العلماء: إنما خصت هذه الأعضاء بالكي؛ لأن الغني إذا أتاه السائل، فطلب منه شيئاً، تبدو منه آثار الكراهية والمنع، فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح، وتتجمع أسارير وجهه فيتجعد جبينه، ثم إن كرر السائل الطلب؛ نأى بجانبه عنه، وتركه جانباً، ثم إن كرر الطلب، ولاه ظهره وأعرض عنه، وهي النهاية في الرد، الدال على كراهية الإعطاء والبذل. انتهى. خازن بتصرف كبير. ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: هذا ما ادخرتم، وجمعتم من الأموال لأنفسكم، وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٨] (الأعراف). ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: انظر مثل هذه الإذاقة في الآية رقم [١٤] الأنفال ـ وانظر إعلال مثل ﴿كُنتُمْ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بقوله: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقيل: متعلق بمحذوف يدل عليه عذاب، أي: يعذبون، وقيل: تقدير المحذوف: اذكر يوم، هذا؛ وقال العكبري: وهو بدل من مثله محذوفاً، فإن التقدير: فبشرهم بعذاب يوم أليم، فلما حذف المضاف؛ أقيم اليوم مقامه، وهو تعسف بارد، وتكلف لا داعي له. ﴿يُحْمَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿فِي نَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿نَارِ﴾: مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وجملة: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، وإعرابها مثلها. ﴿وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: معطوفان على نائب الفاعل، والهاء في الكل في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء: حرف تنبيه لا محل له. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيء كنزتموه لأنفسكم، والكاف: في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية (يقال لهم هذا. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَذُوقُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢٩]. (ذوقوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة مبنية على السكون في محل نصب

مفعول به، وهي في الأصل مضاف إليه، التقدير: ذوقوا جزاء ما. . . إلخ. فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء: اسمه، وجملة: ﴿تَكْنِزُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف، التقدير: جزاء الذي، أو جزاء شيء كنتم تكنزونه، هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر، ويكون التقدير: جزاء كونكم تكنزون، وجملة: (ذوقوا. . .) إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾: المراد بهذه الأشهر شهور العام الكامل، والسنة التامة، وهذه الشهور، منها القمرية، ومنها الشمسية، وعلى الشهور القمرية يعتمد المسلمون في صيامهم، وحجهم، وأعيادهم، وسائر أمورهم، وأحكامهم، وأيام هذه الشهور ثلاثمئة وخمسة وخمسون يوماً، بينما أيام الشهور الشمسية تزيد عن الشهور القمرية عشرة، أو أكثر، فبسبب ذلك تكون السنة الشمسية ثابتة، بينما نرى السنة القمرية تدور بسبب نقصانها، فيقع الصوم والحج تارة في الصيف، وتارة في الشتاء. ومعنى ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه الأبدي وتقديره الأزلي، ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه جميع أحوال الخلق، وما يأتون وما يذرون، وقيل: المعنى في حكم الله الذي أوجبه وأمر عباده بالأخذ به. ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: إن هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والأرض: أن السنة اثنا عشر شهراً. ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: من الشهور أربعة حرم، هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب، وإنما سميت حرماً؛ لأن العرب في الجاهلية كانت تعظمها، وتحرم القتال فيها، حتى لو أن أحدهم لقي قاتل أبيه، وأخيه في هذه الأشهر؛ فلا يهيجه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم، دين إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام، والعرب ورثوه منهما، وقيل: المعنى ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي، فالدين هنا بمعنى الحساب، والأول أولى. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: بهتك حرمتها، وارتكاب المعاصي، والمنكرات فيها، وقيل: المراد جميع أشهر السنة، والمعتمد أن

المراد الأشهر الحرم خاصة، فإن من عصى الله فيها يضاعف عقابه، كما أن العمل الصالح فيها يضاعف ثوابه، وهذا مبني على قاعدة، وهي أن الأعمال يضاعف ثوابها؛ إن كانت صالحة، ويضاعف عقابها، إن كانت سيئة، بالنسبة للزمان والمكان، والشخص الذي يعمل العمل، فالزمان المفضل على غيره يضاعف ثواب العمل فيه؛ إن كان صالحاً، ويضاعف عقاب العمل فيه؛ إن كان سيئاً، وقل مثل ذلك في المكان وفي الشخص، فصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والعمل السيئ بمئة ألف عمل سيئ.

وخذ قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾. ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ أي: قاتلوا محيطين بهم ومجتمعين على قتالهم، كما يقاتلونكم مجتمعين عليكم، والمعنى: تعاونوا، وتناصروا على قتالهم، ولا تتفرقوا؛ فتفشلوا، وتذهب ريحكم، وقيل: معنى كافة أي: في جميع الشهور الحرم وغيرها، وعليه فالآية ناسخة لتحريم القتال في الأشهر الحرم، والصحيح: أن الآية الناسخة لذلك هي آية البقرة رقم [٢١٦]. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: بالنصر والتأييد، والمعونة على أعدائهم، لا المعية الحسية، وانظر الآية رقم [٤٧] من سورة (الأنفال).

بعد هذا فالشهور جمع شهر، وتجمع أيضاً على: أشهر، وسمي الشهر شهراً لشهرته برؤية الهلال في أوله. ﴿كِتَٰبِ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٢] (الأعراف). ﴿يَوْمَ﴾: انظر الآية رقم [١٢٨] الأنعام. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: انظر الآية رقم [١] الأنعام. ﴿ٱلدِّينُ﴾: انظر الآية رقم [١٦٢] منها. ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾: أصله الْقَيْوِم، قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟﴾: انظر الظلم في الآية رقم [١٤٦] الأنعام. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٩] (الأعراف). ﴿كَآفَّةً﴾: هو مصدر مثل: عامة وخاصة، قال الزجاج: مثل هذا من المصادر عافاه الله عافية، وعاقبه عاقبة، ولا يثنى ولا يجمع. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الآية رقم [١] الأنفال. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: انظر الآية رقم [١] منها هذا؛ و﴿كَآفَّةً﴾ وما ذكر من المصادر لا يأتي إلا منصوباً، ولقد عيب على الزمخشري حيث أتى به مجروراً في مقدمة الكشاف، فقال: ولكافة المسلمين، وانظر الآية [١٢٣] الآتية.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عِدَّةَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلشُّهُورِ﴾: مضاف إليه. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿عِدَّةَ﴾ لأنه مصدر، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱثْنَا﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الألف؛ لأنه ملحق بالمثنى و﴿عَشَرَ﴾ مبني على الفتح لا محل له من الإعراب؛ لوقوعه موقع نون المثنى، ولا يصح أن يقال: إنه مضاف إليه؛ لتضمنه معنى العطف. ﴿شَهْرًا﴾: تمييز مؤكد؛ لأنه لم يذكر للبيان؛ لأن

الذات معروفة مما تقدم. ﴿فِي كِتَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿اثْنَا عَشَرَ﴾، التقدير: مسجلة، أو مكتوبة في كتاب الله. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ ﴿كِتَٰبِ﴾ على اعتباره مصدراً، أو هو متعلق بما تعلق به ﴿فِي كِتَٰبِ﴾ على اعتباره اسماً. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، وفاعله ضمير يعود إلى الله. ﴿السَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿وَالْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَرْبَعَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿حُرُمٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ثانية لـ ﴿اثْنَا عَشَرَ﴾، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿الدِّينُ﴾: خبره. ﴿الْقَيِّمُ﴾: صفة ﴿الدِّينُ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢٩]. (لا): ناهية. ﴿تَظْلِمُوا﴾: مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهِنَّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء، وتقدير الكلام: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً فلا... إلخ، وهذا الكلام مستأنف لا محل له. ﴿وَقَاتِلُوا﴾: أمر وفاعله، وانظر إعراب: ﴿اسْجُدُوا﴾ في الآية رقم [١١] (الأعراف). ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿كَافَّةً﴾: حال من واو الجماعة، أو من المفعول به، وجملة: ﴿وَقَاتِلُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿كَافَّةً﴾: حال من واو الجماعة، أو من الكاف، و(ما) المصدرية والمضارع بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، واقع مفعولاً مطلقاً، والتقدير: قاتلوا المشركين قتالاً كائناً مثل قتالهم لكم، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. ﴿وَاعْلَمُوا﴾: (اعلموا): أمر وفاعله. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿الْمُتَّقِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (اعلموا)، والجملة الفعلية: ﴿وَاعْلَمُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ أي: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، وذلك: أنهم كانوا أصحاب حروب، وغارات، فإذا جاءهم شهر حرام؛ شق عليهم ترك المحاربة، فيحلونه، ويحرمون مكانه شهراً آخر، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرمون من بين الشهور أربعة أشهر، فنظروا إلى عدد الشهور المحرمة، ولم ينظروا إلى أعيانها، هذا؛ ويقرأ (النسيُّ) بقلب الهمزة ياء، وإدغامها في الياء، وقرئ: (النَّسْيُ) بحذفها، والنسى، والنساء ثلاثتها مصادر: نسأَهُ: إذا أخره، ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾: لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله، فهو كفر آخر إلى إلى كفرهم، فقد أنكروا وجود البارئ تعالى، حيث قالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ وأنكروا البعث، وأنكروا بعثة الرسول. ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ أي: بالنسيء، وقرئ: (يُضَلُّ) بالبناء للمعلوم، وبالبناء للمجهول، وقرئ: (يَضِلُّ) أيضاً. ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا﴾: يحلون المحرم، أو غيره في عام، ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾: يعيدون إليه حرمته في عام آخر. ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة في كتاب الله تعالى. ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾: يقرأ الفعل بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول، والمعنى: زين لهم الشيطان، وحسن قبيح أعمالهم حتى رأوه حسناً، وقيل: الفاعل هو الله، والمعنى: خذلهم، وأضلهم حتى حسبوا القبيح حسناً. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: انظر مثل هذه الجملة في الآية رقم [٢٠] و[٢٥] ففيهما الكفاية.

تنبيه: لقد اختلف في أول من أحدث النسيء في العرب على أقوال كثيرة، والذي ذكره صاحب السيرة، وهو ابن إسحاق: أن أول من نسأ الشهور على العرب، فأحل منها ما حرم الله، وحرم منها ما أحل الله رجل يقال له: الْقَلَمَّس، فكانت العرب، إذا فرغت من حجها، اجتمعت إليه، فقام فيهم خطيباً، فحرم رجباً وذا القعدة وذا الحجة، ويحل المحرم عاماً، ويجعل مكانه صفراً، ويحرمه عاماً آخر ليواطئ عدة ما حرم الله، والقلمس من بني كنانة، وفي ذلك يقول شاعرهم: [الوافر]

ومِنَّا نَاسِئُ الشَّهْرِ الْقَلَمَّس

وقال الكميت: [الوافر]

أَلَسْنَا النَّاسِئِين على مَعَدٍّ شُهُورَ الْحِلِّ نجعلُهَا حَرَاما

وقيل: أول من أحدث ذلك عمرو بن لحي الخزاعي، ثم كان بعده رجال، وآخر واحد منهم اسمه جنادة بن عوف، وهو الذي أدركه النبي ﷺ.

تنبيه: لقد ذكر في النسيئ غير ما تقدم، وهو أنهم كانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، ثم يؤخرون التحريم إلى ربيع الأول، ثم إلى ربيع الآخر، وهكذا شهراً بعد شهر، حتى يستدير التحريم على السنة كلها، وكانوا يحجون في كل شهر عامين، فحجوا في ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم في صفر عامين، وكذا باقي شهور السنة، فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام المقبل حجة الوداع، فوافقت ذا الحجة، فذلك قوله ﷺ: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ استدارَ كَهَيْئَتِهِ**». الحديث، أراد بذلك أن أشهر الحج رجعت إلى مواضعها، وعاد الحج إلى ذي الحجة، وبطل النسيئ. انتهى. قرطبي وخازن بتصرف كبير مني، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾: مبتدأ. ﴿زِيَادَةٌ﴾: خبره. ﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿زِيَادَةٌ﴾، أو هما متعلقان به لأنه مصدر. ﴿يُضَلُّ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل، أو في محل رفع فاعل على قراءة (يَضِل) وهو مفعول به على قراءة (يُضِل) من الرباعي، فيكون الفاعل ضميراً عائداً إلى الله، أو الشيطان، كما جوز على هذه القراءة أن يكون الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمفعول محذوفاً، التقدير: يُضِل به الذين كفروا أتباعهم، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿يُضَلُّ بِهِ...﴾ إلخ تعليل لزيادة الكفر، أو هي في محل نصب حال من الكفر، والرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء، والمعنى على الوجهين صحيح، وعلى الثاني أقوى. ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية مفسرة للضلال، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿عَامًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بأحد الفعلين السابقين على التنازع، والثاني أولى عند البصريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه. ﴿عِدَّةَ﴾: مفعول به. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عدة الذي، أو عدة شيء حرمه الله. ﴿فَيُحِلُّوا۟﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله... إلخ. ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ هو مثل سابقه، مع ملاحظة أن ﴿مَا﴾ مفعول به. ﴿زُيِّنَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمْ﴾:

متعلقان بما قبلهما. ﴿سُوٓءُ﴾: نائب فاعل، وعلى قراءة الفعل بالبناء للمعلوم، فهو مفعول به، والفاعل يعود إلى الله، وقيل: إلى الشيطان، و﴿سُوٓءُ﴾: مضاف، و﴿أَعْمَـٰلِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٢٠].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: خص الله المؤمنين بهذا النداء، دون المنافقين، مع كونهم جميعاً حصل منهم هذا التثاقل؛ لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بذلك دون المنافقين، فلذا سارعوا، وبادروا إلى الخروج مع الرسول ﷺ، قيل: أصله قُوِل، بضم القاف وكسر الواو، فنقلت حركة الواو، إلى القاف، بعد سلب حركتها، فصار (قِوْل) بكسر القاف، وسكون الواو، ثم قلبت الواو ياء، لوقوعها ساكنة بعد كسرة، فصار: «قيل»، وانظر «القول» في الآية رقم [٥] (الأعراف). ﴿ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: اخرجوا إلى الجهاد، يقال: استنفر الإمام الناس: إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد، ودعاهم إليه، ومنه قول النبي ﷺ: «**وإذا اسْتُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا**». والاسم: النفير. ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ أي: تثاقلتم، وتباطأتم عن الخروج إلى الحرب، ومعنى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لزمتم أرضكم ومساكنكم، وإنما استثقلوا ذلك الغزو والخروج إليه، لشدة الزمان، وضيق الوقت، وشدة الحر، وبعد المسافة، والحاجة إلى كثرة الاستعداد، من العدد، والزاد، وكان ذلك الوقت وقت إدراك ثمار المدينة، وطيب ظلالها، وكان العدو كثيراً، فاستثقل المسلمون تلك الغزوة، فعاتبهم الله بهذه الآية.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: ركنتم إلى الدنيا ولذاتها، وأعرضتم عن نعيم الآخرة الدائم. ﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: فما الدنيا ولذاتها بجانب الآخرة ونعيمها إلا شيء تافه لا قيمة له، والسبب أن الدنيا فانية لا بقاء لها، وأن الآخرة باقية لا يطرأ عليها زوال وفناء، هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تثاقلتم على الأصل، فإن الأول فيه قلب التاء ثاء، ثم أدغمت الثاء في الثاء، كما يقرأ: (اثاقلتم) بقطع الهمزة على الاستفهام. بعد هذا انظر شرح ﴿مَتَـٰعٌ﴾ في الآية رقم [٢٤] (الأعراف) وانظر شرح ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في الآية رقم [٢٩] الأنعام، والمراد بالآخرة الحياة الثانية التي تكون بعد الموت، ثم بعد البعث والحساب، ودخول الجنة، والخلود فيها، أو دخول النار، والخلود فيها.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة توبخ المسلمين لما تباطؤوا عن الخروج مع الرسول ﷺ إلى الجهاد في غزوة تبوك، وكانت في السنة التاسعة في شهر رجب بعد فتح مكة، وبعد غزوة حنين، ومحاصرة الرسول ﷺ ومن معه لبني ثقيف في الطائف، وكان قد بلغ الرسول ﷺ استعداد الروم لغزو المدينة فندب المسلمين للخروج إليهم ومحاربتهم في بلادهم، ولم يكن النبي ﷺ يريد غزوة إلَّا وَرَّى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك، فصرح للمسلمين بما يريد ليتأهبوا، فشق عليهم الخروج للأسباب التي ذكرتها، فلما نزلت الآية وما بعدها؛ هرع المسلمون للخروج وحث الرسول ﷺ المسلمين على التبرع وبذل المال في سبيل الله.

وأول من تبرع أبو بكر رضي الله عنه، فجاء بجميع ماله، وجاء عمر بنصف ماله، وتبرع العباس، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وكرام الصحابة رضوان الله عليهم بمال كثير، وتخلف المنافقون عن الخروج، وعن بذل المال في سبيل الله، وأخذوا يعتذرون الأعذار الكاذبة، والسورة الكريمة من هذه الآية إلى آخرها تكشف لنا عن نفاق المنافقين، كما ستقف عليه عند شرح كل آية بعون الله وتوفيقه، ويفهم من هذا أن صدر السورة الكريمة من أولها إلى هنا متأخر في النزول عن هذه الآية إلى آخر السورة؛ لأن صدر السورة نزل في موسم الحج من السنة التاسعة للهجرة، وغزوة تبوك كانت في شهر رجب من السنة نفسها.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٤]. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل. ﴿ٱنفِرُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿ٱنفِرُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وبعضهم يعتبرها في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾، وهذا على رأي: من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول مقامه». وهذا لا غبار عليه، وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: قيل القول، فالأقوال ثلاثة في مثل هذا التركيب، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها هذا هو الإعراب الظاهر والمتبادر. هذا، وقال الجمل: الجملة الفعلية حال، وهذا يعني: أنها حال من كاف الخطاب، والعامل في الحال الاستفهام، وقال: إذا ظرف لهذه الحال مقدم عليها، والتقدير: أي: شيء ثبت لكم من الأعذار حال كونكم متثاقلين في وقت قول الرسول لكم: انفروا. ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: متعلقان بما

قبلهما. الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (رضيتم): فعل وفاعل. ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة (الحياة) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (الحياة الدنيا)، أي: بدلاً من الآخرة، وجملة: ﴿أَرَضِيتُم...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مَتَٰعُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾. ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾، التقدير: فما متاع الحياة الدنيا محسوباً في الآخرة، وقال الحوفي: إنه متعلق بخبر المبتدأ، وهو قليل، وهو أولى؛ لأن مجيء الحال من المبتدأ لا يجيزه كثير من النحاة، وعلى رأسهم سيبويه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، والجملة الاسمية: ﴿فَمَا مَتَٰعُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ أي: إن لم تخرجوا أيها المؤمنون إلى ما ندبكم الرسول ﷺ إليه. ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: في الآخرة؛ لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة، وقيل: إن المراد به: القحط والجوع في الدنيا، هذا؛ و(عذاب) اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر تعذيب؛ لأنه من عذب، يعذب بتشديد الذال فيهما، وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: عطاء، ونبات لأعطى، وأنبت. ﴿أَلِيمًا﴾: مؤلم، أي: موجع بكسر اللام، فهو اسم فاعل، وقال الجمل: بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي حيث أسند الألم للعذاب، وهو في الحقيقة إنما يسند إلى الشخص المعذب، فهو على حد (جدَّ جَدُّهُ). انتهى. بتصرف.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: خيراً منكم وأطوع، قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: هم أبناء فارس، وقيل: هم أهل اليمن، ففيه وعيد، وتهديد للمؤمنين، وفيه تنبيه على أنه تعالى قد تكفل بنصره وإعزاز دينه، فإن هم نصروه؛ فلهم الفضل، والأجر، وإلا ينصره بغيرهم، وحصلت العتبى لهم. ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾: الضمير راجع إلى الله، والمعنى: لا تضروا الله شيئاً بتخلفكم؛ لأنه غني عن العالمين، وقيل: الضمير يعود إلى الرسول ﷺ، والمعنى لا تضروه شيئاً فإن الله ناصره على أعدائه، ولا يخذله، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر أن ينصر نبيه، ويعز دينه بأي سبب من الأسباب، بعد هذا انظر ﴿قَوْمًا﴾ في الآية رقم [٣٢] (الأعراف). ﴿شَيْـًٔا﴾: انظر الآية رقم [٨٥] منها (غير): انظر الآية رقم [٢].

تنبيه: قال الحسن وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ وقال الجمهور: هذه الآية محكمة؛ لأنها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله ﷺ، فلم

ينفروا، كما نقل عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وعلى هذا فليست منسوخة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: هي «إن» الشرطية مدغمة في «لا» نافية. ﴿تَنفِرُوا﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿أَلِيمًا﴾: صفته. ﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾: معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، ويجوز في مثله الرفع والنصب، كما رأيت في الآية رقم [٢٨٣] من سورة (البقرة). وقد قرئ هناك بالرفع والنصب والجزم، ولكن هنا لم أطلع على غير قراءة الجزم، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به. ﴿غَيْرَكُمْ﴾: صفة قوماً، والكاف: في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَضُرُّوهُ﴾: مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله...إلخ، والواو: فاعله، والهاء: مفعول به. ﴿شَيْئًا﴾: نائب مفعول مطلق، وقيل: مفعول به ثان، و«إن» الشرطية ومدخولها كلام مستأنف لا محل لها. ﴿وَاللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾

الشرح: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾: المعنى إذا لم تنصروا محمداً ﷺ على أعدائه، وذلك بالخروج معه إلى غزوة تبوك، فإنْ ليست على بابها من الشك، بل الكلام يفيد التحقيق، وصحة الوقوع، وتأكيده. ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: أيده بنصره، وحفظه، ورعاه وقت أخرجه الذين كفروا من بلده مكة المكرمة، وأسند الإخراج إلى الذين كفروا؛ لأنهم سببه حيث تآمروا على قتله، أو حبسه فعند ذاك أذن الله له بالخروج. ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي: أحد اثنين، وهذا كثالث ثلاثة، ورابع أربعة، وهكذا، فإذا اختلف اللفظ، فقلت: رابع ثلاثة، وخامس أربعة، فالمعنى صير الثلاثة أربعة بنفسه، والأربعة خمسة. ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أي: الرسول ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ الذي صحبه

في طريق الهجرة، وقد كَمَنا في غار ثور ثلاثة أيام، هذا؛ ويجمع الغار على غيران، مثل تاج وتيجان، وقاع وقيعان، والغار أيضاً: نبت طيب الريح، والغار أيضاً: الجماعة، والغارة: الهجوم على الأعداء، وهي أيضاً: النهب والسلب، والغاران: البطن والفرج، وألف الغار منقلبة عن واو؛ إذ الأصل (غَوَر) وانظر: ﴿مَغَٰرَٰتٍ﴾ في الآية رقم [٥٧] الآتية.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾: إذ يقول محمد ﷺ لصاحبه الصديق: «**لا تحزن**». وكان هذا حين خاف أبو بكر رضي الله عنه حيث رأى أقدام الكفار الباحثين عنهما على فم الغار، وقال: يا رسول الله لو نظر أحدهم مكان قدميه؛ لرآنا، فقال له الرسول ﷺ: «**يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!**». ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: الحفظ والرعاية، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أي: على النبي ﷺ أو على أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي خاف على حبيبه من المشركين، والمراد بالسكينة الرحمة التي سكن إليها، واطمأن قلبه بها، وذهب عنه ما كان يساوره من القلق، وانظر سكينة بني إسرائيل في الآية رقم [٢٤٧] من سورة (البقرة).

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: يعني الملائكة، أنزلهم الله ليحرسوا نبيه في الغار، أو ليعينوه على أعدائه يوم بدر والأحزاب وحنين، هذا؛ وقد أنبت الله على فم الغار شجرة سدت فمه، وأمر حمامتين فباضتا كذلك، وأمر العنكبوت أن تنسج خيوطها كذلك، فلما رأى المشركون ذلك استبعدوا أن يكون أحد دخل الغار منذ أيام. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ أي: جعل كلمة الشرك هي الحقيرة المنحطة، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ أي: كلمة التوحيد والإيمان هي المرتفع قدرها العالي شأنها إلى يوم القيامة. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: انظر الآية رقم [١٠] من سورة (الأنفال).

بعد هذا انظر ﴿كَفَرُوا۟﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف) ﴿يَقُولُ﴾: انظر القول في الآية رقم [٥] منها ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٣٦] منها ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الآية رقم [١] الأنفال. ﴿كَلِمَةَ﴾: انظر الآية رقم [١٣٧] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾: انظر مثل هذه الجملة في الآية السابقة، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فالله يتكفل به، أو تقديره: فسينصره الله، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف تعليل، وجملة: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ تعليلية لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل نصره، وجملة: ﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿ثَانِىَ﴾: حال من الضمير المنصوب، وقرئ بإسكان الياء إجراء للمنقوص مجرى المقصور بتقدير الحركات الثلاث على الياء، و﴿ثَانِىَ﴾: مضاف، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بالمثنى. ﴿إِذْ﴾: بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى، أي: هي متعلقة

بـ ﴿ثَانِيَ﴾: ﴿هُمَا﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي الْغَارِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿إِذْ﴾: بدل ثان من الأولى، وجملة: ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿لَا تَحْزَنْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مَعَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ تعليل للنهي لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَرَوْهَا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون، والواو: فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في مجل جر صفة: (جنود)، وجملة: (أيده...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَجَعَلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿كَلِمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿كَفَرُوا﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿قَالُوا﴾ في الآية رقم [٥] (الأعراف) والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿السُّفْلَىٰ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَجَعَلَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَكَلِمَةُ﴾: الواو: حرف استئناف. (كلمة): مبتدأ، وقرئ بالنصب عطفاً على مفعول (جعل) الأول، والرفع أبلغ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها، وإن فاق غيرها، فلا ثبات لتفوقه، و﴿وَكَلِمَةُ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿هِيَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿الْعُلْيَا﴾: خبره مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وإن اعتبرت ﴿هِيَ﴾ ضمير فصل لا محل له، فـ ﴿الْعُلْيَا﴾ خبر ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مستأنفة، أو معترضة في آخر الكلام لا محل لها أيضاً.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)﴾

الشرح: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: اخرجوا إلى الحرب مع رسول الله ﷺ على الصفة التي يخف عليكم الجهاد فيها، وعلى الصفة التي يثقل عليكم الجهاد فيها، وهذان الوصفان يدخل تحتهما أقسام كثيرة؛ فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيهما، فقيل: شباباً وشيوخاً، وقيل: نشاطاً وغير نشاط، وقيل: ركباناً ومشاة، وقيل: فقراء وأغنياء، وقيل: عزلاً من السلاح

ومسلحين، وقيل: أصحاء ومرضى، وقيل: عزاباً ومتزوجين. والصحيح أن هذا عام؛ لأن هذه الأحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ والمعنى: على أي حال كنتم فيها.

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أبذلوا أموالكم، وأرواحكم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، وانظر ما ذكرته في حق الجهاد في الآية رقم [٩٦] من سورة (النساء) وانظر شرح الأموال في الآية رقم [٢٨] الأنفال و﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ في الآية رقم [٩] (الأعراف). و﴿سَبِيلِ﴾ في الآية رقم [١٤٢] منها ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ما ذكر في النفر والجهاد في سبيل الله. ﴿خَيْرٌ﴾: انظر الآية رقم [١٢] (الأعراف). ﴿تَعْلَمُونَ﴾: أنه خير لكم فلا تثاقلوا عن الخروج إلى الجهاد، وإخبار الله لا يكون إلا صدقاً، فبادروا إلى ما يدعوكم إليه نبيكم ﷺ.

وينبغي أن تلاحظ: أن الله جلت قدرته قدم في هذه الآية وغيرها الجهاد بالمال على النفس؛ لأن المال شقيق الروح، وقد يبذل الإنسان حياته وروحه في سبيل المال، وقد يهدر كرامته وشرفه في سبيله، وكثير من الناس، يسبب لهم المال العذاب الأليم في نار الجحيم؛ وذلك حينما لم يراقبوا الله تعالى في جمعه وإنفاقه. وكثير من الناس يبيعون الشرف والكرامة بدريهمات، وهو مشاهد في كل زمان ومكان.

الإعراب: ﴿ٱنفِرُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: حالان من واو الجماعة، وجملة: ﴿وَجَٰهِدُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، والكاف: في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل: (جاهدوا)، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له، واللام: للبعد، والميم: علامة جمع الذكور. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بخير، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن كُنتُمْ﴾: انظر الآية رقم [١٤] ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول به محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، التقدير: إن كنتم تعلمون فانفروا... إلخ.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ أي: لو كان ما تدعوهم إليه غنيمة سهلة، قريبة التناول، لا تعب فيها، ولا عناء، والعرض: ما عرض لك من منافع الدنيا، ومتاعها، وفي الحديث

الشريف: «**الدنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يأكلُ مِنْهُ البَرُّ والْفَاجِرُ**». وانظر الآية رقم [٦٧] من سورة (الأنفال)، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: قريباً سهلاً. ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾: لخرجوا معك. ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ أي: المسافة التي تقطع بمشقة؛ لأنه يشق على الإنسان سلوكها. وقرئ بكسر العين والشين. وكانوا يستعظمون غزو الروم؛ لذا تخلفوا لهذا السبب. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ أي: لو كان لنا قدرة في البدن، وقدرة على الراحلة، والزاد؛ لخرجنا معكم، ولما تخلفنا عنكم، وهذا من المعجزات؛ لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: يوقعون أنفسهم في الهلاك بسبب الأيمان الكاذبة، وذلك دليل على أن الأيمان الكاذبة تهلك صاحبها؛ لأنها تؤدي به إلى النار. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: في أيمانهم، وقولهم: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾؛ لأنهم كانوا قادرين على الخروج.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

الإعراب: ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمها محذوف انظر تقديره في الشرح. ﴿عَرَضًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿قَرِيبًا﴾: صفته، وجملة: ﴿كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (اتبعوك): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية جواب: ﴿لَوْ﴾. لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنۢ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك لا محل له. ﴿بَعُدَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب ﴿لَوْ﴾، لا محل لها مثله، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (سيحلفون): فعل وفاعل والسين حرف استقبال لا محل له. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَوِ﴾: مثل سابقه. ﴿ٱسْتَطَعْنَا﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، تقديره: الخروج، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] (الأعراف)، وقل في الجملة ما رأيته في مثلها. ﴿لَخَرَجْنَا﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (خرجنا): فعل وفاعل. ﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ جواب القسم لا محل له، وحذف جواب ﴿لَوِ﴾ على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم؛ فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

واحْذِفْ لَدى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ ... جَوَابَ ما أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿يُهْلِكُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء: في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وقيل: هي بدل من جملة: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس،

وجملة: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، وهو معلق عن العمل بسبب لام الابتداء الداخلة على خبر: (إن). ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كاذبون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو. .الخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ...﴾، في محل نصب سدت مسد مفعولي ﴿يَعْلَمُ﴾ المعلق عن العمل لفظاً؛ ولذا كسرت همزة (إن)، ولولا لام الابتداء لفتحت همزة (إن)، وتأولت مع اسمها وخبرها بمصدر في محل نصب سد مسد المفعولين، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُلِّقَا بِاللَّامِ كَاعْلَمْ إِنَّهُ لَذُو تُقَى

وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾: هذا خطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ، وهو متضمن عتاباً من الله تعالى له في إذنه لمن أذن له في التخلف عن الخروج معه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، قال سفيان بن عُيينة رحمه الله تعالى: انظروا إلى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب. ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ أي: في التخلف. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: في اعتذارهم. ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: فيما يعتذرون به، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة. ﴿عَفَا﴾: انظر الآية رقم [٩٥] من سورة (الأعراف). ﴿لِمَ﴾: انظر الآية رقم [١٦٥] منها، هذا؛ ويقال: تبين الشيء وبان وأبان، واستبان كله بمعنى واحد، وهو لازم وقد يستعمل بعضها متعدياً.

قال قتادة، وعمرو بن ميمون: ثنتان فعلهما النبي ﷺ لم يؤمر بهما: إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه، وأخذه الفدية من الأسارى، فعاتبه الله كما تسمعون، وتقرؤون.

تنبيه: استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء، وبيانه من وجهين: أحدهما أنه سبحانه وتعالى قال ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ والعفو يستدعي سابقة الذنب، والوجه الثاني: أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ وهذا استفهام معناه الإنكار.

والجواب عن الأول: أنا لا نسلم: أن قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ يوجب صدور الذنب، بل نقول: إن ذلك يدل على المبالغة في التعظيم، والتوقير، فهم كما يقول الرجل لغيره

إذا كان معظماً له: عفا الله عنك ما صنعت في أمري؟ رضي الله عنك، ما جوابك عن كلامي؟ وعافاك الله، وغفر لك، كل هذه الألفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه، تدل على تعظيم المخاطب به، وهو وارد في الشعر العربي.

والجواب عن الثاني: أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الإنكار عليه، وبيانه إما أن يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة أو لا، فإن كان قد صدر عنه الذنب بعد العفو لا يليق، وإن لم يكن قد صدر عنه ذنب؛ امتنع الإنكار عليه، فثبت بهذا أن الإنكار يمتنع في حقه ﷺ. انتهى. خازن بتصرف بسيط، وانظر الآية رقم [١٠٦] من سورة (النساء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿عَفَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَنكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿لِمَ﴾اللام: حرف جر، وما: اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام، وحذفت ألفها بياناً للفرق بين الخبر، والاستخبار، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿أَذِنتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَتَبَيَّنَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة﴿صَدَقُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: هلا تركتهم بلا إذن إلى أن يتبين، أي: إلى تبيين حالهم وشأنهم، ولا يجوز أن يتعلق ﴿حَتَّىٰ...﴾ إلخ بـ ﴿أَذِنتَ﴾؛ لأن ذلك يوجب أن يكون أذن لهم إلى هذه الغاية، أو لأجل التبيين، وهذا لا يعاتب عليه. ﴿وَتَعْلَمَ﴾: معطوف على ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ منصوب مثله، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾: مفعول به منصوب.. الخ، واكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه بمعنى: تعرف، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٦١] من سورة (الأنفال). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ...﴾ إلخ أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في الخروج إلى الجهاد، فإن المؤمنين الصادقين يبادرون إليه، ولا يوقفونه على الإذن فيه، فضلاً عن الاستئذان في التخلف عنه، وإنما استأذنك المنافقون كراهةً للجهاد، وجبناً عنه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين يسارعون إلى أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ فيجازيهم على ذلك أحسن الجزاء، بعد

هذا انظر شرح: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في الآية رقم [٩] ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾انظر الآية رقم [٤٢] وفيه تغليب الرجال على النساء؛ إذ ما من شك أن في النساء متقيات مهتديات، هذا شيء معلوم لا ينكره مسلم، وانظر العكس في الآية رقم [٣٤].

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَأْذِنُكَ﴾: مضارع، والكاف: مفعول به. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في الجهاد... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ...﴾ إلخ وقيل: المصدر المؤول في محل جر بالإضافة، والمضاف محذوف، التقدير: كراهة الجهاد، وهذا المحذوف مفعول لأجله؛ وعليه يتغير المعنى عن التقدير الأول، والجملة الفعلية: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَاللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبره. ﴿بِالْمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌ﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: بينت هذه الآية الكريمة: أن الذين استأذنوا الرسول ﷺ في التخلف عن الخروج معه إلى غزوة تبوك: أنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وأن في قلوبهم شكاً ونفاقاً، فهم متحيرون لا هم مع الكفار، ولا هم مع المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وتخصيص الإيمان بالله واليوم الآخر في الذكر في هذه الآية الكريمة والتي قبلها للإشعار بأن الباعث على الجهاد، والوازع عنه، الإيمان، وعدم الإيمان بهما.

هذا؛ والريب: الشك، تقول: رابني هذا الأمر: أوقعني في شك، وحقيقة الريبة: قلق النفس، واضطرابها، قال الرسول ﷺ: «**دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**». رواه الإمام ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ وأرضاهما.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَسْتَأْذِنُكَ﴾: مضارع والكاف مفعول به. ﴿الَّذِينَ﴾: فاعل، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَارْتَابَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعل، والهاء: في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة، فهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿فِي رَيْبِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ،

والجملة الاسمية: ﴿فَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾: إلى الجهاد والغزو معكم، ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾: لتهيؤوا بإعداد آلات السفر، وآلات القتال، فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف. ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: كره خروجهم معكم، إلى الغزو، وملاقاة العدو. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: منعهم، وحبسهم عن الخروج معكم، وضعف رغبتهم في ذلك، والتثبيط: التوقيف عن الأمر، بالتزهيد فيه. ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض، أو قاله الرسول ﷺ غضباً، أو قاله الشيطان لهم بالوسوسة. ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ أي: مع أولي الضرر، والعميان، والزمنى، والنسوان، والصبيان.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَرَادُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، ﴿ٱلْخُرُوجَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَأَعَدُّوا۟﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (أعدوا): فعل وفاعل والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب(لو). ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عُدَّةً﴾: مفعول به، وليس مصدراً، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجوز عطفه على الآية رقم [٤٣]. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على مفهوم جملة: ﴿أَرَادُوا۟﴾ إذ المعنى: ما أرادوا الخروج؛ لأن الله كره ذلك منهم. ﴿ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء: في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: (ثبطهم): ماض ومفعوله، والفاعل يعود إلى الله، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ انظر الإعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٣٩] والجملة الفعلية: ﴿وَقِيلَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها.

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الغزو ما زادوكم إلا شراً وفساداً، وبث الفتن فيما بينكم، وتوهين معنوياتكم، وأصل الخبال: اضطراب، ومرض يؤثر في العقل كالجنون، وأما الذي في قول النبي ﷺ: «**مَنْ قَفَا مؤمناً بما ليس**

فيهِ وَقَفَهُ اللهُ في رَدْغَةِ الْخبالِ حتَّى يَجيءَ بالْمخرجِ منهُ». فالمراد بالخبال: صديد أهل النار، والردغة: الطينة، وقفا قذف. ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي: لأسرعوا فيكم، وساروا بينكم بالنميمة، والأحاديث الكاذبة، والإيضاع: سرعة السير، من: وضع البعير وضعاً: إذا أسرع، ففي الكلام استعارة تبعية تنبه لها. ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾: يطلبون لكم الشر والإفساد، وتوهين العزائم، وذلك بقولهم: لقد جمع لكم العدو كذا وكذا، ولا طاقة لكم بهم، وإنكم ستهزمون، أو تقتلون. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي: من يسمع قولهم، ويؤثر فيهم ما يقولون لضعف إيمانهم، وخور عزيمتهم، وهذا قد يكون عمن لهم أقارب من المنافقين. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هذا وعيد وتهديد للمنافقين؛ الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين. بعد هذا انظر: (زاد) في الآية رقم [٦٩] (الأعراف). و﴿سَمَّٰعُونَ﴾: صيغة مبالغة، فالأصل: سامعون، وانظر الآية رقم [٤٤] من سورة (المائدة).

الإعراب: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم﴾: انظر الآية السابقة لإعراب مثله. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿زَادُوكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿خَبَالًا﴾: مفعول به ثان، وقيل: المفعول الثاني محذوف، تقديره: شيئاً، أو قوة، ونحو ذلك؛ وعليه فـ﴿خَبَالًا﴾ مستثنى بـ﴿إِلَّا﴾ فقيل: متصل، وقيل: منقطع، وجملة: ﴿مَّا زَادُوكُمْ...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، واللام واقعة في جواب (لو) بسبب العطف. تأمل. ﴿خِلَٰلَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والكاف: في محل جر بالإضافة، والميم: حرف دال على جماعة الذكور. ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف: مفعول به أول، وهو في الأصل مجرور بحرف الجر بمحذوف، فلما حذف الجار، اتصل بالفعل، وانتصب به، على حد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾. ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، التقدير: حال كونهم باغين لكم ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾. ﴿وَفِيكُمْ﴾: الواو: واو الحال. (فيكم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو.. الخ. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من الكاف لوجود ضميرين فيها، وعلى الاعتبارين فهي حال متداخلة، وجوز اعتبارها مستأنفة أيضاً. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٤٥] إفراد وجملة، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾

الشرح: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: لقد أرادوا لك الشر والفساد، وتشتيت أمرك، وتفريق أصحابك عنك من قبل هذه الغزوة، وذلك كان يوم أحد، فإن ابن أُبَيٍّ لعنه الله رجع

بأصحابه من ثنيات الوداع بعد ما خرجوا مع رسول الله ﷺ لحرب قريش. ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: دبروا لك المكايد، والحيل، ورددوا الآراء في إبطال أمرك، وتفريق أصحابك عنك، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: التأييد والنصر الإلهي، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: علا دين الله وانتصر. ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾: لما منَّ الله به عليك من النصر المظفر، والعزة والسيادة، ورفعة الشأن، وعلو القدر فدخلوا في الإسلام ظاهراً، هذا؛ وفي الآية وسابقتها كشف لأسرار المنافقين، وهتك لأسرارهم، وما فيهما وما يذكر في غيرهما هو الذي جعل سورة (التوبة) جديرة بأن تسمى بالأسماء التي رأيتها في أولها، هذا؛ والفتنة تطلق على الشر والفساد، وعلى الشرك، وعلى الاختبار والابتلاء والامتحان مما رأيته سابقاً.

الإعراب: ﴿لَقَدِ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، ويقال: اللام لام الابتداء. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱبْتَغَوُا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: مفعول به. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، وجملة: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟...﴾ إلخ: لا محل لها على الوجهين المعتبرين في اللام، وجملة: ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة تقديراً: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: فعل وفاعل، و«أن» المضمرة والفعل ﴿جَآءَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف؛ إذ التقدير: واستمروا على تقليب الأمور. أي: على خبثهم ومكرهم إلى مجيء أمر الله، وجملة: ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي داخلة في الغاية حكماً، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾: في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ أي: من المنافقين من يقول: ائذن لي في القعود عن الجهاد، والتخلف عن الخروج معك، ﴿وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ أي: ولا توقعني في الفتنة، أي: العصيان والمخالفة، وفيه إشعار بأنه متخلف لا محالة، أذن له، أم لم يؤذن، أو بالفتنة بنساء الروم، لما روي أن الجد بن قيس أخي بني سلمى قال للرسول ﷺ، حين قال له: «**يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء؟!**». فقال: يا رسول الله لقد عرف قومي: أني رجل مغرم بحب النساء، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن لي

في القعود، ولا تفتني بهن، وأعينك بمالي، ولم يكن به علة إلا النفاق، فأذن له. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: في الإثم، والمعصية وقعوا، وهي النفاق، والتخلف عن النبيﷺ، وفي ﴿سَقَطُوا﴾ استعارة تبعية. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها، وتحيط أيضاً بالكافرات على مثال ما رأيت في الآية رقم [٣٤] و [٤٥]، وانظر إعلال ﴿مُحِيطٌ﴾ في الآية رقم [٤٧]، الأنفال، وانظر ﴿كَفَرُوا﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف)، فقد اعتبر الله المنافقين كافرين، وانظر الآية رقم [٦٣].

هذا؛ و﴿ائْذَن﴾ أمر من: أذن، يأذن، والأمر بهمزتين: همزة الوصل التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، والثانية هي فاء الفعل، ولا يجتمع همزتان، فإذا ابتدأت الكلام، قلت: إيذن بإبدال الثانية ياء لكسر ما قبلها، فإذا وصلت الكلام زالت العلة في الجمع بين همزتين، فتحذف همزة الوصل، وتعود الهمزة الأصلية، فتقول: ائْذَنْ، ومثل ذلك قل في إعلال: أتى، يأتي، إِأْت.

الإعراب: ﴿وَمِنْهُم﴾: (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، هذا هو الإعراب الظاهر، والأصح: أن مضمون (منهم) مبتدأ، و﴿مَن﴾ هي الخبر؛ لأن (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض، أي: وبعض الناس، وجمع الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، فعطف (أكثرهم) على ﴿مِنْهُمُ﴾ يؤيد أن معناه بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ، لا تُرامُ وبعضُهُمْ مِمَّا قَمِشْتَ، وضَمَّ حبلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظة (منهم) بما هو مبتدأ، أعني لفظة (بعضهم) وهذا مما يدل على أن مضمون (منهم) مبتدأ، هذا؛ وليوث جمع ليث، وهو الأسد، (لا ترام): لا تقصد بشر، (قمشت): جمعت من هنا وهناك، والمراد: رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء.

﴿يَقُولُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، ﴿ائْذَن﴾: أمر، وفاعله: (أنت). ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿ائْذَن لِي﴾: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ: صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع الفاعل إليها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية، ﴿تَفْتِنِّي﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، ونون الفعل الأصلية مدغمة في نون الوقاية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْهُم مَن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿فِي الْفِتْنَةِ﴾: متعلقان بما بعدهما.

﴿سَقَطُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، أو ابتدائية لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿جَهَنَّمَ﴾: اسمها، ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (محيطة): خبر(إن). ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾: متعلقان بـ (محيطة)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو فقط.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ أي: إن يصبك يا محمد خير من نصر، وغنيمة؛ يحزن المنافقون، ويتمنون أن يكونوا معك في تلك الغزوة، ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: من هزيمة وشدة، كما حصل في غزوة أحد. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالأمر الحزم؛ حيث لم نخرج للقتال. ﴿وَيَتَوَلَّوا﴾: يعرضوا عن محدثهم، وهم مسرورون بذلك، أو يعرضوا عن الرسولﷺ، ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما صنعوا من التخلف، وما أحراك أن تنظر الآية رقم [١٢٠] من سورة (آل عمران)، والآية رقم [٧٢] النساء، فهما تشبهان هذه الآية، هذا؛ وقد قابل الله هنا الحسنة بالمصيبة، ولم يقابلها بالسيئة، كما في الآية رقم [١٢٠] آل عمران؛ لأن الخطاب هنا للنبيﷺ، وهي في حقه مصيبة يثاب عليها، لا سيئة يعاتب عليها، كما في آل عمران، فإنها خطاب للمؤمنين، وانظر القول في الآية رقم [٥] (الأعراف).

بعد هذا فـ ﴿تُصِبْكَ﴾، ماضيه: أصاب، وهو يحتمل معاني كثيرة، تقول: أصاب السهم يصيب، لم يخطئ هدفه، وأصاب الرجل في قوله، أو في رأيه يصيب: أتى بالصواب، وأصاب فلاناً البلاء يصيبه: وقع عليه، وأصل يصيب: يُؤَصْوِبُ، أَوْ يُؤَصْيِبُ، فقل في إعلاله: حذفت الهمزة للتخفيف حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل أؤصْيِب الذي حذفت همزته الثانية للتخلص من ثقل الهمزتين، فصار (يصْوِبُ، أو يصْيِب) ثم يقال: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الياء، أو الواو، وهي الكسرة إلى الصاد قبلها بعد سلب سكونها، فصار (يُصِيب، أو يُصِوْب) ثم قلبت الواو في الثاني ياء لانكسار ما قبلها، ولما دخل الجازم صار (تُصِيبْ) فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فصار ﴿إِن تُصِبْكَ...﴾ إلخ وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي مزيدة الهمزة في أوله للتعدية، مثل: أجاب، يجيبُ، وأكرمَ، يكرِمُ، ونحو ذلك كما حذفت الهمزة الثانية من يؤمنون؛ لأن ماضيه آمن، وأصله: أَأْمَنَ، والمضارعُ: يُؤَأْمِن، أُؤْمِن، فتحذف من الأول، وتسهل في الثاني، وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور، كما في قول أبي حيان الفقعسي: [الرجز]

فـــإنـــه أهـــلٌ لأنْ يُـــؤَكْـــرَمَـــا

ولا تنسَ أن الهمزة المزيدة هذه تحذف من اسمي الفاعل والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مكرِم، ومكرَم، ومصيبة، ومصاب، وقس على ذلك. تنبه لهذا، واحفظه.

الإعراب: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ﴾: إعراب هاتين الجملتين مثل إعراب قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ...﴾ إلخ في الآية رقم [٤٠]، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَخَذْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَمْرَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَدْ أَخَذْنَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾: (يتولوا): معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، ويجوز في مثله النصب والرفع، انظر الآية رقم [٢٨٣] من سورة (البقرة)، ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وانظر الآية رقم [٤٩]، والجملة الاسمية: ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: في محل نصب حال، من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من مكروه: لن يصيبنا إلا ما قدره الله لنا، أو علينا، وسجله في اللوح المحفوظ؛ لأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، من خير وشر، فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروهاً نزل به، أو يجلب لنفسه نفعاً، أراده لم يقدر له. ﴿مَوْلَىٰنَا﴾: المولى يطلق، ويراد: به الإله المعبود بحق، كما يطلق على السيد، والعبد، والحليف، وابن العم، والنصير، والصاحب، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فليعتمدوا عليه لا على غيره، فهو الذي يحفظهم، ويرد عنهم كيد أعدائهم، وانظر إعلال (يصيب) في الآية السابقة. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الأنفال).

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿لَّن﴾: حرف نفي، ونصب واستقبال، ﴿يُصِيبَنَآ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَّن﴾، و(نا): مفعول به، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: إلا الذي، أو شيء كتبه الله لنا، من الخير، أو علينا من الشر. ﴿هُوَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مَوْلَىٰنَا﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية تعليل للكلام السابق لا محل لها. ﴿وَعَلَى﴾: الواو: فيما أرى

زائدة. (على الله): متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الزائدة، والواو: عاطفة، اللام: لام الأمر. (يتوكل): مضارع مجزوم بلام الأمر، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو. الخ، والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وقد قال أبو البقاء: دخلت الفاء لمعنى الشرط، والمعنى: إن فرحوا بتخلفهم، وشمتوا فيكم؛ فتوكلوا أنتم على الله، وإن اشتد الأمر؛ فتوكلوا، وعلى هذا فالواو ليست زائدة، وإنما هي عاطفة جملة شرطية على الكلام السابق، وتكون الفاء هي الفصيحة، ولا يخفى ما فيه من التكلف. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقين، والتربص: الانتظار والترقب. ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: إما النصر والغنيمة، وإما الشهادة والمغفرة، وهي الغاية القصوى التي يهدف إليها المؤمن ويرغب فيها، ويدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيﷺ، قال: «**تكفَّلَ اللهُ ـ وفي رواية تضمَّنَ اللهُ ـ لِمَنْ خَرَجَ في سَبيلِهِ، لا يَخْرُجُ إِلَّا جِهاداً في سَبيلي، وإيماناً بي، وتَصْديقاً برُسُلِي، فهو عَلَيَّ ضامِنٌ، أَنْ أُدْخِلَهُ الجنَّةَ، أو أَرْجِعَهُ إلى مسْكَنِهِ الَّذي خرَجَ منهُ، نائِلاً مَا نَالَ مِنْ أجرٍ، أو غنيمةٍ**». أخرجاه في الصحيحين.

هذا؛ والحسنيين تثنية: الحسنى، وهي مؤنث الأحسن، والجمع: الحُسَن، والحسنيات، ولا يجوز النطق به إلا معرفاً. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ أي: ننتظر ونترقب بكم إحدى السوءين: أولهما ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بأن يهلككم، كما أهلك من كان قبلكم من الأمم الخالية. ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: الثانية بأن يسلطنا عليكم ويأذن لنا بقتالكم، ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾: وعيد، وتهديد، أي: انتظروا مواعيد الشيطان. ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: منتظرون مواعيد الله، بالنصر والظفر والعزة والسيادة، وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، بعد هذا انظر إعلال (يصيب) في الآية رقم [٥١]، ﴿بِعَذَابٍ﴾: انظر الآية رقم [٤٠]، ﴿بِأَيْدِينَا﴾: جمع يد، وانظر الآية رقم [١٠٨] من سورة (الأعراف)، وانظر ﴿الْحُسْنَى﴾: في الآية رقم [١٨٠] منها أيضاً، و[١١٠] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام إنكاري توبيخي، ومعناه النفي. ﴿تَرَبَّصُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِنَآ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر، ﴿إِحْدَى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر،

و﴿إِحْدَى﴾: مضاف، و﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء لأنه مثنى. .الخ، وجملة: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ هَلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَنَحْنُ﴾: الواو: واو الحال. (نحن): ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿نَتَرَبَّصُ بِكُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ﴾ في محل نصب مفعول به، التقدير: نتربص بكم إصابة الله لكم بعذاب، والجملة الاسمية (نحن. .الخ) في محل نصب حال من (نا)والرابط: الواو، والضمير. ﴿مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: متعلقان ﴿بِعَذَابٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف.﴿بِأَيْدِينَا﴾: معطوفان على قوله ﴿مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ والجر مقدر على الياء، و(الهاء) و(نا): كلاهما في محل جر بالإضافة. ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢٩]، (تربصوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]، من سورة (الأعراف)، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مَعَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده. والكاف: في محل جر بالإضافة. ﴿مُّتَرَبِّصُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو، وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف، انظر الشرح، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ، تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم، أو مكرهين بالإنفاق، بإلزام الله ورسوله إياكم بالإنفاق، فلن يقبل منكم ما تنفقونه، ونفي التقبل يحتمل أمرين: أن لا يؤخذ منهم، وأن لا يثابوا عليه،لأن هذا الإنفاق كان لغير وجه الله تعالى، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: هذا تعليل لعدم قبول نفقاتهم، وهذه الآية، وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي تعم كل من أنفق ماله لغير وجه الله، بل أنفقه رياء وسمعة، انظر الآية رقم [٢٦٣]، من سورة (البقرة)، ففيها الدواء الشافي، علماً بأن الآية الكريمة متعلقة بالجد بن قيس المذكور في الآية رقم [٥٠] وهي في معنى قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾ إلخ.

بعد هذا انظر (القول) في الآية رقم [٤] (الأعراف)، و(نفق) في الآية رقم [٣] الأنفال، وإعلال مثل: ﴿كُنتُمْ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف)، و﴿قَوْمًا﴾ في الآية رقم [٣٢] منها، و﴿فَٰسِقِينَ﴾: في الآية رقم [١٤٥] منها، ومعناه هنا: (كافرين)، وهو ما تبينه الآية التالية، وفيه تغليب الرجال على النساء كما رأيت في الآية رقم [٣٤] و [٤٥].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿أَنفِقُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿طَوْعًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، أو هو حال على تأويله بـ«طائعين». ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿كَرْهًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَّن﴾: حرف نفي ونصب، ومعناه: الحال لا الاستقبال هنا. ﴿يُتَقَبَّلَ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل محذوف؛ إذ التقدير: لن يتقبل منكم ما تنفقونه. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة. والرابط: الضمير فقط. والتقدير: غير متقبل منكم إنفاقكم. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف: اسمها. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض مبني على السكون، والتاء اسمه، والميم علامة جمع الذكور. ﴿قَوْمًا﴾: خبر كان. ﴿فَـٰسِقِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وجملة: ﴿كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ في محل رفع خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل لعدم القبول لا محل لها.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ...﴾ إلخ: أي: إن المانع من قبول نفقاتهم، وعدم إثابتهم عليها، هو كفرهم بالله ورسوله، هذا؛ ويقرأ (يقبل) بالتاء والياء، وبالبناء للمجهول؛ لأن النفقات مؤنث مجازي، وأيضاً فصل بينها وبين الفعل، كما قرئ: (يقبل) بالبناء للمعلوم، ونصب نفقاتهم، فيكون الفاعل عائداً إلى الله، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ أي: لا يأتون المسجد لأداء الصلاة إلا وهم كسالى متثاقلين، وإن كانوا في جماعة صلوا، وإن انفردوا في بيوتهم، أو غيرها لم يصلوا؛ لأنهم لا يرجون عليها ثواباً، ولا يخشون في تركها عقاباً، وانظر الآية رقم [١٤٢] من سورة (النساء)، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾: وذلك لأنهم يعتقدون الإنفاق في سبيل الله مغرماً، لا ثواب فيه، ومنعه مغنماً، وانظر الصلاة والزكاة في الآية رقم [١٢].

تنبيه: أفادت الآية الكريمة وسابقتها أن أفعال الكافر إذا كانت براً، كصلة القرابة ونحوها، لا يثاب عليها، ولا ينتفع بها في الآخرة، بيد أنه يُطْعَمُ بها في الدنيا، دليله ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالتْ قلتُ: يا رسولَ الله ابنُ جُدعانَ كان في الجاهليَّةِ يصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المسكينَ، فهلْ ذلكَ نافعُهُ؟ قال: «**لا يَنْفَعُهُ، إنه لم يقُلْ يوماً: ربِّ اغفر لي خَطيئتي يومَ الدِّينِ**». وروي عن أنس رضي الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يظلِمُ مؤمناً حَسَنةً يُعْطَى بها في الدُّنْيَا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر؛ فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا؛ حتَّى إذَا أَفْضى إلى الآخرةِ، لَمْ يكُنْ لَهُ حَسَنةٌ يُجْزَى بها**». وهذا نص، ثم قيل: هل

بحكم هذا الوعد الصادق، لا بد أن يطعم الكافر، ويعطى بحسناته في الدنيا، أو ذلك مقيد بمشيئة الله المذكورة في قوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ وهذا هو الصحيح من القولين، والله أعلم.

وتسمية ما يصدر من الكافر حسنة إنما هو بحسب ظن الكافر، وإلا فلا يصح منه قربة، لعدم شرطها المصحح لها، وهو الإيمان، أو سميت حسنة؛ لأنها تشبه صورة حسنة المؤمن ظاهراً، قولان أيضاً. انتهى قرطبي. وما أحراك أن تنظر سورة (النور) رقم [٣٩] والفرقان رقم [٢٣] وسورة (إبراهيم) عليه السلام [١٨].

أقول: ومعنى إطعام الكافر في الدنيا، إدرار الرزق عليه، ومده بالصحة والعافية، وسروره في هذه الدنيا، وراحة باله وهناءة عيشه وغير ذلك من نعيم الدنيا، وملذاتها، وانظر الآية رقم [١٥] من سورة (هود) عليه السلام تجد ما يسرك ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: (ما): نافية. ﴿مَنَعَهُمْ﴾: ماض، والهاء: مفعول به، والمصدر المؤول من ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾: في محل نصب مفعول به ثان، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: وما منعهم من قبول نفقاتهم. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل (منع) التقدير: إلا كفرهم، وعلى قراءة (يَقْبَلُ) بالبناء للمعلوم، واعتبار الفاعل عائداً إلى الله فالمصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: وما منعهم الله قبول نفقاتهم إلا لكفرهم بالله ورسوله. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَأْتُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به. والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ فهي في محل رفع مثلها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كُسَالَىٰ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ مع المفعول المحذوف معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ أي: فلا تلتفت، ولا تنظر إلى ما نمدهم به من أموال، وبنين في هذه الدنيا، إنما هو استدراج لهم، والخطاب للنبي ﷺ، ويشمل كل مؤمن،

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا...﴾ إلخ أي: بسبب ما يكابدون لجمعها، وحفظها من المصاعب، وما يرون فيها من المشاق، والشدائد، والمتاعب، فإن كثرة الأولاد والمال؛ تسبب للإنسان كثرة الهموم والمتاعب، ويزداد الحزن والغم؛ بسبب المصائب الواقعة فيهما، وإنما خص الكافر والمنافق بذكر هذا التعذيب مع كونه يحصل للمؤمن شيء من ذلك؛ لأن الكافر، والمنافق لا يعتقدان أن الآخرة لهما، وأنها ليس فيها ثواب، بخلاف المؤمن، فهو يؤمن بالآخرة، والثواب فيها، كما يؤمن بالجزاء الذي وعده الله للصابرين على البلاء، والمصائب. و﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾: والمعنى: أنهم يموتون على الكفر، فيكون عذابهم في الآخرة أشد، وأقسى من عذاب الدنيا، والزهوق: الخروج بصعوبة، وفعله من باب فتح، وقد يأتي من باب فرح. بعد هذا انظر (العجب) في الآية رقم [٦٣] (الأعراف). وشرح الأموال في الآية رقم [٢٨] الأنفال، ﴿يُرِيدُ﴾: انظر إعلال مثله في الآية رقم [٥١] وشرحه في الآية رقم [٨٩] (الأعراف)، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: انظر الآية رقم [٢٩] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لا): ناهية. ﴿تُعْجِبْكَ﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، والكاف: مفعول به. ﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾: فاعله. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): معطوفة على ما قبلها، ومعناها النهي لا النفي. ﴿أَوْلَٰدُهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، فهو داخل في الفاعلية، والهاء: فيهما في محل جر بالإضافة والميم: علامة جمع الذكور، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾: اللام: زائدة قائمة مقام «أنْ»، ويقال: «أن» مضمرة بعدها، (يعذبهم): مضارع منصوب بـ «أن» المضمرة بعد اللام، والهاء: مفعول به. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل (يعذب) وقيل: متعلقان بالفعل ﴿تُعْجِبْكَ﴾. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، و«أن» المضمرة والفعل يعذب في تأويل مصدر في محل جر باللام لفظاً، وهو في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها. ﴿وَتَزْهَقَ﴾: معطوف على (يعذب) منصوب مثله. ﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعله، والهاء: في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: يقسم المنافقون بالله: إنهم من ملتكم، وإنهم مسلمون. ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾: نفي لإسلامهم، لكفر قلوبهم، وخبث نياتهم، ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: يخافون منكم أن تظهروا على سرائرهم فتفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين، لذلك يتظاهرون بالإسلام تقية ووقاية من بطشكم بهم.

الإعراب: ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾: الواو: حرف استئناف، وجملة: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ مع جوابها مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها. ﴿لَمِنكُمْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (منكم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: جواب القسم لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية أو تميمية. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما)، على إعمالها أو في محل رفع مبتدأ على إهمالها. ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر (ما)، أو في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾: في محل نصب حال من اسم (إنَّ)، والرابط: الواو، والضمير، واعتبارها مستأنفة لا بأس به. ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها، ﴿قَوْمٌ﴾: خبرها، وجملة: ﴿يَفْرَقُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل رفع صفة: ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ...﴾ إلخ معطوف على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾

الشرح: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ أي: لو يجد هؤلاء المنافقون حصناً يتحصنون به، ويلجؤون إليه، ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾: جمع مغارة وهي مكان يكون في جوف الأرض يختفي فيه من يريد الاستتار عن الأنظار، وانظر الغار في الآية رقم [٤١]، ﴿مُدَّخَلًا﴾: نفقاً ومدخلاً تحت الأرض يختبئون فيه، الأصل فيه متدخل، وقيل: مدتخل، فأدغمت الدال في التاء، وقرئ: و(مُدَخَلاً)، و(مُدْخَلاً) و(مُدَّخَّلاً)، ففيه سِتُّ قراءات. ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: لرجعوا إلى أحد المذكورات لو وجدوه، وتحرزوا به مع أن الثلاثة المذكورة شر الأمكنة، وأضيقها. ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: أي: يسرعون إلى ذلك لا يردهم شيء، كالفرس الجموح الذي لا يلوي على شيء، وقرئ: (يجمزون) من الجمز، وهو ضرب من السير أشد من العَنَق، وانظر إعلال «يجد» في الآية رقم [١٧] من سورة (الأعراف)، وإعلال (ولَّوْا) مثل إعلال (أتوا) في الآية رقم [١٣٨] منها.

الإعراب: ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ﴿يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ فعل وفاعل ومفعول به، ﴿مَغَـٰرَٰتٍ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، ﴿مُدَّخَلًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَّوَلَّوْا۟﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (ولوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب ﴿لَوْ﴾، وجملة: ﴿يَجِدُونَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَهُمْ﴾: والواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني

على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿يَجْمَحُونَ﴾: فعل وفاعل. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ أي: المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وتوزيعها، قال الجوهري: اللمز: العيب، وأصله: الإشارة بالعين، واللسان، ونحوهما، ورجل لَمَّاز ولُمزَة، أي: عياب، والهمز مثل اللمز، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، و﴿يَلْمِزُكَ﴾ قرئ بكسر الميم وضمها، كما قرئ: (يلامزك)، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا﴾ ما يريدون ويرغبون فيه. ﴿رَضُوا۟﴾ أي: بتلك القسمة، ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ﴾ أي: ما يريدونه. ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: يغضبون، ويعيبون على النبي ﷺ في قسمتها، هذا؛ وأصل ﴿أُعْطُوا۟﴾: أُعْطِيُوا وأصل ﴿رَضُوا۟﴾: رَضِيُوا. فقل في إعلالهما: استثقلت الضمة على الياء، فحذفت، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، ثم قلبت كسرة الطاء والضاد ضمة لمناسبة الواو.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في ذي الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير، وهو أصل الخوارج، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم مالاً إذ جاءه ذو الخويصرة، فقال: يا رسول الله اعدل! فقال: «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟**». فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دَعْني يا رسولَ الله أَقْتُلْ هذا المنافِقَ، فقال: «**معاذَ اللهِ أن يتحدَّثَ الناسُ: أَنِّي أَقْتُلُ أصْحابي، دعْهُ فإنَّ لهُ أصحاباً يحقِرُ أحدُكمْ صلاتَهُ معَ صلاتهم، وصيامَهُ مَعَ صيامِهِمْ، إنَّ هذَا وأصحابَهُ يقرؤون القرآنَ لا يجاوزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرمِيَّةِ**». وقال الكلبي: قال رجل من المنافقين، يقال له: أبو الجواظ: لم تقسم بالسوية، فنزلت هذه الآية.

الإعراب: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٥٠]، ﴿فَإِنْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أُعْطُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو: نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: قسماً: ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بهذا المحذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿رَضُوا۟﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم جواب الشرط، والواو: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ ﴿إِذَا﴾ الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل

له ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا﴾ مثل إعراب سابقه. ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٠٧] من سورة (الأعراف). وإذا الفجائية هنا قائمة مقام فاء الجزاء في الربط على حد قول ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وتَخْلُفُ الْفَاءَ إذَا الْمُفَاجَأَةْ كَإِنْ تَجُدْ إِذَا لَنَا مُكَافَأَةْ

فإن الأصل في الآية. (فهم يسخطون)، وإن الشرطية ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله، بعد هذا انظر ما ذكرته في ﴿وَإِن لَّمْ﴾ في الآية رقم [٢٣] من سورة (الأعراف) فإنه جيد. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ولو أن المنافقين الذين عابوا عليك قسمتك الأموال رضوا بما قسم لهم الرسول ﷺ، وأعطاهم من الغنيمة، وذكر الله للتعظيم، والتنبيه على أن ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام، كان بأمره تعالى. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: كافينا الله. ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ أي: سيعطينا الرسول ﷺ بأمره تعالى من غنيمة أخرى أكثر مما أعطانا في هذه الغزوة، ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أي: طامعون في جوده، وكرمه في أن يوسع علينا عن الصدقة، وعن غيرها من أموال الناس.

﴿حَسْبُنَا﴾: حسب: اسم ملازم للإضافة كـ «قبل» و«بعد» ونحوهما، وتقطع هذه الأسماء عن الإضافة لفظاً دون معنى، فتبنى على الضم، نحو قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ ونحو قبضت عشرةً فحسْبُ، أي: فحسبي ذلك، وهي بمعنى اسم الفاعل (كافٍ)، وتقع صفة للنكرة في حال الإضافة وعدمها، كمررتُ برجلٍ حَسْبِكَ مِنْ رَجُلٍ، ورأيتُ رجلاً حَسْبُ، وحالاً من معرفة، كهذا عبدُ اللهِ حسْبَكَ من رَجُلٍ، وَرأَيْتُ رجلاً حسْبُ، ومبتدأ، فتستعمل استعمال الأسماء الجامدة، نحو ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وقبضتُ عشرة فحسْبُ، أي: فحسبي ذلكَ.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها. ﴿رَضُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: (آتاهم الله ورسوله إياه)، فهو المفعول الثاني كما ترى، وجملة: ﴿رَضُوا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط (لو عند المبرد، التقدير:

ولو حصل رضاهم، أو ثبت، ونحوه، وقال سيبويه: هو في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: ولو رضاهم ثابت أو حاصل، وقول المبرد هو المرجح؛ لأن «لو» لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر، وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لكان خيراً لهم. ﴿حَسْبُنَا﴾: مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿رَضُواْ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿سَيُؤْتِينَا﴾: السين: حرف استقبال. (يؤتينا): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، و(نا): مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾: معطوف على ﴿ٱللَّهُ﴾، والمفعول الثاني محذوف، انظر الشرح، وجملة: ﴿سَيُؤْتِينَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿رَٰغِبُونَ...﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وقال الجمل: هاتان الجملتان ﴿سَيُؤْتِينَا...﴾ إلخ كالشرح لقوله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ فلذلك لم يتعاطفا؛ لأنهما كالشيء الواحد، فشدة الاتصال منعت العطف. انتهى. عن كرخي، ويعود فحواه إلى مقول القول، كما ذكرته.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: أعلم أن المنافقين لما عابوا النبي ﷺ في قسم الصدقات؛ بين الله عز وجل في هذه الآية: أن المستحقين للصدقات هؤلاء الأصناف الثمانية، ومصرفها إليهم، ولا تعلق لرسول الله ﷺ بشيء منها، ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً، فعن زياد بن الحارث الصدائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته، فأتاهُ رَجُلٌ فقال: أَعْطِني من الصَّدَقة، فقال له: «**إن اللهَ لَمْ يرضَ بحكم نبيٍّ، ولا غيرهِ في الصَّدَقَاتِ، حتى حَكَمَ فيها هُوَ، فَجزَّأَهَا ثمانِيَةَ أجْزَاءٍ، فإنْ كُنْتَ من تلك الأَجزاءِ أعطيْتُكَ حَقَّكَ**». أخرجه أبو داود. انتهى. خازن بتصرف.

بعد هذا المراد بالصدقات: الزكوات الواجبة في جميع الأموال على اختلاف أنواعها، كما هو مبين في الفقه الإسلامي.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: جمع فقير، وأصله في اللغة: الذي انكسر فقار ظهره، ثم أطلق على المعدم؛ الذي لا يجد حاجته من المال؛ لأنه يشبه الذي انبتَّ ظهره، وعدم الحول والقوة، وهو أسوأ

حالاً من المسكين عندنا معاشر الشافعية، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ...﴾ إلخ فسماهم مساكين مع كونهم يملكون سفينة يتجرون فيها، وينقلون بضائع للناس من صقع إلى صقع، وكان النبي ﷺ يسأل المسكنة، ويتعوذ بالله من الفقر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أحْيِني مسكيناً، وأمِتْنِي مسكيناً، واحْشُرْني في زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ القيامةِ**». رواه الترمذي، فلو كان المسكين أسوأ حَالاً من الفقير، لما تعوذ من الفقر، وسأل المسكنة.

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: هم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات، وقبضها من أهلها، ووضعها في جهتها، فيعطون من مال الزكاة بقدر أجورهم، سواء أكانوا فقراء، أم أغنياء، ولا يجوز أن يكونوا من بني هاشم، ولا من بني المطلب.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: هم قوم أسلموا، ونيتهم ضعيفة، لم يرسخ الإيمان في قلوبهم، وقد أعطى الرسول ﷺ من غنائم هوازن: عيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس التميمي، والعباس بن مرداس السلمي، فقد أعطاهم ﷺ لتقوى رغبتهم في الإسلام، ومن المؤلفة قوم أسلموا ونيتهم قوية في الإسلام، وهم أشراف في أقوامهم، مثل: عدي بن حاتم الطائي، والزبرقان بن بدر، فأعطاهم ﷺ، تألفاً لقومهم، وترغيباً لأمثالهم في الإسلام.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ أي: وفي فك الرقاب، ويكون بأمور: بمعاونة المكاتبين على تحرير أنفسهم من الرق، وهذا لا وجود له اليوم، وقيل: بشراء العبيد وإعتاقهم، ويكون بفك الأسرى من يد الكفار، وهذا لا ينعدم في كل زمان ومكان.

﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: جمع غارم، وهم قسمان: قسم ادَّانوا لأنفسهم في غير معصية، فيعطون بقدر ديونهم إذا لم يجدوا وفاء، وقسم ادَّانوا في المعروف، وإصلاح ذات البين، كأَنْ تحمل أحدهم دية قتيل، أو قتلى لتسكين الفتنة، وقطع دابر الشر، فيعطون من مال الصدقات ما يقضي ديونهم، وإن كانوا أغنياء، أما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئاً.

﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: وفي النفقة في سبيل الله، والمراد به: الغزاة، فلهم سهم من مال الصدقات، فيعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو ما يستعينون به على أمر الجهاد. وإن كانوا أغنياء، وأجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله إلى جميع وجوه الخير، من تكفين الموتى، وبناء الجسور والحصون، وعمارة المساجد، وغير ذلك، والقول الأول هو المعتمد لإجماع الجمهور عليه.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: المسافر من بلد يعطى من مال الصدقات ما يكفيه لمؤونة سفره حتى يصل بلده، وهذا إذا لم يكن معه مال يوصله إلى مقصده، وإن كان له مال كثير في بلده، وانظر شرح (سبيل) في الآية رقم [١٤٢] (الأعراف).

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه الأحكام المذكورة في هذه الآية فريضة واجبة من الله، أو المعنى فرض الله هذه الأشياء فريضة، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: بمصالح عباده. ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما فرض لهم، لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل.

تنبيه: يجب أن تفهم أن لجر الأصناف الأربعة الأول باللام، وجر الأربعة الأخر بـ (في) فرقاً، وتفسيره بأن اللام تفيد الملك، فنصيب الأول يسلم إليهم، وهم أحرار فيه يفعلون فيه ما يشاؤون، وأما نصيب القسم الثاني فيجب أن يوضع في الجهة التي استحق الصنف بها هذا السهم، فنصيب الرقاب يجب أن يصرف في فك رقابهم، وتحريرها من الرق، ونصيب الغارمين يجب أن يصرف في وفاء ديونهم، ونصيب الجهاد، والغزاة يجب أن يشترى به ما يحتاجون إليه من أهبة الحرب، ونصيب ابن السبيل يجب أن يصرف في أجرة سفره، وما يحتاجه من طعام وغيره في هذا السفر؛ وهذا يعني أنهم لا يسلمون نصيبهم إلا إذا صرفوه في الجهة التي استحقوا بها هذا المال، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلصَّدَقَٰتُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ﴾: معطوفان على الفقراء، فهما مجروران مثله، وعلامة الجر فيهما الياء نيابة عن الكسرة. .الخ. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بالعاملين؛ لأنه جمع عامل، فهو اسم فاعل. لذا ففيه ضمير مستتر هو فاعله، ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: نائب فاعله، وقيل: هو فاعل، وهذا على اعتبار فعله لازماً. ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: معطوفان على ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾. ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: معطوف على ما قبله مجرور مثله... إلخ. ﴿وَفِى سَبِيلِ﴾: معطوفة على ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾، و﴿سَبِيلِ﴾مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱبْنِ﴾: معطوف على ما قبله، و(ابن) مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَرِيضَةً﴾: مفعول مطلق عامله محذوف، انظر تقديره في الشرح، وعلى قراءته بالرفع فهو خبر لمبتدأ محذوف. انظر التقدير في الشرح. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ ﴿فَرِيضَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر أول. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية معترضة في آخر الكلام لا محل لها.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: من المنافقين جماعة يؤذون النبيﷺ، ويعيبونه، ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغه ذلك،

فيقع بنا، وينتقم منا، فقال الجلاس بن سويد، وهو من المنافقين، بل نقول: ما شئنا، ثم نأتيه، وننكر ما قلنا، ونحلف، فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن، يسمع كل ما يقال له، ويقبله، وقيل: إن قائل ذلك يقال له نبتل بن الحارث، وكان مشوه الخلقة، وقد قال فيه النبي ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى الشَّيْطَانِ، فلْيَنْظُرْ إلى نَبْتَلِ بْنِ الحارِثِ**». ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: هو أذن خير، لا أذن شر، أي: يسمع الخير، لا يسمع الشر، فالمراد بالأذن صاحبها، فعبر بالجزء عن الكل، كما سمي الجاسوس عيناً، وقرئ بضم الذال وسكونها، كما قرئ برفع (أذن) وتنوينه وعدمه. ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾: يصدق بوجوده، ويعترف بربوبيته. ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: ويصدق المؤمنين، ويطمئن لعلمه بإيمانهم، وصلاح نياتهم وضمائرهم. ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ أي: وهو رحمة للمؤمنين حيث يقبل الظاهر منهم، ولا يكشف سرائرهم. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي: بقول أو بفعل. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في جهنم، وبئس المصير، هذا؛ و﴿أُذُنٌ﴾ يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث. وانظر شرح ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾ في الآية رقم [١] الأنفال، وانظر (القول) في الآية رقم [٥] (الأعراف). وانظر الإيمان في الآية رقم [٢١] منها، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: انظر الآية رقم [٤٠] وقرئ (رحمة) بالرفع والنصب والجر.

الإعراب: ﴿وَمِنْهُمُ﴾: الواو: حرف استئناف. (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر. وانظر الآية رقم [٥٠]، وجملة: ﴿يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾: صلة الموصول لا محل لها. (يقولون): مضارع مرفوع. . الخ. والواو: فاعله، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أُذُنٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو أذن. وهو مضاف، و﴿خَيْرٍ﴾: مضاف إليه، هذا؛ وعلى قراءة التنوين، ورفع (خير) فهو صفة ﴿أُذُنُ﴾. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرٍ﴾ أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ في محل رفع صفة: ﴿أُذُنُ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه، أو بعد إضافته، وقال الجمل: هي تفسير لـ ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، وجملة: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، واللام: زائدة في المفعول به، لتفرق بين (يؤمن) بمعنى: يصدق، و(يؤمن) بمعنى: يثبت الأمان، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: بالرفع عطفاً على ﴿أُذُنُ﴾، وبالجر على ﴿خَيْرٍ﴾، وبالنصب، على أنه مفعول لأجله، عامله دل عليه ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾ أي: يأذن لكم رحمة. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ (رحمة)، أو بمحذوف صفتها، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ صلة الموصول، ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾:

مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾: الضمير مراد به النبي ﷺ، وجمع معه الصحابة تشريفاً، وتكريماً لهم. ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾: اختلفوا في معنى الضمير إلى ماذا يعود، فقيل: الضمير عائد على (الله)تعالى؛ لأن رضا الله في رضا رسوله ﷺ، والمعنى: والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والإخلاص، وقيل:معناه: والله أحق أن يرضوه، وكذلك رسوله، ومذهب سيبويه أن التقدير: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، فحذف الثاني لدلالة الأول عليه، وقيل غير ذلك، ومذهب سيبويه أولى بالاعتبار معنى وإعراباً، وانظر الآية رقم [١٨] من سورة (المائدة). ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: حقاً وصدقاً فليرضوا الله ورسوله.

تنبيه: قال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين، فيهم الجُلَاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فيهم غلام من الأنصار، يدعى عامر بن قيس، فحقروه، ثم تكلموا، فقالوا: إن كان ما يقول محمد حقّاً لنحن شرٌّ من الحمير، فغضب الغلام، وقال: والله إنما يقول حق، وأنتم شر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ، وأخبره بمقالهم، فدعاهم، وسألهم، فأنكروا. وحلفوا أن عامراً كاذب، وحلف عامر: أنهم كذبة، فصدقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو، ويقول: اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق، وكذب الكاذب، فأنزل الله الآية الكريمة.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون، ويحلفون، فأنزل الله هذه الآية.

الإعراب: ﴿يَحْلِفُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعله، والكاف: مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: فعلوا ذلك لإرضائكم، وهذه الجملة جواب ﴿يَحْلِفُونَ﴾ لا محل لها، وقيل: اللام واقعة في جواب القسم، وكسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون، وهذا القول عزاه ابن هشام في مغنيه لأبي الحسن الأخفش، وقال: وافقه أبو علي الفارسي على ذلك، وقد أورد الآية الكريمة، والآية رقم [١١٣] من سورة (الأنعام)، تأييداً للشاهد [٣٧٩]، من كتابنا: «فتح القريب المجيب»،

وجملة: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ...﴾ إلخ مع جوابها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: واو الحال. (الله): مبتدأ. ورسوله: مبتدأ ثان، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿أَحَقُّ﴾: خبر عن الأول، وخبر الثاني يدل عليه لدلالة الأول عليه، أو هو خبر عن الثاني، وخبر الأول محذوف لدلالة خبر الثاني محذوف، وقيل: هو خبر عن الاسمين، ويكون إفراد الضمير في ﴿يُرْضُوهُ﴾ للإيذان بأن رضا النبيﷺ مندرج تحت رضاه سبحانه وتعالى، وإرضاؤه عليه الصلاة والسلام إرضاء له تعالى، ﴿أَن يُرْضُوهُ﴾ إعراب هذا؛ وتأويله وتعليقه مثل ﴿أَن تَخْشَوْهُ﴾ في الآية رقم [١٤] بلا فارق، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم، ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو: اسمه، والألف للتفريق، ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: إن كانوا.. فليرضوهما، و﴿إِن﴾ومدخولها كلام معترض في آخر الكلام، لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ إلخ. أي: ألم يعلم المنافقون أن الحال والشأن من يخالف ويعاند، ويخاصم الله ورسوله فإنه يستحق الخلود في نار جهنم، والخلود في جهنم أعظم خزي، وأكبر نكال، وهو الفضيحة الكبرى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. هذا؛ وقرئ ﴿يَعْلَمُوٓا۟﴾ بالياء والتاء، و﴿يُحَادِدِ﴾: فعل مضاعف يجوز فيه الفك والإدغام عربية، ولكن لم يذكر له قراءة بالإدغام، والخلود: طول المكث، وعدم الخروج، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة حرف استفهام وتقرير وتوبيخ هنا. (لم): حرف نفي وقلب وجزم، ﴿يَعْلَمُوٓا۟﴾: مضارع مجزوم بـ(لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: ضمير الحال والشأن اسمها. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿يُحَادِدِ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر يعود إلى من تقديره: «هو». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، (رسوله): معطوف على ما قبله، والهاء: في محل جر بالإضافة، ﴿فَأَنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أنَّ) تقدم على اسمها. ﴿نَارَ﴾: اسمها

مؤخر، وهو مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمية، ﴿خَٰلِدًا﴾: حال من الضمير المجرور باللام، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَاۚ﴾: متعلقان بـ﴿خَٰلِدًا﴾، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، فالخلود في جهنم ثابت لهم، أو في رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فالواجب خلودهم في جهنم، هذا؛ وقرئ بكسر همزة (إنَّ) فتكون الجملة الاسمية تامة، ولا تحتاج إلى تقدير محذوف، وعلى الوجهين: فالجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٢٤]، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾ والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا الإعراب هو الذي أعتمده، وهناك أقوال وتأويلات، وتكلفات لا وجه لها أعرضت عنها، ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام: للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل لها. ﴿ٱلْخِزْىُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفته، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: يخافون ويخشون. ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين. ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾: تخبر المؤمنين بما في قلوب المنافقين، فتهتك أستارهم، وتكشف نواياتهم الخبيثة، ولذا سميت هذه السورة: الفاضحة، والمخزية، والمبعثرة، والمثيرة، كما رأيت في أولها، ويجوز أن تكون الضمائر كلها عائدة على المنافقين، فإن النازل فيهم كالنازل عليهم، من حيث إنه مقروء، ومحتج به عليهم، وقيل: إن الكلام خبر في معنى الأمر، أي: ليحذر المنافقون، وقال السدي: قال بعض المنافقين: والله وددت لو أني قدمت، فجلدت مئة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت الآية الكريمة. ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾: أمر تهديد ووعيد، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾: مظهر للناس ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾: ما تخافون ظهوره وبروزه.

بعد هذا ف ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ جمع: منافق، وقد سمي المنافق منافقاً، أخذاً من نافقاء اليربوع، وهو حجره الذي يقيم فيه، فإنه يجعل له بابين، يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، فكذلك المنافق يدخل مع المؤمنين بقوله: أنا مؤمن، ويدخل مع الكفار بقوله: أنا كافر. انتهى جمل. هذا؛ وقد يتصف مؤمن بصفات المنافقين، فيكذب، ويخلف الوعد، ويخون في الأمانة، ويفجر في الخصومة، وما أكثرهم في هذا الزمن، فهذا يقال له: نفاق العمل، وأما الأول فيقال له: نفاق العقيدة؛ لأنه يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وهو أخبث من الكفر، وعقابه أشد منه، قال

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقد حذر الرسول ﷺ من نفاق العمل، والاتصاف به؛ لأنه قد يجر إلى نفاق العقيدة، فقال: «**آيَةُ المنافِقِ ثَلاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**». وغير ذلك كثير. ﴿نُنَبِّئُهُم﴾: انظر الآية رقم [١٠١] (الأعراف). ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾: الاستهزاء بالشيء السخرية منه، والاستخفاف به، وهو مذموم، وصاحبه مطرود من رحمة الله تعالى، وانظر ما تفيده سورة (الحجرات)؛ إن كنت من أهل القرآن، وانظر عدد المنافقين والمنافقات في الآية رقم [٦٨] الآتية.

﴿سُورَةٌ﴾: هي الطائفة من القرآن، التي أقلها ثلاث آيات، منقولة من سور المدينة؛ لأنها محيطة بطائفة من القرآن، محتوية على أنواع من العلم، احتواه سور المدينة على ما فيها، أو من السُّوْرَة، وهي الرتبة؛ لأن السُّوَرَ كالمراتب والمنازل، يرتقي فيها القارئ، ولها مراتب في الطول والقصر، والفضل والشرف، وثواب القراءة، قال النابغة في مدح النعمان بن المنذر: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعْطَاكَ سَوْرَةً؟ تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دونها يَتَذَبْذَبُ

والحكمة في تفصيل القرآن، وتقطيعه سوراً كثيرة، منها: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بياناً واحداً، ومنها: أن القارئ إذا ختم سورة، ثم أخذ في أخرى كان أنشط له، وأبعث على القراءة منه لو استمر على القرآن بطوله؛ ومن ثم جزأ القرآن أسباعاً وأجزاءً وعشوراً، وأخماساً، ومنها: أن الحافظ إذا حفظ سورة؛ اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه، ويجل في نفسه، ومنه حديث أنس رضي الله عنه (كان الرجلُ إذَا قَرَأَ البقرةَ وآلَ عِمرانَ جلَّ فينَا) أي: عظم، ولذا أنزل الله التوارة، والإنجيل، والزبور، وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة، مترجمة السور، وبوب المصنفون في كل فن من كتبهم، أبواباً موشحة الصدور بالتراجم. انتهى. نسفي في غير هذه السورة بتصرف كبير مني.

الإعراب: ﴿يَحْذَرُ﴾: مضارع. ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب، ﴿تُنَزَّلَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ ﴿أَن﴾، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سُورَةٌ﴾: نائب فاعل، والمصدر المؤول من ﴿أَن تُنَزَّلَ﴾ في محل نصب مفعول به. وقيل: في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من تنزيل سورة، والأول أقوى؛ لأن ﴿يَحْذَرُ﴾ متعد، ﴿تُنَبِّئُهُم﴾: مضارع والفاعل يعود إلى سورة، والهاء: مفعول به. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة ما، أو بمحذوف صفتها، والتقدير: بالذي استقر في قلوبهم، أو بشيء كائن في قلوبهم، وجملة: ﴿تُنَبِّئُهُم...﴾ إلخ في محل رفع صفة ﴿سُورَةٌ﴾، وجملة: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾

إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلِ﴾: أمر وفاعله: (أنت). ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مُخْرِجٌ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «هو». ﴿مَّا﴾: موصولة، أو موصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به لـ ﴿مُخْرِجٌ﴾. والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: مخرج الذي، أو شيئاً تحذرونه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها من الإعراب. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: روي: أن ركب المنافقين مروا على رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل، يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه على قولهم هذا، فدعاهم، فقال: «قلتم كذا، وكذا» فقالوا: لا والله! ما كنا في شيء من أمرك، وأمر أصحابك، ولكن كنا في شيء، مما يخوض فيه الركب، ليقصر بعضنا على بعض السفر.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً، أو هزلاً، وهو كيفما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفر؛ لا خلاف فيه بين الأئمة، فإن التحقيق أخو العلم، والحق، والهزل أخو الباطل والجهل. انتهى. قرطبي. هذا؛ وأصل الخوض: الدخول في الماء، ثم استعمل في كل دخول فيه ضر وأذى للناس على طريق الاستعارة التبعية.

وفي الآية توبيخ وتقريع للمنافقين، وإنكار عليهم، والمعنى: كيف تقدمون على إيقاع الاستهزاء بالله؟! يعني: بفرائض الله وحدوده، وأحكامه، والمراد بآيات الله كتابه، وبرسوله محمد ﷺ، وانظر الاستهزاء في الآية السابقة.

الإعراب: ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف، اللام: موطئة لقسم محذوف، (إن): حرف شرط جازم، ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعول به، والمتعلق محذوف، التقدير: عن استهزائهم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، (يقولن): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة في محل رفع فاعل، والنون: للتوكيد حرف لا محل له، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم

عليه، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٣]، ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة، ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه، وجملة: ﴿نَخُوضُ﴾ في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿وَنَلْعَبُ﴾: معطوفة على ما قبلها، والجملة ﴿إِنَّمَا كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والكلام و﴿وَلَئِن...﴾ إلخ كله مستأنف لا محل له. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله أنت. ﴿أَبِاللَّهِ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقريع. (بالله): متعلقان بالفعل ﴿تَسْتَهْزِءُونَ﴾. ﴿وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء: اسمها، وجملة: ﴿تَسْتَهْزِءُونَ﴾ في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿أَبِاللَّهِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ أي: عن الاستهزاء الذي حصل منكم، والاعتذار: التنصل من الذنب، والاعتذار يمحو الموجدة من قلب الإنسان. ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: قد ظهر كفركم بسبب إيذاء الرسول ﷺ والطعن فيه، بعد أن أظهرتم الإيمان. ونطقتم بكلمة الإسلام. ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: بسبب توبتهم وإخلاصهم، أو لتجنبهم الإيذاء والاستهزاء، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: مصرين على النفاق، والإيذاء والاستهزاء، وقرئ: (نعف) و(نعذب) بالنون، والياء، هذا؛ و﴿طَآئِفَةٌ﴾ الجماعة من الناس، لا واحد لها من لفظها، مثل فريق ورهط وجماعة، وجمعها طوائف، هذا؛ وقد أطلق لفظ ﴿طَآئِفَةٌ﴾ هنا على الواحد، وعلى الاثنين؛ لأن مجموع الطائفتين كانوا ثلاثة.

قال محمد بن إسحاق: الذي عفي عنه، أي: وهو الطائفة الأولى، رجل واحد، وهو مخاشن، وقيل: مخشي، وقيل: جُحَيْش بن حُمَيِّر الأشجعي، يقال: هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانباً للآخرين، أي: الطائفة الثانية، وكان ينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ، تقشعر منها الجلود، وتخفق منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه.

الإعراب: ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَعْتَذِرُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعله، والألف للتفريق، وجملة: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ تعليل للنهي لا محل لها، وهو أقوى من اعتبارها حالاً، ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾: إعراب هذه الجملة واضح إن شاء الله، وانظر إعراب مثلها في الآية رقم [٤٠]

والفاعل على قراءة النون مستتر تقديره: «نحن»، وعلى قراءة الفعلين بالياء فالفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله، ويقرأ (يعف) بالبناء للمجهول، فيكون ﴿عَن طَآئِفَةٍ﴾ متعلقان بمحذوف نائب فاعل، ﴿مِّنكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صفة طائفة ﴿بِأَنَّهُمۡ...﴾ إلخ. ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها، وجملة: ﴿كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾: في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نُعَذِّبۡ﴾، وجملة: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾

الشرح: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾: انظر الآية رقم [٦٥]، ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ أي: إنهم على أمر واحد، ودين واحد، مجتمعون على الشر، والأعمال الخبيثة، كما يقول الإنسان لغيره: أنا منك، وأنت مني. هذا؛ وكان المنافقون ثلاثمئة، والمنافقات مئة، وذكر المنافقات إشارة لكثرة النفاق فيهم، حتى عمَّ نساءهم. انتهى. جمل. ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾: يأمرون بالكفر، والمعاصي، ومخالفة الرسول ﷺ، ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: عن الإيمان بالله، وتصديق الرسول الكريم، وعن الطاعة والإحسان. ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾ أي: يمسكون عن إنفاق الأموال في الجهاد، وجميع وجوه الخير، وقبض اليد كناية عن الشح والبخل، وانظر الآية رقم [٧٢] لشرح المنكر والمعروف، وشرح (اليد) في الآية رقم [١٠٨] (الأعراف). ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ﴾ أي: أغفلوا ذكر الله، وتركوا طاعته فتركهم من فضله ولطفه، وقال الخازن: معناه أنهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له، فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه، ورحمته، فخرج على مزاوجة الكلام، فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ أقول: ومثل هذا يسمى في فن البلاغة مشاكله، انظر الآية رقم [١٤٢] النساء، ورقم [٣٠] (الأنفال). وانظر إعلال مثل ﴿نَسُواْ﴾ في الآية رقم [٥٩]. هذا؛ والنسيان: مصدر نسيت الشيء، أنساه، وهو مشترك بين معنيين: أحدهما ترك الشيء عن ذهول وغفلة، والثاني: الترك عن تعمد وقصد، وعليه ما هنا، أي: قصد المنافقون ترك ذكر الله، ومن الأول قوله تعالى حكاية عن قول فتى موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾. ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله، وانظر الآية رقم [١٤٥] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾: مبتدأ مرفوع... إلخ، ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بَعۡضُهُم﴾: مبتدأ، والهاء: في محل جر بالإضافة ﴿مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾: متعلقان بمحذوف خبر

المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر الأول، والجملة الاسمية: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وقول بعضهم: إن ﴿بَعْضُهُم﴾ بدل مما قبله، و﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ لا وجه له. ﴿يَأْمُرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو: فاعله، ﴿بِٱلْمُنكَرِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: مستأنفة لا محل أو هي في محل رفع خبر ثالث، أو هي في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط الضمير فقط، وما بعدها معطوف عليها. على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿نَسُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾: في الآية رقم [٥] (الأعراف)، ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ ف «قد» قبلها مقدرة، والرابط: الضمير فقط، وجملة: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: معطوفة عليها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: اسمها منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿هُمُ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون مبتدأ. ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: خبره مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل لا محل له ف ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ...﴾ إلخ تعليلية لا محل لها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ...﴾ إلخ: انظر ﴿وَعَدَ﴾ في الآية رقم [٤٤] من سورة (الأعراف)، ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾: انظر الآية رقم [٦٥] والآية السابقة. والخلود في نار جهنم: طول المكث وعدم الخروج. ﴿حَسْبُهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٦٠]، ﴿وَلَعَنَهُمُ﴾: انظر الآية رقم [٤٣] من سورة (الأعراف)، تجد ما يسرك، ﴿عَذَابٌ﴾: انظر الآية رقم [٤٠]، و﴿مُّقِيمٌ﴾: أصله (مُؤَقْوِم) لأنه من أقام، وهو أجوف واوي، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف بعد سلب سكونها، ثم قلبت الواو لمناسبة الكسرة، وأما حذف الهمزة، فانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥١] هذا؛ وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بمعنى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ قالوا في الثاني: إنه نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار، ثم يأتي إشكال آخر، وهو قوله: ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾: وذلك يمنع ضم شيء آخر إلى عذاب النار، وأجيب عنه بأن معناه: هي حسبهم في الإيلام، ولا يمتنع حصول نوع آخر من العذاب من غير جنس

النار كالزمهرير، ولسع العقارب، وأكل الضريع، والزقوم، وشرب الحميم، والصديد، وغير ذلك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: قدم الله ذكر المنافقين والمنافقات على الكفار، ومثله في الآية الأخيرة من سورة (الأحزاب) ليبين لنا: أن النفاق أخبث من الكفر، وعذاب المنافقين أشد من عذاب الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾، الآية رقم [١٤٥] من سورة (النساء)، وشرحها جيد.

الإعراب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة... إلخ. ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿نَارَ﴾: مفعول به ثان، و﴿نَارَ﴾: مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾: مضاف إليه.... إلخ. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال ممن تقدم، والعامل محذوف؛ إذ التقدير: يصلونها خالدين، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. وفاعله مستتر فيه، ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وجملة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾ معترضة بين الجملتين المتعاطفتين، وهي جملة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ، وجملة: ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: حالكم وشأنكم أيها المنافقون كحال من سبقكم من الأمم في الأفعال السابقة، هي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض الأيدي، وعدم الإنفاق في وجوه الخير. ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ أي: في الأبدان، وذلك كقوم هود وقوم صالح، وغيرهما، وانظر شرح: ﴿أَمْوَٰلًا﴾ في الآية رقم [٢٨] الأنفال، والآية رقم [٥٦]، ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: تمتعوا، وتلذذوا بنصيبهم، وحظهم الذي منحوه في هذه الدنيا، وهو كثرة الأموال، والأولاد، ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا...﴾ إلخ: أي: تمتعتم وتلذذتم بنصيبكم من الدنيا تمتعاً كائناً مثل تمتع من سبقكم من الأمم بنصيبهم. ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ أي: وخضتم في الباطل، والكفر، والضلال، والعناد خوضاً كائناً مثل خوض الذين كانوا قبلكم. وذكرت لك في الآية رقم [٦٥] أن ﴿نَخُوضُ﴾ استعارة تبعية بالفعل، هذا؛ وقد قيل: إن (الذي)

حرف مصدري، ولذا قدر الجلال الكلام: (كخوضهم) وهو مذهب ضعيف لبعض النحاة لا يعتد به، والصواب: أنه موصول اسمي مراد به الجمع، حذفت نونه تخفيفاً، والدليل على ذلك جمع الضمير العائد عليه، ومثله: ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ في الآية رقم [١٧] البقرة، ومثله في الآيتين قول الأشهب ابن زميلة النهشلي، وهو الشاهد رقم (٣٤٦)، من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

وَإِنَّ الَّـذِي حَـانَـتْ بِـفَـلْـجٍ دمـاؤهُـمْ هُـمُ الْـقَـوْمُ كُـلُّ الْـقَـوْمِ يَـا أُمَّ خَـالِـدِ

﴿أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: انظر الآية رقم [١٨] والآية رقم [٥٥] تجد ما يسرك، وينبغي أن تعلم: أن الإشارة للمنافقين، ولمن شبهوا بهم من الكفار. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: انظر هذا الخسران في الآية رقم [١٤٨] من سورة (الأعراف) فإنه جيد.

بعد هذا ينبغي أن تعلم أن قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ بعد التكلم في الغيبة في الآيتين السابقتين التفافاً من الغيبة إلى الخطاب، وما أحراك أن تنظر الالتفاف في الآية رقم [٦] من سورة (الأنعام)، وفي الآية التالية التفات من الخطاب إلى الغيبة.

الإعراب: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: أنتم كالذين، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: وعدكم وعداً كائناً مثل وعد الذين. ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿كَانُوٓاْ﴾: ماض ناقص، مبني على الضم، والواو: اسمه والألف للتفريق، ﴿أَشَدَّ﴾: خبر كان، ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿أَشَدَّ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز. ﴿وَأَكْثَرَ﴾: معطوف على ﴿أَشَدَّ﴾، ﴿أَمْوَٰلًا﴾: تمييز، ﴿وَأَوْلَٰدًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿كَانُوٓاْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المستتر في متعلق ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (استمتعوا): فعل وفاعل. ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء: في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كَانُوٓاْ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿بِخَلَٰقِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف، في محل جر بالإضافة، والميم: في الجميع حرف دال على جماعة الذكور، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ﴾: ماض وفاعله. ﴿مِن قَبْلِكُم﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل ﴿ٱسْتَمْتَعَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: استمتعتم بخلاقكم استمتاعاً كائناً مثل استمتاع الذين من قبلكم، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في

مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وانظر الآية رقم [٣٧]، ﴿وَخُضْتُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿كَالَّذِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: خضتم خوضاً كائناً مثل خوض الذين خاضوا من قبلكم، وجملة: ﴿وَخُضْتُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ...﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْأٓخِرَةِ﴾: معطوفة على ما قبلها ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١١] والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار، هذا؛ وانظر (أتى) في الآية رقم [٣٥] (الأعراف)، ﴿نَبَأُ﴾: انظر الآية رقم [١٠١] منها، ﴿قَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٣٢] منها، ﴿نُوحٍ﴾: انظر الآية رقم [٥٩] منها، ﴿وَعَادٍ﴾: انظر الآية رقم [٦٥] منها، ﴿وَثَمُودَ﴾: انظر الآية رقم [٧٣] منها، ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: انظر الآية رقم [٧٤] من سورة (الأنعام)، ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾: هم قوم شعيب، وانظر الآية رقم [٨٥] (الأعراف)، وانظر ﴿وَأَصْحَٰبِ﴾ في الآية رقم [٣٥] منها، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ أي: المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها، وهي مدائن قوم لوط، انظر الآية رقم [٨٠] (الأعراف)، وما بعدها، وقيل: المراد جميع قرى المكذبين المتمردين، وائتفاكهن: انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر، وقرئ في (النجم): ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، وإنما ذكر سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة؛ لأن آثارهم باقية، وبلادهم بالشام والعراق واليمن، وكل ذلك قريب من أرض العرب، فكانوا يمرون عليهم، ويعرفون أخبارهم.

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الباهرات، والحجج الواضحات الدالة على صدقهم، فكذبوهم، وخالفوا أمرنا، كما فعلتم أيها المنافقون والكفار، فاحذوروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم. ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: بتعجيل العقوبة لهم، أو ما كان الله ليهلكهم بلا جرم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: حيث عرضوها للعقاب بسبب الكفر، وارتكاب المعاصي والمنكرات. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٩] (الأعراف)، ﴿يَظْلِمُونَ﴾: انظر الظلم في الآية رقم [١٤٦] (الأنعام).

الإعراب: ﴿أَلَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف جازم. ﴿يَأۡتِهِمۡ﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والهاء: مفعول به. ﴿نَبَأُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿قَوۡمِ﴾: بدل من الذين، و﴿قَوۡمِ﴾: مضاف، و﴿نُوحٖ﴾: مضاف إليه. ﴿وَعَادٖ﴾: معطوف على ﴿نُوحٖ﴾. ﴿وَثَمُودَ﴾: معطوف عليه أيضاً مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث لأنه اسم للقبيلة، و﴿قَوۡمِ﴾مضاف، و﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية، ومثله قل في ﴿مَدۡيَنَ﴾، ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾: معطوف على ما قبله، والأصل: أصحاب المؤتفكات. ﴿أَتَتۡهُمۡ﴾:ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة، ﴿رُسُلُهُم﴾:فاعله، والهاء في الأول: في محل نصب مفعول به، وفي الثاني: في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُسُلُهُم﴾، وجملة: ﴿أَتَتۡهُمۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء: مفعول به، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، التقدير: ما كان الله مريداً لظلمهم، وهذه الجملة معطوفة على كلام محذوف، التقدير: فكذبوهم فأهلكوا. ﴿فَمَا...﴾ إلخ: وهذا الكلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف، (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿كَانُوٓاْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو: اسمه، والألف للتفريق، ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾: مفعول به مقدم، والهاء: في محل جر بالإضافة، ﴿يَظۡلِمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾

الشرح: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٢] (الأعراف) وزيادته في الآية رقم [٢] الأنفال، ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ أي: في الموالاة في الدين، وتوحيد الكلمة، والمعاونة على البر والتقوى، والمناصرة على الأعداء، ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: بالإيمان بالله،

ورسوله، واتباع أوامرهما، واجتناب نواهيهما، و﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ما استحسنه الشرع والعقل والفطرة السليمة. ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: عن الشرك، ومخالفة أوامر الله ورسوله، و﴿ٱلۡمُنكَرِ﴾ ما استقبحه الشرع، والعقل، والفطرة السليمة. ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: انظر الآية رقم [٦] وانظر إعلال (يصيب) في الآية رقم [٥١]، ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾: انظر الآية [٦] و[١٢]. ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: فيما يأمران به، وفيما ينهيان عنه. وانظر الآية رقم [١٢]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الموصوفون بما ذكر، ﴿سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: هذا وعد من الكريم، ومن أوفى بعهده من الله؟ أي: لا أحد. ﴿عَزِيزٌ﴾: قوي غالب على كل شيء، لا يمتنع عليه ما يريده. ﴿حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء في مواضعها، وقدم ﴿عَزِيزٌ﴾ لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

تنبيه: لما وصف الله المنافقين في الآية السابقة، بالأعمال الخبيثة، والأحوال الفاسدة، ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة؛ عقبه بذكر أوصاف المؤمنين، وأعمالهم الحسنة، وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة. هذا؛ ولما كان نفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين، وحصل بمقتضى الطبيعة، قال فيهم: ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه، وهدايته، لا بمقتضى الطبيعة، وهوى النفس، وصفهم الله جل شأنه بأن ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ انتهى. خازن بتصرف.

الإعراب: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ...﴾ إلخ: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٦٨] فهو مثله بلا فارق. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسرة في محل رفع مبتدأ، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿سَيَرۡحَمُهُمُ﴾: السين: حرف استقبال، ووعد. (يرحمهم الله): فعل مضارع، ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾: تعليلية، أو مستأنفة لا محل لها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾

الشرح: ﴿جَنَّٰتٖ﴾: جمع جنة، وهي البستان من النخل والشجر الكثير المتكاثف، الذي يجن، أي: يستر ما يكون متداخلاً فيه، وسميت دار الثواب جنة؛ لما فيها من النعيم الذي لا ينفد، وجمع الجنة على جنات يدل على جنان كثيرة، مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين، لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان، وفي كثير من الآيات: ﴿لَهُمۡ﴾: فاللام: للملك، وهي تدل

على أنهم استحقوا الجنات بسبب أعمالهم الصالحة. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت قصورها وأشجارها، وانظر ﴿مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في الآية رقم [٩] من سورة (يونس) عليه السلام، ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: جمع: نهر، وهو معروف في الدنيا، ولكن ما بين أنهار الجنة، وأنهار الدنيا فرق عظيم، هذا؛ ويجمع النهر على أَنْهُر، ونُهُرُ، ونُهور، وهاء النهر تفتح وتسكن، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مقيمين في تلك الجنات لا يخرجون منها أبداً. ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: تستطيبها النفس، أو يطيب فيها العيش، وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «**إِنَّهَا قُصورٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ والزَّبَرْجدِ، وَالياقوتِ الأحْمَرِ**». ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامة، وخلود، ويقال: عدن بالمكان: إذا أقام به، ومنه: المعدن، أي: الموجود في باطن الأرض، وقال النبي ﷺ: «**عَدْنٌ دارُ اللهِ الَّتي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ قَطُّ ولم تخْطُرْ على قلب بَشَرٍ، لا يسكنُها إلا ثَلَاثةٌ: النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقونَ والشُّهَدَاءُ، يقولُ اللهُ: طوبى لِمَنْ دَخلَكِ**». رواه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه. ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: إن رضوان الله الذي ينزله عليهم أكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة. ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ: الإشارة إلى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان.

تنبيه: أما وصف أهل الجنة فبينه سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق بقوله: «**أهْلُ الجنةِ يأكلونَ ويَشْربونَ ولا يَبولونَ، ولا يَتَغَوَّطُونَ، ولا يَمْتَخِطونَ، ولا يَبْزُقونَ، يُلْهَمُونَ الحمدَ والتسبيحَ، كما يُلْهَمون النفسَ، طعامُهُمْ جشاءٌ، وَرَشْحُهُمْ كَرَشْحِ المِسْكِ**» رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: «**إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهلَ الْجَنَّةِ، فيقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وسَعَدَيْكَ، والخيرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، فيقولُ: هَلْ رضيتُمْ؟ فيقولونَ: ومَا لَنَا يا رَبَّنا؟ وقد أعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحَداً مِنْ خلْقِكَ، فيقولُ: أَلَا أُعْطيكُمْ أفضَلَ مِنْ ذلكَ، فيقولونَ: وأَيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ ذلكَ؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكمْ رِضواني، فلَا أسخطُ عليكُمْ بعدَهُ أَبَداً**». متفق عليه، وانظر ما ذكرته عن أبي زيد في الآية رقم [١١٩] وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (يونس) على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

تنبيه: ذكر الله في الآيات المتقدمة المنافقين والمنافقات وصفاتهم، وما أعد لهم من العذاب المقيم في نار الجحيم، ثم ذكر في هاتين الآيتين المؤمنين والمؤمنات، وصفاتهم، وما أعد لهم من النعيم المقيم في دار الخلود، وذلك من باب المقابلة، وانظر الآية رقم [٤١ و٤٢] من سورة (الأعراف)، تجد ما يسرك. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات، ومحل الجملة في الآية رقم [٦٩]، ﴿تَجْرِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل

﴿تَجۡرِي﴾. والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿جَنَّٰتٖ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من المؤمنين والمؤمنات منصوب... إلخ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وفاعله ضمير مستتر؛ لأنه اسم فاعل. ﴿وَمَسَٰكِنَ﴾ معطوف على جنات. ﴿طَيِّبَةٗ﴾: صفته. ﴿فِي جَنَّٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ (مساكن). أو بمحذوف حال منه بعد وصفها بـ ﴿طَيِّبَةٗ﴾، و﴿جَنَّٰتِ﴾: مضاف، و﴿عَدۡنٖۚ﴾: مضاف إليه. ﴿وَرِضۡوَٰنٞ﴾: الواو: حرف استئناف. (رضوان): مبتدأ. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف صفته، وهذه الصفة هي التي سوغت الابتداء به. ﴿أَكۡبَرُۚ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾. إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾ في الآية رقم [١٠] بلا فارق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: هذا النداء موجه للنبي ﷺ، وتدخل فيه أمته من بعده، هذا؛ و﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ مأخوذ من النبأ، وهو الخبر، انظر الآية رقم [١٠١] من سورة (الأعراف). وقيل: بل هو مأخوذ من النبوة، وهو الارتفاع؛ لأن رتبة النبي ارتفعت عن رتب سائر الخلق، وهو يقرأ بالهمز وبدونه، والنبي ذكر حر من بني آدم، سليم عن منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به، ولم يؤمر بتبليغه، وإن أمر بالتبليغ، فهو رسول، وانظر عددهم، وما ذكرته بشأنهم في الآية رقم [١٦٣] النساء، والآية رقم [٨٦] الأنعام. ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾: بالسيف. ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: وجاهد المنافقين بإقامة الحجة عليهم، وزجرهم، وإقامة الحدود عليهم، واكفرار الوجه لهم، ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: شدد عليهم ما ذكر؛ حتى ترهبهم، وتدخل الرعب في قلوبهم. ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾: مقرهم بعد الموت جهنم، وانظر الفرق بين (مأوى ومثوى) في الآية رقم [١٥١] من آل عمران، ﴿وَبِئۡسَ﴾: انظر الآية رقم [٤١]، الأنفال. ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾: المرجع والمآل، هذا؛ وقد قال الزمخشري رحمه الله تعالى: وكل من وقف منه على فساد في العقيدة، فهذا الحكم ثابت فيه، يجاهد الحجة، وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: انظر الآية رقم [٢٤]، والآية رقم [١٥٧] من سورة (الأعراف)، فإنه جيد، ﴿جَٰهِدِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلۡكُفَّارَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿جَٰهِدِ...﴾ إلخ، لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. وجملة: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: الواو: واو الحال، (مأواهم): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، والرابط: الواو، والضمير، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: فعل وفاعل، والمخصوص بالذم محذوف؛ إذ التقدير: المذمومة جهنم، والجملة الفعلية: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: لقد وردت روايات كثيرة بسبب نزول الآية، وأكتفي بذكر ما يلي:

أقام الرسول ﷺ في غزوة تبوك شهرين، ينزل عليه القرآن، ويعيب المنافقين المتخلفين، فيسمع من معه منهم، منهم الجُلَّاسُ بن سويد، فقال الجلاس: والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا لنحن شر من الحمير، فقال عامر بن قيس الأنصاري رضي الله عنه للجلاس: أجل والله إن محمداً لصادق، وأنت شر من الحمير! فلما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة، أتاه عامر، فأخبره بما قال الجلاس، فاستحضره الرسول الكريم، فقال الجلاس: كذب عليَّ عامر يا رسول الله! فأمرهما النبي العظيم أن يحلفا عند المنبر، فحلفا، الجلاس على النفي، وعامر على الإثبات، ثم رفع عامر يده إلى السماء، فقال: اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: «**آمين**». فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية، حتى بلغ ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، فقام الجُلَّاسُ، فقال: يا رسول الله أسمع الله قد عرض علي التوبة، صدق عامر بن قيس فيما قاله، لقد قلته، وأنا أستغفر الله، وأتوب إليه، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه، فتاب، وحسنت توبته.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾: إنما جمع الضمير مع كون الحالف واحداً؛ لأن جميع المنافقين كانوا يقولون مقالة الجلاس، ويحلفون بالله وهم كاذبون، ﴿مَا قَالُوا۟﴾ أي: ما ذكر عن الجلاس. ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾: وهي كلمة الجلاس: (إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير)، وقد أطلقت الكلمة على هذه الكلمات كلها، انظر الآية رقم [١٣٧] من سورة (الأعراف)، تجد ما يسرك. وانظر ﴿وَكَفَرُوا۟﴾ في الآية رقم [٦٦] (الأعراف). ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾: أظهروا كلمة الكفر بعد إظهار الإسلام، وهي ما تفوهوا به من كلمات، مثل كلمة

الجلاس وغيره. ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ أي: من قتل الرسول ﷺ وكانوا خمسة عشر رجلاً تآمروا في طريق عودتهم من غزوة تبوك أن يدفعوه عن ظهر راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل، فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ بذلك، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، فأرسل عماراً وحذيفة وغيرهما فصدوهم، وأبعدوهم عنه ﷺ،وقيل غير ذلك. ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: ما أنكروا على الرسول شيئاً إلا بسبب تفضل الله عليهم بالغنى، وكانوا قبل مبعث النبي ﷺ وهجرته في ضنك من العيش، فعملوا بضد الواجب عليهم، حيث وضعوا النقمة موضع الشكر، والاعتراف بالنعمة، فهذا ليس مما ينقم، وإنما أراد: أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً، فهو كقول النابغة الذبياني: [الطويل]

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم، هذا؛ والفعل (نقم) يأتي من باب ضرب ومن باب فهم، وانظر الآية رقم [٦٢] المائدة. ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾: يرجعوا عن نفاقهم، وهذا الذي حمل الجلاس رضي الله عنه على التوبة، هذا؛ وانظر التوبة وشروطها في الآية رقم [١٧] من سورة (النساء)، ﴿يَكُ﴾: انظر الآية رقم [٥٤]، الأنفال، ﴿خَيْرًا﴾: انظر الآية رقم [١٢] (الأعراف). ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ أي: يعرضوا عن الإيمان والتوبة، ويصروا على النفاق والكفر. ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾: بالخزي والفضيحة والإذلال. ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: يعذبهم في الآخرة بالنار، وانظر ﴿عَذَابًا﴾ في الآية رقم [٤٠]. ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: الولي هو الذي يتولى شؤون غيره، والنصير المعين والمساعد، والفرق بينهما أن الولي قد يضعف عن النصرة والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور، فبينهما عموم وخصوص من وجه، وانظر (همّوا) في الآية رقم [١٣].

الإعراب: ﴿يَحْلِفُونَ﴾: مضارع وفاعله. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿قَالُوا﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب القسم ﴿يَحْلِفُونَ﴾، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والألف: للتفريق، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿كَلِمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿الْكُفْرِ﴾: مضاف إليه. وجملة: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ معطوفة على جواب القسم لا محل لها مثله. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: هموا بالذي، أو بشيء لم ينالوه. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿نَقَمُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، واعتبارها مستأنفة

ممكن. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَغْنَىٰهُمُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، وهو في محل نصب بـ ﴿أَنْ﴾، والهاء: مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. و﴿وَرَسُولُهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل (أغنى)، والضمير عائد على ﴿ٱللَّهُ﴾، وهو في محل جر بالإضافة، (أن) المصدرية، والفعل: (أغنى) في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نَقَمُوٓا۟﴾ التقدير: إلا بسبب إغناء الله لهم. وقال أبو البقاء: المصدر المؤول مفعول ﴿نَقَمُوٓا۟﴾ وقيل: هو مفعول من أجله والمفعول به محذوف. انتهى. وقول أبي البقاء هذا يجري في الآية رقم [١٢٦] (الأعراف)، وليس في هذه الآية. تأمل. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف، (إن) حرف شرط جازم، ﴿يَتُوبُوا۟﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، ﴿يَكُ﴾: مضارع ناقص، جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود على التوب المفهوم من ﴿يَتُوبُوا۟﴾، ﴿خَيْرًا﴾: خبره، ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرًا﴾؛ لأنه أفعل تفضيل، وجملة: ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، ولا يصعب عليك بعد هذا إعراب: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ وهو معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق، ﴿أَلِيمًا﴾: صفته، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان باسم المصدر، أو بالفعل (يعذب)، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: معطوف على ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ مجرور مثله. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق ﴿لَهُمْ﴾ وبعضهم يعلقهما بمحذوف حال من ﴿وَلِىٍّ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ، وهو غير مسلم؛ لأن كثيرين لا يجيزون مجيء الحال من المبتدأ. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِىٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائدة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَصِيرٍ﴾: معطوف على لفظ ﴿وَلِىٍّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: ومن المنافقين. ﴿عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾: أعطى عهداً وميثاقاً لله ولرسوله، وانظر العهد في الآية رقم [١٠٢] (الأعراف). ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾: لئن رزقنا وأعطانا مالاً، ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: لنخرجن الزكاة الواجبة ولنبذلن المال في جميع وجوه الخير والإحسان.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ولنعملن في ذلك المال ما يعمله الصالحون بأموالهم من صلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران. . . إلخ.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة، وما بعدها في ثعلبة بن حاطب، أحد المنافقين في عهد النبي ﷺ، كان ثعلبة فقيراً، وكان يحضر الصلوات الخمس مع النبي ﷺ، ويحضر مواعظه وإرشاداته، لذا كان يطلق عليه حمامة المسجد.

قال ذات يوم للنبي ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال له سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق: «**ويْحَكَ يا ثعلبةُ! قليلٌ تُؤَدِّي شكرَهُ خيرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاتُطِيقُهُ**». ثم عاد ثانياً: فقال النبي ﷺ: «**أَمَا تَرْضى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نبيّ اللهِ، لَوْ شِئْتُ أَنْ تسيرَ معي الجبالُ ذهباً لَسَارَتْ**». ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق، لئن رزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه! فدعا له النبي ﷺ، فاتخذ غنماً، فنمَتْ كما تنمي الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، ونزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويصلي سائر الصلوات في غنمه، ثم نمت وكثرت، فتباعد عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة. ثم كثرت، حتى تباعد عن المدينة، حتى صار لا يشهد جمعة، ولا جماعة، فقال الرسول ﷺ: «**يا ويحَ ثَعْلَبَةَ!**». ثلاثاً، فلما أنزل الله آية الصدقة بعث النبي ﷺ رجلين يأخذان الزكاة من المسلمين، وقال لهما: «**مرا بِثَعْلَبَةَ، وبفلانٍ، رجل من بني سُلَيْمٍ، فخُذا صَدَقَاتِهِمَا**». فأتيا ثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي، فانطلقا إلى السلمي، فأخذ خيار غنمه، وإبله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأياها، قالا: ما هذه عليك، قال: خذاها، فإن نفسي بذلك طيبة، فمرا على الناس، وأخذا الصدقات.

ثم رجعا إلى ثعلبة، فسألاه زكاة ماله، فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية، اذهبا حتى أرى رأيي، فرجعا إلى المدينة، فلما رآهما رسول الله ﷺ، قال قبل أن يتكلما: «**يا وَيْحَ ثعلبةَ! يا ويْحَ ثعلبةَ! يا ويْحَ ثَعْلَبَةَ!**». فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، والسلمي، فدعا للسلمي بخير، فأنزل الله الآية، وما بعدها إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾، وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه، فقال: ويحك يا ثعلبة! لقد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة، وأخذ معه غنيمات حتى أتى سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق، فسأله أن يقبل منه ما أتى به.

فقال: «**إِنَّ اللهَ مَنَعَنِي أَنْ أقبلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ**». فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: «**هَذَا عملُكَ قَدْ أَمَرتُكَ فلمْ تُطِعْنِي**». فرجع إلى غنمه خائباً، فلما قبض

رسول الله ﷺ أتى أبا بكر رضي الله عنه، فقال: اقبَلْ صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ، فأنا لا أقبلها! فلما قبض أبو بكر، وتولى عمر رضي الله عنه الخلافة جاءه ثعلبة بصدقته، وطلب قبولها، فقال له: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، فأنا لا أقبلها، فلما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة جاءه بها، فلم يقبلها، وهلك في خلافته. انتهى. قرطبي وخازن بتصرف.

الإعراب: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٥٠] والجملة الاسمية الناتجة منه مستأنفة لا محل لها ﴿لَئِنْ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف، (إن): حرف شرط جازم. ﴿ءَاتَىٰنَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (الله)، و(نا): مفعول به أول، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، (نصدقن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وانظر الآية رقم [٤٣]، والكلام بمجموعه جواب للقسم المفهوم من ﴿عَـٰهَدَ﴾ وقال أبو البقاء: فيه وجهان: أحدهما: تقديره: عاهد، فقال: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا﴾، والثاني: أن يكون ﴿عَـٰهَدَ﴾ بمعنى «قال»؛ إذ العهد قول، وهذا يعني: أن الكلام على الوجه الأول في محل نصب مقول القول لقول محذوف، وعلى الثاني: أنه مفعول به لـ ﴿عَـٰهَدَ﴾، وغير مسلم له الوجهان، وأما الجمل فقال: جملة: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾جواب القسم ﴿عَـٰهَدَ﴾، ولا يمتنع الجمع بين القسم، واللام الموطئة، وهو مردود أيضاً، وإعراب: (لنكونن) مثل إعراب سابقه، ولكنه ناقص، فاسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: نحن ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب خبره، والجملة الفعلية معطوفة على سابقتها، لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: فلما أعطاهم، ورزقهم، وأغناهم من خزائنه التي لا تنفد، ﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾: منعوا حق الله فيه، ولم يفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه: ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾: أعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله. ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: هم قوم شأنهم، وعادتهم الإعراض عن طاعة الله ورسوله.

تنبيه: جمع الضمير مع كون المنزل بشأنه واحداً، وهو ثعلبة؛ لأن جميع المنافقين مثل ثعلبة، يخلفون الوعود، وينكثون العهود، ويكذبون، ويخونون، وقيل: نزلت الآيات في ثعلبة

ومعتب بن قشير وغيرهما وكلهم عاهدوا الله على القيام بحقوق المال؛ إن هم كثر مالهم، واستغنوا.

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف، (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني، وجملة: ﴿ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ إعرابها مثل إعراب ما قبلها، ولا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً؛ لأنها ابتدائية، وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ومتعلقة بالجواب، ﴿بَخِلُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: في الآية رقم [٥] (الأعراف)، ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا محل لها، وجملة: ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال مؤكدة؛ لأن التولي والإعراض بمعنى واحد.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً، وسوء اعتقاد في قلوبهم، ويجوز أن يكون الفاعل عائداً على البخل المفهوم من ﴿بَخِلُواْ﴾ ويكون المعنى: أورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم، وانظر (النفاق) في الآية رقم [٦٤]، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: يلقون الله بالموت، أو يلقون جزاء بخلهم، وانظر إعلال: ﴿تَحْيَوْنَ﴾ في الآية رقم [٢٥] (الأعراف)، وانظر شرح ﴿يَوْمِ﴾ في الآية رقم [١٢٨] (الأنعام)، ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ أي: بأن يقوموا بحقوق المال على الوجه الكامل، وانظر الوعد في الآية رقم [٤٤] (الأعراف)، ولكنهم لم يفوا بما وعدوا كما رأيت. ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ أي: بسبب كذبهم على الله ورسوله.

الإعراب: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾: ماض ومفعولاه، وانظر مرجع الفاعل في الشرح، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء: في محل جر بالإضافة، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَلْقَوْنَهُۥ﴾: مضارع مرفوع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمِ﴾ إليها، ﴿بِمَآ﴾: الباء: حرف جر، ما: مصدرية. ﴿أَخْلَفُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به أول. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان،

والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أخلفوا الذي، أو شيئاً وعدوه به. وأجاز الجمل اعتبار ﴿مَا﴾مصدرية، وقدر: بسبب إخلافهم الله الوعد، فيبقى (وعد): بلا مفعول ثان، و﴿مَا﴾ المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب إخلافهم الله . . . إلخ. والجار والمجرور متعلقان بالفعل (أعقب)، وساغ تعدد المتعلق، لاختلاف الجار، وإعراب: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿بِمَا أَخْلَفُوا﴾ بلا فارق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، أجل، وأكرم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ أي: ألم يعلم هؤلاء المنافقون: أن الله يعلم ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق، ويعلم ما يتناجون به فيما بينهم، والمعنى: يعلم الله جميع أحوالهم لا يخفى عليه شيء منها، هذا؛ والنجوى هو الخفي من الكلام يكون بين القوم، وانظر (العلم) والمعرفة في الآية رقم [٦١] الأنفال، ﴿عَلَّامُ﴾: صيغة مبالغة، ﴿الْغُيُوبِ﴾: جمع غيب، وهو كل ما غاب عن أعين المخلوقات، وفي الآية توبيخ، وتقريع للمنافقين الذين يعدون، ولا يوفون، ويعهدون، وينقضون، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَعْلَمُوا﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿اللَّهَ﴾: اسمها، ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾. ﴿سِرَّهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، واكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه من المعرفة. ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ، في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول، أو مفعولي ﴿يَعْلَمُوا﴾ على اعتباره من المعرفة، أو من العلم، والمصدر المؤول من ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ﴾ معطوف على ما قبله، و﴿عَلَّامُ﴾: مضاف، و﴿الْغُيُوبِ﴾: مضاف إليه، من إضافة مبالغة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون، وانظر الآية رقم [٥٩]، ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: أصله المتطوعين، أدغمت التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، والتطوع: التبرع بالشيء، وهو ما ليس بفرض،

ومنه تطوع الصيام، والحج، والصلاة. ﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: التبرع في المال. ﴿لَا يَجِدُونَ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [١٧] (الأعراف). ﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلا قدرتهم وطاقتهم. وهو بضم الجيم، وهي لغة أهل الحجاز، وبالفتح لغيرهم. وقيل: بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة، وانظر الآية رقم [١٠٩] (الأنعام). ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يسخروا: يهزأ المنافقون من المؤمنين المتصدقين. ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾: عاقبهم الله وجازاهم على سخريتهم، وذكر لفظ ﴿سَخِرَ﴾ مشاكلة لما صدر منهم، وانظر الآية رقم [٦٨]، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: انظر الآية رقم [٤٠].

تنبيه: روي: أن النبي ﷺ حث على الصدقة في غزوة تبوك، أي: وقت الخروج لها، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله، مالي ثمانية آلاف درهم، جئتك بأربعة آلاف، فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي، فقال له: «بارك الله لك فيما أعطيت، وفيما أمسكت» فبارك الله له في ماله، حتى إنه خلف امرأتين يوم مات، فبلغ ثُمن ماله لهما مئة وستين ألف درهم. وتصدق عاصم بن عدي العجلاني يومئذ بمئة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر، وقال: يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء، حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما لعيالي، وأتيتك بالآخر، فأمر الرسول ﷺ أن ينثره في الصدقات، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، فلمزهم المنافقون، فقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء، وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل، ولكن أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى الآية الكريمة، هذا؛ وسخر بمعنى: هزئ، وانظر الآية رقم [٦٥].

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، خبره جملة: ﴿سَخِرَ...﴾ إلخ أو في محل نصب على الذم بفعل محذوف، أو في محل جر بدل من الضمير المتصل بـ ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ وقيل: في محل رفع خبر المبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، وهو أضعفها، وأقواها الأول. ﴿يَلْمِزُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر بـ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾، وقيل: متعلقان بمحذوف حال منه، والأول أقوى. ﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَلْمِزُونَ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب معطوف على ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾، وجملة: ﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يَلْمِزُونَ﴾ لا محل لها مثلها، وجوز أبو البقاء اعتبارها خبراً للمبتدأ (الذين) على وجه مر ذكره، ولا وجه له، وإنما الخبر جملة: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وهي مستأنفة على الأوجه الأُخر فيه، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معطوفة على الجملة الفعلية قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: روي: أن عبد الله بن عبد الله بن أبي كان من المؤمنين المخلصين، فسأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له، ففعل، فنزلت، فقال سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق: «**ولأزيدن على السبعين**». فنزل قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ وذلك لأنه ﷺ فهم من السبعين العدد المخصوص؛ لأنه الأصل، فجوز أن يكون ذلك حداً، يخالف حكم ما وراءه، فبين الله له: أن المراد به التكثير، دون التحديد، وقد شاع استعمال السبعة، والسبعين، والسبعمئة، ونحوها في التكثير، لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد، فكأنه العدد بأسره، ولهذا كبر ﷺ، لما صلى على عمه الحمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة، ولأن آحاد السبعين سبعة، وهو عدد شريف، فإن السموات سبع، والأرضون سبع، والأيام سبع، والأقاليم سبع، والبحار سبع، والنجوم السيارة سبع، فلهذا خص الله السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: هذا أمر، ومعناه الخبر بدليل ما بعده، والمراد بهذا الكلام التساوي بين الاستغفار وعدمه في الإفادة، والمعنى: أطلب لهم المغفرة، أو لا تطلبها، فالسين والتاء للطلب، والفعل يتعدى لاثنين، أولهما بنفسه، والثاني بحرف جر، نحو استغفرت الله من ذنبي، وما في الآية من ذلك، وقد يحذف حرف الجر، فيصل إلى الثاني بنفسه، كقول الشاعر: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العبادِ إِلَيْهِ الوجْهُ والْقَبَلُ

وانظر الآية رقم [١٠٤] من سورة (يونس). ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ...﴾ إلخ: إشارة إلى أن اليأس من المغفرة، وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا، ولا تقصير في واجبك يا محمد، بل لعدم صلاحيتهم لغفران الذنوب بسبب الكفر الصارف عنها، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. انظر شرح مثل هذه الجملة في الآية رقم [٢٠] وانظر شرح ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ في الآية رقم [١٤٥] من سورة (الأعراف)، والمراد بهم هنا: الكافرون، والتعبير عن الكافرين بالفاسقين والمجرمين، والظالمين، والمعتدين، والمسرفين، وغير ذلك كثير في القرآن الكريم، ويتهددهم بالعذاب الأليم ويتوعدهم بالعقاب الشديد، هذا؛ وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات فهل يتوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ والحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكره، وهم أحق بذلك، ولا سيما من قرأ القرآن، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وانظر الآية رقم [١٣] من سورة (يونس) عليه السلام.

الإعراب: ﴿ٱسْتَغْفِرْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَسْتَغْفِرْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة معطوفة على ما قبلها لا محل لها، والكلام خبر كما ذكرته في الشرح، وإن كان لفظه إنشاءً. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَسْتَغْفِرْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف أيضاً، ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به. ﴿سَبْعِينَ﴾: نائب مفعول مطلق، أو هو ظرف زمان، منصوب على الاعتبارين، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مَرَّةً﴾: تمييز، وجملة: ﴿تَسْتَغْفِرْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَلَن﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لن): حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿يَغْفِرَ﴾: مضارع منصوب بـ (لن). ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به، وجملة: ﴿فَلَن يَغْفِرَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. واللام: للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر، (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق: ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان به. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَرُواْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٢٠] والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي: فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك والخروج مع رسول الله ﷺ، بقعودهم في المدينة، والمخلف: المتروك، أي: خلفهم الله وثبط هممهم، أو خلفهم رسول الله والمؤمنون لما علموا تثاقلهم. قولان، هذا؛ وقرئ: (خلْفَ رسول الله)، ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٧٢] من سورة (الأنفال). ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾ أي: قال المنافقون بعضهم لبعض: لا تخرجوا مع رسول الله في غزوة تبوك لأن الوقت وقت حر، وقد رد الله عليهم بما قاله

لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾: والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود على الجهاد والخروج معك: إن نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة بسبب تخلفهم أشد حراً من حر الدنيا. ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾: انظر ﴿يَفۡقَهُونَ﴾ في الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف)، وانظر (الفرح) في الآية رقم [٥٨] من سورة (يونس)، على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿فَرِحَ﴾: ماض. ﴿ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، ﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء: في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله. ﴿خِلَٰفَ﴾: ظرف مكان متعلق بالمصدر، وقيل: ظرف زمان، هذا؛ وجوز اعتباره مفعولاً مطلقاً، عامله محذوف، مدلول عليه بـ(مقعدهم)، ومفعولاً لأجله، أي: فرح المنافقون لأجل مخالفتهم رسول الله ﷺ، وأعتمد الاعتبار الأول، و﴿خِلَٰفَ﴾: مضاف، و﴿رَسُولِ﴾: مضاف إليه، و﴿رَسُولِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَكَرِهُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ في محل نصب مفعول به، ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَنفُسِهِمۡ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم: حرف دال على جماعة الذكور. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يُجَٰهِدُواْ﴾، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَرِحَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالاتباع، وجملة: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿نَارُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية. ﴿أَشَدُّ﴾: خبر المبتدأ. ﴿حَرّٗا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَّوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَفۡقَهُونَ﴾: مع مفعوله المحذوف في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كَانُواْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب ﴿لَّوۡ﴾ محذوف، وتقدير الكلا: م (لو كانوا يفقهون أن مآلهم إليها، أو أنها كيف هي؛ ما اختاروها لأنفسهم بإيثار الراحة على طاعة الله ورسوله بالخروج إلى غزوة تبوك)، و﴿لَّوۡ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ أي: فليضحك المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قليلاً في الدنيا الفانية. ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ أي: في الآخرة مكان ضحكهم في الدنيا، وهذا؛ وإن ورد بصيغة الأمر، إلا أن معناه الإخبار، كما في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ

فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾، ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: إن ذلك البكاء في الآخرة معاقبة لهم على ضحكهم، وأعمالهم الخبيثة في الدنيا، وانظر (جزاء) في الآية رقم [٢٦] هذا؛ وقد كان بعض المسلمين لا يضحك في الدنيا، من شدة الخوف، وإن كان عبداً صالحاً.

وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ: «**لَوْ تعلمونَ ما أعْلمُ لضَحِكتمْ قليلاً، ولَبَكيْتُمْ كثيراً، ولَخَرجْتُمْ إلى الصُّعُدَاتِ تجْأرون إلى اللهِ تعالى، لَوددتُ أنِّي كُنْتُ شجرةً تُعْضَدُ**». أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكان الصحابة يضحكون، إلا أن الإكثار منه مذموم منهي عنه، وهو من فعل السفهاء والبطالة، وإن كثرته تميت القلب، وأما البكاء من خوف الله وعقابه فمحمود، فقد روى البغوي، وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أَيُّها الناسُ ابْكُوا، فإنْ لَمْ تسْتَطيعوا أنْ تبكوا، فتباكَوْا، فإنَّ أَهْلَ النارِ يَبْكونَ حتَّى تَسيلَ دموعُهُمْ في وجوهِهِمْ كأنها جَدَاوِلُ حتى تنقطعَ الدموعُ، فَتَسيلَ الدِّمَاء، فتفرغَ العيونُ، فلوْ أَنَّ سفُناً أُجْرِيتْ فيها لَجَرتْ**».

تنبيه: البكاء بالقصر: إسالة الدمع من غير رفع صوت، وبالمد: إسالة الدمع مع رفعه، قال الخليل رحمه الله تعالى: من قصر البكا ذهب به إلى معنى الحزن، ومن مدَّه ذهب به إلى معنى الصوت، قال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: [الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي، وحَقَّ لَهَا بُكَاهَا ... ومَا يُغْنِي الْبُكَاءُ، ولَا الْعَوِيلُ

الإعراب: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟﴾: الفاء: حرف استئناف. (ليضحكوا): مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: ضحكاً قليلاً، أو هو صفة لزمان محذوف، التقدير: زماناً قليلاً، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾: مثلها، وهي معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿جَزَآءً﴾: مفعول لأجله، أو هو مفعول مطلق، عامله محذوف، وقيل: عامله ما قبله على المعنى. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿جَزَآءً﴾، أو بمحذوف صفة له، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط. محذوف؛ إذ التقدير: جزاء بالذي، أو بشيء كانوا يكسبونه، وعلى المصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم الأعمال الخبيثة في الدنيا، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿جَزَآءً﴾، أو بمحذوف صفة له.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فإن ردك الله يا محمد إلى المدينة من غزوة تبوك، وفيها جماعة من المنافقين وكانوا اثني عشر رجلاً، فإن المقيمين في المدينة، لم يكونوا

منافقين؛ فلذا قال سبحانه ﴿مِّنْهُمْ﴾. ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ...﴾ إلخ، أي: طلب المنافقون الخروج معك إلى غزاة ثانية بعد غزوة تبوك. ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ أي: إلى غزوة أخرى، أو إلى أي: سفر كان، وهو كقوله تعالى في سورة (الفتح): ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾. ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: في غزوة تبوك. ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ أي: مع المتخلفين عن الجهاد لعدم استعدادهم ولياقتهم للقتال من صبيان ونساء وشيوخ، وانظر الآية رقم [٨٨] وقرئ (الخلفين) وقيل: المعنى مع المخالفين أوامر الله ورسوله، وعلى الأول فيه تغليب الرجال على النساء مع أنهن الأكثر في المدينة حين خروج الرسولﷺ إلى غزوة تبوك ورجوعه منها، وفي الآية دليل قاطع على وجوب مقاطعة أهل البدع، والضلال، والنفاق، وذوي الأعمال الفاسدة والمجرمين.

هذا؛ و(رجع) يستعمل متعدياً كما في الآية، ولازماً كما في قولك: رجع زيد من عمله، ﴿طَآئِفَةٍ﴾: انظر الآية رقم [٦٧]، ﴿أَبَدًا﴾: انظر الآية رقم [٢٣]، ﴿عَدُوًّا﴾: انظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم، ﴿رَّجَعَكَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والكاف: في محل نصب مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ﴾: متعلقان بالفعل: (رجع). ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿طَآئِفَةٍ﴾. ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٥] (الأعراف) والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لِلْخُرُوجِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَقُل﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿تَخْرُجُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَّن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَعِىَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾: معطوفة عليها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿فَقُل...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف: اسمها، ﴿رَضِيتُم﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] (الأعراف)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن). ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿أَوَّلَ﴾: مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل لنفي الخروج لا محل لها، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَٱقْعُدُوا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اقعدوا): فعل أمر مبني على حذف

النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من واو الجماعة، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخَٰلِفِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿فَٱقْعُدُواْ...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر بـ «إذا»، التقدير: وإذا كنتم رضيتم بالقعود فاقعدوا... إلخ، وهذا الشرط المقدر ومدخوله كلام مستأنف، أو هو معطوف على ما قبله لا محل له على الوجهين.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾: المراد بها صلاة الجنازة، وانظر الآية رقم [٦]، ﴿أَحَدٍ﴾: انظر الآية رقم [٨٠] (الأعراف)، ﴿أَبَدًا﴾: انظر الآية رقم [٢٣]، ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: ولا تقف على قبره للدفن، أو الزيارة، ﴿كَفَرُواْ﴾: انظر الآية رقم [٦٦] من سورة (الأعراف)، ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٧٤]، ورقم [١] من سورة (الأنفال)، ومما ينبغي التنبيه له أن الفسق أدنى حالاً من الكفر، وهو داخل فيه، ولما كان المنافقون أخبث من المشركين والكافرين، وصفهم الله بالفسق بعد وصفهم بالكفر، زيادة في التشنيع عليهم.

تنبيه: هناك روايات مختلفة في سبب نزول الآية الكريمة أذكر منها ما يلي: لما توفي رأس المنافقين ابن أُبي جاء ابنه عبد الله رضي الله عنه، وكان من الصالحين المخلصين، فطلب من الرسول ﷺ، أن يصلي عليه وسأله قميصه ليكفنه فيه، فأجابه الرسول ﷺ إلى ما طلب، فأعطاه قميصه ليكفنه فيه، ولما قام الرسول الكريم ليصلي عليه، تعلق به الفاروق عمر رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله! كيف تصلي عليه وقد قال في يوم كذا: كذا، وفي يوم كذا: كذا؟ فقال سيد الخلق، وحبيب الحق: «**خيرني ربي، وقال**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾». فذهب فصلى عليه، ثم لم يلبث حتى نزلت الآية الكريمة موافقة رأي: عمر رضي الله عنه، وهذه إحدى الموافقات له رضي الله عنه، وانظر الآية رقم [٩٤]، من سورة (المائدة)، والأرقام المحال عليها هناك.

تنبيه: السبب في صلاة الرسول الكريم على ابن أُبيٍّ تطييب خاطر ابنه، فقد عرفت: أنه من كرام الصحابة المخلصين، والسبب في إعطائه القميص ليكفنه فيه لأن الضنة به مخلة بالكرم، أو لأنه أعطاه لابن أبي، مكافأة له لأنه كان قد أعطى العباس عم النبي ﷺ قميصه يوم بدر، يوم وقع أسيراً في يد المسلمين، وسلب ثوبه، فرآه النبي عليه الصلاة والسلام، فأشفق عليه، فطلب له قميصاً، فما وجد له قميص يقادره إلا قميص ابن أبي لتقاربهما في طول القامة، فأراد سيد الخلق، وحبيب الحق مكافأته في الدنيا، ورفع المنة عنه.

هذا؛ وقد قيل: إن ابن أُبَيٍّ طلب الرسول ﷺ، وهو مريض ليأتيه، فأتاه فلما دخل عليه قال له: أهلكك حب اليهود، فقال: يا نبي الله! إني لم أبعث إليك لتؤنبني، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي، وسأله قميصه أن يكفن فيه، فأعطاه إياه، واستغفر له، فمات فكفنه في قميصه، ونفث في جلده، ودلاه في قبره، فأنزل الله الآية، وهذه رواية ضعيفة بلا شك؛ لأنها إن صحت تعتبر توبة من ابن أبي، والله يقبل التائبين.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُصَلِّ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿مِّنْهُم﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَحَدٍ﴾. ﴿مَّاتَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدٍ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿أَحَدٍ﴾، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وهي على التقدير قد قبلها، ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿تُصَلِّ﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: في محل رفع خبرها، وجملة: ﴿وَمَاتُوا۟﴾ معطوفة عليها فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل لها.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

تقدمت هذه الآية بحروفها برقم [٥٦] مع اختلاف بسيط، فلا حاجة إلى شرحها وإعرابها، وتكريرها للتأكيد والأمر حقيق به، فإن الأبصار طامحة إلى الأموال والأولاد، والنفوس مغتبطة بها، ولأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل وتأكيده، وإرادة أن يكون على بال من المخاطب، لاينساه، ولا يسهو عنه، وأن يعتقد أن العمل به مهم، يفتقر إلى فضل عناية، لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين، فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه، فهو يرجع إليه في أثناء حديثه، ويجوز أن تكون هذه الآية في فريق غير الأول. انتهى بيضاوي وكشاف بتصرف.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ...﴾ إلخ: يحتمل أن يراد بالسورة بعضها؛ لأن إطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة، فعلى هذا المراد بالسورة: سورة براءة؛

لأنها مشتملة على الأمر بالإيمان، والأمر بالجهاد، وانظر شرح ﴿سُورَةٌ﴾ في الآية رقم [٦٥]، ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: استأذنك ذو الغنى واليسار في القعود عن الجهاد، وعدم الخروج إليه، وخص ذوي اليسار بالذكر؛ لأن الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد، ولأن العاجز عن ذلك لا يحتاج إلى الاستئذان، وانظر شرح: ﴿أُوْلُواْ﴾ في الآية رقم [٧٥] الأنفال، ﴿ذَرْنَا﴾: اتركنا، وانظر الآية رقم [٧٠] (الأعراف)، ﴿ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾: من النساء والصبيان، وقيل: مع الشيوخ والمرضى، ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين، وقيل: رؤساؤهم وكبراؤهم، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِذَآ﴾: الواو: حرف استئناف، (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب. ﴿أُنزِلَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء: للتأنيث. ﴿سُورَةٌ﴾: نائب فاعله. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب، أو هي مفسرة؛ لأن: (أنزل) متضمن معنى القول دون حروفه، ﴿ءَامِنُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان به، و﴿أَنْ﴾ المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، التقدير: بالإيمان، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أُنزِلَتْ﴾، وعلى اعتبارها مفسرة، فالجملة الفعلية لا محل لها عند الجمهور، والشلوبين يقول: بحسب ما تفسره، وجملة: ﴿أُنزِلَتْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح، وجملة: ﴿وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ﴾: معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها. ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾: ماض، ومفعوله. ﴿أُوْلُواْ﴾: فاعله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و﴿أُوْلُواْ﴾: مضاف، و﴿ٱلطَّوْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ﴾، وجملة: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب: ﴿ذَرْنَا﴾: أمر، ونا: مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿نَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بجواب الأمر، واسمه مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَّعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿نَكُن﴾، و﴿مَّعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والكلام ﴿ذَرْنَا نَكُن﴾ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (إذا) عطف تفسيري لا محل لها مثله.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾

الشرح: ﴿رَضُواْ﴾ أي: رضي المنافقين، وانظر إعلال ﴿رَضُواْ﴾ في الآية رقم [٥٩]، ﴿بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي: مع النساء والصبيان، وأصحاب الأعذار من الرجال، وقد يقال

للرجل: خالفة وخالف أيضاً إذا كان غير نجيب، يقال: فلان خالفة أهله: إذا كان دونهم، قال النحاس: وأصله من خلف اللّبن، يخلف: إذا حَمُضَ من طول مكثه. وخلف فم الصائم: إذا تغير فمه، ومنه: خلف سوء، وقد فسر قوله: ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ مع الفاسدين. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: ختم عليها؛ إذا الطبع: الختم، وهو التأثير في الطين، ونحوه، فاستعير هنا لعدم فهم القلوب ما يلقى إليها، والطبع: السجية، والخلق الذي جبل عليه الإنسان. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يعلمون ما في الجهاد، وموافقة الرسول ﷺ من السعادة السرمدية، وما في التخلف عن الجهاد ومخالفة الرسول الكريم من الشقاوة الأبدية، وانظر ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ في الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف).

تنبيه: على تفسير ﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾ بالرجال ذوي الأعذار فيه شذوذ؛ لأن (فواعل) لا يكون جمعاً لـ «فاعل» إلا إذا كان فيه واحد من ثلاثة أمور:

أحدها: أن يكون اسماً، نحو: كاهل وكواهل، وعاتق وعواتق.

وثانيها: أن يكون صفة لمؤنث عاقل، نحو: حائض، وحوائض، وطائف، وطوائف، أو صفة لمؤنث غير عاقل، نحو: ناقة حاسر، وحواسر.

وثالثها: أن يكون صفة لمذكر غير عاقل، نحو: فرس صاهل، وأفراس صواهل.

هذا؛ وقد شذ جمع عشرة ألفاظ من أوصاف العاقلين، فجاءت مجموعة هذا الجمع من غير أن تستحقه قياساً، وهي: فارس وفوارس، وهالك وهوالك، وغائب وغوائب، وشاهد وشواهد، وحاسر وحواسر، وحاجب وحواجب، وخاطئ وخواطئ، وحاج وحواج، ورافد وروافد، وناكس ونواكس، لكنه حسنه في كل ذلك انتفاء الشركة بينه وبين المؤنث؛ لأنهم يقولون: أمرأة فارسة... إلخ، فبعد بهذا عن الصفة، فهو كالاسم؛ إذ الفرق بين المؤنث والمذكر بالتاء، إنما يكون في الصفات، وما في الآية الكريمة يمكن أن يكون من ذلك الحسن؛ لأنه يقال: للمذكر خالف، والمؤنث: خالفة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿رَضُوا۟﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق، ﴿بِأَن﴾: الباء: حرف جر، (أن): حرف ناصب. ﴿يَكُونُوا۟﴾: مضارع ناقص منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: اسمه، والألف للتفريق. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿يَكُونُوا۟﴾، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾: مضاف إليه، و(أن) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿رَضُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، ﴿وَطُبِعَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَطُبِعَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع

مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَفْقَهُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ أي: أن تخلف المنافقون عن الجهاد وجبنوا؛ فقد جاهد من هو خير منهم، محمد ﷺ والمؤمنون معه. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ﴾ أي: الرسول والمؤمنون الذين جاهدوا معه لهم خيرات الدنيا، والآخرة ومنافعهما: النصر، والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وقيل: المراد بالخيرات: الحور العين لقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، وهي جمع: خيرة تخفيف خَيِّرة. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالجنة الناجون من النار، من أفلح الرجل فاز ببغيته ومراده، هذا؛ والفلاح: اسم جامع للخلاص من كل مكروه، والفوز بكل محبوب، وأصله: المؤفلحون، انظر الآية رقم [٥١] لإعلاله، وانظر تقديم المال على النفس في الآية رقم [٤٢] والآيات المحال عليها.

الإعراب: ﴿لَٰكِنِ﴾: حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: مبتدأ. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مبني على الفتح في محل رفع معطوف على ما قبله. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل والألف للتفريق، ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿ءَامَنُواْ﴾، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ﴿ٱلْخَيْرَٰتُۖ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي مؤكدة لمضمونها، وانظر إعراب مثلها في الآية رقم [١١].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ﴾: هيأ لهم، وانظر شرح باقي الكلمات في الآية رقم [٧٣]، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: إشارة إلى ما يناله المؤمنون المجاهدون في الآخرة من الأجر العظيم والثواب الكريم.

الإعراب: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٧٣] والجملة الفعلية: ﴿أَعَدَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام:

للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿الْفَوْزُ﴾: خبره، ﴿الْعَظِيمُ﴾: صفة، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)﴾

الشرح: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: المراد بهؤلاء: بنو أسد، أو بنو غطفان استأذنوا الرسول ﷺ في التخلف عن الخروج معه لغزوة تبوك، معتذرين بالجهد وكثرة العيال، وقيل: هم قوم عامر بن الطفيل، قالوا: إن غزونا معك؛ أغارت طيئ على أهالينا ومواشينا، والمعذرة إما من عذر في الأمر: إذا قصر فيه، موهماً: أن له عذراً، ولا عذر له، أو من اعتذر: إذا مهد العذر، بإدغام التاء في الذال، ونقل حركتها إلى العين، وقرئ: المعذرون بوجوه كثيرة، هذا؛ والاعتذار في كلام العرب على قسمين، يقال: اعتذر إذا كذب في عذره، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾، فرد الله عليهم بقوله ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ فدل ذلك على فساد عذرهم، وكذبهم فيه، ويقال: اعتذر إذا أتى بعذر صحيح، ومنه قول لبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه: [الطويل]

إلى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السلامِ عليكُما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً، فَقَدِ اعْتَذَرْ

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: تخلف جماعة عن الجهاد، ولم يعتذروا، وهم يدعون الإيمان بالله ورسوله، وهم كاذبون في هذا الادعاء، والفعل يقرأ بالتخفيف والتشديد. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ .. عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا بالقتل والذل والخزي والعار، وفي الآخرة في النار، وبئس القرار.

﴿الْأَعْرَابِ﴾: جمع أعرابي، وهو من يسكن البادية وهو ما في القاموس، وقيل: الأعراب اسم جنس، وأعرابي نسبة إلى الأعراب. انتهى. مختار الصحاح، هذا؛ والعرب أهل الأمصار، وهو أيضاً اسم جنس، والنسبة إليهم عربي، فالأعرابي على الأول مفرد الأعراب، ونسبة إليهم، والعربي على الثاني مفرد العرب، ونسبة إلى العرب. ﴿كَذَبُوا﴾: من التكذيب مشدداً مخففاً، هذا؛ ويأتي مخففاً بمعنى: وجب، وخدع، وأغرى، ويعد من الجوامد التي لا تتصرف، انظر الشاهد (٢٨) من كتابنا فتح رب البرية تجد ما يسرك. ﴿سَيُصِيبُ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٥١].

الإعراب: ﴿وَجَاءَ﴾: (جاء): ماض. ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾: فاعله مرفوع... إلخ. ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾. ﴿لِيُؤْذَنَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ(أن) مضمرة بعد لام التعليل. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف نائب فاعل، و(أن) المضمرة والفعل

المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَجَآءَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ﴾: معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ﴾ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾: صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل يصيب، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به تقدم على الفاعل. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ .. حَرَجٌ﴾: فقد نفى الله الإثم والمؤاخذة عن هؤلاء إذا تخلفوا عن الخروج للجهاد بسبب أعذارهم، وهذا بعد أن ذكر الله المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد، واعتذروا بأعذار كاذبة، والمراد بالضعفاء: النساء، والصبيان، والشيوخ، ومن في جسمه نحف وهزال، وإن كان شاباً. ﴿ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾: جمع مريض، ويدخل فيهم أهل العمى، والعرج، وكل موصوف بمرض يمنعه من الجهاد، والسفر للغزو. ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾: المراد بهم: الفقراء العاجزون عن أهبة الغزو والسفر للجهاد.

﴿حَرَجٌ﴾: إثم ومؤاخذة. ﴿نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾: النصيحة لله: إخلاص الاعتقاد في الوحدانية، ووصفه بصفات الألوهية، وتنزيهه عن النقائص، والرغبة في محابه، والبعد من مساخطه، والنصيحة لرسوله، والتصديق بنبوته، والتزام طاعته، في أمره ونهيه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، والتخلق بأخلاقه، وغير ذلك، هذا؛ ومن النصح لله ورسوله: أنهم إذا أقاموا في بلدهم؛ احترزوا عن إفشاء الأراجيف، وإثارة الفتن، وسعوا في إيصال الخير إلى أهل المجاهدين الذين خرجوا إلى الغزو، وقاموا بمصالح بيوتهم. وانظر الآية رقم [٧٩] من سورة (الأعراف). ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾: ليس على من أحسن العمل، وأخلص النية وتخلف عن الجهاد بعذر إثم ومؤاخذة، بل يؤجر على حسن العمل، وإخلاص النية، ولو كان في بيته.

فقد روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لَقَدْ تركْتُمْ بالمدينةِ أقواماً، ما سِرْتُم مَسيراً، ولا أنْفَقْتُمْ مِنْ نفقةٍ، ولا قطعتمْ مِنْ وادٍ، إلَّا وهمْ معكمْ فيهِ، قالُوا: يَا رسولَ اللهِ، وكيْفَ يكونون معَنَا وهمْ بالمدينةِ؟ قال: حبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»؛ أي: وهم يتمنون أن يكونوا معكم. ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: صيغتا مبالغة من غفر، ورحم. تأمل.

الإعراب: ﴿لَّيۡسَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّيۡسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿وَلَا﴾: زائدة لتأكيد النفي. ﴿عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾: جار ومجرور معطوفان على ما

قبلهما، ومثلها ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾، (لا): نافية، ﴿يَجِدُونَ﴾: مضارع وفاعله. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، وعائدها وعائد ﴿ٱلَّذِينَ﴾ محذوف، التقدير: ولا على الذين لا يجدون الذي أو شيئاً ينفقونه. ﴿حَرَجٌ﴾: اسم ﴿لَّيْسَ﴾ مؤخر. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان متعلق بمضمون الكلام السابق قبله، مبني على السكون في محل نصب، وجملة: ﴿نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿لَّيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مَا﴾: نافية حجازية، أو هي مهملة. ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿مَا﴾، تقدم اسمها على إعمالها، أو متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ على إهمالها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿سَبِيلٍ﴾: اسم ﴿مَا﴾ مؤخر، أو هو مبتدأ مؤخر (على إهمالها) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، وأيضاً جملة: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها أيضاً.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا...﴾ إلخ أي: ليس عليهم حرج؛ أي: إثم ومؤاخذة. ﴿أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾. وهم البكاؤون، وكانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف أتوا رسول الله ﷺ. وقالوا: يا رسول الله إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة، والنعال المخصوفة نغز معك، ﴿تَوَلَّواْ﴾: أعرضوا. ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾: فحمل العباس منهم اثنين، وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه، وهو ألف، وحمل يامين بن عمرو النصري اثنين، وقيل: البكاؤون ثلاثة من بني مقرن: معقل، وسويد، والنعمان، وقيل: هم الأشعريون أبو موسى وأصحابه، فلما تولوا يبكون دعاهم الرسول ﷺ، وأعطاهم ذوداً من الإبل، وكان قد وافق مجيئهم غضباً من الرسول العظيم، فقال: «**والله لا أحْمِلُكُمْ، ولا أجدُ ما أحملُكُمْ عليْهِ**». فلما أعطاهم، قال أبو موسى: ألست حلفت يا رسول الله؟ فقال: «**إنِّي إنْ شاءَ اللهُ لا أحلِفُ على يمينٍ فأرَى غيرَهَا خيراً مِنها، إلَّا أتيتُ الذي هوَ خيرٌ، وكفَّرْتُ عَنْ يميني**». أقول: وهذا هو المشهور، وحديث الأشعريين مذكور في البخاري.

بعد هذا انظر (أتى) في الآية رقم [٣٥] (الأعراف) وإعلاله في الآية رقم [١٣٨] منها، ﴿قُلْتَ﴾: انظر إعلاله في الآية [١١] منها، ﴿أَجِدُ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [١٧] منها، ﴿تَوَلَّواْ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٧٩] منها، ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ﴾: انظر الآية رقم [١١٦] منها،

﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: انظر الآية رقم [٨٦] المائدة، تجد ما يسرك وهو من الثلاثي هنا وفي المائدة، وانظره من الرباعي في الآية رقم [٥٠] من سورة (الأعراف)، ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾: انظر الآية رقم [٣] (الأنفال).

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: معطوفان على قوله ﴿عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ أو على ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في الآية السابقة، و«حرج» أو «سبيل» محذوف، ويجب تقديره بعد إذا ومدخولها ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿مَآ﴾: زائدة، ﴿أَتَوْكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح، ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾: مضارع منصوب بـ (أن) مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت» والهاء: مفعول به، و(أن) المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿قُلْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَآ﴾: نافية، ﴿أَجِدُ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور بـ ﴿عَلَى﴾وجملة: ﴿لَآ أَجِدُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الكاف في ﴿أَتَوْكَ﴾ وبعضهم يعتبرها جواب ﴿إِذَا﴾، وعلى الحالية يجب تقدير قد قبلها، هذا؛ وقد قيل: هي معطوفة على جملة: ﴿أَتَوْكَ...﴾ إلخ بعاطف محذوف، التقدير: و﴿قُلْتَ﴾، وهذا ضعيف. ﴿تَوَلَّواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ على اعتبار جملة: ﴿قُلْتَ...﴾ إلخ حالاً أو معطوفة، ومستأنفة على اعتبار جملة: ﴿قُلْتَ...﴾ إلخ جواب: ﴿إِذَا﴾، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها صلة الموصول كلام لا محل له. ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿تَفِيضُ﴾: مضارع والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى (أعينهم)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿حَزَنًا﴾: مفعول لأجله، وقيل: هو مفعول مطلق في موضع الحال، ولا وجه له. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿يَجِدُواْ﴾: منصوب بـ (أن)... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، التقدير: أن لا يجدوا الذي، أو شيئاً ينفقونه، و(أن) المصدرية والفعل ﴿يَجِدُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من عدم وجدان الذي... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تَفِيضُ﴾، ويجوز تعليقهما بـ ﴿حَزَنًا﴾؛ لأنه مصدر، فيكون علة للعلة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: إنما الإثم والمؤاخذة، واستحقاق العقوبة للذين يستأذنونك يا محمد في التخلف عن الخروج للجهاد، وهم أصحاء أقوياء أغنياء، والمراد بهم المنافقون. ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ...﴾ إلخ: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٨٨] وانظر ﴿ٱلسَّبِيلُ﴾ في الآية رقم [١٤٢] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة مفيدة للحصر. ﴿ٱلسَّبِيلُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾: في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ...﴾ إلخ: ابتدائية أو مستأنفة لا محل لها. ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟...﴾ إلخ: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٨٧]. وقد تكرر لزيادة التوبيخ والتشنيع على المنافقين المتخاذلين، وجملة: ﴿رَضُوا۟...﴾ إلخ: تحتمل الاستئناف، والحال، فتكون (قد) قبلها مقدرة، وما بعدها معطوف عليها على الاعتبارين.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: انظر الاعتذار في الآية رقم [٩٤] والخطاب للرسول ﷺ وأصحابه، فإنهم كانوا يعتذرون إليهم أيضاً، لا إليه فقط، وتخصيص الخطاب في قوله ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟﴾ حيث لم يقل: قولوا؛ لأن الجواب وظيفته ﷺ فقط، وأما الاعتذار، فكان له، وللمؤمنين. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود، والمعتذرون كانوا بضعة وثمانين من المنافقين، فلما رجع ﷺ من غزوة تبوك، جاؤوا يعتذرون إليه بالباطل. ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من غزوة تبوك إلى المدينة. ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي: لن نصدقكم، أو لن نثق بكم. ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: أعلمنا الله بالوحي إلى نبيه ﷺ بعض أخباركم. وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد، وانظر الآية رقم [١٠١]. من سورة (الأعراف). ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾: أتتوبون عن الكفر، أم تثبتون عليه؟ وكأنه استتابة وإمهال للتوبة. انتهى. بيضاوي، وانظر إعلال (ترى) في الآية رقم [١٤٣] (الأعراف). ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ أي: الغيبة

والحضور، ومقتضى القياس: ثم تردون إليه، فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم، لا يعزب عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم. ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا...﴾ إلخ: فيخبركم بكل شيء عملتموه في دنياكم، ويجازيكم به.

الإعراب: ﴿يَعۡتَذِرُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيۡكُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان متعلق به أيضاً مبني على السكون في محل نصب. ﴿رَجَعۡتُمۡ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿يَعۡتَذِرُونَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية. وعلامة جزمه حذف النون.. الخ، والواو: فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾: تعليل للنهي لا محل لها. ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿نَبَّأَنَا﴾: ماض، و(نا): مفعول به أول، والثاني محذوف، التقدير: قد نبأنا الله أخباراً من أخباركم. وقيل: هذا الفعل تعدى لثلاثة مفاعيل، الأول والثاني ما ذكر، والثالث محذوف، التقدير: أخباراً من أخباركم مثبتة. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وقد دلا على المفعول الثاني المحذوف. وجملة: ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا...﴾ إلخ: تعليل آخر للنهي، وقيل: تعليل للتعليل. ﴿وَسَيَرَى﴾: الواو: حرف استئناف. السين: حرف استقبال، ومعناه التأكيد والوقوع والاستمرار، (يرى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. وهو بمعنى (يعلم)، وقد نصب مفعولين، الأول: ﴿عَمَلَكُمۡ﴾. الثاني: محذوف، تقديره: واقعاً، أو حاصلاً. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾: معطوف عليه. وجملة: ﴿وَسَيَرَى...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿تُرَدُّونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو: نائب فاعله. ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿عَٰلِمِ﴾: مضاف. ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿تُرَدُّونَ...﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). والكاف: مفعوله الأول ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني، ﴿بِمَا﴾: (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، وتقدير الكلام؛ فينبئكم بالذي، أو بشيء كنتم تعلمونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فينبئكم بعملكم، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. هذا؛ و﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمها، والميم: علامة جمع الذكور، وجملة: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر كان.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: سيحلف المنافقون بالله لكم إذا رجعتم من سفركم هذا: أنهم لم يقدروا على الخروج معكم إلى غزوة تبوك بسبب الفقر، أو المرض ونحو ذلك لتصفحوا عنهم، ولا تعاتبوهم بسبب تخلفهم عنكم. ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: فاتركوهم وما اختاروا لأنفسهم من النفاق، ولا تكلموهم، ولا تجالسوهم؛ لأنهم رجس، بواطنهم خبيثة وأعمالهم قبيحة. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مآلهم ومقرهم، ومنزلهم ومكانهم.

قال الجوهري: المأوى كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً، أو نهاراً، وقد أوى فلان إلى منزله يأوي أوياً وإواءً، ومنه قوله تعالى: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ وآويته أنا إيواء، وأويته إذا أنزلته بك بمعنى. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي: الإعراض عنهم وإهانتهم في الدنيا، ومعاقبتهم في نار جهنم في الآخرة إن ذلك بسبب ما كانوا يعملونه من النفاق، والمكر والخداع، وسوء الأعمال، وانظر (جزاء) في الآية رقم [٣٦].

الإعراب: ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾: السين: حرف استقبال. وهي تفيد تحقق الوقوع؛ لأنه من قول العليم الخبير. (يحلفون): فعل وفاعل. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان به أيضاً. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله أيضاً، وجملة: ﴿ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿لِتُعْرِضُواْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف التقدير: إنهم ما قدروا على الخروج، وهذا الكلام المقدر جواب القسم (يحلفون)، وقدر معطوفاً على هذا الجواب: وفعلوا أو وقالوا ذلك للإعراض عنهم. وهذا لينسجم المعنى مع التعليق، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٢] منقولاً عن ابن هشام. ﴿فَأَعْرِضُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢٨]، (أعرضوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾: لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل. والهاء: اسمها. ﴿رِجْسٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية تعليل للإعراض عنهم. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٨٢] وجملة: ﴿سَيَحْلِفُونَ...﴾ إلخ بدل من جملة: ﴿يَعْتَذِرُونَ﴾ في الآية السابقة، أو هي مفسرة لها.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾: يحلف لكم المنافقون إذا رجعتم من سفركم هذا: إنهم ما قدروا على الخروج معكم إلى غزوة تبوك بسبب الفقر ونحوه؛ لإرضائكم. فتدوموا على مودتهم، وحسن معاملتهم. ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾ أي: بسبب أيمانهم، وتصدقوهم.. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ...﴾ إلخ، والمعنى: إن رضاكم لا يستلزم رضا الله. ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا بسخط الله وبصدد عقابه، أو المعنى إن أمكنهم أن يلبسوا عليكم؛ لا يمكنهم أن يلبسوا على الله. فلا يهتك سترهم، ولا ينزل الهوان بهم، والمقصود من الآية: النهي عن الرضى عنهم، والاغترار بمعاذيرهم، بعد الأمر بالإعراض عنهم، وعدم الالتفات إليهم. انتهى. بيضاوي بتصرف.

الإعراب: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ...﴾: انظر الإعراب، وتقدير الجواب في الآية السابقة. والجملة الفعلية: ﴿يَحْلِفُونَ...﴾ إلخ بدل مما قبلها في الآية السابقة. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَرْضَوْا۟﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْضَىٰ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾ والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن). ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: صفة القوم مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ. في محل جزم جواب الشرط، هذا هو الظاهر، وعند التأمل يتبين لك أن الجواب محذوف، التقدير: فإن ترضوا عنهم، فإن رضاكم لا ينفعهم شيئاً، وعليه فالجملة الاسمية مفيدة للتعليل، وإن ومدخولها كلام مستأنف مفرع عما قبله لا محل له.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾: انظر الآية رقم [٩٠]. ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من أهل الحضر، لتوحشهم، وقساوتهم، وعدم مخالطتهم لأهل العلم، وقلة استماعهم لآيات القرآن، وأحاديث سيد الأنام ﷺ. ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ...﴾ إلخ: أي: هم أحق بعدم معرفة ما أنزل الله على

نبيه ﷺ من شرائع وأحكام، وتبيين الحلال والحرام، والسبب في ذلك هو بعدهم عن مجالس أهل العلم. ﴿عَلِيمٌ﴾: بحال كل واحد من أهل الحضر والبادية. ﴿حَكِيمٌ﴾: يضع الأمور مواضعها، فيعاقب المسيء من أهل الحضر والمدر، ويثيب المحسن منهما، وانظر النفاق في الآية رقم [٦٤].

تنبيه: وجود الكفر والنفاق عند سكان البادية بسبب بعدهم عن الوعظ والإرشاد، ومجالس أهل العلم، لا ينفي أن يوجد في الحضر من هو أفسق وأفسد منهم، والسبب هو بعدهم عن العلم وأهله، فقد رأينا من بلغ من العمر الستين والسبعين، وهو لا يحسن الوضوء، ولا يعرف شيئاً من مبطلات الصلاة وغير ذلك، ومتجره على باب مسجد من المساجد، وذلك بسبب انصرافه إلى الدنيا وجمع حطامها الفاني حتى جعلته حماراً يسعى في مصالحها، ويجهل معرفة ما هو من ضروريات دينه، كما رأينا كثيراً من الأعراب قد سكنوا المدن وتوالدوا فيها، فزادوا كفراً ونفاقاً على من لا يزال مقيماً في البادية، وأضيف: أن الوعظ والإرشاد في هذه الأيام موجود، بل ومنتشر في كل مكان في البادية وغيرها، وذلك بواسطة الإذاعات الإسلامية التي يوجد فيها، ومن تتبع ذلك من إذاعة إلى إذاعة لا يكون بعيداً عن الوعظ والإرشاد، بل هو موجود في بيته أينما حل، وأينما ارتحل، ويمكنني أن أقول، إن الأثير في هذه الأيام إنما هو في خدمة الإسلام، ونشر تعاليمه، ولم تستفد ديانة من الديانات من الأثير ما استفاده الإسلام، فكيف إذا وجهت الإذاعات توجيهاً قويماً، ونشرت سيرة الرسول ﷺ، وسيرة صحابته، والتابعين لهم بإحسان؟

الإعراب: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ﴾: مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿كُفۡرٗا﴾: تمييز. ﴿وَنِفَاقٗا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَأَجۡدَرُ﴾: معطوف على أشد ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف ناصب. (لا): نافية. ﴿يَعۡلَمُواْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن»، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ. والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿حُدُودَ﴾: مفعول به، واكتفى بمفعول واحد؛ لأن الفعل هنا من المعرفة، و﴿حُدُودَ﴾: مضاف، و﴿مَآ﴾ مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، تقدير الكلام: حدود الذي أو الشيء أنزله الله على رسوله. والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾: مستأنفة لا محل لها. وانظر الشرح لتأويل المصدر وتعليقه.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾: يعد ويحسبه. ﴿مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا﴾: ما يصرفه في سبيل الله، ويتصدق به غرامة وخسراناً؛ لأنه لا يحتسبه عند الله، ولا يرجو عليه ثواباً، وإنما ينفقه رياء وتقية من غضب المسلمين. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: ينتظر ويترقب، والتربص والانتظار

والترقب بمعنىً و﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾ جمع دائرة، والمراد: تقلب الزمان وصروفه التي تأتي مرة بالخير، ومرة بالشر، والمراد هنا الثاني، فهم يتمنون موت الرسول ﷺ، أو غلبة المشركين على المسلمين. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: بل ينقلب عليهم الزمان. ويدور الشر والسوء، والبلاء والحزن بهم، ولا يرون في محمد ﷺ وأصحابه ودينه إلا ما يسوؤهم. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: لأقوالهم. ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش، وإرادة السوء للمؤمنين، و﴿سَمِيعٌ﴾ و﴿عَلِيمٌ﴾ صيغتا مبالغة، هذا؛ وقد نزلت الآية في أعراب أسد، وغطفان، وتميم. بعد هذا انظر شرح: ﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾ في الآية رقم [٩٠] و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ يقرأ بضم السين وفتحها، فالأول: بمعنى المكروه والشر، والهزيمة والبلاء والضرر، والثاني: بمعنى الفساد والرداءة، وانظر الآية رقم [٧٣] (الأعراف). وانظر ﴿يُنفِقُ﴾ في الآية [٣] الأنفال.

الإعراب: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٠]، ﴿يَتَّخِذُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به أول. والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف التقدير: الذي، أو شيئاً ينفقه. ﴿مَغْرَمًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿يَتَّخِذُ...﴾ إلخ: صلة من، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: معطوفة عليها على الوجهين المعتبرين فيها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿دَآئِرَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّوْءِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ مستأنفة أيضاً لا محل لها.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: انظر الآية رقم [٩٠]. ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾: يصدق ويعتقد بوجود الله تعالى، وينزهه عما لا يليق به من صفات النقصان. ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: يعتقد بوجود اليوم الذي يحاسب الله فيه العباد. انظر الآية رقم [١٩]. ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: يعد ويحسب ما ينفقه في سبيل الله، ويتصدق به قربات يتقرب بها إلى رضوان الله وعفوه وإحسانه، وهذا عكس ما في الآية السابقة. ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: دعواته للمتصدقين؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو لهم ويستغفر لهم، وانظر الآية رقم [٦]، ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ﴾

﴿لَّهُمْۚ﴾: فهذه شهادة من العزيز الحكيم بصحة معتقدهم، وتصديق لرجائهم. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾: فهذا وعد من الله تعالى. ولن يخلف وعده بأن يدخلهم جنته يوم القيامة، وعبر برحمته عن الجنة؛ لأنها هي الرحمة الحقيقية. وأية رحمة بعدها إذا لم يدخلها الإنسان؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لأوليائه. ﴿رَّحِيمٌ﴾: بأهل طاعته، فهما صيغتا مبالغة، هذا؛ ويقرأ: ﴿قُرُبَةٌ﴾ بضم القاف مع ضم الراء وسكونها، وتجمع على قربات بضم القاف، وتثليث الراء، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤٢] الأنعام. تجد ما يسرك ويثلج صدرك.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في نفر من بني مقرن من قبيلة مزينة قاله مجاهد، وقال الكلبي: هم أسلم، وغفار، وجهينة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أسْلَمُ سالَمَها الله، وغِفارُ غفر لَهَا، أَمَا إني لَمْ أقلْهَا ولكنَّ الله قالَهَا**». متفق عليه، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**قُرَيشُ والأنْصَارُ، وجُهَيْنَةُ، ومُزَيْنَةُ، وأسْلَمُ وأشْجَعُ، وغِفَارُ مَوالِي لَيْسَ لَهُمْ مَوْلَى دُونَ اللهِ ورَسولِهِ**». متفق عليه.

الإعراب: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾: إعراب هذا الكلام مثل ما قبله في الآية السابقة. ﴿قُرُبَٰتٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة: ﴿قُرُبَٰتٍ﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. هذا؛ وقيل بتعليق الظرف بالفعل (يتخذ) كما قيل بتعليقه بـ: ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ نفسه، ﴿وَصَلَوَٰتِ﴾: معطوف على ﴿مَا يُنفِقُ﴾ فهو منصوب. وعلامة نصبه الكسرة... إلخ، التقدير: ويتخذ صلوات الرسول قربات. ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه واستفتاح. يسترعى به انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل. و(ها): اسمها. ﴿قُرْبَةٌ﴾: خبرها. ﴿لَّهُمْۚ﴾: متعلقان بـ ﴿قُرْبَةٌ﴾. أو بمحذوف صفة لها، والجملة الاسمية: ﴿أَلَآ إِنَّهَا...﴾ إلخ ابتدائية أو مستأنفة لا محل لها. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ﴾ السين: حرف استقبال مفيد للتأكيد وتحقيق الوقوع. (يدخلهم الله): فعل ومفعول به، وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فِى رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء: في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليل أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: الذين سبقوا إلى الإسلام، وتسابقوا في الخيرات وفي وجوه البر والإحسان. ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: الذين هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة،

فراراً بدينهم، وتركوا ديارهم وأموالهم. ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ أي: الذين نصروا الرسول ﷺ، وبذلوا أرواحهم وأموالهم في طريقه، وفي سبيل إعزاز دينه ونشر شريعته، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ أي: بالعمل الصالح، وبذل المال والروح في سبيل الله، لا فيما صدر عنهم من الهفوات والزلات؛ إذ لم يكونوا معصومين، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: هذا؛ والأنصار اسم إسلامي، لم يعرف من قبل، قيل لأنس بن مالك رضي الله عنه، أرأيت قول الناس لكم: الأنصار، اسم سماكم الله به، أم كنتم تدعون به في الجاهلية؟ قال: بل اسم سمانا الله به في القرآن. ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾: انظر الآية رقم [١١٩] المائدة.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ .. ٱلْعَظِيمُ﴾: انظر الآية رقم [٧٢] و[١١١].

تنبيه: لقد اختلف في السابقين الأولين، فقيل: هم من صلى إلى القبلتين، وقيل: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، وقيل: هم أهل بدر، وقيل: هم أهل غزوة أحد، واتفقوا على أن من هاجر قبل تحويل القبلة، فهو من الأولين من غير خلاف بينهم.

أما الأفضلية فأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، وهم: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله التيمي، وسعيد بن عمرو بن زيد بن نفيل، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد اختلف في أولهم إسلاماً، والمتفق عليهم، والمرضي عند الجميع أن أول من أسلم من الرجال: أبو بكر الصديق، ومن النساء: خديجة الكبرى، ومن الصبيان: علي، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد: بلال الحبشي رضوان الله عليهم أجمعين، هذا؛ والصحابي هو من اجتمع بالنبي ﷺ مسلماً، ومن آمن به، ولم يجتمع به في حياته، فهو تابعي كالنجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه، وأما التابعي فهو من اجتمع بالصحابة، ولو واحداً منهم، وأما من اجتمع بالنبي ﷺ في حياته، وهو غير مؤمن، ثم آمن بعد وفاته، فهو تابعي، لا صحابي ككعب الأحبار، وأمثاله.

الإعراب: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾: قال أبو البقاء: يجوز أن يكون معطوفاً على قوله ﴿مَن يُؤْمِنُ﴾ تقديره: ومنهم السابقون، ويجوز أن يكون مبتدأ، وفي الخبر ثلاثة أوجه: أحدهما ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾، والمعنى والسابقون إلى الهجرة وغيرها الأولون من أهل الملة، أو السابقون إلى الجنة الأولون إلى الهجرة، والثاني: الخبر ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ والمعنى فيه الإعلام بأن السابقين من هذه الأمة هم من المهاجرين والأنصار، والثالث: أن الخبر ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ والأنصار: بالجر عطفاً على ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ ويقرأ بالرفع عطفاً على السابقون. أو هو مبتدأ، والخبر جملة: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: وذلك على الوجهين الأولين في خبر السابقون. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على

الفتح في محل رفع معطوف على الأنصار. ﴿ٱتَّبَعُوهُم﴾: ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعله. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. والجملة الفعلية في محل رفع خبر (السابقون)، أو في محل رفع خبر (الأنصار). على نحو ما رأيت فيما سبق. وجملة: ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: معطوفة عليها على الاعتبارين فيها، وجملة: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: معطوفة على ما قبله، وانظر الإعراب في الآية رقم [٦٣]. فهو مثله بلا فارق. ﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام: للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: خبره. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿حَوْلَكُم﴾: ظرف مكان، وهو لا يتصرف، فهو ملازم للظرفية أبداً. يقال: قد قعد حَوْلَه وحَوالَه، وحَوْلَيْه، وحَوَالَيْه، ولا تقل: حواليهِ بكسر اللام، وقعد بحيالِهِ وحِيالَهُ، أي: بإزائِهِ وإزاءَهُ. ﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾: انظر الآية رقم [٩٠]. ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾: انظر الآية رقم [٦٤]. ﴿أَهْلِ﴾: انظر الآية رقم [٨٣] (الأعراف). ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: تمرنوا على النفاق، وأصروا عليه، ولم يتوبوا منه، وأبوا غيره. ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: لا تعرفهم، هذا خطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق. ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي: نعرفهم. وانظر العلم والمعرفة في الآية رقم [٦٠] من سورة (الأنفال). وانظر (نا) في الآية رقم [٧] من سورة (الأعراف). ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: الأولى: الفضيحة وكشف الأسرار في الدنيا، والثانية بعذاب القبر، وقيل: الأولى أخذ الزكاة من أموالهم، وإجراء الحدود عليهم، والثانية عذاب القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: هو الخلود في جهنم وبئس المصير. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣] من سورة (الأعراف). ﴿عَذَابٍ﴾: انظر الآية رقم [٣٩] هذا؛ ومعنى ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: يوجد منافقون من أهل المدينة، أي: من الأوس والخزرج.

الإعراب: ﴿وَمِمَّنْ﴾: (ممن): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿حَوْلَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والكاف: في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق الظرف. ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمِنْ أَهْلِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم،

و﴿أَهْلِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَرَدُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع صفة لمبتدأ مؤخر محذوف، التقدير: ومن أهل المدينة قوم مردوا... إلخ. وقيل: الجملة الفعلية صفة ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾، والمبتدأ المؤخر محذوف. التقدير: ومن أهل المدينة مثل ذلك، والأول أقوى، وأتم معنى. ﴿عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْ أَهْلِ...﴾ إلخ. معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُهُمْ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية للمبتدأ المحذوف. أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط. التقدير: غير معلومين لك. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿نَعْلَمُهُمْ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ...﴾ إلخ، مستأنفة لا محل لها. ﴿سَنُعَذِّبُهُم﴾: السين: حرف استقبال مفيد للتوكيد وتحقق الوقوع. (نعذبهم): مضارع، وفاعله نحن، والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾: نائب مفعول مطلق منصوب، وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُرَدُّونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو: نائب فاعله. ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة عذاب.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: هؤلاء جماعة من أهل المدينة، تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك، واختلفوا في عددهم، فقيل: كانوا عشرة، منهم أبو لبابة، وقيل: كانوا خمسة منهم أبو لبابة، وقالوا: أنكون من الضلال، ومع النساء، ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد واللأواء؟! فلما قرب الرسول من المدينة وهو راجع من سفره، قالوا: والله لنوثقن أنفسنا بالسواري. فلا نطلقها، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقنا ويعذرنا، فربطوا أنفسهم في سواري المسجد، فمر بهم عليه الصلاة والسلام في المسجد، فرآهم، فقال: «من هؤلاء» فقالوا: هؤلاء الذين تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم، حتى تكون أنت الذي تطلقهم، وترضى عنهم، فقال: «**وأنا أقسم بالله، لا أطلقهم، ولا أعذرهم، حتى أومر بإطلاقهم، رغبوا عني، وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين**». فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فأرسل إليهم ﷺ، فأطلقهم، وعذرهم، فلما أطلقوا، قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك، خذها، فتصدق بها عنا، وطهرنا، واستغفر لنا،

فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً»، فأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ...﴾ إلخ الآية التالية، وانظر قصة أبي لبابة في الآية رقم [٢٧] من سورة (الأنفال).

﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أقروا بذنبهم، وفيه لطيفة، وهي أنهم لم يعتذروا عن تخلفهم بأعذار باطلة كغيرهم، من المنافقين، وهل يكون مجرد الاعتراف بالذنب توبة؟ كلا، لا يكون؛ لأن التوبة النصوح المقبولة، يجب أن تتوافر فيها ثلاثة أمور، إن كانت من حق الله تعالى: الاستغفار باللسان، والندم بالجنان، والإقلاع بالأركان، وإن كانت من حق العباد يجب رد الحقوق لأصحابها بحسب الإمكان، فإذا لم يرد المظالم لأهلها، لا تقبل توبته، وإن تاب ألف توبة. ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: العمل الصالح: هو الاعتراف بالذنب وتوبتهم منه، وقيل: هو الخروج مع رسول الله ﷺ في سائر الغزوات، والعمل السيئ: هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك، وقيل: إن العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة، والسيئ بضده، وعليه تكون الآية في حق جميع المسلمين، والحمل على العموم أولى؛ لأن خصوص السبب لا يمنع التعميم، فقد روى الطبراني عن أبي عثمان، قال: ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾. ولا تنسَ أن قوله: ﴿خَلَطُوا۟...﴾ إلخ إنما هو استعارة تبعية بالفعل لأن الخلط يكون في المحسوسات: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: فعسى هنا للتأكيد لتحقيق الوقوع إن شاء الله تعالى، وهو ما يفيده قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

الإعراب: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾: معطوف على منافقون، أو على (قوم) المحذوف، وتقدير الكلام: وممن حولكم آخرون، أو ومن أهل المدينة آخرون، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما يأتي، فهو مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الأسم المفرد. ﴿ٱعْتَرَفُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ٱعْتَرَفُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع صفة (آخرون)، وجملة: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ في محل رفع خبر (آخرون)، على اعتباره مبتدأ، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة على اعتباره معطوفاً على ما قبله، والرابط: الضمير فقط، و(قد) قبلها مقدرة. ﴿وَءَاخَرَ﴾: معطوف على ﴿عَمَلًا﴾. ﴿سَيِّئًا﴾: صفته. ﴿عَسَى﴾: فعل ماض جامد مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمه، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ في محل نصب خبر ﴿عَسَى﴾، ويجب تأويله باسم الفاعل؛ لأن المصدر لا يخبر به عن الجثة، وجملة: ﴿عَسَى ٱللَّهُ...﴾ إلخ، مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر المبتدأ (آخرون): واعتبار جملة: ﴿خَلَطُوا۟...﴾ إلخ حالاً، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليل للرجاء. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿خُذْ﴾: أمر للنبي ﷺ بأن يأخذ من أموال المذكورين في الآية السابقة صدقة، فأخذ ثلث أموالهم، وهذه الصدقة صدقة كفارة الذنب الذي صدر منهم؛ لأن الصدقة الواجبة، أي: الزكاة، لا يؤخذ فيها ثلث المال، ويؤخذ منه أن كل من أتى ذنباً يسن له بصدقة كفارة لذنبه، ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ أي: من الذنوب، ويحتمل أنه خطاب للرسول ﷺ، وأن الفاعل يعود إلى صدقة. ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾: تنمي بها حسناتهم، وترفعهم إلى منازل المخلصين. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: ادع لهم بالمغفرة، ولذا يسن في حق كل إمام يأخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق بالبركة، فيقول: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت، كما يسن في حق كل من تُصُدِّق عليه، أن يدعو للمتصدق بالبركة والمغفرة ونحو ذلك. ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾: وقرئ (صلواتك). ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: تسكن بها نفوسهم، وتطمئن بها قلوبهم. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالهم واعترافهم. ﴿عَلِيمٌ﴾: بندامتهم ونياتهم. بعد هذا انظر شرح (المال) في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنفال)، وانظر شرح (الصلاة) ومعناها في الآية رقم [٥].

الإعراب: ﴿خُذْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿صَدَقَةً﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿صَدَقَةً﴾: مفعول به. ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾: مضارع والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء: مفعول به. والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿خُذْ﴾ المستتر، وعلى اعتبار الفاعل عائداً على ﴿صَدَقَةً﴾، فالجملة الفعلية صفة لها، وحذف الرابط لدلالة ما بعده عليه، وجملة: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿خُذْ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وهذا على اعتبار جملة: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ صفة: ﴿صَدَقَةً﴾ وأما على اعتبارها حالاً من فاعل ﴿خُذْ﴾ المستتر، فهي معطوفة عليها، هذا؛ وقيل بعطفها عليها على الوجهين المعتبرين فيها، كما قيل باستئنافهما. (صَلِّ): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿خُذْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالاتباع. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿صَلَوٰتَكَ﴾: اسمها، والكاف: في محل جر بالإضافة. ﴿سَكَنٌ﴾: خبرها. ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿سَكَنٌ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ...﴾ إلخ أي: الذين تابوا وقبلت توبتهم، فيكون الاستفهام للتقرير والتبشير، أو الذين لم يتوبوا من المتخلفين عن غزوة تبوك، فيكون الاستفهام للتخصيص والترغيب في التوبة، وذلك أنه لما نزلت توبة التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين، هؤلاء كانوا بالأمس مثلنا، لا يكلمون، ولا يجالسون، فما بالهم اليوم، فأنزل الله الآية الكريمة ترغيباً لهم في التوبة، ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: هو مثل (من عباده) لأن معنى (عن) و(من) متقاربان، هذا؛ و﴿عِبَادِهِۦ﴾ جمع عبد، هو الإنسان من بني آدم، حراً كان أو رقيقاً، ويقال: للمملوك، قن، وله جموع كثيرة، وأشهرها عبيد وعباد، والإضافة في الآية ونحوها إضافة تشريف، ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يتقبلها، ويثيب عليها، وإنما ذكر لفظ الأخذ، ترغيباً في بذل الصدقة، وإعطائها للفقراء، ولما كان سبحانه هو المثيب عليها أسند الأخذ إلى نفسه، وإن كان الفقير هو الآخذ لها، وفي ذلك أذكر أحاديث شريفة لتزداد إيماناً فوق إيمانك بهذا. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تَصَدَّقَ أحدُكُمْ بصَدَقَةٍ مِنْ كسْبِ حلالٍ طيِّبٍ ـ ولا يقبلُ الله إلا الطيِّبَ ـ إلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بيمينِهِ، وإن كانتْ تَمْرةً، فتَرْبو في كفِّ الرحمنِ، حتَّى تكونَ أعظمَ من الجبَلِ، كما يُرْبي أحدُكُمْ فلوهُ أو فصِيلَهُ**». متفق عليه، وروى الترمذي، عن أبي هريرة أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يقبلُ الصَّدَقَةَ، ويأخذُها بيمينِهِ، فيُرْبِيها لأحَدِكم، كما يُرْبي أحدُكُمْ مُهْرَهُ؛ حتى إنَّ اللقمةَ لَتَصيرُ مثلَ أُحُدٍ**». وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، و﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وروي: «**إنَّ الصَّدقةَ لَتقَعُ في كفِّ الرَّحمنِ، قبْلَ أَنْ تقعَ في كَفِّ السائِلِ، فَيُرْبِيها كما يُرْبِي أحدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ، والله يضاعفُ لِمَنْ يَشَاءُ**».

قال العلماء رحمهم الله تعالى في تأويل هذه الأحاديث: إن هذا كناية عن القبول والجزاء عليها، كما كنى سبحانه بنفسه الكريمة المقدسة، عن المريض تعطفاً عليه بقوله في الحديث القدسي: «**يابْنَ آدمَ مَرِضْتُ فلَمْ تعُدْني... إلخ**». الحديث، وخص اليمين والكف بالذكر؛ لأن كل قابل لشيء إنما يأخذه بكفه وبيمينه، أو يوضع له فيه، فخرج على ما يوفونه، والله عز وجل منزه عن الجارحة. ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: كثير قبول التوبة من عباده، أو الرجاع على عباده بالرحمة، وتوبة العبد رجوعه عن المعصية إلى الطاعة، وقرع باب ربه بالتوبة والإنابة، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: انظر (البسملة) في أول سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة مع سبك المصدر في الآية رقم [٧٨]. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ

﴿عِبَادِهِۦ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول الفعل يعلم، وجملة: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: خبره. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان. والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وإن اعتبرت ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب، فيكون ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. خبرين لـ (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مثله. وجملة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُلِ﴾: خطاب لسيد الخلق وحبيب الحق ﷺ، ﴿ٱعْمَلُواْ﴾: خطاب لجميع الناس. ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾: فإنه لا يخفى عليه سبحانه، سواء أكان خيراً، أم شراً؟ ففيه ترغيب عظيم للمطيعين، ووعيد عظيم للعاصين المذنبين، ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: وسيرى الرسول والمؤمنون أعمالكم: أما رؤية الرسول ﷺ، فبإطلاع الله إياه على سرهم وعلانيتهم، وأما رؤية المؤمنين فيما يرون من أعمالهم الظاهرة، فيتسبب عن هذا محبتهم للصالحين، وبغضهم للفاسدين المفسدين، وانظر إعلال (يرى) في الآية رقم [١٤٢] من سورة (الأعراف)، ﴿وَسَتُرَدُّونَ...﴾ إلخ، انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٩٤] ففيها الكفاية.

قال الرسول ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أحدَكُم يَعْمَلُ في صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لا بَابَ لَها، ولا كوةً؛ لَخَرَج ما غيَّبَهُ لِلنَّاسِ كائناً ما كانَ**». وكَوة بفتح الكاف، وجمعها كِواء، وبضم الكاف لغة، وجمعها كُوَى.

الإعراب: ﴿وَقُلِ﴾: (قل): أمر مبني على السكون، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱعْمَلُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَسَيَرَى﴾: الفاء: حرف تعليل. السين: حرف استقبال مفيد للتأكيد وتحقق الوقوع. (يرى): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَمَلَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف: في محل جر بالإضافة، وقد اكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه بصري، وجملة: ﴿فَسَيَرَى...﴾ إلخ تعليل للأمر، وهي داخلة في مقول القول، ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: معطوفان على لفظ الجلالة ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ...﴾ إلخ: انظر إعراب هذا الكلام، إفراداً وجملاً في الآية رقم [٩٤] وهو داخل في مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: وآخرون من المتخلفين عن غزوة تبوك مؤخرون وموقوف أمرهم لحكم الله تعالى فيهم، و﴿مُرْجَوْنَ﴾ من: أرجيته، أي: أخرته، ويقرأ بالهمزة مرجؤون من أرجأته، أي: أخرته أيضاً، وهذا كقراءتهم في الأحزاب: (ترجئ) بالهمز، وبدونه، وهما لغتان، يقال: أرجأته، وأرجيته كأعطيته، ويحتمل أن يكونا أصليين بنفسهما، وأن تكون الياء بدلاً من الهمزة؛ لأنه قد عهد تحقيقها إلى الياء كثيراً، كقرأت وقريت، وتوضأت وتوضيت. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وانظر ﴿أَرْجِهْ﴾ في الآية رقم [١١١] من سورة (الأعراف). ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: ﴿إِمَّا﴾ ها هنا للشك، والله سبحانه عالم بمصير الأشياء، ولكن المخاطبة للعباد على ما يعرفون، أي: ليكن أمرهم عندكم على الرجاء؛ لأنه ليس للعباد أكثر من هذا. انتهى. قرطبي. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: مر معنا كثير من هذا، وقرئ: (والله غفور رحيم) هذا؛ والآية نزلت في الثلاثة الذين يجيء ذكرهم في الآية رقم [١١٨].

قال بعض المفسرين: إن الله تبارك وتعالى قسم المتخلفين عن غزوة تبوك إلى ثلاثة أقسام:

أولهم: المنافقون، وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه.

والقسم الثاني: التائبون، وهم الذين سارعوا إلى التوبة، بعد ما اعترفوا بذنوبهم، وهم أبو لبابة وأصحابه، فقبل الله توبتهم.

والقسم الثالث: موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله فيهم، وهم المراد بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

والفرق بين القسم الثاني والثالث، أن القسم الثاني: سارعوا إلى التوبة والندم، فقبل الله توبتهم، والقسم الثالث: توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة، فأخر الله أمرهم، وهذه الآية نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا، وهم (كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع)، انتهى خازن بتصرف. ويلغز فيهم، فيقال: أول أسمائهم مكة، وآخر أسمائهم عكة.

(إما) الثانية عاطفة عند أكثرهم، وزعم يونس والفارسي وابن كيسان: أنها غير عاطفة كالأولى، ووافقهم ابن مالك لملازمتها غالباً الواو العاطفة، ونقل ابن عصفور الإجماع على أن الثانية غير عاطفة كالأولى.

ولـ «إما» خمسة معان: **أحدها**: الشك، نحو: «جاءني إمَّا زيدٌ وإما عمرٌو»، إذا لم تعلم الجائي منهما.

والثاني: الإبهام، وهو ما في الآية الكريمة.

والثالث: التخيير، نحو قوله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ والآية رقم [١١٥] من سورة (الأعراف).

والرابع: الإباحة، نحو: (تعلم إما فِقْهاً، وإما نحواً).

والخامس: التفصيل، نحو قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، انتهى. مغني اللبيب باختصار.

أقول: والتفصيل هو المعنى الذي لا يفارقها مع كل من المعاني المذكورة.

الإعراب: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾: (آخرون): معطوف على مثله في الآية رقم [١٠٢]. والتقدير: ومنهم آخرون، أو هو مبتدأ خبره ما يأتي. ﴿مُرْجَوْنَ﴾: صفته، وعلامة الرفع فيهما الواو نيابة عن الضمة؛ لأنهما جمعا مذكر سالمان، ﴿لِأَمْرِ﴾: متعلقان بـ ﴿مُرْجَوْنَ﴾، و(أمر) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِمَّا﴾: أداة شرط وتفصيل، وهي هنا مفيدة للإبهام. ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (آخرون) على اعتباره مبتدأ، أو خبر ثان على اعتبار ﴿مُرْجَوْنَ﴾ خبراً أول، أو هي في محل نصب حال. على اعتبار (آخرون) معطوفاً على سابقه. ﴿وَإِمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (إما): حرف عطف، أو هي معطوفة على ما قبلها على نحو ما رأيت، وجملة: ﴿يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. فعلى الأول: التقدير: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾، إما العذاب، وإما التوبة، وعلى الثاني: وممن حولكم ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ إما معذبين، وإما متوباً عليهم، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مستأنفة، فيها وعد للمحسنين، ووعيد للمسيئين.

تنبيه: الإعراب المتقدم هو الظاهر، وهو منقول عن السمين، وأرى أن الفعل: ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾ مبتدأ خبره محذوف، ومثله ما بعده، التقدير: إما العذاب واقع بهم، وإما التوبة حاصلة لهم، والجملة الاسمية الأولى، يقال فيها ما تقدم ذكره، والثانية معطوفة عليها، والذي حملني على هذا؛ وقوع الاسم بعد ﴿إِمَّا﴾ غالباً، إما صراحة كقول تأبط شراً: [الطويل]

هُمَا خُطَّتَا إمَّا إسَارٌ ومِنَّةٌ وإمَّا دَمٌ والْقَتْلُ بالحُرّ أجدرُ

أو تأويلاً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، وكما في الآية رقم [١١٥] من سورة (الأعراف)، وغيرهما كثير، وبقي أن تعلم: أن المضارع ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾ حل محل المصدر لأنه على تقدير أن قبله، على حد قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ إلخ والمثل العربي: (تَسْمَعُ بالْمُعيديِّ خيرٌ مِنْ أَنْ تراهُ)، خذ هذا وافهمه فإنه جيد، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: قال أهل التفسير: إن بني عمرو بن عوف بنوا مسجد قباء، وبعثوا للنبي ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسدهم إخوانهم بنو غنم بن عوف، فقالوا: نبني مسجداً، ونبعث إلى النبي ﷺ، يأتينا، فيصلي لنا كما صلى في مسجد إخواننا، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، فأتوا النبي ﷺ، وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله! قد بنينا مسجداً لذي الحاجة، والعلة، والليلة المطيرة، ونحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة، فقال ﷺ: «**إنيَّ على سَفَرٍ، وحالِ شُغْلٍ، فَلَوْ قَدِمْنَا لأَتيْناكُمْ وصلَّيْنا لَكُمْ فِيهِ**». فلما رجع عليه الصلاة والسلام من تبوك، أتوه، وقد فرغوا منه، وصلوا فيه الجمعة والسبت، والأحد، فدعا بقميصه ليلبسه، ويأتيهم، فنزلت الآية الكريمة، وما بعدها، فدعا النبي ﷺ مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشياً قاتل حمزة، فقال: «**انْطَلِقُوا إلى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أهْلُهُ، فَاهْدِمُوهُ وأحْرِقوه**». فخرجوا مسرعين، فأحرقوا المسجد وهدموه، واتخذ مكانه كناسة، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً من رؤساء المنافقين، قال عكرمة رحمه الله: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً منهم بماذا أعنت في هذا المسجد؟ فقال: أعنت فيه بسارية، فقال: أبشر بها، سارية في عنقك من نار جهنم.

بعد هذا انظر شرح (مسجداً) في الآية رقم [٢٩] من سورة (الأعراف). ﴿ضِرَارًا﴾ أي: للمؤمنين، روى الدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ضَرَرَ، ولا ضِرارَ، مَنْ ضَارَّ ضرَّ اللهُ بِهِ، ومَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ**».

قال بعض العلماء: الضرر الذي لك به منفعة، وعلى جارك فيه مضرة، والضرار الذي ليس لك فيه منفعة، وعلى جارك فيه المضرة، وقيل: هما بمعنى واحد، تكلم بهما جميعاً على جهة التأكيد، هذا؛ وقد قال العلماء: وكل مسجد بني على ضرار، أو رياء، أو سمعة، فهو في حكم مسجد الضرار، لا تجوز الصلاة فيه.

﴿وَكُفْرًا﴾ أي: بالله ورسوله، أو بنوه تقوية للكفر، ومكيدة للإسلام والمسلمين، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بين جماعة المؤمنين في مسجد واحد، وهذا دليل على أن الحكمة من صلاة الجماعة تأليف القلوب، وجمع الكلمة على الطاعة، وتوحيد الصفوف أمام المصاعب التي تنوب المسلمين، ولكن أكثر المسلمين لا يفقهون هذا. ﴿وَإِرْصَادًا﴾: ترقباً، وانتظاراً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل بناء مسجد الضرار، والمراد به أبو عامر الراهب، سمي

بذلك لأنه كان قد تنصر قبل الإسلام، وترهب، ولبس المسوح، فلما قدم الرسول ﷺ المدينة، قال له أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئتِ به، فقال: «**جئْتُ بالحنيفِيَّة السمحةِ دينِ إبراهيم**». قال أبو عامر: أنا عليها، فقال له النبي ﷺ: «**إنك لسْتَ عليْهَا**». قال: بلى ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «**ما فعلت، ولكِنْ جئْتُ بها بيضاء نقيَّةً**». فقال: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً، فقال النبي ﷺ: «**آمين**». وسماه أبا عامر الفاسق، فلما كان يوم أحد؛ قال للنبي ﷺ، لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل وكذلك إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الروم يستنصر بهم، وأرسل إلى المنافقين في المدينة، أن أعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر، فآتٍ بجند من الروم لأخرج محمداً من المدينة. فبنوا مسجد الضرار، إلى جانب مسجد قباء، ومات الخبيث بقنسرين كافراً، وأبو عامر هذا هو والد حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه، فنعم الولد، وبئس الأب!

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: يحلف المنافقون بالله ما أردنا إلا الخصلة الحسنى، وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين، وانظر الآية رقم [٥٢] والمحال عليها.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: في إيمانهم وقولهم: ما أردنا إلا الحسنى، ويعلم خبثهم، وما انْطَوَوْا عليه من شر وفساد، وسوء أعمال.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع معطوف على ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ في الآية السابقة، التقدير: ومنهم الذين... إلخ، فهو عطف جملة اسمية على مثلها، هذا؛ ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف، التقدير: يعذبون ونحوه، هذا؛ ويقرأ بدون واو، فهو مبتدأ، ويكون خبره جملة: ﴿لَا تَقُمْ﴾ وقال النحاس: يكون خبره ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ...﴾ إلخ، وقال أبو البقاء: الخبر ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ...﴾ إلخ، وفيه بعد شديد، هذا؛ وقال الزمخشري: منصوب على الاختصاص بفعل محذوف، أي: فيكون على الذم، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ضِرَارًا﴾: مفعول لأجله، وقيل: مفعول ثان للفعل قبله، وقيل: حال، وقيل: مفعول مطلق لفعل محذوف، ومتعلقه محذوف، التقدير: ضراراً لإخوانهم. ﴿وَكُفْرًا﴾: معطوف عليه على جميع الوجوه المعتبرة فيه، ومتعلقه محذوف، التقدير: كفراً بالله وبرسوله. ﴿وَتَفْرِيقًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، أو بمحذوف صفة، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَإِرْصَادًا﴾: معطوف على ما قبله على جميع الوجوه المعتبرة فيهن. ﴿لِّمَنْ﴾: متعلقان بالمصدر قبلهما، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، وجملة: ﴿حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: صلة (من)، أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع الفاعل إليها.

﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل ﴿حَارَبَ﴾. و﴿قَبْلُ﴾: مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، أي: من قبل بناء مسجد الضرار. ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: لام الابتداء، مفيدة للتوكيد. (يحلفن): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿أَرَدْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ...﴾ إلخ: جواب (يَحْلِفُنَّ) لا محل لها من الإعراب. والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٤٢]، وما ذكرته من التعليق، وكسر همزة (إنَّ) فيها.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَا تَقُمْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ. فيه: في مسجد الضرار المذكور في الآية السابقة، والمعنى: لا تصل فيه. ﴿أَبَدًا﴾: انظر الآية رقم [٢٢]، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾: المراد به مسجد قباء، أسسه النبي ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة؛ لأنه الأوفق لما ذكر في الآية السابقة، أو هو مسجد الرسول ﷺ في المدينة، لقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عنه، فقال: «**هو مَسْجِدُكُمْ هَذا مَسْجِدُ الْمَدِينةِ**». ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أي: من أيام وجوده وبنائه، هذا؛ وقيل: (من) هنا بمعنى (منذ) على حد قول زهير بن أبي سلمى: [الكامل]

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحِجْرِ ... أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ، ومِنْ دَهْرِ

أي: منذ حجج، ومنذ دهر، وقد دعا إلى هذا أن من أصول النحويين أن ﴿مِنْ﴾ لا يجر بها الأزمان، وإنما تجر الأزمان بمنذ، وانظر شرح ﴿أَوَّلِ﴾ في الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأعراف)، ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: أولى وأجدر بأن تقوم فيه للصلاة، والضمير يعود إلى المسجد المذكور، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ أي: من المعاصي والخصال المذمومة، طلباً لمرضاة الله تعالى، وقيل: من الجنابة، فلا ينامون عليها، والضمير يعود إلى مسجد قباء، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾: يرضى عنهم، ويدنيهم من جنابه تعالى، إدناء المحب حبيبه.

قيل: لما نزلت الآية الكريمة مشى رسول الله ﷺ، ومعه المهاجرون، حتى وقف على باب مسجد قباء، فإذا الأنصار جلوس، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أمؤمنون أنتم؟**». فسكتوا، فأعادها، فقال عمر رضي الله عنه: إنهم مؤمنون، وأنا معهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أَتَرْضَوْنَ بالْقَضاءِ؟**». قالوا: نعم، قال: «**أتصبرونَ على الْبَلَاءِ؟**». قالوا: نعم، قال: «**أتشكرونَ في

الرَّخَاءِ؟». قالوا: نعم، قال: «**مُؤمِنونَ ورَبِّ الكعبةِ**». فجلس، ثم قال: «**يا معشرَ الأنصارِ، إن الله عز وجل قد أثنى عليكُمْ، فما الذي تصنعون عند الوضوء، وعند الغائط؟**». فقالوا: يا رسول الله! نتبع الغائط الأحجار الثلاثة، ثم نتبع الأحجار الماء، فتلا عليهم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾.

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ حتَّى يَأْتِيَ هَذَا المسجدَ، مَسْجِدَ قُبَاءَ، فيُصَلِّي، كانَ لَهُ كعِدْلِ عُمْرَةٍ**». أخرجه النسائي، وعن أسد بن ظهير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**الصلاةُ في مسْجِدِ قباءَ كعُمْرةٍ**». أخرجه الترمذي.

الإعراب: ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَقُمْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر، تقديره «أنت»، ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله أيضاً والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ (الذين): على وجه مر ذكره، أو هي مستأنفة لا محل لها ﴿لَّمَسْجِدٌ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، مسجد: مبتدأ. ﴿أُسِّسَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى مسجد، والجملة الفعلية في محل رفع صفة (مسجد)، ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿مِنْ أَوَّلِ﴾: متعلقان به أيضاً، و﴿أَوَّلِ﴾: مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَحَقُّ﴾: خبر المبتدأ، والمصدر المؤول من ﴿أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿أَحَقُّ﴾، التقدير: أحق بالقيام فيه، والجملة الاسمية: ﴿لَّمَسْجِدٌ...﴾ إلخ ابتدائية، أو هي جواب للقسم المحذوف، ولا محل لها على الاعتبارين، ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رِجَالٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿يُحِبُّونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَتَطَهَّرُواْ...﴾ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿يُحِبُّونَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة: ﴿رِجَالٌ﴾. والجملة الاسمية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجوز اعتبارها صفة ثانية لـ: (مسجد)، واعتبارها حالاً من الهاء في ﴿فِيهِ﴾ والأول أقوى. ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ، وجملة: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَنْ﴾: في مثل هذا كلام كثير ذكرته عند ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٦٥] من سورة (الأعراف)، ﴿أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾: يقرأ الفعل بالبناء للفاعل، وبالبناء للمجهول، ورفع بنيانه، وقرئ (أَسَسُ، وأَسَاسُ، وأُسُّ، وآساسُ) كلها بالرفع، وخفض ما بعده على الإضافة. ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾: على طاعة الله، والخوف منه، ومن عقابه، ويقرأ ﴿تَقْوَىٰ﴾ بالتنوين وعدمه، وانظر

الآية رقم [١] من سورة (الأنفال)، ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ أي: وابتغاء رضوانه تعالى. ﴿خَيْرٌ﴾: انظر الآية رقم [١٢] من سورة (الأعراف)، ﴿عَلَىٰ شَفَا﴾: طرف وحرف، أصله شفو بدليل تثنيته: شفوان، فيقال في إعلاله: تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، ﴿جُرُفٍ﴾: بضم الجيم مع ضم الراء وتسكينها، انظر ما ذكرته في ﴿رُسُلٌ﴾ في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأعراف)، وال ﴿جُرُفٍ﴾ ما ينجرف بالسيول من الأودية، وهو جوانبه التي تنحفر بالماء. ﴿هَارٍ﴾: ساقط متداع منهار، وفي أصله وإعلاله ثلاثة أقوال:

أحدها وهو المشهور: أنه مقلوب بتقديم لامه على عينه، وذلك: أن أصله: هاور، أو هاير، فقدمت اللام، وهي الراء على العين، وهي الواو أو الياء، فصار كغازٍ ورامٍ، فأُعِلَّ إعلال الاسم المنقوص.

القول الثاني: أن عينه حذفت اعتباطاً، أي: لغير موجب؛ وعليه فتجري وجوه الإعراب على لامه، فيقال: هذا هَارٌ، ورأيت هَاراً، ومررْتُ بهَارٍ.

القول الثالث: أنه لا قلب فيه، ولا حذف، وأن أصله هَوِر، أو هيِر بوزن كتف، فتحرك حرف العلة، وانفتح ما قبله، فقلب ألفاً، وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله، وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف، اللذين هما على خلاف الأصل. انتهى. جمل نقلاً عن السمين بتصرف كبير مني.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: فسقط الجرف بمعنى أوقع الجرف البنيان في نار جهنم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: انظر معنى هذه الجملة، وما يتعلق بها في الآية رقم [٢٤] وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٠] تجد ما يسرك.

تنبيه: هذه الآية ضرب مثل لهم، أي: من أسس بنيانه، أي: دينه وطاعته وتقواه على الإسلام خير أم من أسس بنيانه على الشرك والنفاق، وبين أن بناء الكافر والمنافق كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها. انتهى.

تنبيه: في الآية الكريمة دليل على أن كل شيء ابتدئ بنية تقوى الله تعالى، والقصد لوجهه الكريم، فهو الذي يبقى، ويسعد به صاحبه، ويصعد إلى الله، ويقبله، ويرفع صاحبه درجات في عليين. انتهى.

تنبيه: لقد اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ هل هو حقيقة أو مجاز على قولين:

الأول: أن ذلك حقيقة، وأن النبي ﷺ حين أرسل إلى مسجد الضرار، فهدم، رؤي الدخان يخرج منه، وقال بعضهم: كان الرجل يدخل فيه سعفة من سعف النخل، فيخرجها سوداء

محترقة، وذكر أنه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار، فيخرج منه دخان، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: جهنم في الأرض، ثم تلا: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، وقال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ.

أقول: وفي الآية دليل على وجود جهنم في الدنيا، انتهى.

والثاني أن ذلك مجاز، والمعنى: صار البناء في نار جهنم، فكأنه انهار إليه، وهوى فيه، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ والظاهر الأول؛ إذ لا إحالة في ذلك، والله أعلم. انتهى. قرطبي بتصرف كبير مني.

أقول: وعلى القول الثاني، فالكلام جار على الاستعارة المكنية، شبهت التقوى والرضوان بما يعتمد عليه البناء تشبيهاً مضمراً في النفس، وأسس بنيانه تخييل، فهو مستعمل في معناه الحقيقي، أو هو استعارة تمثيلية لحال من أخلص لله وعمل الأعمال الصالحة بحال من بنى شيئاً محكماً مؤسساً يستوطنه، ويتحصن فيه، وقيل: غير ذلك.

الإعراب: ﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة: حرف استفهام تقريري. الفاء: حرف استئناف، أو هي حرف عطف على محذوف، كما رأيت في الآية رقم [٦٥] (الأعراف). (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾: ماض، وفاعله مستتر ومفعوله، أو هو ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. وإن اعتبرت (من) نكرة موصوفة فهي صفتها، وعلى القراءات الأخر. فـ (أُسُّ...) إلخ. مبتدأ، وهو مضاف، و﴿بُنْيَٰنَهُۥ﴾: مضاف إليه، والهاء: في محل جر بالإضافة، ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَسَّسَ﴾، على اعتبارها فعلاً، ومتعلقان بمحذوف خبره على القراءات الأخر، وعليه فالجملة الاسمية صلة (مَنْ) أو صفتها، وعلى جميع الاعتبارات فالعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة. ﴿تَقْوَىٰ﴾. أو هما متعلقان به. وهو أولى. ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾: معطوف على ﴿تَقْوَىٰ﴾، ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ (مَنْ) والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي معطوفة على محذوف، لا محل لها على الوجهين. ﴿أَم﴾: حرف عطف. ﴿أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾: فهذه الجملة مثل سابقتها على جميع الاعتبارات التابعة للقراءات. ﴿عَلَىٰ شَفَا﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَسَّسَ﴾. أو هما متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، على القراءات الأخر، والجملة الفعلية أو الاسمية صلة ﴿مَّنْ﴾ أو صفتها، والرابط أو العائد الضمير المجرور محلاً بالإضافة، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) محذوف. تقديره: خير. والجملة الاسمية معطوفة على سابقتها لا محل لها مثلها، و﴿شَفَا﴾: مضاف، و﴿جُرُفٍ﴾: مضاف إليه. ﴿هَارٍ﴾: صفة: ﴿جُرُفٍ﴾. وانظر ما ذكرته في الشرح. ﴿فَٱنْهَارَ﴾: الفاء: حرف عطف. (انهار): ماض، وفاعله ضمير يعود إلى ﴿جُرُفٍ﴾. أو إلى «البنيان». أو إلى «الأساس» اعتبارات. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان

بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، والهاء تعود إلى (مَنْ) الباني، أو إلى «البنيان»، أو إلى «الأساس» اعتبارات أيضاً. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها على الاعتبارين، ﴿فِي نَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿نَارِ﴾: مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [١٩].

﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾

الشرح: ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمۡ﴾: والمعنى: أن ذلك المسجد الذي بناه المنافقون ـ وهو مسجد الضرار ـ صار سبباً لحصول الشك والريبة في قلوب المنافقين؛ لأنهم فرحوا ببنائه يوم بنوْه، فلما أمر رسول الله بهدمه شق ذلك عليهم، وازدادوا غماً وحزناً، وبغضاً له ﷺ، وقيل: إنهم كانوا يظنون أنهم محسنون في بنائه، كما حبب العجل إلى بني إسرائيل، فلما أمر عليه الصلاة والسلام بهدمه وتحريقه بقوا شاكين، وقيل: معنى ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ شكاً ونفاقاً، وقيل: معناه: حسرة وندامة، وقيل: معناه: حزازة وغيظاً، ﴿إِلَّآ﴾: وقرئ: (إلى) ﴿تَقَطَّعَ﴾: قرئ بالبناء للمعلوم والمجهول، مع تشديد الطاء وتخفيفها، كما قرئ: (نقطع): بالتشديد والتخفيف أيضاً، وقرئ: (يقطع) بالتشديد والتخفيف أيضاً، و(تَقَطَّعَ) بالبناء للمعلوم محذوف منه إحدى التاءين على حد قوله تعالى: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ وقد اختلف في تقطيع قلوبهم.

فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: تنصدع قلوبهم فيموتوا، وقاله قتادة، والضحاك، ومجاهد أيضاً، وقال سفيان: إلا أن يتوبوا، وقال عكرمة: إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم، والمعنى إن هذه الريبة باقية في قلوبهم إلى أن يموتوا، وتتقطع قلوبهم في قبورهم قِطَعاً قِطَعاً، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم وأعمالهم، وأعمال جميع عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما حكم به عليهم.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَزَالُ﴾: مضارع ناقص. ﴿بُنۡيَٰنُهُمُ﴾: اسمه، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: ﴿بُنۡيَٰنُهُمُ﴾. ﴿بَنَوۡاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: (بنوه)، ﴿رِيبَةً﴾: خبر ﴿لَا يَزَالُ﴾. ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رِيبَةً﴾. ﴿إِلَّآ﴾: حرف استثناء، والمصدر المؤول من ﴿أَن تَقَطَّعَ﴾ في محل نصب على الاستثناء من عموم الأزمنة، والتقدير: لا يزال بنيانهم الذي بنوه ريبة في وقت من الأوقات، إلا وقت تقطيع

قلوبهم، أو من عموم الأحوال، أي: في كل حال إلا حال تقطيعها، وينبغي أن تعلم أن الفاعل تقديره: أنت، أو نحن، أو هو، وأن ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ نائب فاعل، أو هو مفعول به وذلك على حسب القراءات التي رأيتها، وجملة: ﴿لَا يَزَالُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وقد رأيت فيما سبق اعتبارها خبراً في بعض الحالات، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾

الشرح: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ: هذا تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بدل أنفسهم وأموالهم في سبيله على طريقة الاستعارة التبعية، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين، وأموالهم، وجعل الثمن، الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة، ﴿الْجَنَّةَ﴾: انظر الآية رقم [٧٣]، ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هذا بيان لتلك المبايعة، ولذلك الشراء. ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾: أعداء الله. ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾: في سبيل الله، ولإعلاء كلمته، ويقرأ الفعلان عكساً، والمعنى لا يتغير. ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ أي: تفضلاً منه تعالى وليس بواجب عليه، وإن أوهم اللفظ ذلك. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى بوعده منه تعالى؛ لأن إخلاف الوعد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا، فكيف بأكرم الأكرمين، ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ. انتهى. نسفي. وانظر الوعد في الآية رقم [٤٤] من سورة (الأعراف)، والعهد في الآية رقم [١٠٢]، منها. ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ...﴾ إلخ: أي: افرحوا بذلك البيع، وأظهروا السرور به حتى يظهر على بشرة وجوهكم ذلك. ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: البيع. ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: لأنه رابح، ولا فوز أعظم منه، وقد حقق لكم أعظم المطالب.

﴿وَالْإِنجِيلِ﴾: هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، يذكر ويؤنث فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب، وهو مشتق من النجل، وهو الأصل، كأنه أصل الدين، يرجع إليه، ويؤتم به، والتوراة مشتقة من ورى الزند، وهو ما يخرج منه من الضياء من ناره، فكأنها ضياء، يستضاء بها في الدين، والقرآن مشتق من قريت الماء في الحوض، إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم، والمواعظ، والآداب، والقصص، والفروض، وجميع الأحكام، وكملت فيه جميع الفوائد الهادية إلى طرق الرشاد مكي، هذا؛ وهو في اللغة

مصدر بمعنى الجمع، يقال: قرأت الشيء، قرآناً، أي: جمعته، وبمعنى القراءة يقال: قرأت الكتاب قراءةً وقرآناً، ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول ﷺ، المنقول عنه بالتواتر فيما بين الدفتين، وهو المراد هنا.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في البيعة الثانية، وهي بيعة العقبة الكبرى، والتي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، وكان أصغرهم سناً عقبة بن عمرو، وذلك حين اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ عند العقبة، فقال عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي ﷺ: «**أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَشْتَرِطُ لنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمنعون مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وأَمْوالَكُمْ**». قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «**الجَنَّةُ**». قالوا: ربح البيعُ، لا نَقيلُ ولَا نَسْتَقِيلُ، فنزلت الآية، ثم هي بعد ذلك عامة في كل مجاهد في سبيل الله من أمة سيد الخلق، وحبيب الحق، ﷺ، إلى يوم القيامة، وما اشترطه الرسول ﷺ لنفسه إنما هو من باب التعليم، كيف لا؟ وهو يعلم أنه ممنوع من الكفار، وهو منصور، ودينه يعلو على جميع الأديان.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾: مفعول به. ﴿وَأَمۡوَٰلَهُم﴾: معطوف على ما قبله. والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جر. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أن) مقدم. ﴿ٱلۡجَنَّةَۚ﴾: اسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، التقدير: باستحقاقهم الجنة. والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾، وجملة: ﴿ٱشۡتَرَىٰ...﴾ إلخ: في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها، ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان به، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و ﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾: إعرابهما مثل سابقهما، والواو؛ فاعل أحدهما، ونائب فاعل الآخر، وحذف مفعول المبني للمعلوم للعلم به مثل السابق، والجملتان معطوفتان على ما قبلهما لا محل لهما مثلها. ﴿وَعۡدًا﴾: مفعول مطلق، لفعل محذوف. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بـ ﴿وَعۡدًا﴾. أو بمحذوف صفة له. ﴿حَقّٗا﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف مثل سابقه. فهما مؤكدان لمعنى الكلام السابق، وتقدير الكلام: وعدهم الله ذلك وعداً، وحق ذلك ﴿حَقّٗا﴾، وقال أبو البقاء: ﴿حَقّٗا﴾ صفة: ﴿وَعۡدًا﴾، والأول أقوى وآكد، والكلام كله مستأنف لا محل له، ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾. وعلى هذا فتكون كل أمة قد أمرت بالجهاد،

ووعدت عليه الجنة، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿وَعْدًا﴾ أي: مذكوراً وكائناً في التوراة، وعليه يكون الوعد بالجنة لهذه الأمة مذكوراً في جميع كتب الله المنزلة، انتهى. جمل نقلاً عن السمين بتصرف مني. ﴿وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾: معطوفان على ﴿ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾. ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم استفهام معناه النفي، كما رأيت في الشرح، فهو مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَوْفَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ ﴿أَوْفَىٰ﴾. الفاء: هي الفصيحة، انظر الآية رقم [٢٨]. (استبشروا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿بِبَيْعِكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف: في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: (بيعكم)، وجملة: ﴿بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ صلة الموصول، والعائد: الضمير المجرور بالباء. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٠] مع فارق بسيط، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: من ذنوبهم صغائر كانت أم كبائر، وانظر شروط التوبة في الآية رقم [١٠٢]. ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾: الذين عبدوا الله مخلصين له الدين، هذا؛ والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى. ولذا يحرم السجود لغير الله تعالى، وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود. ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾: لنعماء الله، أو لما نابهم من السراء والضراء، هذا؛ والحمد في اللغة: الثناء بالكلام على الجميل الاختياري، على وجه التبجيل والتعظيم، سواء أكان في مقابله نعمة أم لا؟ فالأول: كمن يحسن إليك، والثاني: كمن يجيد صلاته، وهو في اصطلاح علماء التوحيد: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم، من حيث كونه منعماً على الحامد، أو غيره، سواء أكان ذلك قولاً باللسان، أو اعتقاداً بالجنان، أو عملاً بالأركان، التي هي الأعضاء، كما قال القائل: [الطويل]

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً ... يَدِي ولِسَانِي، والضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

ومما هو جدير بالذكر أن معنى الشكر في اللغة هو معنى الحمد في الاصطلاح، وأما معنى الشكر في الاصطلاح فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون، أي: الذين يديمون الصيام في جميع الشهور والفصول.

روى الطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سِيَاحَةُ أُمَّتي الصِّيَامُ**». شبه الصيام بالسياحة من حيث إنه يعوق عن الشهوات، أو لأنه رياضة نفسانية، يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت، أو ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ للجهاد، أو لطلب العلم. ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ﴾ أي: يديمونها في صلاة الفرض والنوافل على اختلاف أنواعها ومراتبها. ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بفعل الخير من إيمان بالله وامتثال أوامره. ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: من كفر بالله، ومخالفة أوامره، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧١]، ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ أي: القائمون بأداء جميع ما أمر الله به، المنتهون والمبتعدون عن كل ما نهى الله عنه، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: القائمين بما ذكر، أو الموصوفين بتلك الصفات العظيمة، ووضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك، وحذف المبشر به للتعظيم، فكأنه قال: وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام، وتعبير الكلام. انتهى. بيضاوي.

تنبيه: اختلف أهل التأويل في هذه الآية، هل هي متصلة بما قبلها، أو منفصلة عنها، فقال الفراء: استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الأولى، وانقطاع الكلام، وقال الزجاج: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ رفع بالابتداء وخبره مضمر، والمعنى: التائبون إلى الله العابدون... إلخ لهم الجنة أيضاً، وإن لم يجاهدوا، غير معاندين، ولا قاصدين بترك الجهاد، وهذا؛ وجه حسن، فكأنه وعد بالجنة جميع المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٥] من سورة (النساء)، ومن جعله تابعاً للأول كان الوعد بالجنة خاصاً بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات، فيكون رفع ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ على المدح، يعني المؤمنين المذكورين في قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ...﴾ إلخ، انتهى. خازن.

أقول: ويؤيد هذا قراءة (التائبين، العابدين...) إلخ بالياء نصباً على المدح بفعل محذوف، أو جراً صفة للمؤمنين.

تنبيه: واختلف العلماء في الواو في قوله ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، فقيل: دخلت في صفة الناهين، كما دخلت في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾. فذكر بعضها بالواو، والبعض بدونها، وهذا سائغ معتاد في الكلام، ولا يطلب لمثله حكمة ولا علة، وقيل: دخلت لمصاحبة الناهي عن المنكر الآمر بالمعروف، فلا يكاد يذكر واحداً منهما مفرداً، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾، من سورة التحريم، ودخلت في ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ﴾، لقربه من المعطوف، وقد قيل: إنها زائدة، وهذا ضعيف لا معنى له، وقيل: هي واو الثمانية؛ لأن السبعة عند العرب عدد كامل صحيح، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٠] وكذلك قالوا في آية التحريم، وآية الزمر: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾، وفي آية الكهف: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ

﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وقد ذكرها ابن خالويه في مناظرته لأبي علي الفارسي في معنى قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وأنكرها أبو علي. انتهى. قرطبي بتصرف بسيط.

أقول: وممن أشبع الكلام في هذه الواو ابن هشام ـ طيب الله ثراه ـ في مغنيه، وسأنقل لك كلامه عند شرح وإعراب آية الكهف إن شاء السميع العليم، العلي القدير، رقم [٢٢].

خاتمة: قال الجمل: حاصل ما ذكر أوصاف تسعة، الستة الأولى تتعلق بمعاملة الخالق، والسابع والثامن يتعلقان بمعاملة المخلوق، والتاسع يعم القبيلين، انتهى. وانظر (بشر) في الآية رقم [٣].

الإعراب: ﴿التَّائِبُونَ...﴾ إلخ: هذه الأسماء أخبار متعددة لمبتدأ محذوف، التقدير: هم التائبون، وهذا عند من يرى: أن الآية متعلقة بما قبلها، ومرتبطة بها تمام الارتباط، أو هي مبتدآت متعددة، والخبر محذوف، التقدير: ﴿التَّائِبُونَ...﴾ إلخ، من أهل الجنة، وهذا عند من يرى أن هذه الآية منقطعة عما قبلها، وليست شرطاً في المجاهد، هذا؛ وجوز اعتبار ﴿الْآمِرُونَ﴾ خبراً لما ذكر، وهو ضعيف، كما نقل عن السمين اعتبار ﴿التَّائِبُونَ...﴾ إلخ بدلاً من الواو في ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ وهو ضعيف أيضاً، كما نقل عنه أيضاً اعتبار ﴿التَّائِبُونَ﴾ مبتدأ، والعابدون خبراً عنه، وما بعده أوصاف له، وهو ضعيف أيضاً، هذا؛ ولا يجوز اعتبار ما بعد ﴿التَّائِبُونَ﴾ أوصافاً له؛ لأنه هو نفسه صفة، والصفة لا توصف، وانظر ما ذكرته في الشرح عن القراءة بالياء، ولا تنسَ أن في كل واحد من هذه الأسماء ضميراً مستتراً، هو فاعله، ﴿وَالنَّاهُونَ﴾: معطوف على ﴿التَّائِبُونَ﴾ عطف مفرد على مفرد، أو هو عطف جملة على جملة، إن قدرت له مبتدأ، أو خبراً محذوفين. ﴿عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: متعلقان بـ (الناهون). ﴿وَالْحَافِظُونَ﴾: معطوف على ما قبله على جميع الاعتبارات. ﴿لِحُدُودِ﴾: متعلقان بـ (الحافظون)، و(حدود) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: مستأنفة لا محل لها.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)﴾

الشرح: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ أي: لا يصح، ولا ينبغي ولا يجوز، وقال أهل المعاني: ﴿مَا كَانَ﴾: في القرآن يأتي على وجهين: على النفي، نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ والآخر على النهي كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ...﴾ إلخ. انتهى. قرطبي. ﴿لِلنَّبِيِّ﴾: انظر الآية رقم [٧٣]، ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الذين ماتوا على الشرك،

وانظر (استغفروا) في الآية رقم [٨٠]، ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾: أصحاب قرابات، آباء، أو أمهات... إلخ، وانظر شرح ﴿أُو۟لِى﴾ في الآية رقم [٧٥]، من سورة (الأنفال)، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾: ظهر لهم واتضح، وانظر الآية رقم [٤٣]، ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: النار الشديدة.

روى مسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله: «**يا عمِّ، قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ كلمةٌ أَشهدُ لكَ بها عنْدَ اللهِ**». فقال أبو جهل وعبد الله بن المغيرة: أترغب يا أبا طالب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول العظيم يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال لهم أبو طالب آخر ما كلمهم به: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال ﷺ: «**أَمَا واللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**». فأنزل الله الآية الكريمة، وأنزل في شدة حرصه ﷺ على إسلام أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

هذا؛ وقد استبعد بعضهم نزول هذه الآية في شأن أبي طالب، وذلك لأن وفاته كانت في مكة أول الإسلام، وهذه السورة آخر ما نزل من القرآن في المدينة المنورة، وأجيب بأنه لما نزلت الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى...﴾ إلخ في مكة، وفي حياة أبي طالب، فقال عليه الصلاة والسلام ما تقدم في الحديث، فيحتمل أنه ﷺ كان يستغفر له في بعض الأوقات إلى أن نزلت هذه الآية، فمنع من الاستغفار، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. انتهى. خازن بتصرف كبير.

وهناك أحاديث كثيرة تبين أن أبا طالب خالد في النار، ولكن يخفف عنه العذاب بسبب ما صنع مع رسول الله ﷺ من ذبٍّ عنه، وحمايةٍ له، فخذ هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام، وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «**لَعَلَّهُ تنفعُهُ شفاعَتِي يومَ الْقِيامةِ، فيُجْعَلَ في ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، تَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِماغِهِ**»، **وفي رواية** «**يَغْلِي مِنْهُ دمَاغُهُ مِنْ حرارةِ نَعْلَيْهِ**». متفق عليه.

تنبيه: وقيل: لما فتح الرسول ﷺ مكة المكرمة، خرج إلى الأبواء، فزار قبر أمه، ثم قام مستعبراً، فقال: «**إِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي، في زِيارةِ قَبْرِ أُمِّي، فأَذِنَ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ في الاسْتِغْفارِ لها، فَلَمْ يأذنْ لِي، وأنزلَ عليَّ الآيتينِ**». رواه أبو هريرة وغيره مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وقال قتادة: قال النبي ﷺ: «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لِأَبِي، كَمَا اسْتَغْفَرَ إبْراهِيمُ لأَبِيهِ**». فأنزل الله الآية، وروى الطبراني بسنده عنه، قال: ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله! إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الأرحام، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**بَلَى واللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لأَبِي، كَمَا اسْتَغْفَرَ إبْراهِيمُ لأَبِيهِ**». فأنزل الله عز وجل الآية.

بعد ذلك أقول: إن المعتمد أن أبويه ﷺ، قد ماتا قبل البعثة، وهما من أهل الفترة، وهما داخلان تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، فهما ناجيان إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِلنَّبِيِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل جر معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَسْتَغْفِرُوا۟﴾: في محل رفع اسم كان مؤخر. ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿مَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَانُوٓا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أُو۟لِى﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم و﴿أُو۟لِى﴾: مضاف، و﴿قُرْبَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟...﴾ إلخ، في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى، وأقوى من اعتبار (لو) امتناعية، جوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه، ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَسْتَغْفِرُوا۟﴾، ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليها. ﴿تَبَيَّنَ﴾: ماض، ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل﴿تَبَيَّنَ﴾، وجملة: ﴿تَبَيَّنَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليه، هذا؛ وإن اعتبرت الفاعل عائداً على ﴿مَا﴾ فالمصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف والمعنى عليه أقوى.

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

الشرح: روى النسائي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه، وهما مشركان، فقلت: أتستغفر لهما، وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم عليه السلام لأبويه، فأتيت النبي ﷺ، فذكرت ذلك له فنزلت ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ...﴾ إلخ والمعنى: لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلا عن عدة وعدها إياه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان أبو إبراهيم وعد إبراهيم الخليل أن يؤمن بالله، ويخلع الأنداد، فلما مات على كفر علم أنه عدو الله، فترك الدعاء له، وهذا يفيد: أن الواعد أبوه، والموعود إبراهيم عليه السلام، وقيل: الواعد إبراهيم، أي: وعد أباه بأن يستغفر له، فلما

مات مشركاً تبرأ منه، ودل على هذا الوعد قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾. انتهى. قرطبي.

تنبيه: مما تقدم يؤخذ منه جواز الاستغفار للأحياء، وطلب التوفيق لهم، بالإيمان، كما يستدل به على أن حالة المرء يحكم عليها عند الموت، فإن مات على الإيمان حكم له به، وإن مات على الكفر حكم له به، وربك أعلم بباطن حاله. انتهى.

بعد هذا فإبراهيم معناه في السريانية: أب رحيم، وفيه سبع لغات انظرها في التفاسير. ﴿مَّوۡعِدَةٖ﴾: مصدر ميمي من (وعد)، وكسرت عينه؛ لأنه مثال واوي، وتكسر عينه في المضارع. ﴿تَبَيَّنَ﴾: انظر الآية رقم [٤٣]، ﴿عَدُوٌّ﴾: انظر الآية رقم [٢٢] (الأعراف)، ﴿لَأَوَّٰهٌ﴾: خاشع متضرع، وقيل: كثير الدعاء، وقيل: تواب، وقيل: رحيم بعباد الله، وقيل: موقن، وقيل: كثير التأوه، وكان عليه الصلاة والسلام يكثر أن يقول: أوْهٍ من النار، قبل أن ينفع أوْهٍ، وقيل: كثير الذكر لله، وقيل: معلم الخير للناس، وقيل: غير ذلك، ﴿حَلِيمٌ﴾: كثير الحلم، وهو الذي يصفح عن الذنوب، ويصبر على الأذى، وقيل: الذي لم يعاقب أحداً قط إلا في الله، ولم ينتصر لأحد إلا لله، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام كذلك، هذا؛ ومن أسماء الله تعالى (الحليم)، وفسر بحقه تعالى بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱسۡتِغۡفَارُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، وهو مضاف، و﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، فهو مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر ﴿ٱسۡتِغۡفَارُ﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء: في محل جر بالإضافة، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَن مَّوۡعِدَةٖ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿وَعَدَهَآ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى إبراهيم، أو إلى أبيه، انظر الشرح، والهاء: مفعول به أول، ﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير نصب منفصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ في محل جر صفة: ﴿مَّوۡعِدَةٖ﴾. وإن اعتبرتها في محل نصب حال من ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾، أو من (أبيه) فالمعنى لا يأباه، والرابط: الضمير على الاعتبارين. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٧٧]، ﴿تَبَيَّنَ﴾: ماض. ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان به. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر أن. ﴿لِّلَّهِ﴾: متعلقان بـ ﴿عَدُوٌّ﴾. أو بمحذوف صفة له، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على القول بحرفية (لما)، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على القول بظرفيتها، ﴿تَبَرَّأَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿مِنۡهُۚ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية جواب

(لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: اسمها. ﴿لَأَوَّٰهٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿حَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل أو مستأنفة لا محل لها.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ أي: ما كان الله ليوقع الضلالة في قلوب قوم بعد الهدى، ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ فلا يمتثلون أوامره، فعند ذلك يستحقون الضلالة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

تنبيه: لقد اختلف في سبب نزول الآية الكريمة على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها نزلت في جماعة من المسلمين، كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين، فلما منعوا من ذلك، وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك.

الثاني أنها نزلت فيمن شرب الخمر قبل علمه بالتحريم.

الثالث: أنها نزلت فيمن صلى إلى بيت المقدس زمناً، ولم يعلم بتحويل القبلة إلى الكعبة، وذلك أن قوماً قدموا إلى النبي ﷺ، وأسلموا قبل تحريم الخمر، وصرف القبلة إلى الكعبة، ورجعوا إلى قومهم، وهم على ذلك، ثم حرمت الخمر، وصرفت القبلة إلى الكعبة، ولا علم لهم بذلك، ثم قدموا بعد ذلك إلى المدينة، فوجدوا الخمر قد حرمت، والقبلة قد صرفت إلى الكعبة، فقالوا: يا رسول الله! قد كنت على دين، ونحن على غيره، ونحن على ضلال، فأنزل الله الآية الكريمة، والمعنى: ما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ. انتهى. خازن بتصرف.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف، (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿لِيُضِلَّ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام الجحود. والفاعل يعود إلى الله، ﴿قَوْمًۢا﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بإضافة ﴿بَعْدَ﴾ إليه. وقيل: هي بمعنى «أن» المصدرية. ﴿هَدَىٰهُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف. والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً، وعلى الوجه الثاني فيها تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعْدَ﴾ إليه. التقدير: بعد هداية الله لهم، و«أن» المضمرة والفعل (يضل) في تأويل مصدر في محل جر بلام الجحود،

والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، التقدير: ما كان الله مريداً لإضلال قوم، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿يُبَيِّنَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. والفاعل يعود إلى الله. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة. فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: حتى يبين لهم الذي أو شيئاً يتقونه، و«أن» المضمرة والفعل: ﴿يُبَيِّنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل(يضل). ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدها، و﴿بِكُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فهو يتصرف فيهما كيف يشاء. ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: الإحياء. يكون بالخلق والإيجاد الظاهرين، ويكون الإحياء بالإيمان على سبيل الاستعارة التبعية، وقل مثله في الإماتة، وانظر الآية رقم [١٢٢] من سورة (الأنعام). تجد ما يسرك. ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: انظر الآية رقم [٧٤].

قال البيضاوي: لما منعهم عن الاستغفار للمشركين، وإن كانوا أولي قربى، وتضمن ذلك وجوب التبري منهم رأساً، بين لهم أن الله مالك كل موجود، ومتولي أمره، والغالب عليه، ولا يتأتى لهم ولاية، ولا نصرة إلا منه، ليتوجهوا بقلوبهم إليه، ويتبرؤوا مما عداه، حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويتركون سواه. انتهى. بتصرف بسيط.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها، ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. و﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿لَهُۥ مُلْكُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿يُحْىِۦ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾، أو هي في محل نصب حال من الضمير المجرور في ﴿لَهُۥ﴾. وجملة: ﴿وَيُمِيتُ﴾ معطوفة على الوجهين المعتبرين فيها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٧٤] والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَّقَد تَّابَ﴾: لقد تجاوز وعفا وصفح. ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾: انظر الآية رقم [٧٣]، ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: انظر الآية رقم [١٠٠]، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: المراد بها وقت غزوة تبوك، حيث كانوا في عسرة وضيق، حتى كان العشرة من الرجال يتعاقبون ظهر البعير الواحد، وكان الرجلان يقتسمان تمرة واحدة، واشتد بهم العطش في سفرهم حتى شربوا ما في فرث الحيوانات من الماء، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: ويقرأ: (من بعد ما كادت تزيغ قلوب فريق منهم)، واختلف في معنى (تزيغ)، فقيل: تتلف بالجهد، والمشقة والشدة، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: تميل عن الحق في الممانعة والنصرة، وقيل: من بعد ما هم فريق منهم بالتخلف والعصيان، ثم لحقوا به: وقيل: همُّوا بالقفول، فتاب الله عليهم، وأمرهم به، وثبتهم على الحق والإيمان. انتهى. قرطبي بتصرف. وانظر ما ذكرته بشأن غزوة تبوك في الآية رقم [٣٩] ففيه الكفاية. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: تكرير للتأكيد، وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة. ﴿رَءُوفٌ﴾ أي: بالعباد؛ حيث فتح لهم باب التوبة. والاعتذار، وكلفهم بالعبادات والجهاد، فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء، هذا؛ والرأفة أشد الرحمة، و﴿رَءُوفٌ﴾ صيغة مبالغة، فالله أرأف بعباده من الوالدة بولدها، ومن رأفته: أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المتقطع، ومن رأفته أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، ومن رأفته أشياء كثيرة يعسر حصرها وعدها. وهي معلومة عند ذوي الألباب، ﴿رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الرحمة.

تنبيه: لقد اختلف في هذه التوبة التي تابها الله على النبي والمهاجرين والأنصار على أقوال كثيرة، أعتمد منها ما قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنها كانت على النبي ﷺ؛ لأجل إذنه للمنافقين في القعود عن الجهاد، ودليله الآية رقم [٤٣].

تنبيه، وفائدة: «كاد» و«يكاد»: فعل يدل على مقاربة وقوع الفعل بعدها، ولذا لم تدخل عليه «أن»؛ لأنه يخلص الفعل للاستقبال، وإذا دخل عليها حرف النفي؛ دل على أن الفعل بعدها وقع، كما في الآية رقم [٧١] من سورة (البقرة)، وإذا لم يدخل عليها حرف نفي لم يكن الفعل بعدها واقعاً، ولكنه قارب الوقوع، والفعل منهما واوي العين، فيكاد وزنه: يكْوَدُ ك «يعلم»، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم قال: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقبلت ألفاً، فصار: «يكاد»، بوزن يخاف، وكاد أصله كَوِد بكسر الواو كخَوِف، ومصدره الكوْد كالخوْف، وهذا في «كاد» الناقصة، وأما «كاد»

التامة، فهي يائية العين المفتوحة في الماضي كـ «باع»، ومصدره الكيد كالبيع، ولذا جاء المضارع في القرآن مختلفاً، فمن الأول قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ...﴾، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ﴾، ومعنى الأول المقاربة، ومعنى الثاني المكر، والأول ناقص التصرف، ويحتاج إلى مرفوع ومنصوب، والثاني تام التصرف، ويكتفي بالفاعل، وينصب المفعول به.

فائدة: قد تأتي (كاد) بمعنى أراد، قاله محب الدين الخطيب شارح شواهد الكاشف، وجعل منه قول الأفواه الأودي: [البسيط]

والْبَيْتُ لا يُبْتَنىٰ إلا بأعْمِدَةٍ ولا عِمَادَ إذا لَمْ تُرسَ أوْتَادُ

فإن تُجُمِّعَ أسبابٌ وأعْمِدَةٌ وساكِنٌ بَلَغُوا الأمْرَ الَّذي كَادُوا

أي: الذي أرادوا، ومنه قول الآخر: [الكامل]

كِدْنَا وكِدْتِ وتلكَ خيرُ إرادةٍ لَوْ عاد مِنْ زَمَنِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

أي: أردنا وأردت، دليله (تلك خير إرادة).

تنبيه: شاع على الألسن أن نفي «كاد» إثبات، وإثباتها نفي، ولذا ألغز المعري بقوله: [الطويل]

أنَحْوِيَّ هذا الْعَصرِ، مَا هِيَ لَفْظَةٌ جَرَتْ في لِسانَيْ جُرْهُمٍ وثَمُودِ

إذا اسْتُعْمِلَتْ في صُورةِ الْجَحدِ أثْبَتَتْ وإن أُثْبِتَتْ قَامَتْ مَقَامَ جُحُودِ

فأجابه الشيخ جمال الدين بن مالك، صاحب الألفية بقوله: [الطويل]

نعَمْ هِيَ كادَ المرءُ أنْ يَرِدَ الْحِمَى فَتَأْتِي لإثباتٍ بِنَفْيِ وُرُودِ

وفي عكسِها ما كَادَ أنْ يَرِدَ الْحِمَى فَخُذْ نَظْمَهَا فالعلمُ غيرُ بَعِيدِ

وقد اتفقت كلمة النحاة على أن (كاد) كسائر الأفعال، وكلامهم متقارب المعنى في هذا الشأن، ومتشابه، انظر الشاهد [١١٢٧]، من كتابنا: «فتح القريب المجيب» والأشموني وغيرهما، وها أنذا أسوق لك ما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه: (همع الهوامع) لتكون على بصيرة من أمرك.

قال رحمه الله تعالى. والتحقيق: أنها كسائر الأفعال، نفيها نفي، وإثباتها إثبات، إلا أن معناها المقاربة، لا وقوع الفعل، فنفيها نفي لمقاربة الفعل، ويلزم منه نفي الفعل ضرورة أن من لم يقارب الفعل، لم يقع منه الفعل، وإثباتها إثبات لمقاربة الفعل، ولا يلزم من مقاربتِهِ وقوعه، فقولك: «كادَ زيدٌ يقومُ» معناه: قارب القيام، ولم يقم، ومنه قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ أي: يقارب الإضاءة، إلا أنه لا يضيء. وقولك: «لمْ يكدْ زيدٌ يقومُ» معناه لم يقارب القيام، فضلاً عن أن يصدر منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي: لم يقارب أن يراها، فضلاً عن أن يرى، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي: لا يقارب

إساغته، فضلاً عن أن يسيغه، وعلى هذا الزجاجي وغيره، وذهب قوم، منهم ابن جني، إلى أن نفيها يدل على وقوع الفعل ببطء، لآية ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ رقم [٧١]. البقرة، فإنهم فعلوا بعد بطء، والجواب أنها محمولة على وقتين، أي: فذبحوها بعد تكرار الأمر عليهم بذبحها، وما كادوا يذبحونها قبل ذلك، ولا قاربوا الذبح، بل أنكروا أشد الإنكار بدليل قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، انتهى.

وقال ابن هشام في مغنية: فالجواب: أنه إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنهم كانوا أولاً بعداء عن ذبحها، بدليل ما يتلى علينا من تعنتهم، وتكرار سؤالهم. انتهى.

الإعراب: ﴿لَّقَد﴾: اللام: هي لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال، وجملة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: ابتدائية، أو هي جواب قسم محذوف، لا محل لها على الوجهين. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة للاسمين قبله، أو هو بدل منهما، ويجوز نصبه على القطع والمدح بفعل محذوف، وجملة: ﴿ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: صلة الموصول، لا محل لها، ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل اتبعوه. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَادَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿يَزِيغُ﴾: مضارع. ﴿قُلُوبُ﴾: تنازعه الفعلان قبله. فالأول يطلبه اسماً له، والثاني يطلبه فاعلاً له، ولا بد من الإضمار في أحدهما على اختلاف بين البصريين والكوفيين، وقيل: اسم (كاد) ضمير الشأن. وقيل: اسمها مضمر، التقدير: من بعد ما كاد القوم، وعلى جميع الوجوه فجملة ﴿يَزِيغُ﴾ أو (تزيغ) ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ﴾ في محل نصب خبر كاد وانظر الآية رقم [١٣٧] (الأعراف). و﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾، وجملة: ﴿مَا كَادَ...﴾ إلخ، في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليها. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿فَرِيقٍ﴾. أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: معطوفة على جملة: ﴿لَّقَد تَّابَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها على الوجهين المعتبرين فيها، ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما على التنازع، ﴿رَءُوفٌ﴾: خبر إن. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ...﴾ إلخ تعليل لما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. تأمل، وتدبر، والله أعلم.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ أي: وتاب الله على الثلاثة، وهم المذكورون في الآية رقم [١٠٦]، و﴿خُلِّفُواْ﴾ أي: تخلفوا عن غزوة تبوك، وقيل: تخلفوا عن التوبة، أي: أخر

أمرهم، وهم المرجون لأمر الله، وقيل: المعنى تركوا أو أخروا عن المنافقين، فلم يحكم فيهم بشيء. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي: بما اتسعت؛ لأنهم كانوا مهجورين، لا يعاملون، ولا يكلمون، وفي هذا دليل على هجران أهل المعاصي حتى يتوبوا. ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: ضاقت صدورهم بالهم والوحشة، وبما لقوه من الصحابة من الجفوة. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ أي: تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم، وقبول التوبة منهم إلا إلى الله، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ...﴾ إلخ فبدأ بالتوبة منه، أي: قبولها، ترغيباً لهم ولأهل المعاصي في الرجوع إليه، وانظر الآية رقم [١٠٤] لشرح ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾، وفيه دليل على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والفضل والإحسان، وأنه لا يجب عليه سبحانه شيء.

قال أبو زيد رحمه الله تعالى: غلطت في أربعة أشياء، في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أني أحبه، فإذا هو أحبني، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وظننت أني أرضى عنه، فإذا هو رضي عني، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ وظننت أني أذكره، فإذا هو يذكرني، قال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾. وظننت أني أتوب، فإذا هو قد تاب علي، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ...﴾.

بعد هذا فإني أذكر لك ما حدَّث به كعب بن مالك رضي الله عنه عن نفسه، وعن صاحبيه، وقد روى حديثه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

قال: ـ رضي الله عنه ـ وهذا الحديث رواه عنه ابنه عبد الله ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط، إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنه، إنما خرج رسول الله ﷺ. والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: أني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة.

والله، ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز، واستقبل عدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة غزوهم، وأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، ـ يريد بذلك الديوان ـ قال كعب. فقلَّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار، والظلال، فأنا إليها أصعر ـ أميل ـ ليجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي

أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، ولم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، وأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه. ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت فرجعت، ولم أقض شيئاً.

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدَّر لي ذلك، وطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة، إلا رجلاً مغموضاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال، وهو جالس في القوم في تبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**». فقال رجل من بني سَلَمَة: يا رسول الله! حبسه برداه والنظر في عطفيه.

فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك، فرأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا خيثمة**». فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون، الآية رقم [٧٩] قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثِّي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد ظل قادماً راح عني الباطل حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه، وصبَّح رسول الله ﷺ قادماً».

وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله عز وجل، حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب، ثم قال: (تعال) فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: (ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عقبى الله عز وجل، والله ما كان لي من عذر، ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك!**».، فقمت، وثار رجال من بني سلمة، فاتبعوني، فقالوا: والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ، بما اعتذر إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ، فَأُكْذِب نفسي، قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت، وقيل لهما ما قيل لك، قال، قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي.

قال: فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدراً فيهما أسوة، قال: فمضيت حتى ذكروهما لي، قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس، أو قال: تغيَّروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي،فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم، وأجلدهم، فكنت أخرج، فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق، فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأسلم، فأقول في نفسي، هل حرك شفتيه بردِّ السلام، أم لا؟

ثم أصلي قريباً منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي؛ نظر إليَّ، فإذا التفت نحوه؛ أعرض عني، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة المسلمين، مشيت، حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس إليَّ، فسلمت عليه، فوالله ماردَّ علي السلام!.

فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت، فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم! ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أن أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاءني، فدفع إلي كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته، فإذا فيه، أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

قال: فقلت حين قرأتها، وهذه أيضاً من البلاء، فتيمَّمت بها التنور فسجرتها، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، وإذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: فقلت: أُطَلِّقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها فلا تقربها، وأرسل إلى صاحِبَيَّ بمثل ذلك، قال: فقلت لامرأتي الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ.

فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك، قالت: والله إنه ما به حركة إلى شيء، ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ،فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها؟ وأنا رجل شاب.

قال: فلبثت عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا، قال: ثم صليت صلاة الصبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحالة التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى

على سَلْع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر! قال: فخررت ساجداً، وعلمت أن قد جاء فرج، قال: وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحِبَيَّ مبشرون، وركض رجل إليَّ فرساً، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي، فكسوتهما إياه ببشارته.

والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أيمم رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة، ويقولون: لتَهْنِئْكَ توبة الله عليك حتى دخلنا المسجد، فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال، وهو يبرق وجهه من السرور، قال: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**».

قال: فقلت: أمن عندك يا رسول الله! أم من عند الله؟ قال: «**بل من عند الله**». وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر، قال: وكنا نعرف ذلك، قال: فلما جلست بين يديه؛ قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك**». فقلت: فإني أمسك سهمي الذي لي بخيبر، قال: وقلت: يا رسول الله إنما أنجاني الله بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقي، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ...﴾ إلخ الآيات.

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبْتُهُ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شرَّ ما قال لأحد، فقال: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ...﴾ إلخ الآية رقم [٩٥ و٩٦]، قال كعب: كنا خُلِّفنا أيُّها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾. وليس الذي ذكره ما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه، إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن خلف له، واعتذر إليه، وقبل منه. انتهى. قرطبي، وخازن، والترغيب والترهيب للحافظ المنذري بحروفه.

تنبيه: رويت لك الحديث بتمامه لما فيه من العبر والعظات التي تؤخذ منه، وما يتذكر إلا أولو الألباب، وليتضح معنى الآية الكريمة وتفسيرها تمام الإيضاح، فإن هناك من يفسرها على غير وجهها الصحيح، فيضل عن طريق الحق والصواب، ولعلك تدرك معي فضل الصدق في الحديث، وما يؤول إليه أمره من النجاة في الدنيا والآخرة، وانظر الكذب وما يؤول إليه أمره من الهلاك في الدنيا والآخرة في الآية رقم [١٠٥] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾: معطوفان على قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ...﴾ إلخ فإن التقدير: وتاب الله على الثلاثة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: يجوز فيه ما جاز بسابقه. ﴿خُلِّفُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٨٦]. ﴿ضَاقَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: فاعل، وجملة: ﴿ضَاقَتْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، و(ما) المصدرية والفعل ﴿رَحُبَتْ﴾: في تأويل مصدر في محل جر بالباء التقدير: برحبها، والجار و المجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: معطوفة على سابقتها، فهي في محل جر مثلها. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿مَلْجَأَ﴾: اسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّا﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿مَلْجَأَ﴾، وعليه فخبر ﴿لَّا﴾ محذوف، التقدير: موجود، ونحوه، والأول: على لغة الحجازيين الذين يجيزون ذكر خبر ﴿لَّا﴾، والثاني: على لغة بني تميم الذين يوجبون حذفه. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿إِلَيْهِ﴾: بدل من قوله ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ وقيل: استثناء من مقدر، أي: لا ملجأ لأحد، ولا اعتماد على أحد إلا إليه تعالى انتهى. سمين. و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظنوا)، وجملة: ﴿وَظَنُّوٓاْ...﴾ إلخ، معطوفة على جملة: ﴿ضَاقَتْ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف، تقديره: رحمهم الله تعالى، و﴿إِذَا﴾ومدخولها كلام مستأنف بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ لا محل له، بعد هذا ينبغي أن تعلم أن أبا الحسن الأخفش يعتبر ﴿إِذَا﴾ في مثل هذه الآية مجرورة بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وهو رأي: لا يوافقه عليه أحد من النحويين، وجملة: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ معطوفة على جواب ﴿إِذَا﴾ المحذوف، ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ (أن) مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٠٤] وهي مفيدة للتعليل، أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: خافوه فيما لا يرضاه، وانظر (الإيمان) في الآية رقم [١] من سورة (الأعراف)، وزيادته في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) وانظر ﴿ٱتَّقُوا۟﴾ في الآية رقم [١] منها. ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: في إيمانهم وعهودهم، أو في دين الله، نيةً وقولاً وعملاً، وقرئ: (من الصادقين) أي: في توبتهم وإنابتهم، فيكون المراد به الثلاثة المذكورون في الآية السابقة، ومن نهج نهجهم وسار على طريقهم، وقيل: غيرهم على أقوال كثيرة.

تنبيه: روي: أن أبا بكر رضي الله عنه احتج بهذه الآية على الأنصار في يوم السقيفة، وذلك أن الأنصار قالوا: منا أمير، ومنكم أمير، فقال رضي الله عنه، يا معشر الأنصار! إن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾.. إلى قوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الآية رقم [٨] من سورة (الحشر)، من هم، قالت الأنصار: أنتم هم، فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ الآية، فأمركم أن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، نحن الأمراء، وأنتم الوزراء. انتهى. خازن.

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى: حق من فهم عن الله، وعقل عنه أن يلازم الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك لحق بالأبرار، ووصل إلى رضا الغفار، قال ﷺ: «**عليكُمْ بالصِّدْقِ، فإن الصِّدْقَ يهْدِي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وما يزالُ الرجلُ يصدقُ ويَتَحرَّى الصدق حتى يكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقاً**». والكذب على الضد من ذلك، قال ﷺ: «**إيَّاكُمْ والكذبَ، فإنَّ الكذبَ يَهْدِي إلى الْفُجور، وإنَّ الفجور يَهْدِي إلى النارِ، وما يزالُ الرجلُ يكذِبُ، ويَتَحرَّى الكذبَ حتَّى يُكْتَبَ عندَ اللهِ كَذَّاباً**». رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٣] وجملة: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، ﴿وَكُونُوا۟﴾: أمر ناقص مبني على حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾، في الآية رقم [١١] من سورة (الأعراف). ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (كانوا)، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَكُونُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ...﴾ إلخ: أي: ما صح، أو: لا يصح، ولا ينبغي، وهذا خبر، ومعناه أمر، انظر الآية رقم [١١٣]ـ وانظر ﴿حَوْلَهُم﴾ في الآية رقم [١٠١]، ﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾: انظر الآية رقم [٩٠]. ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: لا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه، ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال والمشقات والمصاعب، وانظر الفعل (يرغب) في الآية رقم [١٢٧] من سورة (النساء)، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما دل عليه قوله: ﴿مَا كَانَ...﴾ إلخ من النهي عن التخلف. ﴿لَا يُصِيبُهُمْ﴾ أي: في سفرهم وغزواتهم، وانظر إعلاله في الآية رقم [٥١] ﴿ظَمَأٌ﴾: عطش. ﴿نَصَبٌ﴾: تعب. ﴿مَخْمَصَةٌ﴾: جوع شديد. ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعته، ومن أجل إعلاء كلمته. ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: لا يضعون قدماً على الأرض يكون ذلك القدم سبباً لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم. ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أي: أسراً أو قتلاً، أو هزيمة، أو غنيمة منهم، أو نحو ذلك قليلاً كان أو كثيراً، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ﴾ أي: إلا كتب وسجل لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم، وقبله منهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: انظر الآية رقم [٩١].

قال الخازن: وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه، وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله، ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده، ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات إلا أن يغفرها الله بفضله وكرمه. انتهى.

قال البيضاوي: روي: أن أبا خيثمة رضي الله عنه ذهب إلى بستانه، بعد ذهاب رسول الله ﷺ، وسفره إلى تبوك، وكانت له امرأة حسناء، فرشت له في الظل، وبسطت له الحصير، وقربت إليه الرطب، والماء البارد، فنظر، فقال: ظل ظليل، ورطب يانع، وماء بارد، وامرأة حسناء، ورسول الله ﷺ في الضح والريح، ما هذا بخير، فقام، فرحل ناقته، وأخذ سيفه ورمحه، ومر كالريح، فمد رسول الله ﷺ طرفه إلى الطريق، فإذا براكب يزهاه السراب، فقال: كن أبا خيثمة، فكان هو، ففرح به رسول الله ﷺ، واستغفر له. انتهى.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِأَهْلِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، و﴿لِأَهْلِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمَنْ﴾: اسم

موصول، أو نكرة موصولة بمعنى أناس مبنية على السكون في محل جر معطوفة على (أهل). ﴿حَوْلَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (من) أو صفتها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق الظرف، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف.. (لا): نافية، أو ناهية. ﴿يَرْغَبُوا۟﴾: منصوب. إذا اعتبرته معطوفاً على ما قبله. ومجزوم إذا اعتبرت (لا) ناهية، وعلامة النصب، أو الجزم حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل: ﴿يَرْغَبُوا۟﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿نَصَبٌ﴾ و﴿مَخْمَصَةٌ﴾: معطوفان على ﴿ظَمَأٌ﴾، و(لا) زائدة لتأكيد النفي. ﴿فِى سَبِيلِ﴾: متعلقان بأحد الأسماء الثلاثة، على التنازع، أو بمحذوف صفة له، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿يَطَـُٔونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مَوْطِئًا﴾: مفعول به إن كان اسم مكان، ومفعول مطلق إن كان مصدراً ميمياً بمعنى وطأ، وجملة: ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾: في محل نصب صفة له، وجملة: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها، وجملة: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً، و﴿نَّيْلًا﴾ مفعول مطلق. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كُتِبَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُم بِهِۦ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَمَلٌ﴾: نائب فاعل. ﴿صَٰلِحٌ﴾: صفته، وجملة: ﴿كُتِبَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: انظر إعراب: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ...﴾ إلخ في الآية رقم [٩٦] فهي مثلها، والجملة الاسمية هنا تعليلية، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾: واو الجماعة عائدة على الذين نهوا عن التخلف من أهل المدينة والأعراب والذين رغبوا في الجهاد بما ذكر لهم من الأجر العظيم والثواب العميم، وانظر (نفق) في الآية رقم [٣]، من سورة (الأنفال)، ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾: ولو ثمرة. ﴿كَبِيرَةً﴾: كنفقة عثمان

وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهما في غزوة تبوك. ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: في مسيرهم مقبلين، أو مدبرين فيه، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي: كتب الله لهم آثارهم وخطاهم، وثواب نفقاتهم. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: ليثيبهم، ويكافئهم مكافأة أعظم بكثير مما كانوا يفعلونه في هذه الدنيا، وهذه المكافأة تكون في الآخرة، وانظر جزى في الآية رقم [٢٧].

هذا؛ والوادي: هو المنفرج بين جبلين يجري فيه السبيل، ويجمع على: أودية وأوديات، وأواديه وأوداء وأوداه قال جرير: [الوافر]

عرفْتُ ببُرْقَةِ ٱلأَوْداهِ رَسْماً مُحِيلاً طَالَ عَهدُكَ مِنْ رُسُومِ

ولم أعثر على وديان مع أنه كثير مستعمل، هذا؛ وقد قال أبو البقاء في جمع (واد) على (أودية): وجمع فاعل على أفعلة، شاذ، ولم نسمعه في غير هذا الحرف، ووجهه أن فاعلاً قد جاء بمعنى: فعيل، وكما جاء فعيل وأفعلة: كجريب وأجربة كذلك فاعل. انتهى.

تنبيه: الآية الكريمة وسابقتها تحثان على الجهاد وتبينان أنه أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله، والنبي ﷺ قد بين ذلك في أحاديثه الشريفة أحسن بيان، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**رِبَاطُ يَوْم في سبيلِ اللهِ خيرٌ منَ الدنيا وَمَا عَلَيْهَا، وموضِعُ سوْطِ أحدِكُمْ مِنَ الجنةِ خيرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يروحُها العبدُ في سبيلِ اللهِ، أو الغدوةُ خيرُ من الدنيا وما عليها**». وفي رواية: «وما فيها». متفق عليه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تضمَّنَ اللهُ لِمَنْ خرج في سبيلِهِ، لا يَخْرُجُ إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برسلي، فهو عليَّ ضامنٌ أنْ أدخِلَهُ الجنة، أو أرجعَهُ إلى مسكنِهِ الذي خرجَ مِنه نائِلاً مَا نَالَ مِنْ أجرٍ أو غنيمةٍ، والَّذِي نفسُ محمدٍ بيدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيل اللهِ، إلا جاء يومَ القيامَةِ كهيئَتِهِ يومَ كُلِمَ، لونُهُ لونُ الدمِ، وريحُه ريحُ المسكِ، والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لولا أَنْ أَشقَّ على المسلمين ما قعدْتُ خِلاف سريَّةٍ تغزُو في سبيلِ اللهِ أبداً، ولكِنْ لا أجدُ سَعَةً فأحملهم، ولا يجدون سعةً، ويشُقُّ عليْهِمْ أَنْ يتخلفوا عني، والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لوَدِدْتُ أِنْ أَغْزُوَ في سبيلِ اللهِ فأُقْتَلَ، ثم أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزوَ فأُقْتَلَ**». متفق عليه، واللفظ هنا لمسلم، وللبخاري بمعناه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٦]ـ النساء، وانظر رباط الخيل في الآية رقم [٦٠] من سورة (الأنفال).

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿يُنفِقُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة، فهي في محل رفع مثلهن. ﴿نَفَقَةً﴾: مفعول به. ﴿صَغِيرَةً﴾: صفة: ﴿نَفَقَةً﴾. ﴿وَلَا﴾: مثل سابقتها. ﴿كَبِيرَةً﴾: معطوف على ﴿صَغِيرَةً﴾. وجملة: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً ﴿إِلَّا كُتِبَ

لَهُمْ﴾: انظر مثل هذه الجملة ومحلها في الآية السابقة ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ما يفهم من الإنفاق وقطع الوادي، ويقدره المفسرون (إلا كتب لهم ذلك) أي: ثواب ما ذكر من الأمرين. تأمل. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والهاء مفعول به أول. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَحْسَنَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾: في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: أحسن الذي، أو شيء كانوا يعملونه، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿كُتِبَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ أي: ما صح ولا ينبغي أن يخرج جميع المؤمنين للجهاد في كل غزوة، أو سرية، وانظر ﴿انفِرُوا﴾ و(النفير) في الآية رقم [٣٩]، ﴿كَافَّةً﴾ و(عامة) وجميعاً الكل بمعنى واحد، وكافة وعامة لا تضافان، ولا تدخلهما أل، ولا تكونان إلا منصوبتين على الحال نصباً لازماً. وانظر الآية رقم [٣٦]. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾: فهلا خرج للجهاد من كل قبيلة، أو أهل قرية طائفة، والفرقة أقل من الفريق، وانظر ﴿طَائِفَةٌ﴾ في الآية رقم [٦٧]، ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتعلموا أحكام الدين وشرائعه، وانظر (فقه) في الآية رقم [١٧٩] (الأعراف). ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾: ليعلموا قومهم ما تعلموه من أحكام الدين وشرائعه إذا رجعوا إليهم من غزوهم وجهادهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: لعلهم يخافون عقاب الله بامتثال أمره واجتناب نهيه، والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله لا يحصل منه ترج ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!.

تنبيه: في هذه الآية عدة أمور:

ـ **الأول**: إن هذه الآية نسخت الآية السابقة، والآية رقم [٣٩] وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذه الآية مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ بنفسه للجهاد.

ـ **الثاني**: لقد اختلف في الضمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾، و﴿وَلِيُنذِرُوا﴾ فقال مجاهد وقتادة: هو للمقيمين مع النبي ﷺ؛ وعليه فهناك محذوف، كما تقف عليه في الإعراب، وقال الحسن: هما

للفرقة النافرة للجهاد، ويكون المعنى: ليتبصروا، ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على الأعداء ونصرة الدين. ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ من الكفار. ﴿إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ﴾ من الجهاد فيخبرونهم بنصرة الله تعالى نبيه والمؤمنين، ويوشك أن ينزل بهم، ما نزل بأصحابهم الكفار، قال القرطبي: قول مجاهد وقتادة أبين. انتهى بتصرف.

ـ **الثالث**: الآية الكريمة تحث على طلب العلم، والتفقه في الدين، وطلب العلم ينقسم على قسمين: فرض عين، وذلك كتعلم أحكام الصلاة والصيام، والحج والزكاة؛ إذ كل مكلف من ذكر، أو أنثى بأداء هذه العبادات يجب عليه وجوباً عينياً أن يعرف أحكام العبادة التي يقوم بأدائها، وإذا قصر في ذلك يكون آثماً قطعاً، وهذا ما أفاده قول الرسول ﷺ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ**». رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، والثاني: فرض كفاية، وذلك كعلم المواريث، والنكاح، والأقضية والشاهدات، وإقامة الحدود، والفصل في الخصومات؛ إذ لا يجب أن يتعلمه جميع الناس، فتضيع أحوالهم، وتبطل معايشهم، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين من غير تعيين، ويرجع إليهم الباقون في حال ما يعرض لهم من قضايا دينهم ودنياهم.

ـ **الأمر الرابع**: طلب العلم فضيلة عظيمة، ومرتبة شريفة لا يوازيها أي: عمل، والأحاديث الشريفة المرغبة في طلب العلم كثيرة مشهورة مسطورة، يعرفها من يريد الاطلاع عليها.

ـ **الأمر الخامس**: نزلت الآية الكريمة لما نزل في المتخلفين ما نزل من التوبيخ والتقريع، كما رأيت فيما مضى، وتسابق المؤمنون إلى الغزو، وانقطعوا عن النفقة في أمور الدين، فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد، ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لِيَنفِرُوا﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام الجحود، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿كَآفَّةً﴾: حال من واو الجماعة، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لولا): حرف تحضيض. ﴿نَفَرَ﴾: ماض. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿فِرْقَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿طَآئِفَةٌ﴾. كان صفة لها، فلما قدم عليها صار حالاً. ﴿طَآئِفَةٌ﴾: فاعل ﴿نَفَرَ﴾. والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل... إلخ. و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل،

والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وبقي باقي الفرقة للتفقه في الدين، وهذا على قول قتادة ومجاهد. وهما متعلقان بالفعل ﴿نَفَرَ﴾ على قول الحسن؛ والأول أحق بالاعتبار كما رأيت في الشرح. ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب والتأويل. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، فهو مبني على السكون في محل نصب، وجملة: ﴿رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾: في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿يَحْذَرُونَ﴾ في محل رفع خبر (لَعَلَّ)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ مفيدة للتعليل لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ...﴾ إلخ: هذا النداء للمؤمنين، فقد أمروا بقتال الكفار الأقرب فالأقرب في الدار والنسب، كما أمر رسول الله ﷺ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين، فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح، وقيل: هم يهود المدينة، كقريظة، والنضير، وخيبر، وإذا عرفت أنه قد قضي على قبائل اليهود في غزوة خيبر، وغزوة الخندق، وقد كانَتا قبل نزول هذه السورة بعامين، أو أكثر عرفت: أنه لا اعتبار لهذا القول، وقيل: المراد بهؤلاء الروم؛ لأنهم كانوا في الشام، وهي أقرب إلى المدينة من العراق بلاد الفرس، وانظر الآية رقم [٢٩]. ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي: شدة، وقوة، وحمية، وصبراً في القتال، وقرئ بتثليث الغين وسكون اللام. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: بالنصر والتأييد، والمعونة على أعدائهم، لا المعية الحسية، فإنها مستحيلة قطعاً، وخابت الوثنية.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٢٣]. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿يَلُونَكُم﴾: صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿وَلْيَجِدُواْ﴾: مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ. والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَٰتِلُواْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، ﴿فِيكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الأول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿غِلْظَةً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، ﴿غِلْظَةً﴾: مفعول به، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٣٦] وهي معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: من سور القرآن، وانظر شرح ﴿سُورَةٌ﴾ في الآية رقم [٦٤]، ﴿فَمِنْهُم﴾: من المنافقين، ولم يتقدم لهم ذكر، وإنما فهم من المقام. ﴿مَّن يَقُولُ﴾: يقول ذلك استهزاء وسخرية. ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ أي: يقول بعض المنافقين لبعض هذا الكلام، أو يقوله للمؤمنين. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: انظر زيادة الإيمان في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال). تجد ما يسرك. ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون بنزول السورة؛ لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم عند ربهم.

الإعراب: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٨٦]. ﴿مَآ﴾: زائدة للتوكيد. ﴿أُنزِلَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿سُورَةٌ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها... إلخ. ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٤٩]، والجملة الاسمية جواب(إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿أَيُّكُمْ﴾: اسم استفهام مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿زَادَتْهُ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به أول. ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِيمَٰنًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿زَادَتْهُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، هذا؛ ويقرأ بنصب ﴿أَيُّكُمْ﴾ على أنه منصوب بفعل محذوف، يقدر مؤخراً، فتكون الجملة: ﴿زَادَتْهُ...﴾ إلخ مفسرة للمحذوفة، والكلام كله على القراءتين في محل نصب مقول القول. ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (أما): أداة شرط وتفصيل وتوكيد.

أما كونها أداة شرط؛ لأنها قائمة مقام أداة الشرط وفعله، بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل: مهما يك من شيء فالذين آمنوا... إلخ، فأنيبت (أمَّا) مناب (مهما) و (يك) من شيء، فصار أما الذين آمنوا فزادتهم.

وأما كونها أداة تفصيل؛ فلأنها في الغالب تكون مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك من تتبع مواقعها.

وأما كونها أداة توكيد، فلأنها تحقق الجواب، وتفيد: أنه واقع لا محالة لكونها علقته على أمر متيقن. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾: الفاء: واقعة في جواب أما، وجملة: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، وهي في الوقت نفسه جواب (أما)، والجملة الاسمية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مفرعة عما قبلها ومستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾: الواو:

واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿مَّرَضٌ﴾: كفر. وانظر مرض القلب في الآية [٤٩] من سورة (الأنفال). ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ أي: كفراً إلى كفرهم، وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة، أو استهزؤوا، ازدادوا كفراً مع كفرهم الأول، وسمي الكفر رجساً؛ لأنه أقبح الأشياء، وأصل الرجس في اللغة: الشيء المستقذر. ﴿وَمَاتُوا۟﴾ أي: المنافقون. ﴿وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ أي: جاحدون لما أنزل الله عز وجل.

تنبيه: الآية السابقة ذكرت: أن الإيمان يزيد بنزول الآيات والتصديق بها وهذه الآية ذكرت: أن الكفر والنفاق يزيد أيضاً بجحود الآيات، وعدم التصديق بها، فهذا من باب المقابلة، وقد رأيت فيما سبق: أن الله جلت قدرته يقارن بين الإيمان والكفر، وبين الجنة والنار، وبين الحسنات والسيئات.

قال الإمام علي رضي الله عنه، وكرم الله وجهه: إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب، وكلما ازداد الإيمان عِظَماً، ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلبُ كله، وإن النفاق يبدو لُمْعَةً سوداء في القلب، وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله، وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود. انتهى خازن.

الإعراب: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾: انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية السابقة. ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿رِجْسًا﴾ والجملة الاسمية: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَمَاتُوا۟﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الأسمية ﴿وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ أي: المنافقون، وقرئ: (أو لا ترون) خطاباً للمؤمنين، وقرئ: (أو لم يروا) كما قرئ: (أو لا ترى) خطاباً للرسول ﷺ. ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون. ﴿فِى كُلِّ عَامٍ

﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ أي: بالأمراض والشدائد، وقيل: بالغزو والجهاد مع رسول الله ﷺ، فيعاينون ما يظهر على يديه من الآيات، والمعجزات، وقيل: إنهم يفتضحون بإظهار نفاقهم في كل عام مرة أو مرتين، هذا؛ والعام والسنة والحول بمعنى واحد. ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي: من نفاقهم، بل هم مصرون عليه، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون ويعتبرون بما يرون ويشاهدون من صدق وعد الله بالنصر، والظفر للمسلمين على أعدائهم.

الإعراب: ﴿أَوَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقريع. الواو: حرف عطف، (لا): نافية. ﴿يَرَوْنَ﴾: مضارع مرفوع.... إلخ. والواو فاعله. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يُفْتَنُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله. ﴿فِي كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿عَامٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مَّرَّةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. هذا؛ وبعضهم يعتبره نائب مفعول مطلق بمعنى فتنة أو فتنتين. ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿يُفْتَنُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (يرون)، أو مفعوله إن كان بصرياً، وجملة: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو معطوفة على كلام محذوف، كما رأيت في الآية رقم [٦٤] من سورة (الأعراف)، وجملة: ﴿لَا يَتُوبُونَ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يُفْتَنُونَ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَلَا﴾: نافية، أو هي زائدة لتأكيد النفي. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: في محل رفع خبره، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: انظر الآية رقم [١٢٤]. ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون إنكاراً لإنزال السورة التي فيها فضيحتهم، وكشف سرائرهم، أو سخرية، واستهزاء، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم. ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: هل يبصركم أحد إذا قمتم وخرجتم من عند محمد ﷺ، فإن لم يرهم أحد؛ ذهبوا، وإن رآهم أحد؛ قعدوا، وذكر سبحانه وتعالى في سورة (النور): أنهم يتسللون لواذاً. ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾: ثم خرجوا من مجالسهم التي يسمعون فيها ما يكرهون. ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: عن الإيمان والهدى، وهذه الجملة تحتمل الإخبار والدعاء عليهم. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: صرفهم الله عن الإيمان بسبب عدم فهمهم، وعدم تدبرهم لآيات الله، فلم ينتفعوا بها.

تنبيه: أفادت الآية الكريمة: أن الله هو مصرف القلوب، وقالبها ومقلبها، وفيها رد على القدرية في اعتقادهم أن قلوب الخلق بأيديهم، وجوارحهم بحكمهم، يتصرفون بمشيئتهم، ويحكمون بإرادتهم واختيارهم. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [١٢٤]. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿يَرَىٰكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف مفعول به. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر وصلة. ﴿أَحَدٍ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: في محل نصب مقول القول، التقدير: وقالوا هل... إلخ، وهذه الجملة معطوفة على جواب إذا لا محل لها مثله، وجملة: ﴿ٱنصَرَفُوا۟﴾ معطوفة أيضاً على جواب إذا لا محل لها أيضاً. ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، ﴿قَوْمٌ﴾: خبرها، وجملة: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾: في محل رفع صفة: ﴿قَوْمٌ﴾، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿صَرَفَ﴾.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾: هذا الخطاب للعرب الذين امتن الله عليهم برسالة محمد ﷺ، وقال الزجاج: خطاب لجميع العالم. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم عربي تعرفون حسبه ونسبه، أو من جنسكم بشر، والأول أولى بالاعتبار، هذا؛ وقرئ: (من أنفَسكم) بفتح الفاء، أي: من أشرفكم، وانظر شرح ﴿رَسُولٌ﴾ في الآية رقم [٧٤] وشرح «النَّفس» في الآية [٩] من سورة (الأعراف). ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه عنتكم، ولقاؤكم المكروه، والعنت المشقة والعناء. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على إيمانكم، وصلاح أحوالكم في الدنيا والآخرة، والحرص: المحافظة الشديدة على الشيء، والخوف عليه أن يضيع أو يتلف. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: انظر ﴿رَءُوفٌ﴾ في الآية رقم [١١٧] وقد قدم الأبلغ منهما مع كونهما صيغتي مبالغة؛ لأن الرأفة شدة الرحمة.

قال الحسن بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه، إلا للنبي ﷺ، فإنه قال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

أقول: وينبغي الانتباه للاتصاف بالاسمين بين الخالق والمخلوق، فرأفته ورحمته سبحانه وتعالى عامة لجميع الناس، لذا فقد أكدت الجملة الاسمية بـ (إنّ) ولام التوكيد، بينما رحمته ﷺ، ورأفته خاصة بالمؤمنين، وهي خالية من أدوات التوكيد.

وقال عبد العزيز بن يحيى: نظم الآية، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز، حريص بالمؤمنين رؤوف رحيم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ لا يهمه إلا شأنكم، وهو قائم بالشفاعة لكم، فلا تهتموا بما عنتم ما أقمتم على سنته، فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة. انتهى.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكُمْ﴾: ماض والكاف مفعول به. ﴿رَسُولٌ﴾: فاعل. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رَسُولٌ﴾. والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ...﴾ إلخ ابتدائية، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿عَزِيزٌ﴾ صفة: ﴿رَسُولٌ﴾. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿عَنِتُّمْ﴾: فعل وفاعل، و﴿مَا﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل رفع فاعل بـ ﴿عَزِيزٌ﴾، هذا؛ وجوز اعتبار﴿مَا﴾ موصولة فاعلاً بـ ﴿عَزِيزٌ﴾، والجملة الفعلية صلتها، والعائد محذوف، التقدير: عزيز عليه الذي عنتموه، والأول أقوى. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بـ ﴿عَزِيزٌ﴾، هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ خبراً مقدماً، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ على الوجهين مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع صفة: ﴿رَسُولٌ﴾، وأجاز مكي اعتبار ﴿عَزِيزٌ﴾ مبتدأ، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ فاعلاً بـ ﴿عَزِيزٌ﴾ سد مسد خبره، والجملة صفة: ﴿رَسُولٌ﴾، ولا وجه له البتة؛ لأن ﴿عَزِيزٌ﴾ لم يعتمد على نفي أو شبهة، ﴿حَرِيصٌ﴾: صفة لـ ﴿رَسُولٌ﴾، ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بـ ﴿حَرِيصٌ﴾. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿رَءُوفٌ﴾، وقيل: متعلقان بأحد الاسمين على التنازع، ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: صفتان لـ ﴿رَسُولٌ﴾، وفيهما وفي ﴿حَرِيصٌ﴾ ضمير مستتر هو الفاعل بهن.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرض الكفار والمنافقون عن تصديقك، والإيمان بك، يا محمد! ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾: كافي الله، فهو يكفيني شركم، وينصرني عليكم. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا موجود سواه، ولا معبود غيره. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت، وإليه فوضت أموري، واستسلمت لحكمه وقضائه وقدره. ﴿ٱلْعَرْشِ﴾: إنما خصه سبحانه بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات، فيدخل ما دونه في الذكر، أو خصه بالذكر تشريفاً له، كما قال: بيت الله، وانظر ما ذكرته في آية الكرسي والآية [٥٤] من سورة (الأعراف). هذا؛ وقد قرئ بجر (العظيم) ورفعه.

روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ إلخ آخر القرآن نزولاً، وفي رواية عنه، قال: أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، وهو في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُلْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿حَسْبِيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة ﴿ٱللَّهُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة (قل...) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه. أحدها: كونه بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء، وثانيها: كونه بدلاً من ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء، وثالثها: كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأقوى، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. أو هي في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط، وتكون من جملة مقول القول. تأمل.

﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وهو أقوى من الحالية. ﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿رَبُّ﴾: خبر المبتدأ، و﴿رَبُّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَرْشِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة: ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ على جره، وصفة: ﴿رَبُّ﴾ على رفعه، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ رَبُّ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور بعلى، والرابط: الواو، والضمير، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

انتهت سورة (التوبة) بعون الله وتوفيقه،

والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

سورة يونس

سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

وهي مكية إلا ثلاث آيات، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ...﴾ إلخ الآية رقم [٩٤، ٩٥، ٩٦].

قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وقيل: غير ذلك، وهي مئة وتسع آيات، وألف وثمانمئة، واثنتان وثلاثون كلمة. وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفاً. انتهى. خازن. وانظر شرح الاستعاذة والبسملة وإعرابهما في أول سورة (يوسف) على نبينا وحبيبنا وعليه ألف صلاة وألف سلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

الشرح: ﴿الٓر﴾: قال ابن عباس والضحاك ـ رضي الله عنهما ـ معناه (أنا الله أرى)، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية أخرى عنه: ﴿الٓر﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿نٓ﴾ حروف متقطعة، مجموعها (الرحمن)، وبه قال سعيد بن جبير، وسالم بن عبد الله. وقال النحاس: ورأيت أبا إسحاق يميل إلى هذا القول؛ لأن سيبويه قد حكى مثله عن العرب، وأنشد قول لقيم بن أوس أحد بني ربيعة بن مالك لامرأته، وهو الشاهد رقم (١٨١١) من شواهد همع الهوامع المخطوط لديَّ، وأسأل الله التوفيق لطبعه: [الرجز]

إنْ شِئْتِ أشرفْنَا كِلانا فدعَا ... الله جهداً رَبَّهُ، فأَسْمَعَا

بالخيرِ خيراتٍ، وإنْ شرّاً فعا ... ولا أُريدُ الشَّرَّ إلَّا أنْ تَعا

إذ المعنى: إن شئت صعدت أنا وأنت مكاناً عالياً، ودعونا الله جهدنا، وسألنا أن يعامل كلاً منا بما يستحق: المحسن يجزيه بإحسانه، والمسيء يجزيه بإساءته، ولا أريد الشر والدعاء به، إلا أن ترغبي فيه، وتأبى المعروف والخير.

هذا وقال الحسن وعكرمة: ﴿الٓر﴾ قسم، وقال سعيد عن قتادة: ﴿الٓر﴾ اسم للسورة، وقال مجاهد: هي فواتح السور، وقال محمد بن زيد: هي تنبيه، وكذا حروف التهجي. انتهى قرطبي، وخازن بتصرف كبير مني، وانظر: ما ذكرته في أول سورة (البقرة) إن أردت الزيادة.

﴿تِلْكَ﴾: الإشارة إلى ما تضمنته السورة الكريمة، أو القرآن، وإنما أدخلت اللام على اسم الإشارة، وهي للبعد، والسورة الكريمة، أو القرآن الكريم في متناول اليد؛ وذلك للإيذان بعلو شأنه، وكونه في الغاية القصوى من الفضل والشرف، وعلو المكانة؛ فكأنه بسبب ذلك بعيد كل البعد. ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: المحكم بالحلال، والحرام، والحدود، والأحكام، فهو فعيل بمعنى: مفعول، وقيل: هو بمعنى الحاكم، فهو: فعيل بمعنى: فاعل؛ لأن القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل، ويفصل بين الحلال والحرام، وقيل: هو بمعنى المحكوم فيه، أي: حكم الله فيه بالعدل والإحسان، وبالنهي عن الفحشاء والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه، وبالنار لمن عصاه.

الإعراب: ﴿الٓر﴾: في إعراب هذا اللفظ وجوه: الأول: أن محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه ﴿الٓر﴾. أو هو مبتدأ خبره ما بعده. الثاني: أن محله النصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اقرأ، أو اتل، أو هو منصوب على تقدير حذف حرف القسم، كما تقول: الله لأفعلن، والناصب فعل محذوف أيضاً، التقدير: التزمت الله، أي: اليمين به، الثالث: أن محله الجر على القسم، وحرف الجر محذوف، وبقي عمله بعد الحذف؛ لأنه مراد، فهو كالملفوظ به، وتقدير الكلام على هذا: أقسم أو أحلف بـ ﴿الٓر﴾، وضعف هذا سليمان الجمل، فقال: وهذا ضعيف؛ لأن ذلك، أي: حذف الجار، وإبقاء عمله من خصائص الجلالة المعظمة، لا يشركها فيه غيرها، ولا محل لها من الإعراب على اعتبارها وأمثالها حروفاً مقطعة، أو مختصرة من أسماء. ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: صفة: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، وفاعله، أو نائب فاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية ابتدائية لا محل لها، أو هي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اقرأ أو اتل... إلخ، أو هي في محل رفع خبر المبتدأ ﴿الٓر﴾ على وجه مر ذكره.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: لا يحق لهم أن يعجبوا من إرسال رسول منهم للناس، والمراد بالناس: أهل مكة، وانظر الآية رقم [٨٢] (الأعراف)، وانظر العجب في الآية رقم [٦٣] منها. ﴿رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من بعض رجالهم، لكنه ليس من عظمائهم، والمراد به: سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ، هذا؛ وقرئ شاذاً برفع (عجب). ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾: خوفهم عقاب الله وانتقامه منهم، إن هم أصروا على الكفر، ومخالفة أوامر الله تعالى. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: بشرهم برضا الله، ورضوانه، وجنة عرضها الأرض والسموات، هذا؛ وعمم سبحانه

الإنذار لجميع الناس؛ لأنه قل أن يوجد فيهم من لا يستحق الإنذار والتخويف، وخصص البشارة بالمؤمنين؛ إذ لا يستحق الكافرون والفاجرون والفاسقون أن يبشروا بخير. ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾: اختلف في معنى ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ اختلافاً كثيراً، فقيل: منزلة رفيعة، قال ذو الرمة: [الطويل]

لَنَا قَدَمٌ، لا يُنكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا ... مَعَ الْحَسَبِ العاديِّ طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ

وقال مقاتل: أعمالاً صالحةً قدَّموهَا، قال الوضاح اليشكري: [المنسرح]

صَلِّ لِذي العَرْشِ، واتَّخِذْ قَدَماً ... تُنْجِيكَ يَوْمَ الْعَثَارِ وَالزَّلَلِ

وقيل: إنه كناية عن السعي في العمل الصالح، فكنى عنه بالقدم، كما يكنى عن الإنعام باليد، وعن الثناء باللسان، قال حسان رضي الله عنه: [الطويل]

لَنَا الْقَدَمُ الْعُلْيَا إِلَيْكَ وخَلْفُنا ... لأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ

وقال ابن الاعرابي: القدم: التقدم في الشرف، قال العجاج: [الرجز]

زلَّ بَنُو العَوَّامِ عَنْ آلِ الحَكَمْ ... وَتَرَكُوا الْمُلْكَ لِمَلْكٍ ذي قَدَمْ

وقيل: هو ولد صالح قدموه، وقال الحسن وقتادة: هو محمد ﷺ، فإنه شفيع مطاع يتقدمهم، كما قال: «**أَنَا فَرَطُكُمْ على الْحَوْضِ**». وقد سئل ﷺ، فقال: «**هِيَ شَفاعتي توسَّلُون بِي إلى ربِّكُمْ**». ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: الإضافة إضافة تشريف وتكريم، ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: ويقرأ: (سِحر) فالأول وصف للرسول ﷺ، وإنما نسبوه إلى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها، والثاني: وصف للقرآن الكريم، وإنما نسبوه إلى السحر لأن فيه الإخبار بالبعث والنشور، وكانوا ينكرون ذلك، وانظر شرح السحر في الآية رقم [١٠٩] (الأعراف).

الإعراب: ﴿أَكَانَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وإنكار. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿عَجَبًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة «نعت النكرة إذا تقدم عليها، صار حالاً»، وقيل: متعلقان بـ (كان). وقيل: متعلقان بـ ﴿عَجَبًا﴾ لأنه مصدر، وهو ضعيف. ﴿عَجَبًا﴾: خبر (كان) مقدم. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل وفاعل، ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رَجُلٍ﴾. و﴿أَنْ﴾ والفعل ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: في تأويل مصدر في محل رفع اسم (كان) مؤخر، هذا؛ وعلى قراءة رفع: (عجب) فهو اسم (كان)، والمصدر المؤول خبرها وفيه الإخبار عن النكرة بالمعرفة، وهو ضعيف، ﴿أَنْ﴾: مفسرة. ﴿أَنذِرِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مفسرة للإيحاء، هذا؛ وقيل: إن ﴿أَنْ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والأول أقوى. ﴿وَبَشِّرِ﴾: أمر، وفاعله «أنت». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾

مع المتعلق صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر أن تقدم على اسمها. ﴿قَدَمَ﴾: اسمها مؤخر، و﴿قَدَمَ﴾: مضاف، و﴿صِدْقٍ﴾: مضاف إليه، من إضافة الموصوف إلى الصفة ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (بشر). التقدير: بشر... إلخ، بكونهم لهم قدم... إلخ. ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد؛ ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (ساحر): خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّبِينٌ...﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر. وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات، فيما يرى العباد، وجمع السموات دون الأرض، وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار والحركات، وقدمها لشرفها وعلو مكانها، وتقدم وجودها؛ ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض، وانظر ﴿خَلَقَ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: انظر الآية رقم [٥٤] (الأعراف)، ففيها الكفاية، وانظر ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١٠٣] منها. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضيه ويقدره وحده، لا يشركه في تدبير خلقه أحد، وقيل: معناه أنه سبحانه وتعالى، يدبر أحوال الخلق، وأحوال ملكوت السموات والأرض، فلا يحدث حدث في العالم العلوي، ولا في العالم السفلي إلا بإرادته وتدبيره وقضائه وحكمته. ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ أي: لا يشفع عنده شافع يوم القيامة، إلا من بعد أن يأذن الله له في الشفاعة، وانظر آية الكرسي، وانظر الشفاعة في الآية رقم [٥٣] (الأعراف). ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية لا يشركه أحد في شيء من ذلك. ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحدوه، وانظر العبادة في الآية رقم [١١٢]، التوبة، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تتفكرون أدنى تفكر، فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة، لا ما تعبدونه من الأوثان وغيرها،

وأصل الفعل: تتذكرون فحذفت إحدى التاءين، وهذا الحذف كثير ومستعمل في القرآن الكريم وفي الكلام العربي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكُمُ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة لفظ الجلالة، أو هو بدل منه، وجملة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ المستتر، والرابط: رجوع الفاعل إليه. أو هي في محل رفع خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾. أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَفِيعٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿بَعْدِ﴾مضاف، و ﴿إِذْنِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم علامة جمع الذكور. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبره. ﴿رَبُّكُمْ﴾: بدل مما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً وحاصلاً فاعبدوه. (اعبدوه): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، وجملة (اعبدوه) لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقريع، الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ مستأنفة مع الجملة المقدرة المعطوفة عليها على القول الثاني في الفاء، ومعطوفة على ما قبلها على القول الأول في الفاء. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: رجوعكم إلى الله. وهذا يكون بالموت أولاً، ثم بالبعث والحشر والنشور ثانياً. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعد على هذا الرجوع وعداً صادقاً،

لا خلف فيه. فاستعدوا للقائه، وقرئ شاذاً برفع المصدرين. ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: من النطفة المذرة. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: يوم القيامة بعد موته، وإهلاكه، وتناثر جميع أجزائه، وقرئ شاذاً بفتح همزة أنه، وإعلال﴿يُعِيدُهُۥ﴾ مثل إعلال (يصيب) في الآية رقم [٥١]، من سورة (التوبة). ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بعدله سبحانه وتعالى، أو بعدالتهم، وقيامهم على العدل في أمورهم، أو بإيمانهم؛ لأنه العدل القويم، كما أن الشرك ظلم عظيم، وهو الأوجه لمقابلته بما بعده. انتهى. بيضاوي بتصرف. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار قد انتهى حره. ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ أي: موجع يخلص وجعه إلى قلوبهم، وانظر الآية رقم [٣٩] من سورة (التوبة)، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

قال البيضاوي: فإن معناه: ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم، وعذاب أليم بسبب كفرهم، لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب، والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة، والعقاب واقع بالعرض، وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه؛ ولذلك لم يعينه، وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم، وشؤم أفعالهم. انتهى.

وقال القرطبي: وكان معظم قريش يعترفون بأن الله خالقهم، فاحتج عليهم بهذا، فقال: من قدر على الابتداء، قدر على الإعادة بعد الإفناء، أو بعد تفريق الأجزاء. انتهى.

الإعراب: ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الكاف والميم، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَعْدَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، مؤكد لنفسه؛ لأن قوله﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وعد من الله، والجملة الفعلية الناجمة في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بقوله﴿إِلَيْهِ﴾ وتكون (قد) قبلها مقدرة، أو هي مستأنفة لا محل لها، و﴿وَعْدَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقًّا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف أيضاً، مؤكد لغيره، وهو ما دل عليه وعد الله، والجملة الفعلية الناتجة مثل سابقتها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها، وجملة: ﴿يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾: في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية تعليل أو مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وعلى فتح همزة (أنه) تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، التقدير لكونه يبدأ الخلق، والجار والمجرور متعلقان بالمصدر﴿وَعْدَ﴾ هذا؛ وعلى قراءة المصدرين بالرفع فهما مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية يقال فيها ما قلته باعتبار الفعلية في الجملتين الناتجتين. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. وجملة: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿لِيَجْزِيَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل

مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُعِيدُهُۥ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به أول، والثاني محذوف، تقديره: جنات ونحوه، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها، وانظر الآية رقم [٩] لا محل لها مثلها. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: متعلقان بالفعل يجزي، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الموصول. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شَرَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ (الذين). ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿شَرَابٌ﴾. ﴿وَعَذَابٌ﴾: معطوف على ﴿شَرَابٌ﴾. ﴿أَلِيمٌۢ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿بِمَا﴾ الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَكْفُرُونَ﴾: في محل نصب خبر (كان)، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿شَرَابٌ﴾، و﴿وَعَذَابٌ﴾، أو بمحذوف حال منهما بعد وصفهما بما تقدم، والأول أقوى؛ لأنهما مرفوعان بالابتداء، هذا؛ وقيل: إن الذين معطوف على ما قبله، فهو منصوب مثله، وهو ضعيف.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ أي: مضيئة، أو ذات ضياء، وهو مصدر كقيام، أو هو جمع ضوء كسياط وسوط، وحياض وحوض، فالياء منقلبة عن واو لمناسبة الكسرة قبلها، هذا؛ والفعل (أضاء) يستعمل لازماً ومتعدياً، فمن الأول قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ وله مصدر آخر هو (الضوء) بضم الضاد وفتحها. ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ أي: ذا نور، وسمي نوراً للمبالغة، وهو أعم من الضوء، وقيل: ما بالذات ضوء، وما بالعرض نور، وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها، والقمر منيراً بعرض مقابلة الشمس، والاكتساب منها. وانظر الآية رقم [٣٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام. ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ أي: قدر له منازل. فلما حذف الجار اتصل الضمير بالفعل، والضمير يرجع إلى الشمس والقمر، والمعنى: قدر لهما منازل، أو قدر لسيرهما منازل، لا يجاوزانهما في السير، ولا يقصران عنها، وإنما وحد الضمير للإيجاز، أو اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر، فهو كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ الآية رقم [٦٢]

من سورة (التوبة)، وقيل: يعود الضمير إلى القمر وحده؛ لأن سير القمر في المنازل أسرع، وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين؛ لأن الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الأهلة، والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية، ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦] من سورة (الحجر) ففيها كبير فائدة. ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: لتعرفوا حساب الشهور والأيام والسنين، وزيادتها، ونقصانها.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو جعل شمسين شمساً بالنهار، وشمساً بالليل، ليس فيهما ظلمة ولا ليل، لم يعلم عدد السنين، وحساب الشهور، هذا؛ والسنين: جمع سنة، وهي الحول والعام. وأصلها سنةٌ، أو سنوٌ، وتصغيرها سنية وسنيهة وسنينة، وتجمع جمع المذكر السالم، سنون وسنين، وجمع المؤنث السالم سنوات وسنهات.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: ما أراد الله عز وجل بخلق ذلك إلا الحكمة والصواب، إظهاراً لصنعته وحكمته، ودلالة على قدرته وعلمه، ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ فهذا هو الحق. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: تفصيل الآيات تبيينها، وتوضيحها ليستدل بها على قدرته تعالى لاختصاص الليل بظلامه، والنهار بضيائه من غير استحقاق لهما، ولا إيجاب، هذا؛ ويقرأ: ﴿يُفَصِّلُ﴾ بياء المضارعة، والنون مع نصب الآيات، كما يقرأ بتاء المضارعة، ورفع الآيات، وخص القوم الذين يعلمون بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بالتأمل بتلك الآيات.

هذا؛ و(جعل) يأتي بمعنى: خلق وأنشأ.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ الفرق بين (خلق) و(جعل) الذي له مفعول واحد، أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين؛ ولذلك عبر عن إحداث النور والظلمات بالجعل ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت المجوس. انتهى.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، وجملة: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾: صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾: معطوفان على مفعولي ﴿جَعَلَ﴾، وقيل: يجوز اعتبار ﴿ضِيَاءً﴾ حالاً، واعتبار ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى (خلق) نصب مفعولاً واحداً، والتقدير: خلق الشمس ذات ضياء، فيكون تقدير: القمر ذا نور. ﴿وَقَدَّرَهُ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الله، والهاء مفعول به على التوسع، و﴿مَنَازِلَ﴾: ظرف مكان، أو هو منصوب بنزع الخافض، وقيل: التقدير: قدره ذا منازل، فيكون الفعل (قدر) قد نصب مفعولين، وعلى اعتبار الضمير منصوباً بنزع الخافض، فيكون ﴿مَنَازِلَ﴾ مفعولاً به، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ الَّذِي...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لِتَعْلَمُوا﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في

تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (قدَّره). ﴿عَدَدَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلسِّنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿خَلَقَ﴾: ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، التقدير: إلا ملتبساً بالحق. والجملة: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿يُفَصِّلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، وعلى قراءة: (نفصِّل) فالفاعل مستتر تقديره «نحن». ﴿ٱلْآيَاتِ﴾: مفعول به منصوب. وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. وعلى قراءة (تُفَصَّل) بتاء المضارعة، فهو مبني للمجهول، و(الآيات) نائب فاعله. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل (يُفَصِّلُ). ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل جر صفة: (قوم) وجملة: ﴿يُفَصِّلُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، واعتبارها حالاً من لفظ الجلالة لا يأباه المعنى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: اختلافهما بالذهاب والإياب، والزيادة والنقصان، وانظر شرح (السموات والأرض) في الآية رقم [٣]. ﴿لَآيَٰتٍ﴾: لدلالات، على قدرة الله تعالى، وانظر التقوى في الآية رقم [١] من سورة (الأنفال)، وإنما خص سبحانه المتقين بالذكر؛ لأنهم هم الذين يتفكرون، فيعتبرون ويتبصرون، و(قوم) هنا يشمل الرجال المتقين والنساء المتقيات بلا ريب ولا شك، هذا؛ وفي (ما) تغليب ما لا يعقل على من يعقل.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ٱخْتِلَٰفِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم، و﴿ٱخْتِلَٰفِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّيْلِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيْلِ﴾. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ﴿ٱخْتِلَٰفِ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما)، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: وفي الذي خلقه الله في السموات والأرض. ﴿لَآيَٰتٍ﴾: (اللام): لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آيات). ﴿يَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، التقدير: (يتقون الله) والجملة الفعلية في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يتوقعونه لإنكارهم للبعث، وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها. هذا؛ وأصل الرجاء: الأمل في الشيء والطماعية فيه، وما في الآية بمعنى: لا يخالفون، أفاده القرطبي، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة عسال، أي: الذي يقطف عسل النحل: [الطويل]

إذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وخالَفَها في بيتِ نُوبٍ عَوَاسِلُ

وقيل: ﴿لَا يَرۡجُونَ﴾ هنا بمعنى يطمعون، ومنه قول سوَّار بن المضرب السعدي، أحد بني سعد تميم، وكان قد هرب من الحجاج حين فرض البعث مع المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج: [البسيط]

أَيَرْجُو بَنُو مَروانَ سَمْعي وطَاعَتي وَقَوْمي تَميمٌ، والْفَلاَةُ وَرائِيَا

وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف، إلا مع الجحد، أي: النفي، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾، وقال بعضهم: بل يقع في كل موضع دل عليه المعنى، وهو المعتمد. ﴿وَرَضُواْ﴾: انظر الآية رقم [٥٨] (التوبة). ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سكنوا إلى الدنيا، وركنوا إليها وقصروا همهم على لذائذها وزخارفها. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾: لا يتفكرون بهذه الآيات ولا يتدبرونها؛ لانهماكهم في جمع الدنيا وحطامها، وانصرافهم إلى شهواتها، وانظر (نا) في الآية رقم [٨] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرۡجُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِقَآءَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وجملة: ﴿لَا يَرۡجُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: معطوفة على جملة الصلة لا محل لها أيضاً. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿هُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿غَٰفِلُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿هُمۡ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ⑧﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى المذكورين في الآية السابقة. ﴿مَأْوَىٰهُمُ﴾: مقرهم ومصيرهم وانظر الآية رقم [٩٥] (التوبة). ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي: يعملون من الكفر والأعمال الخبيثة، هذا؛ والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة، أو دفع مضرة، هذا هو الذي ينبغي للإنسان أن يكسبه من دنياه لآخرته، ولكن الكافرون والفاسقون يكسبون في دنياهم ما يوردهم جهنم في الآخرة، وبئس المصير.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مَأْوَىٰهُمُ﴾: مبتدأ ثان مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبر المبتدأ الثاني، والجملة الاسمية: ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ في الآية السابقة ﴿بِمَا﴾، والباء: حرف جر. (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، دل عليه الكلام، أي: جوزوا بالذي، أو بشيء كانوا يكسبونه، والعائد أو الرابط: محذوف، كما رأيت تقديره، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب كسبهم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل الذي رأيت تقديره، هذا؛ ولا يصح اعتبار (ما) موصولة ولا موصوفة في الآية رقم [٤] كما رأيت هناك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ⑨﴾

الشرح: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الأعمال الصالحات على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها. ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ﴾ أي: يهديهم بسبب الإيمان إلى سلوك طريق يؤدي بهم إلى الجنة، أو يؤدي بهم لإدراك الحقائق، كما قال الرسول ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ ورَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**». وقال مجاهد: يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به، وقال قتادة: بلغنا أن المؤمن إذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة، والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون المعنى أن الله يزيدهم هداية بخصائص، ولطائف، وبصائر ينور بها قلوبهم، ويزيل بها الشكوك عنهم. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

انظر الآية رقم [٧٢] التوبة ومعنى جريان الأنهار من تحتهم: أي: بين أيديهم ينظرون إليها من أعالي أسرتهم وقصورهم، وهذا أحسن في السرور والنزهة والفرجة، هذا؛ وينبغي أن نلاحظ أن السعادة السرمدية في الآخرة، لا يكون سببها الإيمان وحده، بل لا بد من العمل الصالح ودليل ذلك عطف العمل الصالح على الإيمان في كثير من الآيات القرآنية، وقد أطلت الكلام على هذا في رسالتي (الحج والحجاج في هذا الزمن).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: صفة لمفعول به محذوف، كما رأيت في الشرح منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿يَهۡدِيهِمۡ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿رَبُّهُم﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم﴾: في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿تَجۡرِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحۡتِهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: فاعل، وجملة: ﴿تَجۡرِي...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾، أو في نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿فِي جَنَّٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر آخر لـ ﴿إِنَّ﴾، أو بمحذوف حال من الضمير المنصوب، أو من ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، أو هما متعلقان بالفعل (يهدي)، أو بـ ﴿تَجۡرِي﴾، و﴿جَنَّٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾

الشرح: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم في هذه الجنات التسبيح والتقديس للملك الجليل، وقيل: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ بمعنى سؤالهم، وذلك أنه إذا أراد المؤمنون أن يسألوا شيئاً من نعيم الجنة أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح. وقيل: هو نداؤهم الخدم ليأتوهم بما شاؤوا، ثم سبحوا الله وقدسوه، هذا؛ و﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ اسم مصدر. وقيل: مصدر مثل غفران، وليس بشيء؛ لأن الفعل (سبح) بتشديد الباء، والمصدر تسبيح، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله، مثل: معاذ الله، وقد أجري علماً على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَـدْ قُـلْـتُ لَـمَّـا جَـاءَنِـي فَـخْـرُهُ سُـبْـحَـانَ مَـنْ عَـلْـقَـمَـةُ الْـفَـاخِـرُ؟

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهل بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة، فقال موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام. ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال ذو النون ـ عليه السلام ـ: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقد نزه الله ذاته في كثير من الآيات بنفسه تنزيهاً لائقاً به. ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٣٢] (الأنفال). ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أي: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، أو تحييهم الملائكة بالسلام، أو هي تحية الله لهم، هذا؛ والتحية مصدر حياه الله بتشديد الياء، وأصل معناه: الدعاء له بالحياة، ثم عم في كل كلام يلقيه بعض الناس على بعض بقصد الدعاء، كقولهم: أبيت اللعن، وانعموا صباحاً، أو مساءً، ونحو ذلك، ثم خصته الشريعة الإسلامية بكلام معين، وهو قول القائل: السلام عليكم. ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ...﴾ إلخ: أي: وآخر دعواهم على جميع اعتباراته وتفسيراته هو أن يحمدوا الله على ما أنعم به عليهم من صنوف النعم، وقرئ برفع (الحمد) ونصبه.

هذا؛ ويؤخذ من الآية الكريمة سنية بدء الطعام والشراب بتسبيح الله وتقديسه، وأفضل ذلك البسملة، وأن يختم طعامه وشرابه بالحمدلة.

الإعراب: ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بدعواهم. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافة المصدر لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، وعليه فالخبر هو نفس المبتدأ؛ لأن معنى دعائهم هو هذا اللفظ، مثل: (نطقي: حسبي الله)، وهذا عند الخليل وسيبويه، وقال الكسائي: هو منصوب على أنه نداء مضاف، والمعتمد الأول. ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: منادى مفرد علم، مبني على الضم في محل نصب بيا النداء المحذوفة، والمعوض عنها الميم المشددة في الآخر، والجملة الندائية في محل نصب مفعول به للمصدر. ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله، انظر الشرح. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بتحية لأنه مصدر. ﴿سَلَٰمٌ﴾: خبر لمبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالاتباع. ﴿وَءَاخِرُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿أَنِ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿رَبِّ﴾: صفة، أو بدل من: (الله). و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. . . إلخ، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿ٱلْحَمْدُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنِ﴾، وعلى نصب: (الحمد)

فهو اسمها، و﴿لِلَّهِ﴾ خبرها، وعلى الاعتبارين فهي واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع خبر آخر... إلخ، هذا؛ وقيل: إن ﴿أَنِ﴾ مفسرة والجملة بعدها لا محل لها؛ لأنها تفسيرية، ولا وجه له؛ لأن المبتدأ يبقى بلا خبر، والجملة الاسمية: ﴿وَءَاخِرُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ...﴾ إلخ: المعنى ولو يعجل الله للناس إجابة طلبهم ودعائهم في الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال، كما يحبون أن يعجل لهم إجابة دعائهم بالخير؛ لأهلكوا وماتوا جميعاً، ولكن الله لطيف بعباده، رحيم بخلقه. لا يعجل لهم إجابة دعائهم في الشر، وإن عجل لهم إجابة دعائهم في الخير، والمراد بأجلهم: أجل حياتهم في الدنيا. ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ...﴾ إلخ: أي: فنترك الكافرين الذين لا يخافون لقاءنا يترددون ويتحيرون في متاهات ضلالهم، وكفرهم وعنادهم، إمهالاً، لا إهمالاً، واستدراجاً لهم.

هذا؛ والعمه: التحير والتردد، وهو قريب من العمى، لكن العمى يطلق على ذهاب نور العين، وعلى الخطأ في الرأي، والعمه لا يطلق إلا على الثاني، وفي المصباح، عَمِهَ عَمَهاً من باب تعب: إذا تردد، وتحير، وتعامَهَ مأخوذ من قولهم: أرض عمهاء: إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة، فهو عَمِهٌ وأعمهُ، وهذا الفعل لم أر له ماضياً ولا أمراً، فيظهر أنه فعل جامد لا يأتي منه غير المضارع، وإن ذكر في كتب اللغة ماض له، لكنه لم يستعمل، ولم يتداول.

بعد هذا فالتعجيل: تقديم الشيء عن وقته، والاستعجال طلب العجلة، وسأحدثك عن العجلة في الآية رقم [١] من سورة (النحل)، إن شاء الله تعالى. ﴿لَقُضِىَ﴾: انظر الآية رقم [٤٤] الأنفال، هذا؛ ويقرأ الفعل بالبناء للمعلوم، وبالبناء للمجهول، كما يقرأ لقضينا، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم، انظر الآية رقم [٥٠].

تنبيه: نزلت الآية في أهل مكة حين طلبوا نزول العذاب، وانظر الآية رقم [٣٢] الأنفال، وقال مجاهد: نزلت في الرجل يدعو على نفسه أو ماله، أو ولده إذا غضب... إلخ، فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير؛ لقضي إليهم أجلهم ـ انتهى. فالآية ذامة لخلق ذميم هو في بعض الناس، يدعون في الخير، فيريدون تعجيل الإجابة، ثم يحملهم أحياناً سوء الخلق على الدعاء في الشر، فلو عجل لهم لهلكوا. انتهى. قرطبي. وانظر الآية رقم [٦] من سورة (الرعد)، أقول: وينبغي أن تذكر الآية قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ الإسراء [١١]، هذا؛ واختلف في هذا الدعاء، فروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنّي**

سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وجلَّ أنْ لا يَسْتَجيبَ دعاءَ حَبيبٍ عَلَى حَبِيبِهِ»، قال بعضهم: وقد يستجاب ذلك الدعاء، واحتج له بأحاديث تركتها اختصاراً، منها حديث الذي لعن ناقته، وخذ ما يلي: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي اتخذْتُ عنْدَكَ عهداً، لن تُخْلِفَنِيهِ، فإنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أغضبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فأيُّمَا رَجُلٍ مِنَ المسلمينَ سبَبْتُهُ، أو لَعَنْتُهُ، أو جلدْتُهُ، فاجْعَلْها لَهُ صلاةً وزكاةً، وقُرْبَةً تقرِّبُهُ بَهَا إلَيكَ يَوْمَ القِيَامةِ، واجْعَلْ ذَلِكَ كفَّارَةً لَهُ يوم الْقِيَامَةِ**». متفق عليه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: مضارع وفاعله، ومفعوله، ومتعلقه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾: في الكلام حذف، فإنَّ التقدير: ولو يعجل. . تعجيلاً مثل استعجالهم بالخير، فحذف (تعجيلاً)، وأقام صفته مقامه، ثم حذف صفته، وأقام المضاف إليه مقامه، هذا مذهب الخليل وسيبويه، وقال الفراء والأخفش: الأصل كاستعجالهم، ثم حذف الكاف ونصب، أي: هو منصوب بنزع الخافض، والأول أولى، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾: متعلقان بالمصدر. ﴿لَقُضِىَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (قضي): ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَجَلُهُمْ﴾: نائب فاعله، وعلى القراءة الثانية، فهو مفعول به، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَقُضِىَ...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وعلى قراءة (لقضينا) فهو فعل وفاعل، ويبقى ﴿أَجَلُهُمْ﴾ مفعول به. ﴿فَنَذَرُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: صلة الموصول. ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: ﴿فَنَذَرُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة محذوفة؛ إذ التقدير، ولكن نمهلهم فنذر. . . إلخ، وهذا الكلام معطوف على (لو) ومدخولها لا محل لها مثله.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أصابه. ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الشدة والبؤس. هذا؛ والضر بضم الضاد: خاص بما في النفس كمرض وهزال، وبفتح الضاد: شائع في كل ضرر ومصيبة. ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضجعاً على جنبه. ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ أي: في جميع حالاته؛ لأن الإنسان

لا يعدو هذه الحالات. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾: أزلنا، ورفعنا عنه الشدة والبلاء. ﴿مَرَّ﴾: استمر على كفره وعصيانه. ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ أي: كأنه لم يطلب منا رفع ضر أصابه، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء، والضيق والفقر. ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ أي: كما زين لهذا الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرخاء؛ ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: للمشركين أعمالهم من الكفر والمعاصي، وهذا التزيين يجوز أن يكون من الله، ويجوز أن يكون من الشيطان.

هذا؛ والمسرف: هو المجاوز الحد في كل شيء، وإنما سمي الكافر مسرفاً؛ لأنه أسرف نفسه وضيعها في عبادة الأصنام، وأتلف ماله وضيعه في البحائر والسوائب، وما كانوا ينفقونه على الأصنام وخدامها. انتهى. خازن، هذا؛ ولا تنسَ أن في المسلمين مسرفين ومجرمين... إلخ.

قال القرطبي: وهذه صفة كثير من المسلمين، إذا أصابته العافية مر على ما كان عليه من المعاصي، أقول: وقوله تعالى في سورة (لقمان): ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ يؤيد ما في هذه السورة.

هذا؛ والإنسان يطلق على الذكر والأنثى من بني آدم، ومثلها كلمة «شخص» قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، ومعلوم أن الله تعالى لم يقصد الذكور خاصة، والقرينة الآيات الكثيرة الدالة على أن المراد الذكر، والأنثى، واللام في الإنسان إنما هي لام الجنس التي تفيد الاستغراق، ولذا صح الاستثناء من الإنسان في سورة العصر، هذا؛ وإنسان العين هو المثال الذي يرى فيها، وهو النقطة السوداء التي تبدو لامعة وسط السواد هذا؛ وجمع الإنسان: الناس انظر الآية رقم [٣٨] من سورة (يوسف) عليه السلام، هذا؛ وقائم، أصله قاوم؛ لأنه من قام يقوم، فقل في إعلاله: قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية منهما همزة، وقل مثله في إعلاله (بائع) من باع يبيع، فالأول واوي، وهذا يائي.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾: ماض ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿دَعَانَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، واللام بمعنى: على، التقدير: مضجعاً على جنبه. ﴿قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾: معطوفان على الحال المحذوفة، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَلَمَّا﴾: (لمّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى حين عند ابن

السراج والفارسي وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني، وجملة: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على القول بحرفية (لمَّا): وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ومتعلقة بالجواب. ﴿مَرَّ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا محل لها. ﴿كَأَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: كأنه. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَدْعُنَآ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾. وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، و(نا): مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾. ﴿إِلَىٰ ضُرٍّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّسَّهُۥ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ضُرٍّ﴾. والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية صفة: ﴿ضُرٍّ﴾. وجملة: ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿كَأَن﴾. والجملة الاسمية: ﴿كَأَن...﴾ إلخ. في محل نصب حال من فاعل ﴿مَرَّ﴾ المستتر. و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله الفعل بعده، وتقدير الكلام: زين للمسرفين ما كانوا يعملون تزييناً كائناً مثل ذلك التزيين الذي فعله الذي أصابه الضر حين يتوجه إلى الله بالدعاء، واللام: للبعد، والكاف: حرف خطاب. ﴿زُيِّنَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلة (ما)، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: زين للمسرفين الذي، أو شيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع نائب فاعل، التقدير: زين للمسرفين عملهم. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خبر كان.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: خطاب لأهل مكة، وبيان لهم بأن الله أهلك من قبلهم من الأمم السابقة بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، والخروج عن طاعة الله تعالى. ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الواضحات، والبراهين الساطعات. ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ أي: وما استقام لهم أن يؤمنوا لعدم استعدادهم، وخذلان الله لهم، وعلمه الأزلي بأنهم يموتون على الكفر، وبأنهم لو خيروا؛ لما اختاروا غير الكفر. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: انظر الإعراب لتقدير الكلام.

ـ هذا؛ و﴿ٱلۡقُرُونَ﴾ جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء مئة سنة على الصحيح، وقيل: ثمانون، وقيل: ثلاثون، ويقال: القرن في الناس أهل زمان واحد، وهو المراد في الآية الكريمة، وقال الرسول ﷺ: «**خَيْرُ القرونِ قَرْني... إلخ**». ومنه قول الشاعر: [الطويل]

إِذَا ذَهَبَ الـقَـرْنُ الـذي أنـتَ فـيـهِـمُـو ... وخُـلِّـفْـتَ فـي قَـرْنٍ فَـأَنْـتَ غَـرِيـبُ

وخذ قول لبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه: [الطويل]

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فانتسِبْ ... لَـعَـلَّـكَ تَـهْـدِيـكَ الْـقُـرُونُ الْأَوَائِـلُ

ـ والقرن بفتح القاف أيضاً: الزيادة العظمية التي تنبت في رؤوس بعض الحيوانات، ومنه إسكندر ذو القرنين، والقرن: الجبل الصغير، وذؤابة المرأة من الشعر، والقرن من القوم: سيدهم، ومن السيف: حده ونصله، وجمعه في كل ما تقدم قرون، هذا؛ وهو بكسر القاف وسكون الراء: الكفؤ في الشجاعة والعلم ونحوهما، والجمع على هذا أقران، وانظر الظلم في الآية رقم [٢٣]. ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ﴾: هذا الفعل يستعمل متعدياً؛ إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما في هذه الآية، ويستعمل لازماً؛ إن كان بمعنى حضر وأقبل، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾.

أقول: وتفسير المجرمين بالمشركين والكافرين هو في الغالب، ولا تنسَ أن في المسلمين مجرمين، يقترفون الكبائر والمنكرات، ويفعلون الشنيع من السيئات، ولا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه المادة، وران على قلوب أكثر المسلمين حب المال، والمنصب، والجاه، وغير ذلك، وانظر المزيد من ذلك في الآية رقم [٨٠] من سورة (التوبة)، أو [١٣]، من سورة (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلۡقُرُونَ﴾: مفعول به. ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلۡقُرُونَ﴾ والكاف: في محل جر بالإضافة. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين، مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾. ﴿ظَلَمُواْ﴾: فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾: مع المفعول المحذوف في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها، وجملة: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ﴾: ماض، والتاء: للتأنيث، والهاء: مفعول به. ﴿رُسُلُهُم﴾: فاعله، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل (جاء)، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُسُلُهُم﴾، وجملة: ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ...﴾ إلخ: في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، و(قد) قبلها مقدرة، وجوز عطفها على جملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾

فتكون في محل جر مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو: اسمه، والألف للتفريق. ﴿لِيُؤْمِنُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام الجحود، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانُوا۟﴾. التقدير: وما كانوا مريدين للإيمان، وهذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله الفعل بعده، التقدير: نجزي القوم.. جزاء كائناً مثل جزاء من سبقهم من الأمم. ﴿نَجْزِى﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: صفته منصوب... إلخ، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: العذاب، أو الهلاك ونحوه، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٤﴾

الشرح: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: الخطاب لأهل مكة، كما في الآية السابقة، والمعنى جعلناكم سكاناً في الأرض من بعد القرون المهلكة. ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: خيراً أو شراً، فنجازيكم بحسب أعمالكم، والنظر هنا بمعنى العلم، يريد: لنختبر أعمالكم، وهو سبحانه يعلم ما يكون، قبل أن يكون ففيه استعارة تمثيلية. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الدُّنْيا حلْوَةٌ خضِرَةٌ وإنَّ اللهَ مستخلفُكُمْ فيها، فينْظُرُ كَيْفَ تعملونَ؟ فاتَّقُوا الدُّنْيا، واحذَرُوا فتنةَ النِّسَاءِ**» أخرجه مسلم.

هذا؛ و﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بمعنى يخلف بعضكم بعضاً، وهو جمع: خليفة، مثل كرائم وكريمة، وصحائف وصحيفة، هذا؛ وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، وفي المصباح: والخليفة أصله خليف بغير هاء؛ لأنه بمعنى الفاعل، دخلته الهاء للمبالغة كعلامة ونسابة، ويكون وصفاً للرجل خاصة، ويقال: خليفة آخر بالتذكير، ومنهم من يقول: خليفة أخرى بالتأنيث، ويجمع باعتبار أصله على خلفاء، مثل شريف وشرفاء، وباعتبار اللفظ على خلائف.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول، ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: مفعول به ثان. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل جعلنا لا غير، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿لِنَنظُرَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال عامله ما بعده. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: في محل نصب مفعول به للفعل (ننظر) المعلق

عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، و«أن» المضمرة والفعل: (ننظر) في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾، وجملة: ﴿جَعَلْنَاكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ في الآية السابقة لا محل لها مثلها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿تُتْلَىٰ﴾: تقرأ. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على كفار قريش. ﴿ءَايَاتُنَا﴾: آيات القرآن. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات لا لبس فيها، ولا إشكال. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: لا يخافون يوم البعث والحساب، ولا يرجون الثواب، وهم أهل مكة، وانظر: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ في الآية رقم [٧]. ﴿ٱئْتِ﴾: أمر من (أتى). وهو يستعمل لازماً، إن كان بمعنى: حضر وأقبل، ومتعدياً إن كان: بمعنى وصل وبلغ، فمن الأول قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ومن الثاني قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ...﴾ إلخ هذا؛ وإعلال ﴿ٱئْتِ﴾ مثل إعلال ﴿ٱئْذَن﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة (التوبة)، ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾: قال القرطبي: الفرق بين تبديله، والإتيان بغيره: أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه، وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه:

ـ **أحدها**: أنهم سألوه أن يحول الوعد وعيداً، والوعيد وعداً، والحلال حراماً، والحرام حلالاً، قاله ابن جرير الطبري.

ـ **الثاني**: أنهم سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلتهم، وتسفيه أحلامهم، قاله ابن عيسى.

ـ **الثالث**: أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور، قاله الزجاج.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ﴾: ما ينبغي ولا يصح لي. ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾: من قبل نفسي، أو من جهتي، وانظر شرح النفس في الآية رقم [٩] من سورة (الأعراف)، وشرح ﴿تِلْقَآئِ﴾ في الآية رقم [٤٧] منها. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: لا أتبع إلا ما أتلوه عليكم من وعد ووعيد، وتحريم وتحليل، وأمر ونهي. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾: أي: إن خالفت في تبديله، وتغييره، أو في ترك العمل به.

هذا؛ وانظر: «الخوف» و«التخوف» في الآية رقم [٥٥] من سورة (الأعراف)، أو الآية رقم [١٣] من سورة (الرعد)، بعد هذا؛ ولا تنسَ أن في هذه الآية التفافاً بالنسبة لما قبلها من الخطاب إلى الغيبة، وانظر الالتفاف في الآية رقم [٥٠] الآتية.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: (إذا): انظر الآية رقم [١٢]، ﴿تُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَاتُنَا﴾: نائب فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿بَيِّنَٰتٍ...﴾: حال من ﴿ءَايَاتُنَا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿تُتْلَىٰ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿قَالَ﴾: ماض، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱئْتِ﴾: أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره،وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره «أنت». ﴿بِقُرْءَانٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿غَيْرِ﴾: صفة قرآن، و﴿غَيْرِ﴾: مضاف، و﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له، وجملة: ﴿ٱئْتِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له. ﴿بَدِّلْهُ﴾: أمر، والهاء: مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لِيٓ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿يَكُونُ﴾ مقدم، والمصدر المؤول من ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ في محل رفع اسم ﴿يَكُونُ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿مَا يَكُونُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مِن تِلْقَآيِٕ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿تِلْقَآيِٕ﴾: مضاف، و﴿نَفْسِيٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء: في محل جر بالإضافة. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿أَتَّبِعُ﴾: مضارع وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، تقديره: «هو». ﴿إِلَيَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، وجملة: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ...﴾ إلخ تعليل للنفي، وهي داخلة في مقول القول. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿عَصَيْتُ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿رَبِّي﴾: مفعول به منصوب... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿عَصَيْتُ رَبِّي﴾: لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن عصيت ربي؛ فإني أخاف، و﴿إِنْ﴾ ومدخولها كلام معترض بين الفعل

﴿أَخَافُ﴾ ومفعوله، وهو ﴿عَذَابَ﴾: لا محل له، و﴿عَذَابَ﴾: مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة: ﴿يَوْمٍ﴾، هذا؛ وإن اعتبرته صفة: ﴿عَذَابَ﴾، وهو مفاد كلام الخازن، فيكون مجروراً على الجوار، وحقه النصب، انظر الجر على الجوار في الآية رقم [٧] من سورة (المائدة) تجد ما يسرك.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: ما قرأت القرآن عليكم، والخطاب لأهل مكة. ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾: ولا أعلمكم الله به على لساني، ويقرأ (لأدراكم) بلام التأكيد، أي: لو شاء الله ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾، ولأعلمكم به على لسان غيري، والمعنى أنه الحق الذي لا محيص عنه، لو لم أرسل به لأرسل به غيري، وقرئ شاذاً: (ولا أدرؤكم ولا أدرأتكم) بالهمزة فيها على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة، أو على أنه الدرء بمعنى الدفع، والمعنى: إن الأمر بمشيئة الله تعالى، لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه. انتهى. بيضاوي.

هذا، والفعل (درى) من أفعال اليقين، وقد ينصب مفعولين، والكثير المستعمل فيه أن يتعدى لواحد بالباء، نحو دريت بكذا، فإن دخلت عليه همزة التعدية، تعدى إلى واحد بنفسه، وإلى واحد بالباء كما في هذه الآية، قال شيخ الإسلام: ومحل ذلك إذا لم يدخل على الفعل استفهام، وإلا تعدى إلى ثلاثة مفاعيل، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ فالكاف مفعول به أول، والجملة الاسمية بعدها سدت مسد المفعولين. انتهى. والذي في الهمع والمغني، قيل: ـ وهو الأوجه ـ: إن الجملة الاسمية سدت مسد المفعول الثاني المتعدي إليه بالحرف، فتكون في محل نصب بإسقاط الجار، كما في: «فكرت، أهذا صحيح أم لا؟» أي: فكرت بما ذكر. انتهى. جرجاوي. فإن كان درى بمعنى ختل، أي: خدع كانت متعدية إلى واحد بنفسها، مثل: دريت الصيد، أي: ختلته وخدعته، قال الأخطل التغلبي: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَقْصَدْتَنِي إذْ رَمَيْتَنِي ... بِسَهْمِكَ فالرَّامِي يَصِيدُ، وَلَا يَدْرِي

أي: يصيد، ولا يختل، ومثله قول الآخر: [الطويل]

فإنْ كُنْتُ لَا أَدْرِي الظِّبَاءَ فَإنَّنِي ... أَدسُّ لَهَا تَحْتَ التُّرَابِ الدَّوَاهِيَا

أي: لا أختل، وإن كانت بمعنى: (حك)، مثل درى رأسه بالمدرى؛ أي: حكه به؛ فهي كذلك متعدية لواحد فقط.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي: مقداراً من الزمان، وهو أربعون سنة من قبل نزول القرآن، تعرفونني بالصدق والأمانة، لا أقرأ، ولا أكتب، ثم جئتكم بالمعجزات، وبهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم، وأخبار الماضين، وفيه من الأحكام والآداب، ومكارم الأخلاق، والفصاحة والبلاغة، ما أعجز البلغاء والفصحاء، عن معارضته. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تتدبرون لعلكم تنتفعون بما فيه، وانظر العقل في الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿تَلَوْتُهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية جواب: ﴿لَّوْ﴾ لا محل لها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَآ﴾: نافية، ﴿أَدْرَىٰكُم﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به أول، والإعراب على القراءات الأخرى ظاهر إن شاء الله تعالى. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على جواب ﴿لَّوْ﴾ لا محل لها مثله. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (قد) حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿لَبِثْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِيكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عُمُرًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿عُمُرًا﴾، والهاء: في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ...﴾ إلخ مستأنفة أو هي تعليلية لا محل لها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة مع الجملة المعطوفة عليها على القول الثاني، ومعطوفة على ما قبلها على القول الأول في الفاء.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلخ: أي: لا أحد أظلم وأفسد ممن افترى على الله الكذب، وبدل كلامه، أو أضاف إليه شيئاً مما لم ينزله، وكذلك لا أحد أظلم منكم إذا أنكرتم القرآن، وافتريتم على الله الكذب، وقلتم ليس هذا كلامه، أو المعنى: افترى على الله الكذب؛ أي: جعل له شريكاً، أو زعم أن له ولداً. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآن، ففيه بيان: أن الكاذب على الله، والمكذب بآياته في الكفر سواء، وما أكثر الناس المكذبين بآيات القرآن في هذا

الزمن، وهم يزعمون: أنهم مسلمون ومؤمنون، والله يشهد إنهم لكاذبون، وانظر الآية رقم [٢١] من سورة (الأنعام)، فهذه الآية مثلها في جميع ألفاظها.

الإعراب: ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (من): اسم استفهام مفيد للنفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِمَّنِ﴾: متعلقان بـ ﴿أَظْلَمُ﴾ و(من) تحتمل الموصوفة والموصولة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (من)، وجملة: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾صلة (من)، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾: معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها، وجملة: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: لأن الأصنام جمادات، لا تقدر على نفع، ولا على ضر، والمعبود ينبغي أن يكون مثيباً ومعاقباً حتى تعود عبادته بجلب نفع، أو بدفع ضر. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المشركون. ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الأصنام. ﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا، وفي الآخرة إن يكن بعث، وحشر، ونشر، و﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا﴾ واقع على ﴿مَا﴾، فقد راعى لفظها فيما بعدها، وراعى معناها بوقوع ﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا﴾ عليها. ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: أي: أتخبرون الله بأن له شريكاً، أو ولداً، وهو لا يعلم بذلك، ففيه توبيخ، وتقريع لهؤلاء الكفرة المفترين على الله. ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: نزه الله نفسه عن الشركاء والأضداد، والأولاد، وغير ذلك.

﴿وَتَعَـٰلَىٰ﴾: تعاظم شأنه، وهذا الفعل يأتي منه ماض، ومضارع، ولا يأتي منه أمر، فهو ناقص التصرف. ﴿يُشْرِكُونَ﴾ أي: معه من الأصنام والأضداد وغير ذلك، هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء والتاء، وعلى الأول فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة.

الإعراب: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يعبدون): فعل وفاعل. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَضُرُّهُمْ﴾: مضارع، وفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، والهاء: مفعول. والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو

الرابط: رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿وَيَعْبُدُونَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا﴾: خبر المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق باسم الفاعل، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَيَعْبُدُونَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقريع. (تنبئون): فعل وفاعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعول به ثان، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء لا يعلمه. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، وهو الضمير. ﴿وَلَا﴾: (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: انظر الآية رقم [١٠]. ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ «عن»، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: تعالى عن الذي، أو عن شيء يشركونه معه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ «عن»، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: تعالى الله وتنزه عن شركهم، والكلام ﴿سُبْحَٰنَهُۥ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: مطبوعين على التوحيد بالفطرة، أو متفقين على الحق، وذلك في عهد آدم ـ عليه السلام ـ إلى أن قتل قابيل أخاه هابيل، أو بعد الطوفان في زمن نوح عليه السلام، أو كانوا على الضلال، والكفر في فترة من الرسل. ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾: باتباع الهوى والأباطيل، والشرك بعبادة غير الله، وهذا على القول الأول بسابقه، أو اختلفوا ببعثة الرسل، فتبعتهم طائفة، وأصرت أخرى على الكفر، وهذا على القول الثاني بسابقة، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾ إلخ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾

أي: بتأخير الحكم بينهم، أو العذاب، الفاصل بينهم إلى يوم القيامة، فإنه يوم الفصل والجزاء، وقيل: الكلمة هي قوله تعالى في الحديث القدسي: «**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**». ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمجرمين، وإبقاء الموحدين.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿النَّاسُ﴾: اسم كان. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿أُمَّةً﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿وَاحِدَةً﴾: صفة (أمة)، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، وجملة: ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿وَلَوْلَا﴾: (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿كَلِمَةٌ﴾: مبتدأ. ﴿سَبَقَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى: ﴿كَلِمَةٌ﴾، والجملة الفعلية صفة: ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. وخبر المبتدأ محذوف. ﴿لَقُضِيَ﴾: اللام واقعة في جواب (لولا). (قضي): ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِيمَا﴾: متعلقان في محل رفع نائب فاعل: (قُضِيَ)، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (في)، هذا؛ وعلى قراءة (قَضى) بالبناء للمعلوم فالفاعل يعود إلى (الله). والجار والمجرور﴿فِيمَا﴾: متعلقان بالفعل (قضى)، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، والجملة الفعلية: ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: صلة (ما)، أو صفتها، وجملة: ﴿لَقُضِيَ...﴾ إلخ جواب (لولا) لا محل لها، و(لولا) ومدخولها كلام معطوف على الجملة الفعلية قبلها لا محل له مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكة. ﴿لَوْلَآ﴾: هلا. ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﷺ، ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: معجزة غير معجزة القرآن، وانشقاق القمر، وغيرهما مما شاهدوه، وإنما يريدون مما اقترحوه: كجعل الجبال ذهباً، وكون بيت له من زخرف، وإحياء من مات من آبائهم، وقال الضحاك: عصا كعصا موسى. ﴿فَقُلْ﴾: الخطاب للرسول ﷺ. ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: إن الذي سألتموه إنما هو من الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: ترقبوا نزول، أو ظهور ما اقترحتموه. ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ أي: قضاء الله فيما بيننا وبينكم بإظهار المحق على المبطل، وهو كقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ وانظر الآية رقم [١٠٢] الآتية.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: (يقولون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَةٌ﴾:

نائب فاعل. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَةٌ﴾. وجملة: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿فَقُلۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلۡغَيۡبُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (انتظروا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿مَعَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، وجملة: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر محذوف، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً وحاصلاً؛ فانتظروا، وهذا الشرط المقدر وجوابه في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ أي: وإذا أنزلنا على الناس ـ وهم أهل مكة ـ. ﴿رَحۡمَةٗ﴾ سعة في الرزق ورخاء في العيش من بعد نزول الجدب والقحط، وضيق العيش، ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ أي: تكذيب واستهزاء بآيات الله، وتدبير المكايد للرسول ﷺ، هذا؛ والمكر: تدبير المكايد في الخفاء، وهو أيضاً احتيال وخداع. ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ أي: أشد عقاباً، وأقدر على الجزاء والانتقام منكم، والله منزه عن المكر بالمعنى المتقدم، وإنما ذكر العقاب والانتقام بلفظ المكر للمشاكلة، وقد مر معنا كثير من هذا، انظر الآية رقم [٦٧] (التوبة) والآية رقم [٣٠] الأنفال، وغيرهما. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ أي: إن الحفظة الكرام الكاتبين ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ يسجلون كيدكم ومكركم، ويحفظون عليكم الأعمال القبيحة السيئة إلى يوم القيامة؛ حتى تفتضحوا بها، ويجازيكم على مكركم أشد الجزاء، وأعظمه، وانظر الحفظة والكاتبين في الآية رقم [٦١] من سورة (الأنعام)، والآية رقم [١١] من سورة (الرعد).

هذا؛ و﴿تَمۡكُرُونَ﴾ بالتاء فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، انظر الالتفات في الآية رقم [٥٠] ويقرأ بالياء، وعليه فلا التفات، هذا؛ وفي قوله ﴿أَذَقۡنَا﴾ استعارة تصريحية تبعية، فعبر عن لذة الخصب والرخاء بالإذاقة، كما عبر عن ألم العذاب والانتقام بها في كثير من الآيات.

تنبيه: روي: أنه حبس المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط، ثم إن الله تعالى رحمهم، فأنزل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد، وعاش الناس بعد ذلك الضر، فلم يتعظوا بذلك، بل رجعوا إلى الفساد والكفر، وتدبير المكايد، والخداع.

الإعراب: ﴿وَإِذَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [١٢]. ﴿أَذَقْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بـ ﴿رَحْمَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿ضَرَّآءَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف، ﴿مَسَّتْهُمْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى: ﴿ضَرَّآءَ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿ضَرَّآءَ﴾. ﴿إِذَا﴾: للمفاجأة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٦]، من سورة (الأعراف)، تجد ما يسرك. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّكْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾: متعلقان بـ ﴿مَّكْرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿أَذَقْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح، وجواب (إذا)، ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾. ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿أَسْرَعُ﴾: خبره، ﴿مَكْرًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رُسُلَنَا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿يَكْتُبُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله ﴿مَا تَمْكُرُونَ﴾ إعرابه مثل إعراب: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في الآية رقم [١٨] بلا فارق مع ملاحظة أن (ما) هناك مجرورة، وهنا منصوبة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: الله هو الذي يسهل لكم السير في البر على ظهور الدواب، واليوم على الحديد والبخار كما هو مشاهد، وفي البحر على ظهور السفن والبواخر، هذا؛ و«البرُّ» بفتح الباء: الأرض اليابسة غير البحر، وهو بضم الباء حب القمح، وبكسرها عمل الخير أياً كان، هذا؛ و(البحر): الماء الكثير، أو الملح، والجمع بحور وبحار وأبحر- انتهى. قاموس. هذا؛ وقرئ (ينشركم): بالشين، أي: يبثكم ويفرقكم. فهو مثله. ﴿ٱلْفُلْكِ﴾: انظر الآية رقم [٣٧] من سورة (هود) وما بعدها. ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: سارت السفن بركابها في البحر بريح لينة الهبوب. ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ أي: سروا بالريح الطيبة التي تسيِّر البواخر بهدوء ورفق ولطف. وانظر الآية رقم [٥٨] الآتية. ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: فاجأت السفن، أو الريح الطيبة رياح شديدة الهبوب. ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: أحاط بهم موج البحر من جميع الجهات. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: اعتقدوا: أن البلاء وأسباب الهلاك نزلت بهم من جميع الجهات. ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: سألوا الله وحده أن ينجيهم، وتركوا ما كانوا

يعبدون، وفي هذا دليل على أن الخلق قد جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه، وإن كان كافراً؛ لانقطاع الأسباب، ورجوعه إلى رب الأرباب، ففي حالة الخوف والشدة والبلاء كل واحد يعود إلى الله بالالتجاء إليه، والاعتماد عليه حتى الملاحدة والدهريين في هذا العصر. ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ أي: من هذه الشدائد، وهذا البلاء، أي: يقولون ذلك. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: العاملين بما يرضيك على نعمة النجاة من هذا البلاء، وانظر الشكر في الآية رقم [١١٢] التوبة. وفي قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم، وينكر عليهم، وانظر الالتفات في رقم [٥٠].

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، وجملة: ﴿يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: صلة الموصول لا محل لها. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، ويعتبرها الأخفش جارة لـ ﴿إِذَا﴾، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى قول الأخفش تحتمل أن تكون متعلقة بالفعل ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾، وهو ظاهر قول الزمخشري، وأن تكون متعلقة بمحذوف دل عليه السياق، التقدير: دام ذلك إلى وقت سيركم في البر والبحر. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء: اسمه. ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر كان، وجملة: ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿وَجَرَيْنَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِرِيحٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من نون النسوة، التقدير: ملتبسة بريح طيبة. ﴿وَفَرِحُواْ﴾: فعل وفاعل. والألف للتفريق. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَجَرَيْنَ...﴾ إلخ و﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾: معطوفتان على جملة: ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: فهما في محل جر مثلها. وجواز أن تكون الثانية حالاً من الضمير في ﴿بِهِم﴾، والرابط: الواو، والضمير، وتكون (قد): قبلها مقدرة. ﴿جَآءَتْهَا﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والهاء: مفعول به. ﴿رِيحٌ﴾: فاعل. ﴿عَاصِفٌ﴾: صفة: ﴿رِيحٌ﴾. وجملة: ﴿جَآءَتْهَا...﴾ إلخ: جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ﴾: لا محل لها مثله. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَوْجُ﴾، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿مَكَانٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿أُحِيطَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظنوا) والجملة الفعلية معطوفة على جواب، ﴿إِذَا﴾ لا محل لها مثله. ﴿دَعَوُاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية بدل من جملة: ﴿وَظَنُّوٓاْ...﴾ إلخ؛ لأن دعاءهم من لوازم ظنهم. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من واو الجماعة

منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بـ ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿الدِّينَ﴾: مفعول به لـ ﴿مُخْلِصِينَ﴾، ﴿لَئِنْ﴾: اللام: موطئة للقسم. إن: حرف شرط جازم. ﴿أَنجَيْتَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَنَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، واللام واقعة في جواب القسم، واسمه مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (نكونن)، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف لا محل لها، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وانظر الآية رقم [٤٢] التوبة، والكلام﴿لَئِنْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف يقع حالاً مثل: ﴿مُخْلِصِينَ﴾. التقدير: قائلين: لئن... إلخ.

﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ﴾: خلصهم، وأنقذهم من الغرق والخطر الذي أحاط بهم إجابة لدعائهم. ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: عادوا إلى الفساد، والكفر، والضلال، والمعاصي بسرعة فائقة مبطلين ومعتدين، وقوله ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: احتراز عن دخول المسلمين بلاد الكفار، والاستيلاء عليها، وإن أدى ذلك إلى تخريب دورهم، وحرق زروعهم، وقلع أشجارهم، كما فعل رسول الله ﷺ ببعض الكفار الذين نكثوا العهود، وأخلفوا الوعود. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: هذا النداء يعم جميع بني آدم. ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾: إن وبال البغي والظلم راجع عليكم، أو على أمثالكم من جنسكم. ﴿مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ أي: البغي منفعة الحياة الدنيا، لا تبقى، ويبقى عقابه، وما الحياة الدنيا إلا أيام قليلة، والعاقل لا يغتر بها. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ...﴾ إلخ: أي: أن مرجعكم إلينا، وهذا يكون بالموت أولاً، ثم بالبعث والحشر والنشر ثانياً، فنخبركم بما عملتموه في هذه الدنيا من خير أو شر، فنجازيكم ما تستحقونه من جزاء.

هذا؛ والبغي: هو الظلم والاعتداء على حق غيرك، وعواقبه ذميمة، ومآل الباغي وخيم، وعقابه أليمة، ولو أن له جنوداً بعدد الحصى والرمل والتراب، ورحم الله من يقول: [البسيط]

لَا يَأْمَنِ الدَّهرَ ذُو بَغْيٍ، وَلَوْ مَلِكاً ... جُنُودُهُ ضَاقَ عَنْهَا السَّهْلُ والْجَبَلُ

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تمكُرْ، ولا تُعِنْ ماكِراً، ولا تَبْغِ ولا تعِنْ باغياً، ولا تنكُثْ ولا تعِنْ ناكِثاً**». وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾، وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

(ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كُنَّ عليهِ)، وتلا الآيات الثلاث، وعن النبي ﷺ أنه قال: «**أسْرَعُ الخيْرِ صلةُ الرَّحِمِ، وأعجلُ الشرِّ البغْيُ، واليمينُ الفاجرةُ**»، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: (لَوْ بغَى جبلٌ على جبَلٍ لَدُكَّ الباغي) ورحم الله من يقول: [البسيط]

يَا صَاحِبَ الْبَغْيِ إنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ ... فَارْبَعْ فَخَيْرُ فَعَالِ الْمَرءِ أَعْدَلُهُ

فَلَوْ بغَى جَبَلٌ يوماً على جَبَلٍ ... لانْدَكَّ منْهُ أعالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

وكان المأمون العباسي يتمثل بهذين البيتين في أخيه الأمين، حين ابتدأ بالبغي عليه، قال الشاعر الحكيم: [مجزوء الكامل]

والْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ ... والظُّلْمُ مرتَعُهُ وخيمُ

هذا؛ وانظر أنواع الظلم في رسالة: (الحج والحجاج في هذا الزمن) وأقبح أنواع الظلم أن يظلم الإنسان نفسه بارتكاب المعاصي والسيئات، فيسبب لها الخلود في نار جهنم.

هذا؛ وقد وصف سبحانه في هذه الآية وغيرها الحياة التي يحياها ابن آدم بالدنيا لدناءتها وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله من قال: [الكامل]

يا خاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى، وقَرَارةُ الْأَكْدارِ

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ في يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَداً تبَّاً لَهَا مِنْ دَارِ

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٢]، ﴿أَنجَىٰهُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى الله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لَمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿إِذَا﴾: للمفاجأة. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَبْغُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(غير) مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿يَبْغُونَ...﴾ إلخ: في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ...﴾ إلخ: جواب (لما) لا محل لها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأعراف)، أو الآية رقم [٨٨] من سورة (يوسف) على نبينا وعليه ألف صلاة وألف سلام، فإنه جيد. و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿بَغْيُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مَّتَٰعَ﴾: بالرفع خبر المبتدأ وعليه فالجار والمجرور ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾: متعلقان بالبغي؛ لأنه مصدر. وقيل: ﴿مَّتَٰعَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ذلك متاع، أو هو متاع، وعليه فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، هذا؛ وعلى قراءة: ﴿مَّتَٰعَ﴾

بالنصب، فقيل: هو مفعول به للمصدر (بغي)، فيكون بمعنى: طلبكم متاع، وقيل: هو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: يمنعكم بذلك متاع، وقيل: هو مفعول لأجله، وعليه فالجار والمجرور: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وقيل: متعلقان بالبغي، والخبر محذوف، تقديره: مذموم، أو منهي عنه، أو مكروه، ونحوه، وحسن الحذف لطول الكلام، و﴿مَّتَٰعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ...﴾ إلخ: ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾: مضارع. والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: انظر إعراب: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ فهو مثله، وذلك في الآية رقم [٨].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾: يطلق هذا اللفظ في الأصل على المأكول من الحيوانات؛ ولكنه يشمل هنا المأكول وغيره، والذي يأكله الناس هو: الحبوب، والخضار، والفواكه، والذي تأكل الأنعام هو: الحشيش، والتبن، وبعض الحبوب، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى الماء النازل من السماء، ومعنى اختلاط النبات به: اشتباكه بسببه حتى خالط بعضه بعضاً. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة، كعروس أخذت من ألوان الثياب والزينة، وتزينت بها. ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾: أصله تزينت، ثم أدغمت التاء في الزاي، فسكن الأول، فدخلت ألف الوصل لأجل سكون أول الفعل، وإنما سكن الأول عند الإدغام؛ لأن كل حرف أدغمته فيما بعده، فلا بد من إسكان الأول أبداً، فلما أدغمت التاء في الزاي سكنت التاء، فاحتيج عند الابتداء إلى ألف الوصل، وله نظائر كثيرة في القرآن الكريم. انتهى. مكي.

هذا؛ وقرئ: (أَزْيَنَتْ)، أي: جاءت بالزينة، و(ازْيَايَتْ) و(ازْايَنَتْ)، وقرئ: (تزيَّنَتْ) على الأصل، و(ازَّانَتْ)، و(ازْيَأَّنَتْ)، والإعراب لا يختلف على جميع القراءات. ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ﴾ أي: أيقنوا أنهم متمكنون من الدنيا، وقادرون على الانتفاع بلذائذها وشهواتها. ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: أتاها أمرنا وقضاؤنا بالإهلاك والفناء. ﴿حَصِيدًا﴾: شبيهاً بما حصد من أصله،

ولم يؤنث ﴿حَصِيدًا﴾؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث، والمفرد وغيره. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: لم تكن عامرة، من غنى بالمكان: إذا قام فيه، وعمره، والمغاني في اللغة المنازل التي يسكنها الناس، وقال قتادة: كأن لم تنعم. وقرئ الفعل ﴿تَغْنَ﴾ بالتاء والياء، هذا؛ و﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ يدل على زمن مضى قبل زمن التكلم لا على التعيين، فإن كان بدون (أل) فيكون مراداً به اليوم الذي قبل يومك الذي أنت فيه، وفي هذا الاسم يلغز، فيقال: (ما الاسم الذي إذا عرِّف نُكِّرَ، وإذا نكِّرَ عُرِّف؟). ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: الدلالات على قدرة الله تعالى، قد بيناها وفصلناها فصلاً فصلاً. ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في تلك الآيات، فينتفعون بذلك التفكير.

تنبيه: في الآية الكريمة تشبيه التمثيل، الذي هو منتزع من متعدد، فقد شبه الله الدنيا وبهجتها، وإقبالها على العبد، وركونه إليها في النبات الذي ينزل عليه المطر، وهذا النبات يقوى ويشتد، ويزهو يوماً بعد يوم؛ ولكنه لا يلبث أن يصفر، ثم ييبس، ثم يكون هشيماً وحطاماً، كما ذكر سبحانه في الآية رقم [٤٥] من سورة (الكهف)، والآية رقم [٢٠] من سورة الحديد، وكذلك الدنيا مآلها إلى الهلاك والدمار، والفناء، هذا؛ وكذلك حياة الإنسان شبيهة بالنبات والزرع الذي ينزل عليه المطر، ومع الاختصار في الكلام خذ هاتين البيتين، ففيهما عبرة لأولي الألباب: [البسيط]

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ ... لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الآفاتِ مَقْصُودُ

فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الآفاتِ أَجْمَعِهَا ... فَأَنْتَ مِنْ بَعْدِ ذَا لَا بُدَّ مَحْصُودُ

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿كَمَآءٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، هذا؛ والكوفي يعتبر الكاف اسماً مبنياً على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، وهي مضاف، و(ماء) مضاف إليه. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ماء. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، وجملة: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر صفة مثلها. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء يأكله الناس والأنعام. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [١٢]، ﴿أَخَذَتِ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: فاعل. ﴿زُخْرُفَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَخَذَتِ...﴾ إلخ: في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾: (ازينت): ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ والتاء للتأنيث، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿وَظَنَّ﴾: ماض. ﴿أَهْلُهَآ﴾: فاعل، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿قَٰدِرُونَ﴾: خبر (أن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿عَلَيْهَآ﴾: متعلقان بـ ﴿قَٰدِرُونَ﴾، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظن). وجملة: ﴿وَظَنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿أَتَىٰهَآ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، و(ها): مفعول به. ﴿أَمْرُنَا﴾: فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَيْلًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿نَهَارًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿أَتَىٰهَآ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، هذا؛ والأخفش يعتبر: ﴿إِذَآ﴾: مجرورة بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ وهو غير مسلم له. وجملة: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾: معطوفة على جواب ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها مثله. ﴿كَأَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَغْنَ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْأَرْضُ﴾. ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿كَأَن﴾ والجملة الاسمية: ﴿كَأَن...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، أو هي من تعدد المفعول الثاني. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: انظر إعراب هذا اللفظ، وتعليق مثله في الآية رقم [١٣] ﴿نُفَصِّلُ﴾: مضارع والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: في محل جر صفة (قوم)، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دار السلامة من الأذى والكدر، أو دار التحية؛ لأن أهلها ينالون من الله التحية والسلام، وكذلك من الملائكة، وقال الحسن: إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم، كما قال تعالى في الآية رقم [١٠] ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: يوفق ويثبت. ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: المراد به: طريق الخير والهداية والنور.

قال الخازن: لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا، وأنها فانية زائلة لا محالة؛ دعا عباده إلى دار السلام، والمعنى: أن من دخلها فقد سلم من المكاره، والآفات، كالموت، والمرض، والمصائب، والحزن، والغم، والتعب والنكد، وفيه دليل على أن فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ لأن العظيم لا يدعو إلا إلى عظيم، ولا يصف إلا عظيماً، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه. انتهى بتصرف كبير.

وقال يحيى بن معاذ ـ رحمه الله تعالى ـ: يا بن آدم دعاك الله إلى دار السلام. فانظر من أين تجيبه؟ فإن أجبته من دنياك؛ دخلتها، وإن أجبته من قبرك؛ منعتها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الجنان سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، انتهى قرطبي. والمشهور: أن الجنان ثمان، انظر الآية رقم [٢٣]، من سورة (الرعد)، وانظر الآية رقم [٤٥]، من سورة (الحجر) لدركات النار.

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الله): مبتدأ. ﴿يَدْعُوٓا۟﴾: مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى الله والمفعول محذوف، تقديره: عباده. ﴿إِلَىٰ دَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿دَارِ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿يَدْعُوٓا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَيَهْدِى﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى الله، ﴿مَن﴾: تحتمل الموصولة والموصولة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف، التقدير: يهدي الذي، أو شخصاً يشاؤه، أو يشاء هدايته، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة صراط، وجملة: ﴿وَيَهْدِى...﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي: العمل، حيث قاموا بما أمرهم الله به، وابتعدوا عما نهاهم عنه. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنى وهي الجنة. ونعمت المثوبة هي لمن آمن وعمل صالحاً، وانظر الآية رقم [٥٢] التوبة، إن أردت الزيادة في الشرح. ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: اختلف المفسرون في هذه الزيادة، واعتمد أنها النظر إلى وجهه الكريم، وذلك لما يلي.

فعن صهيب الرومي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، يقولُ اللهُ تباركَ وتعالَى: أتُريدونَ شيئاً أزيدُكُمْ؟ فيقولونَ: ألَمْ تُبيِّضْ وجوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجنةَ، وتُنْجِنا من النارِ؟ قَالَ: فيكشِفُ الحجابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إليهِمْ مِنَ النَّظرِ إلى رَبِّهِمْ تَبارَكَ وتعالى**». زاد في رواية: «**ثم تلا هذه الآية**: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» أخرجه مسلم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٢] من سورة (التوبة) والآية رقم [٣٨]، من سورة (النور) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: قيل: معناه: ولا يلحق، وقيل: لا يعلو، وقيل: لا يغشى، والمعنى متقارب. ﴿وُجُوهَهُمْ﴾: جمع وجه، وخص سبحانه الوجوه بالذكر؛ لأن الوجه أشرف الأعضاء الظاهرة،

وفيه أكثر الحواس؛ ولأنه موضع السجود، ومظهر آثار الخشوع والخضوع. ﴿قَتَرٌ﴾: غبرة فيها سواد. ﴿ذِلَّةٌ﴾: هوان ومذلة، والمعنى: لا يصيبهم ما يصيب أهل النار من حزن، وكآبة، وسوء حال. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الموصوفون بما ذكر. ﴿الْجَنَّةِ﴾: انظر الآية رقم [٧٢]، من سورة (التوبة). ﴿خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون لا يخرجون منها أبداً.

الإعراب: ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿أَحْسَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿الْحُسْنَىٰ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها مستأنفة، والثاني: أنها في محل نصب حال من الضمير المستتر في متعلق ﴿لِّلَّذِينَ﴾: وهذا لا يصح إلا بإضمار مبتدأ؛ لأن المضارع المنفي لا تسبقه واو الحال وإذا وقع مثل ذلك فهو على تقدير مبتدأ قبلها، فتكون الجملة اسمية، والثالث: أن الفعل في محل رفع عطفاً على ﴿الْحُسْنَىٰ﴾، فهو في محل رفع مثله، وهذا يعني تقدير (أن) المصدرية قبل الفعل: ﴿يَرْهَقُ﴾؛ ليصح جعله معه في محل رفع مبتدأ مخبراً عنه بالجار والمجرور، التقدير: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ﴾، وأن لا يرهق، أي: وعدم رهقهم، فلما حذفت (أن) رفع الفعل المضارع؛ لأنه ليس من مواضع إضمار (أن) ناصبة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ والمثل «تَسْمعُ بالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تراهُ». ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿ذِلَّةٌ﴾: معطوف على ﴿قَتَرٌ﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿أَصْحَٰبُ﴾: مضاف، و﴿الْجَنَّةِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله ضمير مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ...﴾ إلخ: في محل نصب حال من ﴿أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ﴾، أو من ﴿الْجَنَّةِ﴾ نفسها، والرابط على الاعتبارين: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الإشارة، واعتبارها مستأنفة ضعيف.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا۟ السَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿كَسَبُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٨]. ﴿السَّيِّـَٔاتِ﴾: جمع سيئة. ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: ما من أحد يحفظهم ويمنعهم من غضب الله وانتقامه. ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ أي: كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم؛ وذلك لفرط سوادها

وظلمتها، هذا؛ وقد قرئ ﴿قِطَعًا﴾ بفتح الطاء وسكونها، فالأول: جمع قطعة، والثاني: اسم ما قطع فسقط، وقال ابن السكيت: القطع: طائفة من الليل، انظر الآية رقم [٨١] من السورة الآتية. هذا؛ وقوله تعالى: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ﴾: مشاكلة، انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنفال).

تنبيه: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم أنه لمَّا شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين، وما أعدَّ لهم من الكرامة؛ شرح في هذه الآية حال مَنْ أقدم على السيئات، والمراد بهم: الكفار والمقصود من التقييد بقوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات؛ لأن الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها تفضلاً، وتكرماً، وأما السيئات؛ فإنه يجازى عليها بمثلها عدلاً منه سبحانه وتعالى. انتهى بتصرف كبير مني. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: قال سليمان الجمل: عبارة السمين: فيه سبعة أوجه: **أحدها**: أن يكون ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطفاً على ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ أي: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، فتعادل التقسيم، كقولك: في الدار زيد، والحجرة عمرو، وهذا يسميه النحويون عطفاً على معمولي عاملين مختلفين وهذا يعني: أن الجار والمجرور ﴿لِّلَّذِينَ...﴾ إلخ أي: في التقدير متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿جَزَآءُ﴾ مبتدأ مؤخر، وفي الظاهر ﴿جَزَآءُ﴾ معطوف على ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾. تأمل.

الوجه الثاني: أن (الذين) مبتدأ أول، و﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ﴾ مبتدأ ثان، وخبره: ﴿بِمِثْلِهَا﴾، والباء: فيه زائدة؛ أي: وجزاء سيئة مثلها.

الثالث: أن الباء: ليست زائدة، والتقدير مقدر بمثلها، أو مستقر بمثلها، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن الأول.

الرابع: أن خبر ﴿سَيِّئَةٍ﴾ محذوف، فقدره الحوفي بقوله: لهم جزاء سيئة، قال: ودل على تقدير (لهم) قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ حتى تتشاكل هذه بهذه، وقدره أبو البقاء: (جزاء سيئة بمثلها واقع) وهو وخبره أيضاً خبر عن الأول، وعلى هذين التقديرين، فالباء: متعلقة بنفس جزاء؛ لأن هذه المادة تتعدى بالباء، فإن قلت: أين الرابط بين هذه الجملة والموصول الذي هو المبتدأ؟ قلت: على تقدير الحوفي هو الضمير المجرور باللام المقدر خبراً، وعلى تقدير أبي البقاء: هو محذوف تقديره: جزاء سيئة بمثلها واقع، نحو: السمنُ مَنَوَانِ بدرهمٍ، وهو حذف مطرد لما عرفته غير مرة.

الخامس: أن يكون الخبر الجملة المنفية من قوله: ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾؛ وعليه يكون قد فصل بين المبتدأ وخبره بجملة اعتراض.

السادس: أن الخبر الجملة: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ...﴾ إلخ؛ وعليه يكون قد فصل بين المبتدأ وخبره بثلاث جمل اعتراض.

السابع: أن الخبر هو: الجملة من قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ؛ وعليه يكون قد فصل بأربع جمل معترضة. وينبغي أن لا يجوز الفصل بثلاث جمل، فضلاً عن أربع، انتهى. بتصرف.

هذا؛ وعلى اعتبار (الذين) معطوفاً على ما قبله، فهو مبني على الفتح في محل جر، وعلى اعتبار مبتدأ فهو مبني على الفتح في محل رفع. ﴿كَسَبُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿جَزَآءُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿سَيِّئَةِۭ﴾مضاف إليه. ﴿بِمِثۡلِهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وقيل: الباء زائدة، و(مثلها) مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه خبر، وقيل: ﴿بِمِثۡلِهَا﴾ متعلقان بـ ﴿جَزَآءُ﴾، والخبر محذوف، تقديره واقع، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والرابط محذوف، التقدير: لهم أو بهم حسب المعنى، وعليه فلا بد من تقدير مضاف قبل (الذين)، أي: وجزاء الذين كسبوا... إلخ، هذا؛ وقيل: إن التقدير: فلهم جزاء سيئة بمثلها، وهذا يعني أن (لهم) متعلقان بمحذوف خبر ﴿جَزَآءُ﴾ مقدماً في التقدير، وتبقى الجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وزيدت الفاء بخبر المبتدأ في التقدير؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وجملة: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾: قيل في محل نصب حال من واو الجماعة، ويضعفه اقتران الواو بها؛ لأن الجملة المضارعية المثبتة الواقعة حالاً، لا تقترن بالواو، وقيل: معطوفة على جملة: ﴿كَسَبُواْ...﴾ إلخ: ويضعفه عطف المستقبل على الماضي، والأصح: أنها مستأنفة؛ على اعتبار ما قبلها خبراً عن الموصول، وعلى اعتبار (الذين...) إلخ: معطوفاً على ما قبله، ومعترضة على اعتبار الموصول مبتدأ، خبره ما بعدها. ﴿مَّا لَهُم﴾: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ ﴿عَاصِمٖ﴾ بعدهما. ﴿عَاصِمٖ﴾: مبتدأ مؤخر. ويجوز اعتباره فاعلاً بالجار والمجرور ﴿لَهُم﴾ لاعتماده على النفي، وهو في الحقيقة فاعل بفعل محذوف، التقدير: ما ثبت، أو ما يثبت لهم عاصم من الله، وعلى الاعتبارين فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وهو ﴿مِّنۡ﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ: (الذين)، أو هي معترضة لا محل لها، انظر الإعراب المتقدم. ﴿كَأَنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أُغۡشِيَتۡ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿وُجُوهُهُمۡ﴾: نائب فاعل، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿قِطَعٗا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿قِطَعٗا﴾. ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾: صفة ثانية لـ ﴿قِطَعٗا﴾، أو حال منه بعد وصفه بما تقدم، وهذا على قراءة: (قِطْعاً)، بسكون الطاء، وهو حال من الليل على قراءة: (قطَعاً) بفتح الطاء، وجملة: ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ...﴾ إلخ: مثل جملة: ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾: على الاعتبارين فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: انظر الآية السابقة ففيها الإعراب مستوفى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: نجمعهم جميعاً؛ أي: المحسنين والمسيئين المذكورين فيما تقدم لموقف الحساب يوم القيامة، هذا؛ والحشر الجمع من كل جانب وناحية إلى موضع واحد. ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: في الدنيا بعبادة الحجارة والأوثان، أو الشمس والقمر، وغير ذلك. ﴿مَكَانَكُمْ﴾ أي: أثبتوا في مكانكم حتى تسألوا عما فعلتم في الدنيا، ففيه تهديد ووعيد للعابدين والمعبودين، ولا تنسَ أن المؤمنين يلزمون بالوقوف أيضاً حتى يسألوا، ويحاسبوا، ولكن برفق ولطف. ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ أي: ما كنتم تعبدون من دون الله. وتشركونهم معه في التعظيم والتقديس. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرقنا بينهم وبين هؤلاء المعبودين، وقطعنا ما بينهم من التواصل في الدنيا.

هذا؛ وقال أبو البقاء: عين الكلمة واو، لأنه من: زال يزول، وإنما قلبت ياء؛ لأن وزن الكلمة (فيْعَل) أي: زَيْوِلْنا، مثل: بَيْطر وبَيْقر، فلما اجتمعت الواو والياء، والياء ساكنة، قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وقيل: هو من زلت الشيء أزيله، فعينه على هذا ياء، فيحتمل على هذا أن تكون فعلْنا وفَيْعَلنا. انتهى. هذا؛ وقرئ زايلنا، هذا؛ وقال الجلال: زيلنا: ميزنا بينهم وبين المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، وهذا يكون عند الوقوف للسؤال، حين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة وبأهل النار إلى النار.

قال سليمان الجمل: وهذا التفسير بعيد من سابقه ولاحقه؛ إذ هما في الكلام على المشركين ومعبوداتهم، فالأولى القول الآخر الذي جرى عليه غيره كالبيضاوي والخازن، والخطيب. انتهى.

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: قالت الأصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا متبرئين منهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ وإنما كانت الشياطين تأمركم بعبادتنا. فكانت عبادتكم لهم، هذا؛ وإن الله ينطق الحجارة والأوثان يوم القيامة، فتكون هذه المحاورة بين المشركين ومعبوداتهم. هذا؛ وقيل: المراد بالشركاء: الملائكة الذين عبدهم المشركون، وقيل: المراد بهم: الشياطين، والجميع ينطقون، وانظر الآية رقم [٣٤] الآتية.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر يوم، و(يوم) مضاف، والجملة الفعلية: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ في محل جر بالإضافة. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، فهي حال مؤكدة.

﴿نَقُولُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أَشْرَكُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿مَكَانَكُمْ﴾: اسم فعل أمر منقول عن

الظرفية المكانية، وفاعله مستتر فيه وجوباً، هذا؛ وقيل: هو منصوب بفعل محذوف، التقدير: الزموا مكانكم، والأول أولى بالاعتبار، والكاف حرف على الأول لا محل له، وفي محل جر بالإضافة على الثاني. ﴿أَنتُمْ﴾: هذا الضمير توكيد للضمير المستتر في اسم الفعل على الأول، وتوكيد لواو الجماعة في الفعل (الزموا) على الثاني. ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾: معطوف على الضمير المستتر، أو على واو الجماعة، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة: ﴿مَكَانَكُمْ...﴾ إلخ على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿نَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. فهي في محل جر مثلها. ﴿فَزَيَّلْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم...﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء: اسمه. ﴿إِيَّانَا﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿مَّا كُنتُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: معنى الآية الكريمة قد علم الله وكفى به شهيداً أنا ما علمنا أنكم كنتم تعبدوننا، وما كنا عن عبادتكم إيانا من دون الله إلا غافلين، لا نعلم وما نشعر بذلك، انتهى. خازن. هذا؛ والفعل (كفى) بمعنى اكتف، أو نكتفي، وهو جامد ملازم لهذه الصيغة، وتزاد الباء في فاعله كما في هذه الآية وهو لازم لا ينصب المفعول به، وغيرها كثير، وقد يأتي بمعنى: (حسب) وهو بهذه الصيغة، وهو يكون قاصراً لا يتعدى بنفسه إلى المفعول به، ولا تزاد الباء في فاعله، كما في قول سحيم بن وثيل الرياحي عبد بني الحسحاس: [الطويل]

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ، إنْ تَجَهَّزْتَ غَازِيَا ... كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

هذا؛ وقد يأتي الفعل متصرفاً بمعنى: يجزي ويغني، فيتعدى لواحد، ولا تزاد الباء في فاعله، كما في قول الشاعر: [الوافر]

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي، وَلَكِنْ ... قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ: قَلِيلُ

ومثله ما إذا كان بمعنى: (وقى)، أو قام بكفايته في شأن من الشؤون، وهذا يتعدى إلى مفعولين، كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

الإعراب: ﴿فَكَفَىٰ﴾: الفاء: حرف عطف. (كفى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الله): فاعل كفى مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿شَهِيدًا﴾: تمييز. ﴿بَيْنَنَا

﴿وَبَيْنَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿شَهِيدًا﴾، و(نا) والكاف: كلاهما في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية ﴿فَكَفَىٰ...﴾ إلخ، معطوفة على جملة: ﴿مَّا كُنتُمْ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿إِن﴾: حرف مخفف من الثقيلة مهملة لا عمل لها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون. و(نا): اسمه. ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾: متعلقان بـ (غافلين) بعدهما، والكاف: في محل جر بالإضافة. ﴿لَغَـٰفِلِينَ﴾: اللام: هي الفارقة بين «إنَّ» المهملة والعاملة، وهي لازمة في حال الإهمال. (غافلين): خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الفعلية: ﴿إِن كُنَّا...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول مثل سابقتها.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك المقام، أو في ذلك الموقف، أو في ذلك الوقت. ﴿تَبْلُوا۟﴾: تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره، وقرئ: (تتلو) أي: تقرأ كل نفس كتابها الذي كتب عليها، وقرئ (نبلو) أي: نختبر كل نفس، أي: نفعل بها فعل المختبر لحالها، المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها، ويجوز أن يراد به: نصيب بالبلاء، أي: بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر. ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: هذا الرد يكون يوم القيامة، وهو بمعنى الرجوع، ورجوعهم إلى الله ليحاسبهم على صنيع أعمالهم، ومعنى ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: متولي أمورهم على الحقيقة، لا الذي اتخذوه وليّاً باطلاً من الأصنام وغيرها، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: غاب وذهب عنهم ما كانوا يكذبون في الدنيا من أن الأصنام التي يعبدونها تشفع لهم.

تنبيه: لا تناقض بين قوله تعالى هنا: ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ وبين قوله في سورة (محمد): ﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾؛ لأن ما هنا بمعنى المالك والقاهر، وهو مولاهم في الرزق، وإدرار النعم، وما هناك بمعنى: ليس بمولاهم في المعونة والنصرة، وغير ذلك، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بالفعل بعده، واللام للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿تَبْلُوا۟﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل. ﴿كُلُّ﴾: فاعله على قراءته (تبلو) و(تتلو) وأما على قراءته بالنون، فـ ﴿كُلَّ﴾ مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و﴿كُلُّ﴾: مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مَّآ﴾: اسم موصول أو نكره موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وهذا على رفع ﴿كُلُّ﴾، وفي محل نصب بدلاً من ﴿كُلَّ﴾ على نصبها، وقيل: هي منصوبة على نزع الخافض، أي: بسبب ما أسلفت، انظر الشرح، والجملة بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، التقدير: الذي أو شيئاً أسلفته. ﴿وَرُدُّوٓا۟﴾:

ماض مبني للمجهول، مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿تَبْلُوا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها الأولى بالاستئناف، والثانية بالاتباع. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: بدل من (الله)، وقيل: صفة مجرورة وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْحَقِّ﴾: يالجر بدل أو صفة ثانية، ويقرأ بالنصب، وهو مفعول مطلق مؤكد لما قبله، أو هو على تقدير فعل، أي: أعني الحق، ويجوز رفعه على القطع مما قبله، ويكون التقدير: مولاهم الحق، ولكن لم أر من قرأ به. ﴿وَضَلَّ﴾: ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلقان بما قبلها. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ضل عنهم الذي، أو شيء كانوا يفترونه، وعلى اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ضل عنهم افتراؤهم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المعاندين. ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من المطر النازل من السماء؛ إذ هو سبب للرزق. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: النبات والخارج من الأرض على جميع أنواعه وأشكاله، وانظر الآية رقم [٣] وسماء أصله: (سماو). فيقال في إعلاله: تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت همزة، هذا؛ و(السماء) يذكر ويؤنث، والسماء: كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، والسماء: المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناك، قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إذا نَـزَلَ الـسَّـمَـاءُ بـأرضِ قَـوْمٍ رَعَـيْـنَـاهُ، وإنْ كَـانُـوا غِـضَـابَـا

أراد بالسماء المطر، ثم أعاد الضمير عليه في (رعيناه) بمعنى النبات، وهذا يسمى عند علماء البديع استخداماً. هذا؛ وقد يراد بالسماء السحاب الذي ينزل منه المطر. ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما، أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها، وسرعة انفعالها من أذى شيء، هذا؛ وقد وحد السمع دون الأبصار، لأمن اللبس؛ ولأنه في الأصل مصدر، يقال: سمعت الشيء سمعاً وسماعاً، والمصدر لا يجمع؛ لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير، فلا يحتاج فيه إلى تثنية أو جمع، وقيل: وحد السمع؛ لأن مدركاته نوع واحد، وهو الصوت، ومدركات البصر مختلفة. ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ

﴿ٱلْحَيِّ﴾: انظر الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنعام)، ففيها الكفاية. ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: انظر الآية رقم [٣]، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ أي: أنهم يعترفون أن فاعل هذه الأشياء هو الله تعالى.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم استفهام وتقرير وتوبيخ مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَرْزُقُكُم﴾: مضارع، والكاف في محل نصب مفعول به، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَن يَرْزُقُكُم...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾. ﴿أَمَّن﴾: (أم): حرف عطف بمعنى (بل)، والجملة الاسمية: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وأيضاً الجملة الاسمية: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء: حرف استئناف. السين: حرف استقبال. (يقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو: فاعل. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الله، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿فَسَيَقُولُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَقُلْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣]، (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». الهمزة: حرف استفهام وتقريع وتوبيخ. الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل ومفعوله محذوف للعلم به، والجملة الفعلية: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: معطوفة على جملة محذوفة على رأي: الزمخشري ومن يوافقه، ولا جملة محذوفة على مذهب سيبويه والجمهور، وعلى المذهبين فالكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلْ...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم محذوف، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً وحاصلاً منهم فقل... إلخ، وهذا الشرط المقدر ومدخوله كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: المتولي للأمور المذكورة في الآية السابقة، المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته؛ لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم، ودبر أموركم، لا ما أشركتم به. فماذا بعد الحق؟ أي: ما بعد عبادة الإله الحق إذا تركت عبادته إلا الضلال، فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف تصرفون عقولكم إلى عبادة ما لا يرزق، ولا يحيي ولا يميت. أو كيف تصرفون عن الإيمان بالله تعالى مع قيام البرهان، هذا؛ وانظر شرح الحق في الآية رقم [١٢٠] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ذلكم): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم: حرف دال على جماعة الذكور. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿رَبُّكُمُ﴾: بدل من ﴿ٱللَّهُ﴾، أو صفة له، والكاف: في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. . ﴿ٱلۡحَقُّۖ﴾: بدل أو صفة مثل سابقه، والجملة الاسمية: ﴿فَذَٰلِكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَمَاذَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٣]، (ماذا): يجوز أن يكون اسماً استفهامياً مركباً في محل رفع مبتدأ مبنياً على السكون في محل رفع. ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿بَعۡدَ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡحَقِّ﴾: مضاف إليه، هذا؛ ويجوز اعتبار (ما) اسماً استفهامياً مبنياً على السكون في محل رفع مبتدأ، وذا: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، و﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَعۡدَ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡحَقِّ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلضَّلَٰلُۖ﴾: بدل من خبر المبتدأ، أو من الضمير المستتر فيه، والاستفهام بمعنى النفي. انتهى من قول السمين بتصرف كبير. هذا؛ وقال القرطبي: ذا صلة، وهذا يعني أنَّ (ما): نافية، و﴿بَعۡدَ﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، و﴿بَعۡدَ﴾مضاف، و﴿ٱلۡحَقِّ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلضَّلَٰلُۖ﴾: مبتدأ مؤخر، والمعنى: (ما بعد الحق إلا الضلال)؛ وهذا هو الذي يؤيده المعنى والواقع، لا ما قاله السمين، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَأَنَّىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب حال تقدم على عامله. ﴿تُصۡرَفُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع. . . إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾

الشرح: معنى الآية الكريمة: كما ثبتت الربوبية لله، وثبت أنه ما بعد الحق إلا الضلال، وثبت انصرافهم عن الحق؛ ثبتت ووجبت كلمة الله عز وجل وحكمه الأزلي على الفاسقين بعدم إيمانهم، وذلك؛ لأنهم لو تركوا وشأنهم لما اختاروا إلا الكفر والفساد في الأرض. هذا؛ وتقرأ ﴿كَلِمَتُ﴾ بالإفراد والجمع.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: وجبت كلمة ربك على. . وجوباً ثابتاً مثل ثبوت ربوبيته تعالى، وثبوت ما بعد الحق إلا الضلال، وانظر الآية رقم [١٣]، لتفصيل الإعراب. ﴿حَقَّتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَتُ﴾: فاعل، و﴿كَلِمَتُ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وجملة: ﴿فَسَقُوٓاْ﴾ صلة الموصول، ﴿أَنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة:

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع بدل من: ﴿كَلِمَتُ﴾، أو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لعدم إيمانهم، أو المصدر في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي عدم إيمانهم، وقال الفراء: يجوز (إنهم) بالكسر على الاستئناف. انتهى قرطبي، ولم أر قراءة بالكسر.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ أي، قل يا محمد لهؤلاء المشركين الضالين المضلين: هل يوجد شيء من الأصنام التي تعبدونها من يقدر على أن ينشئ الخلق على غير مثال سبق، ثم يعيده بعد موته، وفنائه، وتفتت أجزائه، وتقطع أوصاله كهيئته أول مرة؟ فإن لم يجيبوا، وبالطبع هم عاجزون، فأجبهم بقولك: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: وإذا كان أحد لا يفعل ذلك، فكيف تصرفون عن الإيمان بالله، والامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه؟! ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

تنبيه: أطلق الله سبحانه ﴿مَّن﴾ على الأصنام، وهي لا تعقل، ولا تضر ولا تنفع، محاكاة لقولهم، ومجاراة لزعمهم: أنها تعقل، وتدرك ما يقال لها، كما عوملت معاملة جمع المذكر السالم في الآية رقم [١٩٣] (الأعراف). هذا؛ وأطلق على الأصنام اسم الشركاء لأحد أمرين: أحدهما: أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة والتعظيم والتقديس، وثانيها: أنهم يشركونها في الأموال والأنعام والزروع، انظر الآية رقم [١٣٨] الأنعام وما بعدها، وإعلال (يعيد)مثل إعلال (يصيب) في الآية رقم [٥١] (التوبة)، وانظر ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ في الآية رقم [٩٥] الأنعام ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام مفيد للتوبيخ والتقريع. ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَّن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يَبْدَؤُا۟﴾: مضارع وفاعله يعود إلى ﴿مَّن﴾، ﴿ٱلْخَلْقَ...﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هَلْ مِن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُعِيدُهُۥ﴾: مضارع والفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وإعراب: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: واضح إن شاء الله تعالى، وجملة: ﴿قُلِ﴾: مع المقول مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾: معطوفة على جملة: ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: فهي في محل رفع مثلها، وإعراب: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: مثل إعراب: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ في الآية رقم [٣٢] إفراداً ومحلاً.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ﴾ أي: بنصب الحجج، وإرسال الرسل، والتوفيق للنظر والتدبر، و(هدى) كما يعدى بـ «إلى» لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهي غاية الهداية، وأنها لم تتوجه نحوه، على سبيل الاتفاق؛ ولذلك عدي بها ما أسنده إلى الله، فإن لم يجيبوا، وبالطبع هم عاجزون؛ فأجبهم بقولك. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ...﴾ إلخ أي: إن الله هو الذي يهدي إلى الحق، فهو أحق بالاتباع، لا هذه الأصنام، التي لا تهتدي إلا أن تهدى، ومثله حال أشراف شركائهم، كالملائكة، والمسيح، وعزير، وكل من عُبد من دون الله، هذا؛ والفعل ﴿يَهِدِّيٓ﴾: يقرأ بست قراءات. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: هذا توبيخ وتقريع وإنكار، أي: ما بالكم ترضون بعبادة من لا ينفع ولا يضر؟ مع أن العقول السليمة لا ترضى بذلك، ولا تقره!.

تنبيه: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ فإن قلت: الأصنام جماد لا تتصور هدايتها، ولا أن تهدي غيرها، فكيف قال: ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾؟ قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال وجهين:

الأول: أن معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال من مكان إلى مكان، فيكون المعنى: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان آخر، إلا أن تحمل، وتنقل، فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الأصنام.

الثاني: أن ذكر الهداية في حق الأصنام على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة، وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل؛ عبر عنها بما يعبر به عمن يسمع ويعقل ويعلم.

الإعراب: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية السابقة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية السابقة ﴿أَفَمَن...﴾ إلخ، الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَحَقُّ﴾: خبر المبتدأ، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُتَّبَعَ﴾: في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير بالاتباع، وإن شئت اعتبرت المصدر في محل رفع على البدل من (مَنْ)، وهو بدل الاشتمال، وأجاز أبو البقاء اعتبار المصدر المؤول مبتدأ مؤخراً، و﴿أَحَقُّ﴾ خبراً مقدماً، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ (من)، والجملة الاسمية: ﴿أَفَمَن...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿أَمَّن﴾: (أم): حرف عطف، وهي متصلة. (من): مبتدأ، وجملة: ﴿لَّا يَهِدِّيٓ﴾: صلة الموصول لا محل لها، وخبر المبتدأ محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: أم الذي لا يهدي أحق أن يتبع، وهذا من تمام المعادل،

والمعنى يقضي: أن الخبر المقدر بعد الاستثناء. تأمل. ﴿إِلَّآ﴾: حرف استثناء. ﴿أَن﴾ حرف مصدري ونصب. ﴿يُهْدَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المقصورة للتعذر، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (من)، و﴿أَن﴾ المضارع في تأويل مصدر في محل نصب على الاستثناء، وهو في الأصل مجرور بحرف جر؛ فلما حذف الجار انتصب المصدر على الاستثناء المتصل، والجملة الاسمية: ﴿أَمَّن...﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (ما): اسم استفهام وتوبيخ مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم محذوف؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر في شأن شركائكم حاصلاً وواقعاً فما لكم تحكمون هذا الحكم الفاسد بعبادتهم، وتقديسهم وتعظيمهم؟! والشرط المقدر ومدخوله معطوف على ما قبله لا محل له. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال عامله ما بعده، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها بمنزلة التوكيد للجملة الاسمية المتضمنة للاستفهام التوبيخي.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: فيما يعتقدون. ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستنداً إلى خيالات فارغة، وأقيسة فاسدة، كقياس الغائب على الشاهد، والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة، والمراد بالأكثر الجميع، أو من ينتمي منهم إلى تمييز ونظر، ولا يرضى بالتقليد الصرف، هذا؛ وأصل (الظن) استعماله في الطرف الراجح، وهنا قد استعمل في الطرف الموهوم فضلاً عن المرجوح، والظن الذي يتبعه المشركون هو: أن الأصنام تشفع لهم. ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: إي إن الظن لا يقوم مقام العلم والحقيقة، ولا ينفع صاحبه شيئاً، وفيه دليل على أن تحصيل العلم في أصول الدين وقواعده واجب، والاكتفاء بالظن والتقليد غير جائز. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: فيه تهديد ووعيد لهؤلاء المشركين الذين قلدوا آباءهم بعبادة الأصنام، وأعرضوا عن الحق والبرهان.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَتَّبِعُ﴾: مضارع. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: فاعل والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ظَنًّا﴾: مفعول به. والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُغْنِى﴾: مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلظَّنَّ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من شيئاً كان صفة له... إلخ. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول مطلق، أو هو مفعول به على تفسير ﴿يُغْنِى﴾ بـ «يدفع»،

والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها، وأيضاً الاسمية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها أيضاً، والجار والمجرور ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌ﴾. وتفصيل الإعراب مثل ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ في الآية رقم [٨]، ومثل ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في الآية رقم [١٨].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: إن هذا القرآن جاء به محمد ﷺ لم يكن اختلاقاً اختلقه محمد، وذلك أن كفار قريش زعموا: أن محمداً ﷺ أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق. ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقاً لما قبله من الكتب التي أنزلها على أنبيائه كالتوراة والإنجيل، ومحمد ﷺ كان أمياً لم يقرأ ولم يكتب، ولم يجتمع بأحد من العلماء المعاصرين له من يهود ونصارى. هذا؛ و﴿تَصْدِيقَ﴾ يقرأ بالرفع والنصب. ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: وتبيين ما في الكتب المتقدمة من العقائد، والشرائع، والحلال، والحرام، والفرائض والأحكام، وفيه إيحاء: أن هذا القرآن حوى جميع ما في الكتب التي سبقته، وزادها تفصيلاً وإيضاحاً. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك في هذا القرآن.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، ويقال: صفة، ولا أسلمه؛ لأنه غير مشتق. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُفْتَرَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ أي: إفتراء، والمصدر يحول إلى اسم المفعول، التقدير: مفترى، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿تَصْدِيقَ﴾: بالنصب خبر لـ «كان» محذوفة مع اسمها، التقدير: ولكن كان تصديق، أو هو مفعول لأجله، عامله محذوف، التقدير: ولكن أنزله الله تصديق. أو هو معطوف على خبر ﴿كَانَ﴾ الأولى، وقيل: هو مفعول مطلق لفعل محذوف. التقدير: ولكن يصدق تصديق، وهو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ولكن هو تصديق، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية السابقة لا محل لها مثلها، و﴿تَصْدِيقَ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله،

وفاعله محذوف. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأن لفظه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: معطوف على ﴿تَصْدِيقَ﴾ على الوجهين المعتبرين فيه، و(تفصيل)مضاف، و﴿الْكِتَابِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿رَيْبَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في محل نصب حال من الكتاب، أو هي مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر ثان على رفع ﴿تَصْدِيقَ﴾، وخبر ثان لـ «كان» المحذوفة على نصب ﴿تَصْدِيقَ﴾. ﴿مِن رَّبِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال ثانية. أو هما متعلقان بـ ﴿تَصْدِيقَ﴾ أو بـ (تفصيل) وتكون المسألة من باب التنازع، أو هما متعلقان بالفعل المقدر، و﴿رَّبِّ﴾: مضاف، و﴿الْعَالَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: أيقول المشركون افترى محمد ﷺ القرآن واختلقه من تلقاء نفسه. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن كان الأمر كما تقولون وتدعون؛ فائتوا بسورة من مثل هذا القرآن شبيهة به في الفصاحة، والبلاغة، وحسن النظم، فأنتم عرب فصحاء بلغاء. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: استعينوا على إتيان سورة مثل هذا القرآن بمن تريدون من غير الله. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم إن محمداً ﷺ اختلق القرآن، وافتراه.

تنبيه: قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى: مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة:

أولها: أنه تحداهم بكل القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ...﴾ إلخ الآية رقم [٨٨] من سورة (الإسراء).

ثانيها: أنه تحداهم بعشر سور، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ...﴾ إلخ الآية رقم [١٣] من سورة (هود) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

ثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة، كما في هذه الآية، والآية رقم [٢٣] من سورة (البقرة).

رابعها: أنه تحداهم بحديث مثله، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٤] من سورة الطور، فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله في إثبات: أن القرآن معجز، ثم إن الله تعالى ذكر السبب الذي لأجله كذبوا بالقرآن، فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا...﴾ إلخ الآية التالية. انتهى بتصرف.

تنبيه: ومعنى قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: فأتوا بسورة مع إنسان أمي مثل محمد ﷺ يساويه في الفصاحة والبلاغة مع كونه لم يقرأ ولم يكتب، ومعنى ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ هنا، أي: بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة، انتهى خازن بتصرف كبير. وبذلك يظهر لك وجه ذكر ﴿مِّن﴾ هناك، وعدم ذكرها هنا. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وهي متضمنة معنى همزة الاستفهام؛ لأنها متصلة بما قبلها. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: ماض، والهاء مفعوله، وفاعله يعود إلى غير مذكور، لكنه مفهوم من المقام؛ إذ المراد به النبي محمد ﷺ، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فَأْتُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر انظر الشرح. ﴿فَأْتُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِسُورَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّثْلِهِۦ﴾: صفة سورة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: (اؤتوا...) إلخ في محل جزم جواب الشرط المقدر انظر الشرح، والشرط المقدر ومدخوله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. (ادعوا): أمر، وفاعله، والألف للتفريق، ومتعلقه محذوف. إذ التقدير: ادعوا لمساعدتكم. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: استطعتم دعوته. ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل (ادعوا) أو هما متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من الضمير المحذوف العائد على ﴿مَنِ﴾، و﴿مِّنَ﴾ بيان لما أبهم فيها. و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: (ادعوا...) إلخ معطوفة على جملة: (ائتوا...) إلخ فهي في محل جزم مثلها ثم هي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ إذ التقدير: إن كنتم صادقين في قولكم؛ فأتوا بسورة مثل هذا القرآن. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: كذب المشركون بما في القرآن من ذكر الجنة والنار، والحشر والصراط والميزان، والجنة والنار وغير ذلك، مما لم يعلموا منه شيئاً؛ لأنهم

كانوا ينكرون ذلك. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: ولم يأتهم بيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله به في القرآن من الانتقام الشديد، والأخذ السريع؛ حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب، والمعنى: أن القرآن معجز من جهة اللفظ، ومعجز من جهة المعنى، وهم قد كذبوا به قبل أن يتأملوا لفظه، وقبل أن يتدبروا معناه، واستمرار النفي بـ (لمَّا) يفيد أنه قد ظهر لهم فيما بعد إعجازه لكثرة ما تحداهم به، ومع ذلك بقوا مصرين على الكفر تمرداً وعناداً، وهذا كان قبل الهجرة، ولكن بعد الهجرة تفهموا معناه، وتدبروا آياته؛ لذا فقد آمن منهم خلق كثير، ولا سيما بعد معاهدة الحديبية التي فتحت الباب على مصراعيه للتفاهم بين المسلمين وبين المشركين. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كما كذب هؤلاء بالقرآن كذبت الأمم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم، أو توعدوهم به. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ...﴾ إلخ: الخطاب للنبي ﷺ، أي: فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الأمم السابقة، فعاقبة من كذبك تكون مثل عاقبة هؤلاء، ففيه تسلية للنبي ﷺ، ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس، ليعتبر من يعتبر.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وانتقال. ﴿كَذَّبُوا۟﴾: فعل وفاعل والألف للتفريق. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، وجملة: ﴿لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: واو الحال. (لما): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَأْتِهِمْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لما)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة بـ ﴿كَذَّبُوا۟﴾ والرابط: الواو، والضمير، وجوز عطفها على جملة الصلة، والحالية أقوى. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله الفعل الذي بعده، التقدير: كذب الذين من قبلهم تكذيباً كائناً مثل تكذيب كفار قريش للقرآن الكريم، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [١٣]، ﴿كَذَّبَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها، وكذلك جملة: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: هي الفصيحة وانظر الآية رقم [٣]، (انظر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر كان، تقدم عليها وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل قبلهما، المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وجملة (انظر...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر بـ «إذا»، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً؛ فانظر، وهذا الكلام كله مستأنف لا محل له.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أي: من أهل مكة من يصدق بالقرآن الكريم، ويعترف بأحقيته. ومنهم من لا يصدق به، ولا يعترف بأحقيته، وهذا؛ وعد من العلي القدير، وبشارة منه لنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأن من قومه من يؤمن بالله، كيف لا؟ وقد أنجز الله من وعد؛ حيث آمن أكثر قريش وأكثر العرب، ثم حملوا لواء الإسلام، فنشروا تعاليمه في كل مكان، وقد مات منهم على الكفر من قدر الله له ذلك في الأزل، كأبي جهل، وأبي طالب، وأبي لهب، وأمثالهم وهؤلاء لو تركوا وشأنهم لما اختاروا غير الكفر؛ فلذا قدره لهم وقضاه عليهم. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: المعادين المصرين على الكفر، الذين سجل الله لهم الشقاوة والتعاسة في قديم الأزل.

الإعراب: ﴿وَمِنْهُم﴾: الواو: حرف استئناف، (منهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجملة: ﴿يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ صلة ﴿مَّن﴾، أو صفتها هذا هو الإعراب الظاهر، ولا أعتمده، وإنما أعتمد ما ذكرته في الآية رقم [٤٩] التوبة، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، وإعراب ما بعدها مثلها، ولا فرق بينهما في الإيجاب والنفي. ﴿وَرَبُّكَ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، وهو بمعنى عالم، وليس على بابه؛ لأنه لا أحد يشرك الله في علمه بحقيقة الفاسدين المفسدين. وفاعله مستتر فيه. ﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من فاعل ﴿يُؤْمِنُ﴾ المستتر، ويكون الرابط: الواو، والضمير المقدر بـ (منهم)، أي: المفسدين منهم.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أي: وإن كذبك قومك يا محمد، ولم يؤمنوا بما جئتهم به من الهدى والنور. ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ﴾ أي: قل لهم: لي عملي الذي أعمله فأجزى به، وهو الطاعة لا غير فأثاب عليها. ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ﴾: وهو الشرك، والضلال، والفساد، فتعاقبون عليه، وتحاسبون به. ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ...﴾ إلخ، أي: فأنتم لا تسألون عن عملي وأنتم بريئون منه، وأنا بريء من عملكم، ولا أسأل عما تعملون، وما أشبه معنى هذه الآية بالآية رقم [٣٥] من سورة (هود).

تنبيه: في هذه الآية الكريمة قطع لأواصر القرابة، وصرم للصداقة يوم القيامة بين المؤمنين والكافرين، وهذا قد نطق فيه القرآن ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿كَذَّبُوكَ﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والكاف: مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُل﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّي﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَمَلِي﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُل...﴾ إلخ: في محل جزم جواب الشرط، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَرِيٓـُٔونَ﴾: خبر مرفوع، علامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿بَرِيٓـُٔونَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: أعمله، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها، بمصدر في محل جر بـ (مِنْ)، التقدير: من عملي، والجملة الاسمية: ﴿أَنتُم...﴾ إلخ توكيد لما أفادته لام الاختصاص من عدم تعدي أجر العمل إلى غير عامله، أي: لا تؤاخذون بعملي، لا أؤاخذ بعملكم، انتهى. نقلاً من أبي السعود.

أقول: وهذا حلُّ معنى، لا حلُّ إعراب، لذا فالجملة الاسمية: ﴿أَنتُم...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، وإعراب هذه مثلها، ومثل إعراب: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ في الآية رقم [١٨]، وجملة: ﴿وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول، وإعرابها مثلها بلا فارق، والكلام كله في محل نصب مقول القول. تأمل.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ أي: ومن المشركين الذين يستمعون إليك حين تقرأ القرآن، ولكنهم لا ينتفعون بهذا السماع؛ لأنهم لم يعملوا عقولهم وقلوبهم، وذلك لشدة بغضهم، وعدوانهم لك، وكراهيتهم للحق والنور، وما أجدرك أن تنظر الآية رقم [٢٥] من سورة الأنعام، فإنك تجد ما يسرك. ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾: استفهام نفي وإنكار، أي: أتقدر على إسماعهم؟. ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ أي: ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم، وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام: فهم المعنى المقصود منه؛ ولذلك لا توصف به البهائم، وهو لا يتأتى إلا باستماع العقل السليم في تدبره، وعقولهم لما كانت مولعة بمعارضة الوهم، ومشايعة الإلف

والتقليد، تعذر إفهامهم الحكم، والمعاني الدقيقة، فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم، غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق. انتهى. جمل البيضاوي.

الإعراب: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ في الآية رقم [٤٠] والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، ﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف عطف. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تُسْمِعُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿الصُّمَّ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَفَأَنتَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْقِلُونَ...﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَلَوْ كَانُوا...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة؛ وعليه تكون الجملة الاسمية معترضة لا محل لها، أو في محل نصب حال من الضم، والرابط على الاعتبارين الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي: ومن المشركين الذين ينظرون إليك، ويعاينون دلائل نبوتك. ولكن لا يصدقونك. ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ أي: أتقدر على هدايتهم إذا لم يفتح الله بصائرهم للإيمان، ويوفقهم للهدى. ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: وإن انضم إلى عمى البصر عمى البصيرة، فإن المقصود من الإبصار والاستبصار الاعتبار والتدبر، والعمدة في ذلك البصيرة، فإن عميت فلا ينتفع ابن آدم بالمواعظ والنصائح، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، ولذا نرى كثيراً من فاقدي البصر ينتفعون بما يسمعون، ويوجد عندهم تدبر وتفكر بما يملى عليهم؛ لأن بصائرهم أي: قلوبهم واعية.

والمراد بالآيتين الكريمتين تسلية النبي ﷺ بسبب ما يلقى من قومه من عناء، أي: كما لا تقدر أن تسمع من سلب السمع، ولا تقدر أن تخلق للأعمى بصراً يهتدي به فكذلك لا تقدر أن توفق قومك للإيمان، وقد حكم الله عليهم أن لا يؤمنوا.

تنبيه: راعى سبحانه معنى ﴿مَّن﴾ بقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ولفظها بقوله ﴿يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ومثلها الآية رقم [٤٠] واعتبرهم صماً لا يسمعون مع كونهم لهم آذان يسمعون بها؛ إذ المعنى: لا يسمعون سماع قبول وتعقل، واعتبرهم عمياً لا يبصرون مع كونهم لهم عيون يبصرون؛ إذ المعنى لا يبصرون طريق الهدى والرشاد، وانظر الآية رقم [١٧٩] من سورة (الأعراف)، وإعراب الآية الكريمة مثل سابقتها بلا فارق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: قال العلماء في شرح هذه الآية: لما حكم الله على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم؛ أخبر في هذه الآية: أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلماً منه، تعالت حكمته؛ لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء، والخلق كلهم عبيده، وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالماً، وإنما قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب، وإن كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم. انتهى خازن. وفي الآية دليل على أن للعبد كسباً، وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٣].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَظْلِمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿شَيْـًٔا﴾: نائب مفعول مطلق، وجوز اعتباره مفعولاً ثانياً على تضمين ﴿لَا يَظْلِمُ﴾: معنى لا ينتقص: وجملة: ﴿لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾: في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: ابتدائية أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين، ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: اسمها. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به مقدم. ﴿يَظْلِمُونَ﴾: مضارع وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكن)، وعلى تخفيفها فـ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مبتدأ، والجملة الفعلية خبره، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٢٨] والفعل يقرأ بالياء والنون، وانظر (نا) في الآية رقم [٨] من سورة (هود). ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا، أو في القبور لهول ما يرون، والمراد بهم الكفار، وأما المؤمنون فلم يستقلوا لبثهم في الدنيا؛ لأنهم انتفعوا فيها بالعمل الصالح، وهم في مأمن من الهول والفزع. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً، وهذا أول ما ينشرون، ثم ينقطع التعارف، وهذا التعارف توبيخ وافتضاح، يقول بعضهم لبعض: أنت أضللتني، وحملتني على الكفر، وليس تعارف مودة وعطف وشفقة، وأثبت القرطبي هذا التعارف بين الكافرين، واستدل بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ وغير ذلك ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ أي: خسروا جنة عرضها السموات والأرض بسبب تكذيبهم بالبعث والحشر والنشور، ثم قيل: يجوز أن يكون هذا إخباراً من الله عز وجل بعد أن دل على البعث والنشور، وقيل: خسروا في حال لقاء الله؛ لأن الخسران

إنما هو في تلك الحالة التي لا يرجى فيها إقالة، ولا تنفع توبة. ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: إلى ما ينفعهم، ويصلح حالهم، وينجيهم من الخسار الذي وقعوا فيه في ذلك اليوم المعلوم.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٢٨]، ﴿كَأَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: كأنهم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم، ﴿يَلْبَثُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿سَاعَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿مِّنَ النَّهَارِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ساعة، وجملة: ﴿لَّمْ يَلْبَثُواْ...﴾ إلخ: في محل رفع خبر ﴿كَأَن﴾، والجملة الاسمية: ﴿كَأَن لَّمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، وقيل: في محل نصب صفة: (يوم)، وقيل: في محل نصب صفة مصدر محذوف، التقدير: حشراً كأن، والمعتمد الأول. ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾: مضارع، والواو فاعله. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال أخرى من الضمير المنصوب، أو من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط، وهذه الحال مقدرة، أي: حال كونهم مقدرين التعارف، لا أنهم متعارفون بالفعل، هذا؛ وجوز اعتبار الظرف. (يوم): متعلقان به، التقدير: يتعارفون بينهم يوم يحشرهم، فتكون الجملة الفعلية مستأنفة، والمعنى على الأول أقوى، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَسِرَ﴾: ماض. ﴿الَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَذَّبُواْ بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿قَدْ خَسِرَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قائلين: قد خسر... إلخ، هذا المقدر حال من مفعول ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، أو حال من فاعل: ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾، وجملة: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: معطوفة على جملة: ﴿قَدْ خَسِرَ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها، أو هي معطوفة على ﴿كَذَّبُواْ...﴾ إلخ، فلا محل لها مثلها أيضاً.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: نبصرك يا محمد في حياتك. ﴿بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: القتل أو الأسر، وقد حقق الله ذلك يوم بدر حيث قتل من قتل، وأسر من أسر. ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: قبل أن ترى تحقيق ما نعدهم به من العذاب في الدنيا. ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: مصيرهم ومآلهم في الآخرة، فإنك ترى عذابهم. ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: الله رقيب حاضر وعالم بكل ما يفعله هؤلاء المشركون من تكذيبك ومحاربتك، لا يعزب عن علمه شيء.

الإعراب: ﴿وَإِمَّا﴾: الواو: حر ف استئناف. (إما): أصلها: (إن ما) فـ: «إنْ» حرف شرط جازم، و(ما): زائدة مدغمة فيها. ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد

الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول. ﴿بَعْضَ﴾: مفعول به ثان، و﴿بَعْضَ﴾مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿نَعِدُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: نعدهموه، وجملة: ﴿نُرِيَنَّكَ...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها. ﴿فَإِلَيْنَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، (إلينا): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، هذا في الإعراب؛ وأما في المعنى فجواب: ﴿نُرِيَنَّكَ...﴾ إلخ محذوف. التقدير: فذاك ظاهر، والجملة الاسمية جواب شرط محذوف، التقدير: وإما نتوفينك قبل نزول العذاب بهم فلا يفوتهم، بل ننزله بهم في الآخرة، وهو ما استفيد من الجملة الاسمية: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: وانظر الآية رقم [٤٢] من سورة (الرعد) ففيها فضل بيان ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿شَهِيدٌ﴾: خبره، ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿شَهِيدٌ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف، التقدير: على الذي، أو على شيء يفعلونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿شَهِيدٌ﴾ التقدير: شهيد على فعلهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ أي: لكل أمة من الأمم السابقة بعث إليها رسول يدعوهم إلى الله، وإلى طاعته، وإلى الإيمان به. ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ أي: فإذا جاءهم رسولهم، وبلغهم ما أرسل به إليهم؛ كذبه قوم وصدقه آخرون. ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾: حكم بينهم بالعدل، وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان: أحدهما: أنه في الدنيا، فيهلك الله الكافرين، وينجي المؤمنون ورسلهم، ويكون ذلك عدلاً منه تعالى لا ظلماً.

القول الثاني: أن وقت القضاء يكون في الآخرة، فيدخل الله الرسل وأتباعهم الجنة، ويدخل الكافرين والمجرمين النار، ويكون ذلك عدلاً منه تعالى لا ظلماً. وهم ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة شيء من سيئاتهم، ولا نقص شيء من حسناتهم.

الإعراب: ﴿وَلِكُلِّ﴾: الواو: حرف استئناف. (لِكُلِّ): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(كل) مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿رَّسُولٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة

لا محل لها. الفاء: حرف تفريع، (إذا): انظر الآية رقم [١٢]، والجملة الفعلية: ﴿جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾: في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ومفعول ﴿جَآءَ﴾ محذوف، التقدير: فإذا جاءهم رسولهم. ﴿قُضِىَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. و(إذا) ومدخولها كلام مفرع عما قبله لا محل له مثله. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُظْلَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ. والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ، في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: يقول كفار قريش. ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب، وقيل: قيام الساعة، وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب، والاستبعاد والاستهزاء. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: فيما تعدوننا به، وإنما قالوا بلفظ الجمع؛ لأن كل أمة قالت لرسولها كذلك، أو يكون المعنى إن كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف استئناف، (يقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْوَعْدُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: انظر الآية رقم [٣٨] لإعراب هذه الجملة.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ لما استعجل كفار مكة العذاب، أي: قل يا محمد لهؤلاء الكفار: إني لا أقدر على جلب نفع لنفسي، ولا دفع ضر عنها إلا بمشيئة الله. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...﴾ إلخ، أي: لهلاك كل أمة وقت معلوم في علمه سبحانه وتعالى، إذا جاء وقت انقضاء أجلهم فلا يمكنهم أن يستأخروا ساعة باقين في الدنيا، ولا يتقدمون ساعة أيضاً، وانظر الآية رقم [٣٤] من سورة (الأعراف)، تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أَمۡلِكُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لِنَفۡسِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والياء في محل جر بالإضافة، هذا؛ وجوز تعليق الجار والمجرور بمحذوف حال من ﴿ضَرّٗا﴾، كان صفة له. . . إلخ. ﴿ضَرّٗا﴾: مفعول به. الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَفۡعًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: إلا الذي أو شيئاً شاءه الله، وجملة: ﴿لَّآ أَمۡلِكُ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿لِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجَلٌ﴾: مبتدأ مؤخر، و(كل) مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [١٢]، ﴿جَآءَ﴾: ماض. ﴿أَجَلُهُمۡ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾، (لا): نافية. ﴿يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾: فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿سَاعَةٗ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٠﴾

الشرح: ﴿قُلۡ﴾: هذا خطاب للرسول ﷺ. ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أي: أخبروني، قال سليمان الجمل: استعمال (أرأيت) في الإخبار مجاز، أي: أخبروني عن حالتكم العجيبة، ووجه المجاز أنه لما كان العلم بالشيء سبباً للإخبار عنه، والإبصار به طريقاً إلى الإحاطة به علماً، وإلى صحة الإخبار عنه استعملت الصيغة التي لطلب العلم، أو لطلب الإبصار في طلب الخبر، لاشتراكهما في الطلب. ﴿أَتَىٰكُمۡ﴾: انظر في الآية رقم [١٥] ﴿عَذَابُهُۥ﴾: عذاب الله. ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً، وهو في الأصل مصدر (بات)، وأما مصدر (بيت)، فهو تبييت، فالأول: مثل سلام، والثاني مثل تسليم. ﴿نَهَارٗا﴾ أي: في النهار، وقال سبحانه في الآية رقم [٩٨] (الأعراف). ﴿ضُحٗى﴾ وهو وقت ارتفاع الشمس واشتداد حرارتها، والناس في هذا الوقت يكونون منشغلين بطلب المعاش. ﴿مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: استفهام معناه التهويل والتعظيم، أي: ما أعظم ما يستعجلون به، كما يقال لمن يطلب أمراً، يستوخم عاقبته: ماذا تجني على نفسك؟! والضمير في ﴿مِنۡهُ﴾ يعود إلى العذاب، أو إلى الله، هذا؛ وقد وضع المجرمون موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد، لا أن يستعجلوه، وقد حصل في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة.

تنبيه: في الآية الكريمة التفات من الخطاب إلى الغيبة، كما يكون من الغيبة إلى التكلم، ومنهما إلى الخطاب، ومن المفرد إلى الجمع، وبالعكس، وقد نبهت على ذلك فيما مضى، كما أنبه عليه في محاله إن شاء الله تعالى، وله فوائد كثيرة: منها نظرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، هذه فائدته العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه حثُّ السامع، وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصصه بالمواجهة.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (رأيتم): فعل وفاعل، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَتَىٰكُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وهو في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به، ﴿عَذَابُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَيَٰتًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿نَهَارًا﴾: معطوف على ﴿بَيَٰتًا﴾، وجملة: ﴿أَتَىٰكُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، تقديره: تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأكم، ويجوز أن يكون الجواب الجملة الاستفهامية، وحذفت منه الفاء الرابطة للجواب. ﴿مَّاذَا﴾، (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته، وقد حذف العائد؛ إذ التقدير: ما الذي يستعجله... إلخ، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَّاذَا﴾، كله اسماً مركباً مبنياً على السكون في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية بعده في محل رفع خبره، والرابط محذوف، كما رأيت تقديره، والهاء في: ﴿مِنْهُ﴾ عائدة على الوجهين على العذاب، هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿مَّاذَا﴾ اسماً مركباً مفعولاً مقدماً للفعل بعده، فهو وجه سائغ، ويكون الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائداً على الله. و﴿مِنْهُ﴾ متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب الذي رأيت تقديره فيما سبق، أو هو متعلق بالفعل قبله على اعتبار ﴿مَّاذَا﴾ مفعولاً مقدماً. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿أَرَءَيْتُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

تنبيه: بقي أن تعرف أن الفعل ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ يتعدى إلى مفعولين، وأن الثاني اكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر، كقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع؟ والمعنى: أخبرني عن زيد ما صنع، إذا تقرر هذا فالمفعول الأول هنا محذوف، ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه، والمسألة من باب التنازع، تنازع (أرأيتم) و(أتاك). قوله ﴿عَذَابُهُۥ﴾ وإعمال الثاني هو المختار على مذهب البصريين، وهو الذي ورد به السماع أكثر من إعمال الأول، فلما أعمل

الثاني حذف من الأول، ولم يضمر؛ لأن إضماره يختص بالشعر، أو قليل في الكلام على اختلاف النحويين في ذلك. انتهى جمل بتصرف بسيط.

أقول: إني أرى: أن الفعل ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وجواب الشرط محذوف لدلاله جملة الاستفهام عليه، وأن الجملة: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ...﴾ إلخ على جميع وجوه الإعراب التي رأيتها فيها قد سدت مسد المفعولين، وما بينهما كلام معترض لا محل له أعطى الكلام تأكيداً وتسديداً، ولا حاجة إلى هذا التكلف والتعسف، والله الموفق والمعين، وبه أستعين.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾: المعنى: إن أتاكم عذاب الله ليلاً أو نهاراً آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، وهذا على أن الكلام مرتبط بما قبله، أو المعنى: أتأمنون أن ينزل بكم العذاب، ثم يقال لكم إذا حل: الْآنَ آمنتم به، وهو أوجه من الأول. ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: تطلبون العذاب استهزاءً، وتكذيباً.

أما (الآن): فهي كلمة ملازمة للظرفية غالباً، مبنية على الفتح دائماً، لتضمنها معنى الإشارة وألفها منقلبة عن واو، لقولهم في معناها الأوان، وقيل: عن ياء؛ لأنه من آن يئين: إذا قرب، وقيل: أصله أوان قلبت الواو ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين، ورد بأن الواو قبل الألف لا تقلب كالجواد والسواد، وقيل: حذفت الألف، وغيرت الواو، إلى الألف، كما قالوا: راح ورواح، استعملوه مرة على فَعَل، ومرة على فَعَال، كزَمَن وزَمَان، وقد جاءت ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ بهمزتين: الأولى: همزة الاستفهام، والثانية: همزة (أل) المعرفة، وإذا اجتمعت هاتان الهمزتان وجب في الثانية أحد أمرين: تسهيلها من غير ألف بينها وبين الأولى، وإبدالها مدّاً بقدر ثلاث ألفات على حد قول ابن مالك رحمه الله تعالى: [الرجز]

وَأَيْمُنِ هَمْزُ أَلْ كَذَا وِيُبْدَلُ مَدًّا فِي الاسْتِفْهَامِ، أَوْ يُسَهَّلُ

وقد وقع في القرآن الكريم من هذا القبيل ستة مواضع: اثنان في الأنعام، وهما ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ مرتين، وثلاثة في هذه السورة لفظ ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ هنا وفيما سيأتي الآية رقم [٩١] ولفظ ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، في الآية رقم [٥٨]، وواحد في النمل ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية رقم [٥٩]، ولولا المد في هذه الكلمات لم يظهر الاستفهام، ويسمى هذا المد في أحكام التجويد مد الفرق؛ لأنه يفرق بين الاستفهام والخبر؛ لأنه لولا المد لتوهم أنه خبر لا استفهام.

الإعراب: ﴿أَثُمَّ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقرير. (ثم): حرف عطف. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [١٢]، ﴿مَا﴾: زائدة مفيدة للتوكيد. ﴿وَقَعَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود

إلى ﴿عَذَابُهُۥ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿ءَامَنتُم﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، أو هو معطوف على ما قبله، وانظر الشرح. ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف مع متعلق آخر. التقدير: فلا يقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾، ولا تنسَ أن همزة الاستفهام مفيدة للتوبيخ والتقريع والتأنيب، وهذا الكلام كله يحتمل العطف على جواب ﴿إِذَا﴾، ويحتمل الاستئناف، ولا محل له على الاعتبارين، ﴿وَقَدۡ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُنتُم﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وهما في محل نصب مفعول به، وجملة (تستعجلون به): في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿وَقَدۡ كُنتُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من ضمير الخطاب الذي رأيت تقديره، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ قِيلَ...﴾ إلخ أي: يقال للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ذوقوا العذاب الأليم في نار الجحيم خالدين فيه أبداً، ولا تجزون وتعاقبون إلا بسبب الذي كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر ومخالفة أوامر الله تعالى، والقائل لهم ذلك هم خزنة جهنم.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل. ﴿ظَلَمُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿ذُوقُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلۡخُلۡدِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿ذُوقُواْ...﴾ إلخ في محل نائب فاعل، وهذا على رأي: من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول (يحذف الفاعل، ويقام المفعول مقامه)؛ وعليه فالجار والمجرور ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل ﴿قِيلَ﴾، و﴿قِيلَ﴾: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: قيل القول، وعليه فجملة ﴿ذُوقُواْ﴾: في محل نصب مقول القول، فالأقوال ثلاثة في مثل هذا التركيب، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (يقال) التي رأيت تقديرها في الآية السابقة. ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿تُجۡزَوۡنَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله وهو المفعول الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمة في الآية رقم [٨] والجار والمجرور ﴿بِمَا﴾ على جميع الوجوه المعتبرة في (ما)متعلقان بالفعل ﴿تُجۡزَوۡنَ﴾، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو فقط، وساغ ذلك؛ لأن الاستفهام معناه النفي كما رأيت، أو هي في محل نصب مقول القول.

﴿وَيَسْتَنبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْتَنبِـُٔونَكَ﴾: يستخبرونك يا محمد عن قيام الساعة، وعن وقوع العذاب بهم. ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: أواقع ما تعدنا به حقاً؟! ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ أي: قل أقسم بربي إن العذاب واقع بكم، وإن الساعة لا ريب فيها. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين من العذاب، أو ما أنتم بمعجزين الله تعالى بأن لا يقدر على تعذيبكم، قال البيضاوي: السائل هو حيي بن أخطب اليهودي لمَّا قدم مكة.

الإعراب: ﴿وَيَسْتَنبِـُٔونَكَ﴾: الواو: حرف استئناف. يستنبئونك: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعول به أول. ﴿أَحَقٌّ﴾: الهمزة استفهام معلق لما قبله عن العمل. (حق): مبتدأ. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل بـ (حق) سد مسد خبره، ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ مؤخراً، و(حق): خبراً مقدماً، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي في محل نصب مفعول به ثان للفعل قبلها المعلق عن العمل لفظاً، والجملة الفعلية: ﴿وَيَسْتَنبِـُٔونَكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِى﴾: حرف جواب مبني على السكون في محل نصب مقول القول. ﴿وَرَبِّىٓ﴾: الواو: حرف قسم وجر. (ربي): مقسم به مجرور بالواو، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: أقسم بربي. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَحَقٌّ﴾: اللام: هي المزحلقة. (حق): خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾: جواب القسم لا محل لها. والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَآ﴾: نافية حجازية تعمل عمل (ليس). ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم ما. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معجزين): خبر ما مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وإن اعتبرت (ما) نافية مهملة، فيكون ﴿أَنتُم﴾ مبتدأ، والباء زائدة في خبره، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي تحتمل العطف على جواب القسم، والاستئناف ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أي: بالشرك والخروج عن طاعة الله تعالى، أو بالتعدي على حقوق الغير. ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كل ما في الأرض من أموال وخزائن. ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي: قدمته فداءً من العذاب، ولكنه لا يقبل منها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن

يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحسبوه من فظاعة الأمر وهوله، فلم يقدروا أن ينطقوا، وقيل: أسروا الندامة: أخلصوها؛ لأن إخفاءها إخلاصها، أو لأنه يقال: سر الشيء لخالصته من حيث إنها تخفى، ويضمن بها، وقيل: (أسروا) أظهروا، فالكلمة من الأضداد، ويدل عليه: أن الآخرة ليست دار تجلد وتصبر، وقيل: وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم؛ لأن الندامة لا يمكن إظهارها، وذكر المبرد فيه وجهاً ثالثاً: أنه بدت بالندامة أسرة وجوههم، وهي تكاسير الجبهة، واحدها: سرار، والندامة: الحسرة لوقوع شيء، أو فوت شيء، وأصلها: اللزوم، ومنه النديم؛ لأنه يلازم المجالس. انتهى قرطبي. وأسروا وما بعده حكاية ما يكون في الآخرة، وانظر التعبير بالماضي عن المستقبل في الآية رقم [١١٦] (المائدة)، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: انظر الآية رقم [٤٧] لشرح هذه الكلمات.

قال البيضاوي: ليس تكريراً، أي: إن هذا الكلام ليس تكراراً لما في الآية رقم [٤٧]؛ لأن الأول: قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم، والثاني: مجازاة المشركين على الشرك، أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين، والضمير إنما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾ مقدم، و(كل): مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ظَلَمَتْ﴾: ماض، والتاء: للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿نَفْسٍ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿نَفْسٍ﴾، ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿أَنَّ﴾ مؤخر. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط (لو) عند المبرد، التقدير: ولو ثبت ظلم كل نفس، ونحوه، وقال سيبويه: هو في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو ظلم كل نفس ثابت، أو واقع، وقول المبرد هو المرجح؛ لأن (لو) لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر على قول المبرد وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَٱفْتَدَتْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (افتدت): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى ﴿نَفْسٍ﴾، تقديره: «هي»، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها، ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (أسروا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾: مستأنفة لا محل لها. ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وهو بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب. ﴿رَأَوُاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، وحركت بالضمة لالتقاء

الساكنين، وإنما حركت بالضم دون غيره، ليفرق بين الواو الأصلية وبين واو الجماعة في نحو قولك: (لَوِ اجْتَهَدْتَ؛ لَنَجَحْتَ)، وقيل: ضمت؛ لأن الضمة هنا أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو، وقيل: حركت بحركة الياء المحذوفة، وقيل: غير ذلك، وانظر إعلاله في الآية رقم [٣٥] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿لَمَّا﴾ مثل (لما) في الآية رقم [١٢] فيكون جوابها محذوفاً لدلالة ما قبله عليه، والأول أقوى. ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٤٧]، وجملة: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، ويجوز أن تكون معطوفة على جملة: ﴿رَأَوُا ٱلْعَذَابَ﴾ فتكون داخلة في حيز ﴿لَمَّا﴾، والضمائر كلها عائدة على ﴿لِكُلِّ نَفْسٍ﴾، وقال بعضهم، إنها عائدة على الظالمين والمظلومين، وقال آخرون: إنها عائدة على الرؤساء والأتباع.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ...﴾ إلخ: أي: إن كل شيء موجود في السموات والأرض لله، ملك له لا يشركه فيه غيره، وما يملكه العبد في هذه الدنيا ظاهراً إنما هو على وجه الوكالة، فهنيئاً لمن أحسن الوكالة، وقام بحقوقها كاملة، وويل ثم ويل، ثم ويل لمن قصر في حقوق الوكالة، أو خان فيها، ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: ما وعد به على لسان نبيه ﷺ، من ثواب المطيع المنيب، وعقاب العاصي المفسد حق لا ريب فيه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أكثر الناس لا يعلمون ذلك لقصور عقولهم، واستيلاء الغفلة عليهم يفترون ما يفترون، ويفعلون ما يفعلون ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

بعد هذا ﴿مَا﴾ تستعمل لغير العاقل، و﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ منهم العاقل وغير العاقل، فغلب غير العاقل على العاقل هنا كما يغلب العاقل على غير العاقل في غير هذه الآية كما في الآية رقم [٦٦]، ونحوها ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعرفون.

الإعراب: ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعى به انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوفة على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، وجملة: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: مؤكدة لما قبلها، وإعرابها لا خفاء فيه. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل معناه الاستدراك.

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم (لكن)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر لكن، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: الذي يملك السموات والأرض، وما بينهما قادر على الإحياء والإماتة في الدنيا، فهو يقدر عليها في الآخرة بلا ريب، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: في الآخرة بالبعث والنشور للحساب والجزاء، وانظر (رجع)في الآية رقم [٨٣] التوبة.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُحْيِۦ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى الله، والمفعول محذوف، التقدير: يحيي الأموات، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ يُحْيِۦ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها لا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من فاعل (يميت) المستتر، فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: قيل: أراد بالناس قريشاً، وقيل: هو جميع الناس، وهو الأصح والمعتمد. ﴿جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: قال الخليل: الموعظة التذكير بالخير فيما يرق له القلب، وقيل: الموعظة ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة، والقرآن داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق. ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: إن القرآن يشفي ما في القلوب من داء الجهل، وذلك؛ لأن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن، وأمراض القلب هي الأخلاق الذميمة، والعقائد الفاسدة، والجهالات المهلكة، فالقرآن مزيل لهذه الأمراض كلها؛ لأن فيه الوعظ والزجر، والتخويف، والترغيب، والترهيب، والتحذير والتذكير، فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية جميعها، وإنما خص الصدر بالذكر؛ لأنه موضع القلب وغلافه، وهو أعز موضع في بدن الإنسان لمكان القلب فيه. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: رشد وبيان، وهداية من الضلالة، ونعمة شاملة لمن قرأ القرآن، وانتفع به، هذا؛ وقد خص سبحانه المؤمنين بالذكر؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالقرآن وبتعاليمه، هذا؛ وقد أطلق سبحانه لفظ الموعظة والشفاء، والهدى والرحمة على القرآن، وانظر الآية رقم [٢٠٣] (الأعراف)، تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿يَتَأَيُّهَا﴾: يا: حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء. و(ها): حرف تنبيه لا محل له. وأقحم للتوكيد، وهو عوض عن المضاف إليه. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بدل من أي، أو عطف بيان عليه، وانظر الآية رقم [٨٨]، من سورة (يوسف) على نبينا وحبيبنا وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ففيها بحث جيد. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَتْكُم﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والكاف مفعول به. ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾: فاعل. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾، أو هما متعلقان بالفعل (جاء) والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلنَّاسُ﴾، والعامل في الحال أداة النداء؛ لما فيها من معنى الفعل كما رأيت. ﴿وَشِفَآءٌ﴾: معطوف على ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾. ﴿لِّمَا﴾: متعلقان بـ (شفاء)؛ لأنه مصدر. ﴿فِى ٱلصُّدُورِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وعلامة رفع (هدى) ضمة مقدرة على الألف المحذوفة، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بـ (هدى) أو بـ (رحمة) على التنازع، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وحذفت صفة الثاني لدلالة صفة الأول، أو بالعكس.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: قال أبو سعيد الخدري، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام. ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى الفضل والرحمة، والعرب تأتي بذلك للواحد والاثنين والجمع، قال تعالى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين المسنة والصغيرة، فاسم الإشارة قام مقام الاثنين. ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾: يقرأ بالياء والتاء. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: فضل الله ورحمته أفضل بكثير من الذي يجمعون من حطام الدنيا الفاني، والمؤمن ينبغي أن يفرح بفضل الله ورحمته فرحاً عظيماً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ هداهُ اللهُ لِلإسْلامِ، وعلَّمَهُ القرآنَ، ثُمَّ شَكا الفاقَةَ كتبَ اللهُ الْفَقْرَ بين عَيْنَيْهِ إلى يومِ يَلْقاهُ**». ثم تلا هذه الآية، فهنيئاً لمن عمل بفضل الله ورحمته بالمعنيين المتقدمين.

بعد هذا؛ فالفرح: لذة في القلب بإدراك المحبوب، ولذا أكثر ما يستعمل في اللذات البدنية الدنيوية، وقد ذم الله الفرح في مواضع، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ وقوله ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ولكنه مطلق، فإذا قيد الفرح لم يكن ذمّاً لقوله تعالى في حق الشهداء ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وقال سبحانه هنا ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر. وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِفَضْلِ﴾: متعلقان بفعل محذوف يدل عليه ما بعده، التقدير: ليفرحوا بفضل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، و(فضل) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه من إضافة

المصدر لفاعله. ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾: الفاء: هي زائدة. (بذلك): جار ومجرور بدل مما قبلهما. واللام للبعد. والكاف حرف خطاب لا محل له، وتعليقهما بالفعل بعدهما أقوى معنى، وعليه فالفاء الزائدة هي المقرونة بالفعل. تأمل. والفاء العاطفة هي المقرونة باسم الإشارة. ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (ليفرحوا): مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المحذوفة ومؤكدة لها، وهي في محل نصب مقول القول مثلها، وهناك أقوال وتأويلات في إعراب هذه الجملة ضربت عنها صفحاً. ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (من)، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء يجمعونه، واعتبار (ما) مصدرية ضعيف معنى، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ خَيْرٌ...﴾ إلخ تعليل للأمر، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هو مثل الآية السابقة. ﴿أَرَءَيْتُم﴾: انظر الآية رقم [٥٠]، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾: جعل الرزق منزلاً؛ لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها، انتهى. بيضاوي. وقال القرطبي: أنزل بمعنى: خلق، كما قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وقال جل ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، فيجوز أن يعبر عن الخلق بالإنزال؛ لأن الذي في الأرض من الرزق، إنما هو بما ينزل من السماء من مطر. انتهى. وانظر ﴿خَلَقَ﴾ و﴿جَعَلَ﴾ في الآية رقم [٥]، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾: قال مجاهد: هو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقال الضحاك: هو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ انتهى. وانظر الآية رقم [١٣٦]من سورة (الأنعام) ﴿ءَآللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [٥١]، ﴿أَذِنَ لَكُمْ﴾ أي: في التحريم والتحليل، فتقولون ذلك بحكمه. ﴿أَمْ﴾: بمعنى بل. ﴿تَفْتَرُونَ﴾: تكذبون على الله في ادعائكم أن الله تعالى أمرنا بهذا. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيْتُم﴾: الهمزة: حرف استفهام. (رأيتم): فعل وفاعل، والميم علامة جمع الذكور. ﴿مَّآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّآ﴾، والعائد محذوف، التقدير: أنزله الله. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رِّزْقٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من

الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَّآ﴾. ﴿فَجَعَلْتُم﴾: فعل وفاعل، ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَرَامًا﴾: مفعول به. ﴿وَحَلَٰلًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿فَجَعَلْتُم...﴾ إلخ: معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ءَآللَّهُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (الله): مبتدأ، وجملة: ﴿أَذِنَ لَكُمْ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: في محل نصب مفعول به ثان للفعل ﴿أَرَءَيْتُم﴾، والعائد من هذه الجملة على المفعول الأول محذوف، تقديره: الله أذن لكم فيه؛ واعترض على هذا بأن قوله: ﴿قُلْ﴾ يمنع من وقوع الجملة بعده مفعولاً ثانياً، وأجيب عنه بأنه كرر توكيداً، وعلى هذا فليست الجملة الاسمية مقولة لـ ﴿قُلْ﴾. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى (بل). ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، والجملة الفعلية: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ...﴾ معطوفة على جملة: ﴿أَرَءَيْتُم...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مقدم، هذا؛ وجوز اعتبار ﴿مَّآ﴾ استفهامية مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم أيضاً، وهي حينئذ معلقة لـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾ عن العمل، وإليه ذهب الحوفي والزمخشري، ويجوز أن تكون: ﴿مَّآ﴾ استفهامية في محل رفع مبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ خبره، والعائد محذوف كما تقدم، وهذه الجملة الاستفهامية معلقة لـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾، والظاهر من هذه الأوجه هو الوجه الأول؛ لأن فيه إبقاء (أرأيت) على بابها من تعديتها إلى مفعولين وأنها مؤثرة في أولهما، بخلاف جعل ﴿مَّآ﴾ استفهامية، فإنها معلقة لـ (أرأيت)، وسادة مسد المفعولين. انتهى. جمل نقلاً عن السمين بتصرف مني.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: ، أيُّ: شيء يظنه المفترون على الله الكذب في يوم القيامة، أيظنون أن الله لا يؤاخذهم، ولا يجازيهم على أعمالهم القبيحة من شرك، وما يتبعه من أعمال خبيثة، فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع، والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بالرسل، وإنزال الكتب لبيان الحلال والحرام، وتمييز النافع من الضار. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: الله على ذلك الفضل والإحسان، كيف وقد قال سبحانه في آية آخرى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾.

هذا؛ ويوم القيامة هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وأصل القيامة: القوامة؛ لأنها من قام يقوم، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: هذا

الفعل يتعدى بنفسه وبحرف الجر، تقول: شكرت الله وشكرت له، كما تقول: نصحت زيداً، ونصحت له، وانظر الشكر في الآية رقم [١١٢]، التوبة، هذا؛ ومن أسماء الله تعالى الشكور، ومعناه: هو الذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة، نعماً في الآخرة غير محدودة.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ظَنُّ﴾: خبر المبتدأ، و﴿ظَنُّ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، ومفعولاه محذوفان، التقدير: أنه لا يعاقبهم، وانظر الشرح، وجملة: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالمصدر ﴿ظَنُّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا ظَنُّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَذُو﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، واللام هي المزحلقة، و(ذو) مضاف، و﴿فَضْلٍ﴾مضاف إليه. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ ﴿فَضْلٍ﴾أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم (لكن)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، أي: لا تكون في عبادة أو غيرها؛ إلا والرب مطلع عليك. والشأن: الحال، والخطب، والأمر، وجمعه: شؤون. ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾: وما تحدث من شأن من الشؤون فيتلى من أجله القرآن، فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فيتلى، وقال الطبري: ﴿مِنْهُ﴾ أي: من كتاب الله تعالى. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ ولأمته معه، وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: شاهدين لأعمالكم، وذلك؛ لأن الله تعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء؛ لأنه لا محدث، ولا خالق، ولا موجود إلا الله تعالى، فكل ما يدخل في الوجود من أحوال العباد، وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في عمله، وهو شاهد عليه. ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تخوضون فيه وتندفعون: والمعنى: إذ تشيعون في القرآن الكذب، هذا؛ والفعل هنا من: أفاض الرباعي، وانظره من:

(فاض) الثلاثي في الآية رقم [٩٢] التوبة، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: ولا يبعد عنه، ولا يغيب عن علمه، ويقرأ الفعل بضم الزاي وكسرها.

﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: وزن ذرة، والمثقال: الوزن، والذرة: النملة الصغيرة الحمراء، وهي خفيفة الوزن جداً. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: قدم سبحانه ذكر الأرض هنا على السماء بينما قدم ذكر السماء في سورة (سبأ) على الأرض؛ لأنه ذكر سبحانه هنا شهادته على أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم، ثم وصل ذلك بقوله ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ فلهذا حسن تقديم الأرض على السماء هنا. انتهى. خازن بتصرف. وانظر الآية رقم [٣] وإعلال (سماء) في الآية رقم [٣١]. ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ أي: من الذرة، وهذا؛ ويقرأ ﴿أَصْغَرَ﴾ و﴿أَكْبَرَ﴾ بالرفع والنصب. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: المراد به اللوح المحفوظ.

هذا؛ ونقل القرطبي والجمل عن الجرجاني قوله ﴿إِلَّا﴾ بمعنى واو النسق، أي: وهو في كتاب مبين، وسلمه القرطبي، وقال الجمل: وهذا الوجه فيه تعسف، وهو وجيه، هذا؛ و(مبين) اسم فاعل من (أبان) الرباعي أصله (مبين) بسكون الباء وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ولا تنسَ: أن اسم الفاعل من «بان» الثلاثي بائن، وأصله باين، وإعلاله مثل إعلال قائم في الآية رقم [١٢]، وانظر (نا) في الآية رقم [٨] من سورة (هود)، وفي الآية الكريمة التفات تنبه له.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَكُونُ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِي شَأْنٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿تَكُونُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَمَا تَتْلُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهذا على اعتبار الضمير عائداً إلى ﴿شَأْنٍ﴾ و(من) مفيدة للتعليل، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿قُرْءَانٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وهذا على اعتبار الضمير عائداً على الله تعالى. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قُرْءَانٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وهناك من يقول إن ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ جار ومجرور بدل من قوله ﴿مِنْهُ﴾ وجملة: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿عَمَلٍ﴾: مفعول به... إلخ، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿شُهُودًا﴾؛ لأنه جمع شاهد. ﴿شُهُودًا﴾: خبر كان. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ ﴿شُهُودًا﴾ أيضاً، وجملة: ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾. في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال. وهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية، ﴿يَعْزُبُ﴾:

مضارع، ﴿عَن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مِّثْقَالِ﴾: فاعل ﴿يَعْزُبُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره... إلخ، و﴿مِّثْقَالِ﴾: مضاف، و﴿ذَرَّةٍ﴾: مضاف إليه، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ذَرَّةٍ﴾، أوهما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، وساغ ذلك لتخصصه بالإضافة، ﴿وَلَا﴾: (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف، (لا): صلة. ﴿أَصْغَرَ﴾: بالنصب معطوف على لفظ ﴿مِّثْقَالِ﴾ مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة ووزن أفعل، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «هو». ﴿مِن ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بـ ﴿أَصْغَرَ﴾ واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، هذا؛ وعلى قراءة ﴿أَصْغَرَ﴾، بالرفع معطوف على محل ﴿مِّثْقَالِ﴾، ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾: معطوف على ما قبله على القراءتين. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. هذا؛ وقال الزجاج: ويجوز الرفع على الابتداء، وخبره ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهو غير مسلم له، ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، واعتبرهما أبو البقاء متعلقين بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ألا وهو في كتاب (أقول: والأجود تقدير: ألا كل ذلك في كتاب). وعليهما فالجملة الاسمية في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وانظر قول الجرجاني في الشرح. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿كِتَٰبٍ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامة، وقال ابن عباس وابن جبير - رضي الله عنهما -: هم الذين يُذْكَر الله برؤيتهم، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أولياء الله: قوم صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من العبر، خمص البطون من الجوع، يبس الشفاه من الذوي، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في هذه الآية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ مِنْ عبادِ اللهِ عِباداً، مَا هُمْ بأنْبِياءَ، ولا شُهُدَاءَ، يَغْبِطُهم الأنْبِيَاءُ والشهداءُ يومَ الْقِيَامَةِ لِمكانِهِمْ مِنَ اللهِ تعالى»**. قِيلَ: يا رسولَ اللهِ خبِّرْنَا مَنْ هُمْ، وَمَا أعمالُهم، فَلَعَلَّنا نُحِبُّهُمْ؟ قال: **«هُمْ قَوْمٌ تحابُّوا في اللهِ على غيرِ أرحامٍ بينهُمْ، ولا أموالٍ يتعاطَوْنها، فو اللهِ إنَّ وجوهَهُمْ لَنُورٌ، وإنهم لَعَلَى نورٍ، وَلَا يَخَافُونَ إذَا خَافَ النَّاسُ، ولا يحزنون إذا حزِنَ النَّاسُ»**. ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ. وهناك أقوال كثيرة وكلها تدور حول طاعة الله وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الآخرة عند الفزع الأكبر، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فاتهم من الدنيا لما عوضهم إياه من خير لا ينفد، ونعيم سرمدي لا يزول،

ولا يتغير. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: هذا إشعار بأن ولاية الله للعبد، وولاية العبد لله لا تكون بالإيمان وحده، بل لا بد من اقترانه بالتقوى؛ التي هي: فعل المأمورات على اختلاف أنواعها، وترك المنهيات بجميع صنوفها، وألوانها.

الإعراب: ﴿أَلَآ﴾: انظر الآية رقم [٥٥]، ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه يحتمل أن يكون من إضافة الوصف لفاعله، أو لمفعوله. ﴿لَا﴾: نافية مهملة، ولا يجوز إعمالها إعمال ليس؛ لأنها تكررت. ﴿خَوۡفٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، ويجوز تعليقهما بـ ﴿خَوۡفٌ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، وعليهما فالخبر محذوف تقديره: حاصل أو موجود والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو هي زائدة لتأكيد النفي. ﴿هُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَحۡزَنُونَ﴾: مضارع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿أَلَآ إِنَّ...﴾ إلخ، ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، خبره: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: أو هو في محل رفع خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار (أعني)، أو صفة لأولياء بعد الخبر، وقيل: يجوز أن يكون في موضع جر بدلاً من الضمير في: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾، وهذا أضعف الأقوال. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل والألف للتفريق، والجملة مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُمُ﴾: لأولياء الله. ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: لقد اختلف في هذه البشرى لأولياء الله. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، قال: «**هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَراهَا الْمُؤْمِنُ، أَوْ تُرى لَهُ**». أخرجه الترمذي. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمْ يَبْقَ بَعْدي مِنَ النُّبُوَّةِ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قالوا: وما المبشراتُ؟، قال: الرؤيا الصالحةُ**». أخرجه البخاري. وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تكذبُ، ورُؤْيَا المؤمنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأربعين جزءاً مِنَ النبوة**». أخرجه البخاري. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥] و[٤٣] من سورة (يوسف) عليه السلام.

وقال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ...﴾ إلخ وأيضاً قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وقيل: هي الثناء الحسن، ويدل على ذلك ما جاء عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: «**أرأيتَ الرجلَ يَعْمَلُ العملَ مِنَ الْخَيْرِ، ويَحْمَدُهُ الناسُ عليْهِ، قال: تِلْكَ عاجِلُ بُشْرَى المؤمِنِ؟**». أخرجه مسلم، وقال الحسن: هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: لا خلف لوعد الله الذي وعد به أولياءه على طاعته في كتابه، وعلى ألسنة رسله، ولا تغيير لذلك الوعد. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: ما يصير إليه أولياؤه فهو الفوز العظيم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ «الذين» على وجه مر ذكره، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بـ ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾؛ لأنه مصدر، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾، وكثير لا يجيزون وقوع الحال من المبتدأ. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور... إلخ. ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿تَبْدِيلَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لِكَلِمَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَا﴾، وانظر إعراب: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في الآية رقم [٣٧]، ففيها الكفاية، و(كلمات)مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾مضاف إليه، وجملة: ﴿لَا تَبْدِيلَ...﴾ إلخ معترضة لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿هُوَ﴾ مبتدأ ثانياً فـ ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ خبره، والجملة الاسمية خبر ذلك، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ معترضة في آخر الكلام كالتي قبلها لتحقيق المبشر به، وتعظيم شأنه، وليس من شرط الاعتراض أن يقع بعده كلام يتصل به. وإن اعتبرت الجملتين مستأنفتين؛ فلا محل لهما أيضاً.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي: لا يهمك، ولا يغمك، ولا يخوفك كفرهم، وتهديدهم ووعيدهم، والخطاب للنبي ﷺ، هذا؛ ويقرأ الفعل بفتح الياء من الثلاثي، وبضمها من الرباعي، والمعنى واحد، والأول من باب فرح وطرب، وهي لغة قريش، والرباعي لغة تميم، وهو متعدٍّ على اللغتين، مثل سلكه وأسلكه. انتهى. مختار بتصرف.

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: إن القوة الكاملة، والغلبة الشاملة، والقدرة التامة لله وحده، فهو ناصرك يا محمد على أعدائك، ومعينك ومانعك من الاعتداء عليك، ولا منافاة بين ما هاهنا وبين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن عزة الرسول ﷺ وعزة المؤمنين بإعزاز الله إياهم، فثبت بذلك أن العزة لله جميعاً، وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، هذا؛ ويقرأ بكسر همزة ﴿إِنَّ﴾ وفتحها، ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال المشركين سماع انتقام. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بجميع أفعالهم، فيجازيهم بها ما يستحقون من جزاء، ولا تنسَ أن في الكلام تعزية وتسلية للنبي ﷺ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): ناهية. ﴿يَحْزُنكَ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والكاف مفعول به، ﴿قَوْلُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾: اسمها. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾، وهي حال مؤكدة، ويجوز اعتباره توكيداً لـ ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾، ولم يؤنث؛ لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ لشبهه بالمصادر، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للنهي، أو هي مستأنفة لا محل لها، ولا يتوهم متوهم: أن الجملة من مقول المشركين، فيحصل في الكلام تناقض؛ ولذا فالوقف على قولهم واجب، ومثل هذه الآية آية سورة (يس)، هذا؛ وعلى قراءة فتح همزة (أنَّ) تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر في محل جر بحرف تعليل محذوف؛ وعليه فلا يجب الوقف على ﴿قَوْلُهُمْ﴾. تأمل، وتدبر. وجملة: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ معترضة أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من الملائكة والثقلين، وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف المخلوقات عبيداً لله، لا يصلح أحد منهم للألوهية والربوبية، فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون نداً لله ولا شريكاً له، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٥]. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي: شركاء على الحقيقة، وإن كانوا يسمونها شركاء، بل يظنون: أنها تنفعهم وتشفع لهم، والحقيقة: أنها لا تنفع ولا تشفع. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على حق، وأن أصنامهم ستشفع لهم وتنفعهم، أو هم يتبعون جهالتهم وآراءهم الفاسدة، فإن الظن قد يطلق على ما يقابل العلم. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون على الله فيما ينسبونه إليه كاتخاذ الولد، وجعل عبادة الأصنام وصلة إليه، وتحليل الميتة، وتحريم البحائر، والسوائب، وغير ذلك، أو المعنى: أنهم يقدرون أنهم على

شيء معتد به، هذا؛ وحقيقة الخرص ما يقال عن ظن وتخمين، ومنه: خرص التمر، والعنب على شجرهما، وهو معروف في مبحث الزكاة في الفقه الإسلامي.

الإعراب: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٥٥]. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَتَّبِعُ﴾: مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، صلة الموصول لا محل لها. ﴿شُرَكَآءَ﴾: مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾، ومفعول: ﴿يَدْعُونَ﴾ محذوف تقديره: (يدعون من دون الله أصناماً): هذا؛ وجوز اعتبار (ما) استفهامية مفعولاً مقدماً للفعل بعدها، هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) موصولة معطوفة على (من) كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم، كما أجيز اعتبارها موصولة أيضاً في محل رفع مبتدأ، والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، والخبر محذوف أيضاً، وتقدير الكلام: والذي يتبعه الذين يدعون من دون الله باطل لا أصل له. انتهى. جمل نقلاً من هنا وهناك وقد تصرفت فيه. والجملة الفعلية أو الاسمية مستأنفة على ثلاثة أوجه ومعطوفة على اعتبار (ما) مبتدأ. تأمل جيداً. ﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف نفي. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، وجملة: ﴿يَخْرُصُونَ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، ومؤكدة لها لا محل لها مثلها.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: مع أزواجكم، وأولادكم، ليزول التعب، والكلال، والسكون: الهدوء بعد اضطراب واستقرار بعد حركة. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ أي: مضيئاً لتهتدوا به في قضاء حوائجكم، والمبصر: الذي يبصر، والنهار يبصر فيه، وإنما قال: ﴿مُبْصِرًاۚ﴾ تجوزاً، وتوسعاً على عادة العرب في قولهم: ليل قائم، ونهار صائم، وقال قطرب: يقال: أظلم الليل، أي: صار ذا ظلمة، وأضاء النهار، وأبصر، أي: صار ذا ضياء، وبصر. انتهى. قرطبي بتصرف. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ أي: علامات ودلالات على قدرة الله تعالى. ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبر، وتعقل، واعتبار، فيعلمون بذلك: أن الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الإله المعبود، المنفرد بالوحدانية في الوجود.

هذا؛ والليل واحد بمعنى الجمع، واحدته: ليلة، مثل: تمر، وتمرة، وقد جمع على (ليال)، فزادوا فيه الياء على غير قياس، ونظيره: أهل وأهال، والليل الشرعي من غروب

الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، وهو أحد قولين في اللغة، والقول الآخر من غروبها إلى طلوعها، هذا؛ والنهار ضد الليل، وهو لا يجمع كما لا يجمع العذاب، والسراب، فإن جمعته قلت في الكثير: نُهُر بضمتين كسحاب وسُحُب، وأنشد ابن كيسان: [الرجز]

لولَا الثريدانِ لَمُتْنَا بالضُّمُرْ ثَرِيدُ لَيْلٍ، وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ

وفي القليل: أنهر، والنهار من طلوع الفجر، أو من طلوع الشمس على ما تقدم في نهاية الليل، إلى غروب الشمس، وقد يطلق عليهما اسم اليوم، كما ستعرفه في الآية رقم [٣] من سورة (هود)، هذا؛ والليل يطلق على الحبارى، أو على فرخها وفرخ الكروان، والنهار يطلق على فرخ القطا. انتهى. قاموس. وقد ألغز بعضهم بقوله: [الوافر]

إذَا شَهْرُ الصِّيَامِ إلَيْكَ وَافَى فَكُلْ مَا شِئْتَ لَيْلاً أَوْ نَهَارا

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، وجملة: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ صلة الموصول، والعائد رجوع الفاعل إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيْلَ﴾، ﴿مُبْصِرًا﴾: حال إن كان جعل بمعنى خلق وأبدع، ومفعول ثان إن كان بمعنى: صير، وحذف مقابله بعد الفعل ﴿جَعَلَ﴾ كما حذف مقابل ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾ من بعده ليدل كل على المحذوف من مقابله، والتقدير: هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لِتَسْعَوْا فيه لمعاشكم، فحذف (مظلماً) لدلالة: ﴿مُبْصِرًا﴾ عليه، وحذف (لِتَسْعَوْا) لدلالة: ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾ عليه، وهذا يسمى احتباكاً، وهو أفصح كلام. انتهى. جمل بتصرف. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر إن تقدم على اسمها. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آيات)، وجملة: ﴿يَسْمَعُونَ﴾: مع المفعول المحذوف في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: كفار قريش، ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: يعني به قولهم: الملائكة بنات الله وهذه الآية مكية، فلا تشمل قول النصارى: عيسى ابن الله، ولا قول اليهود: عزير ابن الله، انظر

الآية رقم [٣٠] التوبة لحكاية قول الفريقين. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: انظر الآية رقم [١٠]، ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: غير محتاج للولد، والنصير، والمساعد، والولد مسبب عن الحاجة، فقد نزه الله نفسه عن الصاحبة، والأولاد، ثم أخبر بفناء المطلق، وأن له كل ما يوجد في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً، وانظر الآية رقم [٥٥] و[٦٦]. ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾: ما عندكم حجة وبرهان على ما تدعونه من اتخاذ الولد لله، وانظر الآية رقم [٩٦] من سورة (هود). ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: فيه توبيخ وتقريع على اختلافهم الكذب على الله، وعلى جهلهم الفادح، وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وأن العقائد لا بد لها من دليل قاطع، وأن التقليد فيها غير سائغ.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف. والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافة المصدر لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف مستأنفة لا محل لها. ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية تعليل للتنزيه لا محل لها. ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥٥]، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى (ما). ﴿عِندَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿بِهَٰذَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿سُلْطَٰنٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، وحرف التنبيه مقحم بين الجار والمجرور، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ فاعلاً بالظرف لاعتماده على النفي، وعند التأمل يظهر لك: أنه فاعل بفعل محذوف، التقدير: ما ثبت عندكم سلطان بهذا. ﴿أَتَقُولُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وإنكار. (تقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مقول القول، وصح ذلك؛ لأنها كناية عن كلام كثير، أو لأن الفعل بمعنى (تفترون). ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾. أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف. إذ التقدير: الذي أو شيئاً لا تعلمونه، والجملة الفعلية: ﴿أَتَقُولُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾

الشرح: ﴿قُلۡ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾: بإضافة الشريك إليه، وباتخاذ الولد له. ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾: لا يسعدون، وإن اغتروا بطول السلامة، والبقاء في النعمة، ثم لا ينجون من النار، ولا يفوزون بالجنة، وانظر إعلال (يصيب) في الآية رقم [٥١] من سورة (التوبة)، فإعلال ﴿يُفۡلِحُونَ﴾ مثله، وانظر المفلحون في الآية رقم [٨٨] منها.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾: في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾

الشرح: ﴿مَتَٰعٞ﴾: انتفاع وتلذذ، وتمتع واستمع بكذا انتفع به، والمتعة: الانتفاع، والتلذذ بالشيء، وأمتعه الله، ومتعه بكذا بمعنى واحد، ومتاع الغرور، أي: ما يغر ويخدع، ولا يغر إلا ضعفاء النفوس والإيمان، وخاب الفسقة الذين يقولون: إن متاع الغرور هو ما تحمله المرأة في أيام حيضها، فمن أين أتوا بهذا التفسير الذي لا يقره ذوق فضلاً عن عدم وجوده في كتب اللغة؟! ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: انظر الآية رقم [٢٣]، ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾: رجوعهم، وهذا يكون يوم القيامة يوم البعث والنشور للحساب والجزاء، ﴿نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ أي: نعذبهم العذاب الشديد في جهنم، وانظر ﴿فَذُوقُوهُ﴾: في الآية رقم [١٤] الأنفال. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ أي: يعذبون بسبب كفرهم، وجحودهم نعمة الله عليهم في الدنيا، وافترائهم الكذب على الله تعالى.

الإعراب: ﴿مَتَٰعٞ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ذلك متاع، أو هو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: لهم متاع، والجملة الاسمية مستأنفة على الاعتبارين. ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: متعلقان بـ ﴿مَتَٰعٞ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيۡنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرۡجِعُهُمۡ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿نُذِيقُهُمُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: مفعول به ثان. ﴿ٱلشَّدِيدَ﴾: صفته، وجملة: ﴿نُذِيقُهُمُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ انظر

إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٤] والجار والمجرور بعد التأويل متعلقان بالفعل: (نذيق)، وانظر الشرح يتضح لك التقدير.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: اقرأ يا محمد على قومك خبر نوح مع قومه. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ﴾: حين قال نوح لقومه الذين بعث إليهم داعياً ومنذراً. ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾ أي: إن كان عظم وشق عليكم طول مقامي بينكم، وذلك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام. أقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى، ويذكرهم بآيات الله، ويقدم لهم المواعظ، والنصح، والإرشاد، فلم يزدادوا إلا عتواً، ونفوراً. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: اعتمدت وفوضت أمري إليه، فهو حسبي، وثقتي، وملجئي، وملاذي.

﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: ما أشبه هذا القول بقول هود عليه السلام: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: يقال: أجمع الأمر: إذا عزم عليه، والأمر مُجْمَع، ويقال أيضاً: اجمع أمرك، ولا تدعه منتشراً، وقال تعالى حكاية عن قول فرعون وأشياعه: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا۟ صَفًّا﴾، ولا يقال: أجمع أعوانه وشركاءه، وإنما يقال: جمع أعوانه وأصدقاءه، وهذا مبني على قاعدة: (يقال: أجمع في المعاني، وجمع في الأعيان)، هذا هو الأكثر والمستعمل، وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر، قال تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ انظرها برقم [٦٠] من سورة (طه)؛ تجد ما يسرك حيث تجدها مؤولة؛ لذا فإن التقدير في الآية: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾، وادعوا شركاءكم مع العلم: أنه قد قرئ برفع شركاؤكم وانظر الإعراب. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا يكن ما أجمعتم عليه من كيدي أمراً مستوراً، بل اجعلوه ظاهراً مكشوفاً، أو المعنى: لا يكن حالكم عليكم غماً إذا أهلكتموني، وتخلصتم من ثقل مقامي بينكم، وتذكيري لكم، هذا؛ والغمة أيضاً: الكربة، والغم: الكرب، وانظر (الهم) في الآية رقم [١٣] (التوبة). ﴿ثُمَّ اقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾: امضوا بما في أنفسكم من مكروه، وما توعدوني به من قتل، وطرد، وافرغوا منه. ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تؤخروني ولا تمهلوني.

وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم، فقد أخبر الله تعالى عنه: أنه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله، وأنه كان واثقاً بنصره إياه، غير خائف من كيدهم، علماً منه بأنهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضر، وأن مكرهم لا يصل إليه. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿وَٱتۡلُ﴾: (اتل): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نَبَأَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿نُوحٍ﴾: مضاف إليه. ﴿إِذۡ﴾: ظرف متعلق بـ﴿نَبَأَ﴾، أو هي بدل من ﴿نَبَأَ﴾ فهي مبنية على السكون في محل نصب على الوجهين، وجملة: ﴿قَالَ لِقَوۡمِهِۦ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها.

﴿يَٰقَوۡمِ﴾: منادى منصوب، انظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٢٨] من سورة (هود) عليه السلام، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿كَبُرَ﴾: ماض. ﴿عَلَيۡكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّقَامِي﴾: تنازعه الفعلان قبله، فالأول يطلبه اسماً له، والثاني يطلبه فاعلاً، والثاني أولى عند البصريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه، وإذا عمل فيه أحدهما؛ فيعمل الثاني في ضميره، وعلى الوجهين فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، وجملة: ﴿كَبُرَ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾: معطوف على ما قبله مرفوع مثله.... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالمصدر (تذكيري)، و(آيات) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَعَلَى﴾: الفاء: حرف اعتراض، وقال أو البقاء، واقعة في جواب الشرط، ولا وجه له.

﴿فَعَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَوَكَّلۡتُ﴾: فعل وفاعل. والجملة الفعلية معترضة بين فعل الشرط وجوابه. ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أجمعوا): أمر مبني على حذف النون. والواو فاعله، والألف للتفريق والجملة الفعلية في محل جواب الشرط. وهي معطوفة على ما قبلها على قول أبي البقاء. وجزم السفاقسي بأن جواب الشرط محذوف، التقدير: فافعلوا ما شئتم؛ وعليه فالجملتان معترضتان. تأمل. ﴿أَمۡرَكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه معطوف على ما قبله. بتقدير حذف مضاف. أي: وأمر شركائكم. والثاني: أنه معطوف بدون تقدير مضاف. الثالث: أنه مفعول به بفعل محذوف، تقديره: وادعوا شركاءكم. الرابع: أنه مفعول معه؛ أي: مع شركائكم، هذا؛ وقرئ (شركاؤكم) بالرفع، وفيه تخريجان: أحدهما أنه معطوف على واو الجماعة وجاز ذلك للفصل بالمفعول به. والثاني: أنه مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: (وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم)، وشذت فرقة فقرأت: (وشركائكم) بالجر، ووجهت على حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه مجروراً على حاله، فتقديره: وأمر شركائكم، والكوفي يعطفه على الضمير من غير إعادة الجار، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف، ﴿لَا﴾: ناهية، ﴿يَكُنۡ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، ﴿أَمۡرُكُمۡ﴾: اسم ﴿يَكُنۡ﴾، والكاف في محل

جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿غُمَّةً﴾ بعدهما. ﴿غُمَّةً﴾: خبر ﴿يَكُنْ﴾، والجملة الفعلية﴿لَا يَكُنْ...﴾ إلخ معطوفة على ﴿إِنْ﴾ ومدخولها، والكلام كله في محل نصب مقول القول. ﴿اقْضُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة أيضاً فهي في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تُنظِرُونِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: فإن أعرضتم عما جئتكم به. ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي: من عوض على تبليغ الرسالة ووعظي، وتذكيري بآيات الله. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: لا أطلب منكم أجراً إنما أجري على الله. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: إني أمرت بدين الإسلام، وأنا ماض فيه، غير تارك له، سواء أقبلتموه، أم لم تقبلوه؟

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، أي: فلا ضرر عليَّ. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف تعليل. (ما): نافية. ﴿سَأَلْتُكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر زائد. ﴿أَجْرٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم...﴾ إلخ تعليل للجواب المحذوف، و﴿إِنْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف وهو من مقول نوح عليه السلام. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿أَجْرِيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ. والياء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف في محل خبر المبتدأ والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأُمِرْتُ﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، وتاء الفاعل نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، واسمه مستتر تقديره: «أنا». ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَكُونَ﴾، و﴿أَنْ﴾ والمضارع الناقص في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثان لـ (أُمِرَ)؛ لأن هذا الفعل يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر، كما هو معروف، فإن قدرت المصدر مجروراً بحرف محذوف، فيكون الجار والمجرور

متعلقين بالفعل (أمرت)، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وجملة: ﴿وَأُمِرْتُ...﴾ إلخ مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها لا محل لها على الوجهين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: كذبوا نوحاً، وأصروا على تكذيبه، بعدما ألزمهم الحجة، وبيَّن لهم: أن إعراضهم عنه، وعن دعوته، إنما هو لعنادهم، وتمردهم. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ أي: من الغرق. ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ أي: من المؤمنين، وكانوا ثمانين. ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: في السفينة التي صنعها، وانظر الآية رقم [٣٧] من سورة (هود)، وما بعدها، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: انظر الآية رقم [١٤]. ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالطوفان، كما ستقف عليه في الآية رقم [٤٠]، من سورة (هود)، وما بعدها. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: فانظر يا محمد، أو يا أيها الإنسان كيف كان آخر ونتيجة من أنذرتهم الرسل، فلم يؤمنوا، ولم يقبلوا ذلك، فيه تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول ﷺ، وتعزية وتسلية.

تنبيه: ذكر الله تعالى في هذه السورة قصة نوح عليه الصلاة والسلام موجزة، وانظرها في سورة (الأعراف)، وفي سورة (هود) بأوسع وأبسط من هذه السورة.

الإعراب: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: (كذبوه): فعل ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب. ﴿مَّعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: متعلقان بما تعلق به ما قبلهما، أو هما متعلقان بالفعل: (نجينا)، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً، وكذلك ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ﴾: معطوفة أيضاً، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: صلة الموصول لا محل لها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٣٩] فهي مثلها بلا فارق.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾: أرسلنا. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد نوح. ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: لم يذكر الله من كان بعد نوح من الرسل، وذكر في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود): هوداً، وصالحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعيباً وغيرهم. ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: فجاء الرسل أقوامهم بالدلالات

الواضحات والمعجزات الباهرات؛ التي تدل على صدقهم. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: فما صح وما استقام لهؤلاء الأقوام أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله لهم بسبب تعودهم على تكذيب الحق، وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل. انتهى. بيضاوي. وقال الخازن: إن أولئك الأقوام جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب. ولم يزجرهم ما جاءتهم به الرسل، ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب. انتهى. فالواو في ﴿كَانُوا﴾ و(يؤمنوا) ضمير القوم، والواو في ﴿كَذَّبُوا﴾ عائدة على قوم نوح، والضمير في ﴿بِهِ﴾ عائدة على نوح. ﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾: نختم على قلوب المجاوزين الحد في الكفر والتكذيب، فلا يؤمنوا؛ لانهماكهم في الضلال، واتباع المألوف، وفيه دليل على أن الأفعال واقعة بقدر الله تعالى وللعبد كسب فيها، وقد ذكرت ذلك مراراً فيما تقدم.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بَعَثْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿مِن بَعْدِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُسُلًا﴾، كان صفةً له، فلما قدم عليه صار حالاً، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿رُسُلًا﴾: مفعول به. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رُسُلًا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿بَعَثْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿فَجَاءُوهُم﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف وتفريع. (ما): نافية. ﴿كَانُوا﴾: ماض، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان)، التقدير: ما كانوا مريدين للإيمان. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، وجملة: ﴿كَذَّبُوا بِهِ﴾ صلة الموصول، أو صفة النكرة الموصوفة. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بالباء، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما) و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم في محل جر لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: نطبع على قلوب المعتدين طبعاً كائناً مثل الطبع الذي طبعناه على قلوب قوم نوح، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل لها، وانظر الآية رقم [١٣] ﴿نَطْبَعُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿قُلُوبِ﴾: مضاف، و﴿الْمُعْتَدِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: من بعد هؤلاء الرسل. ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣] من سورة (الأعراف)، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بمعجزاتنا التسع، انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٣] (الأعراف) وما بعدها. ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: عن اتباعهما وقبول الحق الذي جاءا به. ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: معتادين الإجرام، فلذلك تهاونوا برسالة ربهم، واجترؤوا على ردها.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بَعَثْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُّوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف. ﴿وَهَٰرُونَ﴾: معطوف على ﴿مُّوسَىٰ﴾، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بالفعل ﴿بَعَثْنَا﴾ وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: معطوف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بالفعل: ﴿بَعَثْنَا﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿بَعَثْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿كَذَّبُواْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَكَانُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾ منصوب، وجملة: ﴿وَكَانُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧٦﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: يريد فرعون وقومه، أي: فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله، وعرفوه بتظاهرات المعجزات الباهرة المزيحة للشك والريبة. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ: أي: قال فرعون وملؤه: إن هذا الذي جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٢] وجملة: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ ابتدائية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿مِنْ عِندِنَا﴾: متعلقان بالفعل جاء، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَقُّ﴾، ونا: في محل جر بالإضافة. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَسِحْرٌ﴾: اللام: هي المزحلقة (سحر): خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّبِينٌ...﴾: صفته،

والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: إنه سحر، فحذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه، وقيل لدلالة ما بعده عليه. ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾: ﴿هَٰذَا﴾ استفهام إنكاري وتوبيخي، أي: إنه ليس بسحر، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾؛ لأن السحر تمويه، وتخييل، وصاحب ذلك لا ينجح، ولا يفلح أبداً.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَتَقُولُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي تقريعي. (تقولون): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿لِلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَمَّا﴾: ظرفية بمعنى حين مبنية على السكون في محل نصب متعلق بالفعل (تقولون) أيضاً. ﴿جَآءَكُمْ﴾: ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى (الحق) تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها، ومقول: (تقولون) محذوف، انظر الشرح، وجملة: ﴿أَتَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَسِحْرٌ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي أيضاً. (سحر): خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية من مقول موسى أيضاً. ﴿وَلَا﴾: الواو: واو الحال. (لا): نافية. ﴿يُفْلِحُ﴾: مضارع. ﴿ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو فقط.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: فرعون وملؤه لموسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة وسلام. ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا وتلوينا، واللفت، والفتل بمعنى واحد، وفعلاهما من باب (ضرب). ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾: قال الخازن: من الدين، وقال غيره: من عبادة الأصنام وهو الأصح، وهذا يدل على أن قوم فرعون كانوا يعبدون الأوثان مع عبادة فرعون، فإنه كان يصنع لهم الأصنام، ويأمرهم بعبادتها، ويقول لهم: أنا ربكم الأعلى. ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الملك في أرض مصر، وأطلق الكبرياء على الملك؛ لأنه أعظم ما يطلب في الدنيا، ولاتصاف الملوك

بالكبر والتكبر على الناس باستعبادهم وإذلالهم، والخطاب في ﴿لَكُمَا﴾ لموسى وهارون. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين فيما جئتما به، هذا؛ ويقرأ ﴿وَتَكُونَ﴾ بالياء والتاء.

الإعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿أَجِئْتَنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (جئتنا): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ «عن»، وجملة: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ صلة ما، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ (على) التقدير: عن الذي، أو عن شيء وجدنا... إلخ. (تكون): مضارع ناقص معطوف على تلفتنا منصوب مثله. ﴿لَكُمَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر (تكون) مقدم، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: اسم (كان) مؤخر. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بنفس ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾، أو بمحذوف حال منه، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق: ﴿لَكُمَا﴾، أو هما متعلقان بالفعل (تكون)، أو بمحذوف خبر ثان له. انتهى. أبو البقاء بتصرف مني. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل (ليس). ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسم (ما). ﴿لَكُمَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مؤمنين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجر اللفظي، والنصب المحلي قام مقامهما الياء نيابة عن الكسرة أو الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا نَحْنُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من (نا) فالمعنى لا يأباه، والرابط: الواو، والضمير، ثم هي تعود في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى...﴾ إلخ: إنما قال فرعون هذا حين رأى معجزة العصا، واليد البيضاء، واعتقد أنهما سحر، فأراد أن يعارض معجزة موسى على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام بأنواع من التلبيس ليظهر أن ما أتى به موسى سحر.

الإعراب: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فعل ماض وفاعله. ﴿ٱئْتُونِى﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(كل) مضاف، و﴿سَٰحِرٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة ساحر، وجملة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: حضر سحرة فرعون الذين جاؤوا لمناظرة موسى عليه السلام. ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ أي: اطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم، وقد طلب السحرة من فرعون أجراً إن هم غلبوا موسى عليه السلام، انظر الآية رقم [١١٣] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: (لمّا): انظر الآية رقم [١٢] ﴿جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: فعل وفاعل، وانظر محل مثلها في الآية رقم [٧٦] ﴿أَلْقُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿مَآ﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَنتُم مُّلْقُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية صلة ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ألقوا الذي، أو شيئاً أنتم ملقونه، وجملة: ﴿أَلْقُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ...﴾ إلخ جواب (لمّا) لا محل لها، و(لمّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وقال الجمل: عطف على محذوف، أي: فأتوا بالسحرة، فلما جاء السحرة... إلخ، ولا داعي له.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ أي: ما معهم من الحبال والعصي، وانظر الآية رقم [١١٦] (الأعراف) ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ أي: الذي جئتم به هو السحر الباطل، وهذا على سبيل التوبيخ لهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: سيمحقه، أو سيظهر بطلانه، ويفضح صاحبه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: لا يثبته ولا يقويه، وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه، لا حقيقة له، هذا؛ وفي الآية تحذير من الفساد، وسلوك طرق الشر، ومن سلك طريق الشر؛ فالله يكله إلى شيطانه يتلاعب به كيف يشاء، فالله يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ بخلاف من اهتدى وسلك طريق الخير، فإنه يجد توفيقاً من الله إلى الخير، وعوناً عليه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٢]. ﴿أَلْقَوْا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية انظر ما قيل في مثلها في الآية رقم [٧٦]. ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية جواب (لمّا) لا محل لها، و(لمّا): ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ،

﴿جِئْتُم﴾: فعل وفاعل، ﴿بِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿جِئْتُم بِهِ﴾: صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلسِّحْرُ﴾: خبر المبتدأ، هذا؛ ويقرأ بالاستفهام، فعلى هذا تكون: ﴿مَا﴾ استفهاماً، وفي موضعها وجهان: أحدهما نصب بفعل محذوف موضعه بعد ﴿مَا﴾ تقديره: أي: شيء أتيتم به، وجئتم به يفسر المحذوف، فعلى هذا في قوله ﴿ٱلسِّحْرُ﴾ وجهان: أحدهما: هو خبر مبتدأ محذوف، أي: أهو السحر. والثاني: أن يكون الخبر محذوفاً، أي: السحر هو، والثاني موضعها رفع بالابتداء، و﴿جِئْتُم بِهِ﴾: الخبر، و﴿ٱلسِّحْرُ﴾ فيه وجهان: أحدهما ما تقدم من الوجهين، والثاني: هو بدل من موضع ﴿مَا﴾ كما تقول: ما عندك؟ أدينار أم درهم؟ ويقرأ على لفظ الخبر، وفيه وجهان: أحدهما: استفهام أيضاً في المعنى، وحذفت الهمزة للعلم بها، والثاني: هو خبر في المعنى، فعلى هذا تكون ﴿مَا﴾ بمعنى (الذي) و﴿جِئْتُم بِهِ﴾ صلتها و﴿ٱلسِّحْرُ﴾خبرها، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ استفهاماً، والسحر خبر مبتدأ محذوف. انتهى. عكبري بحروفه.

هذا؛ وأجاز الفراء نصب السحر بـ ﴿جِئْتُم﴾، وتكون ﴿مَا﴾ للشرط، و﴿جِئْتُم﴾ في موضع جزم بـ ﴿مَا﴾، والفاء محذوفة، التقدير: فإن الله سيبطله، وهذا القول لم يوافق الفراء عليه أحد من النحاة؛ لأن حذف الفاء من جواب الشرط لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، والقرآن لا يخرج على الضرورة، والجملة: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: السين: حرف استقبال. (يبطله): مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً، والإعراب واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾: يثبته، ويبينه، ويوضحه، ويقويه، ويعليه. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوامره وحججه وبراهينه، وقرئ: بكلمته، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: تحقيق ما ذكر، والمراد بـ: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فرعون وملؤه، وانظر الآية رقم [١٣].

الإعراب: ﴿وَيُحِقُّ﴾: (يحق): مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على خبر (إنَّ). ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَرِهَ﴾: ماض. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والمفعول محذوف؛ إذ التقدير: ولو كره المجرمون ذلك، والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال من: ﴿ٱلْحَقَّ﴾، والرابط: الواو، والضمير، وانظر الآية رقم [٨] الأنفال، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل (يحق)، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: لقد اختلف في مرجع الضمير، فقيل: إنه يرجع إلى موسى، وأراد بهم قوم موسى، هلك الآباء وبقي الأبناء الذين نجوا من قتل فرعون فآمنوا بموسى، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الضمير يعود إلى فرعون، يعني من قوم فرعون، منهم مؤمن آل فرعون الذي ذكر بإسهاب في سورة (غافر)، وخازن فرعون، وامرأته آسية، وماشطة ابنته، وامرأة خازنه، وقيل: هم أقوام آباؤهم من القبط، وأمهاتهم من بني إسرائيل فسموا ذرية، كما يسمى أولاد الفرس الذين توالدوا في بلاد اليمن وبلاد العرب: الأبناء؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم، قاله الفراء، وعلى هذا فالضمير في قومه يعود إلى موسى للقرابة من جهة الأمهات، وإلى فرعون، إذا كانوا من القبط.

هذا؛ والذرية: نسل الإنسان وقد تكثر، وانظر الآية رقم [١٧٢] (الأعراف). ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ أي: مع خوف من فرعون؛ لأنه كان مسلطاً عليهم عاتياً. ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾: واختلف في مرجع الضمير أيضاً، فقيل: هو عائد على الذرية، ولم يؤنث؛ لأن الذرية قوم، فهو مذكر في المعنى، وقيل: هو عائد على القوم، وقيل: هو عائد على فرعون، وإنما جمع لوجهين: أحدهما: أن فرعون لما كان عظيماً عندهم عاد عليه الضمير بلفظ الجمع، كما يقول العظيم: نحن نأمر، والثاني: أن فرعون صار اسماً لأتباعه، كما أن ثمود وعاداً اسمان للقبيلتين وقيل: الضمير يعود على محذوف، تقديره: من آل فرعون وملئهم، أي: ملأ الآل، وهذا عندنا غلط؛ لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير، انتهى. عكبري بتصرف.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: يصرفهم عن دينهم بالتعذيب والانتقام، فوحد الفاعل؛ لأن قوم فرعون وملأه كانوا على مراده وتابعين له. ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لعات متجبر متكبر في أرض مصر. ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: المتجاوزين الحد؛ لأنه عبد فادعى الربوبية، وأكثر القتل والتعذيب في بني إسرائيل.

قال الخازن: لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة؛ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، وإنما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد ﷺ؛ لأنه كان كثير الاهتمام بإيمان قومه، وكان يغتم بسبب إعراضهم عن الإيمان به، واستمرارهم على الكفر والتكذيب.

الإعراب: ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿ءَامَنَ﴾: ماض. ﴿لِمُوسَىٰٓ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾: فاعل. ﴿مِّن قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف

صفة: ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿ءَامَنَ﴾. ﴿مِّن فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بـ ﴿خَوْفٍ﴾، ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾: معطوف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿فِرْعَوْنَ﴾، أو في محل نصب مفعول به للمصدر ﴿خَوْفٍ﴾، والهاء مفعول به. ﴿وَإِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: اسم (إن). ﴿لَعَالٍ﴾: اللام: هي المزحلقة، (عال): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفاعله مستتر فيه، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ (عال)، وجملة: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ...﴾ إلخ، في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَفْتِنَهُمْ﴾ المستتر، والرابط: الواو، وإعادة ﴿فِرْعَوْنَ﴾ بلفظه ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وهذه الجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ...﴾ إلخ: أي: ثقوا بالله، واعتمدوا عليه، وسلموا الأمر إليه، فإنه ناصر أولياءه ومهلك أعداءه. ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ أي: منقادين، ومستسلمين لأمره، وقضائه وقدره، وفي الآية دليل على أن التوكل على الله، والتفويض لأمره من كمال الإيمان، وإن من كان يؤمن بالله؛ فلا يتوكل إلا على الله، لا على غيره.

الإعراب: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل ماض وفاعله. والجملة الندائية: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في محل نصب مقول القول، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٢٨] من سورة (هود). ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط. والتاء اسمه، وجملة: ﴿ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَعَلَيْهِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عليه): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَوَكَّلُوٓاْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ءَامَنَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: الإعراب واضح إن شاء الله تعالى، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه.

قال القرطبي: كرر الشرط تأكيداً، وقال البيضاوي: وليس هذا من تعلق الحكم بشرطين، فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل، فإنه المقتضي له، والمشروط بالإسلام حصوله، فإنه لا يوجد مع التخليط، ونظيره: إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت.

قال سليمان الجمل: ومحصله: أن المعلق على الأول وجوب التوكل، وعلى الاستسلام وجود التوكل، وعلى هذا فجواب الثاني محذوف كما يقتضيه صنيع الكازروني، ونصه، فالمعنى إن كنتم آمنتم؛ وجب عليكم التوكل، وإن كنتم مسلمين؛ توكلتم عليه. انتهى.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَقَالُواْ﴾ أي: قال قوم موسى. ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: أسلمنا أمورنا إلى الله، ورضينا بقضائه وقدره، وانتهينا إلى أمره، وإنما قالوا ذلك؛ لأنهم كانوا مسلمين. ﴿رَبَّنَا﴾: انظر الآية رقم [٤٥] من سورة (هود). ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تنصر الفراعنة علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو لا تمتحنا بأن تعذبنا على أيديهم.

وقال مجاهد: المعنى: لا تهلكنا بأيدي أعدائنا، ولا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول أعداؤنا: لو كانوا على حق لم نسلط عليهم فيفتنوا.

وقال أبو مجلز وأبو الضحاك: يعني لا تظهرهم علينا، فيروا أنهم خير منا، فيزدادوا طغياناً وكفراً. انتهى. قرطبي. وانظر البغي في الآية [٢٣].

الإعراب: ﴿فَقَالُواْ﴾: (قالوا): فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿تَوَكَّلْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه حرف النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿لَا﴾: دعائية جازمة. ﴿تَجْعَلْنَا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به أول. ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿لِّلْقَوْمِ﴾: متعلقان بـ ﴿فِتْنَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة (القوم) مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿تَجْعَلْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي: خلصنا، وأنقذنا بفضلك وكرمك من أيدي قوم فرعون الكافرين؛ لأنهم كانوا يستعبدونهم، ويستخدمونهم بالأعمال الشاقة، قال البيضاوي: وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي، ينبغي أن يتوكل أولاً لتجاب دعوته. وانظر (كفروا) في الآية رقم [١٩] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَنَجِّنَا﴾: (نجنا): فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل: (نجنا). ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: صفة القوم مجرور... إلخ، وجملة: ﴿وَنَجِّنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾: اتخذا: يقال: بوأت زيداً مكاناً، وبوأت لزيد مكاناً، فالأول بمعنى: أنزلت زيداً مكاناً، والثاني بمعنى: اتخذت لزيد مكاناً، والمبوأ: المنزل الملزوم، ومنه: بوأه الله منزلاً، أي: ألزمه إياه، وأسكنه فيه، قال الرسول ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: ﴿تُبَوِّئُ﴾ في الآية رقم [١٢١] (آل عمران) و﴿بَوَّأْنَا﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (الحج)، و﴿تَبَوَّءُو﴾ في الآية رقم [٩] من سورة (الحشر)، و [٩٣] الآتية، والآية رقم [٧٣] من سورة (الأعراف). ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: يسكنون فيها، أو يتعبدون فيها، قال كثير من المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم ومعابدهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل الله موسى إلى فرعون، أمر بمعابدهم فخربت، ومنعوا الصلاة فيها. ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: مصلى تصلون فيها مختفين من كيد فرعون وملئه لتأمنوا على أنفسكم، فأمروا بالصبر واتخاذ المعابد في البيوت، والمداومة على الصلاة، والدعاء إلى أن ينجز الله وعده، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟...﴾ إلخ الآية رقم [١٢٨] ـ من سورة (الأعراف) ـ وقيل: المعنى: اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً، وقيل: المعنى اجعلوا مساجدكم إلى القبلة، أي: إلى بيت المقدس، وقيل: الكعبة، والأول أولى بالاعتبار. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدوها كاملة في تلك البيوت. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: الخطاب لمحمد ﷺ، والأظهر: أنه لموسى عليه السلام، أي: بشر بني إسرائيل بأن الله سيظهرهم على عدوهم، وقد حقق الله ما وعد به، وهو يشمل كل مؤمن إلى يوم القيامة.

قال البيضاوي رحمه الله تعالى: وإنما ثنى الضمير أولاً؛ لأن التبوأ للقوم، واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور، ثم جمع؛ لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد، ثم وحد؛ لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة. انتهى.

الإعراب: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: الواو: حرف عطف. (أوحينا): فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَخِيهِ﴾: معطوف على ﴿مُوسَىٰ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: حرف تفسير. ﴿تَبَوَّءَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، وألف الاثنين فاعله. ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعول به أول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿بُيُوتًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» هذا؛ وأجيز اعتبار اللام الجارة زائدة، فيكون (قومكما) مجروراً لفظاً، منصوباً حالاً، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿بِمِصْرَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿تَبَوَّءَا﴾، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، هذا؛ وأجيز تعليق الجار والمجرور بمحذوف حال من ﴿بُيُوتًا﴾، كان صفة له. . .إلخ، أو بمحذوف حال من: (قومكما)، أو بمحذوف حال من ألف الاثنين، وفيه ضعف. انتهى. عكبري بتصرف بسيط. ﴿بُيُوتًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿تَبَوَّءَا...﴾ إلخ تفسير لـ: (أوحينا) لا محل لها، هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿أَن﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به لـ (أوحينا)، التقدير: أوحينا إليهما التبوأ، والأول أقوى وأعرف؛ لأن ﴿أَن﴾ مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه، وجملة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (قالوا. . .) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَٱجْعَلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿بُيُوتَكُمْ﴾: مفعول به أول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿قِبْلَةً﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَٱجْعَلُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، وجملة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفة أيضاً، وكذلك جملة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوفة، وتحتمل الاستئناف. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ...﴾ إلخ: قال سليمان الجمل رحمه الله تعالى: لما أتى موسى بالمعجزات الباهرات، ورأى القوم يصرون على الكفر والعناد؛ أخذ في الدعاء عليهم، ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولاً سبب إقدام الغير على الجرائم، التي هي سبب في الدعاء عليه، ولما كان سبب كفرهم، وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها؛ قدم هذه المقدمة، فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ...﴾ إلخ. انتهى. منقولاً من كرخي وغيره. هذا؛ والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس، وأثاث البيوت الفاخرة، والأشياء الجميلة، والمال: ما زاد على هذه الأشياء. انتهى. خازن.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة، وزبرجد، وياقوت. ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾: يقرأ الفعل بضم الياء وفتحها، والمعنى أعطيتهم النعم المذكورة ليشكروها، ويتبعوا دينك، فكان عاقبة أمرهم: أنهم كفروها وضلوا عن سواء السبيل، وقيل: هو دعاء عليهم بالإضلال بما عرف من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غير ما حصل منهم، وقيل: المعنى: ربنا إنك جعلت هذه النعم سبباً لضلالهم؛ لأنهم بطروا وطغوا في الأرض، واستكبروا عن الإيمان. ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: الطمس: إزالة الشيء بالمحو، والمعنى: أزل صور أموالهم وهيئاتها، قال قتادة: بلغنا أن أموالهم، وحروثهم، وزروعهم، وجواهرهم صارت حجارة، وقيل غير ذلك. ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: اطبع عليها وقسها حتى لا تلين، ولا تنشرح للإيمان. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: فلا يحصل منهم إيمان حتى يبصروا بأعينهم العذاب الموجع المؤلم، وهو الغرق، ولكن لم ينفعهم الإيمان شيئاً حين شاهدوا العذاب، كما ستعرفه قريباً. هذا؛ وكان موسى يدعو، وأخوه هارون يؤمن على دعائه، عليهما الصلاة والسلام.

تنبيه: قد يشكل على القارئ كيف دعا موسى عليه السلام على قومه بما رأيت، ووظيفة الرسل استدعاء قومهم إلى الإيمان، وترغيبهم فيه، والجواب: أن موسى عليه السلام إنما دعا عليهم بإذن الله، وإعلام منه تعالى: أنه ليس فيهم من يؤمن، ولا يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله، دليله قوله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ وعند ذلك دعا على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل، ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف في محل نصب اسمها. ﴿آتَيْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مفعول به أول ﴿وَمَلَأَهُ﴾: معطوف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿زِينَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿وَأَمْوَالًا﴾: معطوف على ﴿زِينَةً﴾. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿آتَيْتَ﴾ أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿زِينَةً وَأَمْوَالًا﴾. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة ﴿الْحَيَاةِ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿آتَيْتَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَأَوْحَيْنَا...﴾ إلخ لا محل لها أيضاً. ﴿رَبَّنَا﴾: توكيد للسابق. ﴿لِيُضِلُّوا﴾: لقد اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها: إنها لام العاقبة، والصيرورة، وهو قول الخليل وسيبويه، وقيل: هي لام التعليل، وقيل: هي لام أجل، أي: أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك، وعلى هذه الأقوال الثلاثة فالفعل منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان

بالفعل: ﴿ءَاتَيْتَ﴾، وقيل: اللام لام الأمر، فهو دعاء عليهم بلفظ الأمر، كأنه قال: ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال، وليكونوا ضلالاً، وإليه ذهب الحسن البصري، وبه قال ابن هشام في «مغني اللبيب»؛ وعليه فالفعل مجزوم لا منصوب، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رَبَّنَا﴾: توكيد لما تقدم: ﴿اطْمِسْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية من مقول موسى أيضاً، ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، فلها حكمها محلاً وإعراباً. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ فهذا يحتمل النصب والجزم، فالنصب من وجهين: أحدهما عطفه على ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾، والثاني: نصبه على جواب الدعاء في قوله: ﴿ٱطْمِسْ﴾ و(لا) نافية على الوجهين، والفاء على الأول: حرف عطف، وعلى الثاني: للسببية، وأما الجزم على أن (لا) ناهية، ومعناها الدعاء، كقولك: لا تعذبني يا رب، وعلامة النصب والجزم حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى النصب يؤول الفعل مع «أن» المضمرة بمصدر معطوف على ما قبله. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَرَوُا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ وعلامة نصبه.. إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْأَلِيمَ﴾: صفة العذاب، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُؤْمِنُوا۟﴾، التقدير: فلا يؤمنوا إلى رؤية العذاب بأعينهم.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ أي: قال الله تعالى لموسى وهارون: قد استجبت لكما فيما دعوتماني، وهو ما ذكر في الآية السابقة، والخطاب جاء بلفظ المثنى؛ لأن هارون كان يؤمن على دعاء موسى، وقيل: دعا معه بدليل قول موسى عليه السلام ﴿رَبَّنَآ﴾ هذا؛ وقرئ: (أجبت دعوتكما) و(دعواتكما). ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾: فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله، وتبيين الحجج والبراهين، ولا تستعجلا، فإن ما طلبتما كائن وواقع، ولكن في وقته. روي: أن فرعون مكث في قومه متجبراً متغطرساً بعد هذه الإجابة أربعين سنة ثم أُهلك هو وقومه. ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: طريق الجهلة في الاستعمال، أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله، فإنه تعالى منجز وعده لأوليائه، ومحقق وعيده لأعدائه، هذا؛ ويقرأ (تتبعان) بتشديد النون وتخفيفها.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى «الله». ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أُجِيبَت﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء حرف لا محل له. ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾: نائب فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وعلى قراءة: (أجبت) فهو فعل وفاعل، و(دعوتكما) بالنصب مفعول به، وجملة: ﴿قَدْ

أُجِيبَت...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٣] (استقيما): فعل أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان قد استجيبت دعوتكما فاستقيما، وهذا الكلام كله في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: ناهية. ﴿تَتَّبِعَآنِّ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون. . . . إلخ، وألف الاثنين فاعله، ونون التوكيد حرف لا محل له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وهي في محل نصب مقول القول، وعلى القراءة الثانية فـ (لا) نافية، والمضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والجملة الفعلية محتملة لوجهين: أحدهما: الاستئناف. والثاني: أنها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وأنتما لا تتبعان، والجملة الاسمية في هذه في محل نصب حال من ألف الاثنين، والرابط: الواو، والضمير. ﴿سَبِيلَ﴾: مفعول به، و﴿سَبِيلَ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول لا محل لها.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: وقطعنا ببني إسرائيل، وعبرناهم إياه؛ حتى جاوزوه وعبروه. والمراد به البحر الأحمر. وقرئ: جوزنا. ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾: لحقهم وأدركهم. ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾: باغين، ومعتدين، وقيل: طلباً للاستعلاء بغير حق. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾: ناله ووصله. ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فلم يقبل منه هذا الإيمان؛ لأنه عند معاينة العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ وقيل: إنه قال هذه الكلمة ليتوصل بها إلى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة، ولم يكن قصده بها الإقرار بوحدانية الله تعالى، والاعتراف له بالربوبية، لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت. ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لما يريده رب موسى.

تنبيه: قال أهل التفسير: اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف، وهم اثنان وسبعون، وخرجوا مع موسى من مصر، وهم ستمائة ألف، وكان ذلك في مدة أربعمئة سنة، وذلك: أنه لما أجاب الله دعاء موسى وهارون أمرهما بالخروج ببني إسرائيل من مصر، ويسر لهم أسباب الخروج، وكان فرعون غافلاً عنهم، فلما سمع بخروجهم خرج بجنوده في طلبهم، فلما أدركهم، قالوا لموسى: أين المخلص والمخرج، والبحر أمامنا، وفرعون وراءنا، وقد كنا نلقى

من فرعون البلاء العظيم؟ فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم، وكشف الله عن وجه الأرض، وأيبس لهم البحر، فلحقهم فرعون، وكان على حصان أدهم، وخلفه عسكره، ويقال: إن فرعون هاب دخول البحر، ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى، فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى، وقال له: تقدم، وهو لا يعرفه، ثم نزل في طريق من طرق البحر المفتوحة، فتبعها حصان فرعون، وميكائيل يسوقهم لا يشذ منهم أحد، فلما صار آخرهم في البحر، وهَمَّ أولهم بالخروج، انطبق عليهم البحر، وألجم فرعون الغرق، فقال: آمنتُ بالذي آمَنَتْ به بنو إسرائيل، فدس جبريل عليه السلام في فمه طين البحر، وروى الترمذي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا أغرقَ اللهُ فِرعونَ، قالَ، آمَنْتُ أَنَّهُ لا إلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ به بَنُو إسرائيلَ، قال جبريلُ: يا محمدُ فَلَوْ رأَيْتَنِي وأَنَا آخُذُ مِنْ حالِ الْبَحْرِ، فأدسُّهُ في فِيهِ مخافةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ**». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. وسترى في سورة (طه) والشعراء وغيرهما مزيداً من ذلك إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾: (جاوزنا): فعل وفاعل، وانظر الآية رقم [٨] من سورة (هود) ﴿بِبَنِيٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به أول، و(بني) مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْبَحْرَ﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَجَٰوَزْنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَغْيًا﴾: مفعول لأجله. ﴿وَعَدْوًا﴾: معطوف على ما قبله، أو هما منصوبان على أنهما مصدران في موضع الحال، التقدير: باغين ومعتدين. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢] ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿أَدْرَكَهُ﴾: ماض ومفعوله. ﴿ٱلْغَرَقُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾.

﴿ءَامَنتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: كونه بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. وثانيها: كونه بدلاً من ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء، وثالثها: كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأقوى، والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَنَّهُۥ﴾، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء المحذوفة، والجار المجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: آمنت بكونه لا إله... إلخ، هذا؛ وقرئ بكسر همزة: (إنه) وعليه فالجملة اسمية، وهي في محل نصب مقول القول لقول محذوف، والقول المحذوف، ومقوله كلام مستأنف لا محل له، وقيل: إنه

بدل من ﴿ءَامَنتُ﴾ على وجه التفسير له. انتهى. بيضاوي بتصرف. وجملة: ﴿ءَامَنتُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها، و﴿إِذَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وقال الأخفش: ﴿إِذَآ﴾ متعلقة بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وهو غير مسلم له. ﴿ءَامَنَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَنُوٓاْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنُوٓاْ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾: مضاف إليه مجرور. .إلخ، وجملة: ﴿ءَامَنَتْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَأَنَا۠﴾: الواو: واو الحال. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، الجملة الاسمية في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ أي: أتؤمن الآن وتتوب من الكفر؛ وقد أضعت التوبة في وقتها، وآثرت دنياك الفانية، على الآخرة الباقية! والمخاطب لفرعون بهذا الكلام هو جبريل. وقيل: ميكائيل عليهما السلام، وقيل: إن القائل لذلك هو الله تعالى، عرَّف فرعون قبح صنعه، وما كان عليه من الفساد في الأرض، والأول أشهر، وانظر ما ذكرته في الآية السابقة عن جبريل. ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: عصيت الله، وخالفت أوامره، قبل ذلك طوال حياتك. ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: في الأرض الضالين المضلين الناس عن توحيد الله تعالى، وانظر شرح ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ في الآية [٥١].

الإعراب: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾: الهمزة حرف استفهام، وتوبيخ، وإنكار. (الآن): ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَصَيْتَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، انظر الشرح. ﴿قَبْلُ﴾: ظرف زمان مبني على الضم في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل (تؤمن) المقدر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَكُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكُنتَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر، ونجعلك طافياً على وجه الماء، أو نلقيك على نجوة من الأرض، ليراك بنو إسرائيل، هذا؛ ويقرأ الفعل بتشديد

الجيم وتخفيفها، كما قرئ بالحاء: ﴿نُنَحِّيكَ﴾ أي: نلقيك بناحية الساحل. ﴿بِبَدَنِكَ﴾: بجسدك الذي لا روح فيه، وقيل: معناه بدرعك، وكانت درعه من لؤلؤ منظوم، وقيل: كانت من الذهب، وكان يعرف بها، والبدن: الدرع القصيرة، قاله أبو عبيدة، وأنشد للأعشى: [المتقارب]

وبَيْضَاءَ كَالنَّهْيِ مَوْضُونَةٍ لَهَا قَوْنَسٌ فوقَ جَيْبِ الْبَدَنْ

البيضاء: الدرع، والنهي بالفتح والكسر: الغدير، وكل موضع يجتمع فيه الماء، والموضونة المنسوجة، والقونس: أعلى بيضة في الحديد، والبدن: الدرع القوية وجيبها تحتها، وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: [الوافر]

تَرَى الأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبَغَاتٍ عَلَى الأَبْطَالِ، والْيَلَبَ الْحَصِينَا

أراد بالأبدان: الدروع، واليلب: الترس، وقيل: جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة، وهو اسم جنس، الواحد: يلبة، ورد هذا التفسير الأخفش. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي: لمن بعدك علامة على قدرة الله القاهر الذي أذلك وأخزاك، وعبرة وعظة لبني إسرائيل؛ لأنهم خيل إليهم: أنه لا يهلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب هيبة منه حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحاً على طريقهم في الساحل، فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً، وقيل: المعنى لمن يأتي بعدك من الجبابرة إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدوك عبرة ونكالاً، فيعرفون: أن الإنسان مهما بلغ من عظم الشأن، وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الألوهية. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾: لا يتفكرون فيها، ولا يعتبرون بها، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ غيره به. هذا؛ والقائل هو الله تعالى، وهو يؤيده ما قيل في الآية السابقة. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (اليوم): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده. ﴿نُنَجِّيكَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِبَدَنِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من كاف الخطاب، التقدير: عارياً عن الروح ببدنك فقط، ونحو ذلك، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِتَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، واسمه مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِمَنْ﴾: متعلقان بالفعل الناقص، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَايَةً﴾، كان صفة له، فما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿خَلْفَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ءَايَةً﴾: خبر تكون، و«أن» المضمرة والفعل تكون في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿كَثِيرًا﴾: اسم (إنَّ). ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ ﴿كَثِيرًا﴾. ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. و(نا): في محل جر بالإضافة.

﴿لَغَٰفِلُونَ﴾: خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . . . إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية (إن. . .) إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو فقط، وانظر الشاهد [٨٤٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وهو قول امرئ القيس: [الطويل]

وَقَـدْ أَغْـتَـدِي والـطَّـيْـرُ فـي وُكُـنـاتِـهَـا ... بِـمُـنْـجَـرِدٍ قَـيْـدِ الأَوَابِـدِ هَـيْـكَـلِ

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزلنا، وانظر الآية رقم [٨٧] ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً، وهو الشام ومصر بعد هلاك فرعون وجنوده، وإنما وصف المكان بالصدق؛ لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً، أضافته إلى الصدق، تقول العرب: هذا رجل صدق وقدم صدق. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من اللذائذ من فواكه وخضار وغير ذلك. ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: فما اختلفوا في أمر دينهم، إلا من بعد ما قرؤوا التوراة، وعلموا أحكامها، أو: ما اختلفوا في أمر محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا صدقه بنعوته، وتظاهر معجزاته، وذلك: أنهم كانوا قبل مبعثه مقرين به، مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه، لما يجدونه مكتوباً عندهم، فلما بعثه الله؛ اختلفوا فيه، فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، وكفر به أكثرهم بغياً، وحسداً. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ...﴾ إلخ: أي: يحكم ويفصل بينهم، فيثيب الطائع، ويعاقب العاصي، فيدخل من آمن بمحمد ﷺ الجنة، ويدخل من كفر به، وجحد نبوته النار.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم بالله. اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. قد: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿بَوَّأْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿بَنِىٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿مُبَوَّأَ﴾: يحتمل أن يكون مصدراً ميميًّا، وأن يكون اسم مكان؛ فعلى الأول هو مفعول مطلق، وعلى الثاني هو مفعول ثان للفعل: ﴿بَوَّأْنَا﴾، و﴿مُبَوَّأَ﴾: مضاف، و﴿صِدْقٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل مفعوله الثاني. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. ما: نافية. ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر، بعدها «أن» مضمرة. ﴿جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، و«أن» المضمرة

والفعل جاء في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَقْضِي﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكَ﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، ﴿الْقِيَامَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿يَقْضِي﴾ و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ (في). ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: من آيات القرآن المشتملة على القصص والأحكام والمواعظ وذلك على سبيل الفرض والتقدير؛ إذ محال أن يشك النبي ﷺ بنبوته، أو فيما أوحي إليه.

وقال القرطبي: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، أي: لست في شك، ولكن غيرك في شك، قال أبو عمر محمد بن عبد الله الزاهد: سمعت الإمامين ثعلباً والمبرد يقولان: معنى ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ أي: قل: يا محمد للكافر. ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾، وإني أعتمد الأول، وهو كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هو على سبيل الفرض والتقدير أيضاً، ومعاذ الله أن يشرك النبي المعظم ﷺ. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: فاسأل علماء اليهود والنصارى، الذين آمنوا بك وبرسالتك، فإن ما أنزل إليك محقق عندهم، ثابت في كتبهم، على نحو ما أنزل إليك، فقال النبي ﷺ: «لا أَشُكُّ وَلَا أَسْأَلُ». ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: إن ما نزل إليك إنما هو الحق الثابت الذي لا شك فيه. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكين فيما أنزل إليك من ربك، فاثبت على ما أنت عليه.

هذا؛ والشك في اللغة خلاف اليقين، والشك: اعتدال النقيضين عند الإنسان، لوجود أمارتين، أو لعدم الأمارة، والشك ضرب من الجهل.

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿فِي شَكٍّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر كان. ﴿مِّمَّآ﴾: متعلقان بـ ﴿شَكٍّ﴾؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف صفة له، و(ما): تحتمل

الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ(من)، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، التقدير: من الذي، أو من شيء أنزلناه إليك. وجملة: ﴿كُنتَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَسْـَٔلِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اسأل): أمر، وفاعله: (أنت). ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان لما أبهم في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَسْـَٔلِ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكَ ٱلْحَقُّ﴾: ماض ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَقُّ﴾ والقسم المقدر وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (لا): ناهية. ﴿تَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح في محل جزم بـ(لا) الناهية، ونون التوكيد حرف لا محل له، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونَنَّ﴾، وجملة: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً فلا تكونن... إلخ، وهذا الشرط المقدر، ومدخوله كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: يقال في هذه الآية ما قيل في الآية السابقة من الفرض والتقدير، وما قاله القرطبي أيضاً. وقال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: واعلم أن هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ممن عنده شك، وارتياب، فإن النبي ﷺ لم يشك، ولم يرتب، ولم يكذب بآيات الله، فثبت بهذا أن المراد به غيره، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. انتهى. وقال الزمخشري في الكشاف: ويجوز أن يكون هذا على طريق التهييج، والإلهاب، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ الآية رقم [٨٦ و٨٧] من سورة (القصص).

الإعراب: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب ما قبلها بلا فارق، وهي معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَتَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ«أن» مضمرة بعد فاء السببية، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر تكون، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و«أن» المضمرة

والفعل تكون في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منك تكذيب بآيات الله فخسران في الدنيا والآخرة. تأمل، وتدبر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: معنى الآيتين: إن الذين وجبت عليهم كلمة الله، وهي: «خلقت هؤلاء للنار، ولا أبالي»، وسبق قضاؤه وقدره بعدم إيمانهم، وعدم هدايتهم، لا يؤمنون، ومهما جئتهم بآية تدل على توحيد الله، وصحة نبوتك؛ فإنهم لا ينتفعون، ولا يهتدون، حتى يبصروا بأعينهم ويشاهدوا العذاب الموجع، وهيهات هيهات أن يقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب كما لم ينفع فرعون! وانظر الآية رقم [٣٣] ورقم [٤٤] تجد ما يسرك، وانظر شرح ﴿كَلِمَتُ﴾ في الآية رقم [١١٩] سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع.... إلخ، والواو فاعله، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: ماض ومفعوله، والتاء للتأنيث. ﴿كُلُّ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ءَايَةٍ﴾: مضاف إليه، والجملة: ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، هذا؛ وإن اعتبرت (لو) امتناعية فالفعل جاء شرطها، وجوابها محذوف، التقدير: لا يؤمنون، ولا يهتدون سبيلاً. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿يَرَوُا۟﴾: مضارع منصوب بـ«أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْأَلِيمَ﴾: صفته، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المذكور، أو بالفعل المحذوف الذي رأيت تقديره.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ أي: هلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها على ممر العصور تابت عن الكفر، وأخلصت الإيمان قبل معاينة العذاب، ولم تؤخر

توبتها كما أخر فرعون إيمانه وتوبته إلى أن حل به العذاب، فلم ينفعه إيمانه، وأداة التحضيض معناها النفي، أي: لم يقع ذلك في غابر الزمن. ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ أي: فهؤلاء نفعهم الإيمان عند مشاهدة العذاب، وهو ما أفاده قوله تعالى: ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا...﴾ إلخ، فهم مستثنون من حكم عام، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿ٱلْخِزْيِ﴾: أي: المذل المخزي. ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾: تركناهم يتمتعون في هذه الدنيا ويتلذذون فيها إلى انقضاء آجالهم التي قدرها لهم العزيز الحكيم.

تنبيه: ذكر يونس عليه السلام باسمه في القرآن الكريم أربع مرات في سورة (النساء) الآية [١٦٣] والأنعام الآية رقم [٨٦] وما نحن بصدد شرحها، وفي سورة (الصافات) الآية رقم [١٣٩] وما بعدها، وذكر بوصفه في سورة (الأنبياء) في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا...﴾ إلخ الآية رقم [٨٧] وذكر بوصفه أيضاً في سورة (القلم)، في قوله تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ولم يعلم من نسبه في كتب التفسير والحديث إلا أنه (يونس بن متى) ويقول أهل الكتاب: إنه يونان بن أمتاي، والظاهر من أمره: أنه من بني إسرائيل، ويوجد ببلد اسمه: حلحول، وبقرب مدينة الخليل بفلسطين قبر يقال: إنه قبر يونس، وبمكان غير بعيد عنه قبر آخر، يقال: إنه قبر متى. انتهى. من قصص الأنبياء للمرحوم عبد الوهاب النجار، وسترى مزيداً لذلك في سورة (الأنبياء) والصافات إن شاء الله تعالى. هذا؛ ونون يونس فيها ثلاث لغات، وانظر ما ذكرته مزيداً على ذلك في الآية [٤] من سورة (يوسف).

أما قصة يونس مع قومه، فأسردها لك على ما ذكره عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، ووهب وغيرهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، قالوا: إن قوم يونس ـ عليه السلام ـ كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل كفر وشرك، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم يونس ـ عليه السلام ـ يدعوهم إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأصنام، فدعاهم، فأبوا عليه، قيل له: أخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً قط، فانظروا فإن بات فيكم الليلة فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا: أن العذاب مصبحكم، فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن العذاب كان قد أهبط على قوم يونس ـ عليه السلام ـ حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل، فلمَّا دعوا؛ كشف الله عنهم ذلك، وقال مقاتل: قدر ميل.

وقال سعيد بن جبير: غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر، وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى غشي مدينتهم، واسودت أسطحتهم،

فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا نبيهم يونس ـ عليه السلام ـ فلم يجدوه، فقذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة، فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم، ونسائهم، وصبيانهم، ودوابهم، ولبسوا المسوح، وأظهروا التوحيد، والتوبة، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب، فحن البعض إلى البعض، فحن الأولاد إلى الأمهات، والأمهات إلى الأولاد، وعلت الأصواتُ وعجُّوا إلى الله، وتضرَّعوا إليه، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وتابوا إلى الله، وأخلصوا النية، فرحمهم ربهم، فاستجاب دعاءهم، وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب، بعد ما أظلهم، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء، وكان يوم الجمعة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم فيما بينهم؛ حتى إن كان الرجل ليأتي إلى الحجر، وقد وضع أساس بنيانه عليه، فيقلعه، فيرده إلى صاحبه.

وروى الطبراني بسنده عن أبي الجلد جيلان، قال: لما غشي قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب، فما ترى؟! قال: قولوا: يا حيُّ حين لا حيَّ، ويا حيُّ محيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت! فقالوها، فكشف الله عنهم العذاب، ومُتِّعوا إلى حين.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إنهم قالوا: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت، وجلَّت، وأنت أعظم وأجل، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله، قال: وخرج يونس ـ عليه السلام ـ ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً، فقيل له: ارجع إلى قومك، قال: وكيف أرجع إلى قومي، فيجدوني كذاباً، وكان من كذب ولا بينة له قتل، فانصرف عنهم مغاضباً، فالتقمه الحوت، وستأتي القصة في سورة (الأنبياء)، و(الصافات) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لولا): حرف تخضيض معناه هنا التوبيخ والتنديم، والنفي. ﴿كَانَتْ﴾: ماض تام، والتاء للتأنيث. ﴿قَرْيَةٌ﴾: فاعله. ﴿ءَامَنَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى قرية، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿قَرْيَةٌ﴾. ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾: ماض ومفعوله وفاعله، و(ها): في محل جر بالإضافة، الجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل صفة مثلها. ﴿إِلَّا﴾: أداء استثناء. ﴿قَوْمَ﴾: منصوب على الاستثناء المنقطع من قرية، وقيل: على الاستثناء المتصل على تقدير الكلام: فلولا كان أهل القرية آمنوا. . إلخ، وقال الزمخشري: وقرئ بالرفع على البدل. هكذا روى عن الجرمي، والكسائي، قال القرطبي: ومن أحسن ما قيل في الرفع، ما قاله أبو إسحاق الزجاج، قال: يكون المعنى غير قوم يونس، فلما جاء بـ ﴿إِلَّا﴾ أعرب الاسم الذي بعدها بإعراب (غير)، كما قال حضرمي بن عامر الأسدي: [الوافر]

وكُـــلُّ أَخٍ مُـــفَـــارِقُـــهُ أَخُـــوهُ ... لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ إِلَّا الْـفَـرْقَـدانِ

وعليه يكون الإعراب كما يلي: ﴿إِلَّا﴾: اسم بمعنى (غير) صفة لـ ﴿قَرْيَةٌ﴾ ظهر إعرابه على ما بعده بطريق العارية، وهو مضاف، و﴿قَوْمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة ﴿إِلَّا﴾ التي هي على صورة الحرف، وانظر الشاهد رقم [١١٣] و[١١٤] و[١١٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» تجد ما يسرك، و﴿قَوْمَ﴾: مضاف، و﴿يُونُسَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿لَمَّا﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على اعتبار: ﴿لَمَّا﴾ حرفاً، وفي محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿كَشَفْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، و﴿عَذَابَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخِزْىِ﴾: مضاف إليه. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بـ (عذاب)؛ لأنه مصدر، أو اسم مصدر. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة الحياة، وقيل: مضاف إليه، وهو ضعيف وجملة: ﴿كَشَفْنَا...﴾ إلخ جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها، و﴿لَمَّا﴾ ومدخولها في محل نصب حال من ﴿قَوْمَ يُونُسَ﴾، والرابط: الضمير وهو أولى وأقوى من الاستئناف. ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب لما لا محل لها مثله. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: المعنى: يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ يا محمد. ﴿لَءَامَنَ﴾ بك، وصدقك. ﴿مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ ولكنه لم يشأ أن يصدقك، ويؤمن بك إلا من سبقت له السعادة في الأزل، وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر لو ترك وشأنه، وقد كان النبي ﷺ يحرص أن يؤمن به جميع الناس، ويتابعوه على الهدى. ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ إلخ: أي: ليس إيمانهم إليك حتى تكرههم عليه، أو تحرص عليه، إنما إيمان المؤمن، وإضلال الكافر، بمشيئة الله، وقضائه وقدره.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ﴾: ماض. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَءَامَنَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (آمن): ماض. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿كُلُّهُمْ﴾: توكيد لـ ﴿مَن﴾ والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿مَن﴾ مفيدة للتوكيد، فهي توكيد بعد توكيد، وجملة: ﴿لَءَامَنَ...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها،

ولو ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف عطف على محذوف، أو هي حرف استئناف. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تُكْرِهُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، هذا؛ وأجاز السمين اعتبار الضمير فاعلاً بفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وعليه فالجملة الفعلية مفسرة لا محل لها، وعلى الوجهين فالجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة محذوفة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة، وهي بمعنى لام التعليل. ﴿يَكُونُواْ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر يكونوا منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، و«أن» المضمرة والفعل ﴿يَكُونُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تُكْرِهُ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن تؤمن، وتصدق إلا بقضاء الله لها بالإيمان، فإن هدايتها إلى الله، وهو الهادي المضل، ومعنى بإذن الله: بإرادته، وتوفيقه، وهدايته، ومشيئته. ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: السخط، والعذاب، والانتقام، وقرئ: (نَجْعَلُ) بالنون. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يفهمون أمر الله فيما أمر، ونهيه فيما نهى عنه، أو المعنى: لا يتدبرون ما صنع الله في هذا الكون من آيات تدل على قدرته تعالى، ولا يستعملون عقولهم بالنظر في البراهين، والحجج التي نزل بها القرآن الكريم، ودعاهم إلى النظر فيها، وقرئ: (الرِّجْزَ) بالزاي.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِنَفْسٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُؤْمِنَ﴾ في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿تُؤْمِنَ﴾ المستتر، التقدير: أن تؤمن إلا مأذوناً لها، هذا؛ وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، وعليه يكون ﴿لِنَفْسٍ﴾ متعلقين بـ ﴿كَانَ﴾، و(إذن) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَيَجْعَلُ﴾: مضارع والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة:

﴿وَيَجْعَلُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فيأذن لبعضهم في الإيمان، ويجعل... والمضارع في المعطوف والمعطوف عليه بمعنى الماضي، والكلام كله مستأنف لا محل له.

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿قُلِ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا...﴾ إلخ: هذا أمر لكفار مكة؛ لينظروا نظر اعتبار وتدبر وتفكر في الذي خلقه الله في السموات والأرض من آيات تدل على قدرة الصانع الحكيم، من شمس وقمر، وجبال وأشجار، وأنهار وبحار، فكل ذلك آيات دالة على وحدانيته تعالى، كما قال الشاعر: [المتقارب]

وفـــي كـــلِّ شَـــيْءٍ لـــهُ آيَـــةٌ تَـــدُلُّ عـــلـــى أَنَّـــهُ وَاحِـــدُ

﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ...﴾ إلخ: أي: لا تنفع الآيات، ولا تجدي الرسل قوماً سبق في علم الله الأزلي: أنهم لا يؤمنون بالله، حيث قدر الله عليهم الشقاء الأبدي في نار الجحيم، ولو تركهم وشأنهم؛ لما اختاروا غير الكفر المؤدي إلى النار، وبئس القرار.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱنظُرُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَاذَا﴾: ما: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِۚ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿مَاذَا...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل ﴿ٱنظُرُواْ﴾ المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، هذا؛ وقيل: إن ﴿مَاذَا﴾ كله اسم مركب، وهو موصول في محل نصب مفعول به، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلته، والأول أقوى؛ لأن اسم الاستفهام له الصدارة، فلا يعمل فيه ما قبله بمفرده، وجملة: ﴿ٱنظُرُواْ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿تُغْنِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿ٱلْأٓيَٰتُ﴾: فاعله. ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾: معطوف على ﴿ٱلْأٓيَٰتُ﴾. ﴿عَن قَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ المنفية في محل جر صفة: ﴿قَوْمٍ﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا تُغْنِي...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو فقط، وانظر الآية رقم [٩٢] أو هي معترضة في آخر الكلام لا محل لها، هذا؛ وجوز اعتبار (ما) اسم استفهام مبنياً على السكون في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، وعليه فالجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، والأول أقوى. تأمل، وتدبر.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: ما ينتظر أهل مكة إلا مثل ما فعل الله بالأمم السابقة قبلهم من العذاب، والانتقام، والمراد بأيام الذين خلوا من قبلهم: وقائع الله في قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم؛ إذ العرب تسمي العذاب: أياماً، والنعم: أياماً، كقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ ففيه تهديد، ووعيد لهم؛ إذا لم يؤمنوا. ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى...﴾ إلخ: أي: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين: ترقبوا هلاكي، أو ترقبوا نزول العذاب بكم. ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: إني أترقب هلاككم، ونزول العذاب بكم، ثم بين جلت قدرته وتعالت حكمته أنه إذا نزل بهم العذاب أنجى الله رسوله والمؤمنين معه من ذلك العذاب، وانظر الآية رقم [٢٠] وانظر شرح (اليوم) في الآية رقم [٣] من سورة (هود).

الإعراب: ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام معناه النفي. ﴿يَنتَظِرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِثْلَ﴾: مفعول به، و﴿مِثْلَ﴾: مضاف، و﴿أَيَّامِ﴾: مضاف إليه، و﴿أَيَّامِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿خَلَوْا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها إعراباً، ومرتبطة بما قبلها معنى. ﴿قُلْ﴾ أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ انظر إعراب هذه الكلمات ومحلها في الآية رقم [٢٠] وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: بعد إهلاك الأمم المكذبة لرسلها ننجي الرسل، وأتباعهم المؤمنين، وتلك من سنتنا إذا أنزلنا بقوم عذاباً أنجينا الرسل والمؤمنين، والكلام على حكاية الحال الماضية. ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كما أنجينا رسلنا السابقين وأتباعهم ننجيك يا محمد، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ﴾ وصدقوك من الهلاك والعذاب، هذا؛ وقرئ: (ننجي) الأول بالتشديد، وأما الثاني فيقرأ بالتشديد والتخفيف.

تنبيه: قال بعض المتكلمين: المراد بقوله ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ الوجوب؛ لأن تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب، وأجيب عن هذا بأنه حق واجب من حيث الوعد والحكم؛ لا لأنه واجب بسبب الاستحقاق؛ لأنه قد ثبت: أن العبد لا يستحق على خالقه شيئاً. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿نُنَجِّي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول معطوف على ﴿رُسُلَنَا﴾ فهو مبني على الفتح في محل نصب، وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف لا محل لها صلة الموصول. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: ننجي المؤمنين إنجاءً كائناً مثل ذلك الإنجاء؛ الذي نجينا الرسل، ومن آمن معهم، هذا؛ وقيل: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر، أو الحال كذلك أفاده ابن عطية وأبو البقاء، والأول أولى وأقوى. ﴿حَقًّا﴾: فيه أوجه: أحدها: أن يكون منصوباً بفعل مقدر، أي: حق ذلك حقاً. والثاني: أن يكون بدلاً من المحذوف النائب عنه الكاف، تقديره: الحاصل ذلك حقاً. والثالث أن يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ و﴿حَقًّا﴾ منصوبين بـ ﴿نُنجِ﴾ الذي بعدهما. والرابع: أن يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ منصوباً بـ ﴿نُنَجِّي﴾ الأول، و﴿حَقًّا﴾ بـ (نُنْجِ) الثاني، وقال الزمخشري: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم، ونهلك المشركين، و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض، يعني: وحق ذلك علينا حقاً. انتهى. جمل. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان بـ ﴿حَقًّا﴾، أو بمحذوف صفة له، وإعراب: ﴿نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا خفاء فيه، والجملة الفعلية مع متعلقاتها مستأنفة لا محل لها، والوقف على «آمنوا» جيد.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: المراد بالناس: أهل مكة، والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم، فشكوا في أمرك، ولم يصدقوك. ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ أي: الذي أدعوكم إليه، وهو التوحيد وعبادة الله، ونبذ عبادة الأصنام، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه؛ لأنه دين إبراهيم عليه السلام، وأنتم من ذريته. ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: إن أصررتم على ما أنتم عليه من الكفر؛ فأنا بريء منكم، ومن معبوداتكم التي تعبدونها من دون الله. ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: فهذا خلاصة ديني اعتقاداً، وعملاً، فأعرضوها على العقل السليم، وانظروا فيها بعين الإنصاف والحق؛ لتعلموا صحتها. وإنما ذكر (التوفي) للتهديد

والوعيد، وهو يتضمن أيضاً الخلق والإيجاد، والموت والإفناء، ثم الإحياء بعد الموت للحساب، وما يتبعه. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: المصدقين، بما دل عليه العقل ونطق به الوحي، وانظر مثل هذه الجملة في الآية رقم [٧٢].

﴿وَأُمِرْتُ﴾: هذا الفعل يتعدى لمفعولين، تارة بنفسه، كما في قولك: أمرتك الخير، وتارة يتعدى إلى الثاني بحرف الجر، كما في قولك: أمرتك بالخير، ومثله: (استغفر)، و(اختار)، و(كنَى)، و(سمَّى)، و(دعا)، و(صدق)، و(زوج)، و(كال)، و(وزن)، وانظر (استغفر) في الآية رقم [٨٠] من سورة (التوبة). وقد تحذف الهمزة من أوله في الأمر، انظر الآية رقم [١٤٥] من سورة (الأعراف). ﴿دِينِي﴾: الدين: اسم لجميع ما يعبد به الله تعالى، والدين أيضاً: الملة والشريعة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ والدين الحساب والجزاء، ومنه: يوم الدين، أي: يوم الحساب والجزاء، ومنه: كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: يوم الدين يوم حساب الخلائق، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ إلا من عفا الله عنه، والأمر أمره، ثم قال: ألا له الخلق والأمر، هذا؛ والدين بفتح الدال: القرض المؤجل، وجمع الأول: أديان، وجمع الثاني: ديون، وأدين، هذا؛ والدينونة القضاء والحساب، والديانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض عن المضاف إليه. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بدل من (أي)، أو عطف بيان عليها، وقيل: صفة لها، وهو منصوب محلاً، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية، وانظر الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأعراف) إن أردت الزيادة، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿فِي شَكٍّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر كان. ﴿مِّن دِينِي﴾: متعلقان بـ ﴿شَكٍّ﴾ أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَلَآ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية. ﴿أَعْبُدُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: تعبدونه. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول،

و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ...﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَٰكِنۡ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿أَعۡبُدُ ٱللَّهَ﴾: مضارع، وفاعله مستتر ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب الشرط، فهي في محل جزم مثله. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لفظ الجلالة. ﴿يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِي﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٧٢] فهي مثلها بلا فارق، إفراداً وجملاً.

﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥﴾

الشرح: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا﴾ أي: وأمرت بالاستقامة في الدين، والاشتداد فيه بامتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: قل في تفسير هذه الجملة مثل ما في الآية رقم [٩٤/ ٩٥].

الإعراب: ﴿وَأَنۡ﴾: (أن): حرف مصدري، ويؤول مع فعل الأمر: ﴿أَقِمۡ﴾ بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجار والمجرور معطوفان على المصدر المؤول من: ﴿أَنۡ أَكُونَ...﴾ إلخ في الآية السابقة، والمجرور محلاً بحرف جر محذوف على أحد الاعتبارين فيهما، ولا يضر اختلاف الفعلين بالمضارعية، والأمرية؛ لاستيفاء الغرض بالفعلين المسبوقين مع (أن). ﴿وَجۡهَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِلدِّينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَنِيفٗا﴾: حال من الدين، أو من الفاعل، أو من المفعول ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٩٥] وهذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿أَقِمۡ...﴾ إلخ فهي خاضعة لتأويلها مع (أن) بمصدر مثلها.

هذا؛ وقد قدر الجلال الكلام «وقيل لي: أن أقم...» إلخ وهذا يعني: أنه في محل نصب مقول القول لقولٍ محذوف، لا أنه معطوف على الكلام السابق، وفي السمين ما نصه: قوله: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ﴾ يجوز أن يكون على إضمار فعل، أي: وأوحي إلي أن أقم، ثم لك في (أَنْ) وجهان: أحدهما: أن تكون تفسيرية لتلك الجملة المقدرة، وفيه نظر؛ إذ المفسر لا يجوز حذفه، والثاني: أن تكون مصدرية، فتكون هي وما في حيزها في محل رفع بذلك الفعل المقدر. انتهى. جمل.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ولا تعبد من دون الله شيئاً. ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ﴾: إن عبدته ودعوته. ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن عصيته، وتركت عبادته. ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ أي: ما نهيتك عنه، فعبدت غيري، أو طلبت النفع، ودفع الضر من غيري. ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لنفسك؛ لأنك وضعت العبادة في غير موضعها، انظر: البغي في الآية رقم [٢٣] وقل في هذه الآية ما رأيته في الآية رقم [٩٤/ ٩٥] من الفرض، والتقدير.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَدْعُ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿لَا يَنفَعُكَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَلَا تَدْعُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَقِمْ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. ﴿فَعَلْتَ﴾: إعرابه مثل كنتم في الآية السابقة إفراداً وجملة. ﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها: ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل لا عمل له. ﴿مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّكَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط. . . . إلخ، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَمْسَسْكَ﴾: يصبك، وانظر (لمس) و(مس) في الآية رقم [٧] من سورة (الأنعام). ﴿بِضُرٍّ﴾: مرض وفقر ونحوهما. ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: فلا يقدر على كشفه إلا الله تعالى. ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾: صحة، وغنى، ونحوهما. ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: فلا مانع، ولا دافع لما يريده من الخير لك، ولغيرك. ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بالخير، وبالضر أيضاً، وأفرد الضمير اكتفاء برجوعه إلى الخير، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٣] من سورة (التوبة) ﴿يَشَآءُ﴾: إصابته بالخير، أو بالشر. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: لذنوب عباده وخطاياهم، فهو صيغة مبالغة. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بأوليائه في الدنيا والآخرة، فتعرضوا لرحمته وفضله بالطاعة، ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية، وانظر إعلال: ﴿يُصِيبُ﴾ في الآية رقم [٥١] من سورة (التوبة).

تنبيه: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: ولعله ذكر الإرادة مع الخير، والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات، وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول، ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يريد بهم من الخير، لا استحقاق لهم عليه، ولم يستثن؛ لأن مراد الله لا يمكن رده. انتهى. وقوله: لم يستثن، أي: مع الإرادة كما استثنى مع المس؛ لأن إرادة الله قديمة، بخلاف مس الضر، فإنه صفة فعل.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَمْسَسْكَ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والكاف مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِضُرٍّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿يَمْسَسْكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس، تعمل عمل إن. ﴿كَاشِفَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (لا). ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: انظر مثله في الآية رقم [٩٠] والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط.

وإعراب: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ لا خفاء فيه إن شاء الله تعالى، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿يُصِيبُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَن﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: يشاء إصابته. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و(من) بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُصِيبُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة؛ فلست مفنداً، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تحتمل الحالية من فاعل: ﴿يُصِيبُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وتحتمل الاستئناف، والاعتراض في آخر الكلام لا محل لها على الوجهين الأخيرين.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [١٠٤]. ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: المراد به: النبي محمد ﷺ، أو الإسلام، أو القرآن. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: صدق محمد ﷺ، واهتدى بهديه، وسار على نهجه. ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لخلاص نفسه من العذاب الأبدي. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: أعرض عن الحق المذكور، واتبع الأصنام والأوثان. ﴿فَإِنَّمَا

يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: فإن وبال ضلاله يرجع على نفسه بالوبال، والخزي، والنكال. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: بحفيظ أحفظ أعمالكم، وليس أمركم موكولاً إلي، وإنما أنا رسول بشير ونذير، وانظر مثلها في سورة (هود) رقم [٨٥].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذه الآية منسوخة بآية السيف.

الإعراب: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: انظر الآية رقم [١٠٤]. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الناس، والعامل: (يا) لما فيها من معنى الفعل، والرابط: الضمير فقط. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿الْحَقُّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿اهْتَدَىٰ﴾: ماض مبني على الفتح المقدر على الألف في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من) تقديره: «هو». ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. إنما: كافة ومكفوفة. ﴿يَهْتَدِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر يعود إلى (من) أيضاً. ﴿لِنَفْسِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: (إنما...) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، هذا؛ وإن اعتبرت (من) اسماً موصولاً، فهي مبتدأ، وجملة: ﴿اهْتَدَىٰ﴾ صلته، وجملة: (إنما...) إلخ خبره، ودخلت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ...﴾ إلخ على الاعتبارين مستأنفة لا محل لها ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ إعرابها مثل إعراب ما قبلها وهي معطوفة عليها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم: (ما). ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (وكيل): خبر ما منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا أَنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وإن اعتبرت (ما) تميمية مهملة فالضمير مبتدأ، وتكون الباء زائدة في خبره، والأول أقوى.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾

الشرح: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: اتبع يا محمد ما يأتيك من تعاليم بواسطة جبريل عليه السلام. ﴿وَاصْبِرْ﴾ أي: على أذى قومك، وتحمل أذيتهم. ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ أي: بالنصر

عليهم، وإظهار دينك. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: لأنه جلت حكمته، وعلت كلمته لا يحكم إلا بالحق، ولا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر.

تنبيه: قيل: الآية منسوخة بآية القتال، وقيل: ليست منسوخة، ومعنى: ﴿وَاصْبِرْ﴾ أي: على الطاعة، وعن المعصية، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لما نزلت الآية جمع النبي ﷺ الأنصار، ولم يجمع معهم غيرهم، فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**». وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بمثل ذلك، ثم قال أنس: فلم يصبروا، فأمرهم بالصبر، كما أمره الله تعالى، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان ـ رضي الله عنهما ـ: [الوافر]

أَلَا أَبْلِغْ معاويةَ بنَ حربٍ ... أميرَ المؤمنينَ نَثَا كلامي

بأنَّا صابرون ومُنْظِروكم ... إلى يومِ التَّغَابُنِ وَالْخِصَامِ

الإعراب: ﴿وَاتَّبِعْ﴾: (اتبع): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوحَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَا﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع نائب الفاعل إليها، وجملة (اتبع...) إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: (اصبر) مع المتعلق المحذوف معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها: «أن» مضمرة، وهي بمعنى: إلى أن. ﴿يَحْكُمَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» المضمرة. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (اصبر)، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير.

انتهت سورة (يونس) بعون الله وتوفيقه.

والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

سُورَةُ هُودٍ

على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام

هي مكية في قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ إلا آية رقم [١١٥] وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ...﴾ إلخ وقيل غير ذلك.

وهي مئة وثلاث وعشرون آية، وألف وستمئة كلمة، وتسعة آلاف وخمسمئة وسبعة وستون حرفاً. وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ، والْواقِعَةُ، والْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؟ وإِذَا الشَّمسُ كُوِّرَتْ**». أخرجه الترمذي، وقال: «حديث حسن غريب» وفي رواية غيره: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عُجِّلَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ، قَالَ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَأَخَوَاتُهَا: الْحَاقَّةُ، وَالْوَاقِعَةُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُون؟ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**».

قال بعض العلماء: سبب شيبه ﷺ من هذه السور المذكورة في الحديث؛ لما فيها من ذكر القيامة والبعث، والحساب، والجنة والنار، والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ انتهى. خازن. وانظر شرح الاستعاذة والبسملة، وإعرابهما في أول سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

تنبيه: قال أبو جعفر النحاس: يقال: هذه هودُ بغير تنوين على أنه اسم للسورة؛ لأنك لو سميت امرأة بزيد لم تصرف، وهذا قول الخليل وسيبويه، وعيسى بن عمر يقول: هذه هودٌ بالتنوين على أنه اسم للسورة، وكذا إن سمي امرأة بزيد؛ لأنه لما سكن وسطه خفف فصرف، فإن أردت الحذف، أي: حذف لفظ السورة صرفت على قول الجميع، فقلت: هذه هودٌ، وأنت تريد سورة (هود)، قال سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ والدليل على هذا أنك تقول: هذِهِ الرحمنُ، فلولا أنك تريد هذهِ سورةُ الرحمنِ، ما قلت: هذه، يعني تأنيث اسم الإشارة. انتهى. قرطبي بتصرف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾

الشرح: ﴿الٓر﴾: انظر شرح هذه اللفظ في أول سورة (يونس). ﴿كِتَٰبٌ﴾: المراد به القرآن الكريم. ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نظمت نظماً محكماً لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى. أو

منعت من الفساد، والنسخ لم ينسخها كتاب، كما نسخت هي الكتب، والشرائع القديمة، أو أحكمت بالحجج، والدلائل. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بالفرائد من العقائد، والأحكام، والمواعظ والإخبار عن المغيبات، والقصص. ﴿مِن لَّدُنْ﴾: من عند. ﴿حَكِيمٍ﴾ أي: محكم للأمور. ﴿خَبِيرٍ﴾: بكل كائن، وغير كائن.

تنبيه: فقد عم سبحانه الآيات هنا بالإحكام، وخص بعضها في قوله ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ الآية رقم [٧] من سورة (آل عمران)، والمراد هنا: الإحكام العام بحيث لا يتطرق إلى آياته التناقض والفساد، والمراد بالخاص: أن بعض آياته منسوخة بآيات منه أيضاً لم ينسخها غيره، وذكر سبحانه في الآية رقم [٧] ـ من سورة (آل عمران) ـ أن منه آيات متشابهات، والمراد بها الحروف المقطعة في أوائل السور، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وغير ذلك، وانظر ما ذكرته في الآية المذكورة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ و(كتاب) في اللغة: الضم، والجمع، وسميت الجماعة من الجيش كتيبة لاجتماعهم، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض ويجمعه ويرتبه، وفي الاصطلاح: اسم لجملة مختصة من العلم، مشتملة على أبواب وفصول، ومسائل غالباً، والآيات جمع: آية، وهي تطلق على معان كثيرة الدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وتطلق على المعجزة، مثل انشقاق القمر ونحوه، وتطلق على الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ كما تطلق على جملتين، أو أكثر من كلام الله تعالى.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كل منها خلاف مذكور في «مغني اللبيب» وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق (رب) و(لا) العاملة عمل ليس، فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح، هذا؛ و(ثُمَّ) هذه غير (ثَمَّ) بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد تتصل به التاء المربوطة، فيقال: ثَمَّةَ.

من لدن: بمعنى من عند، وفيها إحدى عشرة لغة. أفصحها إثبات النون ساكنة، وهي لغة القرآن الكريم، وهي بجميع لغاتها معناها: أول غاية زمان أو مكان، وقلما يفارقها (من) الجارة لها، فإذا أضيفت إلى الجملة تمحضت للزمان؛ لأن ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلا (حيث)، ويجوز تصدير الجملة بحرف مصدري لما لم يتمحض (لدن) في الأصل للزمان، وإذا أضيفت للضمير وجب إثبات النون؛ لأنه لا يقال: لدُه ولا لدُك.

الإعراب: ﴿الٓر﴾: انظر إعراب هذا اللفظ في الآية رقم [١] ـ من سورة (يونس) ـ ﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا كتاب، أو هو خبر المبتدأ: ﴿الٓر﴾ على بعض الوجوه

المعتبرة فيه هناك. ﴿أُحْكِمَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾: نائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿فُصِّلَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث، ونائب الفاعل يعود إلى آياته، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿مِن﴾: حرف جر. ﴿لَّدُنْ﴾: اسم مبني على السكون في محل جر بـ ﴿مِن﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾، أو بمحذوف خبر ثان للمبتدأ المحذوف، أو هما متعلقان بأحد الفعلين السابقين على التنازع. انتهى. جمل. نقلاً عن السمين.

ـ أقول: ويجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من كتاب بعد وصفه بما تقدم، أو بمحذوف حال من نائب فاعل أحد الفعلين السابقين، و﴿لَّدُنْ﴾: مضاف، و﴿حَكِيمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿خَبِيرٍ﴾: بدل من ﴿حَكِيمٍ﴾، ولا يجوز اعتباره صفة له؛ لأنه اسم من أسماء الله الحسنى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: أحكمت آيات القرآن، وفصلت؛ لتعبدوا الله، ولا تضلوا بعبادة غيره. ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: قل يا محمد لقومك: إنني لكم مرسل من الله. ﴿نَذِيرٌ﴾: أنذركم وأخوفكم عقاب الله إن ثبتم على الكفر، ولم ترجعوا عنه. ﴿وَبَشِيرٌ﴾: أبشركم بالثواب الجزيل والخير العميم؛ إن أطعتم الله، وامتثلتم أوامره، واهتديتم بهدي رسوله، وأخذتم بتعاليم كتابه. هذا؛ وانظر العبادة في الآية رقم [١١٣] ـ من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب واستقبال. (لا): نافية. ﴿تَعْبُدُوٓا۟﴾: مضارع منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، و(أن) والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، قال الكسائي والفراء: بأن (لا . . .) إلخ، أي: بعدم، وقال الزجاج: التقدير: لئلا . . إلخ، والجار والمجرور على الاعتبارين متعلقان بأحد الفعلين السابقين على التنازع، هذا؛ وجوز اعتبار (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، و(لا) ناهية جازمة للفعل بعدها، والجملة الفعلية في محل رفع خبرها، وتؤول مع اسمها المحذوف وخبرها المذكور بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف على نحو ما رأيت آنفاً، هذا؛ وجوز اعتبار المصدر المؤول على الوجهين في (أن) أن يكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو أن لا تعبدوا . . إلخ، أو هو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: في الكتاب أن لا تعبدوا، كما جوز اعتباره بدلاً من آياته، وأقول: جوز اعتبار (أن) مفسرة؛ لأن في

تفصيل الآيات وإحكامها معنى القول، وعليه فـ (لا) ناهية، والفعل مجزوم بها، والجملة الفعلية مفسرة للإحكام والتفصيل لا محل لها عند الجمهور، وقال الشلوبين: بحسب ما تفسره، وهو المعتبر عندي، والتفسير أظهر الأقوال عند السمين؛ لأنه لا يحوج إلى إضمار. انتهى. جمل بتصرف كبير مني. ﴿إِنَّنِي﴾: حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَكُم مِّنْهُ﴾: كلاهما جار ومجرور متعلقان بـ ﴿نَذِيرٌ﴾ أو بـ (بشير)، أو هما متعلقان بمحذوف حال من أحدهما، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر (إن). ﴿وَبَشِيرٌ﴾: معطوف عليه، وقدم الإنذار لأن التخويف أهم؛ إذ يحصل به الإنزجار، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّنِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول لقول محذوف، انظر تقديره في الشرح. والقول ومقوله كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: لقد اختلف في بيان الفرق بين الاستغفار والتوبة، فقيل: معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم، ثم ارجعوا إليه؛ لأن الاستغفار: هو طلب الغفر، وهو الستر، والتوبة: الرجوع عما كان فيه من شرك ومعصية إلى خلاف ذلك، فلهذا قدم الاستغفار على التوبة، وقيل: معناه: استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم، ثم توبوا إليه في المستقبل، وقيل: اطلبوا مغفرة الله بالإيمان. ﴿ثُمَّ﴾ توسلوا إليه بالتوبة، وأيضاً التبرؤ من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده، وقال الفرّاء: ثم هنا بمعنى الواو؛ لأن الاستغفار، والتوبة بمعنى واحد، فذكرهما للتأكيد، انتهى. خازن. وقد ذكرت لك شروط التوبة النصوح في الآية رقم [١٧] ـ من سورة (النساء) ـ. ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾: قال القرطبي: هذه ثمرة الاستغفار، والتوبة؛ أي: يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب، كما فعل بمن أهلك قبلكم. انتهى. وانظر الآية رقم [٧٠] ـ من سورة (يونس)، لشرح المتاع، وانظر الآية رقم [٥٢] ـ الآتية. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الموت ووقت انقضاء آجالكم، وانظر إعلال (هدى) في الآية رقم [٩١] ـ من سورة (الأنعام) ـ فهو مثله. ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي: ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره، وثوابه في الآخرة.

قال أبو العالية: من كثرت طاعاته في الدنيا؛ زادته حسناته درجات في الآخرة؛ لأن الدرجات تكون على قدر الأعمال. انتهى. وعليه فالمراد بقوله: ﴿فَضْلَهُۥ﴾ عفوه، وغفرانه، وجنته. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: يحتمل أن يكونوا ماضياً بمعنى: أعرضوا، وأن يكون مضارعاً حذف منه إحدى التائين، بمعنى: تعرضوا، هذا؛ والإعراض، والتولي، والإدبار عن الشيء يكون بالجسم،

ويستعمل في الإعراض عن الأمور والاعتقادات، والطاعات اتساعاً، ومجازاً. ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ عذاب يوم القيامة، وهو يوم الأهوال والشدائد.

بعد هذا انظر (استغفر) و(أمر) في الآية رقم [١٠٦] سورة (التوبة) وإعلال ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ كما يلي، أصله: تَوَلَّيُوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان: الياء والواو، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة على اللام، ويقال في إعلاله أيضاً: تحركت الياء وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: (تَوَلَّاوْا) فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة على اللام لتدل على ذلك المحذوف، وقل مثل ذلك في إعلال كل فعل معتل الآخر بالألف أسند لواو الجماعة سواء أكان مضارعاً أم ماضياً؟ مثل سعى، يسعى، ونحوه.

﴿رَبَّكُمۡ﴾: المراد به هنا: خالقكم، ورازقكم، ومحييكم، ومميتكم. .إلخ، هذا؛ و(الرب) يطلق ويراد به: السيد والمالك، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ...﴾ إلخ، وأيضاً قوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا...﴾ إلخ وانظر الآية رقم [٥٠] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. كما يقال: رب الدار، ورب الأسرة، أي: مالكها، ومتولي شؤونها، كما يراد به: المربي، والمصلح، يقال: رَبَّ فلانٌ الضيعة يَرُبُّها: إذا أصلحها، والله سبحانه وتعالى مالك العالمين، ومربيهم، وموصلهم إلى كمالهم شيئاً فشيئاً، يجعل النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، ثم يجعل المضغة عظماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يصوره ويجعل في الروح، ثم يخرجه خلقاً آخر، وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه، وينشيه حتى يجعله رجلاً، أو امرأةً كاملين، ولا يطلق الرب على غير الله تعالى إلا مقيداً بالإضافة، مثل قولك: رب الدار، ورب الناقة ونحو ذلك، والرب: المعبود بحق، وهو المراد منه تعالى عند الإطلاق، ولا يجمع إذا كان بهذا المعنى، ويجمع إذا كان معبوداً بالباطل، قال تعالى حكاية عن قول يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ كما يجمع إذا كان بأحد المعاني السابقة، قال الشاعر: [الطويل]

هـنِـيـئـاً لأرْبَـابِ الْـبُـيُـوتِ بـيـوتـهُـمْ ولِـلآكـلـيـنَ الـتَّـمْـرَ مـخـمـسَ مَـخْـمَـسَـا

وهو اسم فاعل بجميع معانيه، أصله رابب، ثم خفف بحذف الألف، وإدغام أحد المثلين في الآخر.

﴿عَذَابَ﴾: انظر الآية رقم [٣٩] من سورة (التوبة). ﴿يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾: المراد به هنا يوم القيامة، وما فيه من الأهوال، والحساب، والجزاء. .إلخ، هذا؛ واليوم في الدنيا هو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وهذا في العرف، وأما اليوم الشرعي، فهو من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس، كما يطلق اليوم على الليل والنهار معاً، كما رأيت في الآية رقم [٦٧] ـ من سورة (يونس) ـ وقد يراد به الوقت مطلقاً، تقول: ذخرتك لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت، والجمع: أيام، وأصله:

أَيْوام، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وجمع الجمع أياويم، وأيام العرب: وقائعها، وحروبها، وأيام الله: نعمه ونقمه، كما في الآية رقم [١٠٢] ـ من سورة (يونس) ـ ويقال: فلان ابن الأيام، أي: العارف بأحوالها، ويقال: أنا ابن اليوم، أي: أعتبر حالي فيما أنا فيه.

الإعراب: ﴿وَأَنِ﴾: (أن): معطوفة على مثلها في الآية السابقة على جميع الاعتبارات فيها. ﴿اسْتَغْفِرُوا﴾: أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق، وقل في (أن) والفعل ما رأيته في الآية السابقة. ﴿رَبَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿تُوبُوا﴾: أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على السكون المقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو، ويقال: منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرك بالضم لمناسبة واو الجماعة، وقل مثله في قولك: (توبا) والمانع من ظهور السكون الفتح الذي جيء به لمناسبة ألف الاثنين، وأيضاً قولك: (توبي) والمانع من ظهور السكون الكسر الذي جيء به لمناسبة ياء المؤنثة المخاطبة. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها، وفي سابقتها. ﴿يُمَتِّعْكُم﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، التقدير: إن تستغفروا وتتوبوا. . . يمتعكم، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكُمْ﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب. ﴿مَتَاعًا﴾: مفعول مطلق. ﴿حَسَنًا﴾: صفته. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾: متعلقان بالفعل، أو بالمصدر الميمي. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَيُؤْتِ﴾: معطوف على يمتعكم مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ربكم تقديره: «هو». ﴿كُلَّ﴾: مفعول به أول، وهو مضاف، و﴿ذِي﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذِي﴾: مضاف، و﴿فَضْلٍ﴾: مضاف إليه. ﴿فَضْلَهُ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَيُؤْتِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّوْا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل جزم فعل الشرط، وإن كان مضارعاً فهو مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنِّي﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَيْكُمْ﴾:

متعلقان بـ ﴿أَخَافُ﴾. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿كَبِيرٍ﴾: صفة: ﴿يَوْمٍ﴾ كذا قيل، والصواب: أنه صفة: ﴿عَذَابَ﴾، فهو منصوب، وجر على الجوار، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة التي جلبها حركة الجوار قبله، وانظر الجر على الجوار في الآية رقم [٧]ـ من سورة (المائدة) ـ وجملة: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة، فيثيب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: مقتدر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، فهو يعذب الكافرين أشد العذاب.

هذا؛ و(شيء) في اللغة عبارة عن كل شيء موجود، إما حسّاً كالأجسام، وإما حكماً كالأقوال، نحو: قلت شيئاً، وجمع الشيء: أشياء غير منصرف، واختلف في علته اختلافاً كبيراً، والأقرب ما حكي عن الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ: إن وزنه: شيْآء وزان حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة، فبقيت وزان: لفعاء، كما قلبوا أدؤر، فقالوا: آدر وشبهه، وجمع أشياء: أشايا.

الإعراب: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف: في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: يطوون صدورهم على عداوة الرسول ﷺ والمسلمين، ويقرأ: ﴿يَثْنُونَ﴾ بقراءات متعددة،، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يخفون ما في صدورهم من الشحناء، والعداوة، ويظهرون خلافه، والضمير في:

﴿مِنْهُ﴾ يعود إلى الله، أو إلى الرسول ﷺ. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يغطون رؤوسهم بثيابهم، ظنًّا منهم بأن الله لا يراهم. ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: لا يخفى على الله شيء من أمرهم، سواء أسروه، أم جهروا به. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بأسرار ذات الصدور، أو بالقلوب وأحوالها، وانظر ﴿بِذَاتِ﴾ في الآية رقم [١] ـ من سورة (الأنفال).

تنبيه: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، وكان يلقى رسول الله ﷺ بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره. انتهى. وانظر ما ذكرته في الأخنس في الآية رقم [٢٠٤] من سورة (البقرة)، وقيل: نزلت في المنافقين، وهو بعيد؛ لأن السورة مكية كما رأيت، والمنافقون كانوا في المدينة، وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته، ويرخي ستره، ويحني ظهره، ويتغشى بثوبه، ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي. انتهى. خازن بتصرف.

الإعراب: ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَثْنُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿صُدُورَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَثْنُونَ﴾ في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها. ﴿لِيَسْتَخْفُوا﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بالفعل ﴿يَثْنُونَ﴾. ﴿أَلَا﴾: مثل سابقتها. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان منصوب متعلق بفعل محذوف دل عليه ما قبله، التقدير: ألا يستخفون حين، أو هو متعلق بالفعل: ﴿يَعْلَمُ﴾ بعده، ﴿يَسْتَغْشُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ثِيَابَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَسْتَغْشُونَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿حِينَ﴾ إليها. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع بمعنى يعرف. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف، التقدير: يعلم الذي أو شيئاً يسرونه، وعلى الثالث تؤول (ما) مع الفعل بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم سرهم، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. وإعراب: ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مثل سابقه. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل اسمها. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبرها. ﴿بِذَاتِ﴾: متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌ﴾؛ لأنه مبالغة اسم الفاعل لذا فاعله مستتر فيه، و(ذات) مضاف، و﴿الصُّدُورِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها على الوجهين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الجزء ١٢

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: الدابة: اسم لكل حيوان يدب على وجه الأرض، من إنسان، وحيوان، ووحش، وهوام، وغير ذلك؛ فلذا يطلق لفظ «دابة» على الذكر والأنثى مما ذكر، وفي العرف يطلق لفظ الدابة على ذوات الأربع من الحيوان، وانظر الآية [٥٦] الآتية.

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾: غذاؤها، ومعاشها؛ لتكفله إياها تفضلاً ورحمةً، فهو إلى مشيئته إن شاء رزق، وإن شاء لم يرزق. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: أماكنها في الحياة والممات، أو الأصلاب والأرحام، أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل، وقيل: مستقرها في الجنة، أو في النار، ومستودعها في القبر، يدل عليه قوله تعالى في وصف أهل الجنة وأهل النار: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ و﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، ﴿كُلٌّ﴾: كل واحد من الدواب وأحوالها. ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: مذكور في اللوح المحفوظ.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالماً بالمعلومات كلها، وبما بعدها بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها، تقريراً للتوحيد، وبياناً لما سبق من الوعد والوعيد.

بعد هذا ﴿مُّبِينٍ﴾: اسم فاعل من أبان الرباعي، أصله مُبْيِن، بسكون الباء، وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ولا تنس: أن اسم الفاعل من «بان» الثلاثي بائن أصله باين، وإعلاله مثل إعلال (قائم) في الآية رقم [١٢] ـ من سورة (يونس) ـ وهذا؛ و﴿وَيَعْلَمُ﴾ بمعنى يعرف، وانظر الآية رقم [٦١] ـ من سورة (الأنفال)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿دَآبَّةٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجر الزائد. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة دابة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رِزْقُهَا﴾: مبتدأ مؤخر، وها: في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَيَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، وقل مثله في الذي بعده. ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَيَعْلَمُ...﴾ إلخ: معطوفة على جملة: ﴿عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ فهي في محل رفع

مثلها. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ والمضاف إليه محذوف، انظر الشرح. ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة كتاب، والجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: انظر الآية رقم [٥٤] ـ من سورة (الأعراف) ـ ففيها الكفاية لذوي الدراية. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أي: قبل خلق السموات والأرض، ولم يكن حائل بينهما، لا أنه كان موضوعاً على سطح الماء، قال كعب: خلق الله ياقوتة خضراء، فنظر إليها بالهيبة، فصارت ماءً يرتعد من مخافة الله تعالى، ثم خلق الريح، فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء، وانظر شرح العرش في الآية رقم [٥٤] من سورة (الأعراف)، أو رقم [٢] من سورة (الرعد).

قال بعض العلماء: وفي خلق جميع الأشياء، وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة؛ لان البناء الضعيف إذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت، فكيف بهذا الخلق العظيم، وهو العرش والسموات والأرض على الماء، فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى، وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتبَ اللهُ مقادِيرَ الخلْقِ قبلَ أَنْ يخلُقَ السَّمواتِ والأرْضَ بخمسينَ ألْفَ سَنةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ على الماءِ**». أخرجه مسلم.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: ليعاملكم معاملة المختبر لأحوالكم كيف تعملون، فإن ما خلقه الله في السموات والأرض أسباب، ومواد لوجودكم ومعاشكم، وما تحتاج إليه أعمالكم، ودلائل، وأمارات تستدلون بها، وتستنبطون منها معرفة الواحد الأحد، فيبعثكم ذلك على الإيمان به، وإخلاص العبادة له.

هذا؛ وقرئ: (أنكم) بفتح الهمزة على تضمين ﴿قُلْتَ﴾ معنى: ذكرت، أو أن يكون (أنَّ) بمعنى (علَّ)، أي: ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾: علكم مبعوثون، بمعنى توقعوا بعثكم، ولا تبتوا بإنكاره؛ لعدُّوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في إنكاره. انتهى. بيضاوي.

ـ أقول: ومجيء «أن» بمعنى: «علَّ» وارد في الكلام العربي، كقول بعض العرب: إئْتِ السوقَ أَنَّكَ تشْتَرِي لنَا شيْئاً، حكاه الخليل رحمه الله تعالى، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٩] ـ من سورة (الأنعام).

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ تلا: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال: **«أيكُمْ أَحْسَنُ عقلاً، وأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وأَسْرَعُ في طَاعةِ اللهِ»**.

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك: لتبعثن بعد الموت من قبوركم للحساب والجزاء؛ ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: يعنون القرآن الكريم، أي: ما هو إلا كالسحر في الخديعة والبطلان، وقرئ: (إلا ساحر) يعنون الرسول ﷺ.

بعد هذا انظر شرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [١] ـ من سورة (يونس) ـ ﴿أَيَّامٍ﴾: انظر الآية رقم [٣] ﴿ٱلْمَآءِ﴾: أصله: مَوَه، بفتح الميم والواو، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار (ماه) فلما اجتمعت الألف والهاء ـ وكلاهما خفي ـ قلبت الهاء همزة، ودليل ذلك: أن جمع ماء: أمواه، ومياه، وتصغيره على مُوَيْه، وأصل ياء مياه واو، لكنها قلبت ياء لانكسار ما قبلها في جمع أعلت في مفرده، كما قالوا: دار وديار، وقيمة وقيم، ومثله قولهم: سوط وسياط، وحوض وحياض، وثوب وثياب، وثور وثيرة، ويقال في تعريف الماء: هو جسم رقيق مائع به حياة كل نام، وقيل في حده: جوهر سيال به قوام الأرواح. ﴿ٱلْمَوْتِ﴾: هو انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته، وموت القلب: قسوته، فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فِى سِتَّةِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿خَلَقَ﴾، و﴿سِتَّةِ﴾: مضاف، و﴿أَيَّامٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَكَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَرْشُهُۥ﴾: اسمه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، والكاف مفعول به أول، ﴿أَيُّكُمْ﴾: اسم استفهام معلق للفعل قبله عن العمل، مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَحْسَنُ﴾: خبره. ﴿عَمَلًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ في محل نصب مفعول به ثان، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿خَلَقَ﴾. الواو: حرف استئناف (لئن) اللام: موطئة للقسم. (إن): حرف شرط جازم. ﴿قُلْتَ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل

الشرط، والتاء فاعله. ﴿إِنَّكُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾: خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، ونائب فاعله مستتر فيه تقديره: «أنتم». ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بـ ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمَوْتِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُم...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْتَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر المدلول عليه باللام الموطئة. (يقولَن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿كَفَرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنْ﴾ حرف نفي بمعنى (ما). ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿سِحْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ...﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿إِنْ هَٰذَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر المدلول عليه باللام، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما) قال ابن مالك رحمه الله تعالى: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى مدة محدودة، هذا؛ والأمة: الجماعة، وتكون واحداً إذا كان يقتدى به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾. والأمة: الطريقة، والملة، والدين، كقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾، وكل جنس من الحيوان أمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾، والأمة: الحين، والوقت، كقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد وقت، وحين. ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: أي شيء يمنع العذاب، ويحبسه عنا؟! وقالوا: هذا إما تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم، أو استعجالاً، واستهزاءً. ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ أي: حين ينزل بهم العذاب لا يستطيع أحد أن يدفعه عنهم، وقد حق الله ذلك فيهم في غزوة بدر. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: ونزل بهم وأحاط، وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً لوقوعه، ومبالغة في التهديد والوعيد. ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب الذي كانوا يستعجلونه، فوضع ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ موضع يستعجلون؛ لأن استعجالهم كان استهزاءً.

هذا؛ وقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: وقوله تعالى: ﴿أَخَّرْنَا﴾، ﴿كَتَبْنَا﴾، ﴿إِنَّا﴾، ﴿نَحْنُ﴾، ﴿نَقُصُّ...﴾ إلخ لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم، الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا له شركاء، ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده. فإذا كان الواحد من الملوك يقول: فعلنا، وإنا، ونحن. . . إلخ، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء، ومليكه هو أحق أن يقول: فعلنا، وإنا، ونحن. . . إلخ، مع أنه ليس له شريك ولا مثل، بل له جنود السموات والأرض. انتهى. أقول: و(نا) هذه تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، كما يزعم الكافرون والملحدون، فالله تعالى لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم به العبد، فيقول: أخذنا وأعطينا. . . إلخ وليس معه أحد.

الإعراب: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية السابقة. ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يقولن): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، ونون التوكيد حرف لا محل له. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَحْبِسُهُۥٓ﴾: مضارع، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى (ما)، والجملة الفعلية في محل خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿لَّيَقُولُنَّ...﴾ إلخ جواب القسم، وانظر ما ذكرته في الآية السابقة. ﴿أَلَا﴾: انظر مثلها في الآية رقم [٥] ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ ﴿مَصْرُوفًا﴾ بعده، وفيه دليل على جواز تقديم خبر ﴿لَيْسَ﴾ عليها؛ لأن تقديم المعمول يؤذن بصحة تقديم العامل. ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْعَذَابَ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ أيضاً. ﴿مَصْرُوفًا﴾: خبر ﴿لَيْسَ﴾. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿مَصْرُوفًا﴾، ونائب فاعله مستتر فيه تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلْعَذَابَ﴾، هذا؛ وأجيز تعليق: ﴿يَوْمَ﴾ بفعل محذوف دل عليه الكلام، أي: لا يصرف عنهم العذاب يوم يأتيهم، وليس بالقوي، والكلام ﴿أَلَا يَوْمَ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له. ﴿وَحَاقَ﴾: ماض. ﴿بِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل رفع فاعل. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: مضارع مرفوع. . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء، هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل (حاق)، التقدير: وحاق بهم استهزاؤهم، وجملة: ﴿وَحَاقَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾

الشرح: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أي: رخاء وسعة في الرزق والعيش، وصحة وعافية. ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾: سلبنا ذلك كله، وأصابته المصائب، فاجتاحته، وذهبت بنعمته. ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ أي: يشتد حزنه ويقطع رجاءه، وأمله من رحمة الله، وذلك لقلة صبره، وعدم ثقته بالله.

هذا؛ وانظر ﴿فَذُوقُوهُ﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الأنفال). ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: انظر الآية رقم [١٢] من سورة (يونس). ﴿لَيَـُٔوسٌ﴾: انظر الآية رقم [٨٧] من سورة (يوسف). ﴿كَفُورٌ﴾: جحود قنوط من رحمة الله، هذا؛ والكفر ستر الحق بالجحود، والإنكار، وكفر فلان النعمة يكفرها كفراً، وكفوراً، وكفراناً. إذا جحدها وأنكرها، وكفر الشيء: غطاه، وستره، وسمي الكافر: كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره، وسمي الزارع: كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه، ويستره بالتراب، قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ وسمي الليل كافراً؛ لأنه يستر كل شيء بظلمته، قال لبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه في معلقته: [الكامل]

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

الإعراب: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: انظر إعراب مثل هذا في الآية رقم [٧] ﴿مِنَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ ﴿رَحْمَةً﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿رَحْمَةً﴾ كان صفة له... إلخ، انظر الآية رقم [٣] ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿نَزَعْنَٰهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ جواب القسم لا محل لها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧] فهو مثله.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ أي: أنعمنا على الإنسان، وبسطنا عليه في الرزق، وشفيناه من مرض وسقم. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ أي: يقول الذي أصابه الخير، والسعة، والصحة، والعافية: ذهبت الشدائد، والمصائب، والعسر، والضيق، والسقم، والمرض عني، وإنما يقول الإنسان الكافر ذلك غرة بالله وجراءة عليه؛ لأنه لم يضف الأشياء والأحداث إلى الله، وإنما أضافها إلى العوائد، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾: إنه أشر بطر، والفرح: لذة تحصل في القلب بنيل

المراد والمشتهى، والفخر: هو التطاول على الناس بتعداد المناقب والمآثر، وذلك منهي عنه وانظر: (الفرح) في الآية رقم [٥٨] من سورة (يونس) وانظر (نا) في الآية رقم [٨].

هذا؛ والضراء ومثلها البأساء: الفقر الشديد، وعن الأزهري: البأساء في الأموال كالفقر، والضراء في الأنفس كالمرض ونحوه، والضراء لا تكون إلا ممدودة بخلاف البأساء، فإنها تقصر والنعماء تقصر، فيقال: النعمى بضم النون بوزن الرجعى ـ هذا؛ و(فرح) و(فخور) صيغتا مبالغة يستوي فيهما المذكر والمؤنث. ﴿مَسَّتۡهُ﴾: أصابته.

الإعراب: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ﴾ انظر إعراب مثل هذا في الآية رقم [٧] ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ ﴿نَعۡمَآءَ﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿بَعۡدَ﴾: مضاف، و﴿ضَرَّآءَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿مَسَّتۡهُ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى: ﴿ضَرَّآءَ﴾، تقديره هي، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿ضَرَّآءَ﴾. ﴿لَيَقُولَنَّ﴾: انظر الآية رقم [٧] للإعراب ومحل الجملة. ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾: فعل وفاعل، ولم يؤنث الفعل؛ لأن السيئات مؤنث مجازي، فيجوز التذكير، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿عَنِّيٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَفَرِحٞ﴾: اللام: هي المزحلقة. (فرح): خبر أول. ﴿فَخُورٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾

الشرح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على الضراء، إيماناً بالله تعالى، واستسلاماً لقضائه. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها، وذلك شكر الله على آلائه: سابقها ولاحقها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾: لذنوبهم. ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾: وهو الجنة التي عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وقد وصفها بأجر كبير، لما احتوت عليه من النعيم الأبدي ودفع التكاليف فيها، والأمن من عذاب الله تعالى، والنظر إلى وجهه الكريم، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب على الاستثناء، قال الفراء: متصل؛ لأنه استثناء من الإنسان بمعنى الناس، والناس يشمل المؤمن والكافر، وقال الأخفش: هو استثناء منقطع؛ إذ المراد بالإنسان شخص معين، هذا؛ وجوز اعتباره مبنياً على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿صَبَرُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن

تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو، ويقال اختصاراً: فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة (عملوا) معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّغۡفِرَةٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة على اعتبار ﴿ٱلَّذِينَ﴾ منصوباً على الاستثناء، وفي محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ، وتكون الجملة الاسمية في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وهو منقطع بلا ريب. (أجر): معطوف على ﴿مَّغۡفِرَةٞ﴾. ﴿كَبِيرٞ﴾: صفته.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾

الشرح: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: لعلك يا محمد تترك بعض ما يوحى إليك من ربك أن تبلغه إلى الناس. ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ أي: ويضيق صدرك بما يوحى إليك، فلا تبلغهم إياه، وذلك أن كفار مكة قالوا: ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا، فهمَّ النبي ﷺ أن يترك ذكر آلهتهم ظاهراً، فأنزل الله الآية الكريمة. وقيل: إنهم لما قالوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ همَّ أن يدع سب آلهتهم، فنزلت الآية، ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ أي: مال كثير من ذهب. يستغني به، وينفقه على أتباعه الفقراء، وعلى غيرهم يستجلب به القلوب كما يفعل الملوك، والعظماء. ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ أي: من الملائكة يصدقه، ويشهد له، وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي، وإنك تجد ذلك مفصلاً في سورة (الإسراء) و(الفرقان).

والمعنى: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت صادقاً في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء، وأنت عزيز عنده مع أنك فقير؛ فهلا أنزل عليك ما تستغني به أنت وأصحابك، وهلا أنزل عليك ملكاً من السماء يشهد لك بالرسالة والنبوة، فبين الله له: أنه نذير مقصور على الرسالة، وذلك بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ مخوف تخوف بالعقاب، من عصى الله وخالف أوامره، وكذلك تبشر بالثواب من آمن بك، وامتثل أمر الله فيما أمر ونهى، وحذف (بشير) اكتفاء بـ ﴿نَذِيرٞۚ﴾، وكثيراً ما يذكر معه كما في الآية [٢] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾: حافظ يحفظ أعمالهم وأقوالهم، فيجازيهم عليها يوم القيامة، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر. بعد هذا إعلال (ضائق) مثل إعلال (قائم) في الآية رقم [١٢] من سورة (يونس) عليه السلام.

الإعراب: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لعلك): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿تَارِكُۢ﴾: خبر (لَعَلَّ)، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَعۡضَ﴾: مفعول به لـ ﴿تَارِكُۢ﴾، و﴿بَعۡضَ﴾: مضاف، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَا﴾، وهو العائد أو الرابط. ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها. (ضائق): معطوف على ﴿تَارِكُۢ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بـ (ضائق). ﴿صَدۡرُكَ﴾: فاعل بـ (ضائق)، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَقُولُواْ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿لَوۡلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَنزٌ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿جَآءَ﴾: ماض. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَلَكٌۚ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، و﴿أَن يَقُولُواْ﴾: في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف عند الكوفيين، وهناك حرف نفي محذوف، وتقدير الكلام: لئلا يقولوا وهو عند البصريين على حذف مضاف؛ إذ التقدير: مخافة، وكراهية قولهم: لولا... إلخ، فعلى الأول الجار والمجرور متعلقان بـ (ضائق)، وعلى الثاني «مخافة» مفعول لأجله عامله (ضائق)، ومثل الآية الكريمة قول عمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته، وهو الشاهد رقم [٤٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا

والجملة الاسمية: (لعلك...) إلخ: مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿نَذِيرٌۚ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٤]، وهي معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: انظر شرح هذه الآية وإعرابها في الآية رقم [٣٨] من سورة (يونس)، فلا حاجة إلى المزيد على ما ذكرته هناك، وأذكر هنا ما قاله الخازن رحمه الله تعالى، فإن قلت: قد تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله، فلم يقدروا على ذلك وعجزوا، فكيف قال: ﴿فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾، ومن عجز عن سورة واحدة، فهو عن العشر أعجز؟! قلت: قال بعضهم: إن سورة

(هود) نزلت قبل يونس، وإنه تحداهم أولاً بعشر سور، فلما عجزوا تحداهم بسورة (يونس)، وأنكر المبرد هذا القول، وقال: إن سورة (يونس) نزلت أولاً. قال: ومعنى قوله في سورة (يونس): ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ يعني مثله في الإخبار عن الغيب، والأحكام، والوعيد، وقوله في سورة (هود): ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ يعني في مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيبٍ، ولا ذكر حكم، ولا وعد ولا وعيد. انتهى. بحروفه.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: قال الخازن رحمه الله تعالى: اعلم أنه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين: أحدهما: أمر، وخطاب للنبي ﷺ، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾، والثاني: أمر وخطاب للكفار، وهو قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ احتمل أن يكون المراد أن الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها، واحتمل أن يكون المراد: أنَّ من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة، فلهذا اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين:

ـ أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين؛ وذلك أن النبي ﷺ والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم، فلما عجزوا عن المعارضة، قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين. ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فيما دعوتموهم إليه من المعارضة وعجزوا عنه؛ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي: اثبتوا على العلم الذي أنتم عليه، وازدادوا يقيناً وثباتاً؛ لأنهم كانوا عالمين بأنه منزل من عند الله، وقيل: الخطاب للنبي ﷺ وحده، وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له ﷺ.

ـ القول الثاني أن الكلام خطاب مع الكفار، وذلك أنه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة: ﴿وَادْعُوا...﴾ إلخ؛ قال في هذه الآية: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أيها الكفار، ولم يعينوكم؛ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا...﴾ إلخ. انتهى. بتصرف.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: فيه معنى الأمر، أي: أسلموا، وأخلصوا لله العبادة، وإن كان الخطاب للمؤمنين، فكان معنى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ الترغيب، أي: اثبتوا، ودوموا على ما أنتم عليه من الإسلام. انتهى. هذا؛ وانظر ما ذكرته في التركيب: ﴿فَإِلَّمْ﴾ في الآية رقم [٢٣] من سورة (الأعراف) عن مكي؛ فإنه جيد جداً.

الإعراب: ﴿فَإِلَّمْ﴾: الفاء: حرف عطف وتفريع. (إن): حرف شرط جازم. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾: مضارع مجزوم بـ(لم)، وهو في محل جزم فعل الشرط، وعلامة

جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَاعْلَمُوا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اعلموا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله والألف للتفريق، ﴿أَنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة مفيدة للحصر، هذا؛ وأجيز اعتبار (أن) عاملة غير مكفوفة، و(ما): تحتمل الموصولة والمصدرية، فعلى الأول مبنية على السكون في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿أُنزِلَ﴾ مع نائب فاعله المستتر صلتها، والعائد: رجوع نائب الفاعل إليها، وعلى الثاني تؤول مع الفعل بمصدر في محل نصب اسم (أنَّ). ﴿بِعِلْمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب فاعل ﴿أُنزِلَ﴾ على اعتبار ﴿أَنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة، واعتبار نائب الفاعل عائداً إلى ﴿مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، ومتعلقان بمحذوف خبر أن على اعتبارها عاملة، و(علم) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والكلام ﴿أَنَّمَا...﴾ إلخ على جميع الاعتبارات في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (اعلموا)، والجملة الفعلية هذه في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والكلام ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا...﴾ إلخ معطوف ومفرع عما قبله لا محل له. (أن): مخففة من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٩٠] من سورة (يونس) وهي في محل رفع خبر (أن)، و(أن) المخففة، واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب معطوف على ما قبله. ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام، والجملة الاسمية: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: لقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية، فقيل: نزلت في الكفار. قاله الحسن، والضحاك، وروي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، بدليل الآية التالية، أي: من أتى منهم بصلة رحم، أو صدقة، أو بإغاثة ملهوف، وحسن جوار، أو نحو ذلك من أعمال البر، فيعجِّل الله له ثواب عمله في الدنيا، يوسع عليه في المعيشة والرزق، ويقر عينه فيما خوله، ويدفع عنه المكاره، لكن لا حسنة له في الآخرة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٤] من سورة (التوبة) تجد ما يسرك.

وقيل: نزلت الآية الكريمة في المسلمين الذين يراؤون بأعمالهم، فمن أراد بعمله ثواب الدنيا؛ عجل له الثواب، ولم ينقص منه شيء في الدنيا، وله في الآخرة العذاب؛ لأنه جرد قصده إلى الدنيا، وهذا لا ينطبق إلا على المنافقين المرائين، فعن الفاروق عمر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّمَا لِكلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هجرتُهُ**

إلى اللهِ ورسولِهِ، فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هجرتُهُ إلى دنْيا يُصيبُها، أو امرأةٍ يَنكحُها، فهجرتُهُ إلى ما هاجر إليهِ». متفق عليه، والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة مسطورة.

- وقيل: الآية عامة في كل من ينوي بعمله غير الله تعالى، سواء أكان معه أصل إيمان، أم لم يكن، قاله مجاهد وميمون بن مهران، وقال ميمون: ليس أحد يعمل حسنة إلا وُفِّي ثوابها، فإن كان مسلماً مخلصاً وُفِّيَ في الدنيا والآخرة، وإن كان كافراً وُفِّيَ في الدُّنيا، ثم هل لا بد من تنفيذ هذا الوعد، أو هو مقيد بمشيئة الله تعالى؟ فالآية هنا أطلقت، كما في الآية رقم [٢٠] من سورة (الشورى)، وآية الإسراء رقم [١٨] قيدته بالمشيئة.

قال القرطبي - رحمه الله -: والصحيح أنه من باب الإطلاق والتقييد، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع دائماً على كل حال، وليس كذلك، لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾. انتهى. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿نُوَفِّ﴾: يقرأ بالنون وبالياء مع الجزم، وبالتاء بالبناء للمجهول، ورفع ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾، ويقرأ (نُوفِي) بالتخفيف والرفع؛ لأن الشرط ماض، قال زهير بن أبي سلمى، وهو الشاهد (٧٨٧) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

وَإِنْ أَتَــاهُ خَــلِــيــلٌ يــومَ مَــسْــغَــبَــةٍ يــقــولُ لا غــائــبٌ مَــالــي، ولا حَــرِمُ

﴿وَهُمْ فِيهَا﴾: في الدنيا. ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا ينقصون من أجورهم شيئاً، هذا؛ وقد راعى لفظ ﴿مَن﴾ في الأول، ومعناها في الآخر.

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿يُرِيدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وقيل: ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾: مضاف، و﴿ٱلدُّنْيَا﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ والأول أقوى. (زينتها): معطوف على ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾، و(ها) في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُرِيدُ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿نُوَفِّ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، وعلى قراءة (تُوَفَّ) فهو مبني للمجهول، وعلامة الجزم حذف الألف... إلخ، و﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بالرفع نائب فاعله، وعلى قراءة: (يُوَفِّ) فالفاعل يعود إلى الله، وعلى قراءة: (نوفي) فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، و﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بالنصب مفعول به. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة

الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُبْخَسُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هم...) إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٦﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾: الإشارة إلى الذين وفوا جزاء أعمالهم في الدنيا المذكورين في الآية السابقة. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ أي: ضاع ثواب أعمالهم، ولم يبق لهم ثواب في الآخرة، انظر ما ذكرته في الآية السابقة. ﴿وَبَٰطِلٌ...﴾ إلخ: البطلان عبارة عن عدم الشيء، إما بعدم ذاته، أو بعدم فائدته ونفعه، والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم بنفع، ولا يدفع عنهم ضرّاً؛ لأنه عمل لغير الله تعالى، فكان باطلاً لا نفع فيه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ و(بطل) من باب دخل، والبطل بفتحتين الشجاع، والبُطْل بضم فسكون: الباطل والكذب، والبطالة: التعطل والتفرغ من العمل، هذا؛ ويجمع باطل على أباطيل شذوذاً، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدم. ﴿فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف المقدم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلنَّارُۖ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (حبط): ماض. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل (حبط)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، التقدير، حبط الذي، أو شيء صنعوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: وحبط صنعهم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل: (حبط)، والضمير على هذا يعود على ﴿ٱلْأٓخِرَةِ﴾، ويجوز أن يتعلق ﴿فِيهَا﴾ بـ ﴿صَنَعُواْ﴾، فالضمير على هذا يعود على الحياة الدنيا، وجملة: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. (باطل): خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة،

والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف، التقدير: وباطل الذي، أو شيء كانوا يعملونه، وعلى الثالث تؤول (ما) مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، التقدير: وباطل عملهم، وعليه فالجملة اسمية، وهي معطوفة على ﴿مَا﴾ قبلها، لا محل لها مثلها، هذا، وأجيز اعتبار: (باطل) معطوفاً على خبر المبتدأ عطف مفرد على مفرد، و﴿مَّا﴾ على جميع الوجوه المعتبرة فيها فاعل بـ (باطل)، ويرجح هذا ما قرأ به زيد بن علي (وبَطَلَ ما كانوا يعملون) جعله فعلاً ماضياً معطوفاً على (حبط). انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

هذا؛ وقرئ: (وباطلاً ما كانوا يعملون). فـ (باطلاً): مفعول به مقدم، و﴿مَّا﴾: زائدة، والتقدير: وكانوا يعملون باطلاً، وهذه الجملة معطوفة على جملة (حبط...) إلخ لا محل لها مثلها، وأجيز اعتبار (باطلاً) مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، التقدير: وبطل باطلا، والأصل بطل بطلاناً.

أقول: وأولى من ذلك اعتباره حالاً معطوفاً على جملة (حبط...) إلخ بعد تقدير (قد) قبلها، واعتبار الجملة حالاً من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ومثل الآية الكريمة (ولا خارجاً) في قول الفرزدق: [الطويل]

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي، وإنني ... لَبَيْنَ رَتَاجٍ قَائِماً وَمَقَامِ

عَلَى حَلْفَةٍ لا أَشْتُمُ الدهْرَ مُسْلِماً ... ولا خارِجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كَلامِ

وهو الشاهد رقم [٧٥٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وعلى اعتبار الحالية، والمصدرية في (باطلاً) تكون ﴿مَّا﴾ على جميع الوجوه المعتبرة: موصولة، أو موصوفة أو مصدرية فاعلاً بـ (باطلاً). تأمل، وتدبر.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا، وزينتها. ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والآخرة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، وليس لهم في الآخرة إلا النار، انتهى، خازن، والجواب: لا يستويان، وقد صرح بهذين المحذوفين في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾. ﴿وَيَتْلُوهُ

شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: ويتبع ذلك البرهان من يشهد له بصدقه، وعاد الضمير على ﴿بَيِّنَةٍ﴾ مذكراً؛ لأنها بمعنى البرهان، ولقد اختلف في الشاهد، فقيل: إنه جبريل عليه السلام، أي: يتبع جبريل النبي ﷺ، ويؤيده، ويسدده، ويقويه، وقيل: إنه علي كرم الله وجهه، وقيل: إنه لسان الرسول ﷺ، وقيل: هو الإنجيل، وإن كان قبل القرآن، فهو يتلوه في التصديق. وقيل: غير ذلك، كما اختلف في الضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ فقيل: من الله، وقيل: من الرسول، وقيل: أي: من القرآن، ومن قبله: ومن قبل القرآن، وقيل: من قبل الإنجيل. ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: المراد به: التوراة، أي: أنها تشهد بصدق محمد ﷺ، لما فيها من ذكر صفاته الجسدية، وشمائله الخلقية. ﴿إِمَامًا﴾: يرجعون إلى التوراة في أمور الدين، والأحكام، والشرائع. ﴿وَرَحْمَةً﴾: لمن عمل بمقتضاها، واهتدى بما فيها، وذلك سبب حصول الرحمة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى (مَنْ كَانَ على بينةٍ مِنْ رَبِّه). ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: يصدقون بمحمد ﷺ، ويعترفون بنبوته، أو يصدقون بالقرآن، وقيل: الإشارة إلى الذين أسلموا من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وأصحابه. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي: بمحمد ﷺ، أو بالقرآن. ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: من جميع الكفار وأصحاب الأديان المختلفة، فتدخل فيه اليهود، والنصارى، والمجوس، وعبدة الأوثان، وغيرهم. ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ أي في الآخرة لا محالة.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي يونس عن النبي ﷺ: «**والَّذِي نَفْسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يَسمعُ بي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ، يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ؛ ولم يؤمِنْ بالَّذِي أرْسِلْتُ بِهِ، إلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: فلا تكن في شك من الدين، أو من القرآن الذي أنزل إليك، أو من الموعد الذي وعده الله للكافرين من دخول النار. ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ما ذكر هو الحق الذي لا ريب فيه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون لقلة نظرهم، واختلال فكرهم.

﴿تَكُ﴾: انظر الآية رقم [١٠٩] الآتية، والخطاب للرسول ﷺ في قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ...﴾ إلخ مثله في الآية رقم [٩٤] من سورة (يونس) ﴿أَفَمَن﴾: انظر ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٢٤] الآتية.

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف. (من): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى (مَنْ). ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾ أي: مصاحباً لها. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿بَيِّنَةٍ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع اسم: ﴿كَانَ﴾ إليها، وخبر المبتدأ محذوف، انظر تقديره في

الشرح. (يتلوه): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿شَاهِدٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بـ ﴿شَاهِدٌ﴾. ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ قدم عليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كِتَٰبُ﴾: معطوف على: ﴿شَاهِدٌ﴾، و﴿كِتَٰبُ﴾: مضاف، و﴿مُوسَىٰٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِمَامًا﴾: حال من: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾. (رحمة): معطوف على ما قبله، وقال البيضاوي: (من قبله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿كِتَٰبُ﴾: مبتدأ مؤخر، وعليه فالجملة الاسمية مستأنفة، ولكن اعتبار الحال من المبتدأ لا يجيزه كثير من النحويين، هذا؛ وقرئ بنصب: (كتاب) على اعتباره معطوفاً على الضمير المنصوب بقوله: (يتلوه). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبتدأ. ﴿يَكْفُرْ﴾: فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿فَٱلنَّارُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (النار): مبتدأ. ﴿مَوْعِدُهُۥ﴾: خبره، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٥]. ﴿فَلَا﴾ الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً لا محالة؛ فلا... إلخ. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿تَكُ﴾. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بـ ﴿مِرْيَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة لها، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والشرط المقدر ومدخوله كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبر (إنَّ). ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَقُّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسم (لكن)، و﴿أَكْثَرَ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لكن)، والجملة الاسمية: (لكن...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم منهم لأنفسهم؛ لأنهم افتروا على الله كذباً، فأضافوا كلامه إلى غيره، وزعموا: أن له شريكاً، وولداً، وقالوا للأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وفي الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم، وقد راعى لفظ (مَنْ) في الجملة الفعلية، وراعى معناها في الجملة الاسمية. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: المفترون على الله الكذب يعرضون على الله يوم القيامة ليحاسبهم على خبث أعمالهم. ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ أي: من الملائكة، والنبيين والعلماء الذي بينوا تعاليم الأنبياء، أو الأشهاد من جوارحهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ والأشهاد: جمع شاهد، كأصحاب جمع: صاحب، أو جمع شهيد كأشراف جمع شريف. ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: في الدنيا، وهذه الفضيحة تكون لكل من كذب على الله.

عن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يطوف بالبيت؛ إذ عرض له رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أخبرني ما سمعت من رسول الله ﷺ في النجوى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَدْنو المؤمن مِنْ رَبِّه عز وجل، حَتَّى يَضَعَ عليه كَنَفَهُ، فيُقَرِّرُهُ بذنوبِهِ: تعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وكَذَا؟ فيقول: أَعْرِفُ رَبِّ أعْرِفُ ـ مَرَّتَيْنِ ـ فيقولُ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيا، وَأَنَا أغفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثم يُعْطَى كتابَ حسناتِهِ، وأَمَّا الكفارُ، والمنافقون، فيُنَادَى بهم على رؤوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذين كذَبُوا عَلَى اللهِ**». انتهى. متفق عليه.

﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: سخطه، وإبعاده من رحمته على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها، هذا؛ وانظر ما ذكرته في حكم اللعن في الآية رقم [١٦١] من سورة (البقرة) أو الآية [٢٥] من سورة (الرعد)، وانظر (الظلم) في الآية رقم [٢٣] من سورة (يونس).

(يقول): القول يطلق على خمسة معانٍ: أحدها: اللفظ الدال على المعنى. الثاني: حديث النفس ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا...﴾ إلخ. الثالث: الحركة والإمالة، يقال: قالت النخلة؛ أي: مالت. الرابع: ما يشهد به الحال، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ الخامس: الاعتقاد، كما تقول: هذا قول المعتزلة، وهذه مقالة الأشاعرة، أي: ما يعتقدونه، وانظر الكلام في الآية رقم [٥٤] من سورة (يوسف).

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور

متعلقان بـ ﴿أَظۡلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (من). ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿ٱفۡتَرَىٰ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع الفاعل إليها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُعۡرَضُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (يقول): مضارع. ﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾: فاعله. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ صلة الموصول، وانظر إعراب: ﴿صَبَرُواْ﴾ في الآية رقم [١١] والجملة الاسمية: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية (يقول...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه... إلخ، انظر الآية رقم [٥]. ﴿لَعۡنَةُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، أي: يقول الله ذلك يوم القيامة للكافرين، أو يقول ذلك ملك من الملائكة بأمره. والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾

الشرح: انظر شرح هذه الآية وإعرابها في الآية رقم [٤٥] من سورة (الأعراف)، فلا حاجة إلى المزيد عما ذكرته هناك و﴿هُمۡ﴾ الثانية ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وتكريره للتأكيد، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى الظالمين المذكورين، والذين يصدون الناس عن الدخول في دين الإسلام. ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني سابقين، وقيل: هاربين، والمعنى أنهم لا يعجزون الله إذا أرادهم بالعذاب، والانتقام منهم، ولكنه يؤخرهم إلى اليوم الذي يعرضون فيه على ربهم؛ ليكون عذابهم فيه أشد، وأدْوَم. ﴿وَمَا

كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: من أنصار يمنعونهم من عذاب الله تعالى؛ إذا أراده بهم. ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: يزداد عذابهم في الآخرة فوق عذاب الكفر بسبب صدهم عن سبيل الله، وإنكارهم البعث بعد الموت، وغير ذلك. ويقرأ الفعل: (يُضَعَّفُ). ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ أي: ما كانوا يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعاً ينتفعون به مع كونهم لهم آذان. ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ أي: لم يبصروا الحق مع كونهم لهم عيون، وذلك لشدة بغضهم النبي ﷺ، وشدة عداوتهم له، فلم يكن عندهم استعداد لأن يسمعوا سماع قبول، ولا أن يبصروا تبصر اهتداء وانتفاع، وآية (الأعراف) رقم [١٧٩] أكبر دليل على ذلك، وقيل: إن المراد الأصنام، فهي لا تسمع، ولا تبصر، فلذا فهي لا تنفع من يعبدها شيئاً.

الإعراب: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَكُونُوا۟﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مُعْجِزِينَ﴾: خبر ﴿يَكُونُوا۟﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف، التقدير: معجزين الله. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ ﴿مُعْجِزِينَ...﴾ وجملة: ﴿لَمْ يَكُونُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم. ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، كان صفة له... إلخ، انظر الآية رقم [٣] ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: اسم كان مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿يُضَٰعَفُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانُوا۟﴾، وجملة: ﴿مَا كَانُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ إعرابها واضح، والجملة معطوفة على ما قبلها، هذا؛ وأجيز اعتبار: (ما) ظرفية مصدرية، تسبك مع ما بعدها بمصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية، متعلق بالفعل ﴿يُضَٰعَفُ﴾، التقدير: يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع والإبصار؛ أي: أبداً. كما أجيز اعتبارها موصولة مجرورة بحرف جر، التقدير: بما كانوا، فلما حذف حرف الجر؛ انتصب الموصول على المفعولية، واعتباره مجروراً بالمحذوف أقوى؛ لأن الفعل: ﴿يُضَٰعَفُ﴾ لا ينصب مفعولاً صريحاً. تأمل، وتدبر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢١﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بسبب استبدال عبادة الله بعبادة الحجارة والأوثان، وما يتبع ذلك من صد الناس عن دين الإسلام، وفعل القبائح والمنكرات، وإنكار البعث بعد الموت، وما يتعلق به. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: ضاع كذبهم، وبطل إفكهم، وذهب دعاؤهم: أن الأصنام تشفع لهم، وانظر «الخسران» في الآية التالية، وشرح (النَّفس) في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ انظر الآية رقم [١٦] لتفصيل الإعراب، وجملة: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. (ضل): ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلقان به. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف، وتقدير الكلام: ضل عنهم الذي، أو شيء كانوا يفترونه، وعلى اعتبار: ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل التقدير: وضل عنهم افتراؤهم، وجملة: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ٢٢﴾

الشرح: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾: انظر الإعراب يتضح لك معناها. ﴿ٱلْأٓخِرَةِ﴾: انظر الآية رقم [٣٨] من سورة (التوبة). ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: لا أحد أكثر خسراناً منهم، وأي: خسران أعظم من خسارة الجنة، والحرمان من نعيمها الذي لا ينقطع، هذا؛ وقد قيل في تفسير الخسران إنه جعل لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله منازل الكفار التي في الجنة للمؤمنين، وجعل منازل المؤمنين التي في النار للكفار، فذلك هو الخسران المبين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ إنْسَانٍ مَسْكَناً في الْجَنَّةِ ومَسْكَناً في النَّارِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنونَ فيأخذونَ منازِلَهُمْ، ويَرِثونَ منازِلَ الْكُفَّارِ، ويجعلُ الكفَّارَ في منازِلِهِمْ في النَّارِ**». أخرجه ابن ماجه، وهذا تأويل قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

تنبيه: لفظ ﴿لَا جَرَمَ﴾ ورد في القرآن الكريم في خمسة مواضع متلوٌّ بـ «أنَّ» واسمها، ولم يجئ بعدها فعل، أحدها ما في هذه السورة، وثلاثة بسورة (النحل) برقم [٢٣] و[٦٢] و[١٠٩] والخامس في سورة (غافر) برقم [٤٣].

الإعراب: ﴿لَا جَرَمَ...﴾ إلخ في إعراب هذا اللفظ أربعة أقوال:

ـ **أحدها**: وهو مذهب الخليل وسيبويه: أنهما مركبتان من (لا) النافية، و(جرم) وبنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر وصار معناهما معنى فعل، وهو (حَقَّ) فعلى هذا فالمصدر المؤول من (أنَّ) واسمها وخبرها، في محل رفع فاعل، فقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أي: حَقَّ وثَبَتَ كَوْنُ النارِ لَهُمْ، أو استقرارها لهم، هذا ما نقله السمين عن الخليل وسيبويه، ونقل مكي عنهما: أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمعنى حق في موضع رفع بالابتداء، والمصدر المؤول من أن واسمها وخبرها في محل رفع خبر، فاختلف النقل عن الخليل وسيبويه، رحم الله الجميع برحمته الواسعة ورحمنا معهم.

ـ **الثاني**: أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمنزلة: (لا رجل) في كون (لا) نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح، وهي واسمها في محل رفع بالابتداء، وما بعدها خبر (لا) النافية، وصار معناها: لا محالة في أنهم في الآخرة، أي: في خسرانهم، وهذا الوجه عزاه مكي إلى الخليل أيضاً.

ـ **الوجه الثالث**: أن (لا) نافية لكلام متقدم، تكلم به الكفرة، فرد الله عليهم بقوله: (لا)، كما ترد (لا) هذه قبل القسم في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ ثم أتى بعدها بجملة فعلية، وهي: جرم أن لهم كذا، وجرم فعل ماض معناه كسب وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام، و(أنَّ) وما في حيزها في موضع المفعول به؛ لأن (جرم) يتعدى إذا كان بمعنى: (كسب)، وعلى هذا فالوقف على قوله (لا) ثم يبتدأ بجرم بخلاف ما تقدم. انتهى. جمل، وهذا القول عزاه مكي للزجاج.

ـ **الوجه الرابع**: أن معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾: لا حَدَّ، وَلَا مَنْعَ، وَلَا صَدَّ، ويكون «جَرَمَ» بمعنى القطع، تقول: جرمت كذا، أي: قطعته، فيكون: ﴿جَرَمَ﴾ اسم (لا) مبني معها على الفتح، كما تقدم، وخبرها: (أنَّ) وما في حيزها على حذف حرف الجر، أي: لا منع من خسرانهم، فيعود فيه الخلاف المشهور. انتهى. جمل، وهذا القول عزاه مكي للكسائي.

﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾: متعلقان بـ ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ بعدهما. ﴿هُمُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية خبر (أنَّ)، هذا، وإن اعتبرت ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل لا محل له فـ ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ خبر (أنَّ) مرفوع... إلخ، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر، انظر الإعراب المتقدم؛ لترى محل هذا المصدر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها ودرجاتها. ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أنابوا، وأطاعوا، وخشعوا وخضعوا. والإخبات: الخشوع

للمخافة الثابتة في القلب، من: (الخبت)، وهو الأرض المستوية الواسعة. قال تعالى في سورة (الحج) رقم [٣٤]: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ • ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ﴿أَصْحَٰبُ﴾: جمع صاحب، ويكون بمعنى: المالك كما هنا، ويكون بمعنى الصديق، ويجمع أيضاً على: صَحْب، وصحاب، وصَحَابة، وصحبة، وصحبان، ثم يجمع أصحاب على أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب هذا؛ وقد جُعل المؤمنون المطيعون الخاشعون أصحاب الجنة بمعنى مالكيها لملازمتهم لها، وعدم انفكاكهم عنها، وقل مثله في أصحاب النار. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون لا يخرجون، ماكثون أبداً، لا يموتون، ولا يفنون.

تنبيه: لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا، وخسرانهم في الآخرة، أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا، وربحهم في الآخرة؛ إذ اقتضت سنة الله، وحكمته العالية، ورحمته الواسعة، ألا يذكر التكذيب من الكافرين، إلا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الكفر، إلا ويذكر الإيمان، ولا يذكر النار إلا ويذكر الجنة، ولا يذكر الغضب والسخط إلا ويذكر الرضا والرحمة، ليكون المؤمن خائفاً راجياً، وراهباً راغباً... إلخ، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها، وجملة: ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها أيضاً، وانظر إعراب: ﴿صَبَرُوا۟﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿أَصْحَٰبُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْجَنَّةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، أو من ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ نفسها، والعامل في الحال اسم الإشارة، والرابط: الضمير على الاعتبارين، وفيها معنى التأكيد للكلام السابق، وجوز اعتبارها خبراً ثانياً لـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، والأول أقوى، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ...﴾ إلخ: قال الخازن رحمه الله تعالى: لما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار، وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق، ومن الصمم عن سماعه،

وذكر أحوال المؤمنين، وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق، والانقياد للطاعة؛ ضرب لهم مثلاً، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾، يعني فريق المؤمنين، وفريق الكافرين. ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾ وهو الذي لا يهتدي لرشده. ﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾، وهو الذي لا يسمع شيئاً البتة، ﴿وَٱلْبَصِيرِ﴾ وهو الذي يبصر الأشياء على ماهيتها. ﴿وَٱلسَّمِيعِ﴾ وهو الذي يسمع الأصوات، ويجيب الداعي. انتهى. هذا؛ ولا تنس: أن وصف الكافر بصفتين، ثم وصف المؤمن بصفتين، إنما هو من باب اللف والطباق والمقابلة، وهذا من فن البديع.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: قال الفراء: لم يقل: هل يستوون؛ لأن الأعمى، والأصم في حيز كأنهما واحد، وهما من وصف الكافر، والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد، وهما من وصف المؤمن. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون بضرب الأمثال والتأمل فيها، وقد حذفت إحدى التاءين من الفعل، فإن الأصل (تتذكرون) وهذا الحذف كثير ومستعمل في القرآن الكريم، والكلام العربي.

هذا؛ و«مَثَل» بفتح الميم والثاء هنا بمعنى صفة الفريقين، وهو بكسر الميم وسكون الثاء، ومثله: مثيل بمعنى: شبه، وشبيه، وهو اسم متوغل في الإبهام، فلا يتعرف بإضافته إلى الضمير وغيره من المعارف؛ ولذلك نعتت به النكرة في قوله تعالى، حكاية عن قول فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ويوصف به المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر والمؤنث، كما في الآية الكريمة، وتستعمل على ثلاثة أوجه: الأول: بمعنى الشبيه، كما في قوله تعالى: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، والثاني: بمعنى نفس الشيء، وذاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ عند بعضهم حيث قال: المعنى: ليس كذاته شيء، والثالث: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: بما آمنتم به.

هذا؛ وأما «الْمَثَل» في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وشبهه، انظره في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، هذا؛ والمثل بفتح الميم والثاء أيضاً: هو القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة من بعض الوجوه، والممثل بمضربه، أي: هو الحالة الأصلية التي ورد الكلام فيها، وما أكثر الأمثال في اللغة العربية، علماً بأن ألفاظ الأمثال لا تتغير، تذكيراً وتأنيثاً، إفراداً وتثنيةً وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، مثل: (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ) فإنه يضرب لكل من فرط في تحصيل شيء في أوانه، ثم يطلبه بعد فواته، هذا؛ ويجمع «مثل» بكل معانيه على أمثال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾ إلخ.

﴿أَفَلَا﴾ فالهمزة للإنكار، وهي في نية التأخير عن الفاء؛ لأنها حرف عطف، وكذا تقدم على الواو، وثم، تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ وقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ...﴾ إلخ وأخواتها تتأخر

عن حروف العطف، كما هو قياس أجزاء الجملة المعطوفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، هذا مذهب سيبويه والجمهور، وخالف جماعة، أولهم الزمخشري، فزعموا: أن الهمزة في الآيات المتقدمة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير في ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا...﴾ إلخ. ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾. ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ...﴾ إلخ: أمكثوا فلم يسيروا في الأرض؟ أنهملكم فنضرب عنكم... إلخ، أتؤمنون في حياته، فإن مات أو قتل... إلخ، ويضعف قولهم ما فيه من التكلف، وأنه غير مطرد في جميع المواضع، انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

الإعراب: ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً، فهي الخبر، وتكون مضافة و(الأعمى) في محل جر بالإضافة، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾: هذه الأسماء معطوفة على (الأعمى)، والجملة الاسمية: ﴿مَثَلُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿يَسْتَوِيَانِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله. ﴿مَثَلًا﴾: تمييز، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ مستأنفة لا محل لها، وجواب الاستفهام محذوف، التقدير: لا يستويان. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقريع وتوبيخ. الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: مضارع، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة مع الجملة المقدرة المعطوفة عليها على القول الثاني، ومعطوفة على ما قبلها على القول الأول في الفاء. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثنا. ﴿نُوحًا﴾: اسمه: السكن، وقيل: عبد الغفار. وسمي ﴿نُوحًا﴾ لكثرة نوحه على نفسه، وهو ابن لمك، بن متوشلح، بن أخنوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام، وكان نوح نجاراً، واختلفوا في سبب نوحه، فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك، وقيل: لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان، وقيل: لأنه مر بكلب مجذوم، فقال له: إِخْسَأْ يا قبيح! فأوحى الله تعالى إليه: أعبتني أم عبت الكلب؟! وهو أول رسول بعث بشريعة بعد آدم، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عليه عشر صحائف، وكان أول من عذبته أمته لردهم دعوته، وأهلك الله أهل الأرض بدعائه، وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام، وكان أطول الأنبياء عمراً، عمره ألفاً وخمسين سنة، وقيل: أكثر، لم تنقص قوته، ولم يشب، ولم تسقط له سن، وصبر على أذى قومه طول عمره، وكان أبواه مؤمنين بدليل دعوته لهما بالمغفرة في الآية الآخرة من السورة المسماة باسمه.

وأضيف: أن نوحاً عليه السلام كان من أولي العزم، وأنه لقي من العناء في دعوته قومه ما لم يلقه نبي أبداً، وإذا عرفت طول حياته، وأنه تعاقب عليه أجيال من قومه، وكل جيل يكون أفسد من سابقه؛ تبين لك ذلك واضحاً؛ فلذا أمر الله نبينا محمداً في آخر قصته في هذه السورة بالتأسي به، والصبر على أذى قومه، كما صبر نوح عليه السلام.

﴿قَوْمِهِۦٓ﴾: انظر الآية رقم [٢٨] الآتية ﴿إِنِّي﴾: يقرأ بكسر الهمزة وفتحها. ﴿نَذِيرٌ﴾: منذر، أي: مخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره، وكذلك مبشر بالثواب من آمن به، وعبده حق عبادته، وحذف مبشر اكتفاءً بنذير، وكثيراً ما يذكر معه كما في الآية رقم [٢].

تنبيه: الحكمة من ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام تسلية النبي ﷺ، وتنبيه له على ملازمة الصبر على أذى الكفار، كما صبر الرسل الكرام، إلى أن يكفيه الله أمرهم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٩] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بـ «نا»، التي هي ضمير متصل في محل رفع فاعل. هذا الإعراب هو المتعارف عليه في مثل هذا، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض، كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، وقل مثله في إعراب كل ماض، اتصل به ضمير رفع متحرك، مثل: أرسلْتُ، وأرسلْنَ. ﴿نُوحًا﴾: مفعول به. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿نُوحًا﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم في محل نصب اسمها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿نَذِيرٌ﴾ بعدهما. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر (إن). ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة: ﴿نَذِيرٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قال إني... إلخ وهذا على كسر الهمزة، وأما على فتحها، فتؤول (أن) مع اسمها وخبرها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأني لكم... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهَ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم: الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به؛ لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال.

الإعراب: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٢] ففيه الكفاية، وزيد هنا تجويز البديلة من: (أني لكم نذير) على قراءة فتح الهمزة. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم في محل نصب اسم (إن). ﴿أَخَافُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿أَخَافُ﴾. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة: ﴿يَوْمٍ﴾، وقال الجمل: المتصف بكونه مؤلماً هو العذاب، لا اليوم، فنسبة الإيلام، إلى اليوم مجاز عقلي. انتهى.

وقال البيضاوي: مؤلم، وهو في الحقيقة صفة المعذب، لكن يوصف به العذاب، وزمانه على طريقة: جد جده، ونهاره صائم للمبالغة. وأرى أنه صفة: ﴿عَذَابَ﴾، وجر للمجاورة، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة التي جلبها حركة الجوار، وجملة: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل لها من الإعراب.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: قال السادة والعظماء الكافرون من قوم نوح له. ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾: لا نراك يا نوح إلا آدمياً مثلنا، لا فضل لك علينا، ولا مزية تستوجب طاعتنا لك، وانقيادنا لأوامرك، ونواهيك. ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: ولم يتبعك إلا سفلتنا وأخساؤنا وسقطنا، وخسيسو الصناعات وحقيرو المهن من حاكةٍ وحجامين! وهذا جهل منهم؛ لأنهم عابوا نوحاً عليه السلام بما لا عيب فيه؛ لأن الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يرسلون إلى الناس جميعاً، فإن تبعهم الوضيع؛ لم يلحقهم من ذلك نقصان؛ لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم من الناس بدون تمييز بين عظيم وحقير، وشريف ووضيع.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: ظاهر الرأي: وأول الأمر من غير تثبت، وتفكر في أمرك، ولو تفكروا؛ ما اتبعوك. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ أي: بمال أو جاه أو شرف يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة، وهذا أيضاً جهل منهم؛ لأن الفضيلة المعتبرة عند الله بالإيمان والطاعة، لا بالجاه، والشرف، والرياسة. ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾: فيما تدعون من النبوة، والميزة علينا، والخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه، أو هو لنوح وحده، وخوطب بلفظ الجمع على سبيل التعظيم.

هذا؛ والملأ الأشراف، والسادة، ولا يقال لغيرهم؛ لأنهم يملؤون العيون مهابة بكبريائهم وزينتهم، وما يحاطون به من هيبة، وعظمة، والملأ: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر، ونحوهما. و(بشر) يطلق على الإنسان ذكراً أو أنثى، مفرداً وجمعاً، مثل كلمة: الفلك تطلق على المفرد والجمع، وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، وهي ظاهر الجلد، بخلاف أكثر المخلوقات، فإنها مكسوة بالشعر أو بالصوف، أو الريش.

﴿نَرَىٰ﴾: مضارع ماضيه: (رأى) فالقياس نَرْأَيُ، وقد تركت العرب الهمز في مضارعه لكثرته في كلامهم، وربما احتاجت إلى همزه فهمزته، كما في قول سراقة بن مرداس البارقي: [الوافر]

أُرِي عَــيْــنَــيَّ مَــا لَــمْ تَــرْأَيَــاهُ كِــلَانَــا عَــالِــمٌ بِــالــتُّــرَّهَــاتِ

وربما جاء ماضيه بغير همز، وبه قرأ نافع في ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾، و﴿أَرَءَيْتَ﴾... إلخ (أَرَأَيْتكم)، وأَرَايْت بدون همز، وقال الشاعر: [الخفيف]

صَاحِ هَــلْ رَيْــتَ، أَوْ سَــمِــعْــتَ بِــرَاعٍ رَدَّ فِــي الــضَّــرْعِ مَـا قَــرَى فِــي الــحِــلَابِ؟

وإذا أمرت منه على الأصل قلت: (ارْءَ)، وعلى الحذف (رَهْ) بهاء السكت، وقل في إعلال (نرى)، أصله: نَرْأَيُ، قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وحذفت الهمزة بعد إلقاء حركتها على الراء للتخفيف. بعد هذا فـ (أراذل) جمع: أَرْذُل، وأَرْذُل جمع رَذْل، فهو جمع الجمع مثل كَلْب، وأكْلُب، وأَكَالب، وقيل: الأراذل جمع: الأرذل، كأساود جمع الأسود من الحيات، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (قال الملأ): ماض وفاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾، أو بدل منه، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة العائدة على الموصول، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿نَرَىٰكَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرًا﴾: مفعول به ثان، إن كان ﴿نَرَىٰكَ﴾ قلبياً، أو حال إن كان بصرياً، وهي حال موطئة؛ لأنه جامد، والمقصود الصفة، وهي ﴿مِّثْلَنَا﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿مَا نَرَىٰكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾: ماض، والكاف مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعل ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿أَرَاذِلُنَا﴾: خبره، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بَادِىَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾ على المعتمد، وجاز أن يعمل ما قبل ﴿إِلَّا﴾ فيما بعدها توسعاً في

الظروف، وهذا جواب عن إشكال، وهو أن ما بعد (إلا) لا يكون معمولاً لما قبلها إلا أن يكون مستثنًى منه، نحو ما قام إلا زيداً القوم، أو تابعاً للمستثنى منه، نحو ما جاءني أحدٌ إلا زيداً خيرٌ من عمرٍو. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي، وانظر الآية رقم [١٠٢] من سورة (الإسراء).

وهو يقرأ بهمز وبدونه، و﴿بَادِيَ﴾: مضاف، و﴿ٱلرَّأۡيِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿ٱتَّبَعَكَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان، أو هي في محل نصب حال من كاف الخطاب على نحو ما رأيت في الجملة السابقة، وعلى اعتبار الجملة حالاً فـ «قد» قبلها مقدرة. تأمل. وجملة: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿لَكُمۡ عَلَيۡنَا﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿فَضۡلِۭ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، هذا؛ ويجوز في الفعل ﴿نَرَىٰ﴾ ما جاز في سابقيه من الاعتبارين، فعلى اعتباره قلبياً يكون ﴿عَلَيۡنَا﴾ متعلقين بالفعل على اعتبارهما مفعولاً ثانياً تقدم على الأول الذي هو ﴿مِن فَضۡلِۭ﴾ وعلى اعتباره بصرياً يجوز اعتبار ﴿عَلَيۡنَا﴾: متعلقين بمحذوف حال من ﴿فَضۡلِۭ﴾: كان صفة له... إلخ على نحو ما رأيت في الآية رقم [٣]، وجملة: ﴿وَمَا نَرَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿بَلۡ﴾: حرف عطف وإضراب. ﴿نَظُنُّكُمۡ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول. ﴿كَٰذِبِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي من مقول الملأ أيضاً.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ...﴾ إلخ: لقد احتج المشركون على نوح ـ عليه السلام ـ في الآية السابقة بثلاث شبه: بقولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا...﴾، وبقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ...﴾ إلخ، وبقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا...﴾ إلخ، وقد أجابهم عن هذه الثلاثة إجمالاً بما في هذه الآية، وتفصيلاً بما في الآية رقم [٣١] الآتية. ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾: قال سليمان الجمل رحمه الله تعالى: استعمال (أرأيت) في الإخبار مجاز، أي: أخبروني عن حالتكم العجيبة، ووجه المجاز: أنه لما كان العلم بالشيء سبباً للإخبار عنه، والإبصار به طريقاً إلى الإحاطة به علماً، وإلى صحة الإخبار عنه؛ استعملت الصيغة التي لطلب العلم، أو لطلب الإبصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب... انتهى.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾: على حجة وبرهان. ﴿مِّن رَّبِّي﴾: انظر الآية رقم [٣] ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ﴾: وأعطاني ومنحني رحمة من فضله، وهي النبوة والرسالة. ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾: فخفيت عليكم، فلم

تهدكم، كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغيرها، وقيل: هذا من باب القلب، والأصل: فعميتم أنتم عنها، وقرئ الفعل بالتخفيف، والبناء للمعلوم. ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾: أنجبركم على قبولها، الهاء عائدة على الرحمة، والمعنى: أنكرهكم أيها القوم على قبول الرحمة؟! وقد اجتمع ضميران منصوبان، ضمير خطاب وضمير غيبة، والأول أعرف، فيجوز في مثل ذلك الفصل، والوصل، قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وصِلْ أوِ افْصِلْ هَاءَ سَلْنِيهِ وَمَا أَشْبَهَهُ في كُنْتُهُ الْخُلْفُ انْتَمَى

﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾: لا تختارونها، ولا تتأملون فيها، وليس لي أن أضطركم إلى ذلك، قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله؛ لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك.

(قوم): اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل رهط ومعشر، وهو يطلق على الرجال دون النساء، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ (قوم) في القرآن الكريم، إنما يراد به الرجال والنساء جميعاً.

﴿كُنتُ﴾: أصله كَوَنْتُ، فقل في إعلاله: تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: كانْتُ، فالتقى ساكنان: الألف وسكون النون، فحذفت الألف، فصار: «كَنْتُ» بفتح الكاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار «كُنت»، وهناك إعلال آخر، وهو أن تقول: أصل الفعل: كَوَن، فلما اتصل بضمير رفع متحرك نقل إلى باب فعُل فصار: كَوُنْتُ، ثم نقلت حركة الواو إلى الكاف قبلها، فصار (كُونْتُ) فالتقى ساكنان: العين المعتلة ولام الفعل فحذفت العين، وهي الواو لالتقائهما، فصار: (كُنْتُ) وهكذا قل في إعلال كل فعل أجوف واوي مسنداً إلى ضمير رفع متحرك، مثل: قام وقال وغيرهما.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى نوح. ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ يا: حرف نداء ينوب مناب: أدعو، أو أنادي. (قوم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه، إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: يا قومي، ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول: يا قومِيَ، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: يا قَومَا، ومنهم من يقول: يا قومُ بضم الميم، ففيه خمس لغات، ويزاد سادسة، وهي حذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فتقول: يا قومَ، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ وتقريع. رأيتم: فعل

وفاعل، ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان). ﴿مِّن رَّبِّي﴾: متعلقان بـ ﴿بَيِّنَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة لها، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها، اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كُنتُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً﴾ معطوفة على جملة: ﴿كُنتُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل: (أتى)، أو هما متعلقان بـ ﴿رَحْمَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها، والهاء في محل جر بالإضافة، وجواب الشرط محذوف، دل عليه الجملة الاستفهامية الآتية. (عميت): ماض مبني للمجهول على قراءته بتشديد الميم، وضم العين، ومبني للمعلوم على التخفيف وفتح العين، ونائب الفاعل، أو والفاعل يعود إلى الرحمة، والتاء للتأنيث. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: الهمزة: حرف استفهام. (نلزمكموها): مضارع، والكاف مفعول به أول، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم، فتولدت واو الإشباع، و(ها): مفعول به ثان، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان لـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وما بينهما كلام معترض لا محل له، والمفعول الأول محذوف، وانظر الآية رقم [٥٠] من سورة (يونس) إن أردت الزيادة. ﴿وَأَنتُمْ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿كَٰرِهُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: (أنتم...) إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة، فهو مدلول قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾. ﴿مَالًا﴾: جعلاً، وانظر شرح المال في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنفال). ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: لا أطلب منكم أجراً، وإنما أطلب ثوابي من الله تعالى، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: وذلك: أنهم طلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد الذين آمنوا، وهم الأرذلون في زعمهم، وهذا كما طلبت قريش من النبي ﷺ أن يطرد الفقراء من مجلسه، انظر الآية رقم [٥٢] من سورة (الأنعام). ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم القيامة، فيخاصمون طاردهم عنده، أو إنهم يلاقونه يوم القيامة، فيفوزون بقربه، وجوده، وإحسانه، فكيف أطردهم؟! ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أي: عظمة الله وقدرته ووحدانيته، وقيل: المعنى: إنكم تجهلون: أن هؤلاء الضعفاء خير منكم عند الله تعالى.

هذا؛ والجهل: هو السفه، والطيش، والحمق. والجاهل: هو الذي يجهل ما يتعلق به من المكروه، والمضرة. وعن بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل، ومن حق الحكيم العاقل أن لا يقدم على شيء؛ حتى يعلم كيفيته وحاله، ولا يشتري الحلم بالجهل، ولا الأناة بالطيش، ولا الرفق بالخرق، كما قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

فَإِنْ تَزْعُمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فيكمو فإنِّي شَرَيْتُ الحِلْمَ بعْدَكِ بالْجَهْلِ

وإن لم يكن كذلك؛ يصدق عليه: أنه من أكبر الجهال، والحمار أفضل منه، كما قال الشاعر: [الكامل]

فضْلُ الحِمَارِ عَلَى الْجَهُولِ بِخَلَّةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الَّذِي يَدْرِيها

إنَّ الحِمارَ إذَا تَوَهَّمَ لَمْ يسِرْ وتُعاوِدُ الجُهَّالُ ما يُؤْذِيهَا

هذا؛ «وآمن» أصله: أَأْمن بهمزتين، قلبت الثانية مدًّا مجانساً لحركة الأولى، كما قلبت في مصدره إيمان، فإن أصله إِئْمَان، فقلبت الثانية مداً مجانساً لحركة الأولى، وهي الكسرة، وكما قلبت في مضارعه (أومن)، فإن أصله أُؤْمِن، فقلبت الثانية مداً مجانساً لحركة الأولى، وهي الضمة.

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَالًاۖ﴾: مفعول به ثان. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي. ﴿أَجۡرِيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَى ٱللَّهِۚ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليل للنفي. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿بِطَارِدِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (طارد): خبر ما منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، هذا؛ وإن اعتبرت (ما) مهملة، فتكون الباء زائدة في خبر المبتدأ ﴿أَنَا۠﴾، و(طارد) مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْۚ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿وَمَآ أَنَا۠...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي تعليل للنفي مثلها. ﴿إِنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُّلَٰقُواْ﴾: خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو، نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿مُّلَٰقُواْ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمۡ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُم...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنِّيٓ﴾: الواو: حرف عطف. (لكني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿أَرَىٰكُمۡ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة

مقدرة على الألف للتعذر، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ في محل نصب صفة: ﴿قَوْمًا﴾، وجملة: ﴿أَرَىٰكُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية (لكني...) إلخ معطوفة على ما قبلها، ولعلك تدرك معي: أن الآية برمتها معطوفة على ما قبلها، وهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾

الشرح: ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عقابه، ومن انتقامه. ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ أي: استجابة لطلبكم، وهم مؤمنون بربهم معترفون بربوبيته. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ انظر الآية رقم [٢٤].

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٢٨] ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَنصُرُنِي﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، تقديره: «هو»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿طَرَدتُّهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وانظر إعراب: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في الآية رقم [٢٥]، والجملة الفعلية لا محل لها مثل جملة: ﴿كُنتُ...﴾ إلخ في الآية رقم [٢٨] وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن طردتهم؛ فمن ينصرني ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٤]، والآية برمتها معطوفة على ما قبلها، وهي من مقول نوح، عليه الصلاة، والسلام.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾

الشرح: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي: خزائن رزقه، وإنعامه، وإفضاله، وهذا رد لقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ في الآية رقم [٢٧] ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: لا أدعي علم ما يغيب عني مما يسرون في نفوسهم؛ لأنه لا يعلم ذلك إلا الله تعالى. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾: وهذا رد لقولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾. ﴿وَلَآ أَقُولُ...﴾ إلخ: ولا أقول في شأن الذين احتقرتموهم لفقرهم وضعفهم: لا يؤتيكم الله أجراً وثواباً، بل إني أقول: إن ما أعده الله لهم في الآخرة خير مما آتاكموه في الدنيا. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: من الخير والشر، فيجازيهم عليه ما يستحقون. ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن طردتهم مكذباً لظاهرهم، ومبطلاً لإيمانهم؛ فأكون ظالماً لهم، ومعاذ الله أن أفعله!.

﴿تَزْدَرِيٓ﴾: تحتقر، والازدراء: التحقير، وانظر شرح الظلم في الآية رقم [٢٣] من سورة (يونس) هذا؛ و﴿أَعْيُنُكُمْ﴾ جمع: عين، وتجمع على عيون، وأعيان أيضاً، وأعيان غير مشهور، وقليل الاستعمال، و(أعين) جمع قلة، وغيره جمع كثرة، والمراد بها هنا: العين الباصرة، وتطلق على الجاسوس، كما في قولك: بث الأمير عيونه في المدينة، أي: جواسيسه، كما تطلق على ذات الشخص، كما في قولك: جاء محمود عينه، وعين الشيء: خياره، وتطلق على النقد من ذهب وغيره، وإليك قول الشاعر: [البسيط]

وقد سَمَحْتُ بِهَا أَيَّامَ وَصْلِهِمُو ... واسْتَخْدَمُوا الْعَيْنَ مِنِّي، وَهْيَ جارِيَةٌ

فالمراد بالعين ذاته، والمراد بجارية عينه التي تجري بالدمع، والمراد بقوله: (بها) نقد الذهب، وهذا يسمى استخداماً في فن البديع، كما تطلق على الماء الجاري النابع من الأرض، وتطلق على المطر الهاطل من السحاب، قال عنترة: [الكامل]

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ ... فَتَرَكْنَ كُلَّ حدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

هذا؛ وأعيان القوم أشرافهم، وبنو الأعيان: الإخوة من الأبوين، وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام، ففيها بحث طويل، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿أَقُولُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عِندِى﴾: ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، متعلق بمحذوف خبر مقدم، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿خَزَآئِنُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، وجملة: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ معطوفة على ما قبلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى مَلَكٌ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿أَقُولُ﴾. ﴿تَزْدَرِيٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: تزدريه أعينكم. ﴿لَن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿يُؤْتِيَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَن﴾، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿أَعْلَمُ﴾؛ لأنه أفعل تفضيل أو هو بمعنى: (عالم)، ولا يكون التفضيل مراداً. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول (ما) والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء. ﴿لَّمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ مستأنفة أيضاً، هذا؛ وإن الآية بكاملها معطوفة على ما قبلها، وعند التأمل يتبين لك أنها في محل نصب مقول القول؛ إذ هي من مقول نوح على نبينا، وعليه ألف صلاة وأزكى سلام.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال قوم نوح لنوح عليه السلام. ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا. ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ أي: أكثرت خصومتنا وبالغت فيها، والجدل: المبالغة في الخصومة، مشتق من الجدل، وهو الفتل، ويقال للصقر: أجدل لشدته في الطير، وقرئ: (جدلنا) والجدل في الدين محمود؛ ولهذا جادل نوح والأنبياء أقوامهم حتى يظهر الحق، فمن قبله؛ نجح وأفلح، ومن رده؛ خاب وخسر، وأما الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم، وصاحبه في الدارين ملوم، وقد يسمى الجدال: مماراة كما في الآية رقم [٢٢] من سورة (الكهف). ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: به من العذاب. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: في دعواك أنك رسول من الله إلينا، وفي وعيدك لنا بالعذاب أيضاً، فإن جدالك لا يؤثر فينا.

هذا؛ و(تعد)، أصله (توعد) فحذفت الواو؛ لوقوعها بين عدوتيها، وهما الياء والكسرة في مضارع الغائب (يعد) وتحذف من مضارع المتكلم والمخاطب قياساً عليه، والمصدر: (وعداً)، وماضيه: (وعد)، وقد تحذف الواو من المصدر، ويعوض عنها تاء في الآخر، فيصير (عدة).

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿صَبَرُواْ﴾ في الآية رقم [١١] (يا): حرف نداء ينوب منا أدعو. (نوح): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا). ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَٰدَلْتَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول كالجملة الندائية قبلها. (أكثرت): فعل وفاعل. ﴿جِدَٰلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول. ﴿فَأْتِنَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [١٧] (آتنا): أمر مبني على حذف حرف العلة، من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، ونا: في محل نصب مفعول به. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿تَعِدُنَآ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ

التقدير: بالذي، أو بشيء تعدنا به، وأجيز اعتبار (ما) مصدرية فيكون التقدير: بوعدك إيانا، وجملة: (ائتنا...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك لا يفيدك شيئاً، ﴿فَأْتِنَا...﴾ إلخ، والشرط ومدخوله في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٢٨] وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنت... فائتنا بما تعدنا، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: نوح. ﴿إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: بالعذاب، فإن أمره إلى الله، لا إليَّ. ﴿إِن شَآءَ﴾ أي: شاء إهلاككم؛ عذبكم عاجلاً، أو آجلاً. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ أي: بفائتين من العذاب، أو بهاربين منه، أو ما أنتم بمعجزين الله تعالى بأن لا يقدر على تعذيبكم.

هذا؛ و﴿شَآءَ﴾ مضارعه يشاء، فلم يرد له أمر، ولا لـ «أراد» فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وأصل (شاء): (شَيِءَ) على فَعِل بكسر العين، بدليل قولك: شئت شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، وحذف مفعول: (أراد) حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخريمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ، ولَكِنْ سَاحةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد (لو)، وليس كذلك، وانظر الإرادة في الآية رقم [١١٨] الآتية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (نوح). ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَأۡتِيكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية وجواب الشرط محذوف، التقدير: إن شاء إهلاككم؛ فهو يأتيكم بالعذاب ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥٣] من سورة (يونس) وهي هنا في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام معترض بين الحال وصاحبه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ أي: ولا ينفعكم إنذاري، وتخويفي إياكم عقوبته، ونزول العذاب بكم؛ لأنكم لا تقبلون نصحاً. ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾ أي: أن يضلكم. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ وهذا مما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما؛ إذ زعموا أن الله تعالى لا يريد أن يعصي العاصي، ولا يكفر الكافر، ولا يغوي الغاوي، وأنه يفعل ذلك، والله لا يريد ذلك، وأضاف نوح عليه السلام إغواءهم إلى الله سبحانه وتعالى؛ إذ هو المضل الهادي، سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون، والظالمون علواً كبيراً. انتهى. بتصرف كبير. هذا؛ وقد تقدم في الآية رقم [٨٨] من سورة (النساء) وغيرها أن ذلك مبني على علم الله الأزلي: أنهم لو تركوا وشأنهم؛ لما اختاروا غير الكفر، ولذا قدره الله عليهم، وأراده لهم، وانظر الآية رقم [٢٩] من سورة (الرعد)، وانظر الآية رقم [١٧] من سورة (الفرقان)؛ تجد ما يسرك. . ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: خالقكم، والمتصرف فيكم وفق إرادته ومشيئته. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم على أعمالكم يوم القيامة، ففيه تهديد، ووعيد، وانظر (رجع) في الآية رقم [٨٣] من سورة (التوبة)، و﴿أَنصَحَ﴾ مثل (أشكر) في الآية رقم [٦٠] من سورة (يونس).

تنبيه: في الآية الكريمة شرطان، وجواب واحد، وفي ذلك قولان: أحدهما: أن جواب الأول سبقه ما هو جواب في المعنى، فإن التقدير: إن أردت أن أنصح لكم؛ فلا ينفعكم نصحي، والثاني: أن الشرط الثاني وجوابه جواب للأول، وخذ ما قاله أبو البقاء رحمه الله تعالى: حكم الشرط إذا دخل على الشرط أن يكون الشرط الثاني، والجواب جواباً للشرط الأول، كقولك: إن أتيتني، إن كلمتني أكرمتك، فقولك: إن كلمتني أكرمتك جواب: إن أتيتني، وإذا كان كذلك صار الشرط الأول في الذكر مؤخراً في المعنى، حتى لو أتاه، ثم كلمه؛ لم يجب الإكرام، ولكن إن كلمه، ثم أتاه؛ وجب إكرامه، وعلة ذلك: أن الجواب صار معوقاً بالشرط الثاني، وقد جاء في القرآن منه قوله تعالى: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٥٠] من سورة (الأحزاب). انتهى. هذا؛ ومثل الآية الكريمة قول الشاعر، وهو الشاهد [١٠٤١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

إنْ تَسْتَغِيثوا بنَا إنْ تُذْعَرُوا تَجِدوا ... مِنَّا مَعَاقِلَ عِزٍّ زَانَهَا كَرَمُ

وأضيف ما قاله سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ وإن زاد على شرطين (أي: حكمه حكم الشرطين) وعلى هذا يترتب الحكم، مثاله: أن يقول لعبده: إن كلمتُ زيداً، إنْ دخلتُ الدار، إن أكلْتَ الخبزَ، فأنتَ حُرٌّ، فجواب الشرط الثالث أنت حر، والثالث وجوابه جواب للثاني،

والثاني وجوابه جواب للأول، فإن كلم، ثم دخل، ثم أكل؛ لم يعتق، لكن إن أكل، ثم دخل، ثم كلم عتق؛ لما ذكر. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَنفَعُكُمْ﴾: مضارع، والكاف مفعول به. ﴿نُصْحِيَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَرَدتُّ﴾: فعل وفاعل، والمصدر المؤول من ﴿أَنْ أَنصَحَ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أَرَدتُّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية... إلخ، ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿يُرِيدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿يُرِيدُ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها مثل سابقتها، وانظر ما ذكرته في التنبيه عن الجواب، وفحواه أن جملة: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ﴾ سبقت الشرطين، وهي تدل على جواب أحدهما، بخلاف البيت الذي ذكرته، فإن تجدوا مذكور بعد الشرطين، وكذلك الأمثلة التي ذكرتها قد ذكر جواب بعد الشرطين، فإن اعتبرت الجملة الفعلية دلت على جواب الأول؛ فجواب الثاني محذوف اكتفاء بما دل عليه جواب الأول، وهو توجيه القول الأول، وإن اعتبرت الجملة الفعلية دالة على جواب الثاني؛ فجواب الأول محذوف اكتفاء بما دل عليه جواب الثاني، وهو توجيه القول الثاني. تأمل، وتدبر. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: مبتدأ وخبر، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي تعليلية لا محل لها على الاعتبارين. (إليه): متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها عطف جملة فعلية على جملة اسمية، هذا؛ والآية الكريمة كلها في محل نصب مقول القول؛ إذ هي من مقول نوح عليه السلام. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ فعلى هذا تكون هذه الآية معترضة في أثناء قصة نوح عليه السلام؛ لأجل تنشيط السامع لسماع بقية القصة. انتهى. جلال وجمل معلقاً عليه. وقال مقاتل: أي: يقول كفار قريش: اختلق محمد ﷺ القرآن من قبل نفسه، وما أخبر به عن نوح وقومه. انتهى. قرطبي بتصرف كبير. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو من محاورة نوح لقومه، وهو أظهر؛ لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه، فالخطاب منهم

ولهم. ﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي، أو لنوح عليهما، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ألف صلاة وأزكى سلام. ﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ أي: اختلقته وافتعلته؛ يعني: الوحي والرسالة. ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾ أي: عقاب إجرامي وإثمه، وإن كنت محقاً فيما أقوله، فعليكم عقاب تكذيبي، والإجرام: مصدر أجرم، وهو اقتراف السيئة، يقال: أجرم وجَرَمَ بمعنى أنه اكتسب الذنب، وافتعله، قال الهيردان أجد لصوص بني سعد: [الوافر]

طَـرِيـدُ عَـشِـيـرةٍ، ورَهِـيـنُ جُـرْمٍ بِـمـا جَـرَمَـتْ يَـدِي، وَجَـنَـى لِـسَـانِـي

ومن قرأ: (أجرامي) بفتح الهمزة ذهب إلى أنه جمع جرم. ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي: بريء من كفركم وتكذيبكم، ومعنى الآية: فأنتم لا تسألون عن عملي، وأنتم بريئون منه، وأنا بريء من عملكم، ولا أسأل عما تعملون، وما أشبه معنى هذه الآية بالآية رقم [٤١] من سورة (يونس)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى (بل). ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى النبي ﷺ، أو إلى نوح عليه السلام، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي معترضة كما رأيت، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنِ﴾: حرف شرط جازم. ﴿ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَعَلَيَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عَليَّ): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِجْرَامِى﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله على اعتباره مصدراً، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إِنْ) ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَرِيٓءٌ﴾: خبره. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بـ ﴿بَرِيٓءٌ﴾؛ لأنه صفة مشبهة، وما: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: من الذي أو من شيء تجرمونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (مِنْ)، التقدير: من إجرامكم، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿بَرِيٓءٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جزم مثلها.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾: وهذا بعد أن عذبوه بأنواع العذاب، واضطهدوه، يروى: أن رجلاً من قومه حمل ابنه على كتفه، فلما رأى الصبي نوحاً عليه السلام، قال لأبيه: أعطني حجراً، فأعطاه حجراً، ورمى به نوحاً، فأدماه، فأوحى الله تعالى إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ...﴾ إلخ وكان كلما تمادوا في المعصية، واشتد عليه منهم البلاء؛ صبر على إيذائهم، وكان ينتظر الجيل من قومه بعد الجيل، فلا يأتي قرن إلا كان أنحس من الذي قبله، ولقد كان القرن الآخر منهم يأتي، فيقول: قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً، فلا يقبلون منه شيئاً، فشكا نوح عليه السلام إلى الله، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا...﴾ إلخ الآيات من سورة نوح هذا؛ والوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، والوحي الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل: موسى، وعيسى، ومحمد ﷺ أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أي: فلا تغتمَّ بسوء صنيعهم، فإنهم هالكون. والبؤس: الحزن، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ، أَوْ حَمِيمٍ رُزِئْتُهُ ... فَلَمْ أَبْتَئِسْ، والرُّزْءُ فِيهِ جَلِيلُ

يقال: ابتأس الرجل: إذا بلغه شيء يكرهه، والابتئاس حزن في استكانة.

الإعراب: ﴿وَأُوحِيَ﴾: الواو: حرف عطف. (أوحي): ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَىٰ نُوحٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَن﴾: حرف ناصب. ﴿يُؤْمِنَ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَن﴾. ﴿مِن قَوْمِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل: ﴿يُؤْمِنَ﴾، وجملة: ﴿قَدْ ءَامَنَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد رجوع الفاعل إليه، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع نائب فاعل (أوحي)، هذا؛ وقرئ بكسر همزة (إنه) وفيه وجهان: أحدهما: وهو قول البصريين: أنه على إضمار القول، والثاني وهو قول الكوفيين أنه على إجراء الإيحاء مجرى القول. انتهى. سمين. وعليه فنائب الفاعل هو متعلق ﴿إِلَىٰ نُوحٍ﴾ كما قرئ (أَوْحَى) بالبناء للمعلوم، فيكون الفاعل عائداً، إلى الله، والمصدر المؤول من ﴿أَنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأنه، وعلى قراءة (إنه) بالكسر يجري فيه الوجهان المذكوران عن البصريين، والكوفيين، وجملة (أوحي. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿فَلَا﴾ الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [١٧] (لا): ناهية. ﴿تَبْتَئِسْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، هذا؛ وإعراب: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ مثل

إعراب: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ في الآية رقم [٣٢] وقد مر معنا كثير مثلها، وجملة: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا علمت: أنه لن يؤمن من قومك... فلا تبتئس... إلخ، و(إذا) المقدرة ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾: والخطاب لنوح عليه السلام، أي: اعمل السفينة التي ستنجو فيها أنت، ومن آمن معك، وإنك بحفظنا، ورعايتنا، وحراستنا، وبمرأى منا وحيث نراك، فعبر عن الرؤية بالأعين؛ لأن الرؤية تكون بها، كما عبر عن القدرة باليد في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لأنها آلة القدرة، وهذا؛ ونحوه من الألفاظ التي يجب تأويلها بما يتناسب معها، فإنها من المتشابهات التي توهم خلاف ما ينبغي بحقه تعالى من حدوث وغيره، وجمع «الأعين» للتعظيم لا للتكثير، وانظر (نا) في الآية رقم [٨] ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: ولا تراجعني فيهم، ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم. ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ أي: محكوم عليهم بالغرق في قديم الأزل، فلا سبيل إلى دفعه عنهم.

هذا؛ و﴿ٱلْفُلْكَ﴾ بضم الفاء وسكون اللام: هي السفينة التي استقلها نوح عليه السلام بمن آمن معه، وهي أول سفينة وجدت في الدنيا، ومن تصميمها وشكلها أخذت البشرية تصنع السفن، وتتطور جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في العصر الحاضر، هذا؛ والفلك يطلق على المفرد والجمع، وعلى المؤنث والمذكر، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فأفرد وذكر، وقال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فأنث، ويحتمل الإفراد والجمع، وقال جل شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فجمع، وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب، فتذكَّر وإلى السفينة فتؤنث، وقد ألغز الشاعر فيها فقال: [الطويل]

مُكَسَّحَةٌ تَجري، ومكفوفةٌ تَرَى وفي بطنِها حَمْلٌ على ظهْرِها يَعْلُو
فإنْ عَطِشَتْ عاشَتْ، وعاشَ جَنِينُهَا وَإنْ شرِبَتْ مَاتَتْ، وفَارَقَهَا الْحَمْلُ

هذا؛ و(الفلك) بفتحتين: مدار النجوم، ويجمع على «فُلْك» بضم الفاء وسكون اللام وضمها أيضاً وعلى «أفلاك»، والفلك من كل شيء مستداره ومعظمه، والفلكي منسوب إلى علم الفلك، وانظر شرح (العين) في الآية رقم [٣١] و﴿ظَلَمُوٓا۟﴾ أي: أنفسهم بالكفر، ومخالفة الواحد القهار، وانظر الظلم في الآية رقم [٢٣] من سورة (يونس).

الإعراب: ﴿وَٱصْنَعِ﴾: (اصنع): أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: مفعول به. ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ أي: مصنوعاً بأعيننا، أو من الفاعل المستتر، التقدير: محفوظاً برعايتنا... إلخ، و(نا): في محل جر بالإضافة. (وحينا): معطوف على ما

قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية (اصنع. . .) إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. (لا): ناهية. ﴿تُخَاطِبْنِي﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية والفاعل تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فِي الَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ظَلَمُوا﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول. ﴿إِنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُّغْرَقُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم. . . إلخ، ونائب فاعله مستتر تقديره: «أنتم»، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُم...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل لها. هذا؛ وأكدت الجملة الاسمية بإن؛ لأن الكلام يشير إلى أن سائلاً يسأل عن سبب النهي المتقدم، فجيء بإن المؤكدة، وهذا النوع من أنواع الخبر يسمى طلبياً، وهو من مباحث علم المعاني.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾: حكاية حال ماضية، فالمضارع بمعنى الماضي، أي: وصنع نوح ـ عليه السلام ـ سفينته كما أمره ربه. قال أهل السير، والأخبار: لما أمر الله نوحاً بصنع السفينة، فقال: كيف أصنعها، ولست نجاراً، فأوحى إليه أن اصنعها، فإنك بأعيننا، فأخذ القدوم، وجعل ينجر، ولا يخطئ، فصنعها مثل جؤجؤ الطير، ولا ريب أن جبريل عليه السلام هو المهندس لهذا الصنع، فجعل يقطع الأخشاب من البرية، ولهى عن قومه، ويضرب الحديد، ويهيئ القار، وكل ما يحتاج إليه في عمل السفينة، فصار قومه يمرون به، وهو في عمله، فيسخرون منه، ويقولون: يا نوح! قد صرت نجاراً بعد النبوة؟! وأعقم الله أرحام النساء، قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يولد لهن ولد.

وقد اختلفوا في المدة التي تم بها صنع السفينة، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: اتخذ نوح السفينة في سنتين. وقال كعب: بناها في ثلاثين سنة، وقيل: غير ذلك، والله أعلم. كما اختلفوا في طولها وعرضها، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان طولها ثلاثمئة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها ثلاثين ذراعاً، وكانت من خشب الساج، وقيل: غير ذلك، وجعل لها ثلاثة بطون، فجعل في البطن الأسفل الوحوش، والسباع، والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب، والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى، وجعل معه ما يحتاج إليه من الزاد وغيره. انتهى. خازن وقرطبي.

روي عن عمرو بن الحارث قال: عمل نوح السفينة ببقاع دمشق، وقطع خشبها من جبل لبنان، وقيل: جاءت الحية، والعقرب لدخول السفينة، فقال نوح عليه السلام: لا أحملكما؛

لأنكما سبب البلاء والضرر، فقالتا: احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لم تضراه. ذكره القشيري وغيره، وذكر الحافظ ابن عساكر في التاريخ له مرفوعاً من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يمسي: صلى الله على نوح، وعلى نوح السلام؛ لم تلدغه عقرب تلك الليلة» انتهى. قرطبي. وذكر الخازن حكايات، هي من نوع الخرافات.

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ أي: استهزؤوا به لعمله السفينة، إما لأنهم كانوا لا يعرفونها، ولا كيفية استعمالها، والانتفاع بها، فتعجبوا من ذلك وسخروا منه، وإما لأنه كان يصنعها في برية في أبعد موضع من الماء، وكلما سألوه: يا نوح ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشي على الماء، أو هو قولهم السابق: يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة؟!.

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ...﴾ إلخ: المعنى: إن تستجهلونا في صنعنا، فإنا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه، وقوله ﴿نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام، وقد مر معنا مثل ذلك كثير، انظر الآية رقم [٦٧] التوبة و[٣٠] الأنفال وغيرهما، وانظر الكلام على الاستهزاء في الآية رقم [٦٤] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿وَيَصْنَعُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يصنع): مضارع، والفاعل يعود إلى نوح عليه السلام. ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَكُلَّمَا﴾: الواو: واو الحال. (كلما): ظرفية متعلقة بجوابها، وكذلك كل موضع كان لها جواب، وهذا يعني: أنها متضمنة معنى الشرط، وهذا هو المشهور؛ إذ هي تحتاج إلى جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وتفصيل الإعراب: (كل): ظرف زمان. (ما): مصدرية توقيتية. ﴿مَرَّ﴾: ماض. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان به. ﴿مَلَأٌ﴾: فاعله. ﴿مِّن قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿مَلَأٌ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، و(ما) والفعل ﴿مَرَّ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (كل) إليه، التقدير: كل وقت مرور الملأ عليه، وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ (كل)، انظر مبحث (كلما) في كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وقيل: (ما) نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صفة لها، وهي بمعنى وقت أيضاً. ﴿سَخِرُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ جواب (كلما) لا محل لها، وقيل: الجواب جملة: ﴿قَالَ إِن...﴾ إلخ وجملة: ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ صفة: ﴿مَلَأٌ...﴾، أو هي بدل من جملة: ﴿مَرَّ...﴾ إلخ وهو بعيد جداً؛ إذ ليس سخر نوعاً من المرور، ولا هو هو، فكيف يبدل منه، وعليه فالمعتمد الأول، ومثله ما قيل في الآية رقم [٣٧] من سورة (آل عمران)، و(كلما) ومدخولها في محل نصب حال من فاعل (يصنع) المستتر والرابط: الواو، والضمير المجرور بحرف الجر. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَسْخَرُواْ﴾: مضارع فعل الشرط

مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّا﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و«نا»: اسمه، وحذفت نونها، وبقيت ألفها، وجملة: ﴿نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: (إنا. . .) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها على المعتمد. ﴿كَمَا﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. و(ما): مصدرية. ﴿تَسْخَرُونَ﴾: فعل وفاعل، والمتعلق محذوف، التقدير: كما تسخرون منا، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: فإنا نسخر منكم سخرية كائنة مثل سخريتكم بنا. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تهديد ووعيد، والفعل يحتمل أن يكون من «العلم»، وأن يكون من المعرفة. ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يذله، ويهينه، والمراد به: عذاب الدنيا. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: المراد به عذاب الآخرة؛ الذي لا ينقطع، وهو عذاب النار.

الإعراب: ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو: فاعله. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول إن كان الفعل من العلم، والثاني محذوف، واعتباره من المعرفة هنا أولى. تأمل. و﴿مَن﴾ تحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ، التقدير: أينا يأتيه العذاب؟ وجملة: ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ صلة ﴿مَن﴾ على اعتبارها موصولة، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها استفهامية مبتدأ؛ وعليه يكون الفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ معلقاً عن العمل، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعوله، أو مفعوليه حسب ما رأيت، وجملة: ﴿يُخْزِيهِ﴾ في محل رفع صفة عذاب، وجملة: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. تأمل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي: بإهلاكهم وعذابهم. ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور، والتنور: تنور الخبز، ابتدع منه الينبوع على خرق العادة، وكان في الكوفة في موضع

مسجدها، أو في الهند، وهو قول ضعيف، أو بعين وردة بأرض الجزيرة، وقيل: التنور: وجه الأرض جميعها، وقيل: أعاليها، وقيل: غير ذلك، والمعتمد الأول هذا؛ وما يقال: إنه عين التنور الموجودة قرب حمص؛ لم يقل به أحد من المفسرين، وكان فوران الماء منه إيذاناً لنوح عليه السلام، ودليلاً على هلاك قومه، قال أمية بن أبي الصلت: [الخفيف]

فَارَ تَنُّورُهُمْ، وجَاشَ بِمَاءٍ صَارَ فَوْقَ الْجِبَالِ حَتَّى عَلَاهَا

قال القرطبي: والتنور أعجمي عربته العرب؛ لأن أصله: تنر، وليس في كلام العرب نون قبل راء، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] و[٢٣] من سورة (يوسف) تجد ما يسرك ويثلج صدرك. ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ أي: في السفينة. ﴿مِن كُلٍّ﴾ أي: من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها احمل اثنين. ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: ذكر وأنثى، وذلك لبقاء أصل النسل بعد الطوفان، هذا؛ والزوج يطلق على الزوجة وحدها، وعلى الزوج وحده، وهو المراد هنا؛ أي: احمل من كل فردين متزاوجين اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أول ما حمل نوح الدُّرَّة، وآخر ما حمل الحمار. قال البغوي: وروى بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحاً عليه السلام، وقالا: احملنا معك، فقال: إنكما سبب البلاء فلا أحملكما. فقالا: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين خاف مضرتهما: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لم يضراه، وهناك أقوال وروايات كثيرة ضربت عنها صفحاً. هذا؛ ويذكر أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما. فجعل يضرب بيديه في كل نوع، فتقع يده اليمنى على الذكر، ويده اليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾: المراد بأهلك: زوجته المؤمنة وأولاده المؤمنون، وهم: سام، وحام، ويافث، وزوجاتهم. ومن سبق عليه القول في قديم الأزل بالهلاك وعدم الإيمان: ابنه كنعان وأمه واعلة فإنها كانت كافرة كامرأة لوط. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: احمل المؤمنين من غير أهلك. ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: قيل: كان المؤمنون معه تسعة وسبعين وزوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم، واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ وقال الحسن رحمه الله تعالى: لم يحمل نوح ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ في السفينة إلا ما يلد ويبيض، فأما البق، والذباب، والدود، فلم يحمل شيئاً منها، وإنما خرج من الطين، هذا؛ وإنما جيء بـ (علي) لأن السابق ضار، كما جيء باللام حيث كان نافعاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية رقم [١٠١] من سورة (الأنبياء).

والمراد بالقول هنا ما عبر عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، ويعتبرها الأخفش جارة لـ ﴿إِذَا﴾، وقد ردَّه ابن هشام في المغني، وعلى قول الأخفش تحتمل أن تكون متعلقة بالفعل: (يصنع)، وهو ظاهر قول الزمخشري، وأن تكون متعلقة بمحذوف دل عليه السياق، التقدير: دام ذلك إلى مجيء أمرنا، أو وقت مجيئه بالعذاب والإهلاك. ﴿إِذَا﴾: ظرف مجرور بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ على قول الأخفش، وظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب، وجملة: ﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح، وجملة: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ معطوفة عليها. ﴿قُلۡنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱحۡمِلۡ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن كُلٍّ﴾: هنا قراءتان: يقرأ ﴿كُلِّ﴾ بإضافة وبدون تنوين، وفيه وجهان: أحدهما: أن ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ مفعول به، وعليه فالجار والمجرور ﴿مِن كُلِّ﴾ متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، والثاني أن ﴿مِن﴾ زائدة، و﴿كُلِّ﴾ مفعول به مجرور لفظاً منصوب محلاً، وعليه فـ ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ توكيد، وهذا على قول الأخفش، والقراءة الثانية بتنوين ﴿كُلٍّ﴾، ولا إضافة، وعليه فمفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾، هو زوجين، و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ توكيد له، والجار والمجرور: ﴿مِن كُلٍّ﴾ يحتمل تعليقهما بـ ﴿ٱحۡمِلۡ﴾، ويحتمل بمحذوف حال من ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾، كان صفة له... إلخ، التقدير: احمل زوجين اثنين حالة كونهما من كل صنف من أصناف الحيوانات، ولا تنس أن القراءتين ترجعان إلى معنى واحد، معه آخر لا يستغنى عنه، وجملة: ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلۡنَا...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها هذا؛ وقال الكوفيون: جواب ﴿إِذَا﴾ جملة: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ والواو زائدة، وله نظائر كثيرة في كتاب الله تعالى وعليه فجملة: ﴿قُلۡنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والأول أقوى هنا؛ وإن كان الثاني يرجح في الآية رقم [١٠٣] من سورة (الصافات)، والآية رقم [٧٣] من سورة (الزمر)، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له على اعتبار ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية. (أهلك): معطوف على مفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ على القراءتين، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء. وجملة: ﴿سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور بـ (على). (من): مثل سابقتها، فهي في محل نصب معطوفة على مفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾؛ إذ التقدير: واحمل الذي أو شخصاً، وجملة: ﴿ءَامَنَۚ﴾ صلة (من)، أو صفتها والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض. ﴿مَعَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلٞ﴾: فاعل، وجملة: ﴿وَمَآ ءَامَنَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، واعتبارها حالاً لا يجوز؛ لأنه لا يوجد صاحب حال.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ﴾ أي: الله، أو نوح عليه السلام. ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ أي: ادخلوها، وجعل ذلك ركوباً؛ لأنها في الماء كالمركوب في الأرض، والركوب: العلو على ظهر الشيء، ويقال: (ركبه الدين) على طريق الاستعارة التصريحية. ﴿مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾: يقرأان بفتح الميم على أنهما اسما زمان، أو مكان، أو هما مصدران، ويقرأان بالفتح الخالص وبالإمالة كما يقرأان بضم الميم والكسر الخالص على أنهما اسما فاعل. ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ أي: لمن أذنب، و﴿رَّحِيمٌ﴾ بعباده التائبين، فهما صيغتا مبالغة.

بعد هذا فاسم: قد اختلف العلماء في اشتقاقه؛ انظر البسملة في أول سورة (يوسف)، عليه وعلى نبينا، ألف صلاة، وألف سلام.

ولعلك تدرك معي أيها القارئ الكريم: أن نوحاً عليه السلام لم ينطق بالرحمن الرحيم لتفهم: أن البسملة بكاملها إنما هي من خصائص أمة محمد ﷺ، وهناك أحاديث شريفة كثيرة تحث على ابتداء كل عمل بالبسملة الشريفة، وتبين فضلها وشرفها وما لقائلها من ثواب عظيم وأجر كبير، وقد ذكرت بعضها في شرح البسملة المذكور.

تنبيه: قال عكرمة: ركب نوح عليه السلام في الفلك لعشر خلون من رجب، واستوت على الجودي لعشر خلون من المحرم، فذلك ستة أشهر، وقال قتادة وزاد: وهو يوم عاشوراء، فقال لمن كان معه: «من كان صائماً فليتم صومه، ومن لم يكن صائماً فليصمه»، وذكر الطبري في هذا حديثاً عن النبي ﷺ: **«أن نوحاً ركب في السفينة أول يوم في رجب، وصام الشهر أجمع، وجرت بهم السفينة، إلى يوم عاشوراء، ففيه أرست على الجودي، فصامه نوح ومن معه»**. انتهى. قرطبي. وأضيف أن السفينة مرت بالبيت الحرام، وقد رفعه الله من الغرق، وبقي موضعه، فطافت السفينة به سبعاً، وأودع الحجر الأسود جبل أبي قبيس وبقي فيه حتى بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة، فأخذ إبراهيم الحجر من أبي قبيس، ووضعه مكانه.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى الله، أو إلى نوح. ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: (في) زائدة، والضمير (ها) مفعول به، والتقدير: اركبوها، فهو على حد قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾. ﴿بِسْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، التقدير: اركبوا مسمين الله، أو قائلين: باسم الله. ﴿مَجْر۪ىٰهَا﴾: على اعتباره ظرف زمان أو مكان هو متعلق بالحال المحذوفة، أي: وقت إجرائها، أو مكان إجرائها على حد (أتيتك مقدم الحاج) أو (آتيك خفوق النجم)، وعلى اعتباره مصدراً فهو فاعل بمتعلق

الجار والمجرور، هذا؛ وجه للإعراب، والوجه الثاني الجار والمجرور ﴿بِسْمِ﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿مَجْرِبْهَا﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال مقدرة من واو الجماعة، أو من الضمير في: ﴿فِيهَا﴾ وهي حال مقدرة أيضاً، وعلى هذين الاعتبارين فالفتحة، أو الضمة مقدرة على الألف، والوجه الثالث: اعتبار ﴿مَجْرِبْهَا﴾ صفة لله، وهذا على القراءة بضم الميم والكسر الخالص، كما جوز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هو مجريها، وعليه فالجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير المقدر مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: (قال...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّى﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (غفور): خبر إن. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبِّى...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها على اعتبار القائل نوحاً، ومستأنفة على اعتبار القائل (الله) جل اسمه، وتعالى شأنه.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾: فتقدير الكلام فركب نوح عليه السلام ومن معه في السفينة ذاكرين اسم الله، وهي تسير بهم، وهم في داخلها. ﴿فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ أي: في موج من الطوفان، وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه، كل موجة منه كجبل في تراكمها وارتفاعها، فـ ﴿مَوْجٍ﴾ جمع: موجة، مثل تمر وتمرة، وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض، وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت، والمشهور: أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعاً، وإن صح فلعل ذاك قبل التطبيق. انتهى. بيضاوي. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾: كنعان. وقيل: اسمه (يام) والمشهور الأول، هذا؛ ويقرأ ﴿ٱبْنَهُۥ﴾ بضم الهاء وفتحها بألف وبدونه، وأُوِّل على أنه كان ابن زوجته، والمعتمد: أنه ابنه من صلبه، كما يقرأ بسكون الهاء، وبألف الندبة، وإلحاق هاء السكت قراءات كثيرة، ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ أي: عزل نفسه عن أبيه مع أمه، أو عزل نفسه عن دين أبيه، و﴿مَعْزِلٍ﴾ بكسر الزاي، وفتحها.

﴿يَٰبُنَىَّ﴾: تصغير ابن، وأصله الأصيل: (بَنوٌ)، فلما صغر صار (بُنَيْوٌ)، فلما اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، ثم ألحقت به ياء المتكلم، فاجتمع ثلاث ياءات، فحذفت الثانية منهن؛ التي هي لام الكلمة، ولم تحذف الأولى؛ لأنها ياء التصغير، وقد أتي بها لغرض خاص، ولم تحذف الثالثة التي هي ياء المتكلم؛ لأنها

كلمة برأسها، هذا؛ ويقرأ (بُنَيِّ) بفتح الياء وكسرها. ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: فتهلك معهم، وانظر الكفور في الآية رقم [٩].

الإعراب: ﴿وَهِيَ﴾: (هي): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تَجْرِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «هي». ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر. ﴿فِى مَوْجٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَٱلْجِبَالِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿مَوْجٍ﴾، وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى: «مثل» فهي الصفة، وتكون مضافة و(الجبال) في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَجْرِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هي...) إلخ مستأنفة لا محل لها إن أردت الإعراض عن الكلام السابق، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ إن أردت اتصال الكلام بسابقه، والرابط: الواو، والضمير. (نادى): ماض. ﴿نُوحٌ﴾: فاعله. ﴿ٱبْنَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: (نادى...) إلخ معطوفة على الجملة السابقة قبلها على الاعتبارين فيها، والرابط على الحالية الرابط في الجملة السابقة؛ لأن الجملتين المتعاطفتين الجملة الواحدة. (كان): ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿ٱبْنَهُۥ﴾. ﴿فِى مَعْزِلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من ﴿ٱبْنَهُۥ﴾ فتكون حالاً متداخلة من وجه واحد، والرابط: الواو، والضمير. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱرْكَب﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَّعَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة، ،الجملتان ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ تفسير لقوله: (نادى) وهي عند البصريين في محل نصب مقول القول لقول محذوف، وقال الكوفيون: في محل نصب مفعول به للفعل: (نادى). الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ(لا) الناهية، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَّعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿تَكُن﴾ و﴿مَّعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، وجملة: ﴿وَلَا تَكُن...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي من جملة التفسير.

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: كنعان. ﴿سَـَٔاوِىٓ﴾: سألتجئ، تقول: أوى إليه: إذا التجأ واطمأن إليه، وانظر الآية [٦٩] من سورة (يوسف)، وأصله سأأْوي بهمزتين، قلبت الثانية مداً مجانساً لحركة الأولى. ﴿إِلَىٰ جَبَلٍ﴾ أي: مرتفع، قيل: هو طور سيناء وليس بشيء، ﴿يَعْصِمُنِى مِنَ

﴿ٱلۡمَآءِ﴾ أي: يحفظني أن أغرق بالماء. ﴿قَالَ﴾ أي: نوح. ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا حافظ ولا مانع من عذاب الله في هذا اليوم. ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ أي: لكن من رحمه الله فهو يعصمه ويحفظه، ولا يحفظ إلا المؤمنين. ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾ أي: بين نوح وابنه، أو بين ابنه والجبل، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ أي: الهالكين في الماء.

تنبيه: قال العلماء بالسير: أرسل الله المطر أربعين يوماً وليلةً، وخرج من الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ يعني صار الماء نصفين، نصفاً من السماء، ونصفاً من الأرض، وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعاً، وقيل: خمسة عشر ذراعاً حتى أغرق كل شيء، وهذا يعني: أنه عم جميع الأرض، وأضيف؛ أنه ذكر في الأثر: أن الله تعالى لا يخلي الأرض من مطر في عام أو عامين، وأنه ما نزل من السماء ماء قط إلا بحفظ ملك موكل به إلا ما كان من ماء الطوفان، فإنه نزل منه ما لا يحفظه الملك، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾.

قال عبد الوهاب النجار: ويقول بعض علماء الجيولوجيا: إننا كلما بحثنا في أعالي الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش إلا في الماء، وهذا يشير إلى أن الطوفان عم جميع الأرض، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ ويميل فريق إلى أن الطوفان لم يكن عاماً بل طغيان الماء لما كان على الجهة التي كان يسكنها نوح وقومه. انتهى. بتصرف، ومال إلى ترجيح الثاني، وأرجِّح الأول، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: قد يرد سؤال: كيف اقتضت الحكمة الإلٰهية إغراق من لم يبلغوا الحلم من الأطفال، ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم، وكذلك إغراق البهائم والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان، وإهلاك أطفال الأمم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح؟ والجواب الشافي عن هذا كله: أن الله سبحانه وتعالى متصرف بخلقه، وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. انتهى. خازن بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو». ﴿سَـَٔاوِيٓ﴾: السين: حرف استقبال. (آوي): مضارع مرفوع، والفاعل تقديره: «أنا». ﴿إِلَىٰ جَبَلٖ﴾: متعلقان به. ﴿يَعۡصِمُنِي﴾: مضارع، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿جَبَلٖ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة له. ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿سَـَٔاوِيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض وفاعله يعود إلى نوح. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿عَاصِمَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالمصدر بعده. ﴿مِنۡ أَمۡرِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، و﴿أَمۡرِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر

لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿لَا عَاصِمَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها؛ لأنها وسابقتها بمنزلة جواب سؤال مقدر. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع، وهي بمعنى: (لكن). ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع. ﴿رَّحِمَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: إلا الذي أو شخصاً رحمه الله تعالى، وقيل: ﴿مَن﴾ في موضع رفع بدل من موضع: ﴿عَاصِمَ﴾ وذلك على تقديرين: أحدهما: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ على بابه فيكون التقدير: لا يعصم اليوم من أمر الله إلا الله، وقيل: إلا الراحم، والراحم هو الله جل ذكره، والتقدير الثاني على أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى معصوم، فيكون التقدير: لا معصوم من أمر الله اليوم إلا المرحوم، فيكون عاصم مثل ماء دافق، أي: مدفوق. انتهى. مكي. وشبيه به العكبري، وهناك وجه آخر: وهو اعتبار ﴿مَن﴾ مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: فهو المعصوم، أو المرحوم، وعليه فالجملة الاسمية: (من رحمه الله فهو المعصوم) في محل نصب على الاستثناء من عموم الأحوال. ﴿وَحَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (حال): ماض. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ٱلْمَوْجُ﴾: فاعل، وجملة (حال...) إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقِيلَ﴾ أي: بعدما تناهى الطوفان، وأغرق الله قوم نوح. ﴿يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ أي: اشربيه في جوفك. ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أي: أمسكي الماء.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ نوديَا بما ينادى به أولو العلم، وأُمِرَا بما يؤمرون تمثيلاً لكمال قدرته، وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه، المبادر إلى امتثال أمره، مهابة من عظمته، وخشية من أليم عقابه. انتهى.

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: نقص، يقال: غاض الشيء وغضته أنا، كما يقال: نقص بنفسه، ونقصه غيره، وانظر الآية [٨] من سورة (الرعد)، ويقرأ الفعل بالكسر الخالص والإشمام، وبالضم أيضاً. ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: أُحْكِم، وفُرِغَ منه، وذلك بإنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين. ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ أي: استقرت السفينة على الجودي: وهو جبل في نواحي ديار بكر من بلاد الجزيرة، وهو يتصل بجبال أرمينية، وهو ما في القاموس.

﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: هلاكاً لهم، يقال: بَعِد بكسر العين بُعْداً بضم فسكون، وبَعَداً بفتحتين: إذ بَعِد بُعْداً بعيداً بحيث لا يرجى عوده، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء. انتهى. بيضاوي.

وقال القرطبي: والبعد: الهلاك، والبعد: التباعد من الخير، يقال: بَعُدَ يَبْعُدُ بُعْداً: إذا تأخر وتباعد، وبعد يبعَدُ بَعَداً: إذا هلك، قالت خِرْنِقُ أخت طرفة بن العبد البكري لأمه: [السريع]

لا يبعَدَنْ قومي الذين همو سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ

وقال النابغة: [الطويل]

فلَا تَبْعَدَنْ إنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ وَكُلُّ امْرِئٍ يوماً بهِ الحالُ زائِلُ

وخذ قول فاطمة بنت الأخرم الخزاعية تبكي إخوتها: [المديد]

إخْوتي لَا تَبْعَدُوا أبداً وَبَلَى والله قَدْ بَعِدُوا

كُلُّ ما حَيٍّ وَإنْ أَمِرُوا وارِدُو الْحَوضِ الذي ورَدُوا

تنبيه: قال بعضهم: هذه الآية أبلغ آية في القرآن، وقد احتوت من أنواع البديع على أحد وعشرين نوعاً، فيها تسع عشرة كلمة، وخوطبت الأرض أولاً بالبلع؛ لأن الماء نبع منها أولاً قبل أن تمطر السماء. انتهى. جمل. وقال البيضاوي: هذه الآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها، وحسن نظمها، والدلالة على كنه الحال، مع الإيجاز الخالي من الإخلال، وإيراد الأخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل، وأنه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره؛ إذ لا يذهب الوهم إلى غيره، للعلم بأن مثل هذه الأفعال، لا يقدر عليها سوى الواحد القهار. انتهى.

أقول: يروى: أن عبد الله بن المقفع رام معارضة القرآن، وكتب في ذلك وريقات فمر بسوق البصرة بقارئ يقرأ القرآن، وسمع منه هذه الآية، فقال: أشهد أن هذا لا يعارض، ولا يقدر على مثله البشر، وعاد إلى بيته، وأتلف ما كتبه.

فائدة: أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر: الجودي بنوح، وطور سيناء بموسى، وحراء بمحمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسلم تسليماً كثيراً.

بعد هذا انظر إعلال (ماء) في الآية رقم [٧]، وإعلال (سماء) في الآية رقم [٣١] يونس، وشرح ﴿وَقُضِيَ﴾ في الآية [٤٤] الأنفال، وشرح القوم في الآية [٢٨] و(البغي) في الآية [٢٣] يونس، وإعلال ﴿وَقِيلَ﴾ في الآية [٣٨] سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿وَقِيلَ﴾: (قيل): ماض مبني للمجهول. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أرض): منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب بـ (يا). ﴿ٱبْلَعِى﴾: أمر مبني

على حذف النون، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله، وانظر إعراب: ﴿تُوبُوٓا۟﴾ في الآية [٣] والجملتان الندائية والطلبية في محل رفع نائب فاعل، وهذا جاز على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: (يحذف الفاعل ويقام المفعول مقامه) وهذا لا غبار عليه، وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: قيل القول: وعليه فالجملتان في محل نصب مقول القول، وجملة: (قيل...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مَآءَكِ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها. ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾: ماض مبني للمجهول ونائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (قيل...) إلخ لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها. (استوت): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي يعود إلى السفينة المفهومة من المقام، وهو مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾. ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ...﴾ إلخ فإن الفاعل يعود إلى الروح، ولم يتقدم لها ذكر، وهذا؛ وارد في الشعر العربي والكلام العربي. ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: (استوت...) إلخ معطوفة على جملة: (قيل...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿بُعْدًا﴾: مفعول مطلق بفعل محذوف، والجملة نائب فاعل (قيل)، أو في محل نصب مقول القول. ﴿لِّلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالمصدر. ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: صفة (القوم) مجرور... إلخ، وجملة: (قيل...) إلخ معطوفة على مثيلتها لا محل لها مثلها.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ أي: دعاه، وسأله. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أي: وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي، فما حاله وما حصل له؟! هذا؛ وقد قيل: إن نوحاً عليه السلام سأل ربه نجاة ابنه؛ لأنه لم يعلم كفره، ولو علم منه الكفر؛ لما سأل الله له النجاة؛ إذ محال أن يسأل الله تعالى هلاك الكفار، ثم يطلب منه إنجاء بعضهم، وقيل: كان ابنه يسر الكفر، ويظهر الإيمان، فأخبره الله في الآية التالية بما هو منفرد به من علم الغيب. ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف. ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾: لأنك أعلمهم، وأعدلهم، حيث حكمت على قوم بالنجاة، وعلى قوم بالهلاك.

تنبيه: قال مكي: ونداء الرب قد كثر حذف (يا) النداء منه في القرآن، وعلة ذلك: أن في حذفها من نداء الرب فيه معنى التعظيم له والتنزيه، وذلك أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيدُ، فمعناه: تعالَ يا زيدُ، أدعوك يا زيدُ، فحذفت (يا) من نداء الرب؛

ليزول معنى الأمر وينقص؛ لأن (يا) تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف (يا) التعظيم والإجلال والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن والكلام في نداء الرب لذلك المعنى.

الإعراب: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾: ماض وفاعله ومفعوله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: زائدة، أو هي حرف تفسير هنا. (قال): ماض، والفاعل يعود إلى ﴿نُوحٌ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب... إلخ، انظر إعراب: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٨] فهو مثله، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱبْنِى﴾: اسمها منصوب. ﴿مِنْ أَهْلِى﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، والفتحة في الأول، والكسرة في الثاني مقدرتان على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورهما اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ رَبِّ...﴾ إلخ مفسرة لقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ في محل نصب حال من ﴿رَبِّ﴾ والرابط: الواو، والضمير، ومجيء الحال من المنادى مستعمل لغة، قال الشاعر: [البسيط]

يَا أيُّهَا الرَّبْعُ مَبْكِيّاً بِسَاحَتِهِ

(أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَحْكَمُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله. ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: وذلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر، وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من النسب. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾: فهذا تعليل لنفي كونه من أهله، وأصله: إنه ذو عمل فاسد، فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع وقد ذهب عنها ولدها: [البسيط]

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وإدْبَارُ

أي: ذات إقبال وإدبار، هذا؛ ويجوز أن يكون الضمير للسؤال، أي: إن سؤالك إياي أن أنجيه عمل غير صالح، هذا؛ وقرأ الكسائي ويعقوب: (إنه عَمِلَ) أي: ابنك عمل عملاً غير

صالح. ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: فلا تسأل الذي لم تعلم: أهو صواب أم ليس بصواب؟ وإنما سأل نوح عليه السلام ذلك؛ لشدة شفقته على ولده، وهو لا يعلم أن ذلك محظور لإصراره على الكفر، فنهاه الله عن مثل هذه المسألة، هذا؛ وقد قرئ: ﴿تَسْـَٔلَنِّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون مفتوحة ومكسورة بياء المتكلم وبدونها، وقراءة حفص بسكون اللام وكسر النون، وبدون ياء المتكلم. ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ﴾ أي: أنهاك عن هذا السؤال. ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: أرفع مقامك عن مقام الجاهلين، وأجعلك في مقام العلماء والعارفين، وانظر شرح الجهل في الآية رقم [٢٩].

تنبيه: قد استدل بعضهم بهذه الآية على أن كنعان لم يكن ابن نوح من صلبه، وإنما هو ربيبه ابن امرأته، وبعضهم يقول: إنه ابن زنى؛ لأنه لم يقل: إنه مني؛ وقد رأيت كثرة القراءات في قوله ﴿ٱبْنَهُۥ﴾ في الآية رقم [٤٢] وهذان القولان لا يعول عليهما، والصحيح إنه ابنه من صلبه، وقد سبق القول في حقه أنه من الكافرين، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿غَيْرُ﴾ اسم شديد الإبهام، لا يتعرف بالإضافة لمعرفة أو غيرها، وهو ملازم للإضافة، ويجوز أن يقطع عنها، إن فهم المعنى، أو تقدمت كلمة ليس عليها، يقال: قبضت عشرة ليس غير، وهو مبني على الضم أو الفتح خلاف.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (نوح): مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا). ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى كنعان. ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَيْسَ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿عَمَلٌ﴾: خبر مرفوع. ﴿غَيْرُ﴾: صفة: ﴿عَمَلٌ﴾، و﴿غَيْرُ﴾: مضاف، و﴿صَٰلِحٍ﴾: مضاف إليه، وعلى القراءة الثانية فـ (عَمِلَ) ماض، وفاعله يعود إلى كنعان و(غيرَ) مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر إن، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي تعليل للنفي، وهي بدورها من مقول نوح. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر ما ذكرته في الآية [١٧]. (لا): ناهية. ﴿تَسْـَٔلْنِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به أول، وعلى القراءة بتشديد النون فهو مبني على الفتح في محل جزم بـ (لا) الناهية، وعلى كسر النون وتشديدها، وهي نون التوكيد حرف لا محل له؛ فالياء مفعول به، حذفت، أو ذكرت ورسمت، وعلى جميع القراءات فالفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالخبر

المحذوف، أو هما متعلقان بـ ﴿عِلْمٌ﴾ بعدهما؛ لأنه مصدر. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم: ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: هو الضمير المجرور محلاً بالباء، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: (وإذا كان ذلك واقعاً فلا . . .) إلخ وهذا الكلام في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها، وجملة: ﴿أَعِظُكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية من مقول نوح. ﴿أَن﴾: حرف ناصب. ﴿تَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أَن﴾، واسمه مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، و﴿أَن تَكُونَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف على مذهب الكوفيين، التقدير: لئلا تكون، أو هو في محل جر بإضافة مفعول لأجله محذوف، التقدير: كراهة كونك من الجاهلين، ومثل الآية الكريمة قول عمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته المشهورة. [الوافر]

نَـزَلْـتُـمْ مَـنْـزِلَ الأَضْـيَـافِ مِـنَّـا ... فَـعَـجَّـلْـنَـا الْـقِـرَى أَنْ تَـشْـتِـمُـونَـا

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: نوح. ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾: أستجير، وأتحصن بك. ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ أي: بعد ذلك شيئاً لا علم لي بصحته. ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ أي: جهلي وإقدامي على سؤال ما ليس لي به علم. ﴿وَتَرْحَمْنِيٓ﴾: برحمتك؛ التي وسعت كل شيء. ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: الذين خسروا دنياهم وآخرتهم، وانظر ما ذكرته في الآية [٢٢].

تنبيه: لقد استدل بهذه الآية من لا يرى عصمة الأنبياء من الذنوب. وملخص الجواب: أن نوحاً عليه السلام، كان قد وعده ربه بأن ينجيه وأهله، فأخذ بظاهر اللفظ، ولم يعلم ما غاب عنه، ولم يشك في وعد الله سبحانه وتعالى، فأقدم على سؤال ربه أن ينجي ابنه لهذا السبب ولأنه من أهله، فعاتبه ربه على سؤاله ما ليس له به علم، وبيَّن له السبب الذي من أجله أهلك ابنه مع الهالكين، فخاف نوح ـ عليه السلام ـ من عاقبة هذا السؤال، فلجأ إلى الله، وسأله المغفرة والرحمة؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين. وانظر ما ذكرته في الآية [٤٣] التوبة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى نوح. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، وانظر إعراب: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٨] فهو مثله. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَعُوذُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنْ﴾: حرف ناصب. ﴿أَسْـَٔلَكَ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾،

والفاعل تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ انظر إعراب هذه الكلمات في الآية السابقة، والمصدر المؤول من: (أن أسأل) في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أعوذ بك من سؤالي إياك الذي، أو شيئاً... إلخ، والجملة الفعلية هذه في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ مع الجملة الندائية قبلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِلَّا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (إلا): هي (إن) الشرطية مدغمة في (لا) النافية. ﴿تَغْفِرْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: متعلقان بما قبلهما، والمفعول محذوف لوضوحه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. (ترحمني): مضارع معطوف على فعل الشرط مجزوم مثله، والفاعل تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿أَكُن﴾: مضارع ناقص جواب الشرط، واسمه مستتر تقديره: «أنا». ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿أَكُن﴾، والشرط ومدخوله في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿أَكُن...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ «إذا» الفجائية.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ أي: قالت الملائكة، أو قال الله تعالى له: انزل من السفينة، أو من الجبل إلى الأرض بسلامة، وأمن منا. ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾: البركة: ثبوت الخير وزيادته، وقيل: المراد بالبركة هنا: أن الله جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة، فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: وبركات عليك؛ وعلى قرون، وأجيال تجيء من بعدك من ذرية أولادك، وهم المؤمنون، قيل: دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة، وإنما سُموا أمماً؛ لأنهم أمم متحزبة، وجماعات متفرقة. أو لأن جميع الأمم قد تشعبت منهم. أو التقدير: وعلى أمم ناشئة ممن معك. ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي: وأمم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم في الأموال والبنين في هذه الدنيا إلى انتهاء آجالهم. ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: ثم يصيبهم عذاب مؤلم في الآخرة جزاء كفرهم، وعنادهم.

الإعراب: ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿يَٰنُوحُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ «يا» النائبة مناب أدعو. ﴿ٱهْبِطْ﴾: أمر وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: اهبط مصحوباً بسلام. ﴿مِّنَّا﴾: متعلقان بـ (سلام) لأنه اسم مصدر، أو بمحذوف صفة له. (بركات): معطوف على (سلام).

﴿عَلَيۡكَ...﴾: متعلقان بـ (بركات)، أو بمحذوف صفة له، ويقرأ: (بركة) بالإفراد، والكلام ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل، وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: قيل القول، وعليه فالكلام المذكور في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وانظر الشرح. ﴿مِّمَّن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أُمَمٖ﴾، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿مَّعَكَۚ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، أو هو متعلق بمحذوف صفة (مَنْ) إن كانت نكرة، والكاف في محل جر بالإضافة. (أمم): قال أبو البقاء: معطوف على فاعل ﴿ٱهۡبِطۡ﴾ المستتر، تقديره: اهبط أنت وأمم، وكان الفصل بينهما مغنياً عن التوكيد، ولا أعتمده؛ لأن الكلام مستأنف وعليه فـ (أمم) مبتدأ، وجملة: ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ في محل رفع خبره. قاله الجمل. وقال الزمخشري: الجملة صفة: (أُمَمٌ)، والخبر محذوف، وبه قال النسفي، والتقدير: وممن معك أمم ممتعون، وإنما حذف؛ لأن ﴿مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ يدل عليه، والجملة الاسمية مستأنفة؛ إن كان القائل الملائكة، وداخلة في مقول القول؛ إن كان القائل هو الله تعالى. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَمَسُّهُم﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿مِّنَّا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل. ﴿أَلِيمٞ﴾: صفته، وجملة: ﴿يَمَسُّهُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها.

﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾

الشرح: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: الإشارة إلى قصة نوح التي مر ذكرها وإنما أدخل اللام على اسم الإشارة وهي للبعد، والقصة في متناول اليد، وذلك للإيذان بشأنها، والاهتمام بها، وأنها جديرة بأن يستفيد منها كل إنسان؛ ليتعود على تحمل الأذى، والصبر على ما ينوب من متاعب هذه الدنيا، ومصاعبها، فهي من أخبار الغيب. ﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى نخبرك بها، أو نلقي إليك خبرها. ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾: لم يكن عندك علم بقصة نوح ـ عليه السلام ـ قبل نزول القرآن عليك، وأيضاً قومك قريش لم يكونوا يعلمونها تفصيلاً، وإن كانوا يسمعون بها إجمالاً؛ لأنها كانت معروفة ومشهورة عند جميع الأجيال والقرون. ﴿فَٱصۡبِرۡۖ﴾: يا محمد على أذى قومك، كما صبر نوح على أذى قومه. ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾: المحمودة بالنصر والظفر على الأعداء والفوز بالسعادة الأبدية، إنما هي ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الشرك والمعاصي.

بعد هذا انظر: (الوحي) في الآية [٣٦]، وإعلال ﴿كُنتَ﴾: في الآية [٢٨]، وشرح (قوم) في الآية [٢٨] وانظر (التقوى) في الآية رقم [١] الأنفال، و﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ كل ما غاب عنا، ولم نشاهده

ولم نسمع به، و﴿أَنبَآءِ﴾ جمع: نبأ، وهو الخبر، وانظر الآية رقم [١٢٠] الآتية، وانظر (الصبر) في الآية رقم [١١٥] الآتية، وانظر (نا) في الآية [٨].

تنبيه: الآية الكريمة تذكر النبي ﷺ بما أنعم الله عليه من نعم، ومثلها كثير في القرآن الكريم، وفيه منٌّ على الرسول العظيم، وهذا المنُّ من الله على نبيه مقبول؛ لأن الله يمن بما يملك حقيقة، فهو المتفضل والمنعم. بخلاف مَنِّ العبد على العبد بما يسديه إليه من معروف، فهو مذموم، ومحبط للأعمال، وقد بينت ذلك آية البقرة [٢٦٢].

الإعراب: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مِنْ أَنبَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿أَنبَآءِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: مضاف إليه. ﴿نُوحِيهَآ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(ها): مفعول به. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ في محل رفع خبر ثان للمبتدأ. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَعْلَمُهَآ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنت»، و(ها): مفعول به، واكتفى به؛ لأنه من المعرفة لا من العلم واليقين، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستتر. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿قَوْمُكَ﴾: معطوف على الضمير المستتر في الفعل. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تَعْلَمُهَآ﴾، و﴿قَبْلِ﴾: مضاف، و﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له، وجملة: ﴿تَعْلَمُهَآ...﴾ إلخ في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿مَا كُنتَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثالث للمبتدأ، هذا؛ وأجيز اعتبار جملة: ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ في محل نصب حال من أنباء الغيب والعامل في الحال اسم الإشارة، كما أجيز اعتبار جملة: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، فتكون حالاً متداخلة، والرابط في الجملتين: الضمير فقط، كما أجيز تعليق: ﴿مِنْ أَنبَآءِ﴾ بالفعل بعدهما، أو بمحذوف حال من الضمير المنصوب، فتكون جملة: ﴿نُوحِيهَآ...﴾ إلخ هي الخبر وهذه الآية مثل الآية رقم [٤٤] من آل عمران، ومثلهما الآية رقم [١٠٠] الآتية، كما أجيز اعتبار جملة: ﴿مَا كُنتَ...﴾ إلخ مستأنفة والأول هو المعتمد من كل هذه الاعتبارات. الفاء: هي الفصيحة. (اصبر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومتعلقه محذوف، والجمل الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً؛ فتأسَّ، واصبر، هذا؛ وإن اعتبرت جملة: (اصبر) مستأنفة؛ فلست مفنداً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْعَٰقِبَةَ﴾: اسمها. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠﴾

الشرح: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٦٥] من سورة (الأعراف). ﴿قَالَ﴾ أي: هود عليه السلام. ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحدوه ولا تشركوا به شيئاً. ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: ليس لكم إلٰه يستحق العبادة، غير الله؛ لأنه سبحانه هو المنعم، والمتفضل بالإيجاد والإعدام، وكل شيء في هذا الكون تحت تصرفه، وقهره، وجبروته. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان آلهة تعبدونها من دونه سبحانه وتعالى.

الإعراب: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾: متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وأرسلنا، والواو عطفت قصة هود بكاملها على قصة نوح، على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به للفعل المقدر منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هُودًاۚ﴾: بدل مطابق من: ﴿أَخَاهُمْ﴾ أو عطف بيان عليه. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو». ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى، وانظر تفصيله في الآية [٢٨]، ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾: أمر، والواو فاعله، وانظر ﴿تُوبُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٣]، ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول مع الجملة الندائية قبلها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾: يقرأ بالرفع على أنه صفة إلٰه أو بدل منه على المحل، ويقرأ بالجر تبعاً للفظ، ويقرأ بالنصب على الاستثناء، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿مَا لَكُم...﴾ إلخ تعليل للأمر، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مُفْتَرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية من مقول هود. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١﴾

الشرح: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ﴾: لا أطلب منكم ثواباً، ولا مكافأة على تبليغ رسالة ربي، والدعاء إليه والإيمان به، فيثقل عليكم. ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ﴾: ما أجري وثوابي إلا على الذي خلقني. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: استفهام توبيخي، أي: أفلا تستعملون عقولكم، وتميزون بها المحق من المبطل، والحسن من القبيح؟! أو أفلا تتدبرون ما جرى على قوم نوح لما كذبوه، وأنتم من نسلهم وسلالتهم؟! وانظر العقل في الآية [٢] من سورة (يوسف)؛ فإنه جيد.

قال البيضاوي: خاطب كل رسول قومه به، إزاحة للتهمة، وتمحيصاً للنصيحة، فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع.

الإعراب: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾: منادى انظر تفصيله في الآية [٢٨] ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَجۡرًاۖ﴾: مفعول به ثان. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي. ﴿أَجۡرِيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَى ٱلَّذِي﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿فَطَرَنِيٓ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِي﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقريع وتوبيخ. الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة مع الجملة المقدرة المعطوفة عليها على القول الثاني، ومعطوفة على ما قبلها على القول الأول في الفاء. انظر الآية رقم [٢٤] ولعلك تدرك معي بعد ذلك أن الآية برمتها في محل نصب مقول القول، أي: إنها من مقول هود على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢﴾

الشرح: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾: انظر الآية رقم [٣] ففيها الكفاية. ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾: كثيرة الأمطار. ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ أي: شدة مع شدتكم، ويضاعف قوتكم، وإنما رغبهم بكثرة الأمطار وزيادة القوة؛ لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات، وقيل: حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام إن هم آمنوا وتابوا أن يرسل الله عليهم المطر، ويعيد أرحام النساء إلى ما كانت عليه، فيزدادون قوة بالأموال والأولاد. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ أي: لا تعرضوا عما أدعوكم إليه، وتقيموا على الكفر، هذا؛ والإعراض والتولي والإدبار عن الشيء يكون بالجسم، ويستعمل في الإعراض عن الأمور والاعتقادات اتساعاً ومجازاً.

و(مدرار) مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث، هذا؛ و(زاد) ضد نقص، يكون لازماً كقولك: زاد المال، ويكون متعدياً لمفعولين، كما في الآية الكريمة، وقولك: زاد الله خالداً خيراً؛ بمعنى جزاه الله خيراً، وأما قولك: زاد المال درهماً، والبر مدّاً، فدرهماً ومدّاً تمييز، ومثله قل في «نقص»، ومن المتعدي لمفعولين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾.

فائدة: جاء رجل إلى الحسن البصري، وشكا إليه الجدب، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بساتينه، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر

عدم الولد، فقال: استغفر الله، ثم تلا عليهم جميعاً قوله تعالى حكاية عن قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: منادى انظر تفصيله في الآية رقم [٢٨]. ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾: أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿تُوبُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٣] ﴿رَبَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿يُرْسِلِ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط مقدر، التقدير: إن تستغفروا؛ يرسل، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكُمْ﴾. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بالفعل ﴿يُرْسِلِ﴾. ﴿مِّدْرَارًا﴾: حال من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾. (يزدكم): معطوف على ﴿يُرْسِلِ﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبَّكُمْ﴾، والكاف مفعول به أول. ﴿قُوَّةً﴾: مفعول به ثان. ﴿إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿قُوَّةً﴾، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى (مع) هنا، كما في آية الوضوء، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَتَوَلَّوْا۟﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مُجْرِمِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، ولعلك تدرك معي: أن الآية بكاملها من مقول هود عليه السلام، أي: فهي في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ﴾ أي: قالوا ذلك استهزاءً وتكبراً وعناداً. ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بمعجزة أو بحجة، وبرهان على صحة دعواك، وصدق قولك، قال الجمل: وكانت معجزته ما يأتي في قوله: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ حيث عصمه الله منهم مع قدرتهم على ما هددوه به، وقيل: هي الريح الصرصر المذكورة في سورة الحاقة. انتهى.

أقول: الريح ليست بمعجزة؛ لأنها أهلكتهم، وقد ذكرت في سورة (الأعراف): أن القرآن الكريم لم يذكر لهود معجزة كما ذكر لصالح، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: لا نترك عبادة الأوثان من أجل قولك، ودعوتك، وهذا تيئيس منهم لهود عليه السلام. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمصدقين ما تقول، وتدعيه، وهذا تأكيد لإقامتهم على الكفر، وإقناط لهود من الإجابة.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق، ﴿يَـٰهُودُ﴾: منادى مفرد علم، مبني على الضم في محل نصب بـ «يا» النائبة مناب أدعو. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿جِئْتَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿بِبَيِّنَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من تاء الفاعل، أي: ملتبساً ببينة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية حجازية. ﴿نَحْنُ﴾: اسمها. ﴿بِتَارِكِىٓ﴾: الباء: حرف جر صلة. (تاركي): خبر (ما) مجرور لفظاً منصوب محلًا، وفاعله مستتر فيه، وحذفت نونه للإضافة، و(تاركي) مضاف، و﴿ءَالِهَتِنَا﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿عَن قَوْلِكَ﴾: متعلقان بـ (تاركي)، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر بـ (تاركي)، التقدير: صادرين عن قولك، ورجحه الجمل، ورجح ابن عطية الأول، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا نَحْنُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وإعراب ما بعدها مثلها، وهي معطوفة عليها مع ملاحظة: أن الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِن نَّقُولُ﴾: ما نقول في شأنك. ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: إلا أصابك بعض آلهتنا التي نعبدها بجنون لسبك إياها، وصدك عنها، ومن ذلك تهذي، وتتكلم بالخرافات، هذا؛ و(اعتراه) و(عراه) بمعنى واحد، قال أبو صخر الهذلي: [الطويل]

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ...﴾ إلخ: أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله على براءته من آلهتهم، وفراغه من إضرارهم، تأكيداً لذلك، وتثبيتاً له، وأمرهم بأن يشهدوا عليه، استهانةً لهم، وتحقيراً لشأنهم، وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير إمهال وإنظار له، حتى إذا اجتهدوا فيه، ورأوا أنهم قد عجزوا عن آخرهم ـ وهم الأقوياء الأشداء ـ أن يضروه؛ لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع، لا تتمكن من إضراره انتقاماً منه، وهذا من جملة معجزاته، فإن مواجهة الواحد الجمع الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام، ليس إلا لثقته بالله، وتثبطهم عن إضراره ليس إلا بعصمته إياه. انتهى. بيضاوي.

(السوء): ما يسوء الإنسان من مرض وفقر ونحوهما، هذا؛ والسوء؛ ما يعم أعمال الشر والفساد. ﴿لَا تُنظِرُونِ﴾: لا تمهلوني، ولا تؤخروا كيدكم لي، وما أشبه هذا القول بقول نوح عليه السلام في الآية [٧١] يونس ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ...﴾ إلخ.

تنبيه: قال الزمخشري في كشافه: فإن قلت: فإن قلت: هلا قيل: إني أُشهِدُ الله، وأُشهِدُكم، قلت: لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد على أني لا أحبك؛ تهكماً به، واستهانة بحاله. انتهى. بحروفه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِن﴾: نافية. ﴿نَّقُولُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾ ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به. ﴿بَعْضُ﴾: فاعله، و﴿بَعْضُ﴾: مضاف، و﴿ءَالِهَتِنَا﴾: مضاف إليه، و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿بِسُوٓءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ٱعْتَرَىٰكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وقول أبي البقاء: الجملة مفسرة لمصدر محذوف، تقديره: إن نقول إلا قولاً هو اعتراك، لا وجه له البتة، والجملة الفعلية: ﴿إِن نَّقُولُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وهي عند التأمل من مقول قوم هود. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (هود). ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أُشْهِدُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها؛ إذ هي بمنزلة جواب لسؤال مقدر. (اشهدوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿أَنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿بَرِيٓءٌ﴾: خبر إن. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بـ ﴿بَرِيٓءٌ﴾؛ لأنه صفة مشبهة، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (من)، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: بريء من الذي، أو من شيء تشركونه مع الله، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (من)، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿بَرِيٓءٌ﴾، التقدير: بريء من شرككم أحداً مع الله، ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما)، والهاء في محل جر بالإضافة، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول ﴿أُشْهِدُ﴾ الثاني؛ لأنه من الرباعي، أو مفعول (اشْهَدُوا)، وهو من الثلاثي يكتفي بمفعول واحد، فأنت

ترى: أن الفعلين تنازعاه، والثاني أولى عند البصْريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه، وعلى المذهبين يقدر لأحدهما مثل المذكور، ولا تنس: أن المصدر المؤول من: ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ...﴾ إلخ في الأصل مجرور بحرف جر، فلما حذف الجار انتصب كما رأيت. ﴿فَكِيدُونِي﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [١٧]، (كيدوني): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً مني؛ فكيدوني، وهو أولى من العطف على جملة: (اشهدوا). ﴿جَمِيعٗا﴾: حال مؤكدة لواو الجماعة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تُنظِرُونِ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، و(إذا) المقدرة ومدخولها في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾

الشرح: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ...﴾ إلخ: هذا تقرير لما ذكره في الآية السابقة، والمعنى: إنكم، وإن بذلتم غاية وسعكم لم تضروني؛ لأني متوكل على الله، واثق بحفظه ورعايته، وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده، ولا تقدرون على ما لم يُقَدِّره. ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي: إلا وهو مالك لها، وقادر عليها، يصرفها على حسب ما يريد ويشاء، والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك، والناصية: مقدم الرأس، وإنما خص الناصية بالذكر؛ لأن العرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم، فإذا وصفوا إنساناً بالذلة مع غيره؛ يقولون: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا إذا أسروا أسيراً، وأرادوا إطلاقه؛ جزوا ناصيته ليمنوا عليه، ويعتدُّوا بذلك فخراً عليه، فخاطبهم الله بما يعرفون من كلامهم. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: إنه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم به، ولا يعجزه ظالم، ولا يعمل إلا بالإحسان والإنصاف، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

الإعراب: ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿تَوَكَّلۡتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّي﴾: بدل من لفظ الجلالة، أو عطف بيان عليه مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. (ربكم): معطوف عليه، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿تَوَكَّلۡتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ تعليل لما قبلها لا محل لها. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿دَآبَّةٍ﴾: مبتدأ مرفوع،

وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: ضمير مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاخِذُۢ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِنَاصِيَتِهَآ﴾: متعلقان بـ ﴿ءَاخِذُۢ﴾، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ...﴾ إلخ تعليل، أو مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبِّي...﴾ إلخ مثلها تعليل، أو مستأنفة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: فإن تتولوا بمعنى تعرضوا عن الإيمان بما أرسلت به إليكم، فقد حذفت من الفعل إحدى التاءين، وهذا الحذف كثير في القرآن الكريم والكلام العربي. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ﴾ أي: فقد أديت ما كلفت به من التبليغ وإلزام الحجة، فلم أقصر بشيء من ذلك، وإنما التقصير حاصل منكم في قبول ذلك. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يهلككم ويخلق من هو أطوع منكم يوحدونه ويعبدونه، ففيه تهديد ووعيد لهم. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ﴾ أي: بإعراضكم، وإنما تضرون أنفسكم بذلك، وقيل: المعنى لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم؛ لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيب، فلا يخفي عليه شيء من أعمالكم، فيجازيكم بها، الإحسان بالإحسان، والإساءة بالإساءة.

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومتعلقه محذوف، التقدير: فإن تتولوا عن الإيمان بالله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَبْلَغْتُكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول، ﴿مَّآ﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿أُرْسِلْتُ﴾: ماض، ونائب فاعله. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَيْكُمْۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أُرْسِلْتُ...﴾ إلخ صلة ﴿مَّآ...﴾ أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلًّا بالباء، وجملة: ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، هذا هو الظاهر، وعند التأمل يظهر لك أن الجواب محذوف، وأن الجملة الفعلية تعليل لهذا المحذوف، وتقدير الكلام: فإن تتولوا عن الإيمان بالله فلا أبالي، ولا علي مؤاخذة في شأنكم لأني قد. . . إلخ. و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (يستخلف): مضارع مرفوع. ﴿رَبِّي﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء

المتكلم، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به. ﴿غَيْرَكُمْ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، وهذه الإضافة لم تفده تعريفاً ولا تخصيصاً، ولذا وصفت به النكرة، وجملة: (يستخلف. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ ويقرأ الفعل بالجزم على اعتباره معطوفاً على محل جواب الشرط. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَضُرُّونَهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، هذا؛ ويقرأ الفعل بحذف النون، أي: بجزمه بسبب العطف على جواب الشرط. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به ثان، وقيل: هو نائب مفعول مطلق. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّي﴾: اسمها منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . . إلخ، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ ﴿حَفِيظٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿حَفِيظٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبِّي...﴾ إلخ تعليل لما قبلها، وعند التأمل يتبين لك أن الآية بكاملها، وأيضاً الآية السابقة في محل نصب مقول القول؛ إذ كل ذلك من قول هود، عليه الصلاة، والسلام.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي: بإهلاكهم وعذابهم. ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: وكانوا أربعة آلاف، وذكر الرحمة يشير إلى أن أحداً لا ينجو إلا برحمته وفضله ـ سبحانه! ـ وإن كانت له أعمال صالحة، وسواء في الدنيا أو في الآخرة، وفي الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«لَنْ يُنْجِيَ أَحَداً منكُمْ عَمَلُهُ. قَالوا: ولَا أَنْتَ يا رسولَ الله؟، قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يتغمَّدَنِيَ اللهُ برحْمَتِهِ»**.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: قال البيضاوي: هذا تكرير لبيان ما نجاهم منه، وهو السموم، كانت تدخل أنوف الكفرة، وتخرج من أدبارهم، فتقطع أمعاءهم، أو المراد به تنجيهم من عذاب الآخرة أيضاً، والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم، فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ. انتهى. قال الخازن: وهو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين، هذا؛ وقد أهلك الله قوم هود بالرياح العاتية، كما ذكر في سورة الذاريات، والقمر، والحاقة، وغير ذلك، وانظر تفصيل ذلك في الآية [٧١] (الأعراف) وانظر (نا) في الآية [٨].

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: «حين» عند ابن السراج والفارسي وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن

هشام الأول، والمشهور الثاني، وجملة: ﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على القول بحرفية: (لما) وهي في محل جر بإضافة: (لمَّا) إليها على القول بظرفيتها، واعتبارها متعلقة بالجواب، وجملة: ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾ جواب لما لا محل لها، (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب معطوف على ﴿هُودٗا﴾. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِرَحۡمَةٖ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿نَجَّيۡنَا﴾. ﴿مِّنَّا﴾: متعلقان بـ (رحمة) أو بمحذوف صفة لها. (نجيناهم): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب: (لما)، لا محل لها مثله. ﴿مِّنۡ عَذَابٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿غَلِيظٖ﴾: صفة: ﴿عَذَابٍ﴾.

﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝٥٩﴾

الشرح: ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: لما قص الله سبحانه قصة قوم عاد، خاطب محمداً ﷺ وأمته، فقال: ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ﴾ رده إلى القبيلة، وفيه إشارة إلى قبورهم، وآثارهم، فكأنه قال: سيروا في الأرض، فانظروا إليها، واعتبروا، وقد صرح سبحانه بذلك في كثير من الآيات، وانظر (الإشارة) في الآية [٤٩] ومعنى: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: كذبوها، وكفروا بها. ﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾: خالفوا وعاندوا رسول الله هوداً عليه السلام، وإنما جمعه للتعظيم، أو لأن من كذب برسول فقد كذب كل الرسل. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ أي: اتبعوا أمر كبرائهم الطاغين المعاندين، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا انظر شرح ﴿عَادٞۖ﴾ في الآية [٦٥] (الأعراف)، وصرف هنا لإرادة الأب، ولو أريد به القبيلة لمنع من الصرف، وجحد الشيء: أنكره، وكذبه، وكفر به. ﴿رُسُلَهُۥ﴾: يجوز ضم السين وإسكانها، هذا؛ والعنيد. الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له. قال أبو عبيد: العنيد والعنود، والعاند، والمعاند: المعارض بالخلاف، وعندَ يَعْند من الباب الأول، والثاني، وعنِدَ يعنَدُ من الباب الرابع، وعنُدَ يعنُدُ من الباب الخامس، والمصدر: عَنْداً، وعُنوداً، وعَنَداً.

الإعراب: ﴿وَتِلۡكَ﴾: (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَادٞۖ﴾: خبره. ﴿جَحَدُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿رَبِّهِمۡ﴾: مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿جَحَدُواْ...﴾ إلخ في محل رفع صفة: ﴿عَادٞۖ﴾، وإن اعتبرته معرفة؛ فالجملة في محل نصب حال منه، والرابط: واو الجماعة، وهي عائدة على أفراد القبيلة، ومثلها الهاء، والجملة على تقدير:

«قد» قبلها، والعامل في الحال اسم الإشارة، (عصوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة. ﴿رُسُلَهُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها، وجملة: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ...﴾ إلخ معطوفة أيضاً، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين: الدنيا والآخرة، تكبهم في العذاب، واللعن: الطرد من رحمة الله تعالى، وانظر التوسع فيه في الآية [٤٣] (الأعراف). ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾: جحدوا ربهم، والفعل (كفر) يتعدى بنفسه وبحرف الجر، كما تقول: شكرته، وشكرت له، ونصحته، ونصحت له، والواو والهاء عائدتان على ﴿عَادٌ﴾ كما في الآية السابقة. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ أي: لا زالوا مطرودين، ومبعدين من رحمة الله، وإنما كرر ﴿أَلَا﴾ وأعاد ذكرهم تفظيعاً لأمرهم، وحثّاً على الاعتبار بحالهم، هذا؛ وأعاد الإبعاد - وهو مفهوم معنى اللعنة - بعبارتين مختلفتين ليدل على التأكيد وكونهم مستحقين له، وقيد عاد بـ ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ احترازاً من عاد الثانية وهي عاد إرم ذات العماد، وهم العماليق، قوم شداد بن عاد الذين سيأتي ذكرهم في سورة الفجر إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَأُتْبِعُوا﴾: الواو: حرف عطف. (أتبعوا): ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على الجمل في الآية السابقة. ﴿فِي هَٰذِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿الدُّنْيَا﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لَعْنَةً﴾: مفعول به ثان. (يوم): ظرف زمان معطوف على الجار والمجرور: ﴿فِي هَٰذِهِ﴾ فهو متعلق بالفعل: (أتبعوا) بسبب العطف، و(يوم) مضاف، و﴿الْقِيَامَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عَادًا﴾: اسمها، وجملة: ﴿كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أَلَا إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿أَلَا﴾: مثل سابقتها. ﴿بُعْدًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، جملته مؤكدة لما قبلها. ﴿لِّعَادٍ﴾: متعلقان بالمصدر قبلهما. ﴿قَوْمِ﴾: بدل مما قبله، أو عطف بيان عليه، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف، و﴿هُودٍ﴾: مضاف إليه.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٧٣] من سورة (الأعراف) ففيها الكفاية. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ انظر هذا الكلام في الآية رقم [٥٠] فهو مثله بلا فارق. ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ابتدأ خلقكم من الأرض، وذلك أن آدم عليه السلام خلق من الأرض، وهذا خلق غير مباشر للمخاطبين، ويكون مباشراً لهم إذا رجعنا إلى تحليل النطفة التي يتكون منها الإنسان، فإنها من الدم، ومصدر الدم في الإنسان الطعام والشراب على اختلاف أنواعهما وألوانهما، فإنهما من الأرض بلا ريب. ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم عمارها، وسكانها، وقال الضحاك: أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمئة سنة إلى ألف، وكذلك كان قوم عاد، وقال مجاهد: أعمركم من العمري، أي: جعلها لكم ما عشتم. انتهى. خازن. أقول: والمعتمد الأول بدليل قوله لهم في سورة (الأعـــراف): ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ﴾.

﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ﴾: الكلام الشافي على هاتين الجملتين انظره في الآية رقم [٣] ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي: قريب الإجابة لمن دعاه وسأله، وقد توسعت في ذلك في سورة (البقرة) الآية [١٨٦] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾: انـظـر إعـراب هذا الكلام في الآية رقم [٥٠] فهو مثله بلا فارق، علماً بأن: ﴿ثَمُودَ﴾ يقرأ بالصرف وعدمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَنشَأَكُم﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والكاف مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها وهي من مقول (صالح)، وجملة: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (استغفروه): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فاستغفروه، والكلام في الحقيقة من مقول صالح عليه السلام، وجملة: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّى﴾: اسم إن منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم

الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾: خبران لـ ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية لا محل لها باعتبارها تعليلاً للأمر، أو مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول باعتبارها من مقول صالح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ أي: كنا نرجو أن تكون فينا سيداً قبل ادعائك النبوة؛ وذلك لما نرى فيك من مخايل الرشد، والسداد، وأن تكون لنا مستشاراً في الأمور، وأن تؤيدنا في الدين، فلما سمعنا هذا القول منك؛ انقطع رجاؤنا فيك. ﴿مَرْجُوًّا﴾ أصله: (مَرْجُوواً)، فأدغمت الواو في الواو، وشددت. ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أي: من الأوثان والأصنام. ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾: من التوحيد، وعبادة إله واحد، ونبذ عبادة الأصنام. ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة، هذا؛ وفي سورة (إبراهيم) عليه السلام ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ بحذف نون (نا) للتخفيف، وبالخطاب لجماعة الرسل، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولذا يحرم السجود لغير الله تعالى، وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود، والشك في اللغة: خلاف اليقين، وهو اعتدال النقيضين عند الإنسان لوجود أمارتين، أو لعدم الأمارة، والشك ضرب من الجهل، والريب: الشك أيضاً، تقول: رابني هذا الأمر، أي: أوقعني في شك، وحقيقة الريبة قلق النفس، واضطرابها، قال الرسول ﷺ: «**دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**». رواه النسائي والترمذي عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما -.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿يَٰصَٰلِحُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا) القائمة مقام (أدعو). ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿فِينَا﴾: متعلقان بـ ﴿مَرْجُوًّا﴾ الذي هو خبر (كان). ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ ﴿مَرْجُوًّا﴾ أيضاً؛ لأنه صيغة مفعول، كما رأيت، وقبل مضاف، و﴿هَٰذَآ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (تنهانا): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّعْبُدَ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف،

التقدير: عن عبادة... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (تنهى). ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصولة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أن نعبد الذي، أو شيئاً يعبده آباؤنا. ﴿وَإِنَّنَا﴾: الواو: واو الحال. (إننا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿لَفِى﴾: اللام: هي المزحلقة. (في شكٍّ): متعلقان بمحذوف خبر (إن). ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿شَكٍّ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿تَدْعُونَآ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور بـ (إلى). ﴿مُرِيبٍ﴾: صفة ثانية لـ ﴿شَكٍّ﴾، والجملة الاسمية: (إننا...) إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿نَّعْبُدَ﴾ المستتر، والرابط: الواو والضمير، ولعلك تدرك معي: أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٢٨] ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ أي: فمن يمنعني من عذاب الله تعالى إن خالفت أوامره، أو قصرت في تبليغ ما كلفني به من الرسالة؟! ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أي: إن خالفت أوامره، واتبعت قولكم، فما أزداد بذلك إلا خسارة في ديني، ودنياي، وآخرتي، وإبعاداً من الخير، وقيل: المعنى فما تزيدونني بما تقولون لي غير أني أنسبكم إلى الخسران، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه غير بصارة في خسارتكم، وهو كما ترى غير ملائم للنص، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٢٨]. ﴿فَمَن﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (من): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَنصُرُنِى﴾: مضارع، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى (من)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿عَصَيْتُهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط دل عليه جواب الشرط السابق. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَزِيدُونَنِى﴾: مضارع مرفوع،

وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿غَيْرَ﴾: مفعول به ثان، ومعناه الاستثناء، وقيل: صفة لمفعول ثان محذوف، التقدير: شيئاً غير و﴿تَخْسِيرٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

تنبيه: بقي أن تعرف: أن الفعل ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ يتعدى إلى مفعولين، وأن الثاني أكثر ما يكون جملة استفهامية ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ، وخبر، كقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع؟ والمعنى: أخبرني عن زيد ما صنع، إذا تقرر هذا فالمفعول الأول هنا محذوف، ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه، والجملة الاستفهامية: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ هي المفعول الثاني، ولكن اقترانها بالفاء الرابطة لجواب الشرط عينها جواباً للشرط، وعليه فالمفعول الثاني محذوف وجواب الشرط يدل عليه، ويقدر مؤخراً عن الشرط وجوابه ليكون الشرط وجوابه كلاماً معترضاً بين المفعولين المقدرين كما يلي: قال: يا قوم أخبروني من ينصرني من الله إن عصيته، وانظر الآية رقم [٤٠] من سورة (الأنعام)، والآية رقم [٥٠] من سورة (يونس)، إن أردت الزيادة.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾: قيل لها: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه تعالى أخرجها من صخرة صماء منفردة في ناحية الحجر، يقال لها: الكاثبة، فلما خرجت على حسب ما طلبوا ثم ولدت فصيلاً يشبهها، قال لهم صالح عليه السلام ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾. ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾: معجزة تدل على صدقي فيما أدعيه من النبوة. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: تأكل نباتها، وتشرب ماءها، وليس عليكم مؤنتها. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: هذا نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة في الأمر، وإزاحة للعذر، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل، لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء، وفي (الأعراف): ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

هذا؛ وعذاب اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر تعذيب؛ لأنه من عذَّب يعذِّب بتشديد الذال فيها، وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل عطاء ونبات لأعطى، وأنبت، هذا؛ وانظر شرح (ذر) في الآية [٦٩] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ منادى، انظر تفصيله في الآية رقم [٢٨]. ﴿هَٰذِهِۦ﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. ذه: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿نَاقَةُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿نَاقَةُ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وهذه الإضافة للتشريف. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَايَةً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿ءَايَةً﴾: حال من ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾، والعامل فيها التنبيه أو الإشارة.

﴿فَذَرُوهَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر ما ذكرته في الآية [١٧] (ذروها): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً؛ فذروها. ﴿تَأْكُلْ﴾: مضارع مجزوم جواباً للطلب وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، والفاعل مستتر تقديره: «هي»، وقال أبو إسحاق الزجاج: ويجوز رفع (تأكلُ) على الحال أو الاستئناف، ولم أجد من قرأ به. ﴿فِي أَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿أَرْضِ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (ذروها) لا محل لها مثلها. ﴿بِسُوءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، والكاف مفعول به. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعله. ﴿قَرِيبٌ﴾: صفة، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم مس للناقة بسوء؛ فأخذ لكم، بعد هذا لعلك تدرك معي أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول صالح عليه السلام، وينبغي أن تعلم: أن الآية مذكورة بحروفها في (الأعراف) برقم [٧٣].

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: عقرها رجل منهم اسمه قدار، ضربها في رجليها، فأوقعها، فذبحوها، واقتسموا لحمها، و(قدار) هذا من أشقى الأشقياء الأولين، وأشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. قال النبي ﷺ: «**يَا عَلِيُّ! أَشْقَى الأَوَّلِينَ عَاقِرُ نَاقَةِ صَالِحٍ، وأشقى الآخرين قَاتِلُكَ**». هذا؛ وأضيف عقر الناقة إلى كل القوم؛ لأنه كان برضاهم. ﴿فَقَالَ﴾ أي: صالح عليه السلام. ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾: عيشوا في دياركم. ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: هي يوم الخميس، والجمعة، والسبت، وأتاهم العذاب يوم الأحد، والعقر كان يوم الأربعاء. ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي: غير مكذوب فيه، فاتسع في الظرف بحذف حرف الجر، وإجرائه مجرى المفعول به، قال الشاعر: [الطويل]

وَيَوْمَاً شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وَعَامِراً قَلِيلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نوافِلُهْ

أي: شهدنا فيه، فحذف حرف الجر، وانتصب الضمير، واتصل بالفعل، أو هو مصدر كالمجلود والمعقول، فيكون التقدير: وعد غير كذب، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ ولقد ذكرت لك في الآية رقم [٧٣] من سورة (الأعراف): أن الجمل نقل عن كتاب «التحبير» أن صالحاً عليه الصلاة والسلام قد عاش مئتين وثمانين سنة، وذكرت في الآية رقم [٧٨] منها أن الخازن نقلاً عن أهل العلم: أنه قد عاش ثمانية وخمسين عاماً، وأقام في قومه عشرين

عاماً، ولدى مراجعة قصص الأنبياء للثعلبي وجدت: أن ما قاله الخازن موافق لما قاله الثعلبي، والله أعلم بحقيقة ذلك، ولم يذكر النجار شيئاً من ذلك.

روي أن صالحاً ـ عليه السلام ـ قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام، فتصبحون في اليوم الأول، ووجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال، وأتاهم العذاب في اليوم الرابع.

الإعراب: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى صالح عليه السلام. ﴿تَمَتَّعُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِي دَارِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿ثَلَٰثَةَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿ثَلَٰثَةَ﴾: مضاف، و﴿أَيَّامٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿تَمَتَّعُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿وَعْدٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿غَيْرُ﴾: صفة له، و﴿غَيْرُ﴾: مضاف، و﴿مَكْذُوبٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: انظر مثل هذا في الآية رقم [٥٨] ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: ونجيناهم من خزي يومئذ، هذا؛ والخزي الذل، والفضيحة، والمراد به ما لحق قوم صالح ـ عليه السلام ـ من العذاب الدنيوي، وانظر الآية [٧٨] الآتية، هذا؛ ويقرأ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم على الإعراب، ويقرأ بفتح الميم على البناء لاكتساب المضاف البناء من المضاف إليه، ومثل الآية الكريمة قول النابغة الذبياني: [الطويل]

عَلَى حِينَ عاتَبْتُ الْمَشِيبَ علَى الصِّبَا ... فقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ، والشَّيْبُ وازِعُ؟

هذا؛ وتنوين (إذٍ) عوض عن جملة محذوفة تضاف (إذ) إليها في الأصل، فإن الأصل: (يوم إذْ نزل بهم العذاب الأليم والعقاب الشديد)، فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت (إذٍ) لالتقاء الساكنين، كما كسرت (صَهٍ) و(مَهٍ) عند تنوينهما، وقل مثل ذلك في حينَئِذٍ وساعَتَئِذٍ ونحوهما. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: خطاب للنبي ﷺ، ويعم كل عاقل إلى يوم القيامة.

﴿ٱلْقَوِيُّ﴾: القادر على إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين والمعاندين في كل وقت وحين. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب القاهر فوق عباده، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: انظر الإعراب في الآية رقم [٥٨] فهو مثله بلا فارق. ﴿وَمِنْ خِزْىِ﴾: متعلقان بفعل محذوف انظر الشرح بدليل: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ في الآية [٥٨] وقيل: الواو زائدة، وليس بشيء، و﴿خِزْىِ﴾: مضاف، و(يوم) مضاف إليه مجرور، أو مبني على الفتح في محل جر، و(يوم) مضاف، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، وانظر الشرح. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون توكيداً لاسم: ﴿إِنَّ﴾ على المحل، والثاني: أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وعلى هذين الوجهين فـ ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، والثالث: أن يكون مبتدأ و﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، أو تعليل للكلام السابق لا محل لها على الاعتبارين. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر ثان، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: في اليوم الرابع من عقر الناقة كما رأيت، صاح بهم جبريل صيحة، فأهلكتهم، فتقطعت قلوبهم وماتوا، ولم يصب صالحاً، والمؤمنين معه أيّ أذى، وقال جل ذكره في الآية [٧٨] (الأعراف): ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾، وهي الزلزلة، وقد ذكرت بيانه هناك. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: خامدين ميتين، وقال في (الأعراف) ﴿فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ انظر الشرح هناك، و﴿جَٰثِمِينَ﴾ مستعار من قولهم: جثم الطير إذا قعد، ولطأ بالأرض.

قال القرطبي: وفي التفسير لمَّا أيقنوا بالعذاب، قال بعضهم لبعض: ما مقامكم أن يأتيكم العذاب بغتة؟! قالوا: فما نصنع؟ فأخذوا سيوفهم ورماحهم وعددهم، وكانوا فيما يقال: اثني عشر ألف قبيلة، في كل قبيلة اثنا عشر ألف مقاتل، فوقفوا على الطرق والفجاج، زعموا: أنهم يلاقون العذاب، فأوحى الله إلى الملك الموكل بالشمس أن يعذبهم بحرها، فأدناها من رؤوسهم، فاشتوت أيديهم، وتدلت ألسنتهم على صدورهم من العطش، ومات كل ما كان معهم من البهائم، وجعل الماء يفور من تلك العيون من غليانه حتى يبلغ السماء، لا يسقط على شيء، إلا أهلكه من شدة حره، فما زالوا كذلك، وأوحى الله إلى ملك الموت ألا يقبض أرواحهم تعذيباً لهم، إلى أن غربت الشمس، فصيح بهم، فأهلكوا. انتهى. بحروفه.

الإعراب: ﴿وَأَخَذَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿ظَلَمُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، أي: ظلموا أنفسهم، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: فاعل، ولم يؤنث الفعل للفصل بين الفعل والفاعل، أو لأن الصيحة مؤنث مجازي، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (أصبحوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِي دِيَٰرِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جَٰثِمِينَ﴾: خبر (أصبح) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: (أصبحوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ أي: هلكوا عن بكرة أبيهم، كأنهم لم يقيموا في تلك البلاد، ولم يسكنوها، من غني بالمكان: إذا قام فيه وعمره، و(المغاني) في اللغة المنازل التي يسكنها الإنسان، قال أبو الطيب المتنبي في شعب بوان: [الوافر]

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيباً في الْمَغَانِي ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزمانِ

﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾: انظر مثل هذا الكلام في الآية رقم [٦٠] فهو مثله بلا فارق، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين، وقال الخازن: وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة (الأعراف)، فلذا لم يطل الكلام فيها.

الإعراب: ﴿كَأَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: كأنهم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَغْنَوْاْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿كَأَن﴾، والجملة الاسمية: ﴿كَأَن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة، فالمعنى لا يأباه، والرابط: الضمير فقط، وباقي الإعراب انظره في الآية رقم [٦٠] والكلام مبتدأ، أو مستأنف لا محل له. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: قال القرطبي: هذه قصة لوط عليه السلام، وهو ابن عم إبراهيم عليه السلام لَحّاً، أي: لازق النسب منه، (والمعروف والمشهور: أنه ابن أخيه هاران، نص على ذلك عبد الوهاب

النجار وغيره) وكانت قرى لوط بنواحي الشام، قال النجار: اسمها سادوم، وعامودة، وكانتا في مكان البحر الميت المعروف اليوم ببحر لوط، ويقال: إنه ظهرت بشاطئه بعض آثارها، وكان إبراهيم عليه السلام ببلاد فلسطين، فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مروا بإبراهيم، ونزلوا عنده، وكان يحسن قِرَى من ينزل عنده، وقد مروا به ليبشروه بالولد، أو بإهلاك قوم لوط، فظنهم أضيافاً، وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل عليهم السلام، قاله ابن عباس، وهو المعتمد على صورة الغلمان الحسان الوجوه، ذوو جمال بارع، ووضاءة فائقة.

بعد هذا فـ ﴿رُسُلُنَآ﴾ المراد بهم: الملائكة كما رأيت، ويجوز تسكين السين، وضمها. ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالبشارة، وقد رأيتها. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: فما أبطأ، وما تأخر، و﴿حَنِيذٍ﴾ مشوي، والمحنوذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك، وفي آية أخرى: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر، أي: فلهذا ذبح عجلاً لأضيافه، وقيل: مكث إبراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف، فاغتم لذلك، وكان يحب الضيف، ولا يأكل إلا معه، فلما جاءت الملائكة فرح بمقدمهم، وعجَّل قراهم، فجاءهم بعجل سمين مشوي.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، وقد نصب المفعول به هنا، ويجيء لازماً، وهو كثير. ﴿رُسُلُنَآ﴾: فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول به وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلقهما العكبري بمحذوف حال من: ﴿رُسُلُنَآ﴾، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، ﴿سَلَٰمًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: سلمنا، أو نسلم سلاماً، وهو اسم مصدر لا مصدر كما ترى، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، هذا؛ وجوز اعتبار ﴿سَلَٰمًا﴾ مفعولاً به لـ ﴿قَالُوا۟﴾؛ لأنه يتضمن معنى (كلاماً كثيراً)، أو على معنى (ذكروا سلاماً) وجملة: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ في محل نصب حال من ﴿رُسُلُنَآ﴾، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى إبراهيم عليه السلام. ﴿سَلَٰمٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: أمري، أو جوابي سلام، أو هو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: سلام عليكم، وساغ الابتداء بالنكرة؛ لأن فيها معنى الدعاء، هذا؛ وقرأ حمزة والكسائي: (سِلْمٌ) بكسر السين، وهو بمعنى الأول مثل الحل والحلال، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ مستأنفة؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال

مقدر. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿لَبِثَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى إبراهيم عليه السلام. ﴿أَن﴾: حرف مصدر، ونصب. ﴿جَآءَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى إبراهيم، ﴿بِعِجْلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعول به له. ﴿حَنِيذٍ﴾: صفة: (عجل)، وهو بمعنى المفعول، أي: محنوذ، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿جَآءَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في مجيء، أو بمجيء، أو عن مجيء، وجوز اعتباره مفعولاً على المعنى؛ أي: لم يترك الإتيان بعجل، هذا؛ وجوز اعتبار المصدر المؤول فاعلاً بالفعل: ﴿لَبِثَ﴾، التقدير: فما تأخر مجيئه بعجل حنيذ، هذا؛ وجوز اعتبار المصدر المؤول مرفوعاً على الخبرية من وجهين آخرين: أحدهما: اعتبار (ما) موصولة اسمية مبتدأ، والمصدر المؤول خبره، التقدير: والذي لبثه إبراهيم قدر مجيئه، والثاني اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر مبتدأ، والمصدر المؤول خبره، التقدير: لبثه مقدر مجيئه، وإني أعتمد الأول من كل هذه الوجوه، والجملة: ﴿فَمَا لَبِثَ...﴾ إلخ سواء أكانت فعلية، وهو المعتمد، أو اسمية: مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي: لا تصل إلى العجل المشوي، ولا يأخذون من لحمه. ﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكر ذلك منهم، وخاف أن يريدوا به مكروهاً، هذا؛ و(نكر) و(أنكر) و(استنكر) بمعنى واحد، قال الأعشى: [البسيط]

وَأَنْكَرَتْنِي، وَمَا كَانَ الذي نَكِرَتْ ... مِنَ الْحوادثِ إلَّا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

فجمع بين لغتين، ويقال: (نكرت) لما تراه بعينك، و(أنكرت) لما تراه بقلبك. ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر، وقيل: أحس من الملائكة خوفاً، وفزعاً، قال الشاعر: [البسيط]

جاءَ الْبَرِيدُ بِقِرْطاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِرْطاسِهِ جَزَعَا

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: قالت الملائكة لإبراهيم: لا تخف، إنا ملائكة، لا نأكل، ولا نشرب، وإنا مرسلون لإهلاك قوم لوط.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية [٥٨] ﴿رَءَآ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى إبراهيم عليه السلام. ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَصِلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾، والرابط: الضمير فقط، وجملة: ﴿رَءَآ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها على القول بحرفية: (لمّا)، وفي محل جر بإضافة

(لمَّا) إليها على القول بظرفيتها. ﴿نَكِرَهُمْ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى إبراهيم أيضاً، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا محل لها، وجملة ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ معطوفة على: (لمَّا) لا محل لها مثله، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿لَا تَخَفْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿أُرْسِلْنَآ﴾: ماض، ونائب فاعله. ﴿إِلَىٰ قَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف، و﴿لُوطٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿أُرْسِلْنَآ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ تعليل للنهي، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾: وامرأته (سارة) واقفة وراء الستر تسمع محاورتهم، أو هي قائمة بخدمتهم وهي بنت عمه، أبوها اسمه هاران بن ناحور، بن شاروع، بن أرغو، بن فالغ. انتهى. قرطبي، والمشهور: أن هاران أخوه، وهو أبو لوط كما رأيت في الآية رقم [٦٩] وانظر إعلال (قائم) في الآية [١٢] يونس.

﴿فَضَحِكَتْ﴾: قال الخازن: أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس؛ ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك، ويستعمل في السرور المجرد، وفي التعجب المجرد أيضاً، وللعلماء في تفسير هذا الضحك قولان:

أحدهما: أنه الضحك المعروف، وعليه أكثر المفسرين، ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك، فقال السدي: لمَّا قرب إبراهيم عليه السلام الطعام إلى أضيافه، فلم يأكلوا؛ خاف إبراهيم منهم، فقال: ألا تأكلون؟ فقالوا: إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإن له ثمناً، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل، وقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت: عجباً لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا.

وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، وقال مقاتل، والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم عليه السلام من ثلاثة، وهو فيما بين خدمه، وحشمه، وخواصه، وقيل: ضحكت من زوال الخوف عنها، وعن إبراهيم عليه السلام، وذلك: أنها خافت لخوفه، فحين قالوا: لا تخف ضحكت سروراً، وقيل: ضحكت سروراً بالبشارة.

وقال ابن عباس ووهب: ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها، فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فبشرناها بإسحاق فضحكت، يعني: تعجباً

من ذلك، وقيل: إنها قالت لإبراهيم عليه السلام: اضمم إليك ابن أخيك لوطاً، فإن العذاب نازل بقومه، فلما جاءت الرسل، وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت.

القول الثاني في معنى قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ قال عكرمة ومجاهد: أي: حاضت في الوقت، وأنكر بعض أهل اللغة ذلك، قال الراغب: وقول من قال: حاضت ليس ذلك تفسيراً لقوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ كما تصوره بعض المفسرين، فقال: ضحكت بمعنى: حاضت، وإنما ذكر ذلك تنصيصاً لحالها، فإن جعل ذلك أمارة لها بما بشرت به، فحيضها في الوقت لتعلم أنَّ حملها ليس بمنكر؛ لأن المرأة ما دامت تحيض، فإنها تحمل، وقال الفراء: ضحكت بمعنى: حاضت لم نسمعه من ثقة، وقال الزجاج: ليس بشيء ضحكت بمعنى حاضت، وقال ابن الأنباري: قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت، وقد عرفه غيرهم: [المديد]

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرى الذئبَ بِهَا يَسْتَهِلّ

قال: أراد أنها تحيض فرحاً، وقال الأخطل فيه بمعنى الحيض: [الخفيف]

تضحك الضَّبْعُ مِنْ دماءِ سُلَيْمٍ إذْ رَأَتْهَا على الحرابِ تَمُورُ

وقال في المحكم: ضحكت المرأة حاضت، وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَهَا...﴾ إلخ وضحكت الأرنب ضحكاً يعني: حاضت حيضاً، قال: [المتقارب]

وضِحْكُ الأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كمِثْلِ دَمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللِّقَا

وقال البيضاوي: وقيل: (فضحكت) فحاضت، قال: [الطويل]

وَعَهْدِي بسلْمَى ضَاحِكاً في لُبَابَةٍ ولم تعْدُ حقّاً ثدْيُهَا أَنْ تَحَلَّمَا

ومنه ضحكت السَّمُرة إذا سال صمغها، وأنشد على ذلك اللغويون: [الطويل]

وإنِّي لآتي الْعِرْسِ عِنْدَ طُهورِهَا وَأَهْجُرها يَوْماً إذَا تَكُ ضاحِكَا

انتهى. خازن وبيضاوي وقرطبي بتصرف، ثم قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: أي: القولين أصح، قلت: إن الله عز وجل حكى عنها: أنها ضحكت، وكلا القولين محتمل في معنى الضحك، فالله أعلم أي ذلك كان، وانظر تفسير ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ في الآية رقم [٣١] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ﴿فَبَشَّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: ومن بعد إسحاق يعقوب، وهو ولد الولد، فبشرت سارة بأنها تعيش حتى ترى ولد ولدها، وكانت قد أيست من الولد لكبر سنها، فلما بشرت بالولد؛ صكت وجهها، أي: ضربت وجهها، وقد صرحت بذلك آية الذاريات، وهو من صنيع النساء وعادتهن، وإنما فعلت ذلك تعجباً، وإنما خصت بالبشارة؛ لأن النساء أعظم سروراً بالولد من الرجال؛ ولأنه لم يكن لها ولد، وكان لإبراهيم ولد، وهو: إسماعيل.

هذا؛ ويقرأ: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالرفع والنصب، وانظر (نا) في الآية رقم [٨] هذا؛ و﴿وَرَآءِ﴾ يأتي بمعنى ما خلف الأول، وبمعنى ما خلف الظهر، وقد يأتي بمعنى أمام، وقدام، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: أمامهم، وقال جل شأنه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، فمن مجيئه بمعنى (بعد) كما في الآية قول النابغة: [الطويل]

حَلَفْتُ فلمْ أترِكْ لِنفسِكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

أي: وليس بعد الله جل جلاله، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: من بعده، ومن مجيئه بمعنى أمام وقدام قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

أَلَيْسَ وَرَائي إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزُومُ الْعَصَا تُحْنَى عليها الأَصَابِعُ

وأيضاً قول سَوَّار بن المضرب السعدي، وكان قد هرب من الحجاج حين فرض البعث مع المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج: [الطويل]

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوانَ سَمْعي وَطَاعَتي ... وَقَوْمي تَمِيمٌ، والْفَلَاةُ وَرَائِيَا؟

فائدة: عاش إبراهيم من العمر مئة وخمساً وسبعين سنة، وبينه و بين نوح ألف سنة وستمئة وأربعون سنة، وابنه إسحاق عاش مئة وثمانين سنة، ويعقوب عاش مئة وخمساً وأربعين سنة وعاش يوسف مئة وعشرين سنة، وعاش إسماعيل مئة وسبعاً وثلاثين سنة، وتزوج إبراهيم عليه السلام غير سارة وهاجر امرأة اسمها قطورة، فولدت له: زمران، ويقشان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوما، فيكون جملة أولاده من صلبه ثمانية، وانظر الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿قَآئِمَةٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، وجوز اعتبارها حالاً من واو الجماعة في: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قالوا ذلك في حال قيام امرأته، وعليه فالرابط: الواو فقط، وقال العكبري من (نا)، والأول أولى. (ضحكت): ماض، والفاعل يعود إلى امرأته، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية على الوجهين المعتبرين فيها. (بشرناها): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿وَمِن وَرَآءِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، التقدير: ووهبنا من وراء... إلخ، و(وراء) مضاف، و﴿إِسْحَٰقَ﴾: مضاف إليه... إلخ. ﴿يَعْقُوبَ﴾: مفعول به للفعل المحذوف، هذا؛ وجوز اعتباره معطوفاً على محل: ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾ فهو منصوب أيضاً، كما جوز اعتباره معطوفاً على لفظ: ﴿إِسْحَٰقَ﴾، فيكون مجروراً،

وفي هذين الاعتبارين فصل بين يعقوب وبين الواو العاطفة بالظرف، وهذا لا يجيزه كثيرون، هذا؛ وعلى قراءة: (يعقوب) بالرفع فهو مبتدأ مؤخر، والجار والمجرور: ﴿وَمِن وَرَآءِ﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والجملة الاسمية هذه مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: قال الزجاج: أصلها: يا ويلتي، فأبدل من الياء ألف؛ لأنها أخف من الياء، والكسرة. هذا؛ وقد قرئ بالياء على الأصل، قال القرطبي: ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل، ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه، وعجبت من ولادتها، وكون بعلها شيخاً لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر. انتهى. وانظر شرح (الويل) في الآية رقم [٢] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

قال البيضاوي: أصله في الشر، فأطلق في كل أمر فظيع، أقول: وهي كلمة تحسر وتلهف، تستعمل عند الداهية العظيمة، وما قول قابيل في المائدة رقم [٣١] منك ببعيد. ﴿ءَأَلِدُ﴾: أصله أَوْلِدُ، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، وهما: الياء، والكسرة في مضارع الغائب (يلد) وتحذف من مضارع المتكلم والمخاطب قياساً عليه. ﴿عَجُوزٌ﴾ أي: طاعنة في السن، ويقال: شهلة، وشهبرة، وشهربة، وشمطاء، وشيخة لكل امرأة طاعنة في السن، قال صاحب مختار الصحاح: ولا تقل عجوزة، والعامة تقوله، والجمع عجائز وعُجُز، وفي حديث النبي ﷺ: «**إنَّ الجنةَ لا يَدْخُلُها العُجُزُ**». ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾: وهذا زوجي رجل كبير، قيل: كان عمر إبراهيم عليه السلام مئة وعشرين سنة وعمرها تسعاً وتسعين سنة، والبعل: الزوج، وفي الخازن: والبعل: هو المستعلي على غيره، ولما كان الزوج مستعلياً على المرأة، قائمة بأمرها سمي بعلاً. انتهى. ويقال للمرأة أيضاً: بعل وبعلة، كما يقال لها: زوج وزوجة.

هذا؛ والشيخ: هو الذي استبانت فيه السن، وظهر عليه الشيب، وفي اللغة: هو من تجاوز الأربعين من عمره، وهو السن الذي يكمل فيه العقل، ويغلب فيها صلاح الرجل على فساده، ومن لم يكمل بعد الأربعين، ولم يرجع إلى صوابه فهو من الخاسرين.

قال الرسول ﷺ: «**مَنْ بَلَغَ مِنَ العُمرِ أربعينَ سَنَةً، ولَمْ يَغْلِبْ خيرُهُ على شَرِّهِ، فَلْيَتَجَهَّزْ إلى النارِ**». وأصبح الأمل في صلاحه بعيداً، قال الشاعر: [الطويل]

وإنَّ سِفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ ... وَإنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ

ويجمع على شُيُوخ، وشِيُوخ، وأشياخ، ومشيخة، وشيخان، وشيخة، وجمع الجمع: مشايخ، وأشاييخ، ويطلق الشيخ على الأستاذ، والعالم، وكبير القوم، ورئيس الصناعة، وعلى من كان كبيراً في أعين الناس، علماً أو فضيلة أو مقاماً ونحو ذلك، وشيخ النار كناية عن إبليس

اللعين. ﴿لَشَيْءٌ﴾: انظر الآية رقم [٤] ﴿عَجِيبٌ﴾: يعني: ولادة الولد من أبوين هرمين شيء غريب، وعجيب من حيث العادة لا من حيث القدرة الإلهية، فهو مثل قول زكريا عليه السلام: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾.

الإعراب: ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى سارة عليها السلام. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (ويلتى): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، وقد قلبت ألفاً في إحدى القراءتين كما رأيت، والياء في محل جر بالإضافة، وانظر إعراب: ﴿يَقَوْمِ﴾ في الآية [٢٨] وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، وقد ينادى ما لا يعقل مجازاً، مثل: يا أسفى ونحوه، والمعنى هنا: أيها الويل احضر، فهذا أوان حضورك، وانظر الشرح. ﴿ءَأَلِدُ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتعجب. (ألد): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، ومفعوله محذوف، تقديره: ولداً، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾: في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير. (هذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَعْلِي﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿شَيْخًا﴾: حال من ﴿بَعْلِي﴾، والعامل الهاء، أو الإشارة لما فيهما من معنى: أنبه، وأشير، وقرئ (شيخ) بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو شيخ، أو هو خبر ثان للمبتدأ، أو هو خبر المبتدأ و﴿بَعْلِي﴾ بدل من اسم الإشارة، وأجاز أبو البقاء: اعتبار ﴿بَعْلِي﴾ مبتدأ و﴿شَيْخًا﴾ خبره، والجملة الاسمية خبر المبتدأ، والجملة الاسمية (هذا...) إلخ في محل نصب حال من فاعل (ألد) المستتر، والرابط: الواو، والضمير، فتكون الحال قد تعددت، وهي جملة اسمية، والكلام ﴿يَوَيْلَتَى...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَذَا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَشَيْءٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿عَجِيبٌ﴾: صفة (شيء)، والجملة الاسمية من مقول (سارة) أيضاً.

﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: قالت الملائكة لسارة منكرين عليها تعجبها؛ لأن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة، ومهبط المعجزات، وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع، ولا حقيق بأن يستغربه عاقل، فضلاً عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات. ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ﴾: البركة: النمو، والزيادة، ومن تلك البركات: أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في ولد إبراهيم، وسارة عليهما السلام. ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ أي: محمود على أفعاله

كلها، ومستحق لأن يحمد في السراء، والضراء، والشدة، والرخاء. ﴿مَّجِيدٌ﴾: ومعناه: المنيع الذي لا يرام، وقال الخطابي: المجيد الواسع الكرم.

فائدة: تفيد الآية الكريمة أن زوجة الرجل من أهل بيته، وأن أزواج الأنبياء من أهل البيت، ولذا صح استثناؤها في الآية رقم [٨١] الآتية من أهل بيت لوط عليه السلام.

هذا؛ و«العجب» بفتح العين والجيم انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه أو استطرافه، أو إنكاره ما يرد عليه. وقال الراغب: العجب: حيرة تعرض للإنسان بسبب الشيء، وليس هو شيئاً له في ذاته حالة حقيقية، بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب، ومن لا يعرفه، وحقيقة أعجبني كذا: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه، هذا؛ و«العجب» بضم العين، وسكون الجيم: رؤية النفس، وحقيقته: أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره علماً أو ورعاً، أو أدباً وغير ذلك، ويعتقد أن له منزلة لا يدانيه فيها سواه، وهذا هو الكبر الذي يدخل صاحبه جهنم وبئس المصير.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَتَعۡجَبِينَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وإنكار. (تعجبين): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله. ﴿مِنۡ أَمۡرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أَمۡرِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿رَحۡمَتُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. (بركاته): معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿أَهۡلَ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، أو هو منصوب على المدح بفعل محذوف، وقول المفسرين: منصوب على الاختصاص ضعيف؛ لأن النصب على الاختصاص يكون بعد ضمير المتكلم، ويقل بعد المخاطب، وأقل منه بعد ضمير الغيبة، و﴿أَهۡلَ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡبَيۡتِۚ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾: خبران لـ (إنَّ)، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ أي: الخوف، والفزع؛ الذي حصل له عند امتناع الملائكة من الأكل وهو بفتح الراء المشددة وسكون الواو، و(يوم الروع): يوم الحرب من باب إطلاق المسبب، وإرادة السبب؛ لأنه قلما يخلو عن فزع، قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

وتبلي الأُلَى يسْتَلْئِمُونَ عَلى الأُلى ... تراهنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ كالْحِدَأ الْقُبْلِ

وقال خلف بن حازم: [الطويل]

إلى النَّفَرِ البيضِ الأُلاءِ كأنَّهُمْ صفائِحُ يومَ الرَّوْعِ أخْلَصَها الصَّقْلُ

وغير ذلك كثير، هذا؛ والروع بضم الراء: القلب، أو العقل، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْس مِنْ عملٍ يقربُ مِنَ الْجَنَّةِ، إلَّا وقدْ أمرْتكُمْ بِهِ، وَلَا عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ النَّارِ، إلَّا وقدْ نهيْتُكُمْ عَنْهُ، فلا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحدٌ منكم رزقَهُ، فإنَّ جبريلَ أَلْقَى في رُوعي أَنَّ أَحَداً منكم لَنْ يخرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يستكمِلَ رِزْقَهُ، فاتقوا اللهَ أيُّهَا الناسُ، وأجْمِلوا في الطَّلبِ، فإنِ اسْتَبْطَأَ أحدٌ منكم رزْقَهُ، فلَا يطلُبْهُ بمعصيةِ اللهِ، فإنَّ اللهَ لا ينالُ فضلُهُ بمعصيتِهِ**». رواه الحاكم. ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي: البشارة بالولد من سارة، وقال قتادة: بشروه بإهلاك قوم لوط. ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: يجادل رسلنا، وأضاف سبحانه المجادلة، إلى نفسه؛ لأنهم نزلوا بأمره.

وهذه المجادلة رواها حميد بن هلال، عن جندب، عن حذيفة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وذلك أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، قال لهم إبراهيم عليه السلام: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، قال: فعشرون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها عشرة أو خمسة ـ شك حميد؟ ـ قالوا: لا، قال: فقال إبراهيم: قوم ليس فيهم عشرة من المسلمين لا خير فيهم، فقال إبراهيم عند ذلك: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾. ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ﴾: ما أجدرك أن تنظر شرح هذا في التوبة الآية [١١٥] ﴿مُّنِيبٌ﴾: راجع، يقال: أناب إذا رجع، وإبراهيم صلى الله على نبينا، وعليه وسلم كان كثير الرجوع إلى الله تعالى في أموره كلها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: انظر الآية [٥٨] ﴿ذَهَبَ﴾: ماض. ﴿عَنْ إِبْرَٰهِيمَ﴾: متعلقان به، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿ٱلرَّوْعُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. (جاءته): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى إبراهيم، و(نا): مفعول به. ﴿فِى قَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف، و﴿لُوطٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿يُجَٰدِلُنَا...﴾ إلخ في محل نصب خبر لـ (أخذ) محذوفاً، وهو من أفعال الشروع، أو هو في محل نصب حال عامله محذوف، التقدير: (أقبل يجادلنا...) إلخ وعلى هذين التقديرين فالجملة الفعلية جواب: (لمَّا) لا محل لها، هذا؛ وقيل: إن الجواب هو جملة: ﴿يُجَٰدِلُنَا...﴾ إلخ على تأويل المضارع بالماضي و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه

بالفعل. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: اسمها. ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾: أخبار لـ ﴿إِنَّ﴾ متعددة، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال في شأن قوم لوط، وهو من قول الملائكة. ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: أمر الله وقدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم، وهو أعلم بحالهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: غير مدفوع، ولا مصروف عنهم بجدال، ولا بدعاء، ولا غير ذلك، قال عبد الرحمن بن سمرة: كانوا أربعمئة ألف، وقال ابن جريج: كانوا أربعة آلاف، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾: منادى مفرد علم، مبني على الضم في محل نصب بـ (يا) النائبة مناب أدعو. ﴿أَعْرِضْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَنْ هَٰذَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها. (إنهم): مثل سابقتها. ﴿ءَاتِيهِمْ﴾: خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل باسم الفاعل، وقيل: ﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿ءَاتِيهِمْ﴾ خبر مقدم، وجوز ذلك لأن ﴿عَذَابٌ﴾ موصوف بما بعده، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إن) والمعتمد الأول. ﴿غَيْرُ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، و﴿غَيْرُ﴾: مضاف، و﴿مَرْدُودٍ﴾: مضاف إليه، ونائب فاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول لقول محذوف؛ إذ التقدير: قالت الملائكة: يا إبراهيم أعرض... إلخ.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾: المراد بهم الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم، عليه السلام، وبشروه وامرأته بالبشارة التي رأيتها. ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم؛ لأنهم كانوا في صورة غلمان مرد، حسان الوجوه، فظن أنهم أناس، فخاف أن يقصدهم قومه، فيعجز عن مدافعتهم؛ لأن قوم لوط كانوا مولعين بالفاحشة، وهي إتيان الذكور في أدبارهم، هذا؛ والفعل ﴿سِيٓءَ﴾ من ساء، يسوء؛ يكون لازماً، ويكون متعدياً، كما في قولك: ساءني فلان، وكما هنا، وهذا غير (ساء) المستعمل في الذم.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: ضاق صدره بمجيئهم، وقيل: ضاق وسعه وطاقته، وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه، والاحتيال فيه. قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الخفيف]

مَـنْ رسـولـي إلـى الـثُّـرَيَّـا بِـأَنِّـي ... ضِـقْـتُ ذرْعـاً بِـهَـجْـرِهَـا والْـكِـتَـابِ؟

وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه، فإذا حمل على أكثر من طوقه ضاق عن ذلك، وضعف ومد عنقه، فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع، هذا؛ ويقال: ضاق ذراع فلان عن هذا الأمر؛ لأن الذراع موضع قوة الإنسان وشهرته، قال هدبة بن خشرم، يخاطب به معاوية بن أبي سفيان، ويعترف فيها بأنه قتل ابن عمه زيادة: [الطويل]

إنِ الْـعَـقْـلُ فـي أَمْـوَالِـنَـا لَا نَـضِـقْ بـهـا ... ذِرَاعـاً، وإنْ صَـبْـراً، فَـنَـصْـبِـرُ لِـلـصَّـبْـرِ

وقال: هذا يوم عصيب: أي: صعب، وشديد في الشر، قال الشاعر: [الطويل]

وإنَّـكَ إلَّا تُـرْضِ بَـكْـرَ بْـنَ وائـلٍ ... يَـكُـنْ لـكَ يـومٌ بـالْـعِـراقِ عَـصِـيـبُ

تنبيه: روي: أن الله تعالى قال للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات، فأتوه نصف النهار وهو يعمل في أرض له، فاستضافوه، وانطلق بهم يمشي إلى منزله، وقال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية، قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله، إنها لشر قرية في الأرض عملاً، قال ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله، ولم يعلم بذلك أحد، فخرجت امرأته، فأخبرت بهم قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً مرداً ما رأيت أحسن منهم، ولا أجمل!.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى (حين) عند ابن السراج والفارسي وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿جَآءَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿رُسُلُنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لُوطًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على القول بحرفية (لما) وهي في محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿سِيٓءَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى لوط. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل ﴿سِيٓءَ﴾، والجملة الفعلية جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ معطوفة على جواب (لما) لا محل لها مثله. ﴿ذَرْعًا﴾: تمييز محول عن الفاعل، مثل: (طاب محمد نفساً). ﴿هَٰذَا يَوْمٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿عَصِيبٌ﴾: صفة: ﴿يَوْمٌ﴾، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على جواب (لما) أيضاً.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ۝٧٨﴾

الشرح: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: لما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف لوط جاء قومه يركضون ويسرعون، وقيل: يسوق بعضهم بعضاً؛ لأن الفعل بمعنى: (يساقون)، فقيل: هذا الفعل ملازم للبناء للمفعول، مثل أولع، يُولَع، والصواب: أنه يأتي بصيغة المبني للفاعل، وبه قرأ جماعة ويكون من الباب الثالث، مثل فتَح يفتَح، ولكن الأول أكثر، وأشهر، قال مهلهل: [الوافر]

فـجـاءوا يُـهْـرَعـونَ، وهُـمْ أَسَـارَى   نَـقُـودُهُـمُ عَـلَـى رَغْـمِ الأُنُـوفِ

﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: من قبل مجيء الرسل، وقيل: أي: من قبل مجيء لوط إليهم كانوا يعملون الأعمال الخبيثة، والفاحشة القبيحة، وهي إتيان الرجال في أدبارهم. ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ أي: قال لوط عليه السلام لقومه... إلخ: فدى أضيافه ببناته كرماً وحمية، والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن، وكانوا يطلبونهن منه فلا يجيبهم لخبثهم، وعدم كفاءتهم لهن، لا لحرمة المسلمات على الكفار، فإنه شرع طارئ.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ: أراد بنات نساء قومه، وأضافهن إلى نفسه؛ لأن كل نبي أبو أمته، وهو كالوالد لهم حيث الشفقة والتربية، وهذا القول أولى؛ لأن إقدام الإنسان على عرض بناته على الأوباش، والفجار مستبعد، لا يليق بأهل المروءة؛ فكيف بالأنبياء! وأيضاً فبناته لا تكفي الجمع العظيم، أما بنات أمته ففيهن كفاية للكل.

هذا؛ وأطهر ليس على بابه من التفضيل، وإنما هو كلام خرج مخرج المقابلة كقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها، وكقوله ﷺ حين قال كفار قريش يوم أحد: اعْلُ هُبَلُ، فقال: «**الله أعلى وأجلُّ**»؛ إذ لا مماثلة بين الله تعالى والصنم. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر، وفعل الفواحش، والقبائح؛ التي لم يفعلها غيركم. ﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ أي: لا تهينوني ولا تذلوني، ومنه قول حسان ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فـأخْـزَاكَ رَبِّـي يـا عُـتَـيْـبَ بـنَ مـالـكٍ   وَلَـقَّـاكَ قـبْـل الـموتِ إحْـدى الـصـواعـقِ

مَـدَدْتَ يَـمِـيـنـاً لِـلـنَّـبـيِّ تـعـمـداً   ودمَّـيْـتَ فَـاهُ قُـطِّـعَـتْ بـالْـبَـوارِقِ

ويجوز أن يكون من الخزاية، وهو الحياء، والخجل، قال ذو الرمة: [البسيط]

خَـزَايَـةً أدْرَكَـتْـهُ بـعـد جـوْلَـتِـهِ   مِنْ جَانِبِ الحبْلِ مخلوطاً بهَا الْغَضَبُ

و(الضيف) يقع للاثنين والجمع بلفظ الواحد، كما في الآية الكريمة؛ لأنه في الأصل مصدر، قال الشاعر: [الرجز]

لا تَـعْـدَمِـي الـدَّهْـرَ شِـفَـارَ الْـجَـازِرِ لِـلـضَّـيْـفِ، والـضَّـيْـفُ أحَـقُّ زَائِـرِ

وقد يثنى، فيقال: ضيفان، وقد يجمع على أضياف وضُيُوف وضِيفَان، وضِيَاف، والأول أكثر استعمالاً، كقولك: رجالٌ صَوْمٌ، وفطرٌ، وزَوْرٌ، وأصل الضيف: الميل، يقال: ضفت إلى كذا: إذا ملت إليه، والضيف من مال إليك نزولاً بك. ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ أي: يهتدي إلى الحق، ويرعوي عن القبيح، أو يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقيل: رشيد، أي: ذو رشد، أو بمعنى راشد، أو مرشد، أي: صالح أو مصلح. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَجَآءَهُۥ﴾: (جاءه): ماض، والهاء مفعول به. ﴿قَوْمُهُۥ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لما)، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿يُهْرَعُونَ﴾: مضارع ونائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿قَوْمُهُۥ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَمِن﴾: الواو: واو الحال. ﴿وَمِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بعدهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنى. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعْمَلُونَ﴾: مضارع مرفوع وفاعله. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ...﴾ إلخ في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة و(قد) قبلها مقدرة، ﴿قَالَ﴾: ماض وفاعله يعود إلى لوط. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى انظر تفصيله في الآية رقم [٢٨] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَنَاتِى﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿هُنَّ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، و﴿أَطْهَرُ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿بَنَاتِى﴾ عطف بيان أو بدلاً من اسم الإشارة، و﴿هُنَّ﴾ ضمير فصل، لا محل له، و﴿أَطْهَرُ﴾ خبر المبتدأ، والأول أقوى. هذا؛ وقرئ (أطهر) بالنصب على الحال، فيكون ﴿بَنَاتِى﴾ مبتدأ ثانياً، خبره ﴿هُنَّ﴾، والجملة الاسمية خبر المبتدأ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾. وجوز أبو البقاء اعتبار ﴿هُنَّ﴾ ضمير فصل، ولا وجه له؛ لأن الفصل لا يقع بين الحال وصاحبها، وجوز وجهاً آخر، وهو أن يكون ﴿هُنَّ﴾ مبتدأ، و﴿لَكُمْ﴾ خبره، و﴿أَطْهَرُ﴾ حالاً، والعامل فيه ما في ﴿هُنَّ﴾ من معنى التوكيد بتكرير، وهو تعسف، والصواب الإعراب الأول، والجار والمجرور: ﴿لَكُمْ﴾ متعلقان بـ ﴿أَطْهَرُ...﴾ على جميع وجوه الإعراب التي قد رأيتها، والكلام: ﴿يَٰقَوْمِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة

لا محل لها. ﴿فَاتَّقُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أمر، وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكرته واقعاً فاتقوا الله، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تُخْزُونِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فلا محل لها، ولها محل باعتبارين. تأملهما. ﴿فِي ضَيْفِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وإنكار وتوبيخ. (ليس): ماض ناقص. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (ليس) مقدم. ﴿رَجُلٌ﴾: اسمها مؤخر. ﴿رَّشِيدٌ﴾: صفة: ﴿رَجُلٌ﴾، والجملة الفعلية: ﴿أَلَيْسَ...﴾ إلخ لا محل لها باعتبارها مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول لوط، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا﴾ أي: قال قوم لوط له: لقد عرفت ليس لنا ببناتك حاجة، ولا لنا فيهن شهوة؛ لأنك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الإيمان، ولا نريد ذلك. فسقط حقنا في نكاحهن. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: فهم يعنون أضيافه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالُوا﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِي بَنَاتِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بالخبر المحذوف مثل ﴿لَنَا﴾ وقيل: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿حَقٍّ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وكثير من النحاة لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿حَقٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، هذا؛ وجوز اعتباره فاعلاً بالجار والمجرور: ﴿لَنَا﴾ لاعتماده على نفي، أقول: وهذا يحوج إلى تقدير فعل ليكون فاعلاً بالفعل، أي: ما ثبت، أو ما يثبت لنا حق في بناتك، والجملة سواء أكانت اسمية، أم فعلية فهي في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل (علم)، والجملة الفعلية جواب قسم مقدر، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنَّكَ﴾: الواو: واو الحال. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَتَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنت»، واللام هي المزحلقة.

: موصولة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد: محذوف، التقدير: لتعلم الذي نريده، هذا؛ وجوز اعتبار مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: لتعلم إرادتنا، وأضيف: أنه سوغ اعتبار استفهامية مفعولاً به مقدماً، معلقة للفعل (تعلم) عن العمل، والجملة الفعلية في محل نصب مفعوله، وجملة: إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية (إنك...) إلخ في محل نصب حال من ضمير المخاطب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾

الشرح: : قاله لوط لما رأى استمرار قومه في غيهم، ولم يقدر على دفعهم؛ قال ذلك على جهة التحسر، والتلهف متمنياً أن يكون له أنصار، وأعوان يدفعون عنه شر هؤلاء الفجرة الكفرة. : أو ألجأ وأنضوي إلى عشيرة تمنعني منكم، فقد شبه العشيرة القوية التي تذود عن حمى أفرادها بالركن الشديد، وهو ناحية الجبل. هذا؛ ويقرأ بنصب ورفعه، وانظر الآية رقم [٤٣].

تنبيه: يروى: أن الملائكة وجدت على لوط عليه السلام حين قال هذه الكلمات، وقالوا: إن ركنك لشديد، وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«يَرْحَمُ اللهُ أَخِي لوطاً كَانَ يَأْوِي إلى رُكْنٍ شديدٍ»**. ولما قال لوط هذه المقالة لم يبعث الله بعده نبياً إلا وقواه بالركن الشديد، أي: جعل له عشيرة تحميه.

وإنما قال لوط عليه السلام هذه المقالة؛ لأنه لم يكن من قومه نسباً، بل كان غريباً فيهم؛ لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم عليهما السلام، فلما هاجرا إلى الشام أرسله إلى أهل سدوم وعامورة، وأما قوله تعالى في سورة (الشعراء): إلخ إنما أراد بذلك أخوة البلد والإقامة لا في الدين ولا في النسب؛ لأنه أقام بينهم مدة مديدة وسنين عديدة، وتزوج منهم، وأنجب أولاداً من نسائهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: : ماض، وفاعله مستتر يعود إلى لوط. : حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. : حرف مشبه بالفعل. : جار ومجرور متعلقان بمحذوف رفع خبر تقدم على اسمها. : متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من ، كان صفة له... إلخ. : اسم مؤخر. : حرف عطف. : مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية معطوفة على خبر: في المعنى، التقدير: أو أني آوي!، هذا؛ ويجوز أن يكون معطوفاً على نفسها؛ لأنه

منصوب في الأصل بإضمار (أن)، فلما حذفت (أن) رفع الفعل على حد قوله تعالى:
. . ويؤيد ذلك ويقويه قراءة الفعل بالنصب بـ «أن» مضمرة بعد ،
ويكون التقدير: لو أن لي بكم قوة، أو إيواءً. : متعلقان بالفعل قبلهما. :
صفة: ، و واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط (لو) عند المبرد، التقدير: لو ثبت وجود قوة لي ونحوه، وقال سيبويه رحمه الله تعالى: هو في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: لو وجود قوة لي حاصل أو ثابت، ونحوهما، وقول المبرد رحمه الله تعالى هو المرجح؛ لأن لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر على قول المبرد وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب محذوف، التقدير: لدفعتكم، أو لبطشت بكم، وأرى جواز اعتبار: للتمني، وهي لا تحتاج إلى جواب على هذا الاعتبار، ويكون التقدير: أتمنى وجود قوة تمنعني منكم، أو إيواء إلى ركن شديد يحفظني من طغيانكم، وفسادكم، وهو تقدير لا غبار عليه، والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة:
إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: إلخ: قال ابن عباس، وأهل التفسير: أغلق لوط بابه في وجه قومه، والملائكة معه في الدار، وجعل يناظر قومه، ويناشدهم من وراء الباب، فلم يكفُّوا بل هموا بكسر الباب، وهو يمسكه، فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الجهد، قالوا له:
، تنحَّ عن الباب، فتنحى وانفتح الباب، فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم، وعموا وانصرفوا على أعقابهم، فلم يعرفوا طريقاً، ولا اهتدوا إلى بيوتهم، وجعلوا يقولون: النجاء النجاء، فإن في بيت لوط قوماً هم أسحر من على وجه الأرض، وقد سحرونا، فأعموا أبصارنا، وجعلوا يقولون: يا لوط! كما أنت حتى تصبح، وسترى ما تلقى منا غداً يتوعدونه. قال تعالى في سورة القمر:
. : بمكروه بسبب إيذائهم إيانا.
: فاخرج من هذه القرية بأهلك في آخر الليل، وقيل: بعد مضي طائفة من الليل، أي: بعد هدأة منه، وقيل غير ذلك، انظر الآية رقم [٢٧] من سورة (يونس).
أي: لا يتخلف عن الخروج منكم أحد، وقيل: لا ينظر وراءه منكم أحد.

أي: فإنها تلتفت فتهلك مع من يهلك من قومها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ﴾ فقد قيل: إن لوطاً خرج بها، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت. فلم يلتفت منهم أحد سوى زوجته، فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت، وقالت: وا قوماه! فأدركها حجر، فقتلها، فلما قالت الملائكة: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ﴾ فقال لوط: متى يكون هذا العذاب؟ قالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ قال: إنه بعيد، أريد أسرع من ذلك، فقالوا له: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

يروى: أن لوطاً عليه السلام خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر، وأن الملائكة قالت له: إن الله وكل بهذه القرية ملائكة معهم صوت رعد، وخطف برق، وصواعق عظيمة، وقد ذكرنا لهم: أن لوطاً سيخرج فلا تؤذوه، وأمارته: أنه لا يلتفت، ولا تلتفت ابنتاه، فلا يهولنك ما ترى، فخرج لوط عليه السلام، وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم.

بعد هذا انظر القول في الآية [١٨] ﴿رُسُلُ﴾: جمع رسول يجوز ضم سينه وتسكينها، قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه ومنهم من يثقله، وذلك مثل رسل وعسر ويسر وأسد ورحم. . . إلخ. وانظر شرح (الرسول) في الآية [١] من سورة (الأنفال). ﴿رَبِّكَ﴾: انظر الآية رقم [٣]، ﴿فَأَسْرِ﴾: فعل أمر يقرأ بوصل الهمزة وقطعها، وسَرَى وأَسْرَى بمعنى واحد وهو قول أبي عبيد والثانية لغة أهل الحجاز، وهما بمعنى سار الليل عامته، وقيل: سرى لأول الليل، وأسرى لآخره، وهو قول الليث. وأما سار فهو مختص بالنهار، وليس مقلوباً من سرى، فهو بمعنى مشى، والسرى والإسراء: السير في الليل، يقال: سَرى يَسْري سُرًى ومَسْرًى وسُرْيَةً وسِرايةً، هذا؛ والسرى يذكر ويؤنث، ولم يحك اللحياني فيه إلا التأنيث كأنهم جعلوه جمع سُرْيَة.

﴿بِأَهْلِكَ﴾: الأهل اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، والأهل: العشيرة وذوو القربى، ويطلق على الزوجة، وعلى الأتباع بدليل الآية الكريمة والآية رقم [٤٠] والجمع أَهْلون، وأَهَال، وآهَال، وأَهْلات، وأَهَلَات، وبالأولين قرئ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

﴿أَحَدٌ﴾: أصله: وحد لأنه من الوحدة، فأبدلت الواو همزة، وهذا قليل في المفتوحة، إنما يحسن في المضمومة والمكسورة، مثل قولهم: وجوه، وأجوه، ووسادة، وإسادة، وهو مرادف للواحد في موضعين: أحدهما وصف الباري جل علاه، فيقال: هو الواحد، وهو الأحد، والثاني أسماء العدد، فيقال: أحد وعشرون، وواحد وعشرون، وفي غير هذين الموضعين يفرق بينهما في الاستعمال، فلا يستعمل (أحد) إلا في النفي، وهو كثير في الكلام، أو في الإثبات مضافاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بخلاف الواحد، وقولهم: ما في

الدار أحد؛ هو اسم لمن يعقل، ويستوي فيه الواحد، والجمع والمذكر والمؤنث، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقال جل ذكره: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾.

﴿ٱمۡرَأَتَكَ﴾: المرأة جمعها من غير لفظها نساء، ونسوة، ونسون، وهي مشتقة من المرء، وهو الرجل. ﴿مُصِيبُهَا﴾: انظر إعلال (يصيب) في الآية [٥١] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿يَٰلُوطُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا) النائبة مناب (أدعو). ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، والألف دليل عليها. ﴿رُسُلُ﴾: خبر (إن)، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿يَصِلُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَأَسۡرِ﴾: الفاء: هي الفصيحة وانظر الآية [١٧] (أسر): أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِأَهۡلِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، أي: مصاحباً لهم، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿بِقِطۡعٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والباء بمعنى (في). ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة قطع، وجملة: (أسر...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً فأسر... إلخ. الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿يَلۡتَفِتۡ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية. ﴿مِنكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَحَدٌ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱمۡرَأَتَكَ﴾: مستثنى من الأهل، أي: فلا تسر بها، وبالرفع بدل من ﴿أَحَدٌ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير الشأن اسمها. ﴿مُصِيبُهَا﴾: خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿أَصَابَهُمۡ﴾: ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿مَآ﴾ وهو العائد، والجملة صلة الموصول، والجملة الاسمية في حل رفع خبر (إن)، وإنما أعربتها على هذا الوجه؛ لأن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة، وهو المعتمد، وعلى القول الضعيف يجوز اعتبار ﴿مُصِيبُهَا﴾ خبراً لـ (إنَّ)، و﴿مَآ﴾ تكون فاعلاً باسم الفاعل، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها، وجملة: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ مستأنفة لا محل لها، والهاء في محل جر بالإضافة وإن اعتبرته مصدراً ميمياً، فالإضافة تكون من إضافة المصدر الميمي لمفعوله. ﴿أَلَيۡسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (ليس): ماض ناقص. ﴿ٱلصُّبۡحُ﴾: اسمها. الباء: حرف جر صلة.

﴿بِقَرِيبٍ﴾: خبر (ليس) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿أَلَيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، ولعلك تدرك معي أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول الملائكة للوط عليه السلام، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي: بإهلاكهم وعذابهم. ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: وذلك أن جبريل ـ عليه السلام ـ أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط، وهي خمس، وأكبرها سدوم، وهي المؤتفكات المذكورة في الآية [٧١] التوبة، فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء بما فيها، حتى سمع أهل السماء نهيق حمرهم، وصياح ديكتهم، لم تنكفئ لهم جرة، ولم ينكسر لهم إناء، ولم ينتبه لهم نائم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي: على من كان خارجاً عنها من مسافريها قيل: إن الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط، حتى إن واحداً منهم دخل الحرم، فبقي الحجر معلقاً في السماء أربعين يوماً حتى خرج ذلك الرجل من الحرم، فسقط عليه الحجر، فأهلكه، وقيل: بعدما قلبها أمطر عليهم، والمعتمد الأول.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾: قالت طائفة، منهم ابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن إسحاق: إن «سجيلاً» لفظة غير عربية، عربت، أصلها «سنج» و«جيل»، ويقال: «سنك» و«كيل»، وهما بالفارسية حجر وطين، عربتهما العرب، فجعلتهما اسماً واحداً؛ لأن العرب إذا تكلمت بشيء من الفارسي، صار لغة للعرب، ولا يضاف إلى الفارسية، مثل سندس، واستبرق، ونحو ذلك، فكل هذه الألفاظ فارسية، تكلمت بها العرب، واستعملتها، فصارت عربية، وقيل في شرح: ﴿سِجِّيلٍ﴾ غير ذلك أقوال كثيرة، وانظر الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة وسلام، هذا؛ وأمطرت السماء ومطرت بمعنى واحد، وقيل: أمطر في العذاب، ومطر في الرحمة.

﴿مَّنضُودٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: متتابع يتبع بعضها بعضاً، وقال الربيع: نضد بعضه على بعض حتى صار جسداً واحداً، وقال عكرمة: مصفوف، وقال بعضهم: مرصوص والمعنى متقارب. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: معلمة، من السيما، وهي العلامة، وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من رمي به، وكانت لا تشاكل حجارة الأرض. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: هي من عند الله، وليست من حجارة الأرض.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾: قال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي هذه الأمة، والله ما أجار منها ظالماً بعده، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**سَيَكونُ في آخرِ أُمَّتي قوْمٌ يكتفي رجالُهُمْ**

بالرجالِ، ونساؤُهُمْ بالنِّساءِ، فَإذا كانَ ذَلِكَ، فارْتَقِبُوا عذابَ قَوْمِ لُوطٍ أَنْ يرسلَ الله علَيهِمْ حِجارةً مِنْ سِجِّيلٍ»، ثم تلا ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. وفي رواية عنه عليه الصلاة والسلام: «**لا تَذْهَبُ الليالي والأَيَّامُ حتى تَسْتَحِلَّ هَذِهِ الأُمَّةُ أدبارَ الرجالِ، كما استحلوا أدبارَ النِّساءِ، فتُصِيبَ طوائفَ هذِهِ الأمَّةِ حِجَارةٌ مِن رَبِّكَ**». وقيل: المعنى ما هذه القرى ببعيد من الظالمين يعني مشركي مكة، فإنها قريبة من بلاد الحجاز، وفي طريقهم إلى بلاد الشام في ذهابهم وإيابهم منها، ولم يؤنث بعيد؛ لأنه على إرادة الحجر أو المكان، أو على إرادة العقاب، ولا يبعد أن يسوى في أمثاله بين المذكر والمؤنث؛ لأنها على زنة المصادر كالصهيل، والشهيق.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: انظر الآية رقم [٧٧] لإعراب هذه الكلمات. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَالِيَهَا﴾: مفعول به أول. ﴿سَافِلَهَا﴾: مفعول به ثان، و(ها): في محل جر بالإضافة وهي عائدة على القرى، ولم يتقدم لها ذكر، ولكنها مفهومة من المقام، انظر ما ذكرته في الآية [٤٤] والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا حل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها مثله. ﴿مِنْ سِجِّيلٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿حِجَارَةً﴾. ﴿مَنْضُودٍ﴾: صفة: ﴿سِجِّيلٍ﴾. ﴿مُسَوَّمَةً﴾: صفة: ﴿حِجَارَةً﴾، أو هي حال منها بعد وصفها بما تقدم، وهي اسم مفعول فنائب فاعله يعود إلى ﴿حِجَارَةً﴾. ﴿عِنْدَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿مُسَوَّمَةً﴾، و﴿عِنْدَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية. ﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: متعلقان بـ (بعيد) بعدهما. ﴿بِبَعِيدٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (بعيد): خبر (ما) منصوب. مثل (قريب) في الآية السابقة، هذا؛ وإن اعتبرت (ما) تميمية فالضمير مبتدأ، وتكون الباء زائدة في خبره، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا هِيَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرت الجملة في محل نصب حال من الضمير العائد على القرى فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤)﴾

الشرح: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً، فهو مثل الآية رقم [٥٠] و[٦٠] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: انظر مثل هذا الكلام في الآية رقم [٥٠]، ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾: أمرهم بالتوحيد أولاً، فإنه ملاك الأمر، ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض، فقد كانوا مع كفرهم أهل بخس

وتطفيف، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام؛ أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون، وظلموا، وإن جاءهم مشترٍ للطعام باعوه بكيل ناقص، وشححوا له بغاية ما يقدرون، فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف. ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ أي: في سعة من الرزق وكثرة النعم، فلا تزيلوا هذه النعم عنكم بكفركم، وظلمكم غيركم. ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: يحيط بكم، فيهلككم جميعاً وهو عذاب الاستئصال في الدنيا، أو هو عذاب الآخرة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

بعد هذا فـ ﴿مَدْيَنَ﴾ هو اسم ابن إبراهيم الخليل، عليه السلام، ثم صار اسماً للقبيلة من أولاده، وهو المراد هنا، وانظر الآية [٣٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، وقيل: هو في الأصل اسم مدينة بناها مدين المذكور، فعلى هذا يكون التقدير: وأرسلنا إلى أهل مدين، فحذف المضاف لدلالة الكلام، وكان شعيب عليه السلام يقال له: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وهو ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم، فهو أخوهم في النسب، والإقامة معهم في البلد. وقد أثبت عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ: أن زمن شعيب كان قبل زمن موسى عليه السلام، وإذا عرفت أن موسى تزوج بنت شعيب، كما ستعرفه في سورة (القصص) ـ إن شاء الله تعالى ـ ظهر لك: أنهما كانا في عصر واحد، وإن كان شعيب أسنَّ من موسى بكثير عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه. ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾: انظر ما ذكرته في هذا الفعل في الآية رقم [٥٢]، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: أصله: المِوْزان، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، و﴿مُّحِيطٍ﴾ أصله: (مُحْوِط) لأنه من حاط يحوط، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى الحاء، فصار (مُحِوْط) ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة.

الإعراب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ إعراب هذا الكلام مثل الآية رقم [٥٠] بلا فارق. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَنقُصُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، وهو ينصب مفعولين، الأول محذوف، التقدير: ولا تنقصوا الناس. ﴿ٱلْمِكْيَالَ﴾: مفعول به ثان، وهو في الأصل مجرور بحرف جر، التقدير: ولا تنقصوا من المكيال، وقدَّر النسفي المكيل بالمكيال، ولا بأس به، ويجوز أن يكون المكيال المفعول الأول، والثاني محذوف، وفي ذلك مبالغة، والتقدير: ولا تنقصوا المكيال والميزان حقهما الذي وجب لهما، وهو أبلغ في الأمر بوفائهما. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وجملة: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ٱعْبُدُواْ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها.

﴿أَرَىٰكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به. ﴿بِخَيْرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل لها، والجملة بعدها معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿مُّحِيطٍ﴾: قال البيضاوي وغيره: هو صفة: ﴿يَوْمٍ﴾، ووصف اليوم بالإحاطة، وهي صفة: ﴿عَذَابَ﴾ لاشتماله عليه، وأرى: أنه صفة: ﴿عَذَابَ﴾، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة التي جلبها حركة الجوار قبله، وهو لفظ ﴿يَوْمٍ﴾ والجملتان الاسميتان بعد اعتبارهما تعليلاً للنهي، فهما في محل نصب مقول القول، لا محل لهما باعتبار، ولهما محل باعتبار آخر، ومثله كثير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: قال البيضاوي رحمه الله تعالى: صرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة، وتنبيهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف، بل يلزمهم السعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا يتأتى دونها. ﴿بِٱلْقِسْطِۖ﴾: بالعدل، والتسوية من غير زيادة ولا نقصان. ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أي: ولا تنقصوا الناس أموالهم، ولا تأكلوها بالباطل والعدوان. ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: ولا تفسدوا في الأرض من: عثى، يعثى، أو من: عثا، يعثو، من بابي تعب، ونصر، ومصدر الأول: عثي، ومصدر الثاني: عثو، هذا؛ والعثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع المعاملات، وكذلك يشمل جميع أنواع الفساد.

تنبيه: فقد وقع التكرار في الآية وسابقتها من ثلاثة أوجه؛ لأن الأمر بإيفاء الكيل والميزان هو مفهوم النهي عن نقصهما، وهو أيضاً مفهوم النهي عن بخس الناس أشياءهم، فما الفائدة من هذا التكرار، والجواب: أن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح، وهو ما أفادته الجمل الثلاث؛ احتيج في المنع منه، إلى المبالغة في التأكيد، والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد، فلهذا كرر ذلك ليقوي الزجر، والمنع من ذلك الفعل.

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [٢٨]. ﴿أَوْفُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْمِكْيَالَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِٱلْقِسْطِۖ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَوْفُواْ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، التقدير: تامَّين بالقسط. ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية.. إلخ، والواو فاعله،

والألف للتفريق. ﴿النَّاسَ﴾: مفعول به أول. ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾: مثل سابقه. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما. ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال مؤكدة لمعنى الفعل منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، هذا؛ والجمل في الآية معطوفة على بعضها، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول لأنها من مقول شعيب على نبينا، وعليه ألف صلاة وسلام.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، خير لكم، مما تأخذونه من التطفيف، وقال مجاهد: طاعة الله خير لكم، وقيل: بقية الله: ما أبقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن ما ذكر من الخيرية مشروط بوجود الإيمان، وهذا الشرط منصوص عليه في شريعة محمد ﷺ لقبول العمل الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، وغيرها كثير. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: أحفظكم وأمنعكم من القبائح، أو أحفظ عليكم أعمالكم، فأجازيكم عليها، وإنما أنا ناصح مبلِّغ، وقد أعذرت حين أنذرت. أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم، وانظر مثلها في سورة (يونس) رقم [١٠٨]، هذا؛ وقرئ (تقية الله) بمعنى: تقوى الله والخوف منه؛ التي تكف، وتردع عن المعاصي، وانظر شرح ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿بَقِيَّتُ﴾: مبتدأ، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾. والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنْتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الشرطية قيد للخيرية كما رأيت لا محل لها أيضاً. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِحَفِيظٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (حفيظ): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، هذا؛ وإن اعتبرت (ما) تميمية مهملة فالضمير مبتدأ، وتكون الباء زائدة في خبره، وعلى الاعتبارين فالجملة الاسمية في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى من اعتبارها مستأنفة.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: قوم شعيب له. ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ أي: من الأصنام أجابوا بذلك بعد أن أمرهم بالتوحيد، وإيفاء الكيل والميزان للناس، قالوا ذلك تهكُّماً واستهزاءً بصلاته، فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة، مواظباً على العبادة فرضها، ونفلها، ويقول: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلما أمرهم، ونهاهم؛ عيروه بكثرة الصلاة.

قال الحسن رحمه الله: لم يبعث الله نبياً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة. أقول: وتختلف الكيفية والكمية من رسول إلى رسول، هذا؛ وقد قرئ بجمع الصلاة.

﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ فالمصدر المؤول معطوف على ﴿مَا﴾، والتقدير: أصلاتك تأمرك أن نترك فعلنا في أموالنا، والمعنى: أتريد أن تسلبنا حريتنا في أموالنا؟! هذا؛ ويقرأ الفعلان بتاء المضارعة، والإعراب يوضح هذا.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أرادوا: السفيه الغاوي؛ لأن العرب قد تصف الشيء بضده، فيقولون للديغ: سليم، وللفلاة المهلكة: مفازة، وقيل: هو على حقيقته، وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية، وقيل: معناه: لأنت الحليم الرشيد في زعمك، وقيل: هو على بابه من الصحة، ومعناه: إنك يا شعيب فينا حليم رشيد، فلا يحسن بك شق عصا قومك، ومخالفتهم في دينهم.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿يَٰشُعَيۡبُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا) النائبة مناب (أدعو). ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وإنكار وتوبيخ. (صلاتك): مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿تَأۡمُرُكَ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (صلاتك)، والكاف مفعول به أول، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّتۡرُكَ﴾ في محل نصب مفعول به ثان لـ (تأمر)، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بترك، والجار والمجرور متعلقان به على أنهما مفعوله الثاني. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: أن نترك الذي، أو شيئاً يعبده آباؤنا، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: أن نترك عبادة آبائنا، هذا؛ والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّفۡعَلَ﴾ معطوف بـ ﴿أَوۡ﴾ على ﴿مَا﴾، هذا؛ وعلى قراءة الفعل بالتاء، فالمصدر المؤول من (أن تفعل) معطوف على ﴿أَن نَّتۡرُكَ﴾. ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا﴾: متعلقان بالفعل

قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى قراءة الفعل بالنون، يكون التقدير: نفعل في أموالنا الذي، أو شيئاً نشاؤه، أو نفعل مشيئتنا، وعلى قراءة الفعل بالتاء، يكون التقدير: تفعل في أموالنا الذي، أو شيئاً تشاؤه، أو تفعل مشيئتك، وجملة: ﴿تَأْمُرُكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَأَنتَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْحَلِيمُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلرَّشِيدُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن، هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير فصلاً لا محل له من الإعراب، و﴿ٱلْحَلِيمُ﴾ و﴿ٱلرَّشِيدُ﴾ يكونان خبرين لـ (إنَّ)، ودخلت اللام على ضمير الفصل؛ لأنه إذا جاز أن تدخل على الخبر، فدخولها على الفصل أولى؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ، بعد هذا لعلك تدرك معي: أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: ما أحراك أن تنظر شرح هذا الكلام إفراداً وجملاً في الآية رقم [٢٨] ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: رزقاً حلالاً، قيل: كان شعيب على نبينا، وعليه أزكى تحية وأفضل سلام كثير المال الحلال والنعمة، وقيل: (الرزق الحسن): ما آتاه الله من العلم، والهداية، والنبوة، والمعرفة، ولا بأس به؛ لأن قوله ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ يشير إلى العلم، والنبوة. . ، وجواب ﴿إِن﴾ الشرطية محذوف؛ إذ التقدير: أرأيتم إن كنت على علم، ومعرفة من ربي، ورزقني المال الحلال الكثير، فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة أن أخون في وحيه، أو أن أخالف أمره، أو أتبع الضلال، أو أبخس الناس أشياءهم، وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم، وذلك لأنهم قالوا له: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، والمعنى: فكيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أوامر ربه، وله عليه هذه النعم العظيمة؟! انتهى. خازن بتصرف.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ أي: ما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه؛ لأستبدَّ به دونكم، فلو كان صواباً لآثرته، ولم أعرض عنه، فضلاً عن أن أنهى عنه، يقال: خالفت زيداً إلى كذا: إذا قصدته وهو مولٍّ عنه، وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريد إلا إصلاحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح، فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه؛ لما نهيتكم عنه. ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: وما توفيقي

لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته؛ لأن التوفيق تسهيل سبيل الخير، والطاعة على العبد، ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت على الله في جميع أموري. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: ارجع إليه تعالى فيما ينزل من النوائب، أو أرجع إليه تعالى في معادي بعد الموت.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر يعود إلى شعيب. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة ضمير في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه، إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: (يا قومِي) ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول: (يا قومِيَ) ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: «يا قَوْمَا»، ومنهم من يقول: (يا قَوْمُ) بضم الميم، ففيه خمس لغات، ويزاد سادسة، وهي حذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فتقول، (يا قومَ). ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (رأيتم): فعل وفاعل، والميم علامة جمع الذكور. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان). ﴿مِّن رَّبِّي﴾: متعلقان بـ ﴿بَيِّنَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة لها، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . . إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كُنتُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. (رزقني): ماضٍ، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به ثان. ﴿حَسَنًا﴾: صفته، وجملة: (رزقني. . .) إلخ معطوفة على جملة: ﴿كُنتُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، وجواب الشرط محذوف انظر تقديره في الشرح. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أُرِيدُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والمصدر المؤول من ﴿أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ في محل نصب مفعول به، والكاف مفعول به. ﴿إِلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَآ﴾: موصولة أو موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ ﴿إِلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنْهَىٰكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾ أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلًّا بـ (عن). ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى (ما). ﴿أُرِيدُ﴾: مضارع، والفاعل (أنا). ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْإِصْلَٰحَ﴾: مفعول به. ﴿مَا﴾: مصدرية ظرفية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل ﴿أُرِيدُ﴾، التقدير: مدة استطاعتي. وقال البيضاوي: وقيل: ﴿مَا﴾ خبرية بدل من ﴿ٱلْإِصْلَٰحَ﴾، وهو يعني: أنها اسم موصول، أو مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر، والتقدير على الأول، ما أريد، إلا الإصلاح الذي استطعته، وعلى الثاني: ما أريد، إلا الإصلاح استطاعتي. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف

استئناف. (ما): نافية. ﴿تَوْفِيقِيٓ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وتقديمهما أفاد التخصيص. ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وما بعدها معطوفة عليها، وينبغي أن تعلم أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

تنبيه: بقي أن تعلم أن الفعل: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ يتعدى إلى مفعولين، وأن الثاني أكثر ما يكون جملة استفهامية ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر، كقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع؟ والمعنى أخبرني عن زيد ما صنع؟ إذا تقرر هذا؛ فالمفعول الأول هنا محذوف، ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه، والجملة الفعلية الاستفهامية المحذوفة التي رأيت تقديرها في الشرح، والمعتبرة جواباً للشرط هي دليل على المفعول الثاني المحذوف أيضاً، ويقدر مؤخراً عن الشرط؛ ليكون الشرط وجوابه كلاماً معترضاً بين المفعولين المقدرين كما يلي: قال: يا قوم أخبروني هل يسعني مع هذه النعم العظيمة... إلخ، إن كنت على بينة من ربي... فهل يسعني... إلخ، وقدره الجلال ووافقه الجمل كما يلي: أفأشو به بالحرام من البخس والتطفيف. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب لكم كما أصاب من كان قبلكم، قاله الزجاج، وقال الحسن وقتادة: لا يحملنكم معاداتي على ترك الإيمان، فيصيبكم ما أصاب الكفار، ويقرأ الفعل بضم الياء، وهو يؤيد التفسير الأول. ﴿مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾: يعني الغرق. ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ أي: الريح التي أهلكتهم. ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ﴾: يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعاً. ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾: وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم، وقيل: معناه: وما ديار قوم لوط منكم ببعيد، وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط، وبلادهم قريبة من بلادهم. انتهى. خازن. أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر، والمساوئ.

أقول: انظر ما أصاب هذه الأقوام من أنواع العذاب في هذه السورة، وفي سورة (الأعراف) أيضاً مع التعريف بكل رسول، وانظر شرح ﴿قَوْمِ﴾ في الآية [٢٨]، وإعلال (يصيب) في الآية [٥١] التوبة، شرح مثل في الآية [٢٤]، ويقرأ بفتح اللام على البناء، وانظر ما ذكرته في ﴿بِبَعِيدٍ﴾ في الآية رقم [٨٢]. وللشقاق ثلاثة معان: أحدها: العداوة كما في هذه الآية، والثاني: الضلال،

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ والثالث: الخلاف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا...﴾ إلخ؛ لأن كل واحد من المتشاقين يكون في شق غير شق صاحبه، أي: في ناحية، وجهة.

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، والكاف مفعول به أول. ﴿شِقَاقِىٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ في محل نصب مفعول به ثان أو هو في محل نصب بنزع الخافض. ﴿مِّثْلُ﴾: فاعل (يصيب) مرفوع، أو هو مبني على الفتح في محل رفع فاعل، و﴿مِّثْلُ﴾: مضاف، و﴿مَآ﴾ مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿أَصَابَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَآ﴾. ﴿قَوْمَ﴾: مفعول به، و﴿قَوْمَ﴾: مضاف، و﴿نُوحٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿أَصَابَ...﴾ إلخ صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع الفاعل إليها. ﴿قَوْمَ هُودٍ﴾: معطوف على ما قبله، وكذا ﴿قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ معطوف أيضاً. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية. ﴿قَوْمُ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿لُوطٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِّنكُم﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِبَعِيدٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (بعيد): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، هذا؛ وإن اعتبرت (ما) تميمية مهملة فـ ﴿قَوْمُ﴾ مبتدأ، والباء زيدت في خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، بعد هذا فالآية بكاملها معطوفة على ما قبلها، وهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي: من عبادة الأصنام. ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: من البخس، والنقصان في الكيل والميزان، وانظر الآية رقم [٣] تجد ما يسرك. ﴿رَحِيمٌ﴾: عظيم الرحمة لعباده إذا استغفروا، وتابوا. ﴿وَدُودٌ﴾: فاعل بهم من اللطف، والإحسان ما يفعل البليغ من المودة بمن يوده، وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار. انتهى. بيضاوي.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الودود المحب لعباده المؤمنين؛ أي: فهو من قولهم: وددت الرجل أوده: إذا أحببته، الود: المودة والمحبة، وهو بتثليث الواو.

الإعراب: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: انظر الآية [٣] ففيها الكفاية. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّى﴾: اسمها منصوب. وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم...

إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾: خبر بعد خبر، والجملة الاسمية تعليل للأمر لا محل لها، والآية معطوفة بكاملها على ما قبلها، فهي من مقول شعيب على نبينا، وعليه الصلاة، والسلام.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾

الشرح: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾: يعني ما نفهم كثيراً من قولك كوجوب التوحيد، وحرمة التطفيف والتبخيس في الكيل والميزان، وذلك لقصور عقولهم، وعدم تفكرهم، وقيل: ما قالوا ذلك استهانة بكلامه واحتقاراً له، وقيل: ما نفهم لأنك تحملنا على أمور غائبة من البعث والحساب... إلخ. ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: قال ابن عباس، وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ: كان أعمى، قال الزجاج: ويقال: إنَّ حمير كانوا يسمون المكفوف: ضعيفاً.

وقال أبو الحسن، وأبو روق، ومقاتل: يعني ذليلاً، قال أبو روق: إن الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيّاً أعمى، ولا نبيّاً به زمانة، وقال السدي: وحيداً، ليس لك جند وأعوان تقدر بها على مخالفتنا. أقول: ويؤيده قولهم: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي: بالحجارة حتى تموت، وقيل: لشتمناك، والأول أقوى، وكان رهطه من أهل ملتهم؛ أي: على دينهم. ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: يعني: بكريم، وقيل: بغالب ولا قاهر ولا ممتنع منا، وهذا يفيد: أنه لم يكن له عندهم حرمة ولا مهابة في صدورهم، وأنهم لم يقتلوه، ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش؛ لأجل احترامهم أهله وعشيرته، لا لقوتهم، بل لموافقتهم لهم في الدين، بعد هذا فالفقه: الفهم، وفقِه يفقَه من باب علم، يعلم: صار فقيهاً، والفقه العلم بالشيء، ثم صار علماً على العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال: فقِه الرجل، يفقَه، فهو فقيه: إذا فهم، والفعل من باب فهم الذي هو بمعناه، وفقُه من باب ظرف، وكرُم: صار فقيهاً. والرهط: اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل معشر ونفر، والرهط: العشيرة، وهو يطلق على العدد من الثلاثة إلى العشرة، وجمعه: أراهط، وأرهط، ولا يطلق الرهط إلا على الرجال.

الإعراب: ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿يَا شُعَيْبُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا) النائبة مناب «أدعو». ﴿مَا﴾: نافية. ﴿نَفْقَهُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿كَثِيرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ «مِنْ»، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء تقوله، وعلى الثالث تؤول (ما) مع الفعل بمصدر في محل جر بـ «مِنْ»، التقدير: من

قولك. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها. ﴿لَنَرَىٰكَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (نراك): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به. ﴿فِينَا﴾: متعلقان بما بعدهما، وهو أقوى من تعليقهما بالفعل قبلهما. ﴿ضَعِيفًا﴾: حال من الكاف، وجملة: ﴿لَنَرَىٰكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية (إنا...) إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿نَفْقَهُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿رَهْطُكَ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، والخبر محذوف، تقديره: موجود، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، واللام واقعة في جواب (لولا)، والجملة الفعلية جواب (لولا) لا محل لها. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية [٨٨] ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ...﴾ إلخ والجملة الاسمية في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: يعني أكرم عندكم، وأهيب في صدوركم من الله حتى تركتم قتلي، أو شتمي ومنقصتي لمكان عشيرتي عندكم، فالأولى أن تجلوني وتكرموني لأجل الله، لا لرهطي؛ لأنه تعالى أعز، وأعظم. ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي: جعلتم أمر الله وراء ظهوركم كالشيء المنبوذ المنسي الذي لا يؤبه له. ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: عالم بأحوالكم جميعاً لا يخفى عليه منها شيء، فيجازيكم بها يوم القيامة.

هذا؛ و(الظهري) بكسر الظاء منسوب إلى الظهر بفتحها، وهو من تغييرات النسب، كما قالوا في أمس: إمسي بكسر الهمزة، وفي الدهر دهري بضم الدال، وقيل: الضمير المنصوب يعود على العصيان: أي: اتخذتم العصيان عوناً على عداوتي، فالظِّهْرِي على هذا بمعنى: المعين المقوي. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى شعيب عليه السلام. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿أَرَهْطِىٓ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (رهطي): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿أَعَزُّ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «هو». ﴿عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: كلاهما متعلقان بـ ﴿أَعَزُّ﴾. ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾: الواو: حرف عطف. (اتخذتموه): ماض مبني على السكون، والتاء

فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به أول. ﴿وَرَاءَكُمْ﴾: ظرف متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بما بعده، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ظِهْرِيًّا﴾: مفعول به ثان، هذا؛ وجوز اعتبار الظرف المفعول الثاني، و﴿ظِهْرِيًّا﴾ حال من الضمير المنصوب، كما جوز اعتبار الفعل متعدياً لمفعول واحد، و﴿ظِهْرِيًّا﴾ حالاً، والظرف متعلق به أو بالفعل. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿رَبِّي﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿مُحِيطٌ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي أو بشيء تعملونه وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿مُحِيطٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، بعد هذا ينبغي أن تعلم: أنَّ الآية الكريمة كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ...﴾

الشرح: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ أي: على غاية تمكنكم، واستطاعتكم، يقال: مكن مكانة: إذا تمكن أبلغ التمكن، أو المعنى: على ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التي أنتم عليها، من قولهم: مكان ومكانة كمقام ومقامة، ويقرأ مكاناتكم بالجمع في كل القرآن، وهو أمر تهديد ووعيد، أي: اثبتوا على كفركم وعداوتكم، فهو كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾. ﴿إِنِّي عَٰمِلٞ﴾ أي: ثابت على ما كنت عليه من المصابرة، والتوحيد والإيمان. ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: فهو تهديد ووعيد بصيغة المضارع الذي هو للمستقبل بعد التهديد والوعيد بصيغة الأمر.

تنبيه: ذكرت الآية الكريمة بحروفها في سورة (الأنعام) برقم [١٣٥] وقد اقترنت هناك ﴿سَوۡفَ﴾ بالفاء، ولم تقرن ولم تسبق بها هنا، والسبب في ذلك: أن الفاء هناك للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك، وحذفها هاهنا لأنه جواب سائل، قال: فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل. انتهى. بيضاوي.

وقال النسفي: وإدخال الفاء في ﴿فَسَوۡفَ﴾ وصل ظاهر بحرف وضع للوصل، ونزعها وصل تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا على مكانتنا، وعملت أنت؟ فقال: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، والإتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة، وأبلغهما الاستئناف. انتهى. وهذا الاستئناف يسمى في علم البيان بالاستئناف البياني.

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية [٨٧]. ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو

الجماعة، التقدير: اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة، والقدرة، والجملة الاسمية: ﴾ تعليل للأمر لا محل لها. : حرف تسويف واستقبال. : مضارع وفاعله، ومفعوله في الآية التالية، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، ولعلك تدرك معي أن الآية بكاملها معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿. . . مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿ ﴾: يذله ويهينه والمراد به عذاب الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وانظر ﴿ ﴾ في الآية [٧٨]. أي: سوف تعلمون من الكاذب مني أو منكم. ﴿ ﴾ أي: انتظروا العاقبة، وما يؤول إليه أمري، وأمركم. ﴾ أي: منتظر. أو المعنى: انتظروا العذاب والسخطة، فإني منتظر النصر والرحمة، والرقيب: بمعنى المراقب.

الإعراب: ﴿ ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿ ﴾، وتحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ، التقدير: أينا يأتيه العذاب، وجملة: ﴾ صلة ﴿ ﴾ على اعتبارها موصولة، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها استفهامية مبتدأ، وعليه يكون الفعل ﴿ ﴾ معلقاً عن العمل، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعوله، وانظر الآية رقم [٣٩]. : مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى ﴿ ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿ ﴾. (من): اسم موصول معطوف على سابقه، والجملة الاسمية: صلته، وعلى اعتبار (من) اسم استفهام مبتدأ فالضمير يكون فصلاً لا محل له، و خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. (ارتقبوا): فعل أمر وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: . : حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿ ﴾: ظرف مكان متعلق بـ بعده، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ ﴾: خبر (إن)، والجملة الاسمية تعليل للأمر لا محل لها، وهي بدورها من مقول شعيب عليه السلام. تأمل، وتدبر.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿ ﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٥٨] فهو مثله بلا فارق، مع لفت النظر إلى ما يلي:

قال البيضاوي رحمه الله تعالى: إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد؛ إذ لم يسبقه ذكر وعد، يجري مجرى السبب له، بخلاف قصتي صالح، ولوط، فإنه بعد ذكر الوعد، وذلك في قوله: ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فلذلك جاء بفاء السببية. ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ...﴾ إلخ: هذا الكلام مثل الآية رقم [٦٧] مع ملاحظة تأنيث الفعل هنا على لفظ ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾، وتذكيره هناك على تأويل: ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ بالصياح، أو قل: يجوز تأنيث الفعل، وتذكيره لسببين: الأول الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول الثاني، كون ﴿ٱلصَّيْحَةُ...﴾ مؤنثاً مجازياً، وما كان من هذا يجوز تأنيث الفعل وتذكيره معه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة؛ غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم، هذا؛ وقد ذكر الله في الآية رقم [٧٣] من سورة (الحجر) أنه أخذ قوم لوط بالصيحة أيضاً، انظر الكلام هناك.

الإعراب: أرجو أن تنظر إعراب (لما) ومدخولها في الآية رقم [٥٨] وإعراب ما يشبه هذا الكلام أيضاً في الآية رقم [٧] وفي الآية [٨٢]، أما إعراب: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟...﴾ إلخ فانظره في الآية رقم [٦٧] ففيه الكفاية، وذلك بغية الاختصار.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾: انظر الآية رقم [٦٨]، وانظر ﴿بُعْدًا﴾ في الآية رقم [٤٤].

الإعراب: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾: انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية [٦٨]. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿بُعْدًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف. ﴿لِّمَدْيَنَ﴾: متعلقان بـ﴿بُعْدًا﴾، أو بمحذوف صلة له، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿كَمَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿بُعْدًا﴾. و(ما): تحتمل الموصولة والمصدرية، فعلى الأول الجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد: محذوف، التقدير: بعداً كائناً كالذي بعدته ثمود، وعلى الثاني تؤول (ما) مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالكاف، التقدير: بعداً كائناً كإبعاد ثمود عن رحمة الله تعالى.

تنبيه: وبعد أن أهلك الله أهل مدين بالصيحة المعبر عنها في آية أخرى بالرجفة، وهي الزلزلة، ونجّى شعيباً والذين آمنوا معه أرسله إلى أصحاب الأيكة، وهي غيضة تنبت ناعم الشجر، كانت بقرب مدين، تسكنها طائفة من عباد الله، قيل: كانوا بادية مدين، وكان شعيب عليه السلام أجنبياً منهم، وكانوا على مثل طريقة أهل مدين، من كفر وبخس للكيل، والميزان، فلما نهاهم عما هم فيه، قالوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

﴿ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ ظناً منهم أن الله تعالى، لا يرسل إلى البشر هداةً منهم، جهلاً منهم بأن الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وكان من شدة حماقتهم أن يطلبوا من شعيب أن يسقط عليهم كسفاً من السماء ـ أي: قطعة منها ـ إن كان من الصادقين، ولشدة جهلهم لم يطلبوا الهداية إلى الحق، ولم يتعظوا بما حصل لأهل مدين من الهلاك، فأخذهم عذاب يوم الظلة، بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت مياههم، ثم ساق إليهم غمامة فاجتمعوا للاستظلال بها من وهج الشمس، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا. انتهى. قصص الأنبياء للنجار بتصرف.

أقول: قد أشار الله إلى هؤلاء القوم في سورة (الحجر) بآيتين فقط، وفصَّلها في سورة (الشعراء) تفصيلاً وافياً من آية رقم [١٧٦] إلى آية رقم [١٩١].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: هذه قصة سابعة ذكرت في هذه السورة الكريمة بعد ذكر قصة نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وقد ذكرت هذه القصص في سورة (الأعراف) على هذا الترتيب، من غير تعرض لقصة إبراهيم عليه السلام هناك، وقصة موسى مع فرعون ذكرت هنا بإيجاز هو شبيه بالإشارة إليها، بينما ذكرت في سورة (الأعراف) بالتفصيل الوافي الكافي، والمراد بالآيات المعجزات التي ذكرها ربنا جل علاه في سورة (الأعراف) منها ثمانية في (الأعراف)، والتاسعة في سورة (يونس)، وهي الطمس على الأموال والشدة على القلوب، الآية رقم [٨٨]. ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾: هو المعجزات الباهرة منها، أو هي العصا خاصة، والإفراد بالذكر لإظهار شرفها؛ لكونها أكبرها، وأعظمها، أو المراد بالآيات ما عداها، أو هما عبارة عن شيء، أي: أرسلناه بالبرهان الجامع بين كونه آياتنا، وبين كونه سلطاناً له على نبوته، واضحاً في نفسه، أو موضحاً إياها. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: اتبعوا طريقة فرعون المعوجة، وأعرضوا عن طريقة موسى الرشيدة الداعية إلى الخير والهدى، والإحسان، والإيمان. ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: بسديد يؤدي إلى صواب، أو بمرشد إلى خير، بل هو غي محض وضلال خالص؛ لأنه منهمك في الكفر والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده.

بعد هذا ﴿مُوسَىٰ﴾: أصله: موشى بالشين مركب من اسمين: الماء والشجر، فالماء يقال له في العبرانية: (مو)، والشجر يقال له: (شا) فعربته العرب، وقالوا: موسى بالسين، وسبب تسميته بذلك: أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء والشجر، لما رمته أمه فيه، كما هو مذكور في سورة (طه) والقصص هذا؛ و﴿مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران، بن قاهت، بن لاوي، بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم، على نبينا، وعليهم ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام.

﴿وَسُلْطَانٍ﴾: حجة، قال بعض المفسرين المحققين: سميت الحجة سلطاناً؛ لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه، كالسلطان يقهر غيره، وقال الزجاج: السلطان هو الحجة، وسمي السلطان سلطاناً؛ لأنه حجة الله في الأرض. انتهى. خازن. هذا؛ وجمع السلطان بمعنى الحاكم والمالك: سلاطين؛ ولا يجمع إذا كان بمعنى الحجة.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: قال الجمل: قال المسعودي: ولا يعرف لفرعون تفسير في العربية، وظاهر كلام الجوهري أنه مشتق من معنى العتو، فإنه قال: والفراعنة العتاة، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة، أي: دهاء ومكر، وفرعون لقب لمن ملك العمالقة في مصر، كقيصر، وكسرى لملكي الروم والفرس، وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن الريان، وقيل: ابنه الوليد من بقايا عاد، وفرعون يوسف عليه السلام، ريان بن الوليد، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة. ﴿وَمَلَإِيْهِ﴾: انظر الآية رقم [٢٧] وانظر إعلال ﴿مُّبِينٍ﴾ ومعناه في الآية رقم [٦]، وانظر (نا) في الآية [٨].

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب مثله في الآية [٢٥] ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مُوسَىٰ﴾ أي: حال كونه ملتبساً بآياتنا، و(نا) في محل جر بالإضافة. (سلطان): معطوف على ما قبله. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفته. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. (ملئه): معطوف على فرعون، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. (اتبعوا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَمْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ من إضافة المصدر لفاعله. والجملة الفعلية معطوفة على مقدر، أي: فكفر بها فرعون وأمرهم بالكفر ﴿فَاتَّبَعُوا...﴾ إلخ والكلام كله معطوف على جواب القسم لا محل له مثله ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ في الآية [٨٨]، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والرابط: الواو، وإعادة اللفظ بعينه، للتحقير، والتقبيح، والاستئناف ممكن.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يتقدم قومه إلى النار؛ إذ هو رئيسهم، كما كان يتقدمهم في الدنيا إلى الضلال، يقال: قَدَمَهم، يقْدُمُهم، قدْماً، وقدوماً، إذا تقدمهم. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾

﴿ٱلنَّارَ﴾: أدخلهم فيها، ذكره بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه، وقيل: بل هو ماض على حقيقته، وهذا قد وقع وانفصل، وذلك: أنه أوردهم في الدنيا النار، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، ونزل النار منزلة الماء، فسمي إتيانها مورداً على سبيل الاستعارة التصريحية، وقيل: استعارة مكنية تهكمية للضد، وهو الماء، وإثبات الورد لها تخييل، ومثل الآية الكريمة قول الشاعر: [الطويل]

تَعَزَّ فَلَا إِلْفَيْنِ بِالْعَيْشِ مُتِّعَا ... وَلَكِنْ لِوُرَّادِ الْمَنُونِ تَتَابُعُ

﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ أي: المورد الذي وردوه، فإن المورد يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش، والنار بالضد، هذا؛ والمورد: المنهل من الماء، والمورود الماء الذي يورد والموضع الذي يورد، وهو بمعنى المفعول، والأول بمعنى المصدر، فاستعير للنار كما في الذي قبله، ومن يرد على الماء يقال له: وارد، وجمعه واردون ووراد، قال الشاعر: [البسيط]

رِدُوا فواللهِ لَا زُذْنَاكُمُو أَبَداً ... مَا دَام فِي مَائِنَا وِرْدٌ لِوُرَّادِ

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أصلها: القوامة؛ لأنها من قام يقوم، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، سميت القيامة بذلك لقيام الناس في ذلك اليوم من قبورهم، وانظر شرح ﴿وَبِئْسَ﴾ في الآية رقم [٤١] من سورة (الأنفال)؛ فإنه جيد، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَقْدُمُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى فرعون. ﴿قَوْمَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿يَقْدُمُ...﴾ إلخ تعليل للنفي المذكور في الآية السابقة. (أوردهم): ماض ومفعوله، وفاعله يعود إلى فرعون، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿ٱلنَّارَ﴾: تنازعه كل من الفعلين السابقين، فأعمل الثاني على مذهب البصريين، ولو أعمل الأول على مذهب الكوفيين، لكان الكلام كما يلي: (يقدم قومه إلى النار... فأوردهم إياها) فأعمل الثاني، وحذف من الأول اكتفاء به، وصح عطف الجملة الثانية؛ لأنها بمعنى المستقبل كما رأيت. (بئس): ماض جامد لإنشاء الذم. ﴿ٱلْوِرْدُ﴾: فاعل: (بئس). ﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾: صفته، وحذف المخصوص بالذم؛ إذ تقدير الكلام: بئس الورد المورود المذمومة النار.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ﴾ أي: الدنيا. ﴿لَعْنَةً﴾: بعداً وطرداً من رحمة الله، وانظر الآية رقم [٤٤] من سورة (الأعراف). ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: ولعنة في يوم القيامة، فحذف لدلالة الأول عليه. ﴿ٱلرِّفْدُ﴾: بكسر الراء العطاء والجود، وهو بفتح الراء: القدح الضخم الذي يقدم فيه الشراب، قال الأعشى: [الخفيف]

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ

والمراد بـ ﴿ٱلرِّفْدُ﴾ في الآية الكريمة العون و﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾ المعان، والمراد بالأول: اللعنة الأولى، وبالثاني: اللعنة الثانية، وهذا استعارة كما في الآية السابقة، وهو تهكم به واستهزاء، وإلا فاللعنة إذلال لهم، وإنزال بهم إلى الحضيض الأسفل من النار، وأردفت الأولى بالثانية ليكونا هاديين لهم إلى طريق الجحيم، بل إلى سواء الجحيم.

الإعراب: ﴿وَأُتْبِعُواْ﴾: الواو: حرف استئناف. (أتبعوا): ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿فِي هَٰذِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَعْنَةً﴾: مفعول به ثان. (يوم): ظرف زمان معطوف على محل: ﴿فِي هَٰذِهِۦ﴾ فهو متعلق ضمناً بالفعل: (أتبعوا)، و(يوم) مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، ومثلها جملة: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ وإعرابها مثل إعراب ما قبلها بلا فارق.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما تقدم ذكره من أخبار الأمم المذكورة في هذه السورة. ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾: من أخبار القرى التي أهلكها الله تعالى، هذا؛ والقرى: جمع قرية، وهي في الأصل اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على المدينة الكبيرة وغيرها، كيف لا؟ وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى، قال: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾. ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾: نخبرك به؛ لتخبر قومك أخبار الأمم السابقة، لعلهم يعتبرون به، فيهتدون إلى الإيمان، هذا؛ والقصص: تتبع الأثر، يقال: قص فلان أثر فلان، أي: تتبعه؛ ليعرف أين ذهب، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول أم موسى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره، وإنما سميت الحكاية قصة؛ لأن الذي يقص الحديث، يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً. ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾: قال قتادة: القائم ما كان خاوياً على عروشه، والحصيد ما لا أثر له، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: القائم العامر، والحصيد الخراب، أي: محصود كالزرع، قال الشاعر في المعنى، والإعراب مثل الآية الكريمة: [الكامل]

والنَّاسُ في قَسْمِ الْمَنِيَّةِ بينهُمْ كالزَّرْعِ مِنْهُ قائِمٌ وحصيدُ

وفي: ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ استعارة تبعية؛ لأن المستعار اسم مشتق، اسم فاعل واسم مفعول. وجمع حصيد: حَصْدَى، وحِصاد، مثل مَرْضَى، ومِراض، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر ما ذكرته في الآية [٤٩].

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مِنْ أَنبَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ و﴿أَنبَآءِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿نَقُصُّهُۥ﴾: مضارع، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ، أو هي في محل نصب حال من ﴿أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾، والعامل في الحال اسم الإشارة، وهناك أقوال أخر ذكرتها في الآية رقم [٤٩] والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿قَآئِمٌ﴾: مبتدأ مؤخر، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. (حصيد): معطوف على ما قبله عطف مفرد على مفرد، أو هو مبتدأ خبره محذوف لدلالة ما قبله عليه، فيكون العطف عطف جملة اسمية على مثلها، ونائب فاعل (حصيد) مستتر فيه، هذا هو الإعراب الظاهر، ولا أعتمده، وإنما أعتمد ما ذكرته في الآية رقم [١٠٥] الآتية.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ أي: بالهلاك والتدمير، والضمير المنصوب يعود إلى أهل القرى. ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بأن عرضوها للهلاك بارتكاب ما يوجبه من الكفر، والمعاصي. ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نفعتهم، ولا قدرت أن تدفع عنهم العذاب، ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ...﴾ إلخ: أي: أصنامهم التي كانوا يقدسونها، ويعظمونها من دون الله. ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: جاء أمره سبحانه وتعالى بإهلاكهم للملائكة الذين تولوا ذلك. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ أي: ما زادتهم أصنامهم غير الهلاك، والخسار، فالتباب، والتتبيب: مصدران، والفعل: (تب)، ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: خسرت يداه وهلكت، قال لبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه: [الكامل]

فلَقدْ بَلِيتُ، وكُلُّ صاحِبِ جِدَّةٍ ... لِبِلًى يعودُ، وذاكُمُ التَّتْبِيبُ

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والميم علامة جمع الذكور، والجملة الفعلية في محل نصب حال من أهل القرى، والرابط: الواو، والضمير، والاستئناف ممكن. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَغْنَتْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف

المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة التي هي حرف لا محل له. : متعلقان بالفعل قبلهما، : فاعل: ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: . : مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. : متعلقان بالفعل قبلهما، و : مضاف، و : مضاف إليه، والجملة الفعلية: إلخ في محل نصب خبر لـ «كان» المحذوفة مع اسمها، و(كان) واسمها وخبرها صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: التي كانوا يدعونها من دون الله. وتقدير (كان) يتطلبها المعنى، وإن كان حذفها يقع بعد (إن) و(لو) الشرطيتين غالباً، : حرف صلة. : مفعول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. : ظرف زمان بمعنى (حين) مبنية على السكون في محل نصب متعلقة بالفعل: ، وجملة: في محل جر بإضافة إليها. : الواو: واو الحال. (ما): نافية. : ماض وفاعله، ومفعوله الأول. : مفعول به ثان، و : مضاف، و : مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ، أو من الضمير العائد على الكفار، والرابط: الواو، والضمير على الاعتبارين، هذا؛ والاستئناف ممكن.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: أي: ومثل الأخذ المذكور فيما تقدم إهلاك أهل القرى فيما يستقبل من الحياة، وهذا على قراءة التي هي للمستقبل، هذا؛ وقرئ: (أخذ ربك) بالفعل الماضي، و(إذْ) التي للماضي أيضاً، فيكون المعنى: وكذلك أخذ ربك من أخذهم من الأمم المهلكة وقت أخذهم. أي: وأهل القرى ملتبسون بالكفر، والمعاصي، ومعاندة الواحد القهار. أي: إن انتقام الله من الظالمين مؤلم موجع غير مرجو الخلاص منه، وهو مبالغة في التهديد والوعيد، والتحذير والنذير.

فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**». ثم قرأ الآية الكريمة.

قال الخازن: فالآية الكريمة والحديث الشريف دليل على أن من أقدم على ظلم فإنه يجب عليه أن يتدارك ذلك بالتوبة والإنابة، ورد الحقوق إلى أهلها، إن كان الظلم للغير؛ لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم، والعذاب الشديد، ولا يظن أن هذه الآية حكمها مختص بظالمي الأمم الماضية، بل هو عام في كل ظالم، ويعضده الحديث، والله أعلم. انتهى. وما أحراك أن تنظر

ما ذكرته في الآية رقم [١٨٠] من سورة (الأعراف)، والآية رقم [٢٣] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. : مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و : مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، وهذا على اعتبار: مصدراً، وأما على اعتباره فعلاً، فالجار والمجرور (كذلك) متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: أَخَذَ رَبُّكَ القرى أخذاً كائناً مثل الأخذ المذكور، ويكون مرفوعاً على أنه فاعله، والجملة الاسمية أو الفعلية على الاعتبارين مستأنفة لا محل لها. : ظرف لما يستقبل، أو لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالمصدر، أو بالفعل على القراءتين، : ماض، وفاعله يعود إلى: . : تنازعه كلٌّ من (أخذ) و(أخذ)، فأعمل الثاني على مذهب البصريين، وحذف الضمير من الأول؛ لأنه فضلة على حد قول ابن مالك ـ رحمه الله ـ في ألفيته:

وَلَا تَجِئْ مَعْ أَوَّلٍ قَدْ أُهْمِلَا ... بِمُضْمَرٍ لِغَيْرِ رَفْعٍ أُوهِلَا

ولا تنس: أن في الأصل مضاف إليه، فلما حذف المضاف حل محله، وجملة: في محل جر بإضافة ، أو إذ إليها، والجملة الاسمية: في محل نصب حال من: ، والرابط: الواو، والضمير. : حرف مشبه بالفعل. : اسم ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف؛ إذ التقدير: أخذه الظالمين. : خبر: . : خبر ثان، والجملة الاسمية: إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها على الوجهين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: أي: فيما نزل بالأمم الهالكة، أو فيما قصه الله علينا من قصصهم. : لعبرة وعظة. أي: يتعظ بالآية من كان يخشى الله، ويخاف عذابه في الآخرة؛ لأن ما نزل بالكافرين الأولين من أنواع العذاب إنما هو كالأنموذج مما أعد لهم في الآخرة، فيعتبر به العاقل، فيكون سبباً في زيادة خوفه، وخشيته من الله، ولا يلتفت لمن أنكر الآخرة، وأحال فناء الأمم السابقة لأسباب فلكية، اتفقت في تلك الأيام، لا لذنوب المهلكين بها. : إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة. أي: إن يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين للحساب، والوقوف بين يدي رب العالمين.

﴿مَّشۡهُودٌ﴾ أي: يشهده أهل السموات والأرض، والأصل: مشهود فيه أهل السموات والأرض، فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به، قال في الحماسة: [البسيط]

وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتَ الْغَائِبِينَ بِهِ في مَحْفَلٍ مِنْ نَوَاصي النَّاسِ مَشْهُودِ

إذ المراد: مشهود فيه، لا مشهود في نفسه؛ لأن سائر الأيام مشهودة كلها لجميع الناس، ومنه قولهم: لفلان مجلس مشهود، وطعام محضور، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿لَأٓيَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (آية): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لِّمَنۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (آية)، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، وجملة: ﴿خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ صلة (من)، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يَوۡمٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مَّجۡمُوعٌ﴾: صفة: ﴿يَوۡمٌ﴾. ﴿لَّهُ﴾: متعلقان بـ ﴿مَّجۡمُوعٌ﴾. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: نائب فاعله، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وما بعدها معطوفة عليها لا محل لها مثلها، ونائب الفاعل محذوف، أي: فيه؛ إذ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف بنائب فاعل.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ﴾ أي: ما نؤخر ذلك اليوم، وهو اليوم المشهود إلا إلى وقت معلوم محدود، لا يعلمه إلا الله تعالى. ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ أي: ذلك اليوم، أو الله، بدليل قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ...﴾ إلخ. ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ أي: لا تتكلم بما ينفع من جواب أو شفاعة. ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ أي: إلا بإذن الله، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، هذا؛ وقد حذفت إحدى التاءين من الفعل: ﴿تَكَلَّمُ﴾ وهذا الحذف كثير في القرآن، والكلام العربي. ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ﴾: وجبت له النار بمقتضى الوعيد المترتب على الكفر والمعاصي. ﴿وَسَعِيدٌ﴾: وجبت له الجنة بمقتضى الوعد المترتب على الإيمان، والعمل الصالح.

بعد هذا فقد قرأ أبو عمرو والكسائي ونافع الفعل ﴿يَأۡتِ﴾ بإثبات الياء وصلاً، وحذفها وقفاً، وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلاً ووقفاً، وباقي السبعة قرؤوا بحذفها وصلاً ووقفاً، وقد وردت المصاحف بإثباتها، وحذفها، ففي مصحف أُبي إثباتها، وفي مصحف عثمان حذفها، وإثباتها هو

الوجه؛ لأنها لام الكلمة، وإنما حذفوها في القوافي والفواصل؛ لأنها محل الوقوف. انتهى. جمل. هذا؛ ومثلها: (نبغ) في الآية [٦٤] من سورة (الكهف).

تنبيه: فإن قيل: كيف يمنع التكلم في ذلك اليوم العظيم الهول مع قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ وقوله إخباراً عن حجاج الكفار: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فالجواب أن يوم القيامة طويل وفيه أحوال مختلفة، ففي بعض الأحوال لا يقدرون على الكلام، لشدة الأهوال، وفي بعض يؤذن لهم في الكلام، فيتكلمون، وفي بعضها تخف عنهم تلك الأهوال، فيحاجون ويجادلون وينكرون.

ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الْغَرْقَدِ، فأتانَا رسولُ الله ﷺ، فقعَد وقعدْنا حَوْلَه، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فنكَّسَ رَأْسَهُ، وجعل ينكتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثمَّ قال: «**ما منكمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا وَقَدْ كُتِبَ مقعدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ومقعدُهُ مِنَ النارِ، فقَالُوا: يا رسولَ الله! أفلَا نتَّكِلُ على كِتَابِنا؟ فقالَ: اعْمَلُوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أما من كان من أهل السعادة؛ فسيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشَّقاوةِ فَسَيَصِيرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشقاوَةِ**». ثُمَّ قَرَأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، أو هي حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿نُؤَخِّرُهُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِأَجَلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّعْدُودٍ﴾: صفة: (أجل): متعلقان بالفعل قبلهما، ونائب فاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة لا محل لها، وذلك بالإعراض عما قبلها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان وفي ناصبه أوجه: أحدها: أنه الفعل بعده، والتقدير: لا تكلم نفس يوم يأتي ذلك اليوم. الثاني: أنه منصوب بـ «اذكر» مقدراً، والثالث: أن ينتصب بالانتهاء المحذوف في قوله ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾، أي: ينتهي الأجل يوم يأتي. والرابع: أنه منصوب بـ «لا تكلم» مقدراً، ولا حاجة إليه... انتهى. جمل نقلاً عن السمين، وأقواها أولها، وأضعفها آخرها. ﴿يَأْتِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة، أو الثابتة حسبما رأيت، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى ﴿يَوْمَ﴾، أو إلى الله، أو إلى الجزاء. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَكَلَّمُ﴾: مضارع. ﴿نَفْسٌ﴾: فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِإِذْنِهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، وإن اعتبرتهما متعلقين بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف؛ فلست مفنداً، والتقدير: لا تتكلم نفس تكليماً كائناً إلا بإذنه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا تَكَلَّمُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط محذوف؛ إذ التقدير:

لا تكلم فيه... إلخ، أو هي في محل نصب صفة: ﴿يَوْمَ﴾، والرابط محذوف؛ أيضاً أو هي مفسرة لا محل لها، وذلك بحسب اختلاف الناصب لـ ﴿يَوْمَ﴾، ﴿فَمِنْهُمْ﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (منهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شَقِيٌّ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. (سعيد): مبتدأ، حذف خبره لدلالة ما قبله عليه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، هذا هو الإعراب الظاهر، والأصح: أن مضمون (منهم) مبتدأ، و﴿شَقِيٌّ﴾ هو الخبر؛ لأن من الجارة دالة على التبعيض، أي: وبعض الناس شقي، وبعضهم سعيد، ولا استبعاد في وقوع الجار والمجرور مبتدأ بتأويل معناه، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فعطف (أكثرهم) على ﴿مِّنْهُمُ﴾ يؤيد أن معناه: بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لَا تُرامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمِشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظ: (منهم) بما هو مبتدأ، أعني لفظة: (بعضهم) وهذا مما يدل على أن مضمون (منهم) مبتدأ، هذا؛ وليوث: جمع ليث، وهو الأسد. لا ترام: لا تقصد بشر. قمشت: جمعت من هنا وهناك، والمراد: رذالة الناس، والقماش الرديء من كل شيء، ومثل الآية الكريمة معنى وإعراباً قول لبيد رضي الله عنه: [الطويل]

فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِهِ وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيشَةِ قَانِعُ

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿شَقُواْ﴾ أي: وجبت لهم النار بمقتضى الوعيد المترتب على الكفر، والمعاصي، هذا؛ وأصل: ﴿شَقُواْ﴾: (شَقِيُوا) فقل في إعلاله: استثقلت الضمة على الياء فحذفت، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، فصار: (شَقِوْا) ثم قلبت كسرة القاف ضمة لمناسبة الواو، وقل مثله في إعلال: (نسوا، رضوا...) إلخ، هذا؛ وقد قرئ: (شُقُوا). ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾: الزفير: إخراج النفس، والشهيق رده، واستعمالهما في أول النهيق وآخره، فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم، وغمهم، وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه، وانحصرت فيه روحه، أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير. انتهى. بيضاوي. وقال الخازن: أصل الزفير: ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع، والشهيق رد النفس إلى الصدر، أو الزفير: مده، وإخراجه من الصدر، وفي كتب اللغة: الزفير إدخال النفس، والشهيق إخراجه، قال الشماخ: [الطويل]

بَعِيدُ مَدَى التَّطْرِيبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ زَفِيرٌ، وَيَتْلُوهُ شَهِيقٌ مُحَشْرِجُ

تنبيه: في الآيات الثلاث ثلاثة أنواع من البديع: الجمع في قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، والتفريق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، والتقسيم في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟...﴾ إلخ. انتهى. جمل نقلاً عن شيخه.

الإعراب: ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (أما): أداة شرط وتوكيد وتفصيل، أما كونها أداة شرط؛ لأنها قائمة مقام أداة الشرطِ وفعله، بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل: مهما يكن من شيء؛ فالذين شقوا ففي النار، فأنيبت (أما) مناب (مهما) و«يكن من شيء»، فصار ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾، وأما كونها أداة توكيد؛ لأنها تحقق الجواب وتفيد أنه واقع لا محالة، لكونها علقته على أمر متيقن، وأما كونها أداة تفصيل؛ لأنها في الغالب تكون مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك من تتبع مواقعها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿شَقُوا۟﴾: ماض وفاعله، أو ونائب فاعله على حسب القراءتين، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَفِى﴾: الفاء: واقعة في جواب أما. (في النار): متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثانٍ، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿زَفِيرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، وفي السمين: في هذه الجملة احتمالان: أحدهما: أنها مستأنفة، كأنَّ سائلاً سأل حين أخبر أنهم في النار: ماذا يكون لهم؟ فقيل: لهم كذا، والثاني: أنها منصوبة على الحال، وفي صاحبها وجهان: أحدهما أنه الضمير في الجار والمجرور، وهو قوله ﴿فَفِى ٱلنَّارِ﴾، والثاني أنها حال من: ﴿ٱلنَّارِ﴾. (شهيق): معطوف على ﴿زَفِيرٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ شَقُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: لابثين مقيمين في النار أبداً. ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: قال الضحاك: يعني ما دامت سموات الجنة والنار، وأرضهما، ولا بد لأهل الجنة، وأهل النار من سماء تظلهم، وأرض تقلهم، فكل ما علاك، فأظلك فهو سماء، وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض، وقال أهل المعاني: هذه عبارة عن التأبيد، وذلك على عادة العرب، فإنهم يقولون: ألا آتيك ما دامت السموات والأرض، وما اختلف الليل والنهار، أو ما جن ليل، أو سال سيل، أو ما ناح حمام، يريدون بذلك التأبيد.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين، فقال ابن عباس، والضحاك ـ رضي الله عنهما ـ: الاستثناء الأول المذكور في أهل الشقاء، يرجع إلى قوم من

المؤمنين، يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها، فيكون استثناء من غير الجنس؛ لأن الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله من الأشقياء، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخْرِجُ قَوْماً مِنَ النَّارِ بالشَّفَاعَةِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»**. أخرجه البخاري ومسلم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لَيُصِيبَنَّ أَقْواماً سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً لَهُمْ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بفضلِهِ ورحمتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: الْجَهَنَّمِيُّونَ»**.

وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة، فيرجع إلى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة، فعلى هذا القول يكون معنى الآية: فأما الذين شقوا ففي النار لهم زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك أن يخرجهم منها، فيدخلهم الجنة.

فحاصل هذا القول: أن الاستثناءين يرجع كل منهما إلى قوم مخصوصين، هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوباً استوجبوا عقوبة يسيرة في النار، ثم يخرجون منها، فيدخلون الجنة؛ لأن إجماع الأمة على أن من يدخل الجنة لا يخرج منها أبداً.

وقيل: إن الاستثناءين يرجعان إلى الفريقين: السعداء والأشقياء، وهو مدة تعميرهم في الدنيا، واحتباسهم في البرزخ، وهو ما بين الموت والبعث، ومدة وقوفهم للحساب، ثم يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار إلا هذا المقدار، وقيل غير ذلك، والصحيح الأول. انتهى. خازن.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: من إخراج من أراد من النار، وإدخالهم الجنة، فهذا على الإجمال في حال الفريقين، فأما على التفصيل، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في جانب الأشقياء يرجع إلى الزفير والشهيق، وتقريره أنه يفيد حصول الزفير والشهيق مع خلود؛ لأنه إذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع، والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة، يعني: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود، وقيل غير ذلك، ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة: أن الأمة مجتمعة على أن من دخل الجنة لا يخرج منها، بل هو خالد فيها. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الضمير في: ﴿لَهُمْ﴾ أو في: ﴿فِيهَا﴾ والعامل في الحال متعلق: ﴿لَهُمْ﴾ فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿مَا﴾: ظرفية مصدرية. ﴿دَامَتِ﴾: ماض تام، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: فاعل (دام). (الأرض): معطوف على ما قبله، و﴿مَا﴾ والفعل (دام) في تأويل مصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أيضاً، التقدير: مدة دوام السموات والأرض. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء، وهل هو متصل، أو منقطع خلاف، انظر الشرح، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: إلا الذي شاءه ربك، هذا؛ وقيل: إن ﴿إِلَّا﴾ حرف عطف بمعنى الواو، وهو غريب، كما قيل: إنها بمعنى (غير) على حد قول عمرو بن معدي كرب: [الوافر]

وَكُــلُّ أَخٍ مُــفَــارِقُــهُ أَخُــوهُ ... لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ إِلَّا الْـفَـرْقَـدَانِ

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾ واسمها وخبرها. ﴿لِّمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿فَعَّالٌ﴾، فـ(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام، هذا؛ وقد اعتبر ابن هشام اللام في مغنيه زائدة، وسماها لام التقوية، فإذاً (ما) مجرورة لفظاً منصوبة محلاً مثل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾، ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾، وأورد قول حاتم الطائي، وقيل: قول قيس بن عاصم المنقري، رضي الله عنه: [الطويل]

إِذَا مَـا صَـنَـعْـتِ الـزَّادَ فَـالْـتَـمِـسِـي لَـهُ ... أَكِـيـلاً فَـإِنِّـي لَـسْـتُ آكِـلَـهُ وَحْـدِي

وهذا هو الشاهد رقم [٣٩٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

والجملة الفعلية بعد (ما) صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: فعال للذي يريده، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ أي: وجبت لهم الجنة بمقتضى الوعد المترتب على الإيمان والطاعة، وانظر شرح باقي الكلام في الآية السابقة، هذا؛ وقد قرئ ﴿سُعِدُواْ﴾ بالمعلوم والمجهول. ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع، من جذه، يجذه؛ أي: قطعه، وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع، وتنبيه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع، ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد.

تنبيه: قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: قال قوم: إن عذاب الله للكافرين منقطع، وله نهاية، واستدلوا بآية: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، وبأن معصية الظالم متناهية، فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم، والجواب أن قوله: ﴿أَحْقَابًا﴾ لا يقتضي أن له نهاية؛ لأن العرب يعبرون به، وبنحوه عن الدوام، ولا ظلم في ذلك؛ لأن الكافر كان عازماً على الكفر ما دام حياً، فعوقب دائماً، ولم يعاقب بالدائم، إلا على دائم، فلم يكن عذابه، إلا جزاء وفاقاً. انتهى. جمل. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ...﴾ إلخ: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآيتين السابقتين. ﴿عَطَآءً﴾: اسم مصدر، فهو مفعول مطلق مؤكد لمعنى الجملة قبله؛ لأن قوله تعالى: ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يقتضي إعطاءً وإنعاماً، فكأنه قيل: يعطيهم عطاءً. ﴿غَيْرَ﴾: صفة: ﴿عَطَآءً﴾، و﴿غَيْرَ﴾: مضاف، و﴿مَجْذُوذٍ﴾: مضاف إليه، ونائب فاعله مستتر فيه.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ أي: في شك بعدما أنزل عليك من ربك الحق، والخطاب للرسول ﷺ، وقال القرطبي: وأحسن من هذا، أي: قل يا محمد لكل من شك. ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: من عبادة هؤلاء المشركين الأصنام، فإنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبتهم، أو: فلا تكن في شك من حال الأصنام، فإنها لا تضر ولا تنفع. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: إنه ليس لهم في عبادة هذه الأصنام مستند؛ إلا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها، فعبدوها مثلهم. ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ...﴾ إلخ في هذا النصيب ثلاثة أقوال: أحدها: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية. الثاني: نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد ـ الثالث ما وعدوا به من خير أو شر، قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

بعد هذا فأصل: ﴿تَكُ﴾ تكون، فلما دخل الجازم عليه، صار لا تكُونْ، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، فصار (لا تكن) ثم حذفت النون للتخفيف، ولكثرة الاستعمال، وهذا الحذف جائز وغير لازم، وله شروط: أن يكون مضارعاً ناقصاً من كان، وأن يكون مجزوماً بالسكون، وأن لا يكون بعده ساكن، ولا يتصل به ضمير متحرك، كما في الآية الكريمة، وغيرها كثير، وهو وارد في الكلام العربي شعراً ونثراً، ولا تحذف النون عند فقد أحد الشروط إلا في ضرورة الشعر، كما في قول الخنجر بن صخر الأسدي: [الطويل]

فَإِنْ لَمْ تَكُ الْمرأَةُ أبدَتْ وسَامةً فَقَدْ أَبْدَتِ الْمِرْآةُ جَبْهةَ ضَيْغَمِ

وقول الآخر: [الطويل]

إِذَا لَمْ تكُ الْحَاجَاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى فَلَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْكَ عَقْدُ الرَّتَائِمِ

هذا؛ وقد قرئ شاذاً قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ إلخ ولم تحذف النون في قول أبي الأسود الدؤلي لجريانه على القاعدة: [الطويل]

دعِ الخمرَ تَشْرَبْها الْغُواةُ فَإِنَّني رَأَيْتُ أَخَاهَا مُجْزِئاً بِمَكانِهَا

فَإِلَّا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أخوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبانِهَا

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لا): ناهية. ﴿تَكُ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ (لا) الناهية، والجزم ظاهر على النون المحذوفة كما رأيت، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (تكن)، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وعلى تقدير القرطبي، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿مِرْيَةٍ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة والمصدرية، فعلى الأول مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ). ﴿يَعْبُدُ﴾: مضارع. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل، والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: في مرية كائنة من الذي يعبده هؤلاء، وعلى اعتبار: (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بمن، التقدير: ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ كائنة من عبادة هؤلاء الأصنام. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَعْبُدُونَ﴾: مضارع وفاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، و﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة والمصدرية، فعلى الأول الجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: إلا عبادة كائنة مثل الذي يعبده آباؤهم، وعلى الثاني تؤول ﴿مَا﴾ مع الفعل بمصدر في محل جر بالكاف، التقدير: إلا عبادة كائنة مثل عبادة آبائهم. ﴿مِّن قَبْلُ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَابَآؤُهُم﴾. التقدير: كائنين من قبل، و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم في محل جر بـ ﴿مِّن﴾ لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، وجملة: ﴿مَا يَعْبُدُونَ...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل له. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمُوَفُّوهُمْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (موفوهم): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله الأول، وفاعله مستتر. ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿غَيْرَ﴾: حال من: ﴿نَصِيبَهُمْ﴾، والعامل اسم الفاعل، و﴿غَيْرَ﴾: مضاف، و﴿مَنقُوصٍ﴾: مضاف إليه، وهو اسم مفعول، فنائب فاعله مستتر يعود إلى: ﴿نَصِيبَهُمْ﴾، والجملة الاسمية: (إنا...) إلخ مستأنفة لا محل لها، والحالية ضعيفة فيها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة. ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فآمن به قوم، وعملوا بتعاليمه، وكفر به قوم، حيث حرفوا فيه وبدلوا وغيروا، ولم يعملوا بتعاليمه، كما اختلف قومك يا محمد في هذا القرآن بين مصدقٍ ومكذب. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: وهي كلمة الإنظار

والإمهال بتأخير تعذيب المجرمين إلى يوم القيامة، فإنه يوم الفصل والجزاء. ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بإنزال ما يستحقه المجرم والمكذب من العذاب؛ ليتميز به عن المحق، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: وإن قومك لفي شك من القرآن موقع في الريبة.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٩٧]. (اختلف): ماض مبني للمجهول. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بنائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿كَلِمَةٌ﴾: مبتدأ. ﴿سَبَقَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿سَبَقَتْ...﴾ إلخ في محل رفع صفة: ﴿كَلِمَةٌ﴾، وخبر المبتدأ محذوف، التقدير: موجودة. ﴿لَقُضِىَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (قضي): ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ جواب (لولا)، لا محل لها، و(لولا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَفِى شَكٍّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (إن)، واللام هي المزحلقة. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بـ ﴿شَكٍّ﴾ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف صفته. ﴿مُرِيبٍ﴾: صفة شك، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، والاستئناف ممكن. تأمل.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

الشرح والإعراب: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ وفي السمين ما نصه: هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً، وعسرت على أكثرهم قراءةً وتخريجاً، وقد سهل الله ذلك، فذكرت أقاويلهم، وما هو الراجح منها، فأقول: قرأ بعضهم (إن) و(لما) مخففتين، وبعضهم خفف (إنْ) وثقل ﴿لَّمَّا﴾ وبعضهم شددهما، وبعضهم شدد (إنَّ) وخفف (لَمَا) فهذه أربع قراءات في هذين الحرفين، وكلها متواترة.

فأما القراءة الأولى، ففيها إعمال (إنْ) المخففة، وهي لغة ثابتة عن العرب، وأما (لَمَا) في هذه القراءة، فاللام فيها لام الابتداء الداخلة على خبر (إن)، و(ما) يجوز أن تكون موصولة بمعنى (الذين) واقعة على من يعقل كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، واللام في ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ جواب قسم مضمر، والجملة من القسم وجوابه صلة الموصول، والتقدير: وإن كلاً للذين والله ليوفينهم، ويجوز أن تكون (ما) نكرة موصوفة، والجملة القسمية وجوابها صفة: (ما) والتقدير: وإن كلاً لخلق، أو لفريق والله ليوفينهم، والموصول وصلته، أو الموصوفة وصفتها خبر لـ (إنْ).

وقال بعضهم: اللام الأولى هي الموطئة للقسم، ولما اجتمع اللامان، واتفقا في اللفظ، فصل بينهما بـ (ما)، وظاهر هذه العبارة أن (مَا) زائدة جيء بها للفصل إصلاحاً للفظ، وقال أبو شامة: واللام في (لما) هي الفارقة بين المخففة والنافية، وفيه نظر؛ لأن الفارقة إنما يؤتى بها عند التباسها بالنافية، والالتباس إنما يكون عند إهمالها، نحو (إنْ زيدٌ لقائمٌ). وهي في الآية الكريمة عاملة، فلا تلتبس بالنافية، فلا يقال: إنها فارقة، فتلخص أن في اللام أربعة أوجه:

أحدها: أنها لام الابتداء الداخلة على خبر إن. الثاني: أنها موطئة للقسم. الثالث: أنها جواب القسم كررت تأكيداً، الرابع: أنها الفارقة بين المخففة والنافية، وأن في (ما) ثلاثة أوجه: أحدها: أنها موصولة، والثاني: أنها نكرة موصوفة، والثالث: أنها مزيدة للفصل بين اللامين.

وأما القراءة الثانية، وهي تخفيف (إنْ) وتشديد ﴿لَّمَّا﴾ فالكلام في (إنْ) كما تقدم، وأما ﴿لَّمَّا﴾ ففيها أوجه:

أحدها: أن الأصل (لَمِنْ مَا) بكسر الميم على أنها (مِنْ) الجارة، دخلت على (ما) الموصولة، أو الموصوفة، أي: لَمِنَ الذين والله ليوفينهم، أو لمن خلق والله ليوفينهم، فلما اجتمعت النون ساكنة قبل ميم (مَا) وجب إدغامها فيها، فقلبت ميماً، وأدغمت، فصار في اللفظ ثلاثة أمثال، فخففت الكلمة بحذف إحداهما، فصار اللفظ كما ترى ﴿لَّمَّا﴾.

الثاني: ما ذهب إليه المهدوي ومكي، وهو أن يكون الأصل (لَمَنْ مَا) بفتح ميم (مَنْ) على أنها موصولة، أو موصوفة و(ما) بعدها مزيدة، قال: فقلبت النون ميماً، وأدغمت في الميم التي بعدها، فاجتمع ثلاث ميمات، فحذفت الوسطى منهن، وهي المبدلة من النون، فقيل: ﴿لَّمَّا﴾.

الثالث: أن (إنْ) نافية بمنزلة (ما)، و(لمَّا) بمعنى (إلا) فهي كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، و﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، أي: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، واعترَض على هذا الوجه بأن (إنْ) النافية لا ينصب الاسم بعدها، وهذا الاسم منصوب بعدها، وأجاب بعضهم عن ذلك بأن ﴿كُلًّا﴾ منصوب بإضمار فعل، فقدره بعضهم: (وإنْ أرَى كُلّاً لَمَّا) أي: وما أرى كلّاً إلا، وبعضهم: (وإنْ أعلمَ كلّاً لَمَّا) ونحوه.

وأما القراءة الثالثة: وهي تشديدهما، فَـ (إنَّ) على حالها، فلذلك نصب ما بعدها على أنه اسمها، وأما ﴿لَّمَّا﴾ في التشديد ففيها الأوجه الثلاثة المتقدمة، وهذا؛ وقد قال ابن هشام في المغني: ﴿لَّمَّا﴾ جازمة، ومجزومها محذوف لدلالة ما بعده عليه، التقدير: لَمَّا يُوَفُّوا، وهو قول المرادي في الجنى الداني، وقول ابن الحاجب، لكنه قدر: (لَمَّا يُهْمَلوا)، (أَوْ لَمَّا يُتْرَكُوا).

وأما القراءة الرابعة، وهي تشديد (إنَّ) وتخفيف (لَمَا) فواضحة جداً فـ (إنَّ) هي المشددة عملت عملها، والكلام في اللام و(ما) مثل ما تقدم من الوجوه الأربعة في اللام، والثالثة في

(ما). وقد عرفت أن القراءات الأربع سبعية، وقرئ شاذًّا (وإن كل) بتخفيف (إنْ) ورفع (كُلٌّ) ولمَّا بالتشديد، وهي قراءة الحسن البصري، وعليها فـ ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى «إلا»، وقرئ أيضاً شاذاً قراءات أخر فلتراجع في السمين وغيره. انتهى. ملخصاً منه، أقول: وقرئ (وإنَّ كُلًّا لَمًّا) أي: جميعاً، كقوله تعالى: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾.

(يوفينهم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والهاء مفعول به أول. ﴿رَبُّكَ﴾ فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب قسم محذوف، والجملة القسمية لقد رأيت الأقوال المختلفة في محلها، وانظر باقي الإعراب في الآية التالية. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: لما بين الله أمر المختلفين في التوحيد والنبوة، وأطنب في شرح الوعد، والوعيد، أمر رسوله ﷺ بالاستقامة مثل ما أمر بها، بلا إفراط ولا تفريط، وهي تشمل العقائد والأعمال والأخلاق، فإنها في العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل، وفي الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل، وفي الأخلاق التباعد عن طرفي الإفراط والتفريط، وهذا في غاية العسر، ولذلك قال ﷺ: «**شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُود**». انتهى. بيضاوي وجمل بتصرف.

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ أي: ومن تاب من الشرك والكفر، واتبع طريقتك السوية ونهجك المستقيم. ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾: ولا تخرجوا عما حد لكم، فتجاوزوا بل وتعتدوا على حقوق الله وحقوق العباد، ومنه قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيه تهديد، ووعيد للذين يتكبرون في الأرض، ويطغون على الناس.

عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ، قال: «**قُلْ آمَنْتُ بالله ثُمَّ اسْتَقِمْ**». رواه مسلم، وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ منه روغان الثعلب. وعن عثمان بن حاضر الأزدي، قال: دخلت على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، فقلت: أوصني، فقال: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع، ولا تبتدع. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَاسْتَقِمْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان جزاء كل من الفريقين المؤمن، والصالح واقعاً لا محالة؛ فأعرض عنهم، واستقم... إلخ. (استقم): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كَمَآ﴾ الكاف: حرف تشبيه

وجر. (ما): مصدرية. ﴿أُمِرْتَ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، والتقدير: استقم استقامة كائنة مثل أمر الله لك بها، أو التقدير: مثل التي أمرت بها، فتكون (ما) موصولة اسمية، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب، أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. (من): فيها أوجه: أحدها: عطفه على الضمير المستتر في الفعل، وجاز ذلك للفصل بما قبله، الثاني اعتباره فاعلاً لفعل محذوف، التقدير: وليستقم من تاب... إلخ، فيكون العطف من عطف جملة فعلية على جملة فعلية، الثالث: اعتباره مفعولاً معه، فتكون الواو للمعية. ﴿تَابَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (من)، وهو العائد. ﴿مَعَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَابَ مَعَكَ﴾ صلة (من) لا محل لها، وجملة: (استقم...) إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَطْغَوْا﴾: مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿بَصِيرٌ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: إنه بصير بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، وتقدير الكلام: إنه بصير بعملكم. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ تعليل للنهي، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟﴾: الركون: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء، والرضا به، قال قتادة: لا تودوهم، ولا تطيعوهم. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: أنفسهم بالكفر، والشرك، ويشمل العصاة، والفاسقين من الذين يدَّعون الإسلام. وهذا هو الصحيح في معنى الآية الكريمة، فإنها تدل على وجوب هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم؛ لأن الصحبة لا تكون إلا عن مودة ومحبة، قال طرفة بن العبد: [الطويل]

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

فإن كانت الصحبة عن ضرورة وتقية فقد مضى القول فيها في الآية رقم [٢٨] من سورة (آل عمران)، وانظر الآية رقم [٥١] من سورة (المائدة). ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تحرقكم بسبب مخالطتهم ومصاحبتهم، وممالأتهم على إعراضهم، وموافقتهم في أمورهم. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: من أنصار يمنعون العذاب عنكم. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: ثم لا ينصركم الله؛ إذ سبق في حكمه أن يعذبكم، ولا يبقي عليكم، ففيه وعيد شديد لمن ركن إلى الظلمة، أو أحبهم، أو رضي بأعمالهم، فكيف حال الظلمة في أنفسهم؟! نعوذ بالله من الظلم!.

هذا؛ وقد قرئ (تركنوا) بكسر التاء على لغة تميم، كما قرئ بضمها للبناء للمفعول، وبفتحها للبناء للفاعل، وفيه لغات: إحداها من باب: (تعب)، وثانيها: من باب (قعد)، قال الأزهري: وليست بالفصيحة، وثالثها: من باب: فتح، وليست بالأصل، بل من باب تداخل اللغتين؛ لأن باب (فتح يفتح) شرطه أن يكون حلقي العين أو اللام. انتهى. جمل.

وفي السمين وقال الراغب: والصحيح أنه يقال: ركَن يركَن بالفتح فيهما، وركِن يركَن بالكسر في الماضي والفتح في المضارع وبالفتح في الماضي والضم في المضارع. انتهى. جمل.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾: جمع ولي، وهو الذي يتولى شؤون غيره، والنصير المعين والمساعد، والفرق بينهما أن الولي قد يضعف عن النصرة والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، فبينهما عموم وخصوص من وجه.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَرْكَنُوٓا۟﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، أو هو مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ لا محل لها مثلها. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ظَلَمُوا۟﴾. مع المفعول والمتعلق المحذوفين صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء السببية، والكاف مفعول به. ﴿ٱلنَّارُ﴾: فاعله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم ركون إلى الظالمين فمس من النار. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر بالخبر المحذوف، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مبتدأ مؤخر، مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والجر اللفظي لم يظهر على آخره؛ لأنه ممنوع من الصرف، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُنصَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾

الشرح: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: هذا أمر للنبي ﷺ، ولكل مؤمن إلى قيام الساعة، والمعنى: أدِّ الصلاة كاملة في أوقاتها، وحافظ على طهارتها وركوعها، وسجودها، وخشوعها، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل، يقال عنه: صلى، ولا يقال: أقام الصلاة، هذا؛ والصلاة في اللغة: الدعاء، والتضرع، وهي في الشرع: أقوال، وأفعال مخصوصة، مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، ولها شروط وأركان، ومبطلات ومكروهات مذكورة في الفقه الإسلامي، والصلاة من العبد معناها التضرع والدعاء، ومن الملائكة على العبد معناها: الاستغفار، ومن الله على عباده: الرحمة وإنزال البركات، وقد جمعت الأنواع الثلاثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: أول النهار وآخره، وقد اتفق على أن المراد بالطرف الأول صلاة الفجر، وقد اختلف في آخره، فقيل: صلاة المغرب، وقيل: صلاة الظهر، والعصر، وقيل: صلاة العصر، وهذا الذي أعتمده، وتؤيده أحاديث شريفة كثيرة. ﴿طَرَفَيِ﴾: تثنية (طرف) بفتح الطاء والراء، وهو في الأصل: حرف الشيء، ومنتهاه، وجمعه أطراف، وانظره بفتح الطاء وسكون الراء في الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ أي: أقم الصلاة في زلف من الليل، وهي ساعاته، والمراد بها: صلاة المغرب، والعشاء، وعليه أكثر المفسرين، هذا؛ ويقرأ (زلفاً) بضم الزاي وتثليث اللام، وقرئ: (زلفى) مثل قربى، والأول جمع (زُلْفَة) مثل قربة، واقرأ الآية رقم [١٣٠] من سورة (طه) والآية رقم [١٧] و[١٨] من سورة (الروم)، إن كنت من أهل القرآن، وانظر شرح النهار والليل في الآية رقم [٦٧] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾: جمع حسنة: وهي فعل كل طاعة وخير، والمراد بها: الصلاة خاصة. ﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: تمحوهن، جمع سيئة، وهي فعل الشر مطلقاً، والمراد بها صغائر الذنوب. ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ﴾ إلى هنا. ﴿ذِكۡرَىٰ﴾: عظة. ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾: الله خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون بالموعظة، والعاملون بها.

تنبيه: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ رجلاً أصابَ مِن امْرأةٍ قُبْلَةً، فَأَتى النَّبِيَّ ﷺ، فذكر ذلك له، فنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ إلخ فقال الرجل: يا رَسُولَ اللهِ أَلِي هذِهِ الآيةُ؟ قال: «**لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتي**». وفي رواية، فقال رجلٌ مِنَ القوم يا نبيَّ اللهِ! هذِه لهُ خاصةً، قالَ: «**بَلْ للناسِ كافةً**». متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الصَّلَوَاتُ**

الْخَمْسُ، والجمعةُ إلى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّراتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ». رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حين بعثه إلى اليمن: **«اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تَمْحُهَا، وخالقِ الناسَ بخلقٍ حَسَنٍ»**. وقال ﷺ في حديث آخر: **«وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً؛ فاعْمَلْ بجَنْبِهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا، السِّرُّ بالسِّرِّ، والْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ»**.

هذا؛ وقد قال العلماء: الصغائر من الذنوب تكفرها الأعمال الصالحات، مثل الصلاة والصدقة والصوم، والذكر والاستغفار، ونحو ذلك من أعمال البر، وأما الكبائر من الذنوب، فلا يكفرها إلا التوبة النصوح، ولها ثلاثة شرائط: الشرط الأول: الإقلاع عن الذنب بالكلية، والثاني: الندم على فعله. الثالث: العزم التام أن لا يعود إليه في المستقبل، ورد الحقوق لأصحابها بحسب الإمكان، فإذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة، وكانت مقبولة إن شاء الله تعالى. انتهى. خازن بتصرف مني.

الإعراب: ﴿وَأَقِمِ﴾: (أقم): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به. ﴿طَرَفَيِ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، و﴿طَرَفَيِ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّهَارِ﴾: مضاف إليه. (زلفاً): معطوف على ما قبله، فهو ظرف زمان مثله. ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾: متعلقان بـ (زلفاً)، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (استقم...) إلخ. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿يُذۡهِبۡنَ﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ...﴾: مفعول به منصوب... إلخ، وجملة: ﴿يُذۡهِبۡنَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ذِكۡرَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ لأنه مصدر، أو متعلقان بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾

الشرح: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، أي: واصبر يا محمد! على أذى قومك، وما تلقاه منهم، وقيل: معناه: واصبر على الصلاة، والطاعات، وعن المعاصي، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: الذين أحسنوا العمل من صلاة وغيرها، وكذلك أحسنوا إلى غيرهم بالعفو عنهم، والتجاوز عن سيئاتهم.

هذا؛ والصبر: حبس النفس من الجزع عند المصيبة، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو مر المذاق، يكاد لا يطاق، إلا أنه حلو العواقب، يفوز صاحبه بأسنى المطالب، كما قال قائل: [البسيط]

الـصَّـبْـرُ مِـثْـلُ اسْـمِـهِ مُـرٌّ مَـذَاقَـتُـهُ   لَـكِـنْ عَـوَاقِـبُـهُ أَحْـلَـى مِـنَ الْـعَـسَـلِ

وبالجملة فنفع الصبر مشهور، والحض عليه في الكتاب، والسنّة مقرر مسطور، وهو على ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء، ولا تنس: أن من أسماء الله الصبور، وفسر بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، ثم اعلم: أن الصبر قد ذكر في القرآن العظيم في خمسة وتسعين موضعاً، ومن أجمعها آية البقرة، ومن أرفعها قوله تعالى في حق أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾، حيث قرن هاء الصبر بنون العظمة، ومن أبهجها قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾، وقال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾، وقال: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾، قالوا: الصبر الجميل هو الذي لا شكاية معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذية معه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد) ففيها كبير فائدة.

الإعراب: ﴿وَٱصْبِرْ﴾: (اصبر): أمر، وفاعله أنت، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُضِيعُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿أَجْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، وجملة: ﴿لَا يُضِيعُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية: (إن...) إلخ تعليل للأمر لا محل لها.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾: فهلا كان. ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: من الأمم التي قبلكم يا أمة محمد، فأهلكناهم، انظر شرح القرون في الآية رقم [١٣] من سورة (يونس). ﴿أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أي: أصحاب عقل، ورأي، وتمييز، وطاعة، وخير، يقال: فلان ذو بقية إذا كان فيه خير، وقيل: معناه أولو بقية من خير، يقال: فلان على بقية من الخير، إذا كان على خصلة محمودة، وتقرأ ﴿بَقِيَّةٍ﴾ بقراءات كثيرة، ولا يتغير المعنى ولا الإعراب. ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وذلك لما منحهم الله من العقول النيرة، وأراهم من الآيات الباهرة، وهذا توبيخ وتقريع للكفار؛ إذ

المعنى لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الأرض، فلذلك أهلكناهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: يعني من آمن من الأمم الماضية، وهم أتباع الأنبياء كانوا ينهون عن الفساد في الأرض. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا، وعصوا الله. وقرئ (اتبع) بالبناء المعلوم، وبالبناء للمجهول.. ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: ما تنعموا فيه، والترف: النعيم، والمعنى: أنهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم، وإيثار اللذات على الآخرة ونعيمها. ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: كافرين معاندين، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣] من سورة (يونس)، وانظر الظلم في الآية رقم [٢٣] منها أيضاً، وانظر (نا) في الآية رقم [٨]. هذا؛ و﴿أُولُوا﴾: أصحاب، ولا واحد له من لفظه، وإنما واحدهُ (ذي) المضاف، إن كان مجروراً، و(ذا) المضاف إن كان منصوباً، و(ذو) المضاف إن كان مرفوعاً.

الإعراب: ﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لولا): حرف تحضيض، مفيد للتقريع، والتوبيخ والنفي. ﴿كَانَ﴾: ماض تام. ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: متعلقان به. ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة القرون، أفاده الجلال، والجمل، وهذا على اعتبار (أل) للجنس، والأولى اعتبارها للتعريف، فيكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف حال من القرون، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أُولُوا﴾: فاعل ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وعلامه رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و﴿أُولُوا﴾: مضاف، و﴿بَقِيَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿يَنْهَوْنَ﴾ مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿عَنِ الْفَسَادِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفساد نفسه؛ لأنه مصدر، وجوز تعليقهما بمحذوف حال منه، وجملة: ﴿يَنْهَوْنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أو في محل رفع صفة له. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾: مستثنى بـ ﴿إِلَّا﴾ من القرون، وهل الاستثناء متصل أو منقطع؟ فيه خلاف ناشئ من اعتبار التحضيض على حقيقته، أو هو بمعنى النفي. ﴿مِّمَّنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿قَلِيلًا﴾، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (من). ﴿أَنجَيْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذين، أو من ناس أنجيناهم. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و(من) بيان لما أبهم في «من». ﴿وَاتَّبَعَ﴾: ماض. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿ظَلَمُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أُتْرِفُوا﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أُتْرِفُوا فِيهِ...﴾ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ (في). وجملة: ﴿ظَلَمُوا...﴾

إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَٱتَّبَعَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَلَوْلَا كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالاتباع. وقال البيضاوي: واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام، وإذ المعنى: فلم ينهوا عن الفساد، واتبع الذين... إلخ. ﴿وَكَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، و الألف للتفريق. ﴿مُجْرِمِينَ﴾: خبر كان منصوب... إلخ، وجملة: ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: أهل القرى. ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك وكفر. ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي: فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي: لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب بالكفر وبخس المكيال والميزان، وقوم لوط بالكفر واللواط، ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. انتهى. قرطبي.

ـ ولهذا قال بعض الفقهاء: إن حقوق الله مبنية على المسامحة والمساهلة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة والتضييق والتشديد، وقيل: المعنى: لا يهلكهم بظلم منه، وهذا هو المتبادر إلى الأفهام، وقيل: المعنى: ما كان ربك ليهلك أحداً وهو يظلمه، وإن كان على نهاية الصلاح؛ لأنه تصرف في ملكه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

هذا؛ ويؤخذ من التفسير الأول: أن الملك والعزة والسيادة تدوم مع الكفر، ولا تدوم مع المعاصي، ولا سيما مع الذين يعتقدون بوحدانية الله تعالى، فإن الله يسلبهم ذلك بشؤم أعمالهم، وما أكثر الأحاديث الشريفة في هذا الصدد، وما نزل بالمسلمين في هذا الأيام من البلاء إنما هو بشؤم أعمالهم.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية: ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿رَبُّكَ﴾: اسم كان، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُهْلِكَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى ﴿رَبُّكَ﴾، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، التقدير: وما كان ربك مريداً إهلاك. ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِظُلْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من الفاعل. ﴿وَأَهْلُهَا﴾: الواو: واو الحال. (أهلها): مبتدأ. و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿مُصْلِحُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من القرى، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: يعني كلهم على دين واحد، وشريعة واحدة. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: على أديان متعددة ما بين يهودي، ونصراني، ومجوسي، ومشرك، ومسلم، فكل أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضاً اختلافاً كثيراً لا ينضبط، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ هذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ في النَّارِ، وواحدةٌ في الْجَنَّة، وهي الْجَمَاعَةُ**». أخرجه أبو داود، وزاد في رواية أخرى: «**وإنَّه سَيَخْرُجُ في أمتي أقْوامٌ تتجارَى بِهِمُ الأهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بصاحِبِهِ، لا يَبْقَى مِنهُ عِرْقٌ، ولا مَفْصِلٌ، إلّا دَخَلَهُ**».

قال بعض العلماء: المراد بهذه الفرق: أهل البدع، والأهواء الذين تفرقوا، واختلفوا، وظهروا بعده كالخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والرافضة، وغيرهم، من أهل البدع والأهواء، والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله، وقيل: مختلفين في الرزق، فهذا غني، وهذا فقير. ولا وجه له هنا.

وفي الآية دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة، وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد، وأن ما أراده يجب وقوعه، وإذا علمت أن الإرادة نزوع النفس، وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، ويقال للقوة التي مبدأ النزوع، والأول مع الفعل، والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به، ولذا اختلف في معنى إرادته، فقيل: إرادته لأفعاله أنه غير ساه، ولا مكره، ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته، وقيل: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل، والوجه الأصلح، وهذا الأخير هو المقبول؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ﴾: ماض. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَجَعَلَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (جعل): ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبُّكَ﴾. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به أول. ﴿أُمَّةً﴾: مفعول به ثان. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة: ﴿أُمَّةً﴾، وجملة: ﴿لَجَعَلَ...﴾ إلخ جواب (لو)، لا محل لها، و﴿وَلَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَا﴾: الواو: واو الحال. (لا): نافية. ﴿يَزَالُونَ﴾: مضارع ناقص مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه. ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن

الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلنَّاسَ﴾، والرابط: الواو، والضمير.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: يعني لكن من رحمه الله فمنَّ عليه بالهداية والتوفيق إلى الحق، وهداه إلى الدين القويم، والصراط المستقيم، فهم لا يختلفون في ذلك. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: ولقد اختلف في المشار إليه اختلافاً كبيراً، وحاصل الأقوال وملخصها: أن الله خلق أهل الباطل، وجعلهم مختلفين، وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين، فحكم على بعضهم بالاختلاف، ومصيرهم إلى النار، وحكم على بعضهم بالرحمة ـ وهم أهل الاتفاق ـ ومصيرهم إلى الجنة، ويدل على صحة هذا القول سياق الآية. انتهى. خازن.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي: ثبت ذلك كما أخبر وقدَّر في أزله، وتمام الكلمة: امتناعها عن قبول التغيير والتبديل. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ: وهذا صريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق أقواماً للجنة، وللرحمة، فهداهم، ووفقهم لأعمال أهل الجنة، وخلق أقواماً للنار، فخذلهم ومنعهم من الهداية، وآية السجدة رقم [١٣] تصريح بهذا أتم تصريح.

ـ فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ والنارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ والْمُتَكَبِّرُون، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ الْمُسْلِمِينَ، ومَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى الله بَيْنَهُمَا: إِنَّك الْجَنَّةَ رحْمَتِي أَرْحَمُ بكِ مَنْ أشاءُ، وَإِنَّك النَّارَ عَذَابي أعذِّبُ بكِ مَنْ أَشاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**». رواه مسلم.

تنبيه: كلمة فيها ثلاث لغات: الأولى كَلِمَة على وزن نَبِقَة، وهي الفصحى، ولغة أهل الحجاز، وبها نطق القرآن الكريم في آيات كثيرة، وجمعها: كَلِم كنَبِق، والثانية: كِلْمَة على وزن سِدْرَة، والثالثة: كَلْمَة على وزن: تمرة، وهما لغتا تميم، وجمع الأولى: كِلْم كسِدْر، والثانية: كَلْم كتَمْر، وكذلك كل ما كان على وزن فَعِل، نحو كَبِد وكَتِف، فإنه يجوز فيه اللغات الثلاث، فإن كان الوسط حرف حلق، جاز فيه لغة رابعة، وهي اتباع الأول للثاني في الكسر، نحو فِخِذ وشِهِد، وهي في الأصل: قول مفرد، مثل محمد، وقام وقعد. . . إلخ، وقد تطلق على الجمل المفيدة، كما في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ وقال النبي ﷺ: «**أصدقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شاعرٌ كلمةُ لبيد**»: [الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ ـ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

المراد «بكلمة» الشطر الأول بكامله، وتقول: قال فلان كلمة، والمراد بها كلام كثير، وهو شائع، ومستعمل عربية في القديم والحديث. هذا؛ و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: الجن بكسر الجيم فيهما، والتاء في الأول للمبالغة، وكلاهما جمع جني، والجن: خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى، سموا جنًّا لاستتارهم عن أعين الناظرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ المراد: إبليس، وجنوده، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٠] من سورة (الكهف) تجد ما يسرك ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: استثناء منقطع بمعنى: (لكن). ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: لكن الذين، أو ناساً رحمهم ربك. ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (لذلك): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَلَقَهُمْ﴾: ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبُّكَ﴾، والميم حرف دال على جماعة الذكور، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها؛ إن اعتبرت الضمير عائداً على الفريقين المختلفين، وعلى الأول فالضمير يكون عائداً على المرحومين فقط. ﴿وَتَمَّتْ﴾: الواو: حرف استئناف. (تمت): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَةُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية (تمت...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (أملأن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (الناس): معطوف على ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لـ ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ فهو مجرور مثلهما وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها جواب القسم المحذوف، والقسم وجوابه كلام مفسر لـ ﴿كَلِمَةُ﴾. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: وكل الذين يحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك، وانظر شرح (نقصه) في الآية رقم [١٠٠]. ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: من أخبار الرسل الذين سبقوك، وكيف صبروا على أذى قومهم وتحملوا ذلك منهم. ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك. ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي: في هذه السورة، وخص هذه السورة بالذكر؛ لأن فيها أخبار الأنبياء، وما لقوامع أقوامهم من

صنوف الأذى، وقال قتادة والحسن: المعنى في هذه الدنيا، يريد النبوة، وهو أقوى، وهو منقول عن ابن عباس، وأبي موسى الأشعري وغيرهما، هذا؛ وسور القرآن كلها حقٌّ وصدقٌ، وإنما خص هذه السورة بالذكر تعظيماً لها وتشريفاً. ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: الموعظة: ما يتعظ به من إهلاك الأمم الماضية، والقرون الخالية المكذبة، وهذا أيضاً تشريف لهذه السورة؛ لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق والموعظة والذكرى، ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص، وخص المؤمنين بالذكر؛ لأنهم هم الذين يتعظون؛ إذا سمعوا قصص الأنبياء.

بعد هذا انظر شرح ﴿الرُّسُلِ﴾ في الآية رقم [٨١] و(نا) في الآية رقم [٨]. والنبأ: الخبر وزناً ومعنىً، ويقال: النبأ أخص من الخبر؛ لأن النبأ لا يطلق إلا على كل ما له شأن، وخطر من الأخبار، وقال الراغب: النبأ: خبر ذو فائدة، يحصل به علم، أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحقه أن يتعرى عن الكذب كالمتواتر وخبر الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ، هذا؛ وفعله يتعدى في الأصل لثلاثة مفاعيل، وقد يجيء الفعل من (نبأ) غير مضمن معنى أعلم، فلذلك يعدى لواحد بنفسه، وللآخر بحرف الجر، وهو كثير في كتاب الله تعالى.

﴿الْحَقُّ﴾: ضد الباطل، قال الراغب: أصل الحق المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حُقِّهِ لدورانه على الاستقامة، و﴿الْحَقُّ﴾ يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى: هو الحق، وللموجود بحسب مقتضى الحكمة، ولذلك يقال: فعل الله كله حق، نحو الموت والحساب... إلخ، وللاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، نحو اعتقاد زيدٍ في الجنة حقٌّ. وللفعل، والقول الواقعين بحسب ما يجب، وقدر ما يجب، في الوقت الذي يجب، نحو: قولك حق، وفعلك حق، ويقال: أحققت ذا، أي: أثبته حقاً، أو حكمت بكونه حقاً. انتهى. بغدادي.

الإعراب: ﴿وَكُلًّا﴾: الواو: حرف استئناف. (كلاً): مفعول به مقدم، والتنوين عوض عن المضاف إليه، انظر الشرح. ﴿نَقُصُّ﴾: مضارع، والفاعل مستتر فيه، وجوباً تقديره: «نحن». ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (كلاً)، و﴿أَنْبَاءِ﴾: مضاف، و﴿الرُّسُلِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب بدلاً من (كلّاً)، أو هي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز أن تكون مفعول ﴿نَقُصُّ﴾، ويكون (كلّاً) حالاً من ﴿مَا﴾ أو من الهاء على مذهب من أجاز تقديم حال المجرور عليه، أو من ﴿أَنْبَاءِ﴾ على هذا المذهب أيضاً. انتهى. عكبري. والمعتمد الأول. ﴿نُثَبِّتُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فُؤَادَكَ﴾: مفعول به والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نُثَبِّتُ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلّاً بالباء، وجملة: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل

لها. ﴿وَجَآءَكَ﴾: الواو: واو الحال. (جاءك): ماض ومفعوله. ﴿فِي هَٰذِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: فاعل. ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾: معطوف على ﴿ٱلْحَقُّ﴾. ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: معطوف عليه أيضاً، فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بـ (ذكرى) لأنه مصدر، وجملة: (جاءك...) إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، و(قد) مقدرة قبلها، هذا؛ واعتبارها مستأنفة ممكن.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين. ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على غاية تمكنكم، واستطاعتكم أو على ناحيتكم وجهتكم أو حالتكم التي أنتم عليها من الكفر، فالكل محتمل هنا. ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ أي: على ما كنا عليه من المصابرة والثبات على التوحيد والإيمان، والمعنى: اثبتوا على كفركم، وعداوتكم لي، فإني ثابت على الإسلام، وعلى مصابرتكم، فهو أمر تهديد ووعيد.

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: تهديد، ووعيد للمشركين، أي: انتظروا عذاب الله، وسخطه، إنا منتظرون رحمته، ونصره، وعزته، وحينئذ يكون لنا النصر والغلبة عليكم، ويكون لكم الذلة والمهانة، وغضب الله عليكم، ثم دخول جهنم وبئس المصير، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقُل﴾: الواو: حرف استئناف. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ٱعْمَلُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قل...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت النون، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿عَٰمِلُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ تعليل للأمر لا محل لها، ولا يخفى عليك بعد هذا إعراب: ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم سبحانه ما غاب عن العباد فيهما، والمعنى: أن علمه سبحانه نافذ في جميع الأشياء خفيها، وجليها، حاضرها ومعدومها، لا يخفى عليه شيء

في الأرض، ولا في السماء، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: غيب السموات والأرض خزائنهما. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ أي: يوم القيامة؛ إذ ليس لمخلوق أمر إلا بإذنه، هذا؛ ويقرأ ﴿يُرْجَعُ﴾ بالبناء للمعلوم، فيكون لازماً، ويقرأ بالبناء للمجهول، فيكون متعدياً. ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: انظر العبادة في الآية رقم [٦٢]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: اعتمد عليه في جميع شؤونك، وفوض أمرك إليه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: فيه وعيد وتهديد، والمعنى: أن الله بالمرصاد لهؤلاء الكافرين، وحافظ لأعمالهم، حتى يجازيهم بها في الآخرة، هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء، والتاء.

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿غَيْبُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. (الأرض): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (إليه): متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يُرْجَعُ﴾: مضارع. ﴿ٱلْأَمْرُ﴾: فاعل، أو نائب فاعل، انظر الشرح. ﴿كُلُّهُۥ﴾: توكيد لما قبله، على اعتباره متعدداً، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يرى جواز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً؛ فاعبده. (اعبده): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل (ليس). ﴿رَبُّكَ﴾: اسم (ما) مرفوع، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. الباء: حرف جر صلة. (غافل): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وإن اعتبرت (ما) مهملة، فيكون ﴿رَبُّكَ﴾ مبتدأ، والباء زائدة في خبره. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ (غافل)، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (عَنْ) والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، وتقدير الكلام (وما ربك بغافل عن الذي، أو عن شيء يعملونه)، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (عَنْ)، التقدير: عن عملهم، والجار والمجرور متعلقان بـ (غافل)، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا رَبُّكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سُورَةُ يُوسُفَ

[على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام]

وهي مكية بالإجماع، وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع منها، وهي مئة وإحدى عشرة آية، وألف وستمئة كلمة، وسبعة آلاف ومئة وستة وستون حرفاً. انتهى. قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي سبب نزولها قولان:

ـ **أحدهما**: روي عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: (لما أنزل القرآن على رسوله ﷺ تلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ...﴾ إلخ فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾).

ـ **القول الثاني**: رواه الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده، وشأن يوسف، ولم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ فأنزل الله سورة (يوسف) عليه السلام، وينبغي أن تعلم: أن سؤال اليهود هذا لم يكن مباشرة؛ إذ روي أن علماءهم قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً عن أمر يعقوب... إلخ.

قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء، وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف، ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، وهذا هو الإعجاز لمن تأمل.

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

الشرح: (أعوذ): أتحصن، وأعتصم، وأستجير، وألتَجئ، وأصله: أَعْوُذُ على وزن أنْصر، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى العين بعد سلب سكونها، فصار: أَعُوذُ، ومثل ذلك قل في إعلال كل مضارع أجوف، واويّاً كان أو يائيّاً، مثل: يقولون، ويصون، ويبيع، ويكيل، ونحو ذلك.

(الله): علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به لتخلف شروط الإجابة، التي أعظمها أكل الحلال.

(الشيطان): اسم يطلق على عدو الله إبليس، وقد يطلق على كل نفس عاتية خبيثة، خارجة عن الصراط المستقيم من الإنس والجن والحيوان، وما أكثر الشياطين بهذا المعنى من بني آدم، قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الآية رقم [١١٢] من سورة (الأنعام)، وما أجدرك أن تنظر شرحها هناك، وقال رسول الله ﷺ، لأبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ: «**يا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ بالله مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ والْجِنِّ**». قالَ: أَوَللإِنْسِ شياطينُ؟! قالَ: «**نَعَمْ**».

ولا تنس أن لكل واحد من الإنس شيطاناً، بدليل قوله ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**أَجَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟**». قَالَتْ: أَوَلِي شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ**». قَالَتْ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَال: «**وَأَنَا إِلَّا أَنَّنِي أَعَانَنِي اللهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ**». فاعل أسلم يحتمل عوده إلى الرسول ﷺ، فيكون من السلامة، أي: أسلم من شره ويكون مضارعاً مرفوعاً، ويحتمل عوده إلى الشيطان نفسه، فيكون من الإسلام، ويكون ماضياً، هذا؛ والشيطان مأخوذ: من شطن؛ إذ بعد، وقيل: مأخوذ من شاط: إذا احترق، فعلى الأول هو مصروف؛ لأن النون أصلية، وعلى الثاني هو غير مصروف، لزيادة الألف والنون، وشطن من باب قعد، وشاط من باب ضرب.

(الرجيم): فعيل بمعنى مفعول، فإنه مرجوم باللعن، والطرد عن الخير، وعن رحمة الله تعالى، وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل، أي: يرجم غيره بالوسوسة والإغواء، بعد هذا لا يخفى عليك المعنى لهذه الجملة، وقد يعبر عن الجملة بكاملها بكلمة الاستعاذة على طريقة النحت، والنحت في الكلام تركيب كلمة من كلمتين، أو أكثر، نحو البسملة، والحوقلة من: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، والاسترجاع من: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ والفذلكة من: (فذلك كذا وكذا) وَهَلُمَّ جَرّاً.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: ومن لطائف الاستعاذة أن قوله: (أعوذ بالله...) إلخ إقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل، وأنه الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات، واعتراف من العبد أيضاً بأن الشيطان عدو مبين، ففي الاستعاذة لجوء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى، والله أعلم.

الإعراب: (أعوذ): مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديرهُ «أنا». (بالله): متعلقان بالفعل قبلهما، وإن علقتهما بمحذوف حال من الفاعل المستتر؛ فلست مفنداً، ويكون التقدير: أعوذ مستجيراً بالله. (من الشيطان): متعلقان بالفعل: (أعوذ). (الرجيم): صفة (الشيطان) مجرور مثله، هذا؛ ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، ونصبه على أنه مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أذم: وهذان الوجهان على القطع عن الإتباع، وجملة: (أعوذ...) إلخ ابتدائية لا محل لها.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

الشرح: (اسم): اختلفوا في اشتقاقه، فقال البصريون: أصله سَمَوٌ من السُّمُو، وهو العلو، والارتفاع، فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به، وعلا عليه، فكأنه علا على معناه، وصار علماً له، فحذفت لامه، وعوض عنها همزة الوصل في أوله، وقال الكوفيون: أصله وَسَمٌ من السمة، وهي العلامة فكأنه علامة لمسماه، حذفت فاؤه، وعوض عنها همزة الوصل، وحجة البصريين: أنه لو كان اشتقاقه من السمة، لكان تصغيره وُسَيْم، وجمعه أوسام؛ لأن التصغير والتكسير، يردان الأشياء إلى أصولها، وقد أجمعوا على أن تصغيره: سُمَيٌّ، وجمعه: أسماءٌ وأَسَامٍ، وقد حذفت الألف من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ للخفة، ولكثرة الاستعمال، وأثبتت في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ لقلة الاستعمال. هذا؛ و(اسم) أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون، فإذا نطقوا مبتدئين، زادوا همزة الوصل في أولها تفادياً للابتداء بالساكن، عِلْماً بأن هذه الهمزة تسقط في وصل الكلام، وإن كتبت، انظر مبحثها في كتاب قواعد اللغة العربية بشرحنا. ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان، وقيل: صفتان مأخوذتان من الرحمة، وهما في حقه سبحانه وتعالى بمعنى: المحسن، أو مريد الإحسان، لكن الأول بمعنى المحسن بجلائل النعم، والثاني بمعنى المحسن بدقائق النعيم، وإنما جمع بينهما في البسملة، إشارة إلى أنه ينبغي أن يطلب منه تعالى النعم الحقيرة، كما ينبغي أن يطلب منه النعم العظيمة، وقد يوصف بالرحيم المخلوقون، وأما الرحمن فلا يوصف به إلا الله تعالى، ومن وصف به مسيلمة الكذاب، فقد تعنت حيث قال فيه: [البسيط]

وأنْتَ غَيْثُ الْوَرَى لا زِلْتَ رَحْمَانَا

بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن البسملة آية من سورة (الفاتحة)، وآية من كل سورة ما عدا براءة عند الشافعي، ولا تعد آية في كل ذلك عند أبي حنيفة ومالك، وإنما هي للفصل بين كل سورتين، وأحمد بن حنبل يعدها آية من أول الفاتحة، وليست آية في غيرها ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، ومبحث ذلك مبسوط في كتب الفقه، وأخيراً ينبغي أن تعلم أن الرسول ﷺ ندبنا إلى افتتاح كل أمورنا بالبسملة تيمناً وتبركاً، فقد روى الخطيب في كتاب الجامع عنه ﷺ قال: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ**». وفي رواية «**فَهُوَ أَقْطَعُ**». والمعنى قليل البركة، أو معدومها.

الإعراب: ﴿بِسۡمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: أقرأ، أو أتلو، إذا أراد الشخص القراءة، وقس على ذلك جميع الأعمال التي يقوم بها المسلم، ويسمى الله عليها، فمثلاً الآكل، والشارب، والقائم، والقاعد، تقدير المحذوف عنده: آكل، أو أشرب... إلخ، وتقدير المحذوف فعلاً هو مذهب الكوفيين، وهم يقدرونه مؤخراً ليفيد معنى الاختصاص، وأما

البصريون؛ فيقدرون المحذوف اسماً، والتقدير عندهم: ابتدائي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وعليه فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ابتدائي كائن ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، وقال المرحوم سليمان الجمل: والأحسن أن يقدر متعلق الجار والمجرور هنا: قولوا؛ لأن المقام مقام تعليم، وهذا الكلام صادر عن حضرة الرب تعالى. انتهى. و(اسم) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بدل من لفظ الجلالة. ﴿الرَّحِيمِ﴾: بدل ثان من لفظ الجلالة، وهذا على اعتبارهما اسمين من أسماء الله تعالى الحسنى، وهو المعتمد، وقيل: هما صفتان للفظ الجلالة، هذا؛ ويجوز في العربية رفعهما على أنهما خبران لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الرحمن الرحيم، كما يجوز نصبهما على أنهما مفعول لفعل محذوف، التقدير: أمدح، ونحوه. وهذان الوجهان على القطع، أعني به: قطع النعت عن المنعوت، وجملة البسملة على الوجهين ابتدائية لا محل لها.

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾

الشرح: ﴿الٓر﴾: انظر شرح هذا اللفظ في أول سورة (يونس) عليه السلام. ﴿تِلْكَ﴾: الإشارة إلى ما تضمنته السورة الكريمة من قصة يوسف، وإخوته، وما فيها من عبر، ومواعظ، وإنما أدخل اللام على اسم الإشارة، وهي للبعد، والسورة الكريمة، والقرآن الكريم كله في متناول اليد، وذلك للإيذان بعلو شأنه، وكونه في الغاية القصوى من الفضل، والشرف، وعلو المكانة، فكأنه بسبب ذلك بعيد كل البعد. ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: انظر شرحهما في الآية رقم [١] من سورة (هود). ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ أي: البين حلاله، وحرامه، وحدوده، وأحكامه، وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، هذا؛ وقال سبحانه في أول سورة (يونس) ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ انظر شرحه هناك، وانظر إعلال (مبين) في الآية رقم [٦] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿الٓر﴾: انظر إعرابه في الآية [١] من سورة (يونس). ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: صفة الكتاب، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية ابتدائية لا محل لها، أو هي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اقرأ، أو اتل... إلخ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: هذا الكتاب. ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغتكم لكي تعلموا معانيه، وتفهموا فيه، ويؤخذ منه أنه يجوز إطلاق اسم القرآن على بعضه؛ لأن سورة (يوسف) بعض

القرآن؛ ولأنه اسم جنس يقع على الكل والبعض، واختلف: هل يمكن أن يقال: في القرآن شيء بغير العربية، فأنكر أبو عبيدة على من يقول ذلك أشد النكير، وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة أن فيه من غير العربي، مثل (سِجِّيلٍ، والْمِشْكَاةِ، والْيَمِّ، وإِسْتَبْرَقٍ) ونحو ذلك، وهذا هو الصحيح المختار؛ لأن هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب، وكلا القولين صواب، إن شاء الله تعالى، وجه الجمع بينهما: أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب، ودارت على ألسنتهم بسهولة صارت عربية فصيحة، وإن كانت غير عربية في الأصل. انتهى. خازن بتصرف. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٣] وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٢] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: يا أهل مكة. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون معانيه لأنه نزل بلغتكم.

هذا؛ والعقل نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه، أي: يمنعه من فعل الرذائل، لذا فإن كل شخص لا يسير على الجادة المستقيمة، لا يكون عاقلاً بالمعنى الصحيح، فقد ورد أن رجلاً معتوهاً مر على مجلس النبي ﷺ، فقال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ: (هَذَا رَجُلٌ مَجْنُونٌ) فقال: **«هَذَا مُصَابٌ، إِنَّمَا الْمَجْنُونُ مَنْ أَصَرَّ على مَعْصِيَةِ اللهِ»**. هذا؛ والعقل: الدية، سميت بذلك؛ لأن الإبل المؤداة دية تعقل بباب ولي المقتول، والعِقال بكسر العين: الحبل الذي تشد به ركبة الجمل عند بروكه ليمنعه من القيام والمشي، والعِقال أيضاً: صدقة عام، قال شاعر يهجو عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً، فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَداً ... فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ؟
لأَصْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً، وَلَمْ يَجِدُوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ في الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

هذا؛ و(القرآن) مشتق من قريت الماء في الحوض إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم والمواعظ، والآداب، والقصص، والفروض، وجميع الأحكام، وكملت فيه جميع الفوائد الهادية إلى طرق الرشاد، هذا؛ وهو في اللغة مصدر بمعنى الجمع، يقال: قرأت الشيء قرآناً، أي: جمعته، وبمعنى القراءة، يقال: قرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول ﷺ، المنقول عنه بالتواتر فيما بين الدفتين، وهو المراد هنا، هذا والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله لا يحصل منه ترجٍّ ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها من الإعراب. ﴿قُرْءَٰنًا﴾: حال من الضمير المنصوب، وهو حال موطئة لما بعده، وجوز اعتباره بدلاً من الضمير، كما جوز اعتباره مفعولاً

به، واعتبار الضمير المنصوب ضمير المصدر، والمعتمد الأول. ﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة: ﴿قُرْءَانًا﴾، وجوز أبو البقاء اعتباره حالاً من الضمير المستتر في ﴿قُرْءَانًا﴾، على اعتباره مؤولاً بمشتق، والمعتمد الأول. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، ﴿تَعْقِلُونَ﴾: مضارع وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل للإنزال لا محل لها.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: انظر: ﴿نَقُصُّهُ﴾ في الآية رقم [١٠٠] من سورة (هود). ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾: وإنما كانت سورة (يوسف) أحسن القصص؛ لما فيها من الحكم والنكت، وسير الملوك والمماليك، والعظماء والعلماء، ومكر النساء، والصبر على الأذى، والتجاوز عنه أحسن التجاوز، وغير ذلك من الفوائد الشريفة، قال خالد بن معدان: سورة (يوسف) وسورة (مريم) يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة، وقال عطاء: لا يسمع سورة (يوسف) محزون إلا استراح إليها. انتهى. خازن.

﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن، وتنزيله عليك، هذا؛ والوحي الإشارة، والكتابة والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل موسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً. ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ أي: عن هذه القصة، لم تخطر ببالك، ولم يكن لك علم بها، وبما فيها من عجائب، وغرائب.

الإعراب: ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿نَقُصُّ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَحْسَنَ﴾: مفعول مطلق، أو نائب عنه، و﴿أَحْسَنَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقَصَصِ﴾: مضاف إليه. ﴿بِمَآ﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) المصدرية والفعل: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿نَقُصُّ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به تنازعه: ﴿نَقُصُّ﴾ و﴿أَوْحَيْنَآ﴾، فأعمل فيه الثاني على مذهب البصريين، وأضمر في الأول، ثم حذف لكونه فضلة. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ مفعولاً به لـ ﴿نَقُصُّ﴾. وذلك على اعتبار: ﴿ٱلْقَصَصِ﴾ مصدراً بمعنى المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق، فلا تكون المسألة من باب التنازع، هذا؛ وقال أبو البقاء: ويجوز في العربية جر ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ على البدل من (ما)، ورفعه على إضمار: (هو). انتهى. ولكني لم

أجد من قرأ بجره أو رفعه، وجملة: ﴿نَقُصُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل، مخفف من الثقيلة، مهمل لا عمل له. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي الفارقة بين (إنْ) العاملة والمهملة. ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: ﴿وَإِن كُنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: يعقوب بن إسحاق، بن إبراهيم، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الكريمَ ابْنَ الكريم، ابْنِ الْكَرِيم، ابْنِ الكريم، يُوسُفُ بْنُ يعقوبَ، بنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيم**». رواه البخاري، هذا؛ و﴿يُوسُفُ﴾ يقرأ بتثليث سينه، مثل تثليث نون: (يونس) كما قرئ: (يؤسف) بهمزة وتثليث سينه، ففيه ست لغات، ومثله (يونس) أفاده أبو البقاء.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: من المعروف أن في الاسم المضاف لياء المتكلم، إذا كان صحيح الآخر، ومنادىً سِتَّ لغاتٍ: أحدها: حذف الياء، والاستغناء عنها بالكسرة، مثل: يا عبدِ، وهذا هو الأكثر، الثاني إثبات الياء ساكنة، نحو: يا عبدِي، وهو دون الأول في الكثرة، الثالث: قلب الياء ألفاً، وحذفها، والاستغناء عنها بالفتحة، نحو: يا عبدَ، الرابع: قلبها ألفاً، وبقاؤها، وقلب الكسرة فتحة، نحو: يا عبدَا، الخامس: إثبات الياء محركة بالفتحة، نحو: يا عبدِيَ، السادس: ضم الاسم بعد حذفها كالمفرد، اكتفاء بنية الإضافة، وإنما يكون ذلك فيما يكثر نداؤه مضافاً للياء كالرب، والأبوين، والقوم، قرئ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ...﴾ إلخ بضم الباء، وحكي: يا رَبُّ اغفر لي، وانظر إعراب: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (هود)، هذا؛ ويضاف إلى ذلك إذا كان المنادى المضاف إلى ياء المتكلم أباً، أو أماً أربع لغات: إحداها: إبدال الياء تاء مكسورة، وبها قرأ السبعة ما عدا ابن عامر في قوله تعالى: (يا أبت. . .) إلخ من سورة (يوسف) ومريم، الثانية: إبدالها تاء مفتوحة، وبها قرأ ابن عامر ما تقدم، الثالثة: «يا أبتا» بالتاء والألف، وبها قرئ ما تقدم شاذاً وعليه قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

تَقُولُ بِنْتِي: قَدْ أَنَى أَنَاكَا ... يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَا

الرابعة: يا أَبَتِي، وعليه قول الشاعر: [الطويل]

أَيَا أَبَتِي لا زِلْتَ فِينَا، فَإِنَّمَا ... لَنَا أَمَلٌ في الْعَيْشِ ما دُمْتَ عَائِشَا

قال ابن هشام في قطر الندى: وهاتان اللغتان قبيحتان، والأخيرة أقبح من التي قبلها، وينبغي أن لا تجوز إلا في ضرورة الشعر، وقال الخضري في حاشيته على ابن عقيل: ضرورة، لكن الأولى أهون لذهاب صورة الياء المعوض عنها، بل قيل: لا ضرورة فيه؛ لأن هذه الألف لم تنقلب عن الياء، بل هي التي تلحق المنادى البعيد والمندوب، والمستغاث، فتكون لغة عاشرة. والله أعلم.

ـ أقول: وإنما كانت هاتان اللغتان قبيحتين؛ لأنه جمع بين العوض، وهو التاء، والمعوض عنه، وهو الياء المنقلبة ألفاً، أو غير المنقلبة، وقد أجاز بعضهم ضم التاء لشبهها بتاء التأنيث، فأما الوقف على هذا الاسم فبالتاء عند قوم لأنها ليست للتأنيث، فيبقى لفظها دليلاً على المحذوف، وبالهاء عند آخرين شبهوها بهاء التأنيث.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾: من الرؤيا المنامية، لا من الرؤية البصرية، بدليل الآية التالية. ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: فالمراد بالكواكب: إخوته، وبالشمس: أمه، أو خالته، وبالقمر: أبوه، وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة، وكانت ليلة القدر، وكانت سن يوسف عليه السلام اثنتي عشرة سنة، وهو الأصح، والمراد بالسجود: تواضعهم له، ودخولهم تحت أمره، وقيل: أراد به حقيقة السجود؛ لأن التحية كانت في ذلك الزمن بالسجود.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف، فسكت، فنزل جبريل عليه السلام، فأخبره بذلك، فقال: «**إذا أخبرتك فهل تسلم؟**». قال: نعم، قال: «**جريان، والطارق، والذيال، وقابس، وعمودان والفيلق، والمصبح، والضروح، والفرع، ووثاب، وذو الكتفين، نزلن من السماء وسجدن له**». فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها!. ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾: فهذا الكلام يحتمل وجهين: أحدهما: أنها جملة كررت للتوكيد لما طال الفصل بالمفاعيل، والثاني: أن الكلام مستأنف، فهو بمنزلة جواب لسؤال مقدر، وإنما جمع الضمير جمع المذكر السالم مع أن المذكورات جمادات، فالجواب عند الخليل وسيبويه: أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة، والسجود، وهما من أفعال من يعقل عاملها معاملة من يعقل، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٩٣] وما بعدها من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: بدل من: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، إن جعل مفعولاً به بدل الاشتمال، أو هو منصوب بفعل محذوف، تقديره: اذكر، وعلقه الجمل بقوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ...﴾ إلخ، ورجحه على غيره، وجوز تعليقه بالغافلين، وبالفعل ﴿نَقُصُّ﴾، وأرجح اعتباره معمولاً لفعل محذوف كما رأيت؛ لأن له نظائر كثيرة في كتاب الله تعالى، وهل هو ظرف، أو مفعول به للفعل المحذوف؟ قولان. وجملة: ﴿قَالَ يُوسُفُ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿لِأَبِيهِ﴾: متعلقان بالفعل

قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أبت): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، والمعوض عنها التاء كما رأيت في الشرح. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿رَأَيْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾: جزءان عدديان مبنيان على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿كَوْكَبًا﴾: تمييز. ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: معطوفان على ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾. ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية مؤكدة لما قبلها، فيكون: ﴿سَاجِدِينَ﴾ مفعولاً به ثانياً للفعل الأول، أو هي مستأنفة لا محل لها، فيكون: ﴿سَاجِدِينَ﴾ مفعولاً به ثانياً لهذا الفعل، ويكون مفعول الأول محذوفاً. ﴿لِي﴾: متعلقان بـ ﴿سَاجِدِينَ﴾ بعدهما، والكلام ﴿يَا أَبَتِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿رَأَيْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن).

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: يعقوب أبو يوسف. ﴿يَا بُنَيَّ﴾: تصغير (ابن) صغره للشفقة، أو لصغر سنه كما رأيت فيما سبق، وانظر إعلاله في الآية رقم [٤٢] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ أي: لا تخبرهم برؤياك، فإنهم يعرفون تأويلها، وانظر شرح ﴿نَقُصُّهُ﴾ في الآية رقم [١٠٠] من سورة (هود). ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي: فيحتالوا لإهلاكك حيلة، فهم يعقوب عليه السلام من رؤيا يوسف أن الله يصطفيه برسالته، ويفوقه على إخوته، فخاف على حسدهم، وبغيهم، لذا فقد أمره بكتمان رؤياه عنهم؛ لأن رؤيا الأنبياء حق. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بين العداوة، كما فعل بآدم، وحواء عليهما السلام، فلذا لا يألو جهداً في إثارة الحقد، والحسد، والبغضاء في قلوبهم؛ حتى يحملهم على الكيد.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بين رؤيا يوسف هذه، وبين تحققها بمصر، واجتماعه بأبويه، وإخوته أربعون سنة، وقال النووي: قال المازني: مذهب أهل السنّة في حقيقة الرؤيا: أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا كانت تلك الاعتقادات تسر خلقها الله بغير حضرة الشيطان، وإذا كانت تغم خلقها بحضرته، فهذا معنى قول النبي ﷺ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ والحُلُم مِنَ الشَّيْطَانِ» وليس معناه أن الشيطان يفعل شيئاً.

وروى البخاري عن أبي سلمة قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**

مِنَ اللهِ». وفي رواية: «**الرؤيا الحسنة فإذا رَأَى أَحَدُكُم ما يُحِبُّ، فلا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وإذا رَأى ما يكرهُ، فَلْيَتَعَوَّذْ بالله مِنْ شَرِّهَا، وَلْيَتْفُلْ ثلاثَ مراتٍ عَنْ يسارِهِ، ولا يحدِّثْ بها أحداً، فإنها لا تَضُرُّهُ**». وفي بعض الروايات: «**وليتحول عن جنبه للآخر**». وفي بعضها: «**وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها**». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٤] من سورة (يونس) عليه السلام، وما أذكره في الآية رقم [٤٣] الآتية وما بعدها.

بعد هذا انظر ﴿كَادَ﴾ في الآية رقم [١١٧] من سورة (التوبة)، والفرق بينها وبين الفعل هنا، وإعلال ﴿مُّبِينٌ﴾ في الآية رقم [٦] من سورة (هود)، وانظر شرح الإنسان في الآية رقم [١٢] من سورة (يونس). ﴿عَدُوٌّ﴾: هو ضد الصديق، وهو على وزن فعول بمعنى فاعل، مثل صبور وشكور، وما كان على هذا الوزن يستوي فيه المفرد والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، إلا لفظاً واحداً جاء نادراً، قالوا: هذِهِ عدُوَّةُ اللهِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، وقال تعالى حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ والجمع أعداءٌ وأعادٍ، وعُداتٌ، وعِدى، وقيل: أَعَادٍ جمع: أعداءٍ، فيكون جمع الجمع، وفي القاموس المحيط: والعِدا بالضم والكسر: اسم الجمع.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو». (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَقْصُصْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿رُءْيَاكَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَيَكِيدُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء السببية وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، واللام هي لام التقوية، أي: أنها زائدة، والكاف مفعول به، وانظر ما ذكرته في ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ في الآية رقم [١٠٧] من سورة (هود). ﴿كَيْدًا﴾: مفعول مطلق. ولأبي البقاء اعتبارات أخرى، فهي غير معتمدة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لِلْإِنسَـٰنِ﴾: متعلقان بـ ﴿عَدُوٌّ﴾ بعدهما. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ثانية لـ ﴿عَدُوٌّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للنهي لا محل لها، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منك قص لرؤياك على إخوتك، فكيد لك منهم، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: يختارك ويصطفيك، والاجتباء: اختيار معالي الأمور للمجتبى، وأصله من: جبيت الشيء، أي: حصلته، ومنه: جبيت الماء في الحوض، قاله النحاس، هذا؛ وأقول: يطلق الناس في هذه الأيام على الموظف الذي يحصل الضرائب من المكلفين اسم الجابي، أي: للمال، وفي الخازن: واجتباء الله للعبد تخصيصه إياه بفيض إلهي، تحصل منه أنواع المكرمات بلا سعي من العبد، وذلك مختص بالأنبياء، وببعض من يقاربهم من الصديقين، والشهداء والصالحين. انتهى.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ أي: من تعبير الرؤيا في المنام، فالمراد بالأحاديث: ما يراه الناس في النوم، وهي معجزة له، فإنه لم يلحقه فيها خطأ، وكان أعلم الناس بتأويلها، وكان نبينا ﷺ نحو ذلك، وكان الصديق رضي الله عنه من أعبر الناس لها بعده ﷺ، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، ونحوه، أو قريب منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا، وقيل: المعنى: يعلمك أحاديث الأمم ودلائل التوحيد وتأويل غوامض كتب الله، وسنن الأنبياء وكلمات التوحيد، والمعتمد الأول. هذا؛ و(أحاديث) جمع تكسير، فيقال لواحد ملفوظ به: وهو حديث، وقد شذ جمعه على: (أحاديث) كما شذ أباطيل، وأفاظيع، وأعاريض، في جمع باطل، وفظيع، وعريض.

﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ أي: بالنبوة بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة، وإن منصب النبوة أعلى من جميع المناصب. ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أي: بنيه، وذلك بالنبوة أيضاً، فإنهم منحوا النبوة كما ستعرفه فيما يأتي. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: أتم النعمة عليهما بالرسالة والنبوة، وأتمها على إبراهيم بالخلة، والإنجاء من النار، قيل: أتمها على إسحاق بإنقاذه من الذبح، وفدائه بذبح عظيم، والمعتمد: أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، كما ستعرفه في سورة (الصافات) إن شاء الله تعالى. ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بمن يستحق الاجتباء. ﴿حَكِيمٞ﴾: يفعل الأمور على ما ينبغي. هذا؛ وانظر أعمار الأسرة الكريمة في الآية [٧١] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

بعد هذا انظر شرح ﴿رَبَّكَ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (هود)، و﴿ءَالِ﴾ أصله أهل، فأبدلت الهاء همزة ساكنة، فصار أَأْل، ثم أبدلت الهمزة الثانية الساكنة مدّاً مجانساً لحركة الهمزة الأولى على القاعدة، مثل آمن أومن إيماناً، أصله أَأْمَن، أَؤْمَن، أُئْمِن، إئْماناً، وقلب الهاء همزة سائغ مستعمل لغة، كما في: (أراق)، فإن أصله: (هراق)، وهذا مذهب سيبويه، وقال الكسائي: أصل آل (أَوَل) ك

«حَمَلَ» من آل، يؤول، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وقد صغروه على: أهيل، وهو يشهد للأول، وعلى أويل، وهو يشهد للثاني، ولا يستعمل (آل) إلا فيمن له خطر، وشأن، بخلاف أهل، يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحجام، ولكن أهله، ولا ينتقض بـ «آل فرعون» فإن له شرفاً باعتبار الدنيا، واختلف في جواز إضافته إلى المضمر، فمنعه الكسائي والنحاس، وزعم أبو بكر الزبيدي: أنه من لحن العوام، والصحيح جوازه، كما في الحديث الشريف: «**اللَّهُمَّ صَلِّ على محمدٍ وآلِهِ**». وقال عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ: [مجزوء الكامل]

لَا هُـــمَّ إِنَّ الْـــمَــــرْءَ يَـــمْـــ ـــنَــعُ رَحْــلَــهُ، فــامْــنَــعْ رِحــالَــكْ

وانْــصُــرْ عــلــى آلِ الــصَّــلِــيـــ ـــبِ، وَعَــابِــدِيــهِ الْــيَــوْمَ آلَــكْ

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف عطف (كذلك) الكاف: حرف تشبيه وجر. ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، عامله ما بعده، التقدير: يجتبيك ربك اجتباءً كائناً مثل اجتبائه لك الرؤيا الدالة على شرف، وعز، وكمال نفس. ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (يعلمك): مضارع ومفعوله، والفاعل يعود إلى ﴿رَبُّكَ﴾، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها. ﴿مِن تَأْوِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿تَأْوِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: مضاف إليه. (يتم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو». ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ﴾: معطوفان على ﴿عَلَيْكَ﴾، و﴿ءَالِ﴾: مضاف، و﴿يَعْقُوبَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وجملة: (يتم...) إلخ معطوفة على ما قبلها. الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿أَتَمَّهَا﴾: ماض ومفعوله، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبُّكَ﴾. ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَبَوَيْكَ﴾، التقدير: كائنين، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: بدل من ﴿أَبَوَيْكَ﴾، أو عطف بيان، فهو مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، هذا؛ ويجوز اعتباره منصوباً بفعل محذوف، تقديره: أعني ونحوه. (إسحاق): معطوف على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ على جميع الوجوه المعتبرة فيه من إعراب وغيره، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف،

التقدير: ويتم نعمته إتماماً كائناً مثل إتمامها على أبويك. . . إلخ، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: خبران لـ ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، ولعلك تدرك معي: أن الآية الكريمة بكاملها إنما هي من مقول يعقوب على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ أي: في خبره، وخبر إخوته. ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: عبرة للمعتبرين، وانظر السائلين في مقدمة هذه السورة، وإنما كانت السورة بكاملها عبرة، وعظة لما فيها من الحكم، ومنها رؤيا يوسف، وما حقق الله فيها، ومنها حسد إخوته له، وما آل إليه أمرهم من الحسد، ومنها صبر يوسف على بلواه مثل إلقائه في الجب، وبيعه عبداً، وسجنه بعد ذلك، وما آل إليه أمره من الملك، ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب، وصبره على فقد ولده، وما آل إليه أمره من بلوغ المراد، وغير ذلك من الآيات التي إذا فكر فيها الإنسان؛ اعتبر، واتعظ، هذا؛ ويقرأ: (آية) بالإفراد أيضاً.

تنبيه: كان أولاد يعقوب اثني عشر رجلاً: روبيل، وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزبالون ويشجر، وأمهم ليا بنت ليَّان، وهي ابنة خال يعقوب، وولد له من جاريتين، اسم إحداهما زلفة، والأخرى بلهة أربعة أولاد: وأسماؤهم: دان، ونفتالي، وجاد، وآشر، ثم توفيت ليا، فتزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف، وبنيامين، فهؤلاء بنو يعقوب، وهم الأسباط، وعنهم تفرعت قبائل بني إسرائيل، وقد بينت لك في آيات كثيرة: أن إسرائيل هو يعقوب نفسه.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: هي لام الابتداء، أو واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله لقد إلخ. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿فِي يُوسُفَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. (إخوته): معطوف على: ﴿يُوسُفَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ءَايَٰتٌ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَٰتٌ﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض . . . إلخ، وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف، وجملة: ﴿لَقَدْ كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، أو هي جواب قسم محذوف، كما رأيت، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له.

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾

الشرح: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ أي: قال أولاد يعقوب: إن أبانا يحب يوسف وأخاه بنيامين شقيقه أكثر منا، وقد قالوا هذه المقالة حسداً منهم ليوسف، وأخيه حينما رأوْا ميلاً من أبيهم إليهما وكثرة شفقته عليهما وكان قد بلغهم خبر الرؤيا التي رآها يوسف في منامه ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة، وكانوا عشرة كما رأيت، والعصبة ما بين العشرة إلى الأربعين، ومثلها العصابة، ولا واحد لها من لفظها كالنفر، والرهط، والمعشر... إلخ. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لفي خطأ بين بإيثاره يوسف وأخاه؛ لأنهما صغيران لا ينفعانه بشيء، وإنما نحن نقوم بالعمل له، ونقدم له كل ما يحتاجه من معاشه وخدمته، وتقديم جميع مطالبه.

تنبيه: لم يريدوا ضلال الدين؛ إذ لو أرادوه؛ لكانوا كفاراً، بل أرادوا الخطأ في تدبير أمورهم حيث آثر حب صغيرين على عشرة أقوياء أشداء ومثله قولهم في الآية [٩٥]، هذا؛ وأخبر بـ ﴿أَحَبُّ﴾ عن المثنى؛ لأنه أفعل تفضيل، فلم يثنه؛ لأنه يجب إفراده، وتذكيره، وتنكيره عند مقارنته بالمفضل عليه مجروراً بـ «من»، وهو هنا كذلك، وهو مصوغ هنا من (حُبَّ) المبني للمفعول وهو شاذ قياساً، فصيح استعمالاً لوروده في أفصح الفصيح، وإذا بنيت أفعل التفضيل من مادة الحب، والبغض، تعدى إلى الفاعل المعنوي بـ «إلى»، وإلى المفعول المعنوي باللام، أو بـ «في»، فإذا قلت: زيد أحب إلي من بكر، كان معناه: أنك تحب زيداً أكثر من بكر، فالمتكلم هو الفاعل، وكذلك إذا قلت: هو أبغض إلي منه؛ كان معناه أنت المبغض، وإذا قلت: زيد أحب لي من عمرو، أو أحب فيَّ منه، كان معناه أن زيداً يحبني أكثر من عمرو، وعلى هذا جاءت الآية الكريمة، فإن الأب هو فاعل المحبة، ولا تنس أن أصله: (أَحْبَبُ) فنقلت فتحة الباء الأولى إلى الحاء، فسكنت، ثم أدغمت الباء في الباء.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المقدر. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿لَيُوسُفُ﴾: اللام: هي لام الابتداء، وقيل: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (يوسف): مبتدأ. (أخوه): معطوف عليه مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَحَبُّ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «هو». ﴿إِلَىٰ أَبِينَا﴾: متعلقان بـ ﴿أَحَبُّ﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَّا﴾: متعلقان بـ ﴿أَحَبُّ...﴾ أيضاً، والجملة الاسمية جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾

إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، والجملة الاسمية: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَبَانَا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ﴾: اللام: هي المزحلقة. ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ أي: قال أحدهم: اقتلوا يوسف ليكون أحسم لمادة الأمر. ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: ألقوه في أرض بعيدة عن أبيه، فتفترسه السباع، أو يموت في تلك الأرض البعيدة، وكان هذا منهم لما قوي الحسد في قلوبهم، وبلغ نهايته، والذي اقترح هذا هو شمعون، وقيل: روبيل. ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: وهذه هي الغاية التي ينشدونها من قتله، أو من إبعاده، والمعنى أنه قد شغله حب يوسف عنكم، فإذا فعلتم به أحد الأمرين؛ أقبل أبوكم بوجهه عليكم. ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد قتل يوسف أو إبعاده عن أبيه. ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: تائبين إلى الله تعالى عما جنيتم، وقال مقاتل: معناه: يصلح لكم أمركم فيما بينكم، وبين أبيكم أيضاً. بعذر تعتذرون به إليه.

الإعراب: ﴿ٱقْتُلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿يُوسُفَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، أي: قال قائل منهم: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾. ﴿أَوِ﴾: حرف عطف. ﴿ٱطْرَحُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ماقبلها، فهي في محل نصب مثلها. ﴿أَرْضًا﴾: في نصبه ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون منصوباً بنزع الخافض، أي: في أرض. الثاني: النصب على الظرفية. الثالث: هو مفعول ثان، وذلك على أن يضمن الفعل معنى: أنزلوه. ﴿يَخْلُ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَجْهُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿أَبِيكُمْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء إلخ، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَخْلُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها لم تقترن بالفاء ولا بـ «إذا» الفجائية. (تكونوا): مضارع ناقص معطوف على ﴿يَخْلُ﴾ مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. وجوز الزمخشري فيه أيضاً اعتباره منصوباً بـ «أن» مضمرة بعد واو المعية، ولا أراه قوياً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بـ ﴿صَٰلِحِينَ﴾

بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (تكونوا). ﴿صَٰلِحِينَ﴾: صفته منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو يهوذا، وكان أحسنهم رأياً فيه، وقيل: هو روبيل. ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾: لأن القتل كبيرة من الكبائر. ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ أي: في أسفل الجب، وظلمته، والغيابة: كل موضع ستر شيئاً، وغيَّبه عن النظر. ويقال: غاب يغيب غيباً وغيابةً وغياباً، وقيل للقبر: غيابة؛ لأنه يستر الميت عن أعين الناس، قال الشاعر المنخل اليشكري: [الطويل]

فَإِنْ أَنَا يَوْماً غَيَّبَتْنِي غَيَابَتِي ... فَسِيرُوا بِسَيْرِي في الْعَشِيرةِ والأَهْلِ

هذا؛ ويقرأ: (غيابات) بالجمع بتخفيف الياء وتشديدها، كما قرئ: (غيبة) هذا؛ والجب: الركية التي لم تطو، أي: لم تعمر جدرانها، فإذا طويت فهي بئر كما في الآية رقم [٤٥] من سورة (الحج)، قال الأعشى: [الطويل]

لَئِنْ كُنتَ في جُبٍّ ثمانينَ قامةً ... ورُقِّيتَ أَسْبَابَ السماءِ بِسُلَّمِ

لَيَسْتَدْرِجنْكَ القوْلُ حَتَّى تَهُرَّهُ ... وتعلَمَ أني لستُ عَنْكَ بِمُفْحَمِ

واختلفوا في مكان ذلك الجب، فقال قتادة: هو بئر بيت المقدس، وقال وهب: هو في أرض الأردن، وقال مقاتل: هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب. ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: يأخذه بعض الذين يسيرون في الأرض قريباً من هذا الجب، وذلك لأن هذا الجب كان معروفاً يرد عليه كثير من المسافرين. هذا؛ ويقرأ الفعل فوق السبعة بالتاء: (تلتقطه) وتأويله عند النحاة: أن المضاف اكتسب التأنيث من المضاف إليه، وله شواهد كثيرة في كتب النحو، خذ بيت الأعشى، وهو بعد البيتين السابقين: [الطويل]

وتَشْرَقُ بالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ ... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

وهو الشاهد رقم [٩٠٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: ما تريدون من التفريق بينه وبين والده، أو المعنى: إن كنتم عاملين بمشورتي.

الإعراب: ﴿قَالَ قَآئِلٌ﴾: ماض وفاعله. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿قَآئِلٌ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿لَا تَقْتُلُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿يُوسُفَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. (ألقوه):

أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿فِي غَيَٰبَتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿غَيَٰبَتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْجُبِّ﴾: مضاف إليه. ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، والهاء مفعول به. ﴿بَعْضُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿يَلْتَقِطْهُ...﴾ إلخ لا محل لها مثل جملة: ﴿يَخْلُ...﴾ إلخ في الآية السابقة، ثم هي في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه، والميم علامة جمع الذكور. ﴿فَٰعِلِينَ﴾: خبر كان منصوب... إلخ، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ قَآئِلٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا﴾: قال الجمل: هذا مبني على مقدمات محذوفة، وذلك: أنهم قالوا أولاً ليوسف: اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا، فنستبق، ونصيد، وقالوا له: سل أباك أن يرسلك معنا، فسأله: فتوقف يعقوب، فقالوا له: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا﴾ انتهى. أي: لم تخافنا عليه؟ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ أي: ونحن نريد له الخير، ونشفق عليه! أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم له، وذلك حين بلغهم خبر رؤياه المنامية. ﴿تَأْمَ۬نَّا﴾: أصله: (تأمننا) أدغمت النون الأولى في الثانية، والجمهور على الإشارة إلى ضمة النون الأولى، وهو ما يسمى بالإشمام، فمنهم من يختلس الضمة بحيث يدركها السمع، ومنهم من يدل عليها بضم الشفة فلا يدركها السمع، ومنهم من يدغمها من غير إشمام، وفي الشاذ من يظهر النون الأولى، وهو القياس، هذا؛ وقرئ: (لا تئمنا) بكسر التاء، وهي لغة تميم، يقولون: أنت تِضْرِبُ، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض مبنيّ على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. (يا): أداة نداء تنوب مناب: (أدعو). (أبانا): منادى منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول.

﴿مَا لَكَ﴾: ﴿مَا﴾ اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَأْمَ۬نَّا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بالسكون العارض الذي جيء به من أجل الإدغام، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»،

و(نا): مفعول به. ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط الضمير فقط، والعامل في الحال الاستفهام. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ اللام: هي المزحلقة. (ناصحون): خبر (إن...) إلخ، والجملة الاسمية: (إنا...) إلخ في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير، وهذه الحال متداخلة في الأولى، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ أي: إلى الصحراء، هذا؛ و﴿غَدًا﴾ أصله: غدواً عند سيبويه، فحذفت منه الواو لغير علة تصريفية، وهو ما يسمى بالحذف اعتباطاً، وقد نطق به على الأصل قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كالدِّيَارِ، وأهلُهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا، وَغَدْواً بَلَاقِعُ

والغدو، والغدوة: البكرة، وهو ما بين صلاة الفجر، وطلوع الشمس. والغد أيضاً: اليوم الذي بعد يومك الذي أنت فيه. ﴿يَرْتَعْ﴾: من الرتع، وهو الرعي، والأكل. يقال: رتع الإنسان والبعير: إذا أكلا كيف شاءا، وقرئ: (يرتعي) بإثبات الياء. ﴿وَيَلْعَبْ﴾ أي: ينشط بالركض والمسابقة، ورمي السهام، هذا؛ ويقرأ الفعلان بالنون أيضاً قراءتان سبعيتان، هذا؛ والرتع في الأصل: أكل البهائم في الخصب زمن الربيع، ويستعار للإنسان، إذا أريد به الأكل الكثير. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه؛ حتى نرده إليك.

الإعراب: ﴿أَرْسِلْهُ﴾: أمر، وفاعله تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿مَعَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿غَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿أَرْسِلْهُ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها. ﴿يَرْتَعْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿يُوسُفَ﴾ على قراءته بالياء، وتقديره: «نحن» على قراءته بالنون، وعلى قراءته بالياء، أي: (يرتعي) فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، وعليه فالجملة الفعلية في محل نصب حال من الهاء، أو من (نا) على حسب القراءة، والرابط الضمير فقط على الاعتبارين، وعلى قراءة الجزم فالجملة لا محل لها ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ وهي في محل نصب حال أيضاً، وعلامة الرفع في الاسمين الواو نيابة عن الضمة؛ لأنهما جمعا مذكر سالمان، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، هذا؛ والآية كلها في محل نصب مقول القول. تأمل.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾

الشرح: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾: لشدة مفارقته عليَّ، وقلة صبري عنه. ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: قال ذلك؛ لأن الذئاب كانت كثيرة في أرضهم، وقيل: رأى في منامه أن ذئباً قد شد على يوسف، فكان يحذره. ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ أي: لاشتغالكم بالرتع، واللعب، أو لقلة اهتمامكم بحفظه، هذا؛ ويقرأ: ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ بهمز وبدونه وهو يقع على الذكر، والأنثى، وربما دخلت الهاء في الأنثى، فقيل: ذئبة، وجمعه على القراءتين: ذئاب، وذياب، وهو حيوان يفترس الغنم.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى يعقوب. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾: مضارع مرفوع، واللام هي المزحلقة، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَذْهَبُواْ﴾ في محل رفع فاعل، التقدير: ليحزنني ذهابكم، وهذه الجملة في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (أخاف): مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا» ﴿أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾ ومفعوله وفاعله، والمصدر المؤول من ﴿أَن﴾ والفعل المضارع في محل نصب مفعول به، وجملة: (أخاف...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَأَنتُمْ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿غَٰفِلُونَ﴾: خبر مرفوع إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: قالوا: والله إن اعتدى عليه الذئب وأكله، ونحن إخوته عشرة أشداء أقوياء؛ ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: لعجزة ضعفاء، فكيف نقدر على دفع الذئب عن أغنامنا ومواشينا، إذا لم نقدر على حفظ أخينا! وقيل: إنهم خافوا أن يدعو عليهم يعقوب بالخسار والهلاك، وانظر شرح ﴿عُصْبَةٌ﴾ في الآية رقم [٨].

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَئِنْ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَكَلَهُ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به. ﴿ٱلذِّئْبُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة

شرط غير ظرفي، والجملة الاسمية: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ في محل نصب حال من الفاعل أو من المفعول به، والرابط: الواو فقط، وهي خالية من الضمير الذي يربطها بصاحبها، وهي لا تنحل إلى مفرد، ولا تبين هيئة فاعل، ولا مفعول، ولا هي حال مؤكدة، وأوّلَ الزمخشري مثلها في سورة (لقمان) بظرف، التقدير: قالوا: لئن أكله الذئب في الوقت الذي نحن فيه عصبة، وقال صدر الأفاضل تلميذ الزمخشري: إنما الجملة مفعول معه، وأثبت مجيء المفعول معه جملة، وانظر الشاهد رقم (٨٤٥) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل لا عمل له. ﴿لَّخَسِرُونَ﴾: خبر (إن)، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، وجواب الشرط محذوف على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما) قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

واحْـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وقَـسَـمْ جَـوابَ مَـا أَخَّـرْتَ فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

بعد هذا فالكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي: أخذوا يوسف معهم إلى البرية بعد أن سمح لهم أبوه بأخذه. ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ أي: عزموا على إلقائه في قعر الجب، وأسفله. ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ أي: نزل جبريل الأمين بأمرنا إليه، فطمأنه، وسكن روعه، وكان مراهقاً، فأوحي إليه في صغره، كما أوحي إلى يحيى، وعيسى، عليهما السلام. يروى أنهم جردوه من ثيابه، فأتاه جبريل وأخرج القميص الذي كان قد أتى به إلى إبراهيم حين ألقي في النار، وجرد من ثيابه فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق دفعه إلى يعقوب، فجعله في تميمة، وعلقها بيوسف، فأخرجه جبريل عليه السلام، وألبسه إياه، وهذا القميص كان من نسج الجنة، فلا يقع على مبتلى، ولا سقيم إلا عوفي في الوقت حالاً، وهذا القميص هو الذي أرسله إلى أبيه، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى في الآية رقم [٩٣] الآتية. هذا؛ وقيل: إن الوحي كان وحي إلهام، كقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ والأول أظهر. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾: لتخبرنهم بفعلهم هذا. ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: أنك يوسف، لعلو شأنك، وبعده عن أوهامهم، وطول العهد المغير للحلى، والهيئات، وذلك إشارة إلى ما قاله لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين، بشره جبريل بما يؤول إليه أمره، إيناساً له، وتطييباً لقلبه، وقيل: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ متصل بـ ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾، أي: آنسناه بالوحي، وهم لا يعلمون ذلك.

بعد هذا، يقال: جمع الأمر: إذا عزم عليه، والأمر مُجْمَعٌ، ويقال أيضاً: اجمع أمرك، ولا تدعه منتشراً، هذا؛ وقد قال تعالى حكاية عن قول فرعون وأشياعه: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾، ولا يقال: أجمع أعوانه وشركاءه، وإنما يقال: جمع أعوانه وشركاءه، وهذا مبني على قاعدة، يقال: (أجمع في المعاني، وجمع في الأعيان) هذا هو الأكثر والمستعمل، وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر على التعاوض، قال تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾. ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: انظر الآية رقم [١٠]. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: انظر النبأ في الآية رقم [١٢٠] من سورة (هود)، وانظر (الوحي) في الآية رقم [٣٦] من سورة (هود) أيضاً.

تنبيه: روي أن أخوة يوسف قالوا له: أما تشتاق أن تخرج معنا إلى مواشينا، فنصيد، ونستبق؟! قال: بلى، قالوا له: نسأل أباك أن يرسلك معنا. قال: افعلوا، فدخلوا عليه بجماعتهم، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى مواشينا، فقال يعقوب: ما تقول يا بني؟! قال: نعم يا أبت إني أرى من إخوتي اللين، واللطف، فأحب أن تأذن لي، وكان يعقوب يكره مفارقته، ويحب مرضاته، فأذن له، وأرسله معهم، فلما خرجوا به من عند يعقوب؛ جعلوا يحملونه على رقابهم، ويعقوب ينظر إليهم، فلما بعدوا عنه، وصاروا إلى الصحراء ألقوه على الأرض، وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة، وأغلظوا له القول، وجعلوا يضربونه، فجعل كلما جاء إلى واحد منهم، واستغاث به ضربه، فلما فطن لما عزموا عليه؛ جعل ينادي: يا أبتاه! لو رأيت يوسف، وما نزل به من إخوته لأحزنك ذلك، وأبكاك! يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيعوا وصيتك! وجعل يبكي بكاء شديداً، فأخذه روبيل، وجلد به الأرض، ثم جثم على صدره، وأراد قتله، فقال له: يا أخي مهلاً لا تقتلني، فقال: يا ابن راحيل أنت صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه، فاستغاث بيهوذا، وقال له: اتق الله فيَّ، وحل بيني وبين من يريد قتلي، فأدركته رحمة الأخوة، ورق له، وقال: يا إخوتي! ما على هذا عاهدتموني، فلما أرادوا إلقاءه في الجب، تعلق بثيابهم، فنزعوها من يديه، فتعلق بحائط الجب، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال يا إخوتاه! ردوا علي قميصي أتوارى به، وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم، ويحتالوا به على أبيهم، فقالوا له: ادع الشمس والقمر، والأحد عشر كوكباً تؤنسك، ودلوه في البئر، فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت، وكان في الجب ماء فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة، فقام عليها، وهو يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم، فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا، وكان يأتيه بالطعام كل يوم، وقال الحسن: لما ألقي يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه الطعام والشراب، ودخل عليه جبريل عليه السلام، وألبسه القميص كما رأيت سابقاً، فأنس به، فلما أمسى نهض جبريل ليذهب، فقال له: إنك إذا تركتني؛ استوحشت، فقال له: إذا رهبت شيئاً فقل:

يا صَرِيخَ الْمُسْتَصْرِخينَ! ويا غَوْثَ الْمُسْتَغِيثِينَ! ويا مُفَرِّجَ كَرْبِ المَكْرُوبِينَ قد تَرَى مكاني، وتَعْلَمُ حَالِي، ولا يخفى عليك شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي! فلما قالها؛ حَفَّتْهُ الملائكة، واستأنس في الجبِّ. وقال محمد بن مسلم الطائفي: لما أُلْقِيَ يوسفُ في الجبِّ؛ قال: يا شاهِداً غَيْرَ غَائِبٍ! ويا قَرِيباً غَيْرَ بَعِيدٍ! وَيَا غَالِباً غَيْرَ مَغْلُوبٍ اجْعَلْ لِي فَرَجاً مِمَّا أَنَا فِيهِ، وكان عمره اثنتي عَشْرَةَ سَنَةً على أصح الأقوال، ومكث في الجب ثلاثة أيام. انتهى. كشاف وخازن بتصرف.

وفي القرطبي: فلما قام على الصخرة، قال: يا إخوتاه! إن لكل ميت وصية، فاسمعوا وصيتي، قالوا: وما هي؟ قال: إذا اجتمعتم كلكم، فآنس بعضكم بعضاً؛ فاذكروا وحشتي، وإذا أكلتم فاذكروا جوعي، وإذا شربتم؛ فاذكروا عطشي، وإذا رأيتم غريباً فاذكروا غربتي، وإذا رأيتم شابّاً؛ فاذكروا شبابي، فقال له جبريل عليه السلام: يا يوسف كُفَّ عَنْ هذا، واشتَغِلْ بالدعاء، فإن الدعاء عند الله بمكان، ثم علمه فقال:

قُل: اللَّهُمَّ يا مُؤْنِسَ كُلِّ غريبٍ، ويا صَاحِبَ كُلِّ وَحِيدٍ، وَيَا مَلْجَأَ كُلِّ خائِفٍ، وَيَا كَاشِفَ كُلِّ كُرْبَةٍ، وَيَا عَالِمَ كُلِّ نَجْوَى، وَيَا مُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى، ويا حاضِرَ كُلِّ مَلإٍ، يا حَيُّ يَا قَيُّومُ أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْذِفَ رَجَاءَكَ في قَلْبِي حَتَّى لَا يَكُونَ لِي هَمٌّ وشُغلٌ غَيْرَكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فقالت الملائكة: إلٰهنا نسمع صوتاً ودعاءً؛ الصوت صوت صبي، والدعاء دعاء نبي. انتهى.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: (حين) عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿ذَهَبُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿صَبَرُواْ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (هود). ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على القول بحرفية (لما) وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾: مضارع منصوب بـ «أن»، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، و(أن) والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والتقدير: أجمعوا على جعله، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. وجوز فيها الحالية، وتكون: (قد) مقدرة قبلها. ﴿فِى غَيَٰبَتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و﴿غَيَٰبَتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْجُبِّ﴾: مضاف إليه، وجواب (لمَّا) محذوف. تقديره: فعلوا به ما فعلوا، وقال الكوفيون: الجواب جملة (أوحينا...) إلخ والواو زائدة، كما قيل به في الآية رقم [٤٠] من سورة (هود)، وهو هنا أرجح من هناك. تأمل. (أوحينا): فعل وفاعل. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان

بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) على القول بزيادة الواو، وهي مستأنفة على قول البصريين، أو هي معطوفة على جواب لما المحذوف. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (تنبئنهم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة أمرهم، والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجملة الفعلية: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مفسر لـ (أوحينا)؛ لأنه بالمعنى هو الموحى ليوسف. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله، والمتعلق محذوف، تقديره: بذلك وقت الإنباء، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير الغائب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَجَاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَاءُوٓ...﴾ إلخ: وإنما رجعوا وقت العشاء ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار بالكذب، فلما بلغوا منزل يعقوب؛ جعلوا يبكون ويصرخون، فسمع أصواتهم، ففزع من ذلك، وقال: ما لكم يا بني؟! وأين يوسف؟! هذا؛ ويقرأ: (عُشَيًّا) وهو تصغير عَشِيٍّ، وعُشًى بالضم والقصر جمع: أعشى. (جاؤوا): هذا الفعل يكون متعدياً إن كان بمعنى: وصل وبلغ، كما في هذه الآية، ويستعمل لازماً، إن كان بمعنى: حضر وأقبل، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ هذا؛ والبكا بالقصر: إسالة الدمع من غير رفع صوت، وبالمد إسالة الدمع مع رفعه، قال الخليل رحمه الله تعالى: من قصر البكاء ذهب به إلى معنى الحزن، ومن مده ذهب به إلى معنى الصوت. قال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: [الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

تنبيه: قال العلماء: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعاً، فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر، وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى، كما قال حكيم: [الوافر]

إِذَا اشْتَبَكَتْ دموعٌ فِي خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

وروي أن امرأة حاكمت زوجها إلى شريح القاضي، وبكت، فقال له الشعبي: يا أبا أمية! أما تراها تبكي؟! فقال: قد جاء إخوة يوسف يبكون، وهم ظلمة، ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية.

الإعراب: ﴿وَجَآءُوٓ﴾: الواو: حرف استئناف. (جاؤوا): فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَبَاهُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف إلخ، والهاء مفعول به. ﴿عِشَآءً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿يَبْكُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط، وجملة: (جاؤوا...) إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نشتد، ونعدو، والمعنى: نستبق على الأقدام ليتبين أينا أسرع ركضاً، وأخف حركةً. ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾: عند ثيابنا. ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ أي: في حال استباقنا، وغفلتنا عنه. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمصدق لقولنا. ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي: في قولنا، وذلك لسوء ظنك بنا، وشدة محبتك ليوسف.

قال السدي، وابن حبان: لما قالوا: أكله الذئب، خر يعقوب مغشياً عليه، فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرك، ونادوه فلم يجب، ووضع يهوذا يده على مخارج نفسه، فلم يحس بنفس، ولم يتحرك له عرق، فقال لهم يهوذا: ويل لنا من ديان يوم الدين، ضيعنا أخانا، وقتلنا أبانا، فلم يفق يعقوب إلا ببرد السحر، فأفاق ورأسه في حجر روبيل، فقال: يا روبيل! ألم أأتمنك على ولدي؟ فقال: يا أبت كف عني بكاءك أخبرك، فكف بكاءه، فقال: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ﴾: انظر الإعراب في الآية رقم [١١]. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿ذَهَبْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿نَسْتَبِقُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (نا) والرابط الضمير فقط. (تركنا): فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في الآية رقم [٢٥] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿يُوسُفَ﴾: مفعول به. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿مَتَٰعِنَا﴾: مضاف إليه، و(نا) في محل جر بالإضافة، وجملة: (تركنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: ماض، ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُؤْمِنٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مؤمن): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، هذا؛ وإن اعتبرت

(ما) مهملة فالضمير مبتدأ، وتكون الباء زائدة في خبره. ﴿لَّنَا﴾: متعلقان بـ (مؤمن)، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلذِّئْبُ﴾، والرابط: الواو فقط على حد الآية رقم [١٤]. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا) اسمها. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وجملة: ﴿وَلَوْ كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من: (نا)، والرابط: الواو، والضمير، فهي حال متداخلة، هذا؛ واعتبر الجلال (لو) امتناعية شرطية، وقدر لها جواباً بقوله: «ولو كنا صادقين عندك لاتهمتنا في هذه القصة»، وردَّ ذلك الجمل وفنده، فيكون المعتمد الأول.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ أي: بدم مكذوب فيه، كان دم سخلة، أو جدي، أو دم ظبية لطخوا القميص فيه، ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام حين رأى القميص هكذا: كيف أكله الذئب، ولم يشق قميصه؟! فاتهمهم بذلك، وقيل: إنهم أتوه بذئب، وقالوا: هذا أكله، فقال: أيها الذئب أنت أكلت ولدي، وثمرة فؤادي؟ فأنطقه الله، وقال: والله ما أكلت ولدك، ولا رأيته قط، ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء، فأطلقه يعقوب، هذا؛ وقرئ: (كذباً) بالنصب على الحال من الواو، أي: جاؤوا كاذبين، وقرئ: (كدب) بالدال، أي: بدم كدر، أو طري؛ إذ يقال للدم الطري: الكدب.

هذا؛ وأصل دم دمَيٌ، وقيل: دَمَوٌ، حذفت لامه للتخفيف، فيثنى على لفظه: دمان بدون رد لامه، ويثنى: دميان أو دموان برد لامه، أما في الجمع فلا بد من ردِّ لامه، فيقال: دماي، أو دماو، فيقال في إعلاله: تحركت الياء، أو الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة والألف المنقلبة فأبدلت الثانية همزة، فصار دماء، وانظر إعلال (أخ) في الآية رقم [٥٩].

روي: أنه لما سمع بخبر يوسف؛ صاح، وسأل عن قميصه، فأخذه وألقاه على وجهه، وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص، وقال: ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا، أكل ابني، ولم يمزق عليه قميصه، ولذلك قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ﴾ أي: سهلت لكم أنفسكم، وزينت، أو هونت في أعينكم أمراً عظيماً، وأيقن: أن الذئب لم يأكله، فأعرض عنهم كالمغضب باكياً حزيناً، وقال: يا معشر ولدي دلوني على ابني، فإن كان حياً رددته إلي، وإن كان ميتاً كفنته ودفنته. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ﴾ أي: فحالي، وشأني، أو: أمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل، وفي الحديث: «**الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق**». وانظر ما ذكرته في الآية

رقم [١١٥] من سورة (هود)، هذا؛ وقرئ: (صبراً جميلاً) على تقدير: فلأصبرنَّ صبراً جميلاً.
﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: أفوض أمري إلى الله، وأستعين به على احتمال ما تدَّعونه من هلاك يوسف، وانظر ما ذكرته في الآية [٨٤] الآتية، ففيها كبير فائدة.

تنبيه: حكى الماوردي أن في القميص ثلاث آيات: حين جاؤوا عليه بدم كذب، وحين قُدَّ قميصه من دبر، وحين ألقي على وجه يعقوب، فارتد بصيراً، أقول: وهذا لا يعني: أنه قميص واحد، وإنما هو مختلف في الحالات الثلاث.

الإعراب: ﴿وَجَآءُو﴾: الواو: حرف استئناف. (جاؤوا): فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ولا تنس أن ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى فوق، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من دم، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وهذا إن جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِدَمٍ﴾: متعلقان بالفعل: (جاؤوا). ﴿كَذِبٍ﴾: صفة (دم)، وانظر الشرح، وجملة: (جاؤوا...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر يعود إلى يعقوب. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿سَوَّلَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنفُسُكُمْ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ...﴾ إلخ معطوفة على كلام مقدر، أي: ليس الأمر كما تدعون، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ...﴾ إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَصَبْرٌ﴾: الفاء: حرف استئناف. (صبر): خبر لمبتدأ محذوف، أو هو مبتدأ خبره محذوف انظر الشرح، وقراءة النصب فيه أيضاً، والكلام مستأنف على القراءتين لا محل له. (الله): مبتدأ. ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: خبره. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾، وتقدير الكلام: المستعان على الذي، أو شيء تصفونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾، التقدير: المستعان على وصفكم، أي: على ادعائكم، والجملة الاسمية (الله...) إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة يسيرون من مدين إلى مصر، فنزلوا قريباً من الجب، وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف فيه، وكان ماؤه ملحاً، فعذب حين ألقي فيه يوسف. ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ أي: الذي يستقي لهم الماء، واسمه مالك بن ذعر الخزاعي وهو من العرب، وعبر

بجمع المذكر على المعنى، ولو عبر على اللفظ لقال: فأرسلت واردها، مثل وجاءت، وجمع وارد: وراد جمع تكسير، وواردون جمع تصحيح، وانظر الآية رقم [٩٨] من سورة (هود) تجد ما يسرك.

﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾: فأنزل دلوه في الجب ليملأه ماء، فتعلق به يوسف عليه السلام، هذا؛ وجمع دلو في القلة أَدْلٍ، فإذا كثرت؛ قلت: دُلِيّ، ودِلِيّ، فقلبت الواو ياء؛ لأن الجمع بابه التغيير، وجمعه المشهور: دلاء، هذا؛ والدلو ما يدلى لإخراج الماء، فإذا امتلأ ماء، قيل: ذَنُوب وسَجْل، وهذا له نظائر في اللغة، فالخوان ما يوضع عليه الطعام، فإذا وضع عليه، قيل: مائدة، ولا يقال: كأس إلا وفيها شراب، وإلا فهي قدح، ولا يقال: جراب إلا وهو مدبوغ، وإلا فهو إهاب، ولا يقال: قلم إلا وهو مِبْرًى، وإلا فهو أنبوب.

﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾: نادى البشرى بشارة لنفسه، أو لقومه، كأنه قال: تعالي، فهذا أوانك فاحضري، وقيل: هو اسم لصاحب له، ناداه ليعينه على إخراجه، وضعفه النحاس؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً، وإنما يأتي بالكناية، وهو كثير، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ وهو عقبة بن أبي معيط، وبعده: ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾، هذا؛ وقرئ: (يا بُشْرَايَ) و(يا بُشْرايْ)، (يا بُشْرَيَّ). ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ أي: أخفاه الوارد، وأصحابه عن سائر الرفقة، وقيل: أخفوا أمره، وقالوا لهم: دفعه لنا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وقيل: الضمير يعود لإخوة يوسف، وذلك لأن يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم، فأتاه يومئذ، فلم يجده في الجب، فأخبر إخوته، فأتوا الرفقة، وقالوا: هذا غلام لنا أبق منا، فاشتروه، فسكت يوسف عليه السلام مخافة أن يقتلوه. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: عليم بما يعمل مالك؛ الذي وجده، وأصحابه الذين أخفوا أمره، أو عليم بصنيع إخوة يوسف بأبيهم، وأخيهم، وما أرادوا من إهلاكه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: لما أخرجوا يوسف من الجب؛ دهشوا لجماله، وكان أحسن ما يكون من الغلمان، وذكر البغوي بسند متصل: أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيَ يوسُفُ شَطْرَ الحسنِ**». ويقال: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة، وكانت قد أعطيت سدس الحسن، وحكى الثعلبي عن كعب الأحبار قال: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين، والعضدين، والساقين، خميص البطن، صغير السرة، وكان إذا تبسم رأيت النور من ضواحكه، وإذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه، لا يستطيع أحد وصفه، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل، وكان شبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله، ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية.

الإعراب: ﴿وَجَآءَتْ﴾: الواو: حرف استئناف. (جاءت): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿سَيَّارَةٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (أرسلوا): ماض والواو فاعله، والألف للتفريق.

﴿وَارِدَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: (أرسلوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وأيضاً جملة: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ معطوفة عليها لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿وَارِدَهُمْ﴾. (يا): حرف نداء ينوب مناب: (أدعو). (بشرى): منادى نكرة مقصودة مبنية على الضم المقدر على الألف في محل نصب، وعلى القراءات الأخرى، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، هذا؛ وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، وقد ينادى ما لا يعقل مجازاً، والمعنى: أيها البشرى احضري، فهذا أوانك، وله نظائر كثيرة في كتاب الله، مثل: يا حسرتى، يا ويلتى، ونحوهما، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، ومثلها الجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (أسروه): ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿بِضَٰعَةً﴾: حال، وهو في الحقيقة معمول لحال محذوفة؛ إذ التقدير: جاعليه بضاعة. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌۢ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عليم بالذي، أو بشيء يعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌۢ﴾، التقدير: عليم بعملهم، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، فقد يطلق لفظ الشراء على البيع، يقال: شريت الشيء، بمعنى بعته، وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع؛ لأن واو الجماعة تعود إلى شيء واحد، وذلك أن إخوته زهدوا فيه، فباعوه، وقيل: إن الضمير يعود على مالك بن ذعر وأصحابه، وعليه يكون لفظ الشراء على بابه. ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ أي: نقص بمعنى منقوص؛ لأن غرض إخوته لم يكن في ثمنه، وإنما كان قصدهم إبعاده عن وجه أبيه؛ ليخلو لهم، كما رأيت فيما تقدم، وقيل: معنى: بخس حرام، أو ظلم؛ لأن ثمن الحر حرام. ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة، فعن ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ: باعوه بعشرين درهماً، أخذ كل واحد من إخوته درهمين. ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أي: من الراغبين عن يوسف، فإن كانت واو الجماعة عائدة على الإخوة فالأمر ظاهر، وإن كان للرفقة، وكانوا بائعين له، فزهدهم فيه؛ لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء، متهاون به، خائف من انتزاعه منه، مستعجل في بيعه، وإن كانوا مبتاعين؛ فلأنهم اعتقدوا: أنه عبد آبق.

قال محمد بن إسحاق: اشتمل فعل أولاد يعقوب على جرائم كثيرة، من قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد، والكذب مع أبيهم، ونسبته إلى الضلال، ومحض الحسد، هو من أمهات الكبائر، وقد عفا الله عن ذلك حتى لا ييئس أحد من رحمة الله تعالى، وقال بعض أهل العلم: عزموا على قتله، وعصمهم الله رحمة بهم، ولو فعلوا ذلك؛ لهلكوا جميعاً، وكل ذلك قبل أن نبأهم الله. انتهى. خازن وغيره بتصرف.

أقول: لم تثبت نبوتهم بحديث صحيح، وإن كانوا أنبياء؛ فليسوا رسلاً قطعاً.

الإعراب: ﴿وَشَرَوْهُ﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (شروه): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة، مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والهاء مفعول به، والجمل الفعلية معطوفة، أو مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿بِثَمَنٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَخْسٍ﴾: صفة: ثمن. ﴿دَرَاهِمَ﴾: بدل من (ثمن) مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. ﴿مَعْدُودَةٍ﴾: صفة: ﴿دَرَاهِمَ﴾. (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بـ ﴿الزَّاهِدِينَ﴾، إن كانت (أل) للتعريف، ومتعلقان بمحذوف يبينه: ﴿الزَّاهِدِينَ﴾، إن كانت موصولة بمعنى (الذي) لأن متعلق الصلة لا يتقدم عليها. ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: (كانوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها، ومثل هذه الجملة في إعرابها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الآية رقم [١٣٠] من سورة (البقرة)، وقوله تعالى: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الآية رقم [١١٦] من سورة (المائدة)، وذلك على اعتبار (أل) للتعريف، أو موصولة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾: وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر، واسمه قطفير، أو إطفير، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي، وقد آمن بيوسف، ومات في حياته، وقيل: كان فرعون موسى، عاش أربعمئة سنة بدليل قوله تعالى في سورة (غافر): ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ والمشهور: أنه من أولاد فرعون يوسف، والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء، روي: أن العزيز اشتراه، وهو ابن سبع عشرة سنة، ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان؛ وكان ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة، والعلم، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي، وهو ابن مئة وعشرين سنة، واختلف في الثمن الذي اشتراه

به من مالك بن ذعر، فقيل: بعشرين ديناراً، وزاده حلة، ونعلين، وقيل: تزايدوا في ثمنه، فبلغ أضعاف وزنه مسكاً، وعنبراً، وحريراً، وورقاً وذهباً، ولآلئ، وجواهر لا يعلم قيمتها إلا الله، فابتاعه قطفير من مالك بهذا الثمن. ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾: اسمها راعيل، أو زليخا، وهو المشهور. ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعلي مقامه عندنا كريماً حسناً، فأكرميه في المطعم، والمشرب والملبس، والمثوى في الأصل: المنزل الذي يكون فيه الإقامة، والفرق بينه وبين المأوى، فهو مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى، فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ولو مؤقتاً. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ أي: إن أردنا بيعه بعناه بربح، أو يكفينا بعض أمورنا، ويقضي حوائجنا؛ إذا قوي وبلغ. ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أي: نتبناه، وكان عقيماً لا ولد له.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كما مننا على يوسف بإنقاذه من القتل، وإخراجه من الجب مكناه في أرض مصر فجعلناه على خزائنها، وصاحب الأمر والنهي فيها. وانظر الآية رقم [٥٦] الآتية. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي: تعبير الرؤيا وتفسيرها المنبهة على أمور تقع في المستقبل ليستعد لها، ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل برؤيا الملك الآتية، وقيل: المراد إقامة العدل إذا حكم، وتدبير أمور الناس، وفهم معاني كتاب الله وأحكامه، وانظر ما ذكرته في الأحاديث في الآية رقم [٦]. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ قيل: الضمير يرجع إليه تعالى، ويكون المعنى: الله غالب على أمره يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا راد لقضائه، ولا يغلبه شيء، وقيل: الضمير راجع إلى يوسف، ومعناه أنه تعالى مستولٍ على أمر يوسف بالتدبير والإحاطة، لا يكله إلى أحد سواه، حتى يبلغ منتهى ما قدره له، من علو الشأن، ورفيع المنزلة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يطلعون على الغيب. أو المراد: لا يعلمون حكمة الله في أحكامه، وتصريفه الأمور على حسب مشيئته وتقديره، وذكر الأكثر؛ لأن البعض لا يعرف الحق لنقصان عقله، أو التقصير في النظر، وقيل: المراد بالأكثر: الجميع؛ لأن أحداً لا يعلم الغيب.

هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٨] من سورة (هود)، وانظر القول في الآية رقم [١٨] من سورة (هود)، وفي الآية الكريمة التفات من التكلم إلى الغيبة، انظر الالتفات في الآية رقم [٥٠] من سورة (يونس).

فائدة: قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أحسن الناس فراسة ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وبنت شعيب حين قالت لأبيها في موسى: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وأبو بكر حين استخلف عمر ـ رضي الله عنهما ـ هذا؛ وأقول: إن فراسة خديجة رضي الله عنها بالنبي ﷺ أعظم فراسة.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى﴾ ماض وفاعله. ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد والجملة الفعلية صلة الموصول

لا محل لها. ﴿مِن مِّصْرَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع ممكن الصرف للعلمية والعجمة، ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾: متعلقان بالفعل: (قال)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَكْرِمِي﴾: أمر مبني على حذف النون، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله. ﴿مَثْوَاهُ...﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَكْرِمِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿عَسَىٰ﴾: ماض دال على الترجي، وهو تام هنا. ﴿أَن﴾: حرف ناصب. ﴿يَنفَعَنَا﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى يوسف، و(نا): مفعول به، و﴿أَن﴾ المصدرية والمضارع في تأويل مصدر في محل رفع فاعل: ﴿عَسَىٰ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مفيدة للترجي. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نَتَّخِذَهُ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿وَلَدًا﴾: مفعول به ثان. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله بعده، التقدير: مكنا ليوسف تمكيناً كائناً مثل إنقاذنا له من القتل، وإخراجنا له من الجب. ﴿مَكَّنَّا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِيُوسُفَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما والمفعول به محذوف، التقدير: الأمور، هذا؛ وأجيز اعتبار اللام زائدة، فيكون يوسف مفعولاً به مجروراً لفظاً، منصوباً محلّاً. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان به أيضاً، والجملة الفعلية: (كذلك. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها. (لنعلمه): مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» والهاء مفعول به. ﴿مِن تَأْوِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿تَأْوِيلِ﴾: مضاف، و﴿الْأَحَادِيثِ﴾: مضاف إليه، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على مقدر محذوف، التقدير: ليتصرف فيها بالعدل، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ...﴾ إلخ: وقيل: الواو زائدة، وعليه يتعلق الجار والمجرور بالفعل ﴿مَكَّنَّا﴾ مباشرة. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: متعلقان بـ ﴿غَالِبٌ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وفي ﴿غَالِبٌ﴾ ضمير مستتر فيه هو فاعله. والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: مضارع وفاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ أي: يوسف عليه السلام. ﴿أَشُدَّهُ﴾: منتهى شبابه، وشدته، وقوته، وهو ثلاث وثلاثون سنة على المعتمد، هذا؛ وأشده عند سيبويه جمع، واحده شدَّة، وقال الكسائي: واحده: شَدٌّ، وزعم أبو عبيد: أنه لا واحد له من لفظه عند العرب. ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا

﴿وَعِلْمًا﴾ أي: نبوةً وفقهاً في الدين، وقيل: إصابة في القول، وعلماً بتأويل الرؤيا، وقيل: الفرق بين الحكيم، والعالم: أن العالم هو الذي يعلم الأشياء بحقائقها، والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها. ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: فيه إشارة إلى أن الله تعالى إنما منحه ما منحه من النعم جزاء إحسانه، هذا؛ والمحسن: هو الذي يحسن معاملته مع الله تعالى بأداء ما أمر، والابتعاد عن ما نهى عنه، ويحسن إلى عباده، فيعطف على ضعيفهم، ويواسي فقيرهم، ويرشد جاهلهم إلخ.

تنبيه: قال الطبري: هذا؛ وإن كان مخرجه ظاهراً على كل محسن، فالمراد به محمد ﷺ، يقول الله تعالى: كما فعلت بيوسف بعد أن قاسى ما قاسى، ثم أعطيته ما أعطيته، كذلك أنجيك من شركي قومك، الذين يقصدوتك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض. انتهى. قرطبي.

تنبيه: لعلك تدرك معي: أن الله تعالى قال في حق موسى عليه السلام في سورة (القصص): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ ولم يقل هنا ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ والسبب في ذلك: أن الله أرسل موسى على رأس الأربعين، وهو سن الاستواء، والنضج عقلاً، وجسماً، وتفكيراً... إلخ، أما الأشد وهو سن الثلاث والثلاثين، فإنه لا يزال في ازدياد إلى سن الأربعين، وليس بعده نضج ولا كمال ولا تمام، وقد يثبت عليه إلى سن الخمسين، ثم يأخذ بالنقصان في كل شيء، عقلاً، وجسماً، وتفكيراً، وحواسه تأخذ بالضعف، وكل ذلك مشاهد، وجلي.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٥]. ﴿بَلَغَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (يوسف). ﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لمّا) حرفاً. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾: ماض وفاعله ومفعوله الأول. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب (لمّا) لا محل لها، و(لمّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (علماً): معطوف على ما قبله. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نجزي المحسنين جزاء كائناً مثل الجزاء الذي جزيناه يوسف. ﴿نَجْزِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به أول منصوب... إلخ، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: خيراً ونحوه؛ لأن الفعل ينصب مفعولين، وجملة: (كذلك...) إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: إن امرأة العزيز طلبت من يوسف الذي هو خادمها وفي بيتها الفعل القبيح، ودعته إلى نفسها؛ ليواقعها.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾: قيل: كانت سبعة، وتشديد اللام للتكثير، أو للمبالغة، وفعلت ذلك لشدة خوفها، ولأن مثل هذا لا يكون إلا في ستر، وخفية. ﴿وَقَالَتْ﴾ أي: زليخا. ﴿هَيْتَ لَكَ﴾: هلم، وأقبل، وتعال، وهو اسم فعل جامد لا يتصرف، قال النحاس: فيها سبع قراءات، فمن أجلِّ ما فِيهَا، وأَصَحِّه إسناداً ما رواه الأعمش عن أبي وائل، قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ: (هَيْتَ لك) أي: بفتح التاء، قال: فقلت: إن قوماً يقرؤونها (هَيْتِ لكَ) فقال: إنما أقرأ كما علمت، وقرئ (هَيْتُ) قال طرفة بن العبد: [الخفيف]

لَيْسَ قَوْمِي بِالأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ

فهذه ثلاث قراءات الهاء فيهن مفتوحة، وقرئ: (هِيْتُ لكَ) و(هِيتَ لكَ) بكسر الهاء فيهما، وضم التاء أو فتحها، وقرئ: (هِيْتُ لك) و(هِئْتَ لك) بكسر الهاء فيهما وسكون الهمزة. وضم التاء وفتحها، وقرئ أيضاً: (هَيْتِ لك) كجير و(هَيَّأْتُ) وأجودها أولها كما رأيت، قال شاعر يدعو علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى العراق: [مجزوء الكامل]

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذا أَتَيْتَ
إِنَّ الْعِرَاقَ وأَهْلَهُ سِلْمٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَ

بعد هذا قال مجاهد وغيره: هي لغة عربية، وقال غيره: هي لغة عبرانية، أو قبطية، فمن قال: إنها بغير لغة العرب، يقول: إن العرب وافقت أصحاب هذه اللغة، فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم، كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في التنور، ولغة العرب الترك في الغساق، ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل، وبالجملة فإن العرب إذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها، وانظر ما ذكرته في الآية [٢].

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذ بالله، وأعتصم به، وألجأ إليه فيما دعوتني إليه، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ أي: سيدي ومولاي العزيز قطفير. ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾: أكرمني، فلا أخونه بأهله، وقيل: إن الضمير في ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ يعود إلى الله، والمعنى: إن الله تولاني بلطفه، حيث آواني إليكم، ومن بلاء الجب نجاني. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: يعني إن فعلت هذا الفعل؛ فأنا ظالم، ولا يسعد الظالمون.

تنبيه: في الآية الكريمة معنى بلاغي عظيم، فإنَّ استعمال الموصول في قوله: ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ يعطي معنى أرفع من التصريح باسمها زليخا؛ لأن وجوده في بيتها، وتحت إمرتها، وإغلاق الأبواب بإحكام يجعله في أمان تام، واطمئنان كامل من أن يطلع عليه أحد لو فعل معها الفاحشة، واستجاب لرغبتها، ومع ذلك فقد أعرض عنها، والله هو الذي تولاه بلطفه، وحماه من مواقعة الفاحشة.

الإعراب: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (راودته): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على

الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي بَيْتِهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المجرور محلًّا بالإضافة، والجملة الفعلية (راودته...) إلخ مستأنفة لا محل لها، وقال الجمل: الجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ...﴾ إلخ إلى هنا اعتراض. ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ معطوفة على ما قبلها، ولعلك تدرك معي: أن تغليق الأبواب كان قبل المراودة. (قالت): ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّتِي هُوَ...﴾ إلخ. ﴿هَيْتَ﴾: اسم فعل أمر، مبني على الفتح، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، وقيل: هو اسم فعل ماض، والمعتمد الأول. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بـ ﴿هَيْتَ﴾، واللام للتبيين كالتي في (سقيا لك) أي: تبيين المفعول المخاطب، فكأنها قالت: الكلام معك، والخطاب لك، هذا؛ وعلى قراءة (هِئْتُ) فهو فعل وفاعل، و﴿لَكَ﴾ متعلقان به، والكلام على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: (قالت...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (يوسف). ﴿مَعَاذَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، و﴿مَعَاذَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الناتجة من المصدر الميمي وفعله المحذوف في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿رَبِّيٓ﴾: خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة لياء المتكلم، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿أَحْسَنَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبِّيٓ﴾. ﴿مَثْوَايَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ (إنَّ) أو في محل نصب حال من ﴿رَبِّيٓ﴾ فتكون «قد» قبلها مقدرة، والرابط الضمير فقط. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿رَبِّيٓ﴾ مبتدأ، والجملة الفعلية خبره، فتكون الجملة الاسمية: ﴿رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، وجوز اعتبار ﴿رَبِّيٓ﴾ بدلاً من الهاء، فتكون الجملة الفعلية خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُفْلِحُ﴾: مضارع. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فاعله مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾: الهم: هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه، فمعنى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ أرادته وقصدته، فكان همها به عزمها على المعصية والزنى، وهمَّ يوسف، ولم يواقع ما هم به، فبين الهمتين فرق، ومن الثاني قول عمرو بن ضابئ البرجمي: [الطويل]

هَمَمْتُ، وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ... تركْتُ عَلَى عُثْمَانَ تبكي حَلَائِلُهْ

هذا؛ ولقد كثرت أقوال المفسرين في هذه القصة، وها أنذا ألخصها لك، وأطلب من الله التوفيق إلى الصواب، وسلوك طريق النجاح والسداد، فأقول: همت به همَّ عزم وقصد لما تبغي من الفاحشة، وهم بها همَّ الطباع مع الامتناع، قاله الحسن، ولا صنع للعبد فيما يخطر في القلب من ذلك، ولا مؤاخذة عليه، ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين، وقيل: هم بها: شارف أن يهم بها، وقل: هم بها: هم بزجرها، ووعظها، وقيل: هم بضربها، ودفعها عن نفسه، وقيل: هم بها همها: امتناعه، وجواب ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ محذوف، تقديره: لخالطها، أو لكان ما كان، والبرهان الحجة.

هذا؛ وما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أنه قال: حل يوسف الهميان، وجلس منها مجلس الخائن، فهو مكذوب عليه، وحاشاه أن يقول ذلك، وما قاله مجاهد وغيره: حل سراويله، وجعل يعالج ثيابه، وقعد منها مقعد الرجل من زوجته، فهو باطل، ويدل على بطلانه قوله تعالى: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ ولو كان ذلك منه أيضاً لما برأ نفسه من ذلك، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفاً عنه، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ ولو كان كذلك لخانه بالغيب، وقول النسوة: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ بل وتصريح زليخا ببراءته في قولها: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وشهادة زوجها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ وشهادة المولود ببراءته، قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ...﴾ إلخ، ولأنه لو وجد منه شيء من ذلك، لذكرت توبته واستغفاره، كما كان لآدم ونوح، وذي النون، وداود على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وأزكى سلام، وقد سماه الله مخلصاً، فعلم بالقطع: أنه ثبت في ذلك المقام، وجاهد نفسه مجاهدة أهل العزم، ناظراً في دلائل التحريم، حتى استحق من الله الثناء الجميل.

وأما قوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ...﴾ إلخ فهذا منه على سبيل التواضع والاعتراف لمخالف النفس لِما زكي به، قبل وبرئ، وما روي: أن جبريل عليه السلام، وقيل: مثل له يعقوب، فضرب على صدره، فخرجت شهوته من أنامله لا أصل له.

وأما البرهان الذي رآه يوسف، فقد فسره المحققون بوجوه: الأول: قال جعفر الصادق: البرهان هو النبوة التي جعلها الله في قلبه، فحالت بينه وبين ما يسخط الله تعالى. الثاني: البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنى، والعلم بما على الزاني من العقاب. الثالث: أن الله طهر نفوس الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من الأخلاق الذميمة، والأفعال الرذيلة، وجبلهم على الأخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة، فتلك الأخلاق الطاهرة الشريفة،

تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله، وبالجملة: فالبرهان آية من آيات الله، أراها يوسف عليه السلام؛ حتى قوي إيمانه، واشتد يقينه، فامتنع عن المعصية، ولا يلتفت لما يقال من أقوال.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿هَمَّتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى زليخا. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. و﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هذه الجملة معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿رَّءَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (يوسف). ﴿بُرْهَٰنَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾: مضاف إليه، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿رَّءَا﴾ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، خبره محذوف، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف، وتقدير الكلام: لولا رؤيته برهان ربه موجودة في ذلك الوقت لواقع المعصية، وهذا الكلام مستأنف لا محل له. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر، أو الحال كذلك، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، عامله ما بعده، التقدير: لنصرف عنه السوء والفحشاء صرفاً كائناً مثل رؤيته برهان ربه. ﴿لِنَصْرِفَ﴾: مضارع منصوب بـ «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: مفعول به. (الفحشاء): معطوف عليه، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، يدل عليه الكلام، التقدير: أريناه البرهان لصرف السوء والفحشاء عنه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادِنَا﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء... إلخ، وهو يقرأ بفتح اللام وكسرها، والأول بمعنى المختارين المُصْطَفَيْن، والثاني من إخلاص العبادة لله تعالى، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل لصرف السوء عنه.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ أي: تسابق يوسف، وزليخا إلى الباب الخارجي، ففي الكلام حذف واختصار؛ إذ التقدير: ولما رأى برهان ربه هرب منها، فتبعته؛ لترده، فأدركته قبل أن يخرج من الباب، فتعلقت بقميصه من خلفه، وجذبته إليها؛ حتى لا يخرج، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ أي: فشقته من خلف، فغلبها يوسف، فخرج، وخرجت خلفه،

هذا؛ والقَدُّ: الشق طولاً، وَالْقَطُّ: الشق عرضاً. . ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾: وجد يوسف وزليخا قطفيراً العزيز زوجها واقفاً، وقيل: جالساً عند الباب، هذا؛ والقبط يسمون الزوج سيداً.

﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ...﴾ إلخ: بادرت في الكلام إيهاماً بأنها فرت من يوسف تبرئة لساحتها عند زوجها، ولتغير قلبه على يوسف، ولتغريه به انتقاماً منه حيث لم يستجب لرغبتها فيما طلبت منه، ولكنها لا تزال تكِنُّ له الحب الشديد؛ ولذا لم تطلب له عقوبة القتل، وإنما عينت عقوبته بنفسها، السجن، أو التعذيب بضرب السياط، وإنما بدأت بذكر السجن دون التعذيب؛ لأن المحب لا يشتهي إيلام المحبوب، وهي كذلك، وقد أرادت أن يسجن يوماً أو يومين تريد بذلك إخضاعه لإرادتها، وهيمنتها عليه، خذ هذا؛ وافهمه، فإنه جيد إن شاء الله تعالى.

بعد هذا انظر شرح (أهلك) في الآية رقم [٨١] من سورة (هود)، وشرح (القول) في الآية [١٨] منها أيضاً، و(سيد) أصله: سَيْوِد من ساد، يسود، فقل في إعلاله: اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وقل مثله في إعلال ميت وهين ونحوهما. ﴿عَذَابٌ﴾: اسم مصدر؛ لا مصدر؛ لأن المصدر: تعذيب، فهو من عذَّب يُعذِّب بتشديد الذال فيهما، وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: عطاء، ونبات لأعطى، وأنبت. ﴿أَلِيمٌ﴾: مؤلم، أي: موجع بكسر اللام، فهو اسم فاعل، وقال الجمل: بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي، حيث أسند الألم للعذاب، وهو في الحقيقة، إنما يسند إلى الشخص المعذب، فهو على حد (جَدَّ جَدُّهُ) انتهى. بتصرف، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱسْتَبَقَا﴾: الواو: حرف عطف. (استبقا): ماض، وألف الاثنين فاعله. ﴿ٱلْبَابَ﴾: منصوب بنزع الخافض، وقيل: يضمن الفعل معنى: ابتدر الباب فهو مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ...﴾ إلخ فيكون: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ معترضاً بين المتعاطفين، جيء به تقريراً لنزاهة يوسف عليه السلام. (قدت): ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى زليخا. ﴿قَمِيصَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِن دُبُرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: (قدت. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها. (ألفيا): ماض، والألف فاعله. ﴿سَيِّدَهَا﴾: مفعول به أول، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿لَدَا﴾: ظرف مكان بمعنى: (عند) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، وهو متعلق بالفعل قبله، و﴿لَدَا﴾: مضاف، و﴿ٱلْبَابِ﴾: مضاف إليه، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: واقفاً، أو جالساً، وجملة: (ألفيا. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى زليخا. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿جَزَآءُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبني على السكون في مجل جر بالإضافة. ﴿أَرَادَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿بِأَهْلِكَ﴾: متعلقان بـ ﴿أَرَادَ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿سُوٓءًا﴾،

كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً . . . إلخ. ﴿سُوٓءًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَرَادَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَنْ﴾ أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُسْجَنَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ ﴿أَن﴾، ونائب فاعله يعود إلى ﴿مَنْ﴾، وأن والمضارع في تأويل مصدر في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿عَذَابٌ﴾: معطوف على المصدر المؤول. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفته، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَا﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿جَزَآءُ﴾ خبره، ويكون المصدر المؤول من: ﴿أَن يُسْجَنَ﴾. في محل رفع بدلاً من ﴿جَزَآءُ﴾، ولا يجوز اعتباره استثناء منصوباً لعطف عذاب عليه. تأمل، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾: قال يوسف: هي طالبتني بفعل الفحشاء. فأبيت، وفررت منها، وإنما قال ذلك حين لطخت عرضه، ودفعاً لما عرضته له من السجن، أو العذاب، ولو لم تكذب عليه؛ لما قاله. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: اختلفوا في ذلك الشاهد، فقال سعيد بن جبير والضحاك: كان صبياً، فأنطقه الله عز وجل، وهو رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**تَكلَّمَ أَرْبَعَةٌ، وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ ماشطةِ ابْنَةِ فرعونَ، وشاهِدُ يوسُفَ، وصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ**». ذكره البغوي بغير سند، قيل: كان الصبي ابن عم المرأة، أو ابن خالها، وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: لم يكن صبياً، ولكنه كان رجلاً حكيماً ذا رأي: وعقل، وكان الوزير يستشيره في أموره، وهو من أقرباء المرأة، وكان مع زوجها حينما خرجا يتراكضان خلف بعضهما، وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها، ليكون ألزم عليها. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ...﴾ إلخ: لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها، أو أنه أسرع خلفها، فتعثر بذيله، فانقد جيب قميصه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى يوسف. ﴿هِىَ﴾: مبتدأ. ﴿رَٰوَدَتْنِى﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل مستتر يعود إلى زليخا، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هِىَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ هِىَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿عَن نَّفْسِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . . إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾: ماض وفاعله. ﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والأولى تعليقهما بـ

﴿شَاهِدٌ﴾ أو بمحذوف صفة له، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿قَمِيصُهُۥ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قُدَّ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى قميصه. ﴿مِن قُبُلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَصَدَقَتْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (صدقت): ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر تقديره هي، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط، وهي على تقدير «قد» قبلها؛ إذ التقدير: فقد صدقت. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل (صدقت) المستتر، والرابط: الواو فقط على حد قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والجملة الشرطية: ﴿إِن كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به؛ لأن (شهد) بمعنى قال، أو هي في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقال: ﴿إِن كَانَ...﴾ إلخ وقد صرح الجلال بتقدير هذا القول. تأمل.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: أقول: بالإضافة لما أدلى به الشاهد من شهادة معتمداً في شهادته على القياس والاعتبار، والعمل بالعرف والعادة من قَدِّ القميص مقبلاً في حال الإرادة، والإغارة، ومن قَدِّهِ مدبراً في حال الإكراه، والملاحقة، والمطاردة، فهناك علامات كثيرة تدل على صدق يوسف عليه السلام، وتنفي عنه الريبة، والتهمة: منها أن يوسف عليه السلام كان في الظاهر مملوك هذه المرأة، والمملوك لا يجرؤ على مراودة سيدته، وطلب الفاحشة منها. ومنها: أن زوجها ومن كان معه قد شاهدوا يوسف يعدُو هارباً منها، والطالب لا يهرب، ومنها: أنهم رأوا المرأة قد تزينت بأكمل الزينة، فكان إلحاق التهمة بها أولى، ومنها: أنهم عرفوا يوسف عليه السلام في المدة الطويلة بينهم، فلم يروا عليه حالة تناسب إقدامه على مثل هذه الحالة، فمجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع قرينة الحال التي استدل به الشاهد على نزاهته وبراءته مما قذفته به، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وقد قرئ (قُبُلُ ودُبُرُ) بضم كل حروفهما، قال الزجاج: بجعلهما غايتين كقَبْلُ وبَعْدُ، كأنه قال: من قُبُلِهِ ومن دُبُرِهِ، فلما حذف المضاف إليه، وهو مراد صار المضاف غاية نفسه، بعد أن كان المضاف إليه غاية له، وقرئ: (من قُبْلٍ ومن دُبْرٍ) بسكون عينهما وجر لامهما، وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ: (من قُبُلَ، ومن دُبُرَ) بفتح لامهما وضم عينهما، كأنه جعلهما علمين

للجهتين، فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث؛ لأن كلاهما معرفة ومزال عن بابه، وينبغي أن تعلم أن القراءة الأولى سبعية، وهي قراءة الجمهور، وأما القراءات الثلاث الأخيرة فمن الشواذ.

الإعراب: بعد هذا فإعراب هذه الآية ظاهر إن شاء الله تعالى؛ لأنه مثل إعراب الآية السابقة بلا فارق، هذا؛ وقد قال الزمخشري في كشافه: فإن قلت: كيف جاز الجمع بين (إن) التي هي للاستقبال، وبين (كان) التي هي للماضي، قلت: لأن المعنى: أنه يعلم إن كان قميصه قُدَّ، ونحوه قولك: إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتنُّ عليك بإحسانه، تريد: إن تَمْتَنَّ علي أَمْتَنُّ عليك. انتهى. وإن ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ أي: لما رأى قطفير القميص مشقوقاً من خلفه، وعلم كذب زوجته، وصدق يوسف وبراءته، مما قذفته به؛ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ أي: إن قولك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ﴾، أو إن هذا الأمر، وهو طمعها في يوسف. ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: الخطاب لها ولأمثالها، أو لسائر النساء، وإنما كان كيدهن عظيماً؛ لأنه ألصق، وأعلق بالقلب، وأشد تأثيراً في النفس، ولأنهن يواجهن الرجال به، والشيطان يوسوس مسارقة.

وقال بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، وقال للنساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وقال مقاتل: عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن كَيْدَ النساءِ أعظمُ من كَيْدِ الشيطانِ؛ لأن الله تعالى يقول**: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، **وقال**: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ **ولا تنس قوله تعالى في سورة التحريم**: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾».

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٥] ﴿رَءَا﴾: ماض، وفاعله يعود إلى قطفير العزيز. ﴿قَمِيصَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿رَءَا قَمِيصَهُۥ﴾ لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قُدَّ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى: ﴿قَمِيصَهُۥ﴾. ﴿مِن دُبُرٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ في محل نصب مفعول به ثان، إن كان (رأى) علمياً، وفي محل نصب حال، إن كان بصرياً، وتكون: «قد» قبلها مقدرة. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى قطفير أيضاً. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إن)، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول،

وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ مؤكدة لسابقتها، وهي من مقول قطفير أيضاً.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي: يا يوسف أعرض عن هذا الأمر، فلا تذكره لأحد؛ حتى لا يشيع، وينتشر بين الناس، أو المعنى: لا تكترث به، فقد بان عذرك، وبراءتك. ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ أي: توبي واعتذري إلى إلهك ممَّا رميت به يوسف، وهو بريء، وقيل: إن هذا من قول الشاهد، يقول للمرأة: اعتذري لزوجك ليصفح عنك. ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ أي: من المذنبين حيث خنت زوجك، ورميت يوسف بالتهمة، وهو بريء، وفي قوله ﴿الْخَاطِئِينَ﴾ تغليب للذكور على النساء، وهو كثير ومستعمل في القرآن الكريم، مثل: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ هذا؛ وقد قال الجمل نقلاً عن كرخي: كان العزيز قليل الغيرة، بل قال في البحر إن تربة مصر تقتضي هذا، ولهذا لا ينشأ فيها الأسد، ولو دخل فيها لا يبقى. انتهى. وقال القرطبي: إن الله سلبه الغيرة، وكان فيه لطف بيوسف، حتى كفي بادرته، وعفا عنها. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يُوسُفُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بأداة النداء المحذوفة. ﴿أَعْرِضْ﴾: فعل أمر وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول. تأمل. (استغفري): أمر مبني على حذف النون، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله، ومفعوله محذوف؛ إذ التقدير: استغفري إلٰهك؛ لأن هذا الفعل قد ينصب مفعولين صريحين، وقد يتعدى للثاني بحرف الجر، كما هنا، وانظر الآية رقم [١٠٤] من سورة (يونس). ﴿لِذَنبِكِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّكِ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿كُنتِ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتِ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكِ...﴾ إلخ تعليل للأمر وهي بدورها من مقول قطفير العزيز.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: ما حدث ليوسف عليه السلام مع زليخا لم يبق سرّاً بل تحدثت به النساء بينهن، وكن خمساً: امرأة حاجب العزيز،

وامرأة صاحب دوابِّه، وامرأة خبَّازه، وامرأة ساقيه، وامرأة صاحب سجنه، وقلن: امرأة العزيز زليخا تطلب مواقعة عبدها الكنعاني، وهو يمتنع عنها. ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: إن حبه قد شق شغاف قلبها ـ وهو حجابه ـ حتى وصل إلى فؤادها، وقيل: إن حبه قد أحاط بقلبها كإحاطة الشغاف بالقلب، حتى أصبحت لا تعرف شيئاً سواه. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خطأ بين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف، والستر، والمحافظة على الشرف، وانظر إعلال (نرى) في الآية رقم [٢٧] من سورة (هود).

ـ بعد هذا فالمرأة مأخوذة من المرء، وهو الرجل، فلذا سميت بذلك، والأم الأولى حواء سميت بذلك؛ لأنها مأخوذة من حي وهو آدم عليهما السلام، وتجمع المرأة من غير لفظها، ففي القلة جمعها نسوة، بكسر النون وضمها، وفي الكثرة جمعها: نساء، وتجمع أيضاً على: نسوان، ونسون، ونسنين، وهذه الجموع كلها مأخوذة من النسيان، فهي مطبوعة عليه، إما كذباً، وإما إهمالاً، ويقال لكل واحد من هذه الجموع: اسم جمع لا واحد له من لفظه. ﴿فَتَىٰهَا﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٦٢] الآتية، وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٥٣] الآتية، هذا؛ والشغف مصدر: شغفه الحب إذا خرق شغاف قلبه؛ حتى وصل للفؤاد، والشغاف: حجاب القلب المحيط به، وقيل: بل هو جلدة رقيقة، يقال لها: لسان القلب إذا دخله الحب لم يخرج منه، قال النابغة الذبياني: [الطويل]

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ ... دُخُولَ الشِّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ

هذا ويقرأ: (شعفها) بالعين من: شعف البعير: إذا هنأه، فأحرقه بالقطران، قال امرؤ القيس: [الطويل]

أَتَقْتُلُنِي، وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا ... كَمَا شَعَفَ الْمَهْنوءَةَ الرجل الطَّالِي؟

المعنى: أتقتلني المحبوبة، والحال أني قد شعفت فؤادها، أي: علوته كما يعلو الرجل الطالي الإبل المهنوءة؛ إذا هنأها بالقطران.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: ماض. ﴿نِسْوَةٌ﴾: فاعله، ولم يؤنث الفعل؛ لأن الفاعل اسم جمع كما رأيت، وما كان من هذا القبيل يجوز تأنيث فاعله، وتذكيره. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نِسْوَةٌ﴾. ﴿ٱمْرَأَتُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: مضاف إليه. ﴿تُرَٰوِدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إليها. ﴿فَتَىٰهَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تُرَٰوِدُ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تُرَٰوِدُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱمْرَأَتُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة:

(قال...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿شَغَفَهَا﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿فَتَىٰهَا﴾، و(ها): مفعول به. ﴿حُبًّا﴾: تمييز محول عن الفاعل، فإن الأصل: قد شغفها حبه، وجملة: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ يجوز أن تكون في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، وأن تكون في محل نصب حال من الفاعل، أو من المفعول، وأن تكون مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت النون، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَنَرَىٰهَا﴾: اللام: هي المزحلقة. (نراها): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والهاء: مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ...﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: فلما سمعت زليخا بغيبة النسوة إياها، وذمها، وقيل: إنها أطلعتهن على سرها فأفشينه، فسمى الله ذلك مكراً. ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: قيل: صنعت وليمة عظيمة، ودعت إليها أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن الخمس اللاتي تكلمن فيها، وقد أرادت أن تقيم عذرها عندهن في محبة يوسف عليه السلام. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي: ووضعت لهن نمارق ووسائد يتكئن عليها، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره: يعني طعاماً، وإنما سمي الطعام متكأ؛ لأن كل من دعوته ليطعم عندك، فقد أعددت له وسائد يجلس، ويتكئ عليها، فسمى الطعام متكأ على الاستعارة؛ ولذلك جاء النهي عنه في قول النبي ﷺ: **«لا آكُلُ متكِئاً»**. وقال بعضهم: إنه الأُتْرُجُّ وعسل يؤكل به، قال جميل بن معمر العذري: [الخفيف]

فَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا وَشَرِبْنَا الحلالَ مِنْ قُلَلِهْ

قيل: إنها طلبت النسوة، فأتين على كُرْهٍ منهن، وقد قال فيهن أمية بن أبي الصلت: [مخلع البسيط]

حتى إذا جِئْنَهَا قَسْراً مهَّدَتْ لهنَّ أنضاداً وكِبَابَا

هذا؛ وقد قرئ: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ بقراءات مختلفة. ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: أعطت كل واحدة من النسوة سكيناً؛ لتقطع بها الطعام، كما هو عادة المترفين، والسكين تؤنث، وتذكر، والثاني رجحه الأصمعي. ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: وكان يخاف من مخالفتها، فخرج عليهن فجأة، وهن يحاولن قطع الطعام، وكانت قد زينته بأكمل زينة، وعطرته. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: لما رأى

النسوة يوسف عظمنه، وهبنه لحسنه الفائق، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال الرسول ﷺ: «**رأيْتُ يوسُفَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**». قيل: كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران، وانظر وصفه في الآية رقم [١٩]. وعن ابن عباس: أكبرنه: أَمْنَيْنَ، وأَمْذَيْنَ من الدهش، قال الشاعر: [الطويل]

إِذَا مَا رَأَيْنَ الْفَحْلَ مِنْ فَوْقِ قَارةٍ ... صَهَلْنَ، وَأَكْبَرْنَ المنيَّ المدفَّقَا

القارة: الجبل الصغير المنقطع عن الجبال، وقيل: معناه: حضن، قال الشاعر: [البسيط]

تأتي النساءَ عَلَى أَطْهارِهِنَّ، ولا ... تأتي النساءَ إذا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا

وكأن أبا الطيب المتنبي أخذ من هذا التفسير قوله: [الطويل]

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعٍ ... فَإِنْ لُحْتَ حاضَتْ في الْخُدورِ الْعَواتِقُ

هذا؛ وقد تفزع المرأة، أو تدهش، فتسقط ولدها أو تحيض، وانظر تفسير: (ضحكت) بحاضت في الآية رقم [٧١] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة، ولم يجدن ألماً لذلك، وقال وهب: مات منهن جماعة. ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: بإثبات ألف بعد الشين وحذفها، وهما قراءتان سبعيتان، ويقرأ (حَاشَا اللهِ) بغير لام بمعنى: براءة الله، وَ(حَاشاً للهِ) بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر، وقال مكي: معنى (حاشا لله) بعد يوسف عن الذي رمي به لله، أي: لخوفه لله، ومراقبته له، ولم أجد هذا لغيره.

تنبيه: في ﴿حَٰشَ﴾ ثلاثة أوجه: أحدها أن تكون فعلاً متعدياً متصرفاً، تقول: حاشيته، بمعنى: استثنيته، قال النابغة الذبياني: [البسيط]

وَلَا أَرَى فاعلاً فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ ... وَلَا أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ

الثاني أن تكون تنزيهية، ومنه الآية الكريمة على التفسير الثاني، والصحيح: أنها اسم مرادف للبراءة من كذا. الثالث أن تكون للاستثناء، فذهب سيبويه، وأكثر البصريين إلى أنها حرف دائماً بمنزلة إلا، لكنها تجر المستثنى، وذهب الجرمي، والمازني، والمبرد، والزجاج، والأخفش، وأبو زيد، والفراء، وأبو عمرو الشيباني إلى أنها تستعمل كثيراً حرفاً جارّاً، وقليلاً فعلاً متعدياً جامداً لتضمنه معنى (إلا)، والكوفيون يعتبرونها فعلاً دائماً. انتهى. من مغني اللبيب باختصار، ولذلك شواهد انظر شرحها وإعرابها في كتابنا: «فتح القريب المجيب».

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾: نفين عنه البشرية لفرط حسنه وجماله، والمقصود من هذا إثبات الحسن المفرط ليوسف؛ لأنه تقرر في النفوس: أنه لا شيء أحسن من الملك، فلذلك وصفنه بكونه ملكاً، فقلن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ هذا؛ ويقرأ: (ما هذا بشر) بالرفع، وهي لغة بني تميم، وقراءة

النصب لغة أهل الحجاز، وهو أقوى، كما قرئ: (ما هذا بشِرًى) بكسر الباء والشين، أي: ما هو بعبد مشترى لئيم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر شرح: ﴿بَشَرًا﴾ في الآية [٢٧] من سورة (هود).

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٥]. ﴿سَمِعَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى زليخا. والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، والنون في كل الآية حرف دال على جماعة الإناث، وجملة: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ جواب: (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. (آتت): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى زليخا. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به أول، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿وَاحِدَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنْهُنَّ﴾: متعلقان بـ ﴿وَاحِدَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿سِكِّينًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: (آتت...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿اخْرُجْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قالت...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية [١٥]. ﴿رَأَيْنَهُ﴾: ماض مبني على السكون، والنون فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية يقال فيها مثل جملة: ﴿سَمِعَتْ...﴾ إلخ. ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وهذا على التفسير بـ (عظمنه) واعتبار الضمير عائداً على يوسف، وأما على التفسيرين الأخيرين فالهاء للسكت، وهي حرف لا محل له، وعلى الوجهين فالجملة جواب: (لما) لا محل لها، وجملة: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. (قلن): فعل وفاعل. ﴿حَاشَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف، أو هو مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة أو هو مفعول مطلق، لفعل محذوف، وذلك على تفسيره بـ «تنزيه» أو بـ «تنزيها»، انظر الشرح. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بـ ﴿حَاشَ﴾ على الاعتبارين فيه، أعني الفعلية والمصدرية، وأما على اعتباره مبتدأ، فالجار والمجرور متعلقان بخبره، أو هما متعلقان به فيكون الخبر محذوفاً، تقديره موجود، وجملة: ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ سواء أكانت فعلية، أم اسمية، فهي في محل نصب مقول القول، وجملة: (قلن...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿مَا﴾: نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم ﴿مَا﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَشَرًا﴾: خبر: ﴿مَا﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: ﴿مَا﴾. ﴿هَذَا﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَلَكٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ أي: قالت زليخا للنسوة اللاتي دهشن بيوسف عند رؤيتهن له: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾، وإنما قالت ذلك إقامة لعذرها فيما حصل منها، وتكلمن فيها، وإنما قالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ...﴾ إلخ بعدما قام من المجلس، وذهب، أو قالت ذلك بحضرته، وأدخلت على اسم الإشارة لام البعد، وكاف الخطاب، رفعاً لمكانته، ومنزلته، لا لبعده عن المجلس، فكأنه لعلو شأنه بعيد عنها؛ حتى صار يشار إليه بذلك.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾: فامتنع عن إجابتي لما طلبت منه من الوقاع، وإنما صرحت بذلك؛ لأنها أيقنت أن لا ملامة عليها منهن، وأنهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾: فهذا تصريح منها بأنها لا تزال ترغب في مواقعته، وإن لم يطاوعها فيما تريد لتعاقبنه بالسجن، ولتجعلنه من الأذلاء المهانين، فكان منهن أن قلن له جميعاً: يا يوسف أطع سيدتك فيما تدعوك إليه، فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك، قال الزمخشري: وهذا بيان لما كان من يوسف ـ عليه السلام ـ لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهمَّ والبرهان. رحم الله الزمخشري.

فائدة: قال مكي في مثل: ﴿وَلَئِن لَّمْ﴾ دخلت (إن) على (لم) ليرتد الفعل إلى أصله في لفظه، وهو الاستقبال؛ لأن (لم) ترد لفظ المستقبل إلى معنى المضي، و(إن) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، فلما صارت (لم) ولفظ المستقبل بعدها بمعنى الماضي، ردتها (إن) إلى الاستقبال؛ لأن (إن) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال. انتهى.

الإعراب: ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى زليخا. ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ. (ذلكن): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، هذا؛ واعتبره الجلال، ووافقه الجمل على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الذي، وعليه فالجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ، والأول أولى بالاعتبار؛ لخلوه من التقدير، والتكلف. ﴿لُمْتُنَّنِى﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والنون المشددة علامة جمع الإناث، والنون المخففة للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿فَذَٰلِكُنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة:

﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿وَلَقَدْ﴾ انظر الآية رقم [٢٤] لإعرابه. ﴿رَٰوَدتُّهُۥ﴾: فعل وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها. ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول. (استعصم): ماض، والفاعل يعود إلى يوسف، ومتعلقه محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَفْعَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (يوسف). ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ءَامُرُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء مفعول به، وهو في الأصل مجرور بحرف جر، فحذف الجار، واتصل الضمير بالفعل، فانتصب به، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾، أو صفتها، هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿مَآ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: وإن لم يفعل أمري، وهو ضعيف معنى كما ترى، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يسجنن): مضارع مبني للمجهول، مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، ونائب الفاعل مستتر يعود إلى يوسف، والجملة الفعلية جواب القسم، وحذف جواب الشرط على القاعدة المذكورة في الآية رقم [١٤]، والكلام كله في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَيَكُونًا﴾: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب القسم بسبب العطف. (يكوناً): مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة التي هي حرف لا محل له، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى يوسف أيضاً. ﴿مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (يكوناً)، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: (ليكوناً. . .) إلخ معطوفة على جواب القسم.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾: توجه بهذا الدعاء إلى الله بعد أن هددته زليخا بالسجن، وكل النسوة قلن له: أطع سيدتك فيما تريده منك، والمعنى: يا رب دخول السجن آثر عندي من موافقتها، وتلبية رغبتها، نظراً إلى العاقبة الحميدة عندك، وإسناد الدعوة إلى جميع النسوة؛ لأنهن حذرنه من مخالفتها، وزيَّن له مطاوعتها، وقيل: دعونه إلى أنفسهن، كل واحدة خلت به على انفراد لتنصحه في مطاوعة زليخا، وهي تريد أن يقضي

وطرها، وقيل: إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا، وكان الأولى به أن يسأل الله العاقبة، ولذا رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل البلاء والصبر، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ والْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْراً مِنَ الْعَافِيَةِ**». وانظر شرح ﴿رَبِّ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (هود)، وانظر شرح (أحب) في الآية [١٨]. هذا؛ وقرئ (رب) بضم الباء على النداء، كما قرئ بالضم وجر السجن على الإضافة، وهذا في الشواذ، والمعنى: صَاحِبُ السجنِ أي: لقاؤه أَحَبُّ إليَّ. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾: إن لم تصرف عني ما يردن مني من تحبيب ذلك إليَّ، وتحسينه عندي، وذلك بالتثبيت على العصمة والحفظ من كيدهن. ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل إليهن، وما يبغين مني، وذلك بطبعي، ومقتضى شهوتي، والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنه: (الصبا) بكسر الصاد؛ لأن النفوس البشرية تستطيبها، وتميل إليها. ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه، فإن العاقل لا يفعل القبائح، أو أكن من الذين لا يعملون بما يعلمون، فإنهم والجهال سواء، وانظر شرح ﴿تَجْهَلُونَ﴾ في الآية رقم [٢٩] من سورة (هود) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف عليه السلام. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، وانظر ما يجوز فيه من أوجه الإعراب في الآية رقم [٤]. ﴿السِّجْنُ﴾: مبتدأ. ﴿أَحَبُّ﴾: خبره. ﴿إِلَيَّ﴾: متعلقان بـ ﴿أَحَبُّ﴾. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿أَحَبُّ﴾ أيضاً، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (من). ﴿يَدْعُونَنِي﴾: مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة التي هي فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَدْعُونَنِي﴾، والجملة الفعلية هذه صلة (ما)، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلًّا بـ ﴿إِلَيْهِ﴾، والجملة الاسمية: ﴿السِّجْنُ...﴾ إلخ مع الجملة الندائية قبلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ رَبِّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِلَّا﴾: الواو: حرف عطف أو هي زائدة لتحسين اللفظ. (إن لا) إن: حرف شرط جازم. (لا): نافية. ﴿تَصْرِفْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَنِّي﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿كَيْدَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون علامة جمع الإناث، وجملة: ﴿تَصْرِفْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَصْبُ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ «إذا» الفجائية. ﴿إِلَيْهِنَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(إن) ومدخولها في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَكُن﴾: الواو: حرف عطف. (أكن): مضارع ناقص معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، واسمه مستتر تقديره: «أنا». ﴿مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أكن)، وجملة: ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ...﴾ إلخ ولطف به، وعصمه من الوقوع في الزنى، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: حيث ثبته ربه بالعصمة؛ حتى وطن نفسه على مشقة السجن، وأثرها على اللذة المتضمنة للعصيان، وانظر المراد من: ﴿كَيْدَهُنَّ﴾ في الآية السابقة، ولماذا جمع الضمير. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لدعاء الملتجئين إليه. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأحوالهم وما يصلحهم.

في الآية الكريمة دليل على أنه لا يقدر أحد عن الانصراف عن المعصية إلا بعصمة الله ولطفه به، اللهم تولَّني بعنايتك ورعايتك، واحفظني، وعقبي، وجميع المؤمنين، والمؤمنات من الوقوع في الفواحش، والمنكرات، فإنك خير مسؤول يا أرحم الراحمين، هذا؛ والسين والتاء زائدتان بالفعل استجاب؛ لأنه بمعنى أجاب، قال كعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه: [الطويل]

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

الإعراب: ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (استجاب): ماض. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان به. ﴿رَبُّهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (صرف): ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبُّهُۥ﴾، ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَيْدَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون علامة جمع الإناث، وجملة: (صرف...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو توكيد لاسم (إن) على المحل، وعلى هذين الوجهين ف ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ خبر أول لـ (إنَّ)، والعليم خبر ثان، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، فيكون ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ خبرين له، وعليه فالجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ في محل رفع خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ...﴾ إلخ تعليلية لا محل لها.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي: للعزيز، وقطفير، وأصحابه في الرأي، وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الإعراض، وكتم الحال، وقد ألحت زليخا على زوجها، وقالت له: إن العبد العبراني قد فضحني؛ يقول للناس: إني قد راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي، فأخرج، فأعتذر إلى الناس، وإما أن تحبسه، فرأى حبسه. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ أي: الدالة على صدق يوسف عليه السلام وبراءته، من قد القميص من دبر، وكلام الطفل، وقطع النساء أيديهن، وذهاب

عقولهن عند رؤيته. ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى مدة يرون رأيهم فيها، وقال عطاء: إلى أن تنقطع مقالة الناس. انتهى. وهذا هو المعتمد. هذا؛ وقرئ: (عتىٰ حين) بقلب الحاء عيناً، وهي لغة هذيل، وثقيف في ﴿حَتَّىٰ﴾، والحين: الوقت قليلاً، كان، أو كثيراً، والمدة من الزمن قصيرة كانت أو طويلة، وجمعه: أحيان. وجمع الجمع: أحايين، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٥] من سورة (إبراهيم) عليه السلام، وهو بكسر الحاء، وأما بفتحها؛ فهو الهلاك والموت.

هذا؛ وأصل رأوا: (رأى) فلما اتصل به واو الجماعة صار (رَءَاوْا) فالتقى ساكنان: الألف والواو، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، ثم حركت الواو بالضمة لالتقائها ساكنة مع ما بعدها، ولم تحرك بالكسرة؛ لأن الكسرة لا تناسبها، وقيل: حركت بالضم دون غيره، ليفرق بين الواو الأصلية، وبين واو الجماعة في نحو قولك: (لوِ اجْتَهَدْتَ؛ لَنَجَحْتَ) وقيل: ضمت لأن الضمة هنا أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو، وقيل: حركت بحركة الياء المحذوفة، وقيل: غير ذلك، وأصل ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾: (بسجنُ)، فاتصل به واو الجماعة فصار (يَسْجُنُونَ)، فاتصل به نون التوكيد الثقيلة، فصار (لَيَسْجُنُونَنَّهُ) فحذفت النون التي هي علامة الرفع لتوالي النونات، فصار (لَيَسْجُنُونَّهُ) فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على النون قبلها دليلاً عليها، فصار ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾، هذا؛ وقرئ (لتسجننه) بالتاء، ولا يتغير الإعلال والإعراب، وقرئ: (عتى) بلغة هذيل.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بَدَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿لَهُم﴾: متعلقان به. ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿رَأَوُاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة... إلخ، و(ما) والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: من بعد رؤيتهم الآيات. ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف (يسجننه): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون للتوكيد حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وحتى بمعنى إلى، وجملة: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ...﴾ إلخ جواب قسم محذوف لا محل لها. بعد هذا في فاعل ﴿بَدَا﴾ ثلاثة أوجه، أحدها: هو محذوف دل عليه الكلام بعده، التقدير: ثم بدا لهم سجنه، وعليه فالقسم وجوابه معمول لقول مضمر، وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال، أي: قائلين: والله ليسجننه، والثاني: أن الفاعل مضمر، وهو مصدر ﴿بَدَا﴾، أي: بدا لهم بداء، فأضمر، وقيل: المعنى: ثم بدا لهم رأي: لم يكونوا يعرفونه، وحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه، هذا؛ وأجاز هشام وثعلب ـ وهما كوفيان ـ اعتبار الجملة القسمية فاعلاً للفعل: ﴿بَدَا﴾، انظر الشاهد رقم [٧٩٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» والكلام عليه.

وقال ابن هشام في المغني: ويجوز أن يكون ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ جواباً لـ ﴿بَدَا﴾؛ لأن أفعال القلوب، لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم، قال: [الكامل]

ولَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي ... إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا

وهذا هو الشاهد رقم [٧٥٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾

الشرح: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ أي: غلامان كانا للوليد ملك مصر، أحدهما: خبازه، والآخر: صاحب شرابه، وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما، والسبب في ذلك: أن جماعة من أشراف مصر أرادوا قتله، فضمنوا لهذين الغلامين مالاً على أن يَسُمَّا الملك في طعامه وشرابه، فأجابا إلى ذلك، ثم إن الساقي ندم، فرجع عن ذلك، وقبل الخباز الرشوة، وسم الطعام، فلما حضر الطعام والشراب بين يدي الملك، قال الساقي: لا تأكل أيها الملك؛ فإن الطعام مسموم، وقال الخباز: لا تشرب؛ فإن الشراب مسموم، فقال للساقي: اشرب فشربه، فلم يضره، وقال للخباز: كل من طعامك، فأبى، فأطعم منه دابة فهلكت، فأمر الملك بحبسهما، فحبسا مع يوسف، وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن جعل ينشر علمه، ويقول: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الغلامين لصاحبه: هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني، فتراءيا له رؤيا، فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئاً، وقيل: بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقية، فرآهما يوسف مهمومين، فسألهما عن شأنهما، فذكرا أنهما غلامان للملك، وقد حبسهما، وقد رأيا رؤيا قد غمتهما، فقال: قصا علي ما رأيتما، فقصَّا عليه ما رأياه. قال أحدهما ـ وهو صاحب شراب الملك ـ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ﴾: إني رأيت في المنام أعصر عنباً، وهو حكاية حال ماضية، وسمي العنب خمراً باسم ما يؤول إليه.

وقال الآخر: أي: الخباز. ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ﴾ أي: رأيت في المنام أني حامل فوق رأسي خبزاً، والطير تنهش منه. ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ﴾: خبرنا بتفسير ما رأينا، وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: من العالمين بتعبير الرؤيا. ويكون الإحسان بمعنى العلم، وقال الضحاك: إحسانه كان إذا مرض إنسان في السجن؛ عاده، وقام عليه، وإذا ضاق على أحد؛ وسع عليه، وإذا احتاج أحد جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة؛ يصوم النهار، ويقوم الليل كله للصلاة، فأحبه أهل السجن لذلك.

بعد هذا انظر شرح (أحد) في الآية رقم [١٨] من سورة (هود)، وشرح القول في الآية [١٨] منها، وشرح ﴿أَنبَآءِ﴾ في الآية [١٢٠] منها أيضاً، وانظر الفتى في الآية رقم [٦٢] الآتية، هذا؛ و﴿ٱلطَّيْرُ﴾ اسم جمع مثل: خيل، وغنم، وقيل: بل هو جمع: طائر، مثل صحب وصاحب، ويصح إطلاقه على المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وجمع الطير: طيور، وأطيار، مثل: فرخ، وفروخ، وأفراخ، وقال قطرب، وأبو عبيدة: الطير قد يقع أيضاً على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وطائر الإنسان عمله الذي قلده، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ والطير أيضاً: الاسم من التطير، ومنه قولهم: لا طَيْرَ إِلَّا طيرُ اللهِ، كما يقال: لا أمرَ إلا أمْرُ اللهِ. انتهى. مختار.

الإعراب: ﴿وَدَخَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (دخل): ماض. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلسِّجْنَ﴾: مفعول به. ﴿فَتَيَانِ﴾: فاعل (دخل) مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: (دخل...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿أَحَدُهُمَآ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿أَرَىٰنِىٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿أَعْصِرُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿خَمْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿أَرَىٰنِىٓ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنِّىٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ﴾ إعراب هذه الكلمات مثل إعراب ما قبلها. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وأجيز تعليقه بمحذوف حال من: ﴿خُبْزًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» و﴿فَوْقَ﴾: مضاف، و﴿رَأْسِى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿خُبْزًا﴾: مفعول به. ﴿تَأْكُلُ﴾: مضارع. ﴿ٱلطَّيْرُ﴾: فاعله. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ في محل نصب صفة: ﴿خُبْزًا﴾، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿نَبِّئْنَا﴾: أمر، وفاعله (أنت)، و(نا): مفعوله الأول. ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَبِّئْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿نَرَىٰكَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره «نحن» والكاف مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿نَرَىٰكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، وهي بدورها في محل نصب مقول القول.

تنبيه: لقد عوملت (رأى) الحلمية هنا معاملة «رأى» العلمية في التعدي إلى مفعولين، كما تعدت بهمزة التعدية إلى الثالث، كما تعدى إلى الثالث، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ الآية رقم [٤٤] من سورة (الأنفال)، كما عوملت الحلمية معاملة العلمية في اتحاد فاعلها ومفعولها، وهما ضميران متصلان وللمتكلم، وهذا لا يجوز في غير باب عَلِمَ، وَحَسِبَ وَفَقَدَ، تنبه لذلك واحفظه؛ فإنه جيد.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ أي: لا يأتيكما طعام من منازلكما تأكلانه في ليل أو في نهار إلا أخبرتكما بقدره، ولونه، والوقت الذي يصل إليكما فيه، وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ الآية رقم [٤٩] من سورة (آل عمران). ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾: قبل أن يصل إليكما ذلك الطعام. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ أي: إن ما أخبركما به إنما هو من تعليم الله إلي، وفضله عليَّ بالإلهام والوحي، وليس من قبيل السحر، والكهانة، والتنجيم. ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾: المراد بـ ﴿قَوْمٍ﴾ العزيز وأهل بيته الذين عاشرهم وعاش معهم هذه المدة الطويلة، وقد كانوا على الكفر، وكان يوسف بينهم مقيماً على التوحيد، والإيمان الصحيح. ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: وهم لا يعتقدون بالآخرة، وما فيها من الحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

(أتى): وهو يستعمل لازماً، إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، ومتعدياً إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، فمن الأول قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ومن الثاني الآية الكريمة، ومثلها كثير، والمراد بالآخرة: الحياة الثانية التي تكون بعد الموت، ثم بعد البعث، والحساب، ودخول الجنة، والخلود فيها، ودخول النار، والخلود فيها، انظر ﴿كَفُورٌ﴾ في الآية [٩] من سورة (هود)، هذا؛ والكفر: ستر الحق بالجحود والإنكار، وكفر فلان النعمة، يكفرها كفراً وكفوراً، وكفراناً، إذا جحدها وسترها وأخفاها، وكفر الشيء: غطاه وستره، وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره، وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه ويستره بالتراب، قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ وسمي الليل كافراً؛ لأنه يستر كل شيء بظلمته، قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في معلقته: [الكامل]

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً في كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوراتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

﴿مِلَّةَ قَوْمٍ﴾: طريقتهم، وديانتهم، وهي بكسر الميم، وهي بفتح الميم: الرماد الحار.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى يوسف تقديره: «هو». ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَأْتِيكُمَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به،

والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿طَعَامٌ﴾: فاعل. ﴿تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، وألف الاثنين نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والهاء مفعوله الثاني، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿طَعَامٌ﴾، وجملة: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَبَّأْتُكُمَا﴾: فعل وفاعل ومفعوله الأول، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل (نبأ)، و﴿قَبْلَ﴾: مضاف، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَبَّأْتُكُمَا...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿ذَٰلِكُمَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم والألف... إلخ. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. ﴿عَلَّمَنِى﴾: ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿رَبِّىٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وتقدير الكلام: من الذي، أو من شيء علمني إياه ربي، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (من)، التقدير: ذلكما من تعليم ربي إياي، والجملة الاسمية مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿تَرَكْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِلَّةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿قَوْمٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ في محل جر صفة: ﴿قَوْمٍ﴾، وجملة: ﴿تَرَكْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى...﴾ إلخ مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول. ﴿وَهُم﴾: الواو: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: متعلقان بـ ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بعدهما. ﴿هُمْ﴾: ضمير فصل مؤكد لسابقه. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم.. إلخ، والجملة الاسمية: ﴿هُم...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، ومؤكدة لها، فهي في محل جر مثلها.

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ...﴾ إلخ: واتبعت طريقة آبائي الأنبياء الأصفياء، وانظر أعمارهم في الآية رقم [٧١] من سورة (هود). وانظر الحديث الشريف في الآية رقم [٤]. ﴿مَا

كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: ما صح وما جاز لنا معاشر الأنبياء أن نتخذ مع الله إلٰهاً، أو نجعل له نداً في العبادة، بعد أن اختارنا لنبوته، واصطفانا لرسالته، وإنما ذكر ذلك لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه، والوثوق به، فأظهر أنه من أهل بيت النبوة، وأن آباءه كلهم أنبياء، لهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق، والمنزلة الرفيعة في السماء في الآخرة، ولذلك جوز للخامل المغمور أن يصف نفسه حتى يعرف، فيقتبس منه، وينتفع الناس به.

﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: ذلك التوحيد وعدم الإشراك، والنبوة، والعلم الذي رزقنا من فضل الله، وكرمه علينا، وعلى الناس؛ حيث اختارنا لإرشادهم، وتبيين طرق الخير والهداية لهم. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: المبعوث إليهم الرسل. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: هذا الفضل، فيعرضون عنه، ولا ينتبهون له، هذا؛ وانظر شرح ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (هود). هذا؛ والفعل: (شكر) يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته وشكرت له، كما تقول: نصحته ونصحت له، والشكر: صرف العبد جميع ما أنعم الله فيما خلق لأجله، هذا؛ ومن أسماء الله «الشكور»، ومعناه هو الذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: اسم جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط إلخ، واحده: إنسان من غير لفظه، انظر الآية [١٢] من سورة (يونس) عليه السلام، وهو يطلق على الإنس والجن، ولكن غلب استعماله في الإنس، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وأصله: الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ وقيل: إن أصله: النَّوَس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

الإعراب: ﴿وَٱتَّبَعْتُ﴾: الواو: حرف عطف. (اتبعت): فعل وفاعل. ﴿مِلَّةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ءَابَآءِىٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: بدل مما قبله، بدل بعض من كل مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: معطوفان على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، وعلامة الجر فيهما مثله، وجملة: (اتبعت...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿تَرَكْتُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَنَآ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والمصدر المؤول من ﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾ في محل رفع خبر ﴿كَانَ﴾ مؤخر. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف

الجر الزائد، وجملة: ﴿مَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿مِن فَضْلِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿فَضْلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان بـ ﴿فَضْلِ﴾، وهما مفعوله في المعنى. ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، وهي مع ما قبلها من مقول يوسف عليه السلام ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٢١] وهي معطوفة على ما قبلها.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ أي: يا ساكني السجن، وذكر الصحبة لطول مقامهما فيه، كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾. أو أضافهما إلى السجن على الاتساع في الظرف، كقوله: (يا سارق الليلة أهل الدار). ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ أي: آلهة شتى من ذهب، وفضة، وخشب، وحديد إلخ، وصغير، وكبير، ومتوسط، وهي مع ذلك لا تضر، ولا تنفع، وإنما جمعت الأرباب جمع مذكر سالماً مع أنها من الجمادات؛ لأنهم يعاملونها معاملة من يعقل من سؤالهم لها حوائجهم، وتذللهم لها، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل، وهو كثير في القرآن الكريم، وانظر الآية رقم [٤]. ﴿خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ أي: أهذه الأصنام التي تعبدونها أحق في العبادة، والتقديس والتعظيم، أم الله المتصف بصفات الكمال والقهر والغلبة لكل موجود في الدنيا، هذا؛ والأصنام المعبودة في الباطل لا خيرية فيها، وإنما خاطبهم بذلك مجاراة لهم على زعمهم: أن فيها خيراً، وأن عبادتها تنفعهم، وتدفع السوء عنهم، وإن كانت في الحقيقة لا خير فيها قطعاً.

بعد هذا (صاحبي): تثنية صاحب، وهو هنا بمعنى: الساكن كما رأيت، ويكون بمعنى المالك، كقولك: صاحب الدار، أي: مالكها، ويكون بمعنى الصديق، ويجمع على: أَصْحاب وصَحْب وصحابة، وصِحاب وصُحْبة وصِحبان، ثم يجمع أصحاب على أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب. ﴿خَيْرٌ﴾: أفعل تفضيل، أصله أَخْيَر، نقلت حركة الياء إلى الخاء؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم حذفت الهمزة استغناء عنها بحركة الخاء، ومثله قل في: حبَّ، وشرٍّ، اسمي تفضيل؛ إذ أصلهما أَحْبَبُ وَأَشْرَر، فنقلت حركة الباء الأولى، والراء الأولى إلى ما قبلهما، ثم أدغم الحرفان المتماثلان في بعضهما، ثم حذفت الهمزة من أولهما، استغناء عنها بحركة الخاء والشين، وقد يستعمل خير، وشر على الأصل، كقراءة بعضهم قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ بفتح الشين، ونحو قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

يَـا قَـاسِـمَ الْـخَـيْـراتِ، وَابْـنَ الأَخْـيَـرِ مَـا سَـاسَـنَـا مِـثْـلُـكَ مِـنْ مُـؤَمَّـرِ

﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾: قال الخطابي: هو الفرد الذي لم يزل وحده، وقيل: هو المنقطع عن القرين والشريك، والنظير، وليس هو كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ لأن ذلك يكثر بانضمام بعضها إلى بعض، والواحد ليس كذلك، فهو الله الواحد الذي لا مثل له، ولا يشبهه شيء من خلقه. ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: قال الخطابي: هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة، وقهر العباد كلهم بالموت، وقال غيره: هو الذي قهر كل شيء، وذلله، فاستسلم، وانقاد له، ولا تنس: أن القهار صيغة مبالغة، وانظر شرح: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ في الآية رقم [١٨] من سورة (الأنعام) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (صاحبي): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، و(صاحبي): مضاف، و﴿ٱلسِّجْنِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ءَأَرْبَابٌ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (أرباب): مبتدأ. ﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾: صفته مرفوع... إلخ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿أَمِ﴾: حرف عطف، وهي معادلة هنا لهمزة الاستفهام. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، وخبره محذوف لدلالة ما قبله عليه. ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: صفتان للفظ الجلالة، أو هما بدلان منه، والآية الكريمة بكاملها من مقول يوسف على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: من دون الله، وقد خاطبهم بلفظ الجمع، وابتدأ الخطاب بالتثنية؛ لأنه أراد جميع من في السجن، من المشركين، أو أراد أهل مصر كلهم، وانظر العبادة في الآية رقم [٦٢] من سورة (هود). ﴿أَسْمَآءً﴾: جمع اسم، انظر إعلاله في بسملة هذه السورة. ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: آلهةً وأرباباً، وهي لا تستحق أن تسمى بذلك؛ لأنها جمادات لا تضر، ولا تنفع، وانظر الآية السابقة. ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: إن آباءكم سبقوكم إلى تسميتها آلهة فتبعتموهم في ذلك. ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: ما أنزل الله بهذه التسمية حجة، ولا برهاناً، وانظر الآية رقم [٩٦] من سورة (هود) لشرح ﴿سُلْطَٰنٍ﴾. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: الحكم، والقضاء، والأمر، والنهي، كل ذلك لله تعالى، لا يشركه فيه أحد وانظر الآية رقم [٦٧] الآتية. ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: لأنه هو المستحق للعبادة، لا هذه الأصنام التي سميتموها آلهة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: الحق، وأنتم لا تميزون المعوج من القويم.

قال البيضاوي: وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة، بين لهم أولاً رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة، ثم برهن على أن ما يسمُّونها آلهة ويعبدونها، لا تستحق الإلٰهية، فإن استحقاق العبادة، إما بالذات، وإما بالغير، وكلا القسمين منتفٍ عنها، ثم نص على ما هو الحق القويم، والدين المستقيم، الذي لا يقتضي العقل غيره، ولا يرتضي العلم دونه. انتهى. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك فيخبطون في جهالتهم. هذا؛ و﴿الْقَيِّمُ﴾ أصل (القيوم) فقل في إعلاله: اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء. و﴿الدِّينُ﴾ اسم لجميع ما يعبد به الله تعالى، و﴿الدِّينُ﴾ أيضاً الملة والشريعة، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾. و﴿الدِّينُ﴾ الحساب والجزاء ومنه يوم الدين، أي: يوم الحساب والجزاء، ومنه: كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يوم الدِّين يوم حساب الخلائق، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر إلا من عفا الله عنه، والأمر أمره، ثم قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، هذا؛ والدَّين بفتح الدال: القرض المؤجل، وجمع الأول: أديان، وجمع الثاني: ديون، وأدين، هذا؛ والدينونة: القضاء والحساب، والديانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى.

﴿دُونِهِ﴾: من الدنو، وهو القرب، ومنه تدوين الكتب؛ لأنه إدناء، أي: تقريب البعض من البعض، ثم استعير للرتب، فيقال: زيد دون عمرو، أي: في الشرف والسيادة، ثم اتسع فيه، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد، هذا؛ ويأتي (دون) بمعنى قدام، قال الشاعر: [الطويل]

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا، وَهْيَ دُونَهُ ... إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

هذا؛ ومثله: (أدنى) وألفه منقلبة عن واو؛ لأنه من دنا، يدنو، إذا قرب، وله معنيان: أحدهما أن يكون المعنى: ما تقرب قيمته بخساسته، ويسهل تحصيله، والثاني أن يكون بمعنى القريب منكم، لكونه في الدنيا، والذي هو خير ما كان من امتثال أمر الله؛ لأن نفعه متأخر إلى الآخرة، خذ قوله تعالى لليهود اللؤماء: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، وقيل: الألف مبدلة من همزة؛ لأنه مأخوذ من دنؤ، يدنؤ، فهو دنيء، والمصدر: الدناءة، وهو من الشيء الخسيس، فأبدلت الهمزة ألفاً، وقيل: أصله: أدون، من الشيء الدون، فأخرت الواو، فانقلبت ألفاً، فوزنه الآن: أفلع. انتهى. عكبري.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مِن دُونِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿أَسْمَاءً﴾: مفعول به. ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، فتحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، و(ها): مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: آلهة، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿أَسْمَاءً﴾. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مؤكد

لتاء الفاعل. (آباؤكم): معطوف على تاء الفاعل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَّآ﴾: نافية. ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: ماض وفاعله. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ كان صفة له... إلخ. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿مَّآ أَنزَلَ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ثانية لـ ﴿أَسْمَآءً﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿إِنِ﴾: حرف نفي. ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿أَمَرَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الله. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿تَعْبُدُوٓا۟﴾: مضارع منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به، و(أن) والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَمَرَ...﴾، وتقدير الكلام: أمر بعدم عبادة معبود غير الله، والجملة الفعلية: ﴿أَمَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط الضمير فقط، وهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾: صفة: ﴿ٱلدِّينُ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢١] ولعلك تدرك معي: أن الآية بكاملها من مقول يوسف عليه السلام. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾: لما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء إلى الله وعبادته رجع إلى تعبير رؤيا الغلامين، فناداهما هذا النداء؛ لينتبها لما يقول. ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾: وهو الساقي؛ ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ أي: فإنه يرجع إلى عمله عند الملك، وهو القيام بصنع شرابه، وتقديمه له. ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾: وهو الخباز، وصاحب طعام الملك؛ ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾: قال ابن مسعود رضي الله عنه: فلما سمعا قول يوسف عليه السلام، قالا: ما رأينا شيئاً، إنما كنا نلعب، فقال يوسف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي: وجب حكم الله عليكما بالذي سألتما عنه؛ رأيتما شيئاً، أم لم تريا.

تنبيه: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال علماؤنا: إن قيل من كذب في رؤياه، ففسرها العابر له، أيلزمه حكمها؟ قلنا: لا يلزمه، وإنما كان ذلك في يوسف؛ لأنه نبي، وتعبير النبي حكم، وقد قال: إنه يكون كذا وكذا، فأوجد الله تعالى ما أخبر كما قال تحقيقاً لنبوته، فإن

قيل: فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: إني رأيت كأني أعشبتُ، ثم أجدبتُ، ثم أعشبتُ، ثم أجدبتُ، فقال له عمر رضي الله عنه ـ: أنت رجل تؤمن، ثم تكفر، ثم تؤمن، ثم تكفر، ثم تموت كافراً، فقال الرجل: ما رأيت شيئاً، فقال له: قد قضي لك ما قضي لصاحب يوسف؛ قلنا: ليست لأحد بعد عمر؛ لأن عمر كان مُحَدَّثاً، وإذا تكلم به؛ وقع على ما ورد في أخباره، وهي كثيرة. انتهى.

هذا؛ والتحلم حرام قطعاً، وهو يستوجب غضب الله تعالى؛ لأنه كذب على الله، فقد روى الترمذي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَحَلَّمَ كاذِباً كُلِّفَ يَوْمَ القيامةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا**». ورواه البخاري كما يلي: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلُمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**». هذا؛ وانظر شرح ﴿قُضِيَ﴾ في الآية رقم [٤٥] من سورة (الأنفال) تجد ما يسرك. هذا؛ و(يسقي) ماضيه: سقى، تقول: سقى الله هذه البلاد الغيث، وأسقاها الغيث، فيكون بالهمز تارة، وبدونها أخرى، وشاهد المهموز: قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ وشاهد غير المهموز قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، يحتملهما قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾، وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، وقد ورد في قول لبيد رضي الله عنه اللغتان جميعاً: [الوافر]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى ... نُمَيْراً والقَبائِلَ مِنْ هِلَالِ

ولكنه حذف المفعول الثاني من كليهما، وفرق الأعلم بينهما، فقال: تقول: سقيته ماءً إذا ناولته إياه يشربه، وتقول: أسقيته إذا حصلت له سقيا.

الإعراب: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾: انظر الآية رقم [٣٩]. ﴿أَمَّآ﴾: أداة شرط، وتوكيد، وتفصيل، أما كونها أداة شرط؛ لأنها قائمة مقام أداة الشرط وفعله، بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل مهما يكن من شيء فإن أحدكما فيسقي... إلخ، فأنيبت ﴿أَمَّآ﴾ مناب (مهما) و(يكن من شيء)، فصار: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾، وأما كونها أداة توكيد؛ لأنها تحقق الجواب، وتفيد أنه واقع لا محالة، لكونها علقته على أمر متيقن، وأما كونها أداة تفصيل؛ لأنها في الغالب تكون مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك من تتبع مواقعها. ﴿أَحَدُكُمَا﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿فَيَسْقِى﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿أَمَّآ﴾. (يسقي): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر يعود إلى ﴿أَحَدُكُمَا﴾. ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة. من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿خَمْرًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية (يسقي...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾: مبتدأ. ﴿فَيُصْلَبُ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (يصلب): مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿ٱلْءَاخَرُ﴾، والجملة الفعلية في محل

رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿قُضِىَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْأَمْرُ﴾: نائب فاعل. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: ﴿ٱلْأَمْرُ﴾. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿تَسْتَفْتِيَانِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون والألف فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: تستفتيانني فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿قُضِىَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والآية بكاملها من مقول يوسف على نبينا، وعليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ألف صلاة، وألف تسليم.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ﴾ أي: يوسف. ﴿لِلَّذِى ظَنَّ﴾ أي: علم وتيقن، فالظن هنا بمعنى اليقين، ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ أي: ناج من القتل، وهو الساقي. ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: عند سيدك، وهو الملك الأكبر، والرب بمعنى السيد معروف في اللغة، قال الأعشى: [الكامل]

رَبِّي كَرِيمٌ لا يُكَدِّرُ نِعْمَةً ... وَإِذَا تُنُوشِدَ فِي الْمَهَارِقِ أَنْشَدَا

ومعنى ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: قل له: إن في السجن غلاماً محبوساً مظلوماً طال حبسه. ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾: في الضمير قولان: أحدهما أن يعود إلى الساقي، والمعنى أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك، والقول الثاني أن الضمير يعود إلى يوسف عليه السلام، والمعنى: إن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه حتى طلب الإعانة من مخلوق مثله على دفع الضرر، وتلك غفلة عرضت له، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة، لكن لما كان مقام يوسف أعلى المقامات، ورتبته أشرف المراتب، وهي منصب النبوة والرسالة، صار مؤاخذاً بذلك؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وانظر شرح ﴿رَبَّكُمْ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (هود)، وشرح ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في الاستعاذة أول هذه السورة.

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: لقد اختلفوا في البضع، والأصح أنه ما بين الثلاث إلى التسع، والمراد فيه في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبلها في السجن خمس سنين، فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة، قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: لما قال يوسف للساقي: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، قال الله له: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً، لأطيلن حبسك! فبكى، وقال: يا رب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلوى، فقلت: كلمة. وروى أبو سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ يُوسَفَ لولَا الْكَلِمَةُ الَّتي قَالَهَا ما لَبِثَ في السِّجْنِ ما لَبِثَ**».

وقيل: إن جبريل عليه السلام دخل السجن، فلما رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أخا المنذرين، ما

لي أراك بين الخاطئين، فقال له جبريل: يا طاهر! يا بن الطاهرين، يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك: أما استحييت مني أن استغثت بالآدميين، فوعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين! قال يوسف: وهو في ذلك عني راض، قال: نعم، قال: إذن لا أبالي.

هذا؛ و(أنساه) من النسيان، وهو مصدر نسيت الشيء، أنساه، وهو مشترك بين معنيين: أحدهما: ترك الشيء عن ذهول وغفلة، والثاني عن تعمد وقصد، وما هنا من الأول. وأصل ﴿نَاجٍ﴾: ناجي بكسرة على الياء علامة للجر، أو بضمة علامة للرفع، وبتنوين الصرف، لكن استثقلت الكسرة أو الضمة على الياء بعد كسرة، فسكنت الياء، فالتقى ساكنان: الياء، والتنوين، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، وبقيت الجيم مكسورة على ما كانت عليه قبل الإعلال، فقيل: ناج بالكسر، وإنما لم يقل بالرفع؛ لأن الياء محذوفة لعلة الالتقاء، فهي كالثابتة، فتمنع الرفع للجيم، وهكذا قل في إعلال كل اسم منقوص مجرد من أل، والإضافة، سواءً كان ثلاثياً أم رباعياً.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): ماض، والفاعل يعود إلى يوسف. ﴿لِلَّذِى﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ظَنَّ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى يوسف أيضاً. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿نَاجٍ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِّنْهُمَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نَاجٍ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: (الذي)، ولا يكونان متعلقين بـ ﴿نَاجٍ﴾؛ لأن المعنى ليس عليه، بل يختل المعنى، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ظن، وجملة: ﴿ظَنَّ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱذْكُرْنِى﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: (قال...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أنساه): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به. ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: فاعل. ﴿ذِكْرَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: (أنساه...) إلخ معطوفة على جملة: (قال...) إلخ لا محل لها مثلها. (لبث): ماض، وفاعله يعود إلى يوسف. ﴿فِى ٱلسِّجْنِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بِضْعَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و﴿بِضْعَ﴾: مضاف، و﴿سِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: (لبث...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ قالوا: فلما انقضت سبع سنين، وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك، ودنا فرج يوسف عليه السلام، وأراد الله عز وجل إخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر، رؤيا عجيبة هالته، وذلك أن رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر، ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال، فابتلع العجاف السمان، ودخلن في بطونهن، ولم ير منهن شيء، ولم يتبين على العجاف منها شيء، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها، وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى عَلَوْن عليهن، ولم يبق من خضرتها شيء، فجمع السحرة والكهنة والمعبرين، وقص عليهم رؤياه التي رآها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ...﴾ إلخ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ أي: يا أيها الأشراف والكبراء والعظماء فسروا لي رؤياي واشرحوها لي. ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: إن كنتم تحسنون علم تعبير الرؤيا وتأويلها.

هذا؛ وجمع (الرؤيا) رؤى، وسمي هذا العلم تعبيراً؛ لأن المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها إلى باطنها ليستخرج معناها، وفي القرطبي: العبارة: مشتقة من عبور النهر، بمعنى عبرت النهر، وبلغت شاطئه، فعابر الرؤيا يعبر بما يؤول إليه أمرها، هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ في الآية رقم [٢٧] من سورة (هود)، وشرح ﴿أَرَىٰ﴾ في الآية نفسها، وإعلال (كنت) في الآية رقم [٢٨] منها. ﴿وَأُخَرَ﴾: جمع: أخرى التي هي تأنيث آخر. ﴿بَقَرَٰتٍ﴾: جمع بقرة، وهي تقع على الذكر والأنثى نحو حمامة، ولاصفة تميز الذكر من الأنثى، تقول: بقرة ذكر وبقرة أنثى، وقيل: بقرة اسم للأنثى خاصة من هذا الجنس، والذكر الثور، نحو: ناقة وجمل، وأتان وحمار، وسمي هذا الجنس بذلك؛ لأنه يبقر الأرض، أي: يشقها بالحرث، ومنه بقر بطنه، هذا؛ وأهل اليمن يسمون البقرة: باقورة، وكتب النبي ﷺ في كتاب الصدقة لأهل اليمن: «**في ثلاثين باقورةً بقرة**». انتهى. مختار الصحاح. والباقر: جماعة البقر مع رعاتها، والتبقر: التوسع في العلم، ومنه محمد الباقر لتبقره في العلم، أي: لتبحره وتعمقه فيه.

تنبيه: لقد ذكرت لك في الآية رقم [٦٤] من سورة (يونس): أن البشرى في الحياة الدنيا فسرت بالرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له، وذكرت هناك حديثين عن النبي ﷺ انظرهما، وأضيف هنا ما قاله القرطبي رحمه الله تعالى: إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة؛ فكيف يكون الكافر والكاذب، والمخلط أهلاً لها، وقد وقعت من بعض الكفار، وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات صحيحة صادقة، كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن،

ورؤيا بختنصر التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي ﷺ ومنام عاتكة عمة النبي ﷺ في أمره، وهي كافرة؟! والجواب: أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب، وإن صدقت رؤياهم في بعض الأحيان، لا تكون من الوحي، ولا من النبوة؛ إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، ومن المعلوم: أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق، فيصدق، لكن ذلك على الندور، والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء، قال المهلب: وإنما ترجم البخاري: (باب رؤيا أهل السجن) لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة، كما كانت رؤيا الفتيين صادقة، إلا أنه لا يجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها؛ إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءاً من النبوة. انتهى.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾: ماض وفاعله. ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَرَىٰ﴾: مضارع مرفوع إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿سَبْعَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿بَقَرَٰتٍ﴾: مضاف إليه، ﴿سِمَانٍ﴾: صفة: ﴿بَقَرَٰتٍ﴾، ويجوز في غير القرآن نصبه على اعتباره نعتاً لـ ﴿سَبْعَ﴾، وكذا ﴿خُضْرٍ﴾، على حد قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ ولكنه لم يقرأ به. ﴿يَأْكُلُهُنَّ﴾: مضارع، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿سَبْعٌ﴾: فاعل. ﴿عِجَافٌ﴾: صفة: ﴿سَبْعٌ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية لـ ﴿بَقَرَٰتٍ﴾، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، وإن اعتبرت الجملة في محل نصب مفعول به ثان لـ ﴿أَرَىٰ﴾، فلست مفنداً؛ لأنها حلمية، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٦]. وجملة: ﴿أَرَىٰ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّىٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. (سبع): معطوف على مثله، وهو مضاف، و﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾: مضاف إليه. ﴿خُضْرٍ﴾: صفة: ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾. ﴿وَأُخَرَ﴾: معطوف على (سبع). ﴿يَابِسَٰتٍ﴾: صفة (أخر) منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أيها): (أي): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض عن المضاف إليه. ﴿ٱلْمَلَأُ﴾: بدل من (أي)، أو عطف بيان عليه، وانظر الآية رقم [٨٨] الآتية. ﴿أَفْتُونِى﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿فِى رُءْيَٰىَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية، والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿لِلرُّءْيَا﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، واللام هي لام التقوية، أي: زائدة، وعليه فـ (الرؤيا): مفعول به مقدم، فهو مجرور لفظاً منصوب محلاً،

انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٧] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿تَعْبُرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان، هذا؛ وجوز اعتبار ﴿لِلرُّءْيَا﴾ متعلقين بمحذوف خبر (كان)، وعليه فجملة: ﴿تَعْبُرُونَ﴾ في محل نصب خبر ثان لـ (كان) أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف؛ إذ التقدير: «إن كنتم... فأفتوني» والشرط ومدخوله في محل نصب مقول القول.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ﴾ أي: تخاليط أحلام، جمع ضغث، وهو في الأصل ما جمع من أخلاط النبات، وحُزِمَ ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس، ووساوس الشيطان، وتراها في المنام، هذا؛ و(الضغث) يكون جنساً واحداً من النبات، أو أجناساً مختلطةً، وهو أصغر من الحزمة، وأكبر من القبضة، فمن مجيئه من جنس واحد قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: هذا اعتراف من السحرة والكهنة بعجزهم عن تعبير رؤيا الملك؛ التي رآها في منامه، وقد جعل الله تعبير هذه الرؤيا سبباً لخلاص يوسف عليه السلام من السجن، وهو ما تراه فيما يأتي، هذا؛ و﴿ٱلْأَحْلَٰمِ﴾ جمع حلم، بضم الحاء مع ضم اللام وسكونها: ما يراه النائم في منامه، وهو بكسر الحاء وسكون اللام: الأناة والروية في الأمور، والتؤدة، والعقل، ومقابله السفه، والطيش الذي حدثتك عنه كثيراً، و(الحليم) من أسماء الله الحسنى، ومعناه في حقه تعالى: الذي لا يستفزه عصيان العاصي، ولا يستثيره جحود الجاحدين.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَضْغَٰثُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي أضغاث، وهو مضاف، و﴿أَحْلَٰمٍۖ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسمها. ﴿بِتَأْوِيلِ﴾: متعلقان بـ (عالمين) بعدهما، و(تأويل) مضاف، و﴿ٱلْأَحْلَٰمِ﴾: مضاف إليه. ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾: الباء: حرف جر زائد. (عالمين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلّاً، وإن كانت (ما) تميمية، فـ ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ والباء زائدة في الخبر، وعلى الوجهين فالجملة: ﴿وَمَا نَحْنُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وهو أقوى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي: من القتل والسجن، وهو ساقي الملك. ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ أي: تذكر يوسف، وقوله: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ وأصل الفعل: إذتكر، فوقعت تاء الافتعال بعد الذال، فأبدلت ذالاً، فاجتمع متقاربان في المخرج، فأبدل الأول من جنس الثاني وأدغم، وقرأ الحسن (واذكر) بالذال، ووجودها بأنه إبدال للتاء من جنس الأولى وأدغم. ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بعد مدة من الزمن، وهي سبع سنين كما رأيت، وانظر الآية رقم [٨] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم﴾: أنا أخبركم. ﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: بتعبير هذه الرؤيا. ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أي: إلى من عنده علم بتأويله، أو إلى السجن، خاطب الملك بلفظ الجمع على سبيل التعظيم، أو خاطبه وأهل مجلسه من السحرة والكهان.. إلخ، هذا؛ وقرئ: (بعد إمة) بكسر الهمزة، أي: بعد نعمة، أي: بعد أن أنعم الله عليه بالنجاة، وقرئ (بعد أمهٍ) بفتح الهمزة وتخفيف الميم، وكسر الهاء، أي: بعد نسيان، يقال: أَمِهَ، يأمَهُ أَمَهاً: إذا نسي، قال الشاعر: [الوافر]

أَمِــهْــتُ، وكــنْــتُ لَا أَنْــسَــى حــديــثــاً ... كــذاكَ الــدَّهْــرُ يُــودي بــالْــعــقــولِ

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): ماض. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿نَجَا﴾ صلة الموصول، والعائد رجوع الفاعل إليه. ﴿مِنْهُمَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿نَجَا﴾ المستتر، ولا يصح تعليقهما بالفعل؛ لأن المعنى يختل بذلك. (ادكر): ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِي﴾. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: (ادكر...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، أو هي في محل نصب حال من فاعل ﴿نَجَا﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وتكون (قد) قبلها مقدرة. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أُنَبِّئُكُم﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَنَا۠...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأرى جواز اعتبارها الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (أرسلون): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان الأمر كما أقول ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: فهنا كلام محذوف؛ إذ التقدير: فأرسلوه، فأتى يوسف في السجن، وقال: يا يوسف! وإنما وصفه بالصدق وبصيغة المبالغة؛ لأنه لم يجرب عليه كذباً قط، ولأنه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن. ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ...﴾ إلخ، وهي رؤيا رآها الملك. ﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: أرجع بتأويل هذه الرؤيا إلى الملك، ومن معه، فهم ينتظرون الجواب مني. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأويل هذه الرؤيا منك، فترتفع منزلتك، ويعلو شأنك، وإنما لم يبث الكلام فيهما؛ لأنه لم يكن جازماً بالرجوع فيما ذهب إليه.

الإعراب: ﴿يُوسُفُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا) المحذوفة النائبة مناب أدعو. ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: انظر إعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ في الآية [٤٣]. ﴿أَفْتِنَا﴾: أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿فِي سَبْعِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبْعِ﴾: مضاف، و﴿بَقَرَٰتٍ﴾: مضاف إليه. ﴿سِمَانٍ﴾: صفة: ﴿بَقَرَٰتٍ﴾، وجملة: ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ في محل جر صفة ثانية لـ ﴿بَقَرَٰتٍ﴾، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، و﴿وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾: معطوف على ما قبله. (أخر): معطوف على (سبع) مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة والعدل. ﴿يَابِسَٰتٍ﴾: صفة: (أخر). ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَرْجِعُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَرْجِعُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية: ﴿لَّعَلِّيٓ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، وجملة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تعليل آخر، وفيها معنى التأكيد لما قبلها، هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول للقول المقدر، انظر الشرح والتفسير.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ...﴾ إلخ: لما قصَّ الساقي على يوسف عليه السلام رؤيا الملك المتقدم ذكرها، قال له: السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر، إنما هي سبع سنين مخصبات، وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبات، وكأن الساقي سأل يوسف عليه السلام عن كيفية تدبير الأمور حين تبدأ السنوات الخصبة، فقال: ﴿تَزْرَعُونَ﴾، أي: ازرعوا، فالمضارع خبر بمعنى الأمر، هذا إن لم نقل: إن الآيات الثلاث متضمنة لتعبير الرؤيا،

وبيان كيفية تدبير الأمور، فيكون الكلام خبراً على ظاهره. ﴿دَأَبًا﴾: يقرأ بفتح الهمزة وسكونها، وفسر بمتوالية متتابعة، وفسر بعادتكم في الزراعة، وفسر بازرعوا بجهد واجتهاد، هذا؛ والدأب: العادة والشأن، والحال، وهو أيضاً مصدر: دأب في العمل من باب قطع: إذا جد، واستمر فيه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ أي: مستمرين في سيرهما. ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: إنما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد، ويقع فيه السوس، وذلك أبقى له على طول الزمان؛ وليكون القصب علفاً للدواب. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: ادرسوا قليلاً من الحنطة للأكل بقدر الحاجة، واتركوا الأكثر في سنبله لوقت الحاجة أيضاً، وهو وقت السنين المجدبة.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف عليه السلام. ﴿تَزْرَعُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف يدل عليه المقام. ﴿سَبْعَ﴾: ظرف زمان، متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و﴿سِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ. ﴿دَأَبًا﴾: مفعول مطلق عامله محذوف، التقدير: تدأبون دأباً، وهذه الجملة في محل نصب حال، وقيل: عامله دل عليه ﴿تَزْرَعُونَ﴾، أي: فيكون عامله من غير لفظه، مثل (قعد القرفصاء) والأول أقوى، هذا؛ وجوز اعتبار ﴿دَأَبًا﴾ حالاً، أي: فهو مصدر في موضع الحال، وجملة: ﴿تَزْرَعُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿حَصَدتُّمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿فَذَرُوهُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ذروه): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله. ﴿فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾: مستثنى بـ ﴿إِلَّا﴾. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿قَلِيلًا﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء تأكلونه، وجملة: ﴿فَذَرُوهُ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، هذا؛ ويجوز اعتبار: (ما) الأولى موصولة وتكون الجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: فالذي حصدتموه، وتكون جملة: (ذروه.. إلخ) في محل رفع خبره؛ وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، ويحصل إشكال بوقوع الجملة الطلبية خبراً، انظر الآية رقم [١٥] من سورة (النساء) ففيها بحث كافٍ شاف، والكلام مستأنف، وهو بدوره في محل نصب مقول القول.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد السنين المخصبة. ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: سبع سنوات مجدبة ممحلة شديدة على الناس. ﴿يَأْكُلْنَ﴾: يأكل أهلهن. ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: ما ادخرتم لأجلهن، فأسند الفعل للسنوات على سبيل المجاز تطبيقاً بين المعبر والمعبر به، ونحوه قول القائل: [الطويل]

نهارُكَ يا مغرورُ سَهْوٌ وغفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نَوْمٌ، والرَّدَى لَكَ لازِمُ

والنهار لا يسهو، والليل لا ينام، وإنما يسهى في النهار وينام في الليل. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تحرزون لبذور الزراعة، والإحصان: الإحراز، وهو إبقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع، وانظر شرح (ثم) في الآية رقم [١] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَأْتِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿سَبْعٌ﴾: فاعل: ﴿يَأْتِي﴾. ﴿شِدَادٌ﴾: صفة، وقد ذُكِّر لفظ: ﴿سَبْعٌ﴾؛ لأن المعدود مؤنث، والعدد المحصور بين ثلاثة وتسعة يكون بعكس معدودة في التذكير والتأنيث. ﴿يَأْكُلْنَ﴾: مضارع مبني على السكون، ونون النسوة فاعله. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يأكلن الذي، أو شيئاً قدمتموه. ﴿لَهُنَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والنون حرف دال على جماعة الإناث، وجملة: ﴿يَأْكُلْنَ...﴾ إلخ صفة ثانية لـ ﴿سَبْعٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: إعراب هذه الكلمات مثل إعراب: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في الآية السابقة، والآية بكاملها معطوفة على ما قبلها، فهي من مقول يوسف عليه السلام.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد السنوات المجدبة. ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: يمطرون من (الغيث) الذي هو المطر، وقيل: هو من الغوث، من قولهم: استغثت بفلان، فأغاثني. ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: يعصرون العنب خمراً، والزيتون زيتاً، والسمسم دهناً، المراد به كثرة الخير والنعم على الناس، وكثرة الخصب في الزروع والثمار، هذا؛ وما في هذه الآية خبر من يوسف ـ على نبينا، وعليه أزكى صلاة وأتم تسليم ـ عن شيء لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله. قال قتادة: زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها، إظهاراً لفضله، وإعلاء لشأنه، ولعله اقتبسه من سنة الله في خلقه على أنه يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾: هو مثل الآية السابقة في إعرابها. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يُغَاثُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿النَّاسُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿عَامٌ﴾. (فيه): متعلقان بما بعدهما. ﴿يَعْصِرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون.. إلخ، والواو فاعله، والفعل يقرأ بتاء المضارعة أيضاً، كما يقرأ بالبناء للمجهول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والآية الكريمة بكاملها معطوفة على ما قبلها، فهي من مقول يوسف عليه السلام.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾: وذلك أن الساقي رجع إلى الملك، وأخبره بما عبر به يوسف رؤياه، فعرف: أن الذي قاله كائن لا محالة، فأراد أن يراه، فطلب حضوره إليه، فرجع الساقي إلى يوسف، وقال له: أجب الملك، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ ولكنه أبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولأعوانه مما رمي به، ولا يراه بعين النقص، وليعلم الملك: أنه سجن ظلماً. ﴿قَالَ﴾ أي: يوسف. ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى سيدك، وهو الملك. ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ اذكر النساء جملة ليدخل امرأة العزيز فيهن مدخل العموم بالتلويح حتى لا يقع عليها تصريح، وذلك حسن عشرة وأدب، وفي الكلام محذوف، أي: فاسأله أن يتعرف حال النسوة، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فأرسل الملك إلى النسوة، وإلى امرأة العزيز، وكان العزيز قد مات. ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أي: إن الله تعالى عالم بصنيعهن، وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة حين قلن لي: أطع مولاتك، وفيه تعظيم كيدهن، والاستشهاد بعلم الله عليه، وعلى أنه بريء مما قذف به، والوعيد لهن على كيدهن.

وفي النسفي ـ: وقال نبينا ﷺ: «**لقد عجبت من يوسف، وكرمه، وصبره، والله يغفر له، حين سئل عن البقرات العجاف، والسمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني، ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول، فقال: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة، وبادرت الباب، ولما ابتغيت العذر، إنْ كان لحليماً ذا أناة، ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به، وتسببت فيه من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن**». انتهى.

هذا؛ واليد تستعمل في الأصل لليد الجارحة، وتطلق ويراد بها: القوة، والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كما تطلق على: النعمة، والمعروف، ويقال: لفلان يد عندي،

أي: نعمة، ومعروف، وإحسان، وتطلق على الحيلة والتدبير، فيقال: لا يد لي في هذا الأمر، أي: لا حيلة لي فيه ولا تدبير، وانظر شرح ﴿ٱئْتُونِي﴾ في الآية رقم [٥٤] الآتية.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾: ماض وفاعله. ﴿ٱئْتُونِي﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: (قال. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٥٤] الآية. ﴿جَآءَهُ﴾: ماض ومفعوله. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف. ﴿ٱرْجِعْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَسْـَٔلْهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (اسأله): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَالُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلنِّسْوَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلَّٰتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: ﴿ٱلنِّسْوَةِ﴾. ﴿قَطَّعْنَ﴾: ماض والنون فاعله. ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث، وجملة: ﴿قَطَّعْنَ...﴾ إلخ صلة الموصول، والجملة الاسمية: ﴿مَا بَالُ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان، واعتبرها القرطبي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، وقدر: فاسأله أن يتعرف ما بال النسوة، وهو تكلف لا داعي له، وجملة: (اسأله. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّي﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . . إلخ والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِكَيْدِهِنَّ﴾: متعلقان بـ ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبِّي...﴾ إلخ تعليلية، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين، وهي في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ...﴾ إلخ: هذا بعد أن عاد الرسول من عند يوسف بالكلام الذي بلغه إياه، فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن، وخاطبهن بهذا الكلام، هذا؛ والخطب:

الحال والشأن، وجمعه: خطوب، والمراودة: المحاولة وإرادة الشيء، والمراد بها ما عرفته في الآية رقم [٢٣]. ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٣١] ففيها الكفاية. ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: من ذنب، أو من خيانة في شيء من الأشياء. ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾: انظر شرح ذلك في الآية رقم [٣١] أيضاً. ﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾: انظر الآية رقم [٥١] من سورة (يونس) عليه السلام. ﴿حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾: تبين وظهر، أو ثبت واستقر، وانظر شرح: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في الآية رقم [١٢٠] من سورة (هود). ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: أنا طلبت منه ما طلبت من فعل السوء. ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: في قوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ وهذا القول، وإن لم يكن سأل عنه؛ هو إظهار لتوبتها، وتحقيق لصدق يوسف ورفع مكانته؛ لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه، فجمع الله ليوسف عليه السلام لإظهار صدقه الشهادة والإقرار، حتى لا يخامر نفساً ظن، ولا يخالطها شك.

هذا؛ وقد قيل: إن السبب في إقرارها أن النسوة أقبلهن عليها، فعزرنها، وقيل: خافت أن يشهدن عليها، فأقرت، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الملك. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَطْبُكُنَّ﴾: خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالمصدر خطب؛ لأنه في معنى الفعل؛ إذ المعنى ما فعلتن وما أردتن به في ذلك الوقت؟. ﴿رَٰوَدتُّنَّ﴾: فعل ماض مبني على السكون والتاء فاعله، والنون علامة جمع الإناث، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿يُوسُفَ﴾: مفعول به. ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٣١]. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿عَلِمْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُوٓءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، واكتفى (علم) بمفعول واحد؛ لأنه بمعنى: عرف، وجملة: ﴿مَا عَلِمْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْنَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَالَتِ﴾: ماض والتاء للتأنيث. ﴿ٱمْرَأَتُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾: ظرف زمان مبني على الفتح في محل نصب متعلق بما بعده. ﴿حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَٰوَدتُّهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿أَنَا۠...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال.

(إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: اللام: هي المزحلقة. ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إن)، والجملة الاسمية: (إنه...) إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ إلخ: لقد اختلف في بيان قائل هذا الكلام وما بعده على قولين: أحدهما: أنه من قول زليخا، ووجه هذا القول: أن هذا كلام متصل بما قبله، وهو إقرارها، واعترافها بما حصل منها، ويكون المعنى اعترافي بذلك ليعلم يوسف: أني لم أخنه في حال غيبته، وهو في السجن، وإن كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته، والقول الثاني: وعليه أكثر المفسرين: أنه من قول يوسف عليه السلام، ووجه هذا القول: أنه لا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر وإذا دلت قرينة عليه.

فعلى هذا يكون معنى الآية: أنه لما بلغ يوسف اعتراف المرأة بمراودتها له، قال يوسف ذلك، أي: الذي فعلت من رد رسول الملك ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في حال غيبته، فيكون كلام يوسف قد اتصل بكلام المرأة السابق من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه، ونظير هذا قوله تعالى حكاية عن قول فرعون لملئه: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾، من قول الملأ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ من قول بلقيس، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من قول الله عز وجل تصديقاً لها.

وعلى هذا فقد اختلف المفسرون أيضاً: هل كان يوسف عليه السلام في السجن، حين قال هذا الكلام، أو قاله حين حضر عند الملك؟ روايتان عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا يوفق، ولا يسدد خطا الخائنين، فإن كان من كلامها، فهي تعني فضيحتها، وإن كان من كلام يوسف فهو يعرض بزليخا في خيانتها زوجها، ويؤكد أمانته وعفته عما دعته إليه، ولعله أراد: لو كنت خائناً لما خلصني من هذه الورطة، وحيث أنقذني منها، ظهر أني بريء مما نسبوني إليه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لِيَعْلَمَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى العزيز، أو إلى يوسف حسب ما رأيت. ﴿أَنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿أَخُنْهُ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء مفعول به. ﴿بِالْغَيْبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أو من المفعول، وجملة: ﴿لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ في محل رفع

خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي يعلم، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والتقدير: طلبت إظهار براءتي ليعلم... إلخ. والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: (أن) واسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أن). ﴿كَيْدَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْخَآئِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب معطوف على المصدر المؤول السابق. تأمل، وتدبر.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ الجزء ١٣

الشرح: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ...﴾ إلخ: إن كان هذا الكلام من قول المرأة، فيكون معناه: وما أبرئ نفسي من مراودتي يوسف وكذبي عليه، وإن كان من قول يوسف عليه السلام؛ فيكون هذا الكلام هضماً لنفسه، وتواضعاً لله عز وجل، فإن رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم، فأراد إزالة العجب عن نفسه، وإبعاد التزكية عن ذاته، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾: إلا من عصم ربي وحفظه من فعل السوء والهم به، ف ﴿مَا﴾ هنا بمعنى (من)، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ انظر شرحها في الآية رقم [٣] من سورة (النساء)، ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ﴾: يغفر ذنوب المذنبين إذا استغفروا وتابوا وأنابوا، فهو صيغة مبالغة. ﴿رَّحِيمٌ﴾: بعباده إذا استغفروا وانظر شرح البسملة، هذا؛ وتأكيد الجملة الاسمية ب ﴿إِنَّ﴾ لأن المقام يقتضي ذلك، فكأن سائلاً سأل عن سبب النفي فجيء ب ﴿إِنَّ﴾ المؤكدة، وهذا من مباحث علم المعاني، كما لا يخفى.

بعد هذا؛ والسوء لفظ جامع لكل ما يهم به الإنسان من الأمور القبيحة، الدنيوية والأخروية، والسيئة: الفعلة القبيحة، وجمع السوء: أسواء، وهو بضم السين من: ساءه، وهو بفتحها المصدر، تقول: رجلُ سُوْءٍ بالإضافة، وَرَجُلُ السَّوْءِ، ولا تقول: الرجلُ السَّوْءِ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ هذا؛ وأما ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ فإنها تجمع في القلة أنفس، وفي الكثرة نفوس، و﴿ٱلنَّفْسَ﴾ تؤنث باعتبار الروح، وتذكر باعتبار الشخص، أي: فإنها تطلق على الذات أيضاً، سواء أكان ذكراً أم أنثى؟ فعلى الأول، قيل: إنها جسم لطيف مشتبك بالجسم اشتباك الماء بالعود الرطب، فتكون سارية في جميع البدن.

قال الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ: الروح شيء استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز البحث عنه بأكثر من أنه موجود، قال تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، وقال بعضهم: إن هناك لطيفة ربانية لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن حيث تفكرها تسمى: عقلاً، ومن حيث حياة الجسد بها تسمى: روحاً، ومن حيث شهوتها تسمى: نفساً، فالثلاثة متحدة بالذات، مختلفة بالاعتبار.

هذا؛ وقد ذكر القرآن الكريم أن النفس على خمس مراتب: الأمارة بالسوء، واللوامة والمطمئنة، والراضية، والمرضية، ويزاد الملهمة، والكاملة، فالأمارة بالسوء هي التي تأمر صاحبها بالسوء، ولا تأمر بالخير إلا نادراً، وهي مقهورة ومحكومة للشهوات، وإن سكنت لأداء الواجبات الإلٰهية، وأذعنت لاتباع الحق، لكن بقي فيها ميل للشهوات سميت: لوامة، وإن زال هذا الميل، وقويت على معارضة الشهوات، وزاد ميلها إلى عالم القدس، وتلقت الإلهامات سميت: ملهمة، فإن سكن اضطرابها، ولم يبق للنفس الشهوانية حكم أصلاً؛ سميت: مطمئنة، فإن ترقت من هذا، وأسقطت المقامات من عينها، وفنيت عن جميع مراداتها؛ سميت: راضية، فإن زاد هذا الحال عليها؛ صارت مرضية عند الحق وعند الخلق، فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم؛ سميت: كاملة، فالنفس سبع طبقات، ولها سبع درجات كما ذكرت، وقدمت، وأخيراً خذ ما ذكره القرطبي رحمه الله تعالى: وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما تقولُون في صَاحِبٍ لَكُمْ، إنْ أَكْرَمْتُمُوهُ، وأَطعَمْتموهُ، وكَسَوْتُمُوهُ، أَفْضَى بكُمْ إلَى شَرِّ غَايَةٍ؟ وَإِنْ أَهَنْتُمُوهُ وَأعْرَيْتُمُوهُ، وَأجعْتُمُوهُ أَفْضَى بِكُمْ إلى خير غَايَةٍ؟! قالُوا: يا رسولَ الله، هَذَا شَرُّ صاحِبٍ، قالَ: فو الَّذي نفسي بِيدِهِ، إنها لنفوسُكُم الَّتي بَيْنَ جُنوبكم**».

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿أُبَرِّئُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿نَفۡسِيٓۚ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿أَخُنۡهُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾: اسمها. ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾: خبرها، واللام هي المزحلقة. ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ متعلقان بـ (أمارة). ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع. ﴿رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾: ماض وفاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إلا الذي، أو شخصاً رحمه ربي، هذا؛ وأجاز أبو البقاء اعتبار (ما) مصدرية، وقدر: إن النفس لأمارة بالسوء إلا وقت رحمة ربي، والأول أقوى، والجملة الاسمية: ﴿نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ...﴾ إلخ تعليل للنفي لا محل لها، وهي تحتمل أن تكون جواباً لسؤال مقدر، كأن قائلاً قال: لم لا تبرئ نفسك؟ قال: لأن النفس.. إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ...﴾ إلخ: وذلك أنه لما تبين للملك عذر يوسف، وعرف أمانته وعلمه؛ طلب حضوره إليه، وأراد أن يكون من خاصته، والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك، وإنما أراد ذلك وطلبه؛ لأن عادة الملوك أن ينفردوا بالأشياء النفيسة العزيزة، ولا يشاركهم فيها أحد من الناس، وإذا أراد الله أمراً؛ هيأ له أسبابه، فألهم الملك ذلك ليكون يوسف من خاصته، ومن المقربين عنده. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أي: فلما أتوا وكلمه وشاهد منه الرشد والذكاء. قال: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: ذو مكانة عالية، ومنزلة رفيعة مؤتمن على كل شيء، فهي كلمة جامعة لكل الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا.

ـ روي أن يوسف عليه السلام لما قام ليخرج من السجن دعا لأهله، فقال: اللهم عطِّف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعمِّ عليهم الأخبار، فلما خرج كتب على باب السجن: هذا بيت البلواء، وقبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء، ثم اغتسل، وتنظف، ولبس ثياباً جُدُداً، فلما دخل على الملك، قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره، ثم سلم عليه بالعربية، فقال الملك: ما هذا اللسان؟ فقال: لسان عمي إسماعيل، ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يعرف سبعين لساناً، فكلمه بها، فأجابه بجميعها، فتعجب منه، فقال: أحب أن أسمع رؤياي منك، فحكاها له، ونعت له البقرات والسنابل، وأماكنها على ما رآها، فأجلسه على السرير، وفوض إليه أمره، وقيل: توفي قطفير العزيز في تلك الليالي فنصبه مكانه، وزوَّجه زليخا، فوجدها عذراء، وولد له منها ولدان: إفراثيم، وميشا، وبنت واحدة هي: رحمة امرأة أيوب، وإفراثيم ولد له نون، وولد لنون يوشع فتى موسى على نبينا، وعليهم أفضل صلاة، وأزكى تسليم.

ـ هذا؛ و﴿ٱئْتُونِى﴾ أمر من أتى يأتي، والأمر بهمزتين: همزة الوصل التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، والثانية هي فاء الفعل، ولا يجتمع همزتان في النطق، فإذا ابتدأت الكلام قلت: إيتوني بإبدال الثانية ياء لكسر ما قبلها، فإذا وصلت الكلام زالت العلة في الجمع بين همزتين، فتحذف همزة الوصل، وتعود الهمزة الأصلية، فتقول: ائتوني.

﴿لَدَيْنَا﴾: ظرف مكان بمعنى عند، وهي معربة مثلها، وقد تستعملان في الزمان، وإذا أضيف (لدى) إلى مضمر كما هنا، قلبت ألفه ياء عند جميع العرب، إلا بني الحارث بن كعب، وبني خناعة، فلا يقلبونها تسوية بين الظاهر والمضمر، ثم اعلم أن (عند) أمكن من «لدى» من وجهين: أحدهما: أنها تكون ظرفاً للأعيان والمعاني، تقول: هذا القول عندي صواب. وعند

فلان علم به، ويمتنع ذلك في (لدى) ذكره ابن الشجري في أماليه، ومبرمان في حواشيه، والثاني أنك تقول: عندي مال، وإن كان غائباً، ولا تقول: لديَّ مال إلا إذا كان حاضراً. قاله جماعة.

هذا؛ و«الكلام» بالنسبة إلى البشر يدل على أحد ثلاثة أمور:

أولها: الحدث الذي يدل عليه لفظ التكليم، تقول: أعجبني كلامك زيداً، تريد: تكليمك إياه.

وثانيها: ما يدور في النفس من هواجس وخواطر، وكل ما يعبر عنه باللفظ، لإفادة السامع ما قام بنفس المخاطب، فيسمى هذا الذي تخيلته في نفسك كلاماً في اللغة العربية، تأمل في قول الأخطل التغلبي: [الكامل]

لا يُعْجِبَنَّك مِنْ خطيبٍ خُطبةٌ ... حَتَّى يكُونَ مَعَ الكلامِ أصيلا

إنَّ الكلامَ لفي الفُؤادِ وَإنَّما ... جُعِلَ اللسانُ على الْفُؤَادِ دَلِيلا

وثالثها: كل ما تحصل به الفائدة، سواءاً أكان ما حصلت به لفظاً، أو خطاً، أو إشارةً، أو دلالةَ حالٍ. انظر إلى قول العرب: (الْقَلَمُ أَحَدُ اللسانَيْن) وانظر إلى تسمية المسلمين ما بين دفتي المصحف: (كلامَ الله) ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾، وقال جل شأنه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾، وإلى كلمته جلت حكمته: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ ثم انظر إلى قول الشاعر وهو عمر بن أبي ربيعة الذي نفى الكلام اللفظي عن محبوبته، وأثبت لعينها القول، وذلك في قوله: [الطويل]

أشارَتْ بطرْفِ الْعَيْنِ خِيفةَ أَهْلِها ... إشَارَةَ مَحْزُونٍ، وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فأيْقَنْتُ أنَّ الطرفَ قدْ قالَ: مَرْحَباً ... وَأهْلاً وسَهْلاً بالْحَبِيبِ المُتَيَّمِ

ثم انظر إلى قول نصيب بن رباح: [الطويل]

فعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكتوا أَثْنَتْ عليكَ الْحَقَائِبُ

بعد هذا انظر القول في الآية رقم [١٨] من سورة (هود) عليه السلام، وانظر شرح ﴿كَلِمَةً﴾ في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾: انظر الآية رقم [٥٠] ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وهو مجزوم عند الجمهور بشرط محذوف، التقدير: إن تأتوني.. إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء مفعول به، والجملة مع ما قبلها في محل نصب مقول القول. ﴿لِنَفْسِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: (قال...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [٥٩] الآتية. ﴿كَلَّمَهُۥ﴾: ماض، والهاء

مفعوله، والفاعل يعود إلى يوسف أو إلى الملك والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْمَلِكُ﴾. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿لَدَيْنَا﴾: ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء؛ لاتصاله بـ (نا) التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهو متعلق بما بعده أيضاً، ﴿مَكِينٌ﴾: خبر إن. ﴿أَمِينٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب لما، لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: فلما جاء يوسف عند الملك، وقال له: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا...﴾ إلخ بعد أن شرح له يوسف رؤياه، قال له الملك: فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام، وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وادخر الطعام في سنبله وقصبه؛ فإنه أبقى له، فيكون ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب، وتأمر الناس أن يرفعوا الخمس من زرعهم أيضاً، فيكفيك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، وتأتيك سائر الخلق للميرة من سائر النواحي، ويجتمع عندك من الكنوز والأموال ما لم يجتمع لأحد من قبلك، فقال الملك: ومن لي بهذا، ومن يجمعه، ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه؟ فعند ذلك قال يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ولني أمرها، وحفظها، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر، قال سعيد بن منصور: سمعت مالك بن أنس يقول: مصر خزانة الأرض، أما سمعت إلى قوله: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾. ﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾ أي: للخزائن ممن لا يستحقها. ﴿عَلِيمٌ﴾: بوجوه التصرف فيها، فقال له الملك: ومن أحق بذلك منك؟! وولاه ذلك، وعن مجاهد: أن الملك أسلم على يده.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَرْحَمُ اللهُ أَخي يوسُفَ، لَوْ لَمْ يَقُلْ: اجْعَلْني على خزائنِ الأرض لاسْتَعْمَلَهُ من ساعتِهِ، ولكنه أَخَّرَ ذلكَ سنةً»**. بقي أن تعرف كيف طلب يوسف عليه السلام الإمارة، مع النهي عنها؟! والجواب: إنما يكره طلبها إذا لم يتعين على الإنسان ذلك، فإذا تعين طلبها وجب ذلك عليه، ولا كراهية فيه، فأما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الإمارة؛ لأنه مرسل من الله تعالى، والرسول أعلم بمصالح الخلق من غيره، وإذا كان مكلفاً برعاية المصالح، ولا يمكنه ذلك إلا بطلب الإمارة؛ وجب عليه طلبها، وفيه دليل على جواز طلب التولية لكل إنسان إذا عرف من نفسه القدرة على إقامة الحق، وعدم المداهنة للكافر، والفاجر، بل يؤجر على هذه التولية ما دامت نيته حسنة مع الإخلاص في العمل لله رب العالمين.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف عليه السلام. ﴿ٱجْعَلْنِي﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿عَلَىٰ خَزَآئِنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿خَزَآئِنِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿حَفِيظٌ﴾: خبر أول. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ تعليل للأمر، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كما أنعمنا على يوسف في تقريبه إلى قلب الملك، وتحبيبه إليه، وإنجائه من السجن؛ مكناه في أرض مصر، فجعلناه على خزائنها، وصاحب الأمر والنهي فيها، ومعنى التمكين: التمليك، وهو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: ينزل من بلادها وقصورها حيث يهوى ويريد، وهو تفسير للتمكين المتقدم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ الآية رقم [٩٣] من سورة (يونس). ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ أي: نختص بنعمتنا من نبوة وغيرها من نعم الدنيا من نشاء اختصاصه بها من عبادنا. ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: قال ابن عباس ووهب: يعني: الصابرين، لصبر يوسف في الجب، وفي الرق، وفي السجن، وفي صبره عن محارم الله تعالى عما دعته المرأة إليه. انتهى. قرطبي. وأضيف أن الإحسان يشمل كل عمل خيري، دنيوي وأخروي، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، والإحسان إلى كل مخلوق.

وانظر شرح (رحمتي) في الآية رقم [١٥٦] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك. ﴿حَيْثُ﴾: مبنية، وإنما بنيت؛ لأنها لا تدل على موضع بعينه، ولأن ما بعدها من تمامها، كالصلة من الموصول، وبنيت على حركة؛ لأن ما قبل آخرها ساكن، وكان الضم أولى بها بحركتها؛ لأنها غاية، فأعطيت غاية الحركات، وهي الضمة؛ لأن الضمة أقوى الحركات، وقيل: بنيت على الضم؛ لأن أصلها (حَوْث) فدلت الضمة على الواو، ويجوز فتحها، وفي (حيث) ست لغات، بالياء مع الضم والفتح والكسر، وبالواو مع الضم والفتح والكسر، وهي حَيْثُ، وحَيْثَ، وحَيْثِ وحَوْثُ، وَحَوْثَ، وحَوْثِ، وانظر شرح وإعلال: (يصيب) في الآية رقم [٥١] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده. التقدير: مكنا ليوسف تمكيناً كائناً مثل إنقاذنا له من السجن وتقريبه إلى قلب الملك. ﴿مَكَّنَّا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِيُوسُفَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما

والمفعول به محذوف، التقدير: الأمور، هذا؛ وأجيز اعتبار اللام زائدة، فيكون يوسف مفعولاً به مجروراً لفظاً منصوباً محلّاً. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان به أيضاً، والجملة الفعلية: (كذلك...) إلخ مستأنفة لا محل لها، ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى يوسف. ﴿مِنۡهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَيۡثُ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وأجيز اعتباره مفعولاً به، فهو مبني على الضم في محل نصب، ﴿يَشَآءُ﴾: مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى يوسف، وعلى قراءته بالنون ففاعله مستتر تقديره: «نحن»، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (حيث) إليها، وجملة: ﴿يَتَبَوَّأُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من يوسف، والرابط الضمير فقط. ﴿نُصِيبُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿بِرَحۡمَتِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نصيب برحمتنا الذي، أو شخصاً نشاؤه، وجملة: ﴿نُصِيبُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿نُضِيعُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَجۡرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور.. إلخ، وجملة: ﴿وَلَا نُضِيعُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾

الشرح: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ...﴾ إلخ: أي: ما يعطيه الله ليوسف في الآخرة خير وأكثر مما أعطاه في الدنيا؛ لأن أجر الآخرة دائم وأجر الدنيا ينقطع، وظاهر الآية العموم في كل متق ومؤمن، وهو أولى، قال سفيان بن عيينة: المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق، وتلا الآية، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٥] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

ـ روي: أن الملك توج يوسف، وختمه بخاتمه، ورداه بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب، مكللاً بالدر واليواقيت، فقال: أما السرير، فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي، ولا لباس آبائي، فجلس على السرير، ودانت له الأمور، وفوض الملك إليه أمره، وأقام العدل بمصر، وأحبه الصغير والكبير، فلما اطمأن يوسف في ملكه؛ دبر في جمع الطعام أحسن التدبير، فبنى الحصون، والبيوت الكثيرة.

فلما دخلت السنون الخصبة أمر بزراعة جميع الأراضي، وصار يدخر الأقوات، كما بين للملك فيما سبق، وذلك إعداد للسنوات المجدبة حتى خلت المخصبة، ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثلهما، ونهى عن زراعة الأراضي في تلك السنوات، وأسلم على يديه

الملك وكثير من الناس، وباع أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها، وفي الثانية بالحلي والجواهر، وفي الثالثة بالدواب والمواشي كلها، وفي الرابعة بالعبيد والإماء حتى استولى عليها كلها، وفي الخامسة بالدور والعقارات، وفي السادسة بأولادهم وذراريهم، وفي السابعة برقابهم حتى استرقهم جميعاً، وهذا هو معنى التمكين الذي ذكره الله في الآية السابقة، ثم أعتق أهل مصر، ورد عليهم أموالهم، وأملاكهم، وكان لا يبيع لأحد من الممتارين أكثر من حمل بعير، وأصاب أرض كنعان ما أصاب مصر من القحط والجدب. وذاع أمر يوسف عليه السلام في الآفاق للينه، وعطفه، ورحمته، ورأفته، وعدله، وسيرته.

ـ فقال يعقوب عليه السلام لبنيه: بلغني: أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون إليه من الطعام، وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه، وأرسل عشرة مع كل واحد منهم بعير، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَلَأَجْرُ﴾: الواو: واو الحال. اللام: لام الابتداء. (أجر): مبتدأ، وهو مضاف، والآخرة مضاف إليه، ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بخير. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، تقديره: (بالله) والجملة الفعلية صلة الموصول. (كانوا): ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، وجملة: ﴿يَتَّقُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل نصب خبر (كان) وجملة: (كانوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها، والجملة الاسمية: (لأجر...) إلخ في محل نصب حال من أجر المحسنين، والرابط: الواو فقط، هذا؛ وقد قال الجمل: اللام واقعة في جواب قسم، وهو يعني أن الواو حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، والجملة الاسمية: (لأجر...) إلخ جواب هذا القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، والاعتبار الأول أولى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: فيه حذف كلام كثير، انظر ما ذكرته في الآية السابقة، وهذا من اختصار القرآن المعجز. ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾: وهو على سرير الملك، وفي هيبته وجلاله، وحوله الخدم، والحشم. ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾: أنهم إخوته واحداً واحداً، ولم ير بينهم أخاه بنيامين. ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ أي: لم يعرفوه؛ لأنهم باعوه صبيّاً، ولم يقع في خلدهم أنه بعد العبودية يبلغ إلى تلك الحال من العزة والمكانة ورفعة الشأن مع طول المدة، وهم أربعون سنة، بل واعتقدوا هلاكه وموته؛ ولذا لم يخطر على بالهم في وقت من الأوقات: أنه حي على وجه الأرض، أما

هم فلا يزالون على ما كانوا عليه في الملبس والهيئة والزي مع تكلمهم باللغة العبرانية التي هي لغتهم الأصلية، فلما كلموه بها قال: لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي، قالوا: معاذ الله! قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر، فذهب أصغرنا، فهلك في البرية، وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه، فاحتبسه ليتسلى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم، ثم قال لهم: فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟ قالوا: أيها الملك إننا ببلاد غربة، لا يعرفنا أحد، قال: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، فأنا راض بذلك منكم، وإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي، ولا تقربوا بلادي! وانظر أسماءهم في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿وَجَآءَ﴾: الواو: حرف استئناف. جاء: ماض. ﴿إِخْوَةُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿يُوسُفَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وجملة: (جاء...) إلخ مستأنفة لا محل لها. (دخلوا): ماض وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. عليه: متعلقان بما قبلهما. عرفهم: ماض، ومفعوله، والفاعل يعود إلى ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُنكِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: يقال: جهزت القوم تجهيزاً، إذا تكلفت لهم جهاز سفرهم، وهو ما يحتاجون إليه في سفرهم، و(الجَهازَ) بفتح الجيم، وقرئ بكسرها، والأولى أفصح. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حمل لكل واحد منهم بعيراً من الطعام، وأكرمهم في النزول، وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم، هذا؛ وَجَهاز العروس ما يحتاج إليه عند الإهداء للزوج. قال: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ أي: لأعلم صدقكم فيما تدعون من كونكم أولاد نبي، وأن أخاً لكم آخر قد احتبسه أبوكم عنده ليتسلى به عن الفقيد، وقيل: طلب منهم رهينة عنده حتى يأتوه بأخيه، فاقترعوا فيما بينهم، فأصابت القرعة (شمعون) فبقي عنده. أقول: ولا داعي لذلك ما دام منعهم الميرة من عنده، ولما ذهبوا إلى أبيهم ذكروا له منع الميرة، ولم يذكروا رهينة عند يوسف، ومنع الميرة في تلك الآونة الراهنة أشق شيء عليهم من غيره... ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾: أتمه. ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم

ووفادتهم عليه، كما رأيت فيما سبق، وقول الإمام فخر الدين الرازي: هذا الكلام يضعف قول من يقول: إنه اتهمهم، ونسبهم إلى أنهم جواسيس. . . إلخ. أقول: لعله قال ذلك ليدفع عن نفسه الشبهة، وليهيمن عليهم، ويجعلهم حذرين منه، مع شدة إكرامه لهم، هذا؛ و(أخ) أصله: أخو، فحذفت الواو بعد نقل حركتها إلى الخاء للتخفيف بدليل رجوعها في التثنية حيث تقول: أخوان، أخوين، وانظر: إعلال (دم) في الآية رقم [١٨].

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: (حين) عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿جَهَّزَهُم﴾: ماض، والهاء مفعوله، والفاعل يعود إلى يوسف، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً. ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿يُوسُفَ﴾ أيضاً. ﴿ائْتُونِي﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِأَخٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَّكُم﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (أخ). ﴿مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: (أخ)، أو هما متعلقان بمحذوف حال من (أخ) بعد وصفه بما تقدم، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على جملة: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ...﴾ إلخ لا محل له مثلها. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿تَرَوْنَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿أَنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أُوفِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿الْكَيْلَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أُوفِي...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنِّي﴾، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: ﴿تَرَوْنَ﴾ والجملة الفعلية هذه في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَأَنَا﴾: الواو: واو الحال. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره: وهو مضاف، والمنزلين مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء. . إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنَا خَيْرُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿أُوفِي﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: معنى الآية الكريمة، فإن لم تحضروا أخاكم من أبيكم؛ لأتحقق من صحة قولكم، فلست أعطيكم طعاماً مرة ثانية، ولا تدخلوا بلادي، بل ولا ترجعوا إليها ثانية، وهذا هو نهاية

التخويف لأنهم كانوا محتاجين للطعام، وانظر شرح الآيتين السابقتين، وانظر شرح ﴿فَإِن لَّمْ﴾ في الآية رقم [٣٢].

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَأْتُونِي﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون، وهو في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس تعمل عمل إن. ﴿كَيْلَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (لا)، ﴿عِندِي﴾: ظرف مكان متعلق بما تعلق به. ﴿لَكُمْ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَلَا كَيْلَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَقْرَبُونِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وهي مكسورة، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، هذا؛ وأجيز اعتبار (لا) نافية، فيكون الفعل مرفوعاً، وقد حذفت نون الوقاية، وياء المتكلم أيضاً، وعلى الوجهين فالجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، فهي في محل جزم مثلها، وإن ومدخولها كلام مستأنف، وهو في محل نصب مقول القول؛ لأنه من كلام يوسف على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾: سنطلبه منه، ونجتهد، ونحتال في ذلك؛ حتى نأتي به إليك. ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾: ما أمرتنا به لا نتوانى في ذلك، فإن قيل: كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يفعل ذلك، وهو مما يزيد حزن أبيه بطلب أخيه؟! فأجيب بأجوبة كثيرة، أظهرها: أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب؛ ليعظم أجره، وثوابه، ويلحقه بدرجة أبيه، وجده.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. السين: حرف استقبال. (نراود): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَنۡهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَبَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وقد حذفت ألفها، وبقيت نونها، وذلك للتخفيف. ﴿لَفَٰعِلُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة، (فاعلون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد،

والجملة الاسمية: (إنا . . .) إلخ في محل نصب حال من فاعل (نراود)، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿سَنُرَٰوِدُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ أي: قال يوسف عليه السلام لغلمانه، ورجاله الكيالين. ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾: أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي دفعوه، وكانت دارهم ودنانير، وحكى الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنها كانت النعال والجلود. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾: يعرفون بالبضاعة التي دفعوها ثمناً للطعام. ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾: إذا رجعوا إلى أهلهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إلينا، أو إلى بلادنا.

واختلف في السبب الذي دعا يوسف عليه السلام لأن يرد على إخوته ثمن الطعام على أقوال كثيرة؛ أرجحها: أنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال؛ لأن الزمان كان زمان قحط وشدة، وقيل: إنه رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤم لشدة حاجتهم، وقيل: أراد أن يريهم بره، وكرمه، وإحسانه إليهم؛ ليكون ذلك أدعى إلى الرجوع إليه.

هذا؛ و﴿رِحَالِهِمْ﴾ جمع: رحل، وهو يطلق على منزل الرجل، وعلى محلة القوم التي يقطنونها، والرحل للناقة؛ كالسرج للفرس، والبردعة للحمار، وهو يطلق على أثاث الرجل وأمتعته، والمراد به في الآية الكريمة: الوعاء الذي يوضع فيه الطعام ويحمل على ظهر الجمل بدليل ما يأتي في الآية رقم [٧٥] وما بعدها، هذا؛ وقرئ: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾ و(لفتيته) وكلاهما جمع: فتى، لكن الأول جمع كثرة، والثاني جمع قلة، وهو أشبه من الأول هنا؛ لأن الذين تولوا هذا العمل قليلون، هذا؛ والفتى: الشاب، ويطلق على السيد، والشريف، والكريم؛ كما يطلق على المستخدم من عبد وغيره، كما في الآية الكريمة، وكما في فتى موسى عليه السلام، و(الفتاء) بالمد: الشباب، والفتوة، الشجاعة، والسيادة، والشرف هذا؛ وقيل: الفتوة: بذل الندى، وكف الأذى، وترك الشكوى، واجتناب المحارم، واستعمال المكارم، ويجمع الفتى أيضاً على: فُتُوٍّ، كما في قول جذيمة الأبرش: [الخفيف]

فــي فُــتُــوٍّ أَنَـــا رَابِـــئُـــهُـــمْ ... مِـــنْ كِـــلَالِ غَـــزْوَةٍ مَـــاتُـــوا

وهو شاذ؛ لأن أصل (فَتَى) فَتَيٌّ، فهو يائي، وليس واوياً. تأمل.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى يوسف على نبينا، وعليه أفضل صلاة وأزكى تحية وتسليم. ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر

بالإضافة، ﴿ٱجۡعَلُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِضَٰعَتَهُمۡ﴾: مفعول به أول. ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم في الجميع حرف دال على جماعة الذكور، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَعۡرِفُونَهَآ﴾: مضارع وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لعل، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمۡ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿ٱنقَلَبُوٓاْ﴾: فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، التقدير: راجعين إلى أهلهم، وجملة: ﴿ٱنقَلَبُوٓاْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، واعتبارها شرطية ضعيف، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ تعليل آخر لجعل البضاعة في رحالهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾: منعنا ملك مصر الميرة من عنده إن لم نأخذ له «بنيامين»... وأخبروه بما كان من أمرهم، وإكرامه لهم، وما دار بينهم من أحاديث حتى طلب بنيامين ليتأكد من صحة أحاديثهم. ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا﴾: بنيامين. ﴿نَكۡتَلۡ﴾: نرفع المانع من الميرة، هذا؛ ويقرأ: (يكتل) بالياء، أي: يكتل (بنيامين) حمل بعير آخر يضاف لأحمالنا. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: من أن يناله مكروه وحتى نرده إليك سالماً غانماً.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، (لما): انظر الآية رقم [٥٩] ﴿رَجَعُوٓاْ﴾: ماض والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ﴾ مثل جملة: ﴿جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ قالوا: ماض وفاعله. يا: أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أبانا): منادى منصوب، وعلامة نصبه الألف؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مُنِعَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿مِنَّا﴾: متعلقان بـ ﴿مُنِعَ﴾. ﴿ٱلۡكَيۡلُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَأَرۡسِلۡ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يرى جواز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (أرسل): أمر والتماس، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَعَنَآ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة.

﴿أَخَانَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿نَكْتَلْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، أو هو حسب ما رأيت، والجملة الفعلية لا محل لها، وجملة: (أرسل...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: (وإذا كان ما ذكر حاصلاً فأرسل...) إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ إعرابها مثل إعراب: ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ بلا فارق.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: يعقوب عليه السلام. ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ...﴾ إلخ: أي: كيف آمنكم على بنيامين، وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم، وقد تعهدتم بحفظه ورعايته، أي: فلم يطمئن لحفظهم، ورعايتهم لـ (بنيامين). ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ أي: فإذا كان لا بد من إرساله معكم، فإني أكل حفظه إلى الله تعالى، ففيه التفويض إلى الله تعالى، والاعتماد عليه في جميع الأمور. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: وهذا يدل على أنه وافق على إرساله معهم، وإنما أرسله معهم؛ لأنه لم ير بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد ما كان بينهم وبين «يوسف»، أو أنه شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا، أو أن شدة القحط وضيق الحال أحوجه إلى ذلك.

قال كعب الأحبار: لما قال يعقوب ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لأردن عليك ابنيك كليهما بعدما توكلت علي! هذا؛ وقرئ: فالله خيرٌ حِفظاً، وقرئ: خيرُ حافِظٍ، وقرئ: (خَيْرُ الحافظين).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو»؛ يعود إلى أبيهم يعقوب. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿ءَامَنُكُمْ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعوله. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر ﴿كَمَآ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿أَمِنتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ﴿عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَخِيهِ﴾، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: لا آمنكم عليه إلا ائتماناً كائناً مثل ائتماني لكم على أخيه، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر

المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. ﴿فَٱللَّهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة، انظر الشرح. (الله): مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره، ﴿حَٰفِظًا﴾: تمييز، وقيل: حال من لفظ الجلالة، ولا تجوز الحالية على قراءة (حفظاً)، وعلى قراءة الجر فـ ﴿خَيْرٌ﴾: مضاف، و﴿حَٰفِظًا﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، انظر تقديره في الشرح، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ ﴿حَٰفِظًا﴾ فلست مفنداً.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ أي: أوعيتهم ورحالهم. ﴿وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾: وجدوا ثمن الطعام الذي دفعوه ليوسف عليه السلام قد دس في رحالهم. ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: قرئ بكسر الراء وضمها. ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾: ماذا نطلب وماذا نريد؟! أي: أي شيء نريد من ملك مصر فوق هذا الإحسان وهذا الإكرام، فقد أحسن مثوانا، وباعنا، ورد علينا ثمن الطعام الذي أعطيناه له؟! أو المعنى: ﴿مَا نَبْغِى﴾ من البغي وتجاوز الحد، أي: لا نكذب ولا نتجاوز الحد في وصف الملك. ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: هذه أثمان الطعام الذي أتينا به من ملك مصر قد رد إلينا بكامله، فهل بعد هذا الإحسان إحسان؟! ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نجلب الطعام لأهلنا، إن أرسلت معنا بنيامين إلى الملك ليتحقق من صحة قولنا، وقرئ بضم النون، بمعنى: نعين أهلنا على الميرة. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ أي: من المكاره والمخاوف في ذهابنا، وإيابنا حتى نرده إليك سالماً غانماً. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي: حمل جمل لأخينا إن ذهب معنا؛ لأن الملك لا يعطي الرجل أكثر من حمل جمل واحد. ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: إن ما أتينا به من الطعام لا يكفينا لأنه قليل، أو المعنى إن حمل جمل لـ «بنيامين» شيء قليل، وهين على الملك لا يضايقه، فهو يعطينا إياه بسهولة ويسر، هذا؛ والبعير يشمل الجمل والناقة كالإنسان للرجل والمرأة، وإنما يسمى بعيراً إذا بزل نابه، أي: ظهر، ويجمع على أبعرة، وبعران، وجمع الجمع: أباعر وأباعير.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٥٩] ﴿فَتَحُواْ﴾: ماض مبني على الضم؛ لاتصاله بواو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو، ويقال اختصاراً:

فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ﴿مَتَٰعَهُمۡ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَجَدُواْ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها. ﴿رُدَّتۡ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث، ونائب الفاعل مستتر تقديره هي. ﴿إِلَيۡهِمۡۖ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ في محل نصب مفعول به ثان. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو: (أبانا): منادى منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): في محل جر بالإضافة، ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، إن كان الفعل متعدياً، وفي محل رفع مبتدأ، إن كان لازماً، هذا؛ وأجيز اعتبارها نافية. ﴿نَبۡغِيۖ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» وقرئ بتاء المضارعة خطاباً ليعقوب عليه السلام، فيكون الفاعل مستتراً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ على اعتبار ﴿مَا﴾ مبتدأ، والفعل لازماً، وعلى جميع الاعتبارات فالجملة مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بِضَٰعَتُنَا﴾: خبر المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ في محل نصب حال من ﴿بِضَٰعَتُنَا﴾ والرابط عود نائب الفاعل إليه، وهي على تقدير (قد) قبلها، والعامل في الحال اسم الإشارة، وهي على نحو: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ...﴾ والجملة الاسمية: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وإن قيل: هي مستأنفة موضحة لقوله: ﴿مَا نَبۡغِيۖ﴾ فلا بأس به. ﴿وَنَمِيرُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَهۡلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: (نمير...) إلخ معطوفة على جملة محذوفة، وتقدير الكلام: إن بضاعتنا ردت إلينا، فنستعين بها ونمير أهلنا، والجملتان ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ معطوفتان عليها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿كَيۡلٞ﴾: خبره. ﴿يَسِيرٞ﴾: صفة كيل، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: يعقوب. ﴿لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ﴾ أي: «بنيامين». ﴿حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: حتى تؤتون عهداً مؤكداً بذكر الله، أو بإشهاد الله. ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾: لترجعن ببنيامين من مصر؛ إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك، أو إلا أن تهلكوا جميعاً. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ

﴿مَوْثِقَهُمْ﴾: فلما أعطوه عهدهم المؤكد بإشهاد الله. ﴿قَالَ﴾ أي: يعقوب: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي: على ما طلبت من العهد، وعلى ما أعطيتموه الله رقيب وشاهد، وقيل: حافظ، هذا؛ ولا تنس: أن إعلال: ﴿لَتَأْتُنَّنِي﴾ مثل إعلال ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ في الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يعقوب. ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿أُرْسِلَهُۥ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَنْ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء مفعول به. ﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿تُؤْتُونِ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد حتى، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بكسرة النون مفعول به أول، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَوْثِقًا﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بموثقاً، أو بمحذوف صفة له. ﴿لَتَأْتُنَّنِي﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المفهوم مما قبلها. (تأتنني): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون المشددة للتوكيد، والمخففة للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم؛ إذ التقدير والمعنى: حتى تحلفوا بالله لتأتنني. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن يُحَاطَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ ﴿أَن﴾. ﴿بِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما نائب فاعل، و﴿أَن﴾ المصدرية والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب على الاستثناء المفرغ من عموم الأحوال، التقدير: لتأتنني به على كل حال من الأحوال إلا حال الإحاطة بكم، أو من أعم العلل على تضمين الكلام معنى النفي، أي: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم. ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٥٩] ﴿ءَاتَوْهُ﴾: ماض وفاعله ومفعوله الأول. ﴿مَوْثِقَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الفعلية: ﴿ءَاتَوْهُ...﴾ إلخ لها محل، أو لا محل لها انظر الآية السابقة. ﴿قَالَ﴾: ماض وفاعله مستتر يعود إلى يعقوب. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، والجار والمجرور متعلقان بوكيل بعدهما، الذي هو خبر المبتدأ، وتقدير الكلام: الله وكيل على الذي، أو على شيء نقوله، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿وَكِيلٌ﴾، وتقدير الكلام الله وكيل على قولنا، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾: يوصي يعقوب عليه السلام بنيه أن يدخلوا مدينة يوسف، أي: عاصمته من أبواب متفرقة، وكان للمدينة أربعة أبواب، وإنما أوصاهم بذلك؛ لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة، مشتهرين بالقربة والكرامة عند الملك مع كونهم أبناء رجل واحد، فخاف عليهم، إذا دخلوا في كوكبة واحدة أن يصابوا بالعين، ولعله لم يوصهم بذلك في المرة الأولى؛ لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، أو كان الداعي لذلك خوفه على بنيامين. ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ﴾ أي: مما قضى عليكم، بما أشرت به إليكم، فإن الحذر لا يمنع القدر مجتمعين كنتم أو متفرقين. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾: يصيبكم بما أراد لا محالة إن قضى عليكم بشيء وقدره، ولا ينفعكم ما أوصيتكم به. وانظر الآية رقم [٤٠]. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ﴾ أي: اعتمدت في أموري كلها على الله لا على غيره. ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: عليه فليعتمد المعتمدون، وليفوضوا أمورهم وشؤونهم إليه.

هذا؛ والتوكل: تفويض الرجل الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه وضره، وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر، لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله، فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه منها، لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله، وإنما هو من تعاطي الأسباب في دفع المحنة.

بعد هذا انظر شرح ﴿وَٰحِدٖ﴾ في الآية رقم [٣٩]، وأصل ﴿يَٰبَنِيَّ﴾ يا بنين لي، فحذف حرف الجر، واتصلت ياء المتكلم بالاسم، فحذفت النون للإضافة، ثم أدغمت ياء المتكلم بالياء التي هي لجمع المذكر السالم، وانظر الإعراب.

تنبيه: ذكرت لك أن يعقوب عليه السلام خاف على أولاده من العين، وقد ثبت أن للعين تأثيراً، وقد أقر نبينا وحبيبنا ﷺ ذلك في أحاديثه الشريفة، فمن ذلك قوله: «**إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر**» ومنه تعوذه ﷺ «**أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ وهَامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**». وهذا الحديث رواه البخاري وأصحاب السنن. انتهى. جمل. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ قال: «**العَيْنُ حَقٌّ، ولوْ كَانَ شيءٌ سابقَ القدَرِ لَسَبَقَتْهُ العينُ**». رواه مسلم، لكن ذلك بمشيئة الله تعالى، كما قال جل شأنه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾.

هذا؛ ويروى أن عامر بن ربيعة أصاب أبا سهل بن حنيف بالعين، فقال رسول الله ﷺ: «**عَلَامَ يقتلُ أحدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَا بَرَّكْتَ، إِنَّ العَينَ حقٌّ. تَوَضَّأْ لهُ**». ومعنى بركت: هلا قلت: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه، ومفهومه: أن التبريك يدفع أذى العين، ومن ذلك

قولك: ما شاء الله كان، والصلاة والسلام على الرسول يمنع ذلك أيضاً، وفي قول الرسول ﷺ للعاين: (توضأ) أمر له بالوضوء الكامل للصلاة في إناء، ثم يغتسل المصاب بماء الوضوء، فإنه شفاء له بإذن الله، وهذا إذا عرف العاين، وإذا لم يعرف؛ فالقرآن شفاؤه، أي: للمصاب، فتلاوة الفاتحة والمعوذتين عليه شفاء له بإذن الله تعالى، هذا؛ ولا يفوتني أن أذكر أنه لا يشترط أن يكون العاين فقيراً، أو فاسقاً، أو كافراً، فقد يكون من أغنى الأغنياء، وقد يكون من أتقى الأتقياء، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف، (قال): ماض، وفاعله يعود إلى يعقوب أبيهم. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. ﴿لَا تَدْخُلُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنۢ بَابٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٰحِدٍ﴾: صفة باب. ﴿وَٱدْخُلُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (ادخلوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على السكون المقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو، ويقال: منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرك بالضم لمناسبة واو الجماعة، وقل مثله في قولك (ادخلا) والمانع من ظهور السكون الفتح الذي جيء به لمناسبة ألف الاثنين، وأيضاً قولك: (ادخلي): والمانع من ظهور السكون الكسر الذي جيء به لمناسبة ياء المؤنثة المخاطبة. ﴿مِنْ أَبْوَٰبٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّتَفَرِّقَةٍ﴾: صفة أبواب. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية: ﴿أُغْنِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما وأجيز تعليق ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بمحذوف حال من ﴿شَىْءٍ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة، ﴿شَىْءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿وَمَآ أُغْنِى...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من ياء المتكلم، والرابط على الاعتبارين الواو، والضمير. ﴿إِنِ﴾: حرف نفي. ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿وَعَلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (عليه): متعلقان بما بعدهما. الفاء: زائدة، (ليتوكل): مضارع مجزوم بلام الأمر، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو.... إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال....) إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟﴾ أي: المدينة. ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: من أبواب متفرقة. ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: لم ينفعهم رأي يعقوب بالدخول من أبواب متفرقة، أو لم ينفعهم الدخول نفسه. ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: وهي شفقته عليهم، وتحرزه من أن ينالهم سوء، أو يعانوا بلاء وشدة. ﴿قَضَىٰهَا﴾: أظهرها، ووصى بها أولاده، قيل: هي خوفه عليهم من العين، وقيل: خوفه من حسد أهل مصر. ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ﴾ أي: صاحب علم وعمل بما يعلم. ﴿لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: لتعليمنا إياه ذلك العلم، وذلك بالوحي ونصب الحجج والبراهين، ولذا لم يغتر بتدبيره وإرشاده، فقال: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما يعلم يعقوب من أمر دينه، وقال البيضاوي: لا يعلمون سر القدر، وأنه لا يغني عنه الحذر.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٥٩] ﴿دَخَلُوا۟﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وحيث مبني على الضم في محل جر. ﴿أَمَرَهُمْ﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿أَبُوهُم﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، وجملة: ﴿دَخَلُوا۟...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى رأي يعقوب المفهوم من المقام. أو إلى الدخول نفسه المفهوم من (دخلوا). ﴿يُغْنِى﴾: مضارع مرفوع. . . إلخ، وفاعله، يعود إلى ما عاد إليه اسم كان. ﴿عَنْهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: انظر إعرابهما في الآية السابقة، ويزاد جواز اعتبار: ﴿شَىْءٍ﴾ فاعلاً لـ ﴿يُغْنِى﴾ وهو ضعيف، وجملة: ﴿يُغْنِى...﴾ إلخ في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿مَّا كَانَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها قال سليمان الجمل: وفيه حجة لمن يدعي كون (لمَّا) حرفاً، لا ظرفاً؛ إذ لو كانت ظرفاً لعمل فيها جوابها؛ إذ لا يصلح للعمل سواه، لكن ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها، وأجاز أبو البقاء اعتبار جملة: ﴿ءَاوَىٰٓ...﴾ إلخ في الآية التالية جواباً لـ (لمَّا) هذه، وللثانية الآتية، كقولك: لمَّا جئتك، ولمَّا كلمتك؛ أجبتني، ثم قال: وحسن ذلك: أن دخولهم على يوسف يعقب دخولهم من الأبواب، كما أجاز اعتبار الجواب محذوفاً، تقديره: امتثلوا، أو قضوا حاجة أبيهم ونحوه، وعلى الاعتبارين فجملة: ﴿مَّا

﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمائر العائدة على أولاد يعقوب، والرابط: الواو، والضمير، والتقدير: حالة كونه غير مغنٍ عنهم، دخولهم متفرقين، ولا يخفى: أن الإعراب الأول أولى بالاعتبار. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع، بمعنى لكن. ﴿حَاجَةً﴾: منصوب. على الاستثناء، وقال أبو البقاء: مفعول لأجله. ﴿فِي نَفْسِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة حاجة، و﴿نَفْسِ﴾ مضاف، ويعقوب مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿قَضَىٰهَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، و(ها): مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿يَعْقُوبَ﴾ والجملة الفعلية في محل نصب حال منه، والرابط: رجوع الفاعل إليه، وهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَذُو﴾: اللام: هي المزحلقة. (ذو): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذو): مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية (إنه....) إلخ في محل نصب حال من ﴿يَعْقُوبَ﴾، فهي حال متعددة، أو من فاعل ﴿قَضَىٰهَا﴾، فتكون حالاً متداخلة، وعلى الاعتبارين فالرابط: الواو، والضمير. ﴿لِّمَا﴾: اللام: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿عَلَّمْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعوله الأول، والثاني محذوف، التقدير: علمناه إياه، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿عِلْمٍ﴾ أو بمحذوف صفة له، التقدير: لتعليمنا إياه، هذا؛ وإن اعتبرت (ما) موصولة، فيكون التقدير: وإنه لذو علم للشيء الذي علمناه إياه، وهو معنى صحيح. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢١] وهي معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والرابط محذوف، وهو مفعول الفعل؛ إذ التقدير: لا يعلمون ذلك العلم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: في محل حكمه، ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ﴾: ضم إليه أخاه (بنيامين)، تقول: أوى إليه: إذا التجأ، واطمأن إليه، وأصل ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: (أأوى) بهمزتين، قلبت الثانية مدّاً مجانساً لحركة الأولى، مثل: آمن وآدم ونحوهما، فلا تبتئس: فلا تغتم بسوء عملهم، والبؤس: الضيق والشدة والفقر.... إلخ، والبؤس الحزن الشديد، قال الشاعر: [الطويل]

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ، أَوْ حَمِيمٍ رُزِئْتُهُ ... فَلَمْ أَبْتَئِسْ وَالرُّزْءُ فِيهِ جَلِيلُ

يقال: ابتأس الرجل: إذا بلغه شيء يكرهه، والابتئاس حزن في استكانة.

تنبيه: قال المفسرون: لما دخل إخوة يوسف عليه، قالوا: أيها الملك هذا أخونا الذي طلبت منا إحضاره! فقال لهم: أحسنتم ثم أنزلهم عنده، وصنع لهم طعاماً، وأجلس كل اثنين

على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فبكى، وقال: لو كان أخي يوسف حيّاً لأجلسني معه، فقال لهم يوسف: أنا أجلسه معي، فأجلسه معه على مائدته، فلما أتى الليل؛ أمر لهم بمثل ذلك من الفراش، وقال: كل اثنين ينامان في بيت واحد، وقال: هذا ينام عندي، فلما خلا به، قال له: إني أنا أخوك يوسف، وقام إليه وعانقه، وقال له: لا تبتئس. . . . إلخ، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال يوسف: قد علمت اغتمام والدي بي، فإذا حبستك ازداد غمه وحزنه، ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يحمد، قال: لا أبالي افعل ما بدا لك، فإني لا أفارقك، قال يوسف: فإني أدس صاعي في رحلك، ثم أنادي عليك بالسرقة لأحتال في ردك بعد إطلاقك، قال: افعل ما شئت! والآيات التالية توضح ذلك، وتشرحه.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف عطف. لما: انظر الآية رقم [٥٩]، وقل في جملة: ﴿دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ ما رأيته في الآية السابقة. ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ءَاوَىٰٓ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿يُوسُفَ﴾ أيضاً. ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها، والجملة الاسمية: ﴿أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، قال أبو البقاء: وهكذا كل ما اقتضى جواباً، وذكر جوابه، ثم جاءت بعده (قال) فهي مستأنفة. ومثل هذه الآية قوله تعالى في الآية رقم [٣٧] من سورة (آل عمران): ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا...﴾ إلخ.

﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، وانظر الآية رقم [٦٣]، ﴿تَبْتَئِسْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فلا تبتئس بسبب الذي، أو شيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية، تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فلا تبتئس بسبب عملهم الذي عملوه معنا. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل نصب خبرها. وجملة: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء، والتقدير على اعتبار الفاء فصيحة: وإذا عرفت أني أخوك؛ فلا تبتئس. . . إلخ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: انظر الشرح في الآية رقم [٥٩] مع ملاحظة اقتران الكلام هنا بالفاء، واقترانه هناك بالواو، والسبب في ذلك أن الواو لمطلق الجمع، والتجهيز هناك كان متصلاً بمجيئهم ومعرفتهم وإكرامهم، والفاء للتعقيب، والتجهيز هنا قد تمادى عن دخولهم على يوسف بسبب إكرامهم وضيافتهم مدة طويلة، خذ هذا، وافهمه فإنه جيد لم يذكره أحد من المفسرين.

هذا؛ وقال الجمل: عبر هنا بالفاء إشارة إلى طلب سرعة سيرهم، وذهابهم لبلادهم؛ لأن الغرض منه قد حصل، وقد عرفت حالهم، بخلاف المرة الأولى كان المطلوب طول مدة إقامتهم ليتعرف الملك حالهم. انتهى. قارن بين قولي، وقوله، وانظر أي: القولين أصح.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هذا السقاية والصواع الآتي شيء واحد: إناء له رأسان في وسطه مَقْبِض، كان الملك يشرب منه من الرأس الواحد، ويكال الطعام بالرأس الآخر، قاله النقاش عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وكل شيء يشرب به فهو صواع، واختلف في جنسه، فقيل: هو من ذهب، وقيل: هو من فضة، وقيل: هو من زبرجد. انتهى. قرطبي بتصرف. ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾: انظر شرح الرحل في الآية رقم [٦٢] ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى مناد بصوت رفيع، بعد انفصالهم عن مجلس يوسف. فأمهلهم يوسف حتى انطلقوا، وخرجوا من العمارة، ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم، بل قيل: إنهم وصلوا إلى بلبيس، ورُدُّوا من عندها. والأذان في اللغة: الإعلام.

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ أيتها القافلة، هذا؛ والعير كل ما امتير عليه من الإبل، والبغال، والحمير، والأول أشهر، والمراد أصحاب العير، فهو على حد قول الرسول ﷺ: **«يا خيلَ اللهِ اركَبِي»**. ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ أي: فقفوا، والسرقة أخذ مال الغير في خفاء.

تنبيه: إن قيل: كيف رضي بنيامين بالقعود طوعاً، وفيه عقوق الأب بزيادة الحزن، ووافقه على ذلك يوسف؟ والجواب: أن الحزن كان قد غلب على قلب يعقوب، بحيث لا يؤثر عليه فقد بنيامين كل التأثير، أوَلا تراه لما فقده؛ قال: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ ولم يعرج على ذكر بنيامين، ولعل يوسف إنما وافقه على القعود بوحي.

وإن قيل: كيف نسب يوسف السرقة إلى إخوته، وهم براء، والجواب: أن القوم كانوا قد سرقوه من أبيه فألقوه في الجب، ثم باعوه، فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل، فصدق إطلاق ذلك عليهم، فهو من المعاريض، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب. وقيل: المراد: أيتها

العير حالكم حال السراق، وقيل: إن معنى الكلام الاستفهام، المعنى: أيتها العير أئنكم لسارقون؟ والغرض ألا يعزى الكذب إلى يوسف عليه السلام، وقيل: غير ذلك.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٥٩]. ﴿جَعَلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى يوسف، والمراد جنوده. ﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: مفعول به. ﴿فِى رَحْلِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿جَعَلَ﴾ وهما في محل نصب مفعول به ثان، و﴿رَحْلِ﴾: مضاف، و﴿أَخِيهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، هذا؛ وقال البيضاوي: وقرئ: (وجعل) على حذف جواب (لمَّا)، التقدير: أمهلهم حتى انطلقوا، ولم أره لغيره، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: فعل وفاعل. أيتها: منادى نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة نداء محذوفة، و(ها): حرف تنبيه لا محل لها، أقحم للتوكيد، وهو عوض عن المضاف إليه. ﴿ٱلْعِيرُ﴾: بدل من أية، أو عطف بيان عليه، وانظر الآية رقم [٨٨] الآتية ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَسَٰرِقُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (سارقون) خبر (إن) مرفوع وعلامة رفعه الواو... إلخ هذا؛ والجملتان: الندائية والاسمية في محل نصب مفعول به للفعل ﴿أَذَّنَ﴾ لأنه بمعنى نادى؛ وهو أولى من تقدير فعل محذوف، وجملة: ﴿أَذَّنَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها على الاعتبارين فيه.

﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: إخوة يوسف. ﴿وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم﴾: قال أصحاب الأخبار: لما وصل رسل الملك إليهم قالوا لهم موبخين: ألم نكرمكم، ونوف إليكم الكيل، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا بلى! وما ذاك، قالوا: فقدنا سقاية الملك. هذا؛ والفقد: غيبة الشيء عن الحس، بحيث لا يعرف مكانه.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿وَأَقْبَلُواْ﴾: الواو: واو الحال. (أقبلوا) فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير (قد) قبلها. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّاذَا﴾ اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و(ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿تَفْقِدُونَ﴾: مضارع وفاعله، وهو يقرأ بفتح التاء، وضمها أيضاً من: أفقدته: إذا وجدته فقيداً، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: ما الذي تفقدونه، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَّاذَا﴾ اسم استفهام مركباً مبنياً على السكون في محل نصب مفعول به تقدم على عامله، والجملة سواء أكانت اسمية، أم فعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ۝٧٢﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: المؤذن، ومن معه. ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾: الصواع: هو السقاية المذكورة في الآية رقم [٧٠]، وهو يقرأ: (صِيَاع) و(صُوَاع)، و(صَوْع) و(صُوع)، و(صُوْغ) بالغين و(صُواغ) أيضاً من الصياغة، والصاع والصواع لغتان معناهما واحد وكلها شاذة ما عدا الأولى، وهو آلة الكيل، وتقدم أنه هو السقاية. ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: من الطعام جعلاً له، وانظر شرح: ﴿بَعِيرٍ﴾ في الآية رقم [٦٥]، ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ أي: كفيل، وهذا قول المؤذن وحده، فهو الذي كفل وضمن، هذا؛ والزعيم، والكفيل، والحميل، والضمين، والقبيل بمعنى واحد، والزعيم: الرئيس، وزعيم القوم من يدير شؤونهم.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿نَفْقِدُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿صُوَاعَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَلِكِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلِمَن﴾: الواو: حرف عطف. (لمن): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿جَآءَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى من، وهو العائد، أو الرابط. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿جَآءَ بِهِۦ﴾ صلة (مَنْ)؛ أو صفتها. ﴿حِمْلُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿حِمْلُ﴾: مضاف، و﴿بَعِيرٍ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿وَأَنَا۠﴾: الواو: حرف استئناف. (أنا): مبتدأ. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿زَعِيمٌ﴾: خبر المبتدأ والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول؛ لأن قائل الجملة أحد القائلين بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ ومع اعتبارها مستأنفة، فلا محل لها، فتكون لها محل باعتبار، ولا محل لها باعتبار آخر.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ۝٧٣﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: إخوة يوسف، وانظر القول في الآية رقم [١٨] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿تَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب، والتاء بدل من الباء، وهي مختصة باسم الله تعالى، وربما قالوا: تربي، وترب الكعبة وتا الرحمن. والواو تختص بكل مظهر، والباء بكل مضمر ومظهر. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا...﴾ إلخ. قال المفسرون: قد حلفوا على أمرين: أحدهما: أنهم ما جاؤوا لأمر الفساد في الأرض، والثاني: أنهم ما جاؤوا سارقين، وإنما قالوا: هذه المقالة؛ لأنه كان ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم، وهو أنهم كانوا مواظبين على أنواع الخير، والطاعة؛ حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم؛ لئلا تؤذي زرع الناس، ومن كانت هذه

صفته فالفساد في حقه ممتنع، وكونهم غير سارقين لأنهم قد كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، ولم يستحلوا أخذها، ومن كانت هذه صفته فليس بسارق. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿تَٱللَّهِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نقسم. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمْتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿مَّا﴾: نافية معلقة للفعل قبلها عن العمل. ﴿جِئْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِنُفْسِدَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿مَّا جِئْنَا...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعولي علمتم المعلق عن العمل لفظاً بسبب (ما) النافية، وجملة: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿سَـٰرِقِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَمَا كُنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المنادي ومن معه. ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ...﴾ إلخ: أي: فما جزاء السارق في شريعتكم، وإنما سألوا هذا السؤال ليأخذ يوسف أخاه بشريعة آبائه وأجداده، كما ستعرفه، ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ في قولكم: ما جئنا لنفسد... إلخ، هذا؛ والجزاء والمجازاة: المكافأة على عمل ما، تكون في الخير، وتكون في الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ ومن الثاني ما في الآية الكريمة، وكقوله تعالى، وهو كثير: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فقد أراد جزاء الشر، والجزاء من جنس العمل: (إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر) هذا؛ والفعل (جزى يجزي) ينصب مفعولين.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿فَمَا﴾: الفاء: زائدة، أو هي الفصيحة أفصحت عن شرط مقدر، دل عليه ما بعدها. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾: خبر المبتدأ ويجوز اعتباره مبتدأ مؤخراً، و(ما) خبراً مقدماً، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿كَـٰذِبِينَ...﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها

ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: إن كنتم كاذبين؛ فما جزاء السارق؟ والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال إخوة يوسف: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ أي: جزاء السارق في شريعتنا أن يستعبد، ويسترق سنة عقوبة له على جرمه وسرقته، وكان في حكم ملك مصر، وقانونه أن يعزر السارق بالضرب، ويغرم ضعفي قيمة المسروق. ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ أي: ما ذكر جزاؤه، وفي هذه الجملة معنى التوكيد. ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: كذلك نفعل في السارقين إذا سرقوا، هذا؛ وقيل: هذه الجملة من بقية كلام إخوة يوسف، وقيل: هي من كلام أصحابه، ويكون المعنى: نفعل به ما قلتم وحكمتم على أنفسكم؛ إن وجد في رحل أحدكم.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿وُجِدَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى الصاع. ﴿فِي رَحۡلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، هذا وجه للإعراب، والوجه الثاني اعتبار ﴿مَن﴾ اسم شرط جازماً مبتدأ، والفعل ﴿وُجِدَ﴾ شرطه، والجملة الاسمية: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط والجواب في محل رفع خبر ﴿مَن﴾، والجملة الاسمية: ﴿مَن وُجِدَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، الوجه الثالث: اعتبار ﴿مَن﴾ اسم موصول مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ صلته، والجملة الاسمية: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في الخبر لتحسين اللفظ، ولأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿مَن وُجِدَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ مبتدأ خبره محذوف، التقدير: جزاء السارق عندنا كجزائه عندكم، كما أجيز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: المسؤول عنه جزاؤه، وهذان وجهان ضعيفان لا يعتد فيهما. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ أو في محل جزم جواب الشرط، أو هي مؤكدة لمعنى ما قبلها، وذلك على حسب أوجه الإعراب المتقدمة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: نجزي الظالمين جزاءً كائناً مثل جزاء سارق الصاع، واللام للبعد، والكاف حرف

خطاب لا محل له. ﴿نَجْزِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل، مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة. . . . إلخ، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ أي: بدأ المؤذن يفتش رحالهم، وأمتعتهم، وقيل: بدأ يوسف؛ لأنهم ردوا إلى المدينة، وإنما بدأ برحالهم لنفي التهمة، ودفع الشبهة من قلوبهم إن بدأ بوعاء أخيه. ثم استخرجها من وعاء أخيه: أي: أخرج السقاية، أو الصواع عند من يؤنثه، قال قتادة - رحمه الله تعالى -: ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً، ولا ينظر وعاء إلا استغفر تأثماً مما قذفهم به، حتى لم يبق إلا رحل بنيامين. قال: ما أظن أن هذا أخذ شيئاً، قال إخوته: والله لا نتركك حتى تنظر في رحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه، هذا؛ ويقرأ ﴿وِعَآءِ﴾ بكسر الواو وضمها، وقلب الواو همزة، ومثله: وشاح ووسادة، فلما رأى إخوة (بنيامين) الصواع يخرج من رحله نكسوا رؤوسهم، وظنوا الظنون كلها، وأقبلوا عليه، وقالوا: ويلك يا بنيامين، ما رأينا كاليوم قط، ولدت أمك راحيل أخوين لصين، فقال لهم: والله ما سرقته، ولا علم لي بمن وضعه في متاعي.

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ﴾ أي: ومثل ذلك الحكم الذي ذكره إخوة يوسف حكمنا به ليوسف، ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة، وهذا في حق الله عز وجل محال، فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، فنقول: الكيد هنا جزاء الكيد، يعني: كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلنا بهم، فالكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق، والمعنى كما ألهمنا إخوة يوسف بأن حكموا أن جزاء السارق أن يسترق؛ كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته. انتهى. خازن. وإن اعتبرته من باب المشاكلة؛ فقد اتضح الأمر وزال الخفاءْ.

وقال القرطبي: معناه: صنعنا، وهو منقول عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وعن القتبي: معناه دبرنا، وقال ابن الأنباري: معناه أردنا، قال الشاعر: [الكامل]

كَـادَتْ، وكِـدْتُ، وتِـلْـكَ خَـيْـرُ إرادةٍ لَـوْ عَـادَ مِـنْ عَـهْـدِ الـصَّـبـابـةِ مَـا مَـضَـى

وإن أردت الزيادة فانظر الآية رقم [١١٨] من سورة (التوبة). ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: في حكم الملك وقانونه؛ لأن حكمه أن يضرب السارق، ويغرم ضعفي قيمة المسروق، كما رأيت في الآية السابقة، وانظر شرح الدين في الآية رقم [٤٠]. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: ما حصل ما ذكر إلا كائناً بمشيئة الله ووحيه وإذنه وإلهامه ليوسف عليه السلام. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ أي: بالعلم، والإيمان، والحكمة، والتقوى، والصلاح. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فالله فوق كل عالم؛ لأنه هو الغني بعلمه عن التعليم، قال ابن الأنباري: يجب أن يتهم العالم نفسه، ويستشعر التواضع لمواهب الله تعالى، ولا يطمع نفسه في الغلبة؛ لأنه لا يخلو عالم من عالم فوقه.

الإعراب: ﴿فَبَدَأَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (بدأ): ماض، وفاعله يعود إلى يوسف، أو إلى المؤذن. ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله وأجيز تعليقه بمحذوف حال، و﴿قَبْلَ﴾: مضاف، و﴿وِعَآءِ﴾: مضاف إليه، و﴿وِعَآءِ﴾: مضاف، و﴿أَخِيهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية (بدأ....) إلخ مستأنفة لا محل لها، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَخْرَجَهَا﴾: ماض، والفاعل يعود إلى يوسف، أو إلى المؤذن، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِن وِعَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿وِعَآءِ﴾: مضاف، و﴿أَخِيهِ﴾: مضاف إليه.... إلخ. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: كدنا ليوسف كيداً مماثلاً لما قاله إخوته من أخذ السارق واسترقاقه عاماً؛ ليتحقق له ما أراد من ضم أخيه إليه، وهذه الجملة مستأنفة لا محل لها. ﴿كِدْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِيُوسُفَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى (يوسف) عليه السلام. ﴿لِيَأْخُذَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والفاعل يعود إلى (يوسف). ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِي دِينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، و﴿دِينِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمَلِكِ﴾: مضاف إليه، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان، التقدير: ما كان مريداً لأخذ أخيه، والجملة الفعلية: ﴿مَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال. ﴿نَرْفَعُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه

جمع مؤنث سالم، ودرجات مضاف. و﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نرفع درجات الذي أو شخص نشاؤه، هذا؛ وعلى قراءة التنوين. فـ ﴿مَّن﴾ هو المفعول به، ويكون ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ منصوباً بنزع الخافض، التقدير: نرفع في درجات من نشاء رفعه، وجملة: ﴿نَرْفَعُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة مذكورة بحروفها في الآية رقم [٨٣] من سورة (الأنعام). ﴿وَفَوْقَ﴾: الواو: حرف استئناف. (فوق): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(فوق): مضاف، و﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿ذِى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذِى﴾: مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا لها.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: إخوة يوسف. ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ أي: (بنيامين). فقد سرق أخ له من قبل: يعنون يوسف عليه السلام، واختلف في السرقة التي نسبت إليه على أقوال كثيرة: قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: كان لأبي أمه صنم، فسرقه يوسف، وألقاه في الجيف، وقيل: سرق عناقاً، أو دجاجةً، وأعطاها لسائل، وقيل: أخذ من كنيسة تمثالاً من ذهب، وقيل غير ذلك، والصحيح ما ذكره محمد بن إسحاق: أنه كان عند عمته بعد موت أمه راحيل، فحضنته وأحبته حبّاً شديداً، فلما كبر أحبه أبوه، وطلبه من عمته، فقالت: لا أعطيكه، فألح عليها، فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه، لعل ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة كانت لأبيها إسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد إسحاق، فكانت عندها؛ فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه، وهو صغير لا يشعر، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، ففتشوا أهل البيت، فوجدوها مع يوسف، فقالت: إنه ليسلم لي عاماً، وذلك على الشريعة التي ذكرتها لك من أن السارق يسترق ويحبس عاماً، فوافق يعقوب على إبقائه عندها حتى ماتت، فلذا عيره إخوته بالسرقة، قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة، ولكنها تشبه السرقة، فعيروه بها عند الغضب. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾. في مرجع الضمير ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يعود للكلمة التي بعده، وهي ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ والثاني: أنه يعود للكلمة التي قالوها في حقه، وعليه يكون المعنى: أسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه، والثالث: أن الضمير يعود إلى الحجة، فيكون المعنى: فأسر يوسف عليه السلام الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ولم يظهرها لهم. ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: أنتم شر منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة في

صنيعكم بـ (يوسف)؛ لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقة. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: بحقيقة ما تقولون وتدعون. وقد قيل: إن إخوة يوسف لم يكونوا في ذلك الوقت أنبياء.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَسۡرِقۡ﴾: فعل الشرط، والفاعل يعود إلى بنيامين، والمفعول محذوف للعلم به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿سَرَقَ أَخٞ﴾: ماض وفاعله، والمفعول محذوف للعلم به عندهم. ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف صفة أخ. ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَخٞ﴾: بعد وصفه بما تقدم و﴿قَبۡلُۚ﴾ مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿فَقَدۡ...﴾ إلخ في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ إِن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَأَسَرَّهَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (أسرها): ماض ومفعوله. ﴿يُوسُفُ﴾: فاعله. ﴿فِي نَفۡسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: (أسرها. . . .) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَمۡ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يُبۡدِهَا﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والفاعل يعود إلى يوسف، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَهُمۡۚ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف، والجملة الاسمية: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿مَّكَانٗاۖ﴾: تمييز، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾: مبتدأ وخبر بخلاف ﴿أَعۡلَمُ﴾ في الآية رقم [٨٦] فإنه مضارع. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿أَعۡلَمُ﴾، على تأويله بـ «علم»، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الله عالم بالذي، أو بشيء تصفونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بوصفكم ما تقولون، والجملة الاسمية: (الله. . . .) إلخ في محل نصب حال من الضمير المستتر بشر، والرابط: الواو، والضمير. أو هي معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾: يخاطبون يوسف عليه السلام. وكان قد أسند إليه وزارة قطفير بعد موته، وكانوا يخاطبون الوزير بالعزيز كما قد رأيت. ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ أي: في

السن أو الجاه أو القدر؛ لأنه نبي من الأنبياء، ذكروا له حاله استعطافاً عليه. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾: استعبد بدله بمقتضى قانون السرقة في شريعة يعقوب كما تقدم. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إلينا فأتمم إحسانك ومعروفك، فهم يريدون أن يصل (بنيامين) إلى أبيه ليعرف حقيقة الأمر.

بعد هذا انظر القول في الآية رقم [١٨] من سورة (هود)، وانظر شرح ﴿شَيْخًا﴾ في الآية رقم [٧٢] منها، وشرح (أحد) في الآية رقم [٨١] منها أيضاً، هذا؛ وأب أصله أَبَوٌ، فحذفت الواو بعد نقل حركتها إلى الباء قبلها للتخفيف بدليل رجوعها في التثنية، تقول: أبوان، أبوين، ومثله قل في إعلال ﴿أَخٌ﴾ المذكور في الآية السابقة.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾: انظر الإعراب في الآية رقم [٨٨] الآتية. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان بمحذوف خبر إن مقدم. ﴿أَبًا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. ﴿شَيْخًا﴾: صفة أولى. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة ثانية. ﴿فَخُذْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٦٣] (خذ): أمر والتماس، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَحَدَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً وصحيحاً فخذ. . . . إلخ. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٣٦]، هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ۝٧٩﴾

الشرح: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذ بالله، وأعتصم به، وألجأ إليه في أن نأخذ إلا . . . . إلخ. فإن أخذ غيره ظلم على فتواكم وشريعتكم، لم يقل: من سرق؛ تحرزاً عن الكذب؛ لأنه يعلم أن أخاه لم يسرق. ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ أي: إن أخذنا بريئاً بذنب غيره.

تنبيه: قال الخازن: فإن قلت: كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يعمل مثل هذه الأعمال بأبيه، ولم يخبره بمكانه، وحَبس أخاه أيضاً عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه، ففيه من العقوق، وقطيعة الرحم، وقلة الشفقة؟! وكيف يجوز ليوسف على نبينا، وعليه أفضل صلاة وأزكى سلام مع علو منصبه من النبوة والرسالة أن يزور على إخوته، ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الإيذاء لهم؛ فكيف يليق به هذا كله؟!.

قلت: قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة أحسنها، وأصحها: أنه إنما فعل ذلك بأمر الله تعالى له، لا عن أمره، وإنما أمره الله بذلك بلاء ليعقوب عليه السلام، فيضاعف له

الأجر على البلاء، ويلحقه بدرجة آبائه الماضين، ولله تعالى في صنعه أسرار لا يعلمها أحد من خلقه، فهو المتصرف بخلقه بما يشاء، وهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب طول هذه المدة مع قرب المسافة، لما يريد أن يدبره فيهم، والله أعلم بأحوال عباده. انتهى. بحروفه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف. ﴿مَعَاذَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، و﴿مَعَاذَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الناتجة من المصدر الميمي وفعله المحذوف في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مستأنفة، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّأْخُذَ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالمصدر الميمي. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿وَجَدْنَا﴾: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بـ (نا)، و(نا): ضمير متصل في محل رفع فاعل، وهذا الإعراب هو المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض، كراهة توالي أربع متحركات، فيما هو كالكلمة الواحدة، وهكذا قل في إعراب كل فعل ماض، اتصل به ضمير رفع متحرك. مثل وجدْت وجدْن، ويقال اختصاراً: فعل وفاعل. ﴿مَتَـٰعَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل ﴿وَجَدْنَا﴾ أو هو متعلق بمحذوف مفعول ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَجَدْنَا...﴾ إلخ صلة من، أو صفتها. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل لا عمل له، وهو بمعنى حينئذ، وعلى هذا فهو ظرف زمان متعلق بما بعده، والتنوين نائب عن الجملة التي تضاف (إذْ) إليها، وعليه فتقدير الكلام كما يلي: إنا لظالمون حين نأخذ غيره به؛ وهو جيد معنى، افهم هذا؛ واحفظه فإنه جيد، والله ولي التوفيق. ﴿لَّظَـٰلِمُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع. . . إلخ، والللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: يئسوا من أخيهم (بنيامين)، وقيل: أيسوا من يوسف أن يرده عليهم، وزيادة السين والتاء للمبالغة، مثل عجب، واستعجب، وسخر واستسخر، هذا؛ وقرئ: (استايسوا) بدون همز. ﴿خَلَصُوا۟﴾: انفردوا، واعتزلوا وحدهم. ﴿نَجِيًّا﴾ أي:

خلا بعضهم إلى بعض يتناجون، وهو بمعنى: متناجين، وإنما وحده لأنه مصدر، أو بزنته، وجمعه أنجية، كما في قول سحيم بن وثيل اليربوعي: [الرجز]

إنِّـي إذَا مَـا الْـقَـوْمُ كَـانُـوا أَنْـجِـيَـهْ

وَاضْـطَـرَبَ الْـقَـوْمُ اضْـطِـرابَ الأَرْشِـيَـهْ

هُـنَـاكَ أَوْصِـيـنِـي، وَلَا تُـوصِـي بِـيَـهْ

قال كبيرهم: أي: في السن، وهو: «روبيل»، أو في الرأي، وهو «شمعون»، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هو: (يهوذا)، وكان أعقلهم. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عهداً وثيقاً، وهو ما ذكر في الآية رقم [٦٦] ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾: والمعنى ألم تعلموا تفريطكم في يوسف من قبل ذلك حتى ضيعتموه. ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: يعني: الأرض التي أنا فيها، وهي أرض مصر. ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ أي: في الخروج من أرض مصر، فيدعوني إليه. ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾: أو يقضي الله بالرجوع منها، أو بخلاص أخي، أو بالمقاتلة معهم بالسيف لإنقاذه. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: لأنه لا يقضي إلا بالحق والعدل.

روي: أنهم كلموا يوسف في إطلاقه، فقال (روبيل): أيها العزيز! والله لتتركن أخي، أو لأصيحن صيحة تضع الحوامل منها حملها، ووقفت شعور جسده حتى خرجت من ثيابه. فقال يوسف عليه السلام لابن له: قم إلى جنبه فمسه، وكان بنو يعقوب على نبينا، وعليه أفضل الصلاة وأزكى التحية والسلام، إذا غضب أحدهم فمسه واحد منهم سكن غضبه، فقال: «روبيل»: من هذا؟ إن في هذا البلد لبذراً من بذر يعقوب. انتهى بيضاوي، هذا؛ ونسب القرطبي ما ذكر إلى يهوذا، مع التطويل الممل.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [٥٩] ﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿خَلَصُواْ﴾ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿نَجِيًّا﴾: حال من واو الجماعة، وانظر ما ذكرته في الشرح. ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿كَبِيرُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَعْلَمُوٓاْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لم) وعلامة جزمه حذف النون.... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَبَاكُمْ﴾: اسم (أنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الألف؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ في محل رفع خبر (أنَّ). ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ ﴿مَّوْثِقًا﴾، أو بمحذوف صفة له، و(أن) واسمها وخبرها

في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿تَعۡلَمُوٓاْ﴾ وجملة: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وانظر قول أبي البقاء في الآية رقم [٦٩]. ﴿وَمِن قَبۡلُ﴾ الواو: واو الحال. (مِنْ قَبلُ): متعلقان بالفعل بعدهما، وبني ﴿قَبۡلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى. ﴿مَا﴾: زائدة. ﴿فَرَّطتُمۡ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِي يُوسُفَۖ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير (قد) قبلها، هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: عطفه على المصدر المؤول من ﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها، التقدير: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم الميثاق، وتفريطكم في يوسف، والثاني: عطفه على اسم ﴿أَنَّ﴾، والثالث: هو في محل رفع مبتدأ مؤخر، و(من قبل) متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وهذا فيه ضعف؛ لأن (قبل) إذا وقعت خبراً، أو صلة لا تقطع عن الإضافة، لئلا تبقى ناقصة. ﴿فَلَنۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: حرف عطف على محذوف، التقدير: سأبقى في مصر ولن أبرحها، وهو تكلف لا حاجة له. (لن): حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿أَبۡرَحَ﴾: مضارع منصوب بـ (لن)، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾: مفعول به. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَأۡذَنَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد حتى. ﴿لِيٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَبِيٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل ﴿يَأۡذَنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ...﴾ إلخ مستأنفة، وهي بدورها من مقول كبيرهم. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿يَحۡكُمَ﴾: معطوف على ﴿أَبۡرَحَ﴾ منصوب مثله، وأجيز اعتباره منصوباً بـ «أن» مضمرة بعد ﴿أَوۡ﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لِيۖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيۡرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾

الشرح: ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ﴾: يعقوب. ﴿فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ﴾: بنيامين. ﴿سَرَقَ﴾: إنما قالوا هذه المقالة؛ لأنهم شاهدوا الصواع قد أخرج من رحله، فغلب على ظنهم: أنه سرق، فلذلك نسبوه إلى السرقة. وقرئ (سرق) بضم السين وتشديد الراء المكسورة، أي: نسب إلى

السرقة. ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: لم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا إخراج الصواع من متاعه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، ويصير أمرنا إلى هذا، ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به إلى مصر، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه مراقبين، وحافظين.

الإعراب: ﴿ٱرْجِعُوٓاْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَقُولُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (قولوا): أمر وفاعله. (يا): حرف نداء. . . . إلخ. (أبانا): منادى منصوب، وعلامة نصبه الألف. . . . إلخ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱبْنَكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿سَرَقَ﴾: ماض، أو مبني للمجهول، وفاعله أو ونائب فاعله، ضمير يعود إلى ﴿ٱبْنَكَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مع الجملة الندائية قبلها في محل نصب مقول القول، وجملة: (قولوا. . . .) إلخ معطوفة على ما قبلها، وكلتاهما من مقول كبيرهم. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿شَهِدْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل ﴿شَهِدْنَآ﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إلا بالذي، أو بشيء علمناه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: إلا بعلمنا، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿لِلْغَيْبِ﴾: متعلقان بما بعدها. ﴿حَٰفِظِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ، وجملة: ﴿وَمَا كُنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها أيضاً.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ أي: واسأل أهل القرية، فقد حذف المضاف للإيجاز، وهذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب، والمراد بالقرية: المدينة التي يقطنها يوسف عليه السلام، وقال ابن عباس: هي قرية من قرى مصر جرى فيها حديث السرقة والتفتيش. ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: واسأل القافلة التي كنا فيها، وكان قد صحبهم في ذهابهم وإيابهم قوم من كنعان من جيران يعقوب. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ أي: فيما قلناه سواء أنسبتنا إلى التهمة أو لم تنسبنا؟ ففي هذه معنى التأكيد، وانظر شرح العير في الآية رقم [٧٠]. هذا؛

والقرية في الأصل اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على المدينة الكبيرة وغيرها، كيف لا؟ وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى، كما تطلق على الضيعة الصغيرة، وهي مأخوذة من قريت الماء في المكان جمعته، وفي القاموس المحيط: القرية بكسر القاف وفتحها، والنسبة إليها: قروي، وقريي.

الإعراب: ﴿وَسْـَٔلِ﴾: الواو: حرف عطف. (اسأل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: مفعول به، وانظر الشرح لحذف المضاف. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنَّا فِيهَا﴾ صلة التي. (العير): معطوف على القرية. ﴿ٱلَّتِىٓ﴾: صفة العير، وجملة: ﴿أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ صلة ﴿ٱلَّتِىٓ﴾. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿لَصَـٰدِقُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (صادقون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . . . إلخ ومتعلقه محذوف، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير، وفيها معنى التأكيد للكلام قبلها، والآية الكريمة بكاملها من قول كبيرهم. تأمل.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ...﴾ إلخ: أي: فرجعوا إلى أبيهم، وقصوا عليه قصة بنيامين، وما قاله كبيرهم أيضاً، فأجابهم أبوهم بهذا الجواب، وهو نفس الجواب الذي أجابهم به حينما فعلوا بيوسف ما فعلوا، وجاؤوا أباهم عشاء يبكون، انظر الآية رقم [١٨] ففيها الكفاية، والمعنى هنا: سهلت لكم أنفسكم أمراً أردتموه فقررتموه، وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته؟! مع فارق جدير بالذكر، وهو أن يعقوب على نبينا، وعليه أزكى صلاة وأتم تسليم هناك استعان بالله على ما قالوا وذكروا؛ لأنه استشف كذبهم كما رأيت، وهنا رجا الله من فضله أن يرد إليه يوسف وبنيامين، والثالث الذي بقي هناك، وإنما رجا الله ذلك؛ لأنه لما طال حزنه، واشتد بلاؤه، ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجاً عن قريب، أو أن يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من رؤيا يوسف التي قصها عليه في أول السورة، فلما اشتد البلاء عليه رجا تحقيق تلك الرؤيا، فقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن...﴾ إلخ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بحزني ووجدي عليهم. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبيره وتقديره.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يعقوب. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿سَوَّلَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنفُسُكُمْ﴾: فاعل، والكاف في محل جر

بالإضافة. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ...﴾ إلخ معطوفة على كلام مقدر، أي: ليس الأمر كما تدعون، بل سولت. . . إلخ والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف وصفته، أي: فحالي وشأني، أو أمري صبر جميل، أو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: فصبر جميل أجمل. هذا؛ ويقرأ: (صبراً جميلاً) على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: فلأصْبِرَنَّ صَبْراً جَمِيلاً، والكلام مستأنف على القراءتين. ﴿عَسَى﴾: ماض جامد دال على الرجاء، مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿اللَّهُ﴾: اسم عسى، و﴿أَن يَأْتِيَنِي﴾ في تأويل مصدر في محل نصب خبر عسى، ويجب تأويله باسم الفاعل، فيصير التقدير: عسى الله آتياً بهم؛ لأن المصدر لا يخبر به عن الجثة. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَمِيعًا﴾: حال مؤكدة من الضمير المجرور محلاً بالباء، وجملة: ﴿عَسَى...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل لا محل له. الثاني: ﴿هُوَ﴾ توكيد لاسم (إن) على المحل، وعليهما ف ﴿الْعَلِيمُ﴾ خبر أول والحكيم خبر ثان ل (إنَّ) والثالث: اعتبار الضمير مبتدأ، و﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ خبران له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إن)، بعد هذا فالآية بكاملها في محل نصب مقول القول.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أعرض يعقوب عن أولاده التسعة كراهة لما سمعه منهم عن بنيامين، فحينئذ تناهى حزنه، واشتد بلاؤه، والإعراض والتولي والإدبار عن الشيء يكون بالجسم كما في هذه الآية، ويستعمل في الإعراض عن الأمور والاعتقادات اتساعاً ومجازاً، وهو كثير في القرآن الكريم. ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: الأسف شدة الحزن على ما فات، وإنما تأسف على يوسف دون أخويه، والحادث رزؤهما؛ لأن رزأه كان قاعدة المصيبات، وقال الخازن: وإنما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة؛ لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر؛ كان ذلك أوجع للقلب، وأعظم لهيجان الحزن الأول، كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبراً جديداً جدد حزنه على أخيه مالك: [الطويل]

يَقُولُ: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ ... لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى والدَّكَادِكِ؟

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأسى ... فَدَعْنِي، فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

ومعنى ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: يا رب ارحم أسفي على يوسف، بدليل قوله الآتي: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ هذا؛ وقد قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: لم يكن عند يعقوب ما

في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وقال البيضاوي: وفي الحديث: «**لَمْ تُعْطَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ **عند المصيبة إلا أمة محمد ﷺ**». ألا ترى إلى يعقوب عليه السلام حين أصابه ما أصابه، لم يسترجع، وقال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ...﴾ إلخ.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾: لم يبصر بهما ست سنين، وإنه عمي، قاله مقاتل، وقيل: قد تبيض العين، ويبقى شيء من الرؤية، والله أعلم بحال يعقوب عليه السلام، وإنما ابيضت عيناه من البكاء، ولكن سبب البكاء الحزن؛ فلهذا قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾. انتهى. قرطبي. وقال البيضاوي: وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع، ولعل أمثال ذلك لا يدخل تحت التكليف، فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم، وقال: «**القَلْبُ يحزنُ، والعينُ تَدْمَعُ، وَلَا نَقُولُ ما يُسْخِطُ الرَّبَّ، وإنَّا على فِرَاقِكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُونَ**». انتهى. والمذموم إنما هو الصياح والنياحة، ولطم الخدود والصدور، وقص الشعور، وشق الثياب ونحو ذلك. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه، ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه، فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه قال الله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: مملوء كرباً أو هو فعيل بمعنى فاعل، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال قتادة: الكظيم: هو الذي يردد حزنه في جوفه، ولم يقل إلا خيراً، وقال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب، وما على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله منه، وقيل: كانت مدة الفراق أربعين سنة.

الإعراب: ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (تولى): ماض مبني **على** فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى يعقوب. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مؤكدة من الفاعل المستتر، التقدير: وتولى معرضاً عنهم، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالَ بَلْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. (قال): ماض، والفاعل يعود إلى يعقوب. ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾: منادى، التقدير: يا أسفا تعال فهذا أوانك، وانظر إعراب: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٧٢] من سورة (هود)، وانظر إعراب: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في الآية رقم [٤] وانظر تقدير الكلام في الشرح فإنه يفيد أن أسفا مفعول به لفعل محذوف وأن المنادى محذوف والجملة: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: متعلقان بالأسف؛ لأنه مصدر، وجملة: (قال....) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَٱبْيَضَّتْ﴾: (ابيضت): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَيْنَاهُ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: ابيضت ابيضاضاً كائناً من الحزن، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال إخوة يوسف لأبيهم. ﴿تَاللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٧٣] ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ أي: لا تفتأ، فهذا الفعل من أفعال الاستمرار، بمعنى لا تزال، وقد حذفت منه (لا) في جواب القسم؛ لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات كان على النفي، ومثل الآية في الشعر العربي قول امرئ القيس: [الطويل]

فقلتُ: يَمِينُ الله أَبْرَحُ قَاعِداً ... وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

وحذف (لا) هذه يطرد مع الفعل المضارع، إذا كان جواباً للقسم، قال أحدهم: [الطويل]

ويُحْذَفُ النَّافِي مَعْ شُرُوطٍ ثَلاثَةٍ ... إذَا كَانَ (لا) مَع الْمضَارِعِ في قَسَمْ

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: تالفاً، وأصل الحرض: الفساد في الجسم أو العقل من حزن، أو عشق، أو هرم، قال العرجي: [البسيط]

إِنِي امْرُؤٌ لجَّ بي حُبٌّ فأَحْرَضَنِي ... حَتَّى بَلِيتُ، وحتّى شفني السَّقَمُ

هذا؛ والحرض مصدر لا يجمع ولا يثنى، ولا يذكر ولا يؤنث، ويقرأ في الآية بفتح الحاء مع فتح الراء وكسرها وبضمتين مثل جنب. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أي: الميتين، وغرضهم منع أبيهم من البكاء والحزن شفقة عليه.

الإعراب: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٧٣]. ﴿تَفْتَؤُاْ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت»، وجملة: ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿تَفْتَؤُاْ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بمعنى إلى. ﴿تَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، واسمه مستتر تقديره: «أنت». ﴿حَرَضًا﴾: خبره، و«أن» المضمرة وتكون في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَكُونَ﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله، واسمه تقديره: «أنت». ﴿مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر تكون.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي﴾: أصل البث: إثارة الشيء وتفريقه، وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر، قال ابن قتيبة: البث: أشد الحزن، وذلك لأن الإنسان إذا ستر الحزن وكتمه،

كان هماً، فإذا ذكره لغيره، كان بثاً، وعلى هذا يكون المعنى: إنما أشكو حزني العظيم وحزني القليل إلى الله لا إليكم، هذا؛ وقد قيل: سميت المصيبة بثّاً مجازاً، قال ذو الرمة: [الطويل]

وقَفْتُ علَى رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتي فما زلْتُ أبكي عنده وأخاطبُهْ
وأسقيهِ حتى كادَ مِمَّا أبُثُّهُ تكلِّمُني أحجارُهُ وملاعِبُهْ

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من رحمته وإحسانه أنه يأتي بالفرج من حيث لا أحتسب، وفيه إشارة إلى أنه كان يعلم حياة يوسف، ويتوقع رجوعه، وقيل: المعنى: وأعلم أن رؤيا يوسف حق وصدق، وأنا سنجده جميعاً، وقيل: قال يعقوب لملك الموت: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، فأكد هذا رجاءه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٣].

روى الحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قوس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: أما تستحيي أن تشكو إلى غيري...؟!، فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو يا يعقوب**». انتهى. خازن. وخذ قول القائل: [الكامل]

وإذا بُلِيتَ بعسرةٍ فاصْبِرْ لَهَا صَبْرَ الْكرامِ فَإنَّ ذَلِكَ أحْزَمُ
لا تَشْكُون إلَى الْعِبَادِ فَإنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إلى الذي لا يَرْحَمُ

هذا؛ وفي الترغيب والترهيب للحافظ المنذري زيادة على ما تقدم في الحديث: (ثم قال يعقوب: أي: رب أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبت بصري، وقوست ظهري، فاردد عليَّ ريحانتيَّ أشمهما شمة قبل الموت، ثم اصنع بي ما أردت، قال: فأتاه جبريل، فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: أبشر وليفرح قلبك، فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما، فاصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إلي الأنبياء والمساكين وتدري: لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك، وصنع أخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ إنكم ذبحتم شاة، فأتاكم مسكين يتيم، وهو صائم فلم تطعموه منها شيئاً، قال: فكان يعقوب عليه السلام بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغدَّ مع يعقوب، وإن كان صائماً أمر منادياً فنادى: ألا من كان صائماً من المساكين فليفطر مع يعقوب عليه السلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يعقوب. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَشْكُواْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿بَثِّي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها

اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. ﴿وَحُزْنِيٓ﴾: الواو: حرف عطف. (حزني): معطوف على ما قبله. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعله المستتر، التقدير: ملتجئاً إلى الله. (أعلم): مضارع بخلافه في الآية رقم [٧٧] وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا...﴾: موصولة، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: وأعلم الذي، أو شيئاً لا تعلمونه، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: قال القرطبي: هذا يدل على أنه تيقن حياة يوسف، إما بالرؤيا، وإما بإنطاق الله تعالى الذئب كما في أول القصة، وإما بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه، وهو أظهر. انتهى. والتحسس: طلب الخبر بالحاسة، وهو قريب من التجسس بالجيم، وقيل: إن التحسس بالحاء يكون في الخير، والجيم يكون في الشر، ومنه الجاسوس، وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس.

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾: ولا تقنطوا من فرج الله وتنفيسه، وقرىء: (رُوْح) أي: من رحمته التي يحيي بها العباد، وقيل القراءتان بمعنى واحد. ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: بالله وصفاته، فإن المؤمن العارف بالله لا يقنط من رحمته تعالى في حال من الأحوال، فيصبر عند البلاء، فينال به خيراً، ويحمد عند الرخاء، فينال به خيراً، والكافر بضد ذلك.

الإعراب: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾: انظر الآية رقم [٦٧] ﴿ٱذْهَبُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون والواو فاعله، وانظر إعراب ادخلوا في الآية رقم [٦٧]. ﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (تحسسوا): أمر وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن يُوسُفَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (أخيه): معطوف على يوسف مجرور مثله، وعلامة جره الياء؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿تَاْيْـَٔسُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن رَّوْحِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿رَّوْحِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه؛ أي: إن الحال والشأن. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَاْيْـَٔسُ﴾: مضارع. ﴿مِن رَّوْحِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿رَّوْحِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر.

﴿الْقَوْمُ﴾: فاعل. ﴿الْكَافِرُونَ﴾: صفة القوم مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿لَا يَايْئَسُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، والآية بكاملها من قول يعقوب على نبينا، وعليه أفضل صلاة، وأزكى سلام.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: على يوسف، وفي الكلام اختصار وحذف؛ إذ أصل الكلام: فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر، فلما دخلوا عليه. ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ أي: القادر الممتنع، وهو لقب الوزير كما رأيت سابقاً، وقيل: هو لقب ملك مصر، وليس بشيء، انظر الآية رقم [٣٠] ﴿مَسَّنَا﴾: أصابنا. ﴿وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أي: الجوع والحاجة، والشدة، وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال، وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر، بل واجب على الإنسان أن يشكو ما به من الفقر وغيره إذا خاف على نفسه الضرر إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قدحاً في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط، والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى، وهو ما قاله يعقوب في الآية [٨٦]. هذا؛ وقيل: الضُّر (بضم الضاد) خاص بما في النفس كمرض وهزال، والضَّر (بفتح الضاد) شائع في كل ضرر ومصيبة، وفي القاموس المحيط: الضَّرُّ والضُّرُّ والضَّرَرُ: ضد النفع والشدة والضيق وسوء الحال، النقصان يدخل في الشيء، والجمع: أضرار. ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾: رديئة، أو قليلة، ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته إذا دفعته، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ قيل: كانت البضاعة دراهم زيوفاً، وقيل: صوفاً وسمناً، وقيل: الصنوبر والحبة الخضراء، وقيل: الأقط، وقيل: غير ذلك.

﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ أي: أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي، وإن كانت بضاعتنا رديئةً وغير حسنة. ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ أي: تكرم علينا برد أخينا إلى أبينا، والمسامحة وقبول بضاعتنا الرديئة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾: أحسن الجزاء في الآخرة، قال الضحاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

روي أن يعقوب عليه السلام كتب كتاباً إلى يوسف عليه السلام حين حبس عنده بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله، ابن إسحاق ذبيح الله!، ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر، أما بعد، فإنا أهل بيت وُكِّل بنا البلاء، أما جدي، فشدت يداه ورجلاه، وألقي في النار، فجعلها الله عليه برداً

وسلاماً، وأما أبي فشدت يداه ورجلاه، ووضعت السكين على قفاه، ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن، وكان أحب أولادي إلي، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عيناي، ثم كان لي ابن آخر، وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به، وإنك حبسته، وزعمت: أنه سرق، وإنا أهل بيت لا نسرق، ولا نلد سارقاً، فإن رددته إلي، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، فلما قرأه يوسف عليه السلام؛ اشتد بكاؤه، وعيل صبره، وقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم...﴾ إلخ الآية التالية.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٥٩] وجملة: ﴿دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ ابتدائية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع مقولها جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو، أو أنادي. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد وهو عوض عن المضاف إليه. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: بعضهم يعرب هذا؛ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل أن الاسم الواقع بعد أي: واسم الإشارة، إن كان مشتقاً فهو نعت، وإن كان جامداً كما هنا فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع أعني: (أي) منصوب محلاً، فكذا التابع، أعني ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منعاً من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية، وإنما أتبعت ضمة البناء مع أنها لا تتبع؛ لأنها وإن كانت ضمة بناء، لكنها عارضة، فأشبهت ضمة الإعراب، فلذا جاز إتباعها. أفاده العلامة الصبان؛ لأنه قال: والمتجه وفاقاً لبعضهم: أن ضمة التابع إتباع لا إعراب ولا بناء، وقيل: إن رفع التابع المذكور إعراب، واستشكل بعدم المقتضي للرفع، وأجيب بأن العامل يقدر من لفظ عامل المتبوع مبنياً للمجهول، نحو يُدعى، وهو مع ما فيه من التكليف يؤدي إلى قطع المتبوع، وقيل: إن رفع التابع المذكور بناء؛ لأن المنادى في الحقيقة هو المحلى بأل، ولكن لما لم يمكن إدخال حرف النداء عليه توصلوا إلى ندائه بأي، أي: مع قرنها بحرف التنبيه، ورده بعضهم بأن المراعى في الإعراب اللفظ، وأن الأول منادى، والثاني تابع له، والإعراب السائد الآن أن تقول: مرفوع تبعاً للفظ. ﴿مَسَّنَا﴾: ماض؛ و(نا): مفعول به. (أهلنا): معطوف على (نا)، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلضُّرُّ﴾: فاعل مسنا. (جئنا): فعل وفاعل. ﴿بِبِضَـٰعَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾: صفة بضاعة. ﴿فَأَوْفِ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٦٣] (أوف): أمر مبني على حذف حرف العلة، وهو الياء، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْكَيْلَ﴾: مفعول به، وجملة: (أوف...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكرنا واقعاً؛ فأوف... إلخ، وجملة: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها.

﴿يَجۡزِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، والكلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾

الشرح: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف من إرادة قتله، وإهانته ثم بيعه كما تباع العبيد، وما فعلتم من إهانة بنيامين وإذلاله، وتنغيص عيشه بعده؟ وهذا بعد أن قرأ كتاب أبيه الذي ذكرته لك في الآية السابقة، وكلامه هذا تصديق لوعد الله تعالى إليه ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ الآية رقم [١٥] ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ أي: قبح فعلكم، أو عاقبته، أو فعلتم ما فعلتم في وقت الصبا والطيش، فيكون هذا كالعذر لهم، وحثاً لهم على التوبة، وشفقةً عليهم لما رأى من عجزهم وتذللهم، لا معاتبة وتوبيخاً، والأول أولى، وانظر ﴿تَجۡهَلُونَ﴾ في الآية رقم [٢٩] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى يوسف. ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام وتذكير وتوبيخ. ﴿عَلِمۡتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: هل علمتم الذي أو شيئاً فعلتموه، واعتبارها مصدرية ضعيف. ﴿بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: انظر إعرابهما في الآية رقم [٨٧]. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل فعلتم، والجملة الاسمية: ﴿أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها، والكلام ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾: هذه القراءة على الاستفهام، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما قال لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؛ تبسم، فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف، فشبهوه بيوسف، فقالوا استفهاماً: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾، وقرىء: (إنك لأنت يوسف) على الخبر، وقال فيه ابن عباس، أيضاً في رواية عنه: إنهم لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه، وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة، وكان ليعقوب، ولإسحاق، ولسارة مثلها فعرفوه بها، وقالوا: أنت يوسف؛ قال: أنا يوسف: أي: المظلوم، والمراد قتله، ولم

يقل: أنا هو تعظيماً وتفخيماً لما صنعوا به من القبائح والمساوئ. ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ أي: بالسلامة وكل عز في الدنيا والآخرة. ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: الله، ويبتعد عن الفواحش. ﴿وَيَصْبِرْ﴾: على البلاء والطاعات، وعن المعاصي والسيئات، والهاء ضمير الشأن. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: وضع سبحانه المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين، والصابرين، وقيل: من يتق مولاه، ويصبر على بلواه فإن الله لا يضيع أجره في دنياه وأخراه.

تنبيه: قرأ ابن كثير (يتقي) بإثبات الياء، وفيها توجيهان: الأول اعتبار ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً، وحينئذ يرفع (يَصْبِرُ) ومن قرأ بتسكينه مع إثبات الياء يكون قد سكن للتخفيف، والتوجيه الثاني اعتبار ﴿مَن﴾ شرطية، وثبوت الياء لغة، فقيل: هذه الياء للإشباع، وياء العلة محذوفة، وقيل: هذه الياء أصلية، بناء على قول من يجزم المعتل بالحركة المقدرة، ويقر حرف العلة على حاله، ومثل الآية الكريمة قول قيس بن زهير العبسي: [الوافر]

أَلَمْ يأْتِيكَ، والأَنْباءُ تَنْمِي ... بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بني زِيادِ؟

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿أَءِنَّكَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَأَنتَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُوسُفُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ) وجوز اعتبار الضمير فصلاً، ولا وجه له، والجملة الاسمية: (إنك....) إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿يُوسُفُ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (هذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أَخِى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ قال أبو البقاء: مستأنفة، وقيل: هي حال من ﴿يُوسُفُ﴾ و﴿أَخِى﴾، وفيه بعد لعدم العامل في الحال، و﴿أَنَا۠﴾ لا يعمل في الحال، ولا يصح أن يعمل فيه (هذا)؛ لأنه إشارة لواحد، و﴿عَلَيْنَآ﴾ راجع إليهما جميعاً. انتهى، والجملة الاسمية: ﴿وَهَٰذَآ أَخِى﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَّقِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. (يصبر): معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ أيضاً. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنَّ) حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (إنَّ) والجملة الفعلية: ﴿لَا يُضِيعُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾

إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، هذا؛ وعلى اعتبار ﴿مَن﴾ موصولة فهي مبتدأ؛ والجملة الفعلية بعدها صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، وزيدت الفاء في خبر المبتدأ؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وانظر ما ذكرته في الشرح، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل رفع خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. هذا؛ وقال الفارسي: من موصولة، فلهذا أثبتت الياء في (يتقي) وإنها ضمنت معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في الخبر، وجزم يصبر على توهم معنى ﴿مَن﴾. انتهى.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: فضّلك الله علينا، واختارك بالعلم والحلم، والحكم والعقل والملك، وحسن الصورة، وكمال السيرة، والإيثار التفضيل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يفضلون غيرهم على أنفسهم. ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي: والحال أننا كنا مذنبين بما فعلنا معك، ولذا أعزك الله بالملك، وأذلنا بالتمكن بين يديك، هذا؛ و(خاطئين) اسم فاعل من خطئ الثلاثي، ومخطئين من أخطأ الرباعي، والفرق بينهما أن يقال: خطئ خطأً إذا تعمد، وأخطأ إذا كان غير متعمد.

الإعراب: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٧٣]. ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل، مخفف من الثقيلة مهمل لا عمل له. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿لَخَٰطِـِٔينَ﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات وهي لازمة. (خاطئين): خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿وَإِن كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من (نا) المجرورة محلاً بـ«على»، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: لا تعيير ولا توبيخ، ولا لوم عليكم اليوم، وقال البضاوي: لا تأنيب عليكم، تفعيل من الثرب، وهو الشحم الذي يغشى الكرش للإزالة كالتجليد، فاستعير للتقريع، الذي يمزق العرض، ويذهب ماء الوجه. ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ...﴾ إلخ: هذه جملة دعائية، بعد أن صفح عنهم دعا لهم بالمغفرة. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: فإنه يغفر الذنوب الصغائر والكبائر، ويتفضل على التائب بمنه وكرمه، هذا؛ ومن كرم يوسف على نبينا،

وعليه أفضل صلاة، وأزكى سلام: أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه، وقالوا: إنك تدعونا بالبكرة والعشي إلى الطعام، ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك، فقال: إن أهل مصر كانوا ينظرون إلي بالعين الأولى، ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم، وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي، وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يوسف. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل إن. ﴿تَثْرِيبَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، تقديره: موجود. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان، وفي متعلقه قولان: أحدهما أنه يرجع إلى ما قبله، أي: إنه متعلق بما تعلق به ﴿عَلَيْكُمُ﴾، وعليه فالوقف على آخره، والثاني أنه متعلق بما بعده، وعليه فالوقف ﴿عَلَيْكُمُ﴾ ورجح القرطبي الأول؛ لأن الابتداء بـ ﴿ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ جزم بالمغفرة في اليوم، وذلك لا يكون إلا عن وحي، وهذا بين. انتهى. بتصرف. والجملة الفعلية: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ مستأنفة على الاعتبارين، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير، هذا؛ والكلام ﴿لَا تَثْرِيبَ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا...﴾ إلخ: هذا بعد أن عرفهم يوسف نفسه، وسألهم عن حال أبيه، فقالوا: ذهب بصره من كثرة بكائه عليك، فأعطاهم قميصه، وقال لهم: ﴿ٱذْهَبُوا۟...﴾ إلخ، وانظر شأن القميص في الآية رقم [١٥] وإنما أرسل القميص إلى أبيه بأمر من جبريل عليه السلام.

قال الحسن: لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره، وكان الذي حمل القميص يهوذا، قال ليوسف: أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب،فأحزنته، وأنا أحمله الآن لأسره، وليعود إليه بصره فحمله، حكاه السدي. انتهى. قرطبي. حمله، وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان، وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً. ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: بنسائكم وذراريكم ومواليكم؛ لتتخذوا مصر داراً وقراراً، قال مسروق: فكانوا ثلاثة وتسعين ما بين رجل وامرأة.

الإعراب: ﴿ٱذْهَبُوا۟﴾: أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِقَمِيصِى﴾: متعلقان بما قبلهما، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من واو الجماعة. التقدير: اذهبوا ومعكم قميصي: وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع. . . إلخ، والياء في محل جر

بالإضافة. ﴿هَـٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة (قميصي)، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿فَأَلْقُوهُ﴾: (ألقوه): أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَلَىٰ وَجْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿وَجْهِ﴾: مضاف، و﴿أَبِى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿يَأْتِ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، التقدير: إن تلقوه... يأت، وعلامة جره حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والفاعل مستتر يعود إلى ﴿أَبِى﴾. ﴿بَصِيرًا﴾: حال من الفاعل المستتر. ﴿وَأْتُونِى﴾: الواو: حرف عطف. (ائتوني): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به ﴿بِأَهْلِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لما قبله مجرور، وعلامة الجر الياء.... إلخ بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن الآية بكاملها في محل نصب مقول القول، سواء الجمل معطوفة ومعطوفاً عليها.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي: خرجت من عريش مصر، يقال: فصل من البلد فصولاً، إذا انفصل منه، وجاوز حيطانه، وهذا الفعل يكون لازماً ومتعدياً، وانظر شرح العير في الآية رقم [٧٠] ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ أي: لمن حضره من أحفاده ونسائه. ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أي: لأشم رائحته، قيل: إن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، وكانت المسافة ثلاث ليال، وقيل: مسيرة ثماني ليال، وقال الحسن: مسيرة عشر ليال. ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تنسبوني إلى الفند، وهو نقصان العقل بسبب الهرم، وهو ما يسمى بالخرف، وقيل: تسفهوني، وقيل: تجهلوني، وقيل: تغلطوني، قال رجل يخاطب ابنه: [الطويل]

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمُفَنَّدِ رَأْيُهُ ... وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

وخذ قول دعبل الخزاعي: [البسيط]

مَا أكثَرَ النَّاسَ، لا بَلْ مَا أقلَّهُمُ ... الله يعلم أَنِّي لَمْ أقلْ فَنَدَا

إِنِّي لأُغْمِضُ عيْني ثُمَّ أفْتَحُهَا ... عَلَى كَثِيرٍ، ولَكِنْ لَا أرَى أَحَدَا

وفي القاموس: الفند بالتحريك: الخرف، وإنكار العقل لهرم، أو مرض، والخطأ في الرأي، والقول، والكذب، ولا تقل: عجوز مفندة؛ لأنها لم تكن ذات رأي: أبداً، انتهى. يريد: أنها لم تكن في شبابها ذات رأي، فتفند في كبرها، أقول: قد كان منهن ذات رأي: آسية ومريم، وخديجة الكبرى.

تنبيه: قال أهل المعاني: إن الله تعالى أوصل ريح يوسف إلى يعقوب عليهما السلام عند انقضاء مدة المحنة من المكان البعيد، ومنع وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى في مدة ثمانين سنة، وذلك يدل على أن كل سهل في مدة المحنة صعب، وكل صعب زمن الإقبال سهل.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى (حين) عند ابن السراج والفارسي وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني، والجملة الفعلية: ﴿فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، وهي ابتدائية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً. ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿أَبُوهُمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. اللام: هي المزحلقة. (أجد): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿رِيحَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، ويوسف مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وجملة: (أجد. . . .) إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تُفَنِّدُونِ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون. . . . إلخ، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، وأن والمضارع في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: لولا تفنيدكم لي أو إياي موجود، وجواب لولا محذوف أيضاً، تقديره: لصدقتموني، ولولا ومدخولها في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: الحاضرون عند يعقوب من أحفاده ونسائه وقرابته، وقيل: إن الذي قال له ذلك من بقي معه من ولده، ولم يرجع إلى يوسف. ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي: لفي ذهابك عن الصواب قديماً في إفراط محبتك ليوسف، أو في خطئك القديم من حب يوسف، وكان عندهم أنه قد مات، وتفسير الضلال بما ذكر هو الحق، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٧٣] ففيها الشرح والإعراب. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَفِى ضَلَٰلِكَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (في ضلالك): متعلقان بمحذوف

خبر (إن)، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾: صفة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ أي: المبشر بخبر يوسف، وهو يهودا كما رأيت في الآية رقم [٩٣] ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب، وكان قد سبق العير. ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ أي: فرجع بصيراً بعد أن كان قد عمي، وعادت إليه قوته بعد الضعف، وسروره بعد الحزن. قال: ألم أقل.... إلخ: ذكرهم بقوله لهم في الآية رقم [٨٦]. روي أن يعقوب قال للبشير: كيف تركت يوسف؟ قال: تركته ملك مصر، قال: وما أصنع بالملك؟! على أي: دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، أي: دين التوحيد، قال: الآن تمت النعمة، ويقال: إن يعقوب عليه السلام علم البشير كلمات مكافأة له على بشارته، كان قد ورثها عن أبيه إسحاق، وهو عن أبيه إبراهيم على نبينا، وعليهم جميعاً أفضل صلاة، وأزكى سلام، وهي: «يا لطيفاً فوقَ كلِّ لَطيفٍ! الْطُفْ بي في أمُورِي كُلِّهَا كَما أُحِبُّ، ورَضِّنِي في دُنْيَايَ وآخِرَتِي» هذا؛ وزيدت ﴿أَن﴾ بعد لما في هذه الآية للتوكيد، أكدت وجود الفعلين، مرتباً أحدهما على الآخر، كأنهما وُجِدَا في جزء واحد من الزمن، كأنه قيل: لما أحسَّ بمجيء البشير؛ فاجأه بإلقاء القميص على وجهه، من غير ريث خيفةً عليه من الخيبة وقطع الأمل من مجيء يوسف على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، كما زيدت ﴿أَن﴾ بعد (لما) في الآية رقم [١٩] من سورة (القصص)، وفي الآية رقم [٣٣] من سورة (العنكبوت)، علماً بأنها لم تزد في الآية رقم [٧٧] من سورة (هود).

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٩٤] ﴿أَن﴾: زائدة، وجملة: ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، وهي ابتدائية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً وهو الراجح لوجود الفاصل بينها وبين الجملة المضافة إليها، وعلى إبقاء (لمَّا) على ظرفيتها، فهذه الآية ترجح تعليق لما بفعل شرطها لوجود الفاصل المذكور. ﴿أَلْقَىٰهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى البشير، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا محل لها. ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَٱرْتَدَّ﴾: الفاء: حرف عطف. (ارتد): ماض، وفاعله يعود إلى يعقوب. ﴿بَصِيرًا﴾: حال من الفاعل المستتر، وهذا على اعتبار (ارتد) بمعنى رجع، وأما إذا كان بمعنى صار، فهو ناقص، والمستتر اسمه، و﴿بَصِيرًا﴾ خبره، وجملة: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ معطوفة على جواب

لما، لا محل لها مثله، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿قَالَ﴾ : ماض، وفاعله يعود إلى يعقوب. ﴿أَلَمْ﴾ : الهمزة: حرف استفهام وتقرير وتوبيخ. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿أَقُل﴾ : مضارع مجزوم بـ(لم)، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَّكُمْ﴾ : متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنِّيٓ﴾ : حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها، وجملة﴿أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، وانظر إعرابها في الآية رقم [٨٦] والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿أَلَمْ أَقُل...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وانظر ما ذكرته عن أبي البقاء في الآية رقم [٦٩].

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا...﴾ إلخ: في الكلام حذف، التقدير: فلما رجعوا من مصر، ودخلوا على يعقوب؛ قالوا.... إلخ. والمعنى اسأل الله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا التي اجترحناها بسبب ما فعلنا بك وبيوسف لأننا كنا مخطئين في عملنا، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩١]، هذا فقد اعترفوا بذنبهم، ومن حق الْمُعْتَرَفِ له بالذنب أن يصفح عن المسيء ويسأل الله له المغفرة.

قال القرطبي: وهذا الحكم ثابت فيمن آذى مسلماً في نفسه، أو ماله، أو غير ذلك ظالماً له، فإنه يجب عليه أن يتحلل له، ويخبره بالمظلمة وقدرها، وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كانتْ لهُ مظْلَمَةٌ لأخيهِ مِن عرْضِه، أو شَيْءٌ فليحلَّلْهُ منهُ الْيَوْمَ قبل أَلَّا يكونَ دينارٌ، ولا درهمٌ، إنْ كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدرِ مظلمتِهِ، وَإِنْ لَمْ يكنْ لَهُ حسناتٌ أُخِذَ مِنْ سيِّئاتِ صاحِبِهِ، فَحُمِلَ عليْه**».

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾ : ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أبانا): منادى منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱسْتَغْفِرْ﴾ : أمر والتماس، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾ : متعلقان بما قبلهما. ﴿ذُنُوبَنَآ﴾ : مفعول به، و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّا﴾ : حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُنَّا﴾ : ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿خَـٰطِـِٔينَ﴾ : خبر كان منصوب.... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ...﴾ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ تعليل للأمر، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ : أخره إلى السحر، أو إلى صلاة الليل، أو إلى ليلة الجمعة، تحرياً لوقت الإجابة، أو إلى أن يستحل لهم من يوسف، أو يعلم أنه عفا عنهم،

فإن عفو المظلوم شرط المَغفرة، ويؤيده ما روي: أنه استقبل القبلة قائماً يدعو، ويوسف خلفه يؤمن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام، فقال: إن الله تعالى قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة، وهو إن صح فدليل على نبوتهم، وأن ما صدر منهم كان قبل استنبائهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: لذنوب عباده. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بجميع خلقه.

قال عطاء الخراساني: طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منه إلى الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ...﴾ وقول يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى يعقوب. ﴿سَوْفَ﴾: حرف تسويف واستقبال. ﴿أَسْتَغْفِرُ﴾: مضارع والفاعل مستتر فيه تقديره: «أنا». ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّىٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٨٣]، والكلام ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: قيل: إن يوسف عليه السلام بعث مع البشير مئتي راحلة وجهازاً وأموالاً، وسأل أباه أن يأتيه بأهله وولده جميعاً، واستقبله يوسف، والملك، وأهل مصر، وكان أولاد يعقوب الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة، وقال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين، وكانوا حين خرجوا مع موسى وهارون عليهما السلام ستمئة ألف، وخمسمئة، وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهرمى التي بلغت ألف ألف ومئتي ألف بعد أن أقاموا أربعمئة سنة.

وقال المرحوم عبد الوهاب النجار: وكان بين ورودهم إلى مصر، وخروجهم منها على يد موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام خمس عشرة سنة، ومئتا سنة على ما حققه رحمة الله الهندي. انتهى. وأعتمد الأول.

وفي قوله تعالى: ﴿أَبَوَيْهِ﴾ تغليب الأب على الأم، وكذا في (والديه) تغليب أيضاً، والمراد بأبويه هنا: أبوه وخالته (ليَّا) لأن أمه (راحيل) توفيت في نفاس (بنيامين)، فنزلت الخالة منزلة الأم تكريماً وتعظيماً، كما أن العم ينزل منزلة الأب لذلك، هذا؛ والمراد بالدخول الأول: دخول

أرض مصر حين استقبلهم، والمراد بالدخول الثاني دخول قصره الذي يسكنه، وقيل بالعكس، فيكون في الكلام تقديم وتأخير، ويكون الاستثناء بالمشيئة مقارناً لدخولهم أرض مصر، وهو الذي يقتضيه المقام، و﴿ءَامِنِينَ﴾ أي: من المكاره، والمظالم، وقيل: إن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر، فلا يدخلها أحد إلا بجوارهم، فقال لهم يوسف: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ...﴾ إلخ.

تنبيه: خرج يوسف لاستقبال أبيه بعسكره وحشمه وأبهته، وكان يعقوب يمشي، وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا، فلمَّا نظر إلى الخيل والناس؛ قال: يا يهودا هذا فرعون مصر، قال: لا بل هذا ابنك يوسف، فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام، فقال له جبريل: خل يعقوب يبدأ بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان! وقيل: إنهما نزلا، وتعانقا، وفعلا كما يفعل الوالد بولده، والولد بوالده، وبكيا، وقيل: إن يوسف قال لأبيه: يا أبت بكيت عليَّ حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خشيت أن يسلب دينك، فيحال بيني وبينك.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٩٤] وجملة: ﴿دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، وهي ابتدائية لا محل لها على اعتبارها حرفاً. ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَبَوَيۡهِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى صورة، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ءَاوَىٰٓ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (قال): ماض، والفاعل يعود إلى (يوسف). ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾: أمر، وفاعله، والألف للتفريق، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٦٧] ﴿مِصۡرَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب انتصاب المفعول به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في (دخلت المدينة، ونزلت البلد، وسكنت الشام).

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، وهذا الشرط لا جواب له، فيما أرى؛ لأن المعنى بمشيئة الله، وقد اختلف في هذه المشيئة، فقيل: هي من متعلق قول يعقوب ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ﴾، وقيل: هي من متعلق الدخول، وقيل: هي من متعلق ﴿ءَامِنِينَ﴾ وعليه وعلى الأول في الكلام تقديم وتأخير، واعتراض بين متلازمين. ﴿ءَامِنِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب؛ وعلامة نصبه الياء... إلخ وجملة المشيئة معترضة بين الحال وصاحبها، فهي للتبرك، وليست للتعليق، وجملة: ﴿ٱدۡخُلُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: على السرير الذي كان يوسف يجلس عليه، والرفع النقل إلى العلو. ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ أي: سقط يعقوب وزوجته (ليَّا) وبنوه سجداً ليوسف عليه السلام، وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع، ولم يرد به حقيقة السجود من وضع من وضع الجبهة على الأرض على سبيل العبادة، وقد استجاز يوسف أن يسجد له أبوه، وهو أكبر منه، وأعلى منصباً في النبوة والشيخوخة بأمر الله تعالى لتحقيق رؤياه التي رأيتها في أول السورة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣١] من سورة (الحجر)، وقيل: المعنى خروا لأجله سجداً، لله شكراً، وقيل: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ لله تعالى، والمعتمد الأول.

وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ أي: التي رأيتها في الصغر في نومي. ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ أي: حققها في اليقظة، اختلفوا في المدة التي كانت بين رؤياه وتأويلها على أقوال كثيرة، أشهرها أنها كانت ثمانين سنة، وعن الحسن أن عمر يوسف يوم ألقي في الجب كان سبع عشرة سنةً، وأقام في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة، وأقام مع أبيه وإخوته وأقاربه ثلاثاً وعشرين سنةً، وتوفي وهو ابن مئة وعشرين سنة.

وأقام يعقوب بمصر أربعاً وعشرين سنةً في أحسن حال، ومات بمصر، وأوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق بالشام ففعل، ثم انصرف إلى مصر، قال سعيد بن جبير: نقل يعقوب على نبينا، وعليه أفضل صلاة، وأزكى سلام في تابوت من ساج إلى بيت المقدس، ووافق ذلك يوم مات عيصو أخوه، فدُفِنَا في قبر واحد؛ وكانا قد ولدا في بطن واحد.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ أي: أنعم علي، وأحسن بي وإليَّ بمعنى واحد. ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾: لم يقل من الجب استعمالاً للكرم والمروءة، لئلا يذكر إخوته صنيعهم به بعد عفوه عنهم بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن كانت أعظم من إخراجه من الجب، وسبب ذلك أن خروجه من الجب كان سبباً لحصوله في العبودية والرق، وخروجه من السجن كان سبباً لوصوله إلى الملك والسيادة والعزة. ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ أي: من البادية، والبدو في الأصل: البسيط من الأرض، يبدو الشخص فيه من بعد، أي: يظهر، والبدو خلاف

الحضر، والبادية خلاف الحاضرة، وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية، أي: وهم في الأصل من أهل الحاضرة؛ لأن الله لم يبعث نبياً من أهل البادية، وقيل: إنهم خرجوا إلى بدا، وهو موضع، وإياه عنى جميل بثينة بقوله: [الطويل]

وأنْتِ التي حَبَّبْتِ شَغْباً إِلَى بَدَا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلادٌ سِوَاهُمَا

فشغب وبدا موضعان، وليعقوب بهذا الموضع مسجد حتى جبل بدا. انتهى. قرطبي.

﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ أي: أفسد ما بيني وبين إخوتي، أحال ذنبهم على الشيطان تكرماً، وهذا على سبيل المجاز، لا على الحقيقة؛ لأن الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى، وليس للشيطان مدخل إلا بإلقاء الوسوسة والتحريش، لإفساد ذات البين، وذلك بإقدار الله إياه على ذلك. هذا؛ والنزغ، والنخس، والنسغ، والنفر، والهمز، والوسوسة ألفاظ مترادفة، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآية رقم [١٩٩] من سورة (الأعراف)، فقد شبه الله سبحانه وسوسة الشيطان، وإغواءه للناس بنخس السائق دابته بشيء؛ لتسير. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾: لطيف التدبير له؛ إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته، ويتسهل دونها، وقال الخطابي: اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بوجود المصالح والتدبير. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي يفعل كل شيء في وقته على وجه يقتضي الحكمة.

روي: أن يوسف طاف بأبيه عليهما السلام في خزائنه، فلما أدخله خزانة القراطيس، قال: يا بني ما أعقك! عندك هذه القراطيس، وما كتبت إلي على ثماني مراحل، قال: أمرني جبريل عليه السلام، قال: أوما تسأله؟ قال: أنت أبسط إليه مني، فسأله، فقال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فقال: فهلا خفتني.

الإعراب: ﴿وَرَفَعَ﴾: الواو: حرف عطف. (رفع): ماض، وفاعله يعود إلى (يوسف). ﴿أَبَوَيْهِ﴾: مفعول به منصوب. . . . إلخ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (قال. . .) إلخ في الآية السابقة لا محل لها مثلها. (خروا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سُجَّدًاۖ﴾: حال من واو الجماعة، وجملة: (خروا. . . .) إلخ معطوفة على ما قبلها. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى يوسف. ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: انظر الشرح والإعراب في الآية رقم [٤] ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿تَأْوِيلُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿رُءْيَٰيَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر وياء

المتكلم في محل جر بالإضافة: من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُءْيَىَ﴾، والعامل اسم الإشارة، أو هما متعلقان بـ﴿رُءْيَىَ﴾، وقول الجمل: متعلقان بمحذوف صفة لـ﴿رُءْيَىَ﴾، أي: رؤياي الكائنة من قبل، أي: من قبل الحوادث التي وقعت، لا وجه له؛ لأن رؤياي معرفة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَعَلَهَا﴾: ماض ومفعوله. ﴿رَبِّى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿حَقًّا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، أي: جعلاً حقّاً، أو هو مفعول به ثان على اعتبار (جعل) من أفعال التصيير، ويجوز أن يكون حالاً، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل، بل من معناه؛ لأن جعلها بمعنى حققها، وحقّاً في معنى تحقيق. انتهى. عكبري، وجملة: ﴿قَدْ جَعَلَهَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿رُءْيَىَ﴾ والرابط الضمير فقط. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق.... إلخ. ﴿أَحْسَنَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿رَبِّى﴾. ﴿بِىٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، واعتبره الجمل حرف تعليل. ﴿أَخْرَجَنِى﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ربي، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، أو هي للتعليل لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ربي، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة. (جاء): ماض والفاعل يعود إلى ربي. ﴿بِكُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: متعلقان بما قبلهما أيضاً. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: كل ذلك من بعد، وهذه الجملة الاسمية في محل نصب حال مؤكدة لمضمون الكلام السابق. وجملة: (جاء....) إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَخْرَجَنِى﴾ على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿نَّزَغَ﴾: ماض في محل نصب بـ﴿أَن﴾. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله. ﴿بَيْنِى﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع.... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، ﴿وَبَيْنَ﴾: معطوف على ما قبله، و(بين) مضاف. و﴿إِخْوَتِىٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، و﴿أَن﴾ المصدرية والفعل ﴿نَّزَغَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة بعد إليه، التقدير: من بعد نزغ الشيطان.... إلخ. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّى﴾: اسمها منصوب... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَطِيفٌ﴾: خبر (إن). ﴿لِّمَا﴾: متعلقان بـ﴿لَطِيفٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط

محذوف، التقدير: لطيف للذي، أو لشيء يشاؤه. ﴿يَٰٓأَبَتِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي: بعض الملك، وهو ملك مصر فقط. ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي: فهم الكتب، أو علم تعبير الرؤيا، كما رأيت فيما سلف، و﴿مِنَ﴾ أيضاً للتبعيض لأنه لم يؤت كل التأويل. ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق، وأصل الفطر: الشق، يقال: فطر ناب البعير: إذا شق وظهر، وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه. ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: معيني ومتولي أموري وناصري. ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾: موحداً، وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام الحادثة التي جاء بها محمد ﷺ، وانظر الكلام الشافي على ذلك في الآية رقم [٦٧] من سورة (آل عمران). ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من آبائي وأجدادي، أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة. فإذا قيل: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين؟ وقد تمنى ذلك سليمان على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ذلك بقوله: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾! أجيب: بأن الصالح الكامل، هو الذي لا يعصي الله، ولا يفعل معصية، ولا يهم بها، وهذه درجة عالية. انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب في سورة (النمل).

بعد هذا قال قتادة: لم يتمنَّ الموت أحد، نبيٌّ ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم، وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل، وقيل: إن يوسف لم يتمن الموت، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي: إذا جاء أجلي توفني مسلماً، وهذا قول الجمهور، وقال سهل بن عبد الله التستري: لا يتمنى الموت إلا ثلاث: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله عليه، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل. وثبت في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضرٍّ نزَلَ بِهِ، فإنْ كانَ لا بُدَّ متمنِّياً، فلْيَقلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي، وتَوَفَّنِي إذاَ كَانَت الْوَفَاةُ خَيْراً لي**». رواه مسلم.

تنبيه: ذكرت لك فيما مضى عمره، وأولاده، وأضيف: أنه لما مات تشاح الناس فيه، فطلب كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا أن يقتتلوا، ثم اتفقوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر، وأن يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه، ويتفرق عنه، وتصل بركته، إلى الناس أجمعين، فبقي إلى أن أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام، وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الأرض المقدسة، وكان قد أوصى بذلك قبل وفاته، فسبحان من لا انقضاء لملكه!.

الإعراب: ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه حرف النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، وانظر الآية رقم [٣٣]. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ءَاتَيْتَنِى﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، ﴿وَعَلَّمْتَنِى﴾: فعل وفاعل، والنون للوقاية، والياء مفعول به. ﴿مِن تَأْوِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة للمفعول الثاني، التقدير: شيئاً عظيماً من الملك، وشيئاً عظيماً من الأحاديث، وقيل: ﴿مِن﴾ زائدة، وليس بشيء، و﴿تَأْوِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: مضاف إليه، وجملة: (علمتني....) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿فَاطِرَ﴾: يجوز فيه أن يكون صفة لـ ﴿رَبِّ﴾ وأن يكون بدلاً، وأن يكون عطف بيان، وأن يكون منصوباً بفعل محذوف، تقديره: أعني، وأن يكون منادى بأداة نداء محذوفة، التقدير: يا فاطر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. (الأرض): معطوفة على ما قبله. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿وَلِىِّۦ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.... إلخ والياء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان به، وقيل: متعلقان بمحذوف حال منه، ولا وجه له. (الآخرة): معطوف على ما قبله. ﴿تَوَفَّنِى﴾: فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية وياء المتكلم مفعول به. ﴿مُسْلِمًا﴾: مفعول به ثان، أو هو حال من ياء المتكلم. ﴿وَأَلْحِقْنِى﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية أيضاً، والياء مفعول به. ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن الآية الكريمة بكاملها من مقول يوسف، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما ذكر في السورة الكريمة من خبر يوسف مع إخوته، وما آل إليه أمره. ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: من أخبار الغيب. ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: أخبرناك به يا محمد بواسطة الوحي. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: عند أولاد يعقوب. ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾: حين قرروا وعزموا على إلقاء يوسف في الجب. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: يحتالون في هلاكه، أو يمكرون بأبيهم حين جاؤوه عشاءً يبكون، وجاؤوا بالقميص ملطخاً بالدم، أي: ما شاهدت تلك الأحوال، ولكن الله أطلعك عليها، وانظر (أجمع) في الآية رقم [١٥].

قال الخازن: وفي الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد ﷺ؛ لأنه كان رجلاً أمياً، لم يقرأ الكتب، ولم يلق العلماء، ولم يسافر إلى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه، وأنه نشأ بين أمة أمية مثله، ثم إنه ﷺ أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب، وأبين معان، وأفصح عبارة، فعلم بذلك أن الذي أتى به، هو وحي إلهي، ونور قدسي سماوي، فهو معجزة له قائمة إلى آخر الدهر، وما أجدرك أن تنظر الآية رقم [٤٩] ورقم [١٠٠] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مِنْ أَنبَاءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿أَنبَاءِ﴾: مضاف، و﴿الْغَيْبِ﴾: مضاف إليه. ﴿نُوحِيهِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، إن عاد الضمير على الإشارة، أو في محل نصب حال من الغيب، إن عاد الضمير إليه والعامل في الحال اسم الإشارة، هذا؛ وقد قال الجمل: ﴿نُوحِيهِ﴾ مستأنفة، وقال أبو البقاء: ﴿مِنْ أَنبَاءِ﴾ متعلقان بالفعل بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، وقولهما هذا مثله في الآية رقم [٤٤] من سورة (آل عمران)، ولا أؤيده. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿لَدَيْهِمْ﴾: ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء؛ لاتصاله بالهاء التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهو متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالخبر المحذوف، وجملة: ﴿أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿وَمَا كُنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب في ﴿إِلَيْكَ﴾ والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَمْكُرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هم...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة. تأمل.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ، وذلك: أن اليهود وقريشاً سألوه عن قصة يوسف مع إخوته، فلما أخبرهم بها على الوجه الأكمل، لم يسلموا، فحزن رسول الله ﷺ لذلك، فقيل له: إنهم لا يؤمنون، وإن كنت شديد الحرص على إيمانهم، ففيه تسلية له، هذا؛ والحرص على

المال البخل به، والطمع في جمعه من حلال، أو حرام، هذا؛ والفعل من باب ضرب، ويأتي بقلة من باب (نصر) و(فرح).

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل (ليس). ﴿أَكۡثَرُ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَلَوۡ﴾: الواو: واو الاعتراض. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿حَرَصۡتَ﴾: فعل وفاعل، والمتعلق محذوف، التقدير: على إيمانهم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف لدلالة المقام عليه، التقدير: ولو حرصت على إيمانهم لم يؤمنوا. و(لو) ومدخولها كلام معترض بين اسم (ما) وخبرها لا محل لها. ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مؤمنين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾

الشرح: ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾: ما تطلب ثواباً ومكافأة على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله، والاهتداء بالقرآن. ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي: القرآن والوحي الذي نزل عليك. ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ أي: عظة وتذكرة للناس أجمعين. هذا؛ و﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: جمع عالم بفتح اللام، وهو يقال لكل ما سوى الله، ويدل له قول موسى ـ على نبينا، وعليه أفضل صلاة، وأزكى سلام ـ لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ والعوالم كثيرة لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف في البر والبحر؛ إذ كل جنس المخلوقات يقال له: عالم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بما قبلهما أو هما متعلقان بمحذوف حال من أجر، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مِنۡ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَجۡرٍۚ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ...﴾ إلخ في محل نصب حال من تاء الفاعل، أو من الضمير المستتر في مؤمنين، وعلى الوجهين فالرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي، ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ذِكۡرٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿ذِكۡرٞ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنۡ هُوَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَأَيِّن﴾: أصلها: (أي) الاستفهامية، دخلت عليها كاف التشبيه، فصارت بمعنى كم التكثيرية، وهي كناية عن عدد مبهم، مثل كم وكذا، وفيها خمس لغات، كلها قرئ بها: إحداها: كَأَيِّنْ، وهي الأصل، وبها قرأ الجماعة إلا ابن كثير، والثانية: كائِنْ بوزن كَاعِنْ، وبها قرأ ابن كثير وجماعة، وهي أكثر استعمالاً من كأيِّن، وإن كانت تلك الأصل، الثالثة: كَئِينْ بوزن كريم، الرابعة: كُيْئِنْ بياء ساكنة وهمزة مكسورة، الخامسة: كَأَنْ بوزن كَعَنْ، هذا؛ والجلال المحلي اعتبر (كأين) بسيطة غير مركبة، وأن آخرها نون من نفس الكلمة لا تنوين؛ لأن هذه الدعاوى المتقدمة، لا يقوم عليها دليل، والشيخ رحمه الله تعالى سلك في ذلك الطريق الأسهل، والنحويون ذكروا هذه الأشياء محافظة على أصولهم، مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد، وتشحين الذهن، وتمرينه.

ومعنى ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ...﴾ إلخ: أي: كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته، وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها، ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: كائنة فيهما من الأجرام الفلكية، وما فيها من النجوم، وتغير أحوالها، ومن الجبال والبحار، وسائر ما في الأرض من العجائب الفائقة للحصر. ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا...﴾ إلخ أي: يشاهدونها، ولا يفكرون فيها، ولا يعتبرون بها، هذا؛ وقرىء برفع (الأرض) على الابتداء، وجملة: ﴿يَمُرُّونَ...﴾ إلخ خبره، كما قرئ بنصبه، فيكون التقدير: ويطؤون الأرض، وعلى هاتين القراءتين يكون الوقف على السموات.

الإعراب: ﴿وَكَأَيِّن﴾: الواو: حرف استئناف. (كأين): اسم كناية بمعنى كثير، مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿ءَايَةٍ﴾: تمييز لـ (كأين) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة آية. (الأرض): بالجر معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ في محل رفع خبر المبتدأ (كأين). (هم): مبتدأ. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُعْرِضُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية (هم...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، والجملة الاسمية (كأين...) إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وقيل: إن الجار والمجرور ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ وجملة: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ صفة: ﴿ءَايَةٍ﴾ ولا وجه له ألبتة؛ لأن الفائدة لا تتم بالجار والمجرور ولا يفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: نزلت الآية الكريمة في مشركي قريش، كانوا إذا سئلوا من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، ومع ذلك فقد كانوا يعبدون الأوثان والحجارة، وهي تنطبق على النصارى واليهود الذين يعترفون بوجود الله، ومع ذلك فقد نسبوا إليه التبني، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! وأيضاً كفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: نزلت الآية في المنافقين الذين يؤمنون بألسنتهم، وقلوبهم مفعمة بالكفر، وقيل: معناها أن الناس يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان، لولا الطبيب... إلخ لهلكنا، وقد يقع في هذا القول كثير من المسلمين، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يُؤْمِنُ﴾: مضارع. ﴿أَكْثَرُهُم﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وجملة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ أي: أفأمن كفار قريش أن تنزل بهم عقوبة تغشاهم وتشملهم؟ قيل: هي الصواعق والقوارع، ومثل الآية في التهديد والوعيد قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: يأتيهم يوم القيامة فجأة بدون إنذار، ومن غير سابق علامة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: بإتيانها غير مستعدين لها، هذا؛ والشعور إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته.

الإعراب: ﴿أَفَأَمِنُوا﴾: الهمزة: حرف استفهام وإنكار وتوبيخ. الفاء: حرف استئناف. (أمنوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَن﴾: حرف ناصب. ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، والهاء مفعول به. ﴿غَاشِيَةٌ﴾: فاعل. ﴿مِّنْ عَذَابِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿غَاشِيَةٌ﴾، و﴿عَذَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم المصدر لفاعله، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والهاء مفعول به. ﴿السَّاعَةُ﴾: فاعل. ﴿بَغْتَةً﴾: حال، بمعنى مباغتة، وقيل:

مفعول مطلق لفعل محذوف، وتعود الجملة في محل نصب حال. وجوز اعتبار ﴿بَغْتَةً﴾ مصدراً للفعل (يأتي) من غير لفظه، على حد قولهم: أتيته ركضاً، فتكون ﴿بَغْتَةً﴾ نائب مفعول مطلق، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾

الشرح: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين هذه طريقي، وسنتي، ومنهاجي. ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾: إلى توحيده، وعبادته، وتقديسه، وتعظيمه. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: على علم، ويقين، وحق، وحجة واضحة غير عمياء، والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل. ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ أي: من آمن بي، وصدق بما جئت به أيضاً يدعو إلى ما ذكر.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن محمداً ﷺ، وأصحابه كانوا على أحسن طريقة، وأفضل هداية، وهم معدن العلم، وكنز الإيمان، وجند الرحمن، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونقل دينه، فشبهوا بأخلاقهم وطريقتهم، فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: تنزيهاً لله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص، والشركاء، والأضداد، والأنداد. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الذين أشركوا مع الله غيره في العبادة وغيرها.

بعد هذا انظر شرح ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (يونس) والسبيل: الطريق، يذكر ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ﴾ ومن التأنيث ما في الآية الكريمة، والجمع على التأنيث (سبول) وعلى التذكير سبل بضمتين، وقد تسكن الباء، كما في رُسُل وعُسُر، ويُسُر، قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم وأوسطه ساكن فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل رُحْم وأُسْد... إلخ، هذا؛ وابن السبيل المسافر، وسبيل الله الجهاد، وطلب العلم، والحج، وكل ما أمر الله به من أفعال الخير، ويقال: ليس لك علي سبيل، أي: حجة تعتل بها، وليس علي في كذا سبيل، أي: حرج ومؤاخذة.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿سَبِيلِيٓ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة

المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿أَدْعُوٓاْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ياء المتكلم، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الإشارة، وقيل: الجملة الفعلية مفسرة لسبيلي تفسيراً، وهو ضعيف، وأضعف منه القول بالاستئناف، هذا؛ وجاز مجيء الحال من المضاف إليه؛ لأن المضاف كجزء منه على حد قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وَلَا تُجِزْ حالاً من المضافِ لَهْ ... إلَّا إذا اقتضى المضافُ عملَهْ
أوْ كان جُزْءَ ما لَهُ أُضِيفَا ... أو مِثْلَ جزئِهِ فلا تَحِيفَا

﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل توكيد لفاعل ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ المستتر. ﴿وَمَنِ﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ المستتر، وجملة: ﴿ٱتَّبَعَنِي﴾ صلة الموصول لا محل لها، هذا وجه للإعراب، وعليه فالجار والمجرور ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ المستتر، والوجه الثاني اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مقدم، والضمير مبتدأ مؤخر، والموصول معطوف عليه، وتقدير الكلام: أنا ومن اتبعني كائنان على بصيرة، وعليه فالوقف على ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، وأجيز اعتبار ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ متعلقين بمحذوف حال من فاعل ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ المستتر أيضاً، واعتبار الضمير ﴿أَنَا۠﴾ فاعلاً بالحال، وهناك أقوال ضعيفة ضربت عنها صفحاً. (سبحان): مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: وأسبح سبحان، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم المصدر لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية الحاصلة معطوفة على جملة: ﴿أَدْعُوٓاْ...﴾ إلخ على بعض الوجوه، ومعترضة على اعتبار ما بعدها حالاً، ومستأنفة مع ما بعدها على اعتبار آخر. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف، أو هي واو الحال. (ما): نافية حجازية، أو هي مهملة. ﴿أَنَا۠﴾: اسم ما، أو هو مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (ما)، أو بمحذوف خبر المبتدأ، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي معطوفة على ما قبلها، أو هي في محل نصب حال من فاعل ﴿أَدْعُوٓاْ﴾، أومن ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾: هذا رد القائلين: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: أرسلنا رسلاً رجالاً، ليس فيهم ملك، ولا امرأة، ولا جني. ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ أي: كما أوحينا

إليك بواسطة جبريل عليه السلام، ويقرأ (يوحى إليهم) ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: يريد الأمصار والقرى. ولم يبعث الله نبياً من أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة على أهل البدو؛ ولأن أهل الحضر أعقل وأحلم، وأفضل وأعلم، وكذلك حياة البدو المتنقلة لا تسمح للرسول بالدعوة على وجه الأكمل. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ...﴾ إلخ: أي: أفلم يمش قريش في الأرض ليروا مصارع الأمم المكذبة، وما حل بهم من الهلاك والدمار، فيعتبروا بهم، وفيه ردع وزجر للكافرين المكذبين بأن الله سيهلكهم كما أهلك من قبلهم. ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ﴾ أي: ولدار حال الآخرة أو لحياة الآخرة، والمراد بهذه الدار: الجنة وما فيها. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تفهمون؟! أو لا تستعملون عقولكم لتعرفوا أن الحياة في الجنة خير من الحياة في الدنيا، هذا؛ ويقرأ الفعل بالتاء على الخطاب، فيكون في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، ويقرأ بالياء على الغيبة فلا التفات حينئذ.

هذا؛ وعاقبة كل شيء آخره ونتيجته ومصيره ومآله، ولم يؤنث الفعل ﴿كَانَ﴾؛ لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير والتأنيث، أو لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه.

هذا؛ وأصل ﴿ٱتَّقَوْاْۗ﴾ اتقى، فلما اتصلت به واو الجماعة صار (اتقاوْا) فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة على القاف دليلاً عليها، هذا؛ والتقوى حفظ النفس من العذاب الأخروي، بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ والتحرز من المهالك في الدنيا والآخرة، وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة).

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وأجيز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من ﴿رِجَالًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً»، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿رِجَالًا﴾: مفعول به. ﴿نُّوحِىٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿إِلَيْهِم﴾: متعلقان به، وعلى قراءة الفعل بالياء، فهو مبني للمجهول، والجار والمجرور نائب فاعله، والجملة الفعلية على الاعتبارين في محل نصب صفة ﴿رِجَالًا﴾. ﴿مِّنْ أَهْلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ ﴿رِجَالًا﴾ أو هما متعلقان بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم، و﴿أَهْلِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقريع. الفاء: حرف عطف. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَسِيرُواْ﴾: مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة مع الجملة المقدرة المعطوفة عليها على

القول الثاني في الفاء، ومعطوفة على ما قبلها على القول الأول في الفاء. ﴿فَيَنظُرُوا﴾: مضارع مجزوم على اعتبار الفاء عاطفة، ومنصوب على اعتبار الفاء للسببية، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها وعلى اسمها، وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿كَانَ﴾ تامة، فاعلها ﴿عَٰقِبَةُ﴾، فتكون ﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من ﴿عَٰقِبَةُ﴾، والعامل ﴿كَانَ﴾ وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل قبله المعلق عن العمل. ﴿وَلَدَارُ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: لام الابتداء. (دار): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾: مضاف إليه، وانظر الشرح، هذا؛ وقرئ: (وللدار الآخرة) على الصفة. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، التقدير: اتقوا الله، والجملة الفعلية صلة الموصول، والجملة: ﴿وَلَدَارُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له؛ لأنه لا يوجد عامل ولا صاحب للحال. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقريع. الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، وقل في الجملة ما قلته في ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا...﴾ إلخ وجملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: يَئِسُوا من إيمان قومهم، وانظر مثله في الآية رقم [٨٠]، وظنوا أنهم قد كذبوا، يقرأ الفعل ﴿كُذِبُوا۟﴾ بالتخفيف، ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدي: أن معناه: ظن الأمم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله إياهم، وإهلاك أعدائهم، وهذا معنى قول ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، ومجاهد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وقال أهل المعاني: ﴿كُذِبُوا۟﴾ من قولهم: كذبتك الحديث، أي: لم أصدقك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

قال أبو علي الفارسي: والضمير في قوله ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ على هذه القراءة للمرسل إليهم، والتقدير: وظن المرسل إليهم: أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله، وإهلاك أعدائهم، وهذا معنى قول ابن عباس: أنهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب، وإنما ظنوا

ذلك؛ لما شاهدوا من إمهال الله إياهم، ولا يمتنع حمل الضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ على المرسل إليهم، وإن لم يتقدم لهم ذكر؛ لأن ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل إليهم، وإن شئت قلت: إن ذكرهم جرى في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مكذبي الرسل.

هذا؛ ويقرأ: (وكذبوا) بتشديد الذال، ووجهه ظاهر، وهو أن معناه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ من إيمان قومهم، و﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ يعني: وأيقن الرسل أن الأمم قد كذبوهم تكذيباً لا يرجى بعده إيمانهم، فالظن بمعنى اليقين، وهذا معنى قول قتادة، وقال بعضهم: معناه: حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم، وظنوا: أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم، وارتدوا عن دينهم لشدة البلاء والمحنة، واستبطؤوا النصر؛ أتاهم النصر، وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان، والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم. انتهى. خازن باختصار.

هذا؛ وقال القرطبي: وهذه الآية فيها تنزيه الأنبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم، وهذا الباب عظيم، وخطره جسيم ينبغي الوقوف عليه لئلا يزل الإنسان فيكون في سواء الجحيم. انتهى.

بعد هذا فعن عروة بن الزبير: أنه سأل عائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ أو (كذبوا) قالت: بل كذبهم قومهم، فقلت: والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، وما هو بالظن، فقالت: يا عروة أجل، لقد استيقنوا بذلك، فقلت: لعلها قد كذِّبوا، فقالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها! قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنوا أن أتباعهم كذبوهم، جاءهم نصر عند ذلك. انتهى. خازن.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿قَدْ كُذِبُواْ﴾ خفيفة، وتلا قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أي: إنه جعل هذه الآية شبيهة بآية البقرة رقم [٢١٣].

وهذا إن صح عنه، فيكون قد أراد بالظن ما يهجس في القلب من الوسوسة، هذا؛ وقرئ: (كذبوا) بالتخفيف والبناء للمعلوم، فيكون المعنى: وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا عند قومهم لما تراخى النصر عنهم، ولم يروا له أثراً.

﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾: المراد به النبي وأتباعه، وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم هم الذين يستأهلون النجاة لا يشاركهم فيها غيرهم، وقرئ: (فننجي) وقرئ: (فنجا) وانظر الإعراب، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا يدفع العذاب عن الكافرين إذا نزل بهم.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، وجملة: ﴿ٱسْتَيْـَٔسَ

﴿ٱلرُّسُلُ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح، وهناك متعلق محذوف، تقديره: من النصر على أعدائهم. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُذِبُواْ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، أو هو فعل وفاعل على البناء للمعلوم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر أن، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ظنوا، والجملة الفعلية (ظنوا. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿جَآءَهُمْ﴾: ماض، والهاء مفعول به: ﴿نَصْرُنَا﴾ فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، هذا الإعراب هو المتعارف عليه، ولكن الأخفش يعتبر (حتى) في مثل ذلك جارة لـ ﴿إِذَا﴾، ووافقه الزمخشري والبيضاوي؛ ولذا قدر البيضاوي ما يلي: أي: لا يغررهم تمادي أيامهم، فإن من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل من النصر عليهم في الدنيا، أو من إيمانهم.

وفي السمين ليس في الكلام شيء يكون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية له، فمن ثم اختلف الناس في تقدير شيء يصح جعله مغيًّا بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ فقدره الزمخشري: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً فتراخى نصرهم حتى، وقدره القرطبي: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً، ثم لم نعاقب أمتهم بالعذاب حتى إذا. . . إلخ، وقدره ابن الجوزي: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فدعوا قومهم، فكذبوهم، وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا. . . إلخ. انتهى. جمل. ﴿فَنُجِّيَ﴾: الفاء: حرف عطف. (نجي): ماض مبني للمجهول، و﴿مَن﴾: نائب فاعله، وعلى قراءة (ننجي) فهو مضارع مرفوع. . . إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و﴿مَن﴾ مفعول به، وعلى قراءة: (نجا) فهو ماض مبني للمعلوم، و﴿مَن﴾ فاعله، و﴿مَن﴾ هي الموصولة، أو هي الموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي أو شخص أو شخصاً نشاء نجاته، وجملة: (نجي. . .) إلخ معطوفة على جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها مثله. ﴿وَلَا﴾: الواو: واو الحال. ﴿يُرَدُّ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿بَأْسُنَا﴾: نائب فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: صفة القوم مجرور. . . إلخ، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا يُرَدُّ...﴾ إلخ في محل نصب حال من نا، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة لا محل لها.

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبر الأنبياء والرسل وأممهم، أو في خبر يوسف وإخوته، وانظر شرح ﴿نَقُصُّهُ﴾ في الآية رقم [١٠٠] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿عِبْرَةٌ﴾:

تذكرة وعظة. ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾ أي: يتعظ بها أصحاب العقول الصحيحة، والقلوب الواعية، هذا؛ والاعتبار والعبرة: الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، والمراد منه التأمل والتفكر، وانظر الآية رقم [٢١] من سورة (الرعد).

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ أي: ما كان هذا القرآن حديثاً يختلق؛ لأن الذي جاء به من عند الله ـ وهو محمد ﷺ ـ لا يصح منه أن يختلقه أو يبتدعه من تلقاء نفسه؛ لأنه لم يقرأ الكتب السابقة، ولم يخالط العلماء، ثم إنه جاء بهذا القرآن المعجز، فدل ذلك على صدقه، وأنه ليس بمفتر، وانظر ﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾ في الآية رقم [٦] ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الإلٰهية المنزلة على موسى وعيسى وداود وغيرهم على نبينا، وعليهم أفضل صلاة، وأزكى سلام، وفي ذلك إشارة إلى أن قصة يوسف وردت في القرآن على الوجه الموافق لما في التوراة وغيرها.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما يحتاجه الناس في دنياهم من العقائد، والأحكام، والمواعظ، والحلال والحرام، والقصص، والوعد والوعيد، والمحكم والمتشابه كما قال بعضهم ذاكراً ما اشتمل عليه القرآن الكريم: [الطويل]

حَـلالٌ، حَـرَامٌ، مُـحْـكَـمٌ، مُـتَـشَـابِـهٌ بَـشِـيـرٌ، نَـذِيـرٌ، قِـصَّـةٌ، عِـظَـةٌ، مَـثَـلْ

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: رشد وبيان، وهداية من الضلال، ونعمة شاملة سابغة لمن قرأ القرآن وانتفع به. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: خصهم الله بالذكر؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالقرآن وتعاليمه.

هذا؛ وهدىً أصله (هُدياً) بضم الهاء وفتح الدال، وتحريك الياء منونة، فقلبت الياء ألفاً، لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الألف والتنوين، الذي يرسم ألفاً في حالة النصب بحسب الأصل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار (هدىً) وإنما أتوا بياء أخرى، لتدل على الياء المحذوفة الأصلية، بخلاف ما إذا لم يأتوا بها، وقالوا: (هداً) فلا يوجد ما يدل عليها.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: هي لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِبْرَةٌ﴾: اسم كان مؤخر، ولم يؤنث الفعل للفاصل، أو لأن ﴿عِبْرَةٌ﴾ مؤنث غير حقيقي. ﴿لِّأُوْلِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة عبرة، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة اللازمة، و(أولي): مضاف. و﴿ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين باللام.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير القرآن المفهوم من المقام. ﴿حَدِيثًا﴾: خبر كان. ﴿يُفْتَرَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف

للتعذر، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى القرآن، أو إلى ﴿حَدِيثًا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ثان لـ ﴿كَانَ﴾، على اعتبار نائب الفاعل عائداً إلى القرآن، أو في محل نصب صفة حديثاً على اعتبار نائب الفاعل عائداً إليه، والجملة الفعلية: ﴿مَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿تَصْدِيقَ﴾: خبر لكان محذوفة، التقدير: ولكن كان... إلخ، و﴿تَصْدِيقَ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وانظر الآية رقم [٣٧] من سورة (يونس) عليه السلام ففيها كبير فائدة. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول. و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى لفظاً في محل جر بالإضافة. ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: معطوف على تصديق، وهو مضاف، و﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَهُدًى﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثانية دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَرَحْمَةً﴾: معطوف أيضاً على ما قبله. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان برحمة، أو بمحذوف صفة لها، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر صفة (قوم). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام

تفسيراً وإعراباً بعون الله وتوفيقه، والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الرَّعْدِ

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل، وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا آيتين منها نزلتا بمكة، وهما قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ...﴾ إلخ. انتهى. قرطبي. أي: رقم [٣٣] و [٣٤] وهي خمس وأربعون آية، وثمانمئة وخمس وخمسون كلمة، وثلاثة آلاف وخمسمئة وستة أحرف. انتهى. خازن. ومن فضائل هذه السورة: أن قراءتها عند المحتضر، تسهل خروج روحه.

تنبيه: انظر شرح الاستعاذة والبسملة وإعرابهما في أول سورة (يوسف) عليه السلام، وانظر شرح ﴿الٓمٓرۚ﴾ وإعرابها في أول سورة (يونس) عليه السلام، وأضيف هنا أن ابن عباس، قال: معناه: أنا الله أعلم وأرى، وقال عطاء: معناه: أنا الله الملك الرحمن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾

الشرح: ﴿تِلْكَ﴾: الإشارة إلى آيات السورة الكريمة، وما فيها من المواعظ والنصائح، وما تضمنته من إرشادات كثيرة من التحلي بمكارم الأخلاق، والخصال الحميدة، والشيم الكريمة، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾: انظر شرحهما في الآية رقم [١] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: المراد به القرآن الكريم الذي أنزل على قلب سيد المرسلين. أي: وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، الذي لا شك فيه، ولا تناقض. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: المراد بهم أهل مكة، وقد نزلت الآية الكريمة في الرد عليهم حين قالوا: إن محمداً يقول القرآن من تلقاء نفسه.

الإعراب: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِۗ﴾: مضاف إليه. (الذي): أجيز عطفه على ﴿ءَايَٰتُ﴾، فهو في محل رفع، وأجيز اعتباره مبتدأ خبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾، فهو

في محل رفع أيضاً، وأجيز عطفه على ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾، فهو في محل جر، وأجاز الفراء اعتباره صفة ﴿ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾، وتكون الواو صلة. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (الذي) وهو العائد، والجملة صلته. ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبر (الذي) على اعتباره مبتدأ، وخبر مبتدأ محذوف على الأوجه الأخرى في الموصول، والجملة الاسمية على هذا الاعتبار في محل نصب حال من (الذي)، أو من نائب الفاعل الراجع إليه، بعد هذا فالجملة الاسمية: ﴿تِلۡكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ ﴿الٓمٓرۚ﴾ على اعتباره فيه، ومستأنفة لا محل لها على اعتبار آخر، كما أجيز اعتبار ﴿تِلۡكَ﴾ خبره، واعتبار ﴿ءَايَٰتُ﴾ بدلاً من تلك. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكۡثَرَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف، التقدير: لا يؤمنون بالله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لكن، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين، وقيل: في محل نصب حال ولا وجه له.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾: في هذه الرؤية قولان: أحدهما: أن الرؤية ترجع إلى السماء، والمعنى: وأنتم ترون السماء مرفوعة بغير عمد من تحتها، يعني ليس تحتها دعامة تدعمها، ولا من فوقها علّاقة تمسكها. قال إياس بن معاوية: السماء مقبية على الأرض مثل القبة، وهذا قول الحسن، وقتادة، وجمهور المفسرين، وإحدى الروايتين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، والقول الثاني: أن الرؤية ترجع إلى العمد، والمعنى: أن لها عمداً، ولكن لا ترونها أنتم، والأول أصح، وهذا على أن السموات مكونة من أجرام، وأما ما يقوله العلم من أن السموات السبع طبقات هوائية، تختلف كل طبقة عما فوقها، وعما تحتها؛ فنكل علمه إلى الله تعالى.

﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾: استولى، ولا يجوز تفسيره باستقر وثبت، فيكون الله من صفات الحوادث، وهذا التأويل ينبغي أن يقال في كل ما يوهم وصفاً، لا يليق به تعالى، والقول الفصل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والتكييفُ غيْرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ؛ لأنه تعالى كانَ، فهو على ما كانَ قبل خلقِ المكانِ لم يتغير عما كان) هذا؛ وهناك من يقول: استوى استواءً يليق به وهو قول السلف.

﴿ٱلْعَرْشِ﴾، قال الراغب في كتابه (مفردات القرآن) وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم، لا بالحقيقة، وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة، فإنه لو كان كذلك لكان حاملاً له، تعالى الله عن ذلك! هذا؛ وقد قال سليمان الجمل: وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها. وانظر ما ذكرته في آية الكرسي رقم [٢٥٤] من سورة (البقرة)، والمنقول عن جعفر الصادق، والحسن، وأبي حنيفة، ومالك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أن الاستواء معلوم، والتكييف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والجحود له كفر، والسؤال عنه بدعة. انتهى. نسفي.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: ذللهما لمنافع خلقه، ومصالح عباده، وكل مخلوق مذلل للخالق، وذللهما أيضاً لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة، ينفع في حدوث الكائنات وبقائها. ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت معلوم، وهو وقت فناء الدنيا وزوالها، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أراد بالأجل المسمى درجاتهما، ومنازلهما، يعني: أنهما يجريان في منازلهما، ودرجاتهما إلى غاية ينتهيان إليها، ولا يجاوزانها، وتحقيقه أن الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيراً خاصاً إلى جهة خاصة، بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضيه ويقدره وحده، لا يشركه في تدبير خلقه أحد، وقيل: معناه: أنه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق، وأحوال ملكوت السموات والأرض، فلا يحدث حدث في العالم العلوي، ولا في العالم السفلي إلا بإرادته وتدبيره وقضائه وحكمته.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: يبين الآيات الدالة على وحدانيته، وكمال قدرته. ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ أي: لكي توقنوا وتصدقوا بلقاء الله يوم القيامة، وتتحققوا كمال قدرته تعالى، فإنه من قدر على خلق هذه الأشياء، وتدبيرها قادر على الإعادة بعد الموت، والحساب والجزاء.

هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترجٍّ ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ﴿عَمَدٍ﴾: جمع عمود، أو عماد، وهي الدعائم التي تكون تحت سقف البيت. وجمعه في القلة: أعمدة، وفي الكثرة عمد بفتحتين، وعمد بضمتين، وبهما قرئ قوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾. وفي القاموس: العمود ما يقوم عليه البيت، وغيره، وجمعه أَعْمِدَة وعَمَد وعُمُد، وعمود القوم: سيدهم، والعماد الأبنية الرفيعة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾. هذا؛ وإعلال (مسمًّى) مثل إعلال (هدى) في الآية رقم [١١١] من سورة (يوسف) عليه السلام، و(لقاء): أصله لقاي، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولم يعتد بالألف الزائدة لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة.

هذا؛ وأصل يوقنون (يُؤْيقُنون) لأنه من (أَيْقَنَ) الرباعي، فحذفت الهمزة للتخفيف حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل (أُأَيْقنُون) الذي حذفت همزته للتخلص من ثقل الهمزتين، فصار (ييقنون) ثم قلبت الياء الثانية واواً لسكونها، وانضمام ما قبلها، وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي، مزيدة الهمزة في أوله، مثل: أجاب يجيب، وأكرم بكرم... إلخ، وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور كما في قول أبي حيان الفقعسي: [الرجز]

فـــإنَّـــهُ أَهْـــلٌ لأنْ يُـــؤَكْـــرَمَـــا

ولا تنس: أن هذه الهمزة المزيدة تحذف من اسمي الفاعل والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مُكْرِم ومُكْرَم، والقياس: مُؤَكْرِم ومُؤَكْرَم، وقس على ذلك. هذا؛ وغير اسم شديد الإبهام، لا يتعرف بالإضافة لمعرفة وغيرها، وهو ملازم للإضافة، ويجوز أن يقطع عنها، إن فهم المعنى، أو تقدمت عليها كلمة (ليس)، يقال: قبضت عشرة ليس غير، وهو مبني على الضم أو على الفتح خلاف.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿رَفَعَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والجملة صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: رفع السموات خالية من عمد. ﴿تَرَوْنَهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، و(ها) مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أو هي مستأنفة، وهذا على اعتبار الضمير عائداً على (السموات)، وهي في محل جر صفة ﴿عَمَدٍ﴾ على اعتبار الضمير عائداً عليه، ويؤيده أنه قرئ (ترونه) ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: متعلقان بما قبلهما. (سخر): ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها. ﴿ٱلشَّمْسَ﴾: مفعول به. (القمر): معطوف على ما قبله. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ وله متعلق بمحذوف، التقدير: كل منهما، وهذا المحذوف هو الذي جوز الابتداء بالنكرة. ﴿يَجْرِى...﴾: مضارع مرفوع... إلخ، وفاعله مستتر يعود إلى ﴿كُلٌّ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، والجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لِأَجَلٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة (أجل) مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها، وجملة: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أو من فاعل (سخر)، والرابط: الضمير فقط، وجوز أبو البقاء فيها الاستئناف، وجملة: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يجوز فيها ما جاز بسابقتها، ويجوز فيها وجه آخر، وهو اعتبارها حالاً

من فاعل ﴿يُدَبِّرُ﴾ المستتر، فتكون حالاً متداخلة، وأجيز اعتبار الجملتين أخباراً متعددة للمبتدأ، ويبعده الاستئناف في الجملة الاسمية قبلهما، هذا؛ ويقرأ الفعلان: ﴿يُدَبِّرُ﴾ و﴿يُفَصِّلُ﴾ بالنون، فحينئذ لا يجوز، إلا الاستئناف ويكون في الكلام التفات. ﴿لَعَلَّكُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها ﴿بِلِقَآءِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، و(لقاء) مضاف، و﴿رَبِّكُمۡ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿تُوقِنُونَ﴾: مضارع وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُم...﴾ إلخ تعليل للتسخير والتدبير والتفصيل.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾: بعد أن بين سبحانه دلائل قدرته في السموات، وما فيها، أردف ذلك ببيان دلائل قدرته في الأرض، وما فيها، ومعنى ﴿مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بسطها على وجه الماء، وعند أصحاب الهيئة الأرض كروية الشكل، ويمكن أن يقال: إن الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة، فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم، فحصل الجمع بين: القول بكرويتها، والقول ببسطها، ومع ذلك فالله تعالى أخبر أنه مد الأرض، وأنه دحاها وبسطها، وكل ذلك يدل على التسطيح، والله تعالى أصدق قيلاً، وأبين دليلاً من أصحاب الهيئة. انتهى. خازن.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابت، واحدها راسية؛ لأن الأرض ترسو بها؛ أي: تثبت وتستقر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا خلقَ الله الأرضَ جعلَتْ تَميدُ، وتكَفَّأُ؛ فأرساها بالْجبالِ، فَاسْتَقَرَّتْ، فَعجبتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الجبالِ، فَقَالَتْ: يَا رَبَّنَا هَلْ خلقْتَ خلقاً أَشَدَّ مِنَ الجبالِ؟ قالَ: نعم الْحديدَ، قالوا: فهلْ خَلقْتَ خلقاً أشدَّ مِنَ الْحديدِ؟ قالَ: النارَ، قَالُوا: فهلْ خَلقْتَ خَلْقاً أَشَدَّ مِنَ النَّارِ؟ قالَ الْمَاءَ، قالوا: فهلْ خَلَقْتَ خلْقاً أشدَّ مِن الماءِ؟ قال: الرِّيحَ، قالوا: فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقاً أشَدَّ منَ الرِّيحِ، قال: ابْنَ آدَمَ إذا تصدَّقَ بصَدَقةٍ بيمِينهِ، فأخفَاهَا مِنْ شِمالِهِ**». رواه الترمذي، وقال: حديث غريب.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي الجبال الشامخات من أوتاد الأرض، وهي سبعة عشر جبلاً منها: قاف، وأبو قبيس، والجودي، ولبنان، وطور سينين، وطور سيناء. أخرجه ابن جرير. في المبهمات للسيوطي.

﴿وَأَنۡهَٰرٗاۖ﴾ أي: جارية لمنافع العباد، كما هو مشاهد في هذه الدنيا، وأنهار جمع: نهر، ويجمع أيضاً على أَنْهُر ونُهُر ونُهُور، وهاء النهر تفتح وتسكن. ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ

﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ أي: صنفين، قال أبو عبيدة: الزوج واحد، ويكون اثنين، وقال الفراء: يعني بالزوجين هاهنا: الذكر والأنثى، وقيل: معنى زوجين نوعان، كالحلو والحامض، والرطب واليابس، والأبيض والأسود، والصغير والكبير. هذا؛ والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه، ويحصل منهما النسل، فيطلق لفظ الزوج على المفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه، ويحصل منهما النسل، كما في إطلاقه على الرجل المتزوج والمرأة المتزوجة، وكذا يطلق على الاثنين، فهو مشترك بين المعنيين، والمراد هنا الإطلاق الأول، كما في الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأنعام).

والزوج يطلق على الرجل والمرأة، والقرينة تبين الذكر من الأنثى، ويقال لها أيضاً: زوجة، وحذف التاء منها أفصح إلا في علم المواريث، فإنها بالتاء أفصح لتوضيح الوارث، هذا؛ والزوج القرين قال تعالى في الآية رقم [٢٢] من سورة (الصافات): ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والزوج ضد الفرد، وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضاً، يقال للاثنين: هما زوجان، كما يقال: هما سيَّان، وهما سواء، وقال تعالى في الآية رقم [٤٠] من سورة (هود) ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي: من كل نوع من أنواع المخلوقات ذكراً وأنثى، وقال تعالى في آية الأنعام: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍۖ...﴾ إلخ والمعنى ثمانية أفراد.

﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يغطي الليل النهار ويستره بظلمته، فيصير الجو مظلماً بعد أن كان مضيئاً، وهذا مشاهد كل يوم ولم يذكر عكسه للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملهما، أي: الظلمة والإضاءة، ولذلك قرئ بنصب الليل، ورفع النهار، وقال النسفي: يلحق الليل بالنهار، والنهار بالليل، وقرئ بتشديد الشين، وزيد بعد ذلك في الآية رقم [٥٣] من سورة (الأعراف) هذه الجملة: ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ أي: يعقب كل منهما الآخر كالطالب له، لا يفصل بينهما شيء، وانظر شرح الليل والنهار في الآية رقم [٦٧] من سورة (يونس) عليه السلام، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ...﴾ إلخ: أي: لدلالات واضحة على قدرة الله تعالى، وذلك ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فإن تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل قاطع، وبرهان ساطع على وجود صانع حكيم دبَّر أمرها، وهيَّأ أسبابها.

هذا؛ والفكر: تصرف القلب في طلب الأشياء، وقال صاحب المفردات: الفكر: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يكون له صورة في القلب، ولهذا روي عن رسول الله ﷺ: **«تَفكَّرُوا في آلَاءِ الله، وَلَا تَفَكَّرُوا في الله، فإنَّه لا تُحِيطُ به الْفِكْرَةُ»**. إذ الله منزه أن يوصف بصورة. انتهى. خازن بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، وجملة: ﴿مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. (أنهاراً): معطوف على ما قبله،

﴿وَمِن كُلِّ﴾: متعلقان بما بعدهما، و(كل): مضاف، و﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: مضاف إليه. ﴿جَعَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾: مفعول به. ﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾: صفة له، وكلاهما منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: (جعل...) إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، هذا؛ وأجيز تعليق ﴿وَمِن كُلِّ﴾ بمحذوف حال من ﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، كما أجيز تعليقهما بـ ﴿جَعَلَ﴾ الأولى بسبب عطفهما على ما قبلهما، فيكون التقدير، وجعل فيها من كل ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وعليه فالوقف على ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾. وتكون جملة: ﴿جَعَلَ فِيهَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿يُغۡشِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلنَّهَارَۚ﴾: مفعول به ثان، والأول فاعل على المعنى، والثاني مفعول، والعكس صحيح، كما في قولك: (أعطيت زيداً عمراً) وجملة: ﴿يُغۡشِى...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿جَعَلَ﴾ المستتر، والرابط الضمير فقط.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى﴾: حرف جر. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ ﴿فِى﴾، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، واللام لام الابتداء. ﴿لِّقَوۡمٖ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آيات) وجملة: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِى ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ أي: متقاربات بعضها من بعض، وهي مختلفة في الطبائع، فهذه طيبة تنبت، وهذه سبخة لا تنبت، وهذه رخوة، وهذه صلبة، وهذه حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء... إلخ. ﴿وَجَنَّٰتٞ﴾ أي: وبينهما جنات، أي: بساتين، والجنة: كل بستان ذي شجر من نخيل وأعناب، وغير ذلك، سمي جنة؛ لأنه يستر بأشجاره الأرض. ﴿وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ﴾: جمع صنو، وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد، ومنه قول النبي ﷺ في عمه العباس: «**عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**». يعني أنهما من أصل واحد. ﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾: هي النخلة المنفردة بأصلها، فالصنوان: المجتمع، وغير الصنوان: المتفرق، ومفرده: صِنْو،

وتثنيته: صنوان، فلا فرق بين لفظ التثنية والجمع إلا بالإعراب، فتضم النون في الجمع، وتكسر بالتثنية، قال الشاعر: [المنسرح]

الْعِلْمُ والحِلْمُ خَلَّتَا كَرَم ... لِلْمَرْءِ زَيْنٌ إذا هُمَا اجْتَمَعَا
صِنْوان لا يُسْتَتَمُّ حُسْنُهُمَا ... إِلَّا بِجَمْعٍ هٰذَا، وذَاكَ مَعَا

وقال آخر: [الوافر]

أَتَتْرُكُنِي وَأَنْتَ أَخِي وصِنْوِي؟ ... فَيَا لَلنَّاسِ لِلأَمْرِ الْعَجِيبِ

هذا؛ و﴿صِنْوَانٌ﴾ بضم الصاد وكسرها، ومثله ﴿قِنْوَانٌ﴾ المذكورة في الآية رقم [٩٩] من سورة (الأنعام) وهما اسما جمع لا جمعا تكسير. ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ يقرأ الفعل بالتاء وبالياء، والمعنى: جميع الأشجار والزروع، والنباتات تشرب من ماء واحد. ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ أي: في الطعم ما بين الحلو والحامض، وكذلك في الشكل، والحجم، والرائحة، وما أجدرك أن تلاحظ هذا المعنى في بني آدم، أصلهم واحد، وهو آدم، وهم مختلفون في الخير، والشر، والإيمان، والكفر، والنفع، والضر، كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد، ومنه قول الشاعر: [الرجز]

النَّاسُ كَالنَّبْتِ، وَهُمْ أَلْوانُ
مِنْهَا شَجَرُ الصَّنْدلِ والْبَانُ
وشَجَرٌ طولَ الدَّهْرِ قَطرانُ

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: يفهمون ويستعملون عقولهم، ويتدبرون، ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته، وانظر الآية السابقة، هذا؛ و(نخيل) اسم جمع لا واحد له من لفظه، كقوم ورهط، وأما نخل فهو اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء، وهو نخلة، كتمر وتمرة، وفي مختار الصحاح: النخل والنخيل بمعنى واحد، والواحدة نخلة، وما ألطف قول الشاعر في التورية: [الوافر]

رَأَيْتُ بِهَا قَضِيباً فَوْقَ دِعْصٍ ... عَلَيْهِ النَّخْلُ أَيْنَعَ وَالْكُرُومُ

فقد وَرَّى عن المرأة بالقضيب، وعن الحلي بالنخل، وعن قلائدها بالكروم، والدعص (بكسر الدال) قطعة من الرمل مستديرة.

الإعراب: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿قِطَعٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: صفة قطع، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾: معطوف على قطع، أو على تقدير وبينهما جنات، فيكون مبتدأ خبره محذوف، وهو

متعلق الظرف، هذا؛ ويقرأ (وجناتٍ) بكسر التاء، على تقدير: وجعل فيها جنات، فيكون مفعولاً به لهذا المقدر، كما قرئ: (وفي الأرض قطعاً متجاوراتٍ) على تقدير نفس الفعل، وجوز اعتباره مجروراً بالحمل على (كُلٍّ)؛ التقدير: ومن كل الثمرات، ومن جنات، وهو ضعيف والمعنى لا يؤيده، ﴿مِّنْ أَعْنَـٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة جنات. ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ معطوفان بالرفع على جنات على تقدير: وفي الأرض زرع ونخيل، وقرئا بالجر عطفاً على الأعناب، وأجيز عطفهما على كل، وهو ضعيف كما رأيت، ولم يقرأ بالنصب. ﴿صِنْوَانٌ﴾: صفة نخيل. ﴿وَغَيْرُ﴾: معطوف عليه، و(غير): مضاف، و﴿صِنْوَانٍ﴾: مضاف إليه. ﴿يُسْقَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ما ذكر، أو (هو) يعود إلى جنات، وما عطف عليها. ﴿بِمَآءٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٰحِدٍ﴾: صفة ماء، والجملة الفعلية صفة (زرع) و(نخيل). أو صفة جنات وما عطف عليها، والرابط على الاعتبارين: الضمير فقط. ﴿وَنُفَضِّلُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، وهو يعود إلى الله، ﴿بَعْضَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿فِى ٱلْأُكُلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من بعضها، وجملة: ﴿وَنُفَضِّلُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي صفة مثلها، والرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ إعراب هذه الجملة مثل إعراب ما قبلها في الآية السابقة، ومحلها مثلها أيضاً.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ. . .﴾

الشرح: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعدما كنت عندهم الصادق الأمين، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث، والحشر، والنشر، والحساب بعد الموت، والله تعالى لا يتعجب، ولا يجوز عليه التعجب؛ لأنه يغير النفس بما تخفى أسبابه كما رأيت في الآية رقم [٧٣] من سورة (هود) عليه السلام، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيُّهُ والمؤمنون. ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾: أي: أنبعث إذا كنا تراباً بعد الموت ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي: أنعاد بعد الموت خلقاً جديداً، كما كنا قبله؟ وهذا جهل منهم كبير؛ لأنهم يعترفون بأن الخالق لهم هو الله، وينكرون البعث بعد الموت، وليست الإعادة بأصعب من الإيجاد بعد العدم، هذا؛ ويقرأ الكلام بقراءات كثيرة، فجملتها تسع، وكلها سبعية.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَعْجَبْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر فيه تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَعَجَبٌ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عجب): مبتدأ. ﴿قَوْلُهُمْ﴾: خبره، ويجوز العكس، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ﴿أَءِذَا

﴾: الهمزة: حرف استفهام. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص، مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿تُرَابًا﴾: خبرها، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المرجوح المشهور، وجواب (إذا) محذوف دل عليه الجملة الآتية، التقدير: أئذا كنا تراباً نبعث، ولا يجوز أن يعمل فيها ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها، وينبغي أن تعلم أن (إذا) هنا ظرف مجرد عن الشرطية؛ إذ التقدير: أنبعث إذا كنا . . . إلخ، وهذا قول غير سيبويه، أما هو فيعتبرها شرطية، وهو الوجه الأول من الإعراب. و(إذا) ومدخولها بدل من ﴿قَوْلُهُمْ﴾ أو هو تفسير له، أو هو في محل نصب مقول القول. ﴿أَإِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿لَفِي خَلْقٍ﴾: اللام هي المزحلقة. (في خلق): متعلقان بمحذوف خبر (إن). ﴿جَدِيدٍ﴾: صفة خلق، والجملة الاسمية: ﴿أَإِنَّا...﴾ إلخ مؤكدة لما قبلها، والاستفهام فيها مبالغة في الإنكار، وبدون الاستفهام حصل الإنكار بالأولى، وهذه مرتبطة فيها، فالإنكار بالأولى إنكار فيها أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿فَعَجَبٌ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿. . . أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: لأنهم كفروا بقدرته على البعث بعد الموت، وذلك في قولهم السابق، ومن أنكر اليوم الآخر، وما فيه من الحساب والجزاء، فهو كافر بالله تعالى. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ أي: يوم القيامة يطوقون بالأغلال، وقيل: معناه مقيدون بالضلالة لا يجرى خلاصهم منها، وقيل: المراد بالأغلال: ذلهم وانقيادهم يوم القيامة، والأغلال جمع غل، وهو طوق من حديد تُشَدُّ به اليد إلى العنق. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: انظر شرح (صاحب) في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) عليه السلام، هذا؛ وقد جعل الكفار أصحاب النار بمعنى مالكيها، لملازمتهم لها وعدم انفكاكهم عنها، وقل مثله في أصحاب الجنة. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون لا يخرجون، ماكثون أبداً لا يموتون، ولا يفنون.

الإعراب: ﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿أُولَٰئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، (أولئك): مبتدأ أول. ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾: مبتدأ ثان. ﴿فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾: جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: (أولئك...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

والجملة الاسمية: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أو من النار نفسها، والعامل في الحال اسم الإشارة، والرابط الضمير على الاعتبارين، وفيها معنى التأكيد للكلام السابق، وجوز اعتبارها خبراً ثانياً لـ (أولئك)، والأول أقوى.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: يطلب منك يا محمد كفار قريش والمكذبون لك إنزال الهلاك بهم، وذلك حين هددهم الرسول ﷺ بنزول العذاب بهم، وطلبوا ذلك استهزاءً منهم، خذ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، هذه الآية رقم [٣٢] من سورة (الأنفال). ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: المراد بها هنا: الإيمان. وقيل: المراد بها العافية من البلاء، وقد قضى سبحانه وحكم بتأخير العذاب عن هذه الأمة إلى يوم القيامة، وانظر الآية رقم [١١] من سورة (يونس) عليه السلام وشرحها. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ أي: وقد مضت العقوبات والهلاك بالمكذبين قبلهم، فما لهم لم يعتبروا بها، ولم يجوزوا نزول مثلها بهم؟! هذا؛ والمثلات جمع: مثلة، وهي نقمة تنزل بالإنسان، فيكون مثالاً وعبرة لمن يعتبر، وقال ابن الأنباري: المثلة كسحرة: العقوبة، التي تبقي في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه من قولهم: مثَّل فلان بفلان، إذا شان خلقه، بقطع أنفه، أو سحل عينه، أو جدع أذنه، أو بقر بطنه، هذا؛ ويقرأ بفتح الميم وضمها، وسكون الثاء وفتحها وضمها.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: صاحب عفو، وتجاوز عن المشركين؛ إذا آمنوا وعن المذنبين؛ إذا تابوا، وأنابوا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن أصر على الكفر، أو أصر على اجتراح السيئات، وفعل المنكرات من المسلمين.

هذا؛ وروى حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ...﴾ إلخ قال رسول الله ﷺ: **«لَوْلَا عَفْوُ اللهِ ورحْمَتُهُ وتجاوُزُهُ؛ لَمَا هنأَ أحداً عَيْشٌ، ولولا عقابُهُ، ووعيدُهُ، وعذابُهُ، لاتَّكلَ كُلُّ أحدٍ»**. وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يستعجلونك): مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من السيئة، و(قبل) مضاف، و﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة. ﴿مِن قَبْلِهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: فاعل خلت، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وأجيز اعتبارها مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَذُو﴾: خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، واللام هي المزحلقة، و(ذو) مضاف، و﴿مَغْفِرَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلقان بمغفرة، أو بمحذوف صفة له. ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الناس، والعامل فيها ﴿مَغْفِرَةٍ﴾ لأنه مصدر، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الواو، والضمير، ويجوز اعتبارها مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، و(شديد) مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ الأصل: شَديدٌ عِقَابُهُ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: كفار قريش. ﴿لَوْلَآ﴾: هلا. ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي: مثل عصا موسى، وناقة صالح، ونحو ذلك، وذلك لعدم اعتدادهم بما رأوا من معجزات النبي ﷺ. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أي: مرسل للإنذار كغيرك من الرسل، وليس لك من إنزال الآيات شيء. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم، كعصا موسى بالنسبة للسحر الذي برع به قومه، وإبراء الأكمه والأبرص بالنسبة للطب الذي برع به قوم عيسى، وقيل: المراد بالهادي الله تعالى، فهو يهدي من يشاء هدايته بما ينزل من آيات.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقول): مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله مبني على الفتح في محل رفع. وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: (يقول...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾:

متعلقان بما قبلهما. ﴿ءَايَةٌ﴾: نائب فاعل. ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿ءَايَةٌ﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿أُنزِلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. (لكل): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(كل): مضاف، و﴿قَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿هَادٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وأجيز اعتبارها مستأنفة، كما قيل (لكل) متعلقان بـ ﴿هَادٍ﴾، وهو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وهو هاد لكل قوم.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ قال الخازن: لما سألوا رسول الله ﷺ الآيات؛ أخبرهم الله عن عظيم قدرته، وكمال علمه، وأنه عالم بما تحمل كل أنثى، يعني: من ذكر أو أنثى، سَوِيِّ الخلق، أو ناقص الخلق، واحداً، أو اثنين أو أكثر. انتهى. وأضيف: ما تحمل كل أنثى من صبيح وقبيح، من أبيض وأسود... إلخ. ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ أي: وما تنقصه وما تزداد في الجثة والمدة والعدد، هذا؛ وقد قالوا: غيض الأرحام: الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد؛ لأن دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم، فإذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم خلقه، هذا؛ والأرحام جمع: رحم، وهو مستودع الجنين في بطن الأنثى الحبلى من الإنسان والحيوان، والرحم أيضاً: القرابة، وجمعهما الأرحام، وانظر ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ في الآية رقم [٤٤] من سورة (هود) عليه السلام. ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ فإن الله تعالى قد خص كل حادث بحال ووقت معينين بمشيئته الأزلية، وإرادته السرمدية، وهيأ له أسباباً مسوقة إليه تقتضي ذلك، وما أحوجك أن تنظر الآية رقم [٥٩] من سورة (الأنعام)، وما ذكرته فيها، وخذ ما يلي: فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وكان عرْشُهُ علَى الماءِ**». أخرجه مسلم، هذا؛ ولا تنس ما في الآية الكريمة من الطباق والمقابلة بين ﴿تَغِيضُ﴾ و﴿تَزْدَادُ﴾ وهو من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول

به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: الله يعلم الذي، أو شيئاً تحمله. ﴿كُلُّ﴾: فاعله، و﴿كُلُّ﴾: مضاف، و﴿أُنثَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف، هذا؛ وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: الله يعلم حمل كل أنثى، وأضيف أنه أجيز اعتبار ﴿مَا﴾ استفهامية مبنية السكون في محل نصب مفعول به مقدم لـ ﴿تَحْمِلُ﴾ وهي معلقة للفعل ﴿يَعْلَمُ﴾ عن العمل، فتكون الجملة الفعلية في محل نصب مفعول به، وأراه ضعيفاً، وأعتمد الاعتبارات الأولى في ﴿مَا﴾. وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿اللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. هذا؛ وقل في الجملتين: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ كل ما قلته في الجملة السابقة من الاعتبارات، ولعلك تدرك معي أن الأفعال تكون لازمة على اعتبار (ما) مصدرية، ومتعدية على الاعتبارات الأخرى. ﴿وَكُلُّ﴾: الواو: واو الحال. (كل): مبتدأ، وهو مضاف ﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عِندَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة شيء، أو صفة كل، أو هو متعلق بمحذوف خبر أول للمبتدأ وأجيز تعليقه بـ (مقدار) بعده. بمقدار: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، أو بمحذوف خبر ثان له. تأمل. والجملة الاسمية (كل. . .) إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير المجرور محلاً بالإضافة، وإن اعتبرتها مستأنفة فلا محل لها. تأمل.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم سبحانه ما غاب عن أبصار عباده، وما يشاهدونه بحواسهم، فلا يغيب عن علمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم، فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه فيه أحد من خلقه. ﴿الْكَبِيرُ﴾: العظيم الذي يصغر كل كبير بالإضافة إلى عظمته وكبريائه، فيمتنع أن يكون كبيراً بحسب الجثة والمقدار.

﴿الْمُتَعَالِ﴾: المستعلي على عباده بالقهر والقدرة، وأيضاً المنزه عما يصفه الكافرون من صفات النقصان كنسبة الولد إليه وغير ذلك.

الإعراب: ﴿عَالِمُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو عالم، و﴿عَالِمُ﴾: مضاف، و﴿الْغَيْبِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿الْكَبِيرُ﴾: خبر ثان للمبتدأ المحذوف. ﴿الْمُتَعَالِ﴾: خبر ثالث مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة، وبعضهم يثبتها، والجملة الاسمية: ﴿عَالِمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ أي: مستوٍ منكم من أخفى القول وكتمه، ومن أظهره، وأعلنه. ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ أي: مستتر بظلمته، ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ أي: ذاهب في النهار في سربه، أي: طريقه، ومعنى الآية: سواء ما أضمرت القلوب، أو نطقت به الألسن، وسواء من أقدم على القبائح مستتراً في ظلمات الليل، أو أتى بها ظاهراً في النهار، فإن علمه تعالى محيط بالجميع، هذا؛ و ﴿وَسَارِبٌۢ﴾ اسم فاعل من سرب في الأرض سروباً من بابي: قعد، وذهب، والسرب بكسر السين: الطريق، والنفس أيضاً، قال الرسول ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مُعافىً في بدنِهِ، آمناً في سِرْبِهِ، عندَهُ قُوتُ يومِهِ فَقَدْ مَلَكَ الدُّنْيا بحذافيرها**». والسرب بكسر السين أيضاً: القطيع من القطا، والظباء، والوحش، والنخل، والخيل، والحمر، والنساء. هذا؛ ولا تنس ما في الآية من الطباق والمقابلة بين أسَرَّ وجهر، وبين مستخف وسارب، وهذا من المحسنات البديعية.

هذا؛ و﴿سَوَآءٌ﴾: مصدر بمعنى الاستواء، فلذا صح الإخبار به عن متعدد في كثير من الآيات، وقيل: هو بمعنى مستو، وهو لا يثنى، ولا يجمع، قالوا: هما وهم سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى، قالوا: سيان، وإن شئت قلت: سواءان، وفي الجمع: هم أسواء، وهذا كله ضعيف ونادر، وأيضاً على غير القياس: هم سواسٍ، وسواسية، أي: متساويان ومتساوون، هذا؛ والسواء أيضاً: العدل والوسط، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

الإعراب: ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر مقدم. ﴿مِّنكُم﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿سَوَآءٌ﴾. ﴿مَّنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿سَوَآءٌ﴾ مبتدأ سوغ الابتداء به تعليق ﴿مِّنكُم﴾ بمحذوف صفة له، ويكون ﴿مَّنْ﴾ خبره، وجملة: ﴿أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ صلة من، والعائد رجوع الفاعل عليه، و(من) الثانية معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها، وجملة: ﴿جَهَرَ بِهِۦ﴾ صلته أيضاً، والعائد رجوع الفاعل أيضاً. (من): اسم موصول معطوف على ما قبله، ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مُسْتَخْفٍۭ﴾: خبر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية صلة الموصول، هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَّنْ﴾ في المواضع الثلاثة نكرة موصوفة، فتكون الجملة صفتها، والرابط: رجوع الفاعل إليها. ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: متعلقان بمستخف: ﴿وَسَارِبٌۢ﴾: معطوف على ﴿مُسْتَخْفٍۭ﴾، فهو على تقدير: ومن هو سارب. ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾: متعلقان بسارب، وفيه وفي ﴿مُسْتَخْفٍۭ﴾ ضمير مستتر هو فاعلهما.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُۥ﴾: الضمير يعود إلى ﴿مَّنۡ﴾ في الآية السابقة بمعانيه الأربعة. ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ أي: ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار، وقال: معقبات والملائكة ذكران؛ لأنه جمع: معقبة، يقال: ملك معقب، وملائكة معقبة، ثم ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ جمع الجمع، هذا؛ ويقرأ: (له معاقيب)، وهو جمع: معقب، والمراد بالمعقبات: الملائكة الحفظة الموكلون بحفظ ابن آدم ذكر، أو أنثى، وقيل: بل المراد: الملكان الموكلان بكتابة الأعمال، صالحها وسيئها، حسنها وقبيحها، فكاتب الحسنات على اليمين، وهو أمين على كاتب السيئات الذي على الشمال. فإذا عمل العبد حسنة؛ كتبها له بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئة، قال صاحب الشمال لصاحب اليمين: أكتبها عليه فيقول: أَنْظِرْهُ، لعله يتوب، لعله يستغفر. فيستأذنه ثلاث مرات، فإن هو تاب منها، وإلا؛ قال: اكتبها عليه سيئة واحدة.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فيكُمْ مَلَائِكَةٌ باللَّيلِ، ومَلائكةٌ بالنهارِ، وَيَجْتَمعونَ في صلاةِ الْفَجْرِ وصلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الذينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فيسألُهُمْ، وهو أعلمُ بكُمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبادي؟ فيقولونَ: تَركْنَاهُمْ، وهُمْ يُصَلُّونَ، وأتيناهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ**». وهذا يشمل جميع الملائكة الذين يكتبون، أو يحفظون.

هذا، وقيل: إن الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود إلى الله، وقال الخازن: الضمائر تعود إلى الرسول ﷺ، وأورد قصة عامر بن الطفيل، وأربد بن ربيعة. ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾: من أمامه. ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: من وراء ظهره. ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بأمر الله وإذنه ما لم يجئ القدر، فإذا جاء تخلَّوا عنه لينفذ أمر الله وقضاؤه، وهذا يؤيد: أن المراد بالمعقبات الحفظة، لا الكتبة، قال كعب بن الأحبار: لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم، وعوراتكم؛ لتخطفتكم الجن، وقيل: معنى يحفظونه: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، ولا أعتمده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ أي: ما هم فيه من النعمة والعافية التي أنعم بها عليهم.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ أي: من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة، فيعصون ربهم، ويجحدون نعمه، فعند ذلك تحل بهم نقمته. وكل المفسرين قالوا هذا، وأرى أن العكس صحيح، أي: إذا نزل بقوم شر وبلاء، وسلبهم النعمة والرخاء، وذلك بسبب المعاصي والمنكرات، فلا يرفع الله عنهم ذلك، ويعيد إليهم نعمتهم المسلوبة، ورخاءهم الضائع حتى

يتركوا ما هم فيه من الشر والفساد، وما حاضر المسلمين اليوم منك ببعيد، فإذا أرادوا أن يعود إليهم مجدهم الضائع، وكرامتهم المهدورة، فعليهم أن يرجعوا إلى ربهم، وسنة نبيهم، وهدي كتابهم، وخذ هذا الحديث الشريف، فإنه أكبر دليل على ما أقول: عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا تَبايَعْتُم بالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُم أَذْنَابَ الْبَقرِ، وَرضِيتُمْ بالزَّرْعِ، وتَركْتُمُ الْجِهادَ في سَبِيلِ اللهِ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلّاً، لا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِينِكُمْ**». رواه أبو داود وغيره.

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾: هلاكاً، أو عذاباً، أو ذلةً، أو بلاءً من أمراض، وأسقام. ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ أي: فلا مرد ولا دافع لما أراد الله عز وجل. ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ أي: يلي أمرهم، فيدفع عنهم السوء، وفيه دليل قاطع على أن خلاف مراد الله تعالى محال.

الإعراب: ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّنۢ بَيۡنِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ أو هما متعلقان به، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وهو متعلق ﴿لَهُۥ﴾ والكلام على هذه الأوجه يتم عند قوله: ﴿خَلۡفِهِۦ﴾ ويجوز أن يتعلقا بالفعل بعدهما، و﴿بَيۡنِ﴾: مضاف، و﴿يَدَيۡهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى لفظاً، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة على الأوجه الأولى في متعلق الجار والمجرور ﴿مِّنۢ بَيۡنِ﴾ وهي في محل رفع صفة ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ على اعتبارهما متعلقين بالفعل بعدهما. ﴿مِنۡ أَمۡرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(أمر) مضاف، و﴿ٱللَّهِۗ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُغَيِّرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِۗ﴾، ﴿مَا﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بِقَوۡمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَا﴾، أو بمحذوف صفتها، وجملة: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يُغَيِّرُواْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق ﴿مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ مثل ﴿مَا بِقَوۡمٍ﴾ و«أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَإِذَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٥]، والجملة الفعلية: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ في محل جر بإضافة إذا إليها... إلخ. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب إذا. (لا): نافية للجنس تعمل عمل إن. ﴿مَرَدَّ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥۚ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (لا)، والجملة الاسمية: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾. جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية.

﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف هما متعلقان بمحذوف خبر ثان، فيكون الخبر قد تعدد، وهو شبه جملة، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَالٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وهذا الاسم دخله الإعلال كما في ﴿نَاجٍ﴾ في الآية رقم [٤٢] من سورة (يوسف) عليه السلام، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَهُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من قوم، والرابط: الواو، والضمير هذا؛ ومجيء الحال من النكرة على حد قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٥٨]: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾. هذا؛ ويجوز اعتبارها معطوفة على جواب (إذا)، واعتبارها مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين، والاستئناف أقوى من كل الوجوه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾: البرق: مصدر برق يبرق: إذا لمع، والرعد: مصدر رعد يرعد، وهما معروفان ومشاهدان للناس جميعاً، وتفسيرهما في الشرع غير تفسيرهما وشرحهما في العلم الحديث. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: هذا الخوف والطمع من رؤية البرق يكون من وجوه؛ الأول: عند لمعان البرق يخاف من الصواعق، ويطمع في نزول المطر. الثاني: أنه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن على بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك، ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوهم. الثالث: أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه، ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه المناسبين لسقوطه، وخذ قول أبي الطيب في ممدوحه: [الطويل]

فتىً كالسَّحَابِ الْجَوْنِ يُخْشَى ويُرْتَجى ... يُرَجَّى الحيا منه، وتُخْشَى الصَّوَاعِقُ

هذا؛ وقيل: خوفاً أن يكون البرق برقاً خلباً لا يمطر، وطمعاً أن يكون ممطراً، قاله ابن بحر، وأنشد قول الشاعر: [الرمل]

لا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقاً خُلَّباً ... إنَّ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهْ

والبرق الْخُلَّب: الذي لا غيث فيه كأنه خادع. ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز: إنما أنت كبرق خُلَّب، والخُلَّب أيضاً: السحاب الذي لا مطر فيه.

هذا؛ وأصل الخوف انزعاج في الباطن، يحصل من توقع أمر مكروه يقع في المستقبل، وأما التَّخَوُّفُ فإنه يأتي بمعنى التنقص، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يروى: أن الفاروق رضي الله عنه، قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿أَوْ

﴿يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل، وقال: هذه لغتنا، التخوُّفُ التنقُّصُ، قال: فهل تعرف العرب هذا في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي: [البسيط]

تَخَوَّفَ الرحْلُ منها تامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم. هذا؛ ويأتي الخوف بمعنى العلم، وبه قيل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا...﴾ إلخ الآية رقم [١٨١] من سورة (البقرة)، وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٢٨] من سورة (البقرة).

هذا؛ والطمع: نزوع النفس إلى الشيء المحبوب والحرص على حصوله في المستقبل. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ أي: ويخلق الله الغيوم ويظهرها، والسحاب غربال الماء، قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هذا؛ وقيل: السحاب الغيم فيه ماء، أو لم يكن فيه ماء، ولهذا قيل: سحاب جهام، وهو الخالي من الماء، وأصل السحب: الجر، وسمي السحاب سحاباً، إما لجر الريح له، أو لجره الماء، أو لانجراره في سيره، هذا؛ ووصفه الله بالثقال لثقله بالماء الذي يحمله إلى حيث شاء الله الخلاق العظيم، وما أحراك أن تنظر الحديث الذي ذكرته في الآية رقم [٣]. هذا؛ والسحاب اسم جنس، واحده سحابة، فذلك وصف بالجمع، وهو الثقال جمع ثقيلة، وتجمع السحابة على سحاب وسحائب وسحب.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر. ﴿يُرِيكُمُ﴾ مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل والفاعل مستتر يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو بصري تعدى إلى الثاني بهمزة التعدية، وانظر إعلال ﴿تُوقِنُونَ﴾ في الآية رقم [٢] فهو مثله إذ أصله: «يؤريكم» والكاف مفعوله الأول، والبرق: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد: رجوع الفاعل إليه، ﴿خَوْفًا﴾: مفعول لأجله، وقيل: حال من كاف المخاطبين بمعنى: ذوي خوف، وذوي طمع. ﴿وَيُنشِئُ﴾: مضارع والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿ٱلسَّحَابَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلثِّقَالَ﴾: صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وأجيز اعتبار خوفاً مفعولاً مطلقاً، وهو ضعيف.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بحمد الله تعالى، ويسبح كذلك سامعوه من بني آدم المؤمنين، وهل الرعد اسم ملك أو صوت ملك؟ خلاف، وهو خلاف ما يقوله العلم الحديث،

هذا؛ والتسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائض. ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: تسبح الملائكة بحمد الله تعالى من خوفه، أو من خوف الرعد هذا؛ و(خيفة) أصلها (خِوْفَة) وقعت الواو ساكنة إثر كسرة، فقلبت ياءً، فهو واوي من الخوف. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾: جمع صاعقة، وهي العذاب النازل من البرق، فيحترق من تصيبه، وقيل: هي الصوت الشديد النازل من الجو، ثم يكون فيه نار، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد. ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ أي: فيصيب الله بالصواعق من يشاء إصابته، أو هلاكه. ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾: حيث يكذبون رسول الله ﷺ فيما يصف ربه تعالى به من كمال العلم والقدرة، والتفرد بالألوهية، وإعادة الناس يوم القيامة للحساب والجزاء، هذا؛ والجدال: التشدد في الخصومة، من الجدل وهو الفتل. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: شديد الأخذ، أو شديد القوة، أو شديد الانتقام إلى غير ذلك، وهو بكسر الميم، ويقرأ بفتحها على أنه بمعنى الحول، والمحاولة بمعنى المغالبة، والمكايدة، وفي القاموس المحيط: والمحال ككتاب: الكيد، وروم الأمر بالحيل، والتدبير، والقدرة، والجدال، والعذاب، والعقاب، والعداوة، والمعاداة كالمماحلة، والقوة، والشدة، والهلاك، والإهلاك.

تنبيه: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من سمع صوت الرعد، فقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته، وهو على كل شيء قدير، فإن أصابته صاعقة: فعليَّ ديته. وكان عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته، وكان يقول: إن الوعيد لأهل الأرض شديد.

تنبيه: روي: أن عامر بن الطفيل، وأرْبَد بن ربيعة أخا لبيد بن ربيعة العامري الصحابي، وفدا على رسول الله ﷺ قاصدين لقتله، وكان عامر قد تواطأ مع أرْبَد، وقال له: إذا رأيتني أكلمه فدُرْ من خلفه، واضربه بالسيف، فجعل يخاصم النبي ﷺ، ويجادله بعد أن ذهب به بعيداً عن أصحابه، فاخترط أربد من سيفه شبراً، ثم حبسه الله، فلم يقدر على سله، ويبست يده على سيفه، فتنبه له الرسول ﷺ، وقال: «**اللهم اكفنيهما بما شئت**». فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته، وولى عامر هارباً، وقال: يا محمد! دعوت ربك على أرْبَد حتى قتله، والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً، وفتياناً مرداً، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يمنعك الله من ذلك، وأبناءُ قَيْلة**». يعني الأوس والخزرج، فنزل عامر بيت امرأة من بني سلول، وخرجت على ركبته غدة عظيمة فجأة، فقال: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية! فركب فرسه، وجعل يجول ويصول، ويقول: يا ملك الموت ادْنُ! حتى سقط على الأرض ميتاً. فذهب إلى جهنم، وبئس القرار، وقد نزلت الآية الكريمة فيهما.

الإعراب: ﴿وَيُسَبِّحُ﴾: (يسبح): مضارع. ﴿ٱلرَّعْدُ﴾: فاعله. ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الرعد، التقدير: ملتبساً بحمده، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: معطوف

على الرعد. ﴿مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (الملائكة) أيضاً، أو بمحذوف مفعول لأجله، أي: هائبين من خيفته، وجملة: ﴿وَيُسَبِّحُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يُرِيكُمُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، والاستئناف ممكن بلا ضعف، وجملة: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ معطوفة عليها. (يصيب): مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿بِهَا﴾: متعلقان به. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: فيصيب الذي، أو شخصاً يشاء إصابته، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية: (هم...) إلخ في محل نصب حال من ﴿مَن﴾ والرابط: الواو، والضمير، وعليه فيجب اعتبارها بمعنى الجمع ليتوافق صاحب الحال والرابط، واعتبارها مستأنفة لا بأس به، بل هو قوي، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير فهي حال متداخلة من وجه، و﴿شَدِيدُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمِحَالِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ التقدير: شديدٌ مِحالُهُ.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لله دعوة الصدق، قال علي ـ كرم الله وجهه ـ دعوة الحق: التوحيد، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وقال البيضاوي: الدعاء الحق، فإنه الذي يحق أن يعبد، أو يدعى إلى عبادته دون غيره، أو له الدعوة المجابة، فإن من دعاه أجابه، ويؤيده ما بعده. انتهى. وهو جيد. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: والأصنام التي يدعونها آلهة من دون الله ويعبدونها. ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر إن دعوهم.

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي: إلا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه يطلب إليه أن يبلغ فاه ويصل إليه ليشرب منه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه، ولا بعطشه، فضلاً عن إجابته، وكذلك الأصنام التي يعبدونها جمادات لا تحس بدعائهم، ولا تقدر على إجابتهم.

قال القرطبي: ضرب الله عز وجل الماء مثلاً ليأسهم من الإجابة لدعائهم؛ لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد، قال: [الطويل]

فأصبحتُ فيما كانَ بيْني وبيْنَها مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ الْقابِضِ الماءَ بالْيَدِ

وقال آخر: [الطويل]

وَإِنِّي وإِيَّاكُمْ وشَوْقاً إِلَيْكُم كقابضِ ماءٍ لَمْ تطعْهُ أناملُهْ

وقال آخر: [الطويل]

وَمَنْ يأمَنِ الدنيا يَكُنْ مِثلَ قَابِضٍ على الماءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ

قال علي رضي الله عنه: هو (أي: عابد الصنم، أو الطالب منه حوائجه) كالعطشان على شفة البئر، فلا يبلغ قعر الماء ولا الماء يرتفع إليه، هذا؛ وقرئ في الشواذ (تدعون) بالتاء، وبتنوين (باسطٍ). ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: ليست عبادة الكافرين الأصنام، أو طلبهم منها حوائجهم إلا في ضياع وباطل.

تنبيه: في الآية الكريمة تشبيه تمثيلي حيث شبه الله تعالى دعوة الكفار آلهتهم ليستجيبوا لهم، وعدم استجابتها؛ بمن يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وهو بعيد عنه مع رجائه أن يستجيب الماء له، وهو جماد لا يشعر ولا يحس، وقيل: شبهوا في قلة نفع دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطهما ناشراً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً، ولم يبلغ طلبته.

الإعراب: ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿دَعْوَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿دَعْوَةُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: والمشركون الذين يدعون الأصنام، فحذف المفعول لدلالة ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ عليه، أو التقدير: والأصنام الذين يدعوهم المشركون، ويكون جمعها مثل جمع ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَجِيبُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿لَهُم بِشَىْءٍ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَبَٰسِطِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: إلا استجابةً كائنةً كاستجابة باسط، و(باسط): مضاف، و﴿كَفَّيْهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، هذا؛ وعلى قراءة تنوين باسط فيكون ﴿كَفَّيْهِ﴾ مفعولاً صريحاً منصوباً، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة... ﴿إِلَى ٱلْمَآءِ﴾: متعلقان بـ (باسط). ﴿لِيَبْلُغَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى الماء. ﴿فَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء

الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بـ (باسط). ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾: الباء: حرف جر صلة. بالغه: خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وإن اعتبرت (ما) مهملة، فتكون الباء زائدة في خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ في محل نصب حال من فاعل (يبلغ) المستتر، أو من مفعوله، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية مهملة. ﴿دُعَآءُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول محذوف، انظر الشرح لتقديره. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥)﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ: قال الخازن: في معنى السجود قولان: أحدهما: أن المراد منه السجود على الحقيقة، وهو وضع الجبهة على الأرض، ثم على هذا القول ففي معنى الآية وجهان:

أحدهما: أن اللفظ، وإن كان عاماً، إلا أن المراد منه الخصوص، فقوله ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني الملائكة، ومن في الأرض يعني المؤمنين، ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعاً، وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة، و(كرهاً): يعني: المنافقين الداخلين في المؤمنين، وليسوا منهم، فإن سجودهم لله على كره منهم؛ لأنهم لا يرجون على سجودهم ثواباً، ولا يخافون عقاباً، بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين.

الوجه الثاني: هو حمل اللفظ على العموم، وعلى هذا ففي اللفظ إشكال وهو أن جميع الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن يسجدون لله طوعاً، ومنهم من يسجد له كرهاً كما تقدم، وأما الكفار من الإنس والجن فلا يسجدون لله ألبتة، فهذا؛ وجه الإشكال، والجواب عنه: أن المعنى أنه يجب على كل من في السموات ومن في الأرض أن يسجد لله، فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول، وجواب آخر: وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية، وكل من في السموات، ومن في الأرض من إنس وجن، فإنهم يقرون لله بالعبودية، والتعظيم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾.

والقول الثاني في معنى هذا السجود: هو الانقياد والخضوع، وترك الامتناع، فكل من في السموات، ومن في الأرض ساجد لله بهذا المعنى، وهذا الاعتبار؛ لأن قدرته ومشيئته نافذة في الكل، فهم خاضعون له، ومنقادون لأوامره، انتهى. بحروفه.

أقول: وهذا الوجه هو المرضي عندي، ولعله المرضي عند الكثير، ويؤيده قوله عز وجل في سورة (الإسراء): ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وهو باتفاق تسبيح دلالة، لا تسبيح عبادة.

﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: قال المفسرون: إن ظل كل شيء يسجد لله، سواء ظل المؤمن وظل الكافر، وقال الزجاج: جاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد لله. قال ابن الأنباري: ولا يبعد أن يخلق الله للظلال عقولاً وأفهاماً، تسجد بها وتخشع، كما جعل للجبال أفهاماً حتى سبحت لله مع داود، قال القشيري: في هذا نظر؛ لأن الجبل عين، فيمكن أن يكون له عقل بشرط تقدير الحياة، وأما الظلال فآثار وأعراض، ولا يتصور تقدير الحياة لها، وقيل: المراد بسجود الظلال: ميلانها من جانب إلى جانب آخر، وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها، وذلك تصريف الله إياها على ما يشاء، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ الآية رقم [٤٨] من سورة (النحل)، قاله ابن عباس وغيره، وإنما خص الغدو والآصال بالذكر؛ لأن الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين، وقيل: لأنهما طرفان فيدخل وسطه فيما بينهما.

بعد هذا (الغدو): جمع غدوة بضم الغين فيهما، وهي ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وقيل: إلى الضحوة الكبرى، وتجمع أيضاً على غدىً، والغداة في الأصل الضحوة، ولو حملها حامل على أول النهار لجاز له التذكير، والجمع غدوات، والآصال: جمع أصيل، وهو الوقت بين العصر والمغرب، ويجمع أيضاً على أصائل، وَأُصُل، وَأُصْلَان، هذا؛ وقيل: الآصال جمع أُصُل، والأُصُل جمع أصيل، ثم أصائل جمع الجمع، قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

لَعَمْرِي لأَنْتَ الْبَيْتُ أُكْرِمَ أَهْلُهُ ... وأَقْعُدُ في أَفْيَائِهِ بالأَصَائِلِ

هذا؛ ويطلق الأصيل على الشعاع الممتد من الشمس إلى الماء، مثل الحبال، ويشبه لون أشعته في الماء لون الذهب، وانظر الآية رقم [٤١] من سورة (آل عمران)، والآية رقم [٥٢] من سورة (الأنعام)، ففيهما كبير فائدة.

هذا؛ والآية التي الكلام فيها يسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته، واستماعه لها، فهي من الآيات الأربع عشرة التي يسن السجود لتلاوتها واستماعها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٠٥] من سورة (الأعراف) تجد ما يسرك، وانظر الكلام على (مَنْ) في الآية [٤٨] من سورة (النحل)، وانظر الكلام على السجود في الآية رقم [٥٠] منها أيضاً.

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بما بعدهما، وتقديمهما أفاد الاختصاص. ﴿يَسْجُدُ﴾: مضارع، ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: الذي يوجد في السموات. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿طَوْعًا﴾: حال بمعنى طائعاً، وقيل: مفعول لأجله. وقيل: مفعول مطلق، ولا وجه له. ﴿وَكَرْهًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَظِلَالُهُم﴾: معطوف على ﴿مَن﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وقد راعى معنى ﴿مَن﴾ وهو الجمع، وفي تأويل طوعاً بـ (طائعاً) يكون راعى لفظها. تأمل. ﴿بِالْغُدُوِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَالْآصَالِ﴾ معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ...﴾

الشرح: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، كلاحقه، والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: مَنْ مالك السموات والأرض؟ ومَنْ مدبرهما وخالقهما؟ قل: الله: أي: أجب عنهم بذلك؛ إذ لا جواب لهم سواه، ولأنه البين الذي لا يمكن الجدال فيه، وإنما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق السموات والأرض، وخالق كل شيء، كما ذكر عنهم ذلك في آيات كثيرة. ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ...﴾ إلخ؟: هذا توبيخ وتقريع للمشركين الذين يعبدون الحجارة والأوثان، التي لا تستطيع أن تنفع نفسها بشيء، وإذا أرادها إنسان بضر لا تستطيع دفعه، وهذا مع اعترافهم بأن الله هو الخالق والمدبر لما في السموات والأرض، وإذا كانت تلك الأصنام لا تملك ذلك لنفسها، فكيف تملكه لمن يعبدها؟!.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: هذا مثل ضربه الله للكافر الذي لا يبصر الحق، والمؤمن الذي يعرف الحق ويتبعه، والآية رقم [٢١] الآتية توضح هذا؛ وتبينه، وقيل: الأعمى مثل لما عبدوه من دون الله، والبصير مثل الله تعالى، والأولى أولى، وعلى الاعتبارين في الكلام استعارة، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ أي: الشر والإيمان، والمعنى: كما أن الأعمى والبصير لا يكونان سواء، كذلك الكافر والمؤمن لا يستويان، وكما أن الظلمات والنور لا يكونان سواء كذلك الكفر والإيمان لا يستويان.

هذا؛ والظلمات جمع ظلمة، وقد جمعت في القرآن الكريم في آيات كثيرة باعتبار تعدد معانيها؛ إذ المراد ظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة الجهل، وظلمة يوم القيامة، أو المراد ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة، ووحد النور؛ لأنه نوع واحد لا يختلف، وقدم الظلمات؛ لأنها مخلوقة قبل النور، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ في ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عليهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ ذلِكَ النُّورُ اهْتَدَى، ومَنْ أَخْطَأَهُ**

ضَلَّ». ذكره البغوي، هذا؛ والظلمات بمعانيها المتقدمة مستعارة من ظلمة الليل الحقيقية، والجامع بينهما عدم الاهتداء في كل منهما، كما أن النور بمعناه المتقدم مستعار من نور النهار، أو من نور المصباح المضيء، والجامع بينهما الاهتداء في كل منهما، ولا تنس الطباق في الآية الكريمة بين الأعمى والبصير، وبين الظلمات والنور، وهذا من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَّبُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿رَّبُّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ٱللَّهُ...﴾: مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: الله رب... إلخ، والجملة الاسمية هذه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ وتقريع. الفاء: حرف عطف، أو هي صلة. ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم﴾: (اتخذتم): فعل ماض، والتاء فاعله. ﴿مِّن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول، وهو أولياء، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على مقدر بعد الهمزة، أي: أعلمتم أن ربهما هو الله الذي ينقاد لأوامره من فيهما كافة فاتخذتم... إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وعلى اعتبار الفاء صلة، فيكون الكلام جملة واحدة، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿لِأَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أو هما متعلقان بما بعدهما على اعتبارهما مصدرين، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿نَفْعًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿ضَرًّا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام ونفي. ﴿يَسْتَوِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: فاعل مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. (البصير): معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿... أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة، فهي داخلة تحت حكم الاستفهام الإنكاري و﴿شُرَكَآءَ﴾ أي: في العبادة. ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ أي: أخلقوا

سموات، وأرضين، وشمساً، وقمراً، وجبالاً، وبحاراً، وإنساً، وجنّاً؟. ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: لم يميزوا بين خلق الله، وبين ما خلقت آلهتهم وأصنامهم التي يعبدونها. ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: المعنى إذا تفكر هؤلاء المشركون بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء، وما يعبده هؤلاء جمادات مخلوقة، بل هي من جملة ما خلق الله تعالى. ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ أي: المنفرد بخلق الأشياء كلها. ﴿ٱلۡقَهَّٰرُ﴾: لعباده، حتى يدخلهم تحت قضائه، وقدره، وإرادته، وانظر الآية رقم [٣٩] من سورة (يوسف) عليه السلام، هذا؛ وفي الآية الكريمة رد على القدرية والمعتزلة الذين يقولون: إن العبد يخلق أفعاله، كما أنها ترد على من لا يعترف بالصانع الحكيم أيضاً.

الإعراب: ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف. ﴿جَعَلُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، هذا؛ ويجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من ﴿شُرَكَآءَ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿خَلَقُواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿كَخَلۡقِهِۦ﴾ متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: خلقوا خلقاً مشبهاً خلقه، والجملة الفعلية: ﴿خَلَقُواْ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿شُرَكَآءَ﴾، وجملة: ﴿جَعَلُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فَتَشَٰبَهَ﴾: الفاء: حرف عطف. (تشابه): ماض. ﴿ٱلۡخَلۡقُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة: (تشابه...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها؛ لأنها مفرعة عنها. ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ﴾: مبتدأ وخبر، و﴿خَٰلِقُ﴾: مضاف، و﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و(كُلِّ): مضاف، و﴿شَيۡءٖ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً. والحالية ضعيفة.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾

الشرح: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ أي: من السحاب، أو من السماء نفسها، فإن المبادئ منها، قال الخازن: لما شبه الله الكافر بالأعمى، والمؤمن بالبصير، وشبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور ضرب لذلك مثلاً، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعني: المطر. ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ أي: فجرت أودية، والأودية لا تجري؛ فهو مثل: جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر،

فحذف لدلالة الكلام عليه، ومعنى بقدرها: بملئها، الكبير بقدره، والصغير بقدره، وفيه احتراس من أن السيل غير ضار للممطور، بل هو نافع له.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنزل من السماء ماء، يعني: قرآناً، وهذا مثل ضربه الله تعالى، ويريد بالأودية القلوب، شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر؛ لأن المطر إذا نزل عم نفعه، وكذلك نزول القرآن، وشبه القلوب بالأودية؛ لأن الأودية يستقر فيها الماء، وكذلك القلوب يستقر فيها القرآن، والعرفان ببركة نزول القرآن فيها، وهذا خاص للمؤمنين؛ لأنهم الذين انتفعوا بالقرآن وخذ ما يلي:

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ ما بَعَثَني اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فكَانَتْ مِنْها طائِفَةٌ طيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فأَنْبَتَتِ الْكَلأَ والعشبَ الكثيرَ، وكان منها أجادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فنفعَ اللهُ بها الناسَ، فشربوا مِنْها، وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأصابَ طَائِفَةً منها أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ، لا تمْسكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كَلأً، فذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهَ في دينِ الله، ونفعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فتعلَّمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلِكَ رأْساً، وَلَمْ يقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ**». متفق عليه.

قال العلماء: الأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس؛ لأنهم منها خلقوا، فالنوع الأول من أنواع الأرض: الطيبة التي تنتفع بالمطر، فتنبت به العشب، فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك، وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم، فيحيا به قلبه، ويحفظه، ويعمل به، ويعلمه غيره، فينتفع به وينفع غيره. النوع الثاني من الأرض: أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة لغيرها، وهي إمساك الماء لغيرها؛ لينتفع به الناس والدواب، وكذلك النوع الثاني من الناس، لهم قلوب حافظة، لكن ليس لهم أفهام ثاقبة، فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيء المحتاج إليه المتعطش لما عندهم من العلم، فيأخذه منهم، فينتفع به هو وغيره. النوع الثالث من الأرض: أرض سبخة، لا تنبت مرعىً، ولا تمسك ماءً، كذلك النوع الثالث من الناس، ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثاقبة، فإذا بلغهم شيء من العلم، لا ينتفعون به في أنفسهم، ولا ينفعون غيرهم، والله أعلم. ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾ أي: حمل السيل المذكور الحاصل من سيلان الأودية فوق سطحه زبداً، وهو ما يعلو الماء من الرغوة. ﴿رَّابِيٗاۖ﴾: منتفخاً مرتفعاً، قال الخازن: وهنا تم المثل.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: هذا مثل آخر، والمعنى ينشأ زبد آخر مثل زبد الماء فوق ما يغلى في النار. ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾: والمراد بذلك ما يغلى في النار من الأتربة المخلوطة ببعض المعادن كالذهب والفضة ونحوهما، لاستخراجه من التراب بواسطة النار، والضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ يعود إلى ما يطلب للزينة والحلية من المعادن الثمينة، وإن لم يكن مذكوراً؛ لأن الحلية لا تطلبه

إلا منها. ﴿أَوْ مَتَعٍ﴾ أي: طلب متاع آخر غير المعادن الثمينة مما ينتفع به الناس كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب، وتتخذ منه الأواني وغيرها كآلات الحرب، هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء على الغيبة، وبالتاء على الخطاب، والمتاع: كل ما يتمتع به، ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الأواني: متاع.

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي: هذا الزبد مثل الزبد الذي يعلو فوق سطح السيل. ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: يمثل الله الحق والباطل بما ذكر، فالحق هو الجوهر الصافي الثابت، والباطل هو الزبد الطافي فوقه الذي لا ينتفع به. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ أي: ضائعاً باطلاً، حيث يتفرق ويضيع على حافتي الوادي المفعم بالسيل. ولا تنس: أن الزبد هذا يراد به زبد السيل وزبد الماء المغلى. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: يعني الماء الصافي.

والجوهر الجيد من هذه الأجسام التي تذاب. ﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يثبت، ويبقى، ولا يذهب، هذا؛ ومكث يمكث بمعنى: أقام يقيم. قال الكميت يذم ولاة السوء: [الطويل]

فَتِلْكَ وُلَاةُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُكْثُهُمْ فَحَتَّامَ حَتَّامَ الْعَنَاءُ الْمُطَوَّلُ؟

والمكث بضم الميم وتكسر، وهذا على أنه اسم، وأما المصدر، فإن كان فعله من باب نصر، فهو بضم الميم أيضاً، وإن كان من باب كرم، فهو بفتح الميم.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾: قال أهل التفسير والمعاني: هذا مثل ضربه الله للحق والباطل، فالباطل وإن علا على الحق في بعض الأوقات والحالات، فإن الله يمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة الحسنة للحق وأهله، كالزبد الذي يعلو على الماء، فيذهب الزبد، ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به، وكذلك الصافي من الجواهر والمعادن يبقى، ويذهب ما يعلو فوقه من الكدر، وانظر ما ذكرته من تفسير وتمثيل آنفاً، واقرأ الحديث جيداً وتفهمه وتدبره، والله يتولاني ويتولاك بعنايته ورعايته.

الإعراب: ﴿أَنزَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الله. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الماء، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (سالت): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَوْدِيَةٌۢ﴾: فاعل. ﴿بِقَدَرِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة أودية، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: (سالت...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا﴾: ماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿رَّابِيًا﴾: صفة زبداً. (مما): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجملة: ﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ صلة (ما) الموصولة، والعائد الضمير المجرور محلا بـ ﴿عَلَيْهِ﴾. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بـ (على) ومنع القرطبي الاعتبار الأول. ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: مفعول لأجله،

وجوز اعتباره حالاً، بمعنى مبتغين، و﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾: مضاف، و﴿حِلۡيَةٍ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، ﴿مَتَٰعٖ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿زَبَدٞ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّثۡلُهُۥ﴾: صفة ﴿زَبَدٞ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية هذه معطوفة على الجملة الفعلية السابقة؛ لأنها قسيمة؛ لأنها تضمنت مثلاً آخر مثلها. تأمل. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: يضرب الله الحق والباطل ضرباً، أي: مثلاً مماثلاً لما ذكر، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وهي فعل مضارع وفاعله ومفعوله كما ترى. ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (أما): أداة شرط وتوكيد وتفصيل، وانظر الآية رقم [٤١] من سورة (يوسف) عليه السلام. ﴿ٱلزَّبَدُ﴾: مبتدأ. ﴿فَيَذۡهَبُ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (يذهب): مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلزَّبَدُ﴾. ﴿جُفَآءٗۖ﴾: حال من الفاعل المستتر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأَمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (أما): مثل سابقتها. ﴿مَا﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَا يَنفَعُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: يضرب الله الأمثال ضرباً كائناً كما ذكر، والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محل لها، وهي مضارع وفاعله ومفعوله كما هو ظاهر.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾

الشرح: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أي: أجابوا، فالسين والتاء زائدتان، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار: [الطويل]

وداعٍ دَعَا يا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْه عندَ ذاكَ مُجِيبُ

والمعنى: أجابوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد، والإيمان به وبرسوله. ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: يعني الجنة، وقيل: الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن، وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع، والأول أولى، وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (يونس) عليه السلام. ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ أي: لم يستجيبوا لربهم بما استجاب له المؤمنون من التوحيد والإيمان، وهم الكفار الذين استمروا على كفرهم.

﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ: أي: لو ملكوا كل ذلك؛ لقدموه فداء لأنفسهم من عذاب يوم القيامة، ولكن لا يقبل منهم كما أفادته آية المائدة رقم [٣٩] وآية آل عمران رقم [٩١] مع كونهم لا يملكون فتيلاً يوم القيامة، ولكن كل ذلك على سبيل الفرض والتقدير. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: للكافرين سوء الحساب، وهو أن يحاسب أحدهم على الفتيل، والنقير، والقطمير، كما أفاده قول الرسول ﷺ: «**مَنْ نُوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ**». رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها. وهو بتمامه كما يلي: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نُوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ**». فَقلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾؟ فقال: «**إنَّما ذلك العَرْضُ، ولَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**». رواه البخاري ومسلم وأبو داود الطيالسي والترمذي. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مقرهم، ومآلهم إلى جهنم، وانظر الآية رقم [٢١] من سورة (يوسف) عليه السلام، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: المستقر، أو الفراش الذي مهدوه لأنفسهم.

الإعراب: ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱسْتَجَابُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِرَبِّهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وقال الزمخشري: ﴿لِلَّذِينَ﴾ متعلقان بالفعل ﴿يَضْرِبُ﴾ السابق، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى، والأول أقوى. تأمل. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَسْتَجِيبُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿أَنَّ﴾ مؤخر. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: الذي يوجد في الأرض. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿مَّا﴾ ومؤكدة لها؛ لأنها بمعنى الجمع. ﴿وَمِثْلَهُۥ﴾: معطوف على ﴿مَّا﴾ منصوب مثلها، وقيل: منصوب. على المعية، ولا وجه له. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من (مثله)، والهاء في محل جر بالإضافة، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر، وفيه قولان: أحدهما، وهو قول سيبويه: أنه في محل رفع بالابتداء، وخبره محذوف، التقدير: لو كون ما في الأرض جميعاً ثابت لهم، والثاني قول المبرد: أنه في محل رفع على الفاعلية، رافعه محذوف،

التقدير: لو ثبت كون ما في الأرض جميعاً لهم، وقول المبرد هو المرجح في مثل هذا؛ لأن «لو» لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر وفاعله جملة فعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَافْتَدَوْا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾، لا محل لها، واللام واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في رفع خبر أول للمبتدأ الذي هو الذين، وهو خلاف كلام الزمخشري الذي يعتبر الموصول معطوفاً على سابقه، ويعتبر لو ومدخولها كلاماً مستأنفاً لا محل له وهو ضعيف جداً. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿سُوٓءُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة للموصوف، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، هذا؛ وإن اعتبرت ﴿لَهُمْ﴾ متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فيكون ﴿سُوٓءُ﴾ فاعلاً بذلك المتعلق، وهو وجه صحيح لا غبار عليه، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، وهي مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (مأواهم): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَبِئْسَ﴾: الواو: حرف استئناف. (بئس): ماض جامد لإنشاء الذم. ﴿ٱلْمِهَادُ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: المذمومة هي، والجملة: (بئس...) إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: فيؤمن به، ويعمل بما فيه. ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ أي: أعمى البصيرة لا أعمى البصر، وهو الكافر، فلا يؤمن بالقرآن، ولا يعمل بما فيه، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآية في حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وأبي جهل بن هشام، هذا؛ وخصوص السبب لا يمنع التعميم، أي: إن الآية تعم المهتدي وغير المهتدي، إلى يوم القيامة، والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه، ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه، وإنما شبه الله تعالى الكافر والجاهل بالأعمى؛ لأن الأعمى لا يهتدي لرشد، وربما وقع في مهلكة، وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد، وهما واقعان في المهالك. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ. ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أصحاب العقول السليمة، وما آية (الأعراف) رقم [١٧٨] منك ببعيد.

هذا؛ وفي ﴿أَفَمَن﴾ المذهبان اللذان رأيتهما في ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٢٤] من سورة (هود) عليه السلام من أن الفاء مؤخرة من تقديم، أو هي عاطفة على محذوف، وهو مدخول الهمزة، والمراد بالذي ﴿أُنزِلَ﴾ القرآن الكريم، والمخاطب بذلك النبي ﷺ، وقوله ﴿أَعْمَىٰٓ﴾ استعارة، انظر الآية رقم [١٧]. ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: جمع لب: وهو العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك لأحد وجهين، إما لبنائه من لب بالمكان: أقام به، وإما من اللباب، وهو الخالص من كل شيء، هذا؛ واللبيب العاقل الفاهم، والجمع: الباء، والأنثى لبيبة، وجمعها لبيبات، ولبائب، واللب: خالص كل شيء، وأما ﴿أُوْلُوا۟﴾ فهو جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده: (ذو) المضاف إن كان مرفوعاً، و(ذا) مضاف إن كان منصوباً، و(ذي) المضاف إن كان مجروراً، بعد هذا ينبغي أن تعلم أن الله عز وجل قد وصف أولي الألباب بثماني صفات في الآيات الثلاث التالية وهو ما تجده مفصلاً فيما يلي، وأبواب الجنة ثمانية، فمن اتصف بالصفات كلها دخل من أي: أبواب الجنة شاء.

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكار واستبعاد. الفاء: حرف استئناف، أو هي حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو هي نكرة موصوفة وهي للعاقل. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى من. ﴿أَنَّمَآ﴾: (أن): حرف مشبه بالفعل. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب اسم (أن)، وهي لغير العاقل. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ما). ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان به. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. وجملة: ﴿أُنزِلَ...﴾ إلخ: صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع نائب الفاعل إليها. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي يعلم، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ صلة (من) أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها. ﴿كَمَنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً فهي الخبر، وتكون مضافة، و(من) مضاف إليه. و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْمَىٰٓ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: صلة (من) أو صفتها. والعائد أو الرابط: الضمير المنفصل، والجملة الاسمية: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أيستوي المؤمن والكافر، أفمن يعلم... إلخ، وهذا الكلام كله مستأنف أيضاً. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: مضارع. ﴿أُوْلُوا۟﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و﴿أُوْلُوا۟﴾: مضاف، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)﴾

الشرح: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: العهد: اسم للجنس، أي: بجميع عهود الله، وهي أوامره، ونواهيه؛ التي وصى بها عباده، ويدخل في هذه الألفاظ جميع الفروض، وتجنب جميع المعاصي، هذا؛ وقيل: عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود؛ الأول: العهد الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام في قديم الأزل بأن يقروا بربوبيته، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ إلخ الآية رقم [١٧١] من سورة (الأعراف)، والعهد الثاني خص به النبيين المرسلين بأن يبلغوا الرسالة، ويقيموا الدين، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٧] من سورة (الأحزاب)، والعهد الثالث خص به العلماء من كل أمة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية رقم [١٨٧] من سورة آل عمران. ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾: النقض: فك التركيب، وأصله فك طاقات الحبل، واستعماله في إبطال العهد استعارة تصريحية مطلقة، وهي التي يذكر فيها ملائم المشبه. قال قتادة: تقدم الله إلى عباده في نقض الميثاق، ونهى عنه في بضع وعشرين آية. انتهى. قرطبي. ﴿الْمِيثَاقَ﴾: أصله الْمِوْثَاق، قلبت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها، وترد الواو لأصلها في الجمع؛ لأن جمع التكسير يرد الأشياء إلى أصولها، فجمعه: مواثيق، وقل مثل ذلك في ميعاد، وميقات، وميزان، وميراث، ونحو ذلك.

الإعراب: ﴿الَّذِينَ﴾: فيه وجوه: الأول: إتباعه لأولي الألباب على البدلية، أو على النعت، الثاني: هو منصوب على المدح بفعل محذوف. الثالث: هو مرفوع على اعتباره مبتدأ خبره الجملة الاسمية الآتية ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين... إلخ، وهو مبني على الفتح في محل جر على الأول، أو في محل نصب على الثاني، أو في محل رفع على الثالث. ﴿يُوفُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِعَهْدِ﴾: متعلقان به، و(عهد) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد: واو الجماعة، وجملة: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد الإيمان بجميع الكتب والرسل، يعني: يصل بينهم بالإيمان، ولا يفرق بين أحد منهم. انتهى.
أقول: ويندرج فيه موالاة المؤمنين، ومراعاة جميع حقوق العباد، والأكثرون على أن المراد به صلة الرحم، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا الله، وأنا الرحمنُ خلقْتُ الرَّحِمَ، وشقَقْتُ لَهَا اسْماً مِن اسمي، فَمَنْ**

وصلَها وصلْتُهُ، ومن قطعَها قطعْتُهُ، أَوْ قَالَ: بتتُّهُ». رواه أبو داود والترمذي. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرحِمُ معلقةٌ بالعرشِ، تقول: مَنْ وصلنِي وصلَهُ اللهُ، ومَنْ قطَعني قطعَهُ اللهُ**». متفق عليه.

هذا؛ والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة، والرحم: كل ذكر أو أنثى يمت إليك بالقرابة من جهة الأم أو الأب، وأولى بل وأحق بالبر والصلة الأبوان. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: مع وفائهم بعهد الله وميثاقه، والقيام بحقوق الرحم يخافون ربهم، والخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، هذا؛ والماضي خشي، والمصدر خشْيَةٌ، والرجلُ خَشْيَانُ، والمرأةُ خَشْيَا، وهذا المكان أخشى من ذلك، أي: أشد خوفاً منه، هذا؛ وقد يأتي الفعل (خشي) بمعنى علم القلبية؛ قال الشاعر: [الكامل]

ولَقَدْ خَشِيتُ بأَنَّ مَنْ تَبِعَ الْهُدَى سَكَنَ الجِنَانَ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قالوا: معناه علمت، وقوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ قال الأخفش: معناه كرهنا، وانظر رقم [٨١] من سورة (الكهف).

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله على جميع وجوهه. ﴿يَصِلُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَآ﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ﴾: ماض وفاعله. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَمَرَ﴾، وهما في محل نصب مفعول به؛ إذ الأصل: ما أمرهم الله به، فحذف المفعول به، وقام الجار والمجرور مقامه. وجملة: ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾ صلة ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء، ﴿أَن يُوصَلَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ ﴿أَن﴾، ونائب الفاعل يعود إلى ما، وأن ويوصل في تأويل مصدر، في محل جر بدل من الضمير، بدل ظاهر من مضمر، وقيل: في محل نصب بدلاً من ﴿مَآ﴾ والأول أولى لقربه، وجوز أن يكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الوصل، وقيل: مفعول لأجله على حذف المضاف، التقدير: كراهية وصله، أو التقدير: لئلا يوصل، ولا وجه لهما ألبتة، وجملة: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وأيضاً جملة: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: هذه الصفة الخامسة من صفات أولي الألباب، وانظر الصبر في الآية رقم [١١٥] من سورة (هود) عليه السلام، وقوله ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لمرضاته

تعالى، وهذا هو الصبر المحمود، وهو أن يكون الإنسان صابراً لله تعالى، راضياً بما نزل به من الله، طالباً في ذلك الصبر ثواب الله تعالى، محتسباً أجره على الله، فهذا هو الصبر الذي يدخل صاحبه رضوان الله، وأما إذا صبر الإنسان؛ ليقال: ما أكمل صبره، وأشد قوته على تحمل النوازل! أو يصبر لئلا يعاب على الجزع، أو يصبر؛ لئلا تشمت به الأعداء، فهذا كله مذموم لا ينيل صاحبه ما يذكر فيما يأتي، وقد يعرضه لشديد غضب الله ونقمته، لذا فإن قوله ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ احتراس من أن يفهم منه أن كل صبر محمود.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: هذه هي الصفة السادسة من صفات أولي الألباب، انظر شرحها في الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) عليه السلام؛ تجد ما يسرك. ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ أي: بعض الذي رزقناهم إياه، فـ (من) الجارة معناها التبعيض وهو أولى ليدخل فيه إخراج المال في جميع وجوه البر والخير. ﴿سِرًّا﴾: خفية. ﴿وَعَلَانِيَةً﴾: جهراً، ومثله: العلن والإعلان، وما أكثر ما يتردد هذان اللفظان في القرآن الكريم انظر الآية رقم [٣١] من سورة (إبراهيم)، والمعنى: ينفقون المال في جميع الحالات من سر، وإعلان، ومما ينبغي التنبه له: أن الإسرار في صدقة التطوع أفضل من الجهر بها، والأحاديث المرغبة في ذلك كثيرة مشهورة، وأما الزكاة الواجبة فالجهر بها أفضل لأمرين؛ أولهما: ليقتدي الناس بفاعلها، وثانيهما: لئلا يتهم بمنعها، ولا سيما إذا كان ظاهر الغنى، وما في الآية الكريمة يحتمل أن يكون المراد به الزكاة المفروضة، وأن يكون صدقة التطوع، وأن يكون المراد كليهما وهو أولى ليدخل فيه إخراج المال في جميع وجوه البر، والخير.

﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ، فيكون المراد كما في الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) عليه السلام انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك، وقال الحسن رحمه الله تعالى: «إذا حُرِمُوا أَعْطَوا، وإذا ظُلِمُوا عَفَوْا، وإذا قُطِعُوا وَصَلُوا» فيكون المراد كما في الآية رقم [١٩٨] من سورة (الأعراف)، انظر شرحها هناك تجد ما يسرك ويثلج صدرك، ومن هذا القبيل، ومن هذه المشكاة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٢] من سورة (فصلت).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة لأولي الألباب الموصوفين بالصفات المذكورة. ﴿لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العقبى المحمودة، والدار الآخرة أعم منها؛ لأنها تشمل الجنة والنار، والدليل على هذا النعت المحذوف قوله في المقابل: ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ والعقبى: الانتهاء الذي يؤدي إليه الابتداء من خير أو شر، هذا؛ ولا ريب أنه يوجد بعد الموت داران، هما: الجنة والنار، خذ قول القائل: [البسيط]

الـمَـوْتُ بـابٌ، وكُـلُّ الـنـاسِ داخِـلُـهُ فـلـيْـتَ شِـعْـرِي بـعـدَ الـبـابِ مَـا الـدَّارُ؟

أجيب من طرف الغيب: [البسيط]

الـدَّار جـنـةُ عـدْنٍ، إنْ عـمِـلْـتَ بِـمَـا يُـرْضِـي الإلٰـهَ، وَإِنْ خَـالَـفْـتَ فـالـنَّـارُ
هُـمَـا مـحـلَّانِ مـا لِـلـنَّـاسِ غـيْـرُهُـمَـا فـانْـظُـرْ لـنـفْـسِـكَ مَـاذَا أَنْـتَ مُـخْـتَـارُ؟

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: معطوف على سابقيه. ﴿صَبَرُوا﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ابْتِغَاءَ﴾: مفعول لأجله، وقيل: هو حال بمعنى مبتغين، والأول أقوى، ﴿ابْتِغَاءَ﴾: مضاف، و﴿وَجْهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، و﴿وَجْهِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿صَبَرُوا...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ «من»، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذين، أو من شيء رزقناهم إياه، واعتبار (ما) مصدرية ضعيف هنا. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ حالان بمعنى: مسرين ومعلنين، قال أبو البقاء: هما مصدران في موضع الحال أي: ذوي سر وعلانية، أو هما مفعولا مطلق، أي: إنفاق سر وعلانية، أو على الظرفية؛ أي: وقتي سر وعلانية، وجملة: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، هذا؛ وإعراب: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ مثل إعراب: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ في الآية رقم [٢٠] بلا فارق، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (الذين) الأول على اعتباره مبتدأ، ومستأنفة على الاعتبارات الأخرى فيه، وعلى الاعتبار الأول فالجملة الاسمية: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ .. أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ مستأنفة لا محل لها.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿جَنَّٰتُ﴾: جمع جنة، وهي في الأصل: البستان الكثير الأشجار، وسميت الجنة بذلك؛ لأنها تجن، أي: تستر من يدخل فيها لكثرة أشجارها وكثافتها، وانظر أسماء الجنات في الآية رقم [٢٥] من سورة (يونس) عليه السلام، و﴿عَدْنٍ﴾: إقامة وخلود، يقال: عدن بالمكان: إذا أقام به، ومنه المعدن، أي: الموجود في باطن الأرض، وقال النبي ﷺ: «**عَدْنٌ دارُ اللهِ، الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ قَطُّ، وَلَمْ تَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ، لا يَسْكُنُها إلَّا ثلاثةٌ: النَّبِيُّون والصِّدِّيقونَ، والشهداءُ، يَقُولُ اللهُ: طُوبى لِمَنْ دَخَلَكِ**». رواه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وانظر الآية رقم [٧٣] من سورة (التوبة) إن أردت أن تعرف المزيد من رضوان الله على المطيعين من أولي الألباب.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: قيل: المعنى يدخل جنات عدن من اتصف بالصفات المذكورة، ويدخلها معهم من كان صالحاً من هؤلاء، أي: لا يدخلونها بالأنساب والقرابات، وقيل: المعنى؛ يدخلها أولو الألباب مع من صلح من آبائهم... إلخ، وإن لم يعمل مثل أعمالهم يلحقه الله بهم كرامة لهم، وأرى هذا ضعيفاً جدّاً؛ لأن أولي الألباب هم الجديرون بالكرامة الإلٰهية، وقال الزجاج: إن الإنسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به، فهو يعني بهذا الصلاح الإيمان بالله ورسوله.

قال الواحدي: والصحيح ما قاله ابن عباس: لأن الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله، حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء، فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالأعمال الصالحة، ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة، لم يكن ذلك كرامة للمطيع، ولا فائدة في الوعد به؛ إذ كل من كان صالحاً يدخل الجنة في عمله. انتهى. خازن بتصرف.

أقول: ينبغي أن لا يعزب عن بال كل عاقل أن الله شرط الصلاح لدخول الآباء والأزواج والذرية مع أولي الألباب المتصفين بالصفات التي رأيتها، كيف لا؟ وإبراهيم عليه الصلاة والسلام لم ينفع أباه مع عدم صلاحه، ونوح عليه السلام لم ينفع امرأته ولا ابنه مع عدم صلاحهما، وكذاك لوط عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام.

والمعنى العام: أن النعمة تتم على المطيعين في الجنة بأن جعلهم الله مجتمعين مع قراباتهم فيها، وإن دخلها كل إنسان بعمل نفسه، بل برحمة الله تعالى، هذا؛ و(آباء) يدخل تحته الأمهات بدون ريب، فهو من باب التغليب، أو بإلحاقهن بالآباء إلحاقاً، ولعلهن لا يرضين بالإلحاق، بل يرضين بالتغليب. ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾: جمع زوج، وهو يطلق على الرجل والمرأة على الانفراد، وانظر شرح ﴿زَوْجَيْنِ﴾ في الآية رقم [٣] ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: جمع ذرية، وهي النسل من بني آدم، وهي تقع على الجمع وعلى الواحد أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ قيل: هي مشتقة من الذَّرَا، بفتح الذال، وهو كل ما استذريت به، يقال: أنا في ظل فلان، وفي ذَراه، أي: في كنفه، وستره، وتحت حمايته، وهو بضم الذال: أعلى الشيء، وقيل: هي مشتقة من الذَّرْء، وهو الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أبدلت همزة الذرء ياء، ثم شددت الياء وتبعتها الراء في التشديد.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ أي: من أبواب الجنة الثمانية، أو من أبواب المنازل التي يسكنونها في الجنة، يدخلون عليهم بالتحف والهدايا تكرمة لهم، هذا؛ والملائكة أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، لا ينامون، ولا يموتون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، لا يوصفون بذكورة، ولا بأنوثة، فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة

كفر، وهم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يقومون بأعمال مختلفة، كل فيما وكل إليه من أعمال، ورؤساؤهم عشرة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ورقيب وعتيد، ومنكر ونكير، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار.

الإعراب: ﴿جَنَّتُ﴾: بدل من ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، أو تفسير لها، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي جنات، أو هو مبتدأ، و﴿جَنَّتُ﴾: مضاف، و﴿عَدْنٍ﴾: مضاف إليه. ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، و(ها): مفعوله على التوسع بإجراء اللازم مجرى المتعدي، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ على الوجوه الثلاثة الأولى فيها، وهي في محل رفع خبره على الوجه الأخير، والرابط على جميع الاعتبارات الضمير المنصوب. هذا؛ وقرئ في سورة (فاطر) رقم [٣٣] بنصب ﴿جَنَّتُ﴾ على الاشتغال على إضمار فعل يفسره المذكور. (من): اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع، معطوفة على أولئك، أو على واو الجماعة، وساغ ذلك لوجود الفاصل بالضمير المنصوب، ويجوز أن تكون في محل نصب مفعول معه، وجوز اعتبارها فاعلاً لفعل محذوف، التقدير: ويدخلها من... إلخ. ﴿صَلَحَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى من، وهو العائد أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (من)، أو صفتها، وينبغي أن تعلم أنه راعى لفظ (من) في رجوع الفاعل إليها، وراعى معناها في الضمائر الآتية المجرورة بالإضافة. ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿صَلَحَ﴾ المستتر، و(من) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والهاء في الجميع في محل جر بالإضافة والميم حرف دال على جماعة الذكور. (الملائكة): مبتدأ، وجملة: ﴿يَدْخُلُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ ﴿عَلَيْهِم﴾. ﴿مِّن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿بَابٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية (الملائكة...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة لا محل لها، اعتبارات كلها جائزة فيما أرى.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾: هذا من قول الملائكة كما ستعرفه، ومعناه الدعاء لهم بالسلامة من الآفات والمحن، وقيل: هو دعاء لهم بدوام السلامة، و﴿سَلَٰمٌ﴾ اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر تسليم؛ لأن الفعل سلَّم يسلِّم بتشديد اللام فيهما، وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: عذاب، وعطاء، ونبات، لعذب، وأعطى، وأنبت.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: هذا الثواب، وهذا النعيم حاصل بصبركم، وفي القرطبي: عن عبد الله بن سلام، وعلي بن الحسين ـ رضي الله عنهم ـ أنهما قالا: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: ليقم

أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب، قالوا: نعم، فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: ما كان صبركم، قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصي الله، وصبرناها على البلاء والمحن في الدنيا، قال علي بن الحسين، فتقول لهم الملائكة: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، وقال ابن سلام: فتقول لهم الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾. هذا؛ وقيل: ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ أي: على الجهاد في سبيل الله.

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تدرون منْ يدْخُلُ الجنةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟**». قالوا: اللهُ ورسولهُ أعْلَمُ، قالَ: «**المجاهدون، الذين تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغورُ، وتُتَّقى بهمُ المكارِهُ، فيموتُ أَحَدُهُمْ، وحاجَتُهُ في نَفْسِهِ لا يستطيع لها قَضَاءً، فتأْتيهمُ المَلَائِكَةُ، فيدخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ، فيقولون: سلامٌ عليْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فنِعْمَ عُقْبَى الدارِ**». وينبغي أن تؤول قوله عليه الصلاة والسلام: «**هَلْ تدرون منْ يدْخُلُ الجنةَ**». أي: في الأول، وبدون حساب، وإلا فجميع المؤمنين يدخلون الجنة بعد الحساب، وانظر قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ في الآية رقم [١٠] من سورة (يونس) عليه السلام، وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (مريم) عليها السلام، هذا؛ والحديث المذكور في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، بأوسع من هذا؛ وبإبدال (المجاهدون) بـ (الفقراء المهاجرون). تأمل.

﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: انظر الآية رقم [٢٤] لشرح عقبى الدار، وأما نعم فهي فعل ماض لإنشاء المدح، وضدها (بئس) ماض لإنشاء الذم: فَنِعْمَ منقول من نَعِم فلان بفتح النون وكسر العين، إذا أصاب النعمة، و(بئس) منقول من: بَئِسَ فلان بفتح الباء وكسر الهمزة، إذا أصاب بؤساً، فنُقِلا إلى المدحِ والذم، فشابها الحروف، فلم يتصرفا، وفيهما أربع لغات: نِعْمَ وبِئْسَ بكسر وسكون وهي أفصحهن، وهي لغة القرآن، ثم نِعِم وبِئِس، بكسر أولهما وثانيهما، غير أن الغالب في نعم أنه يجيء بعدها (ما) كقوله تعالى: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ وبئس جاءت بعدها (ما) على اللغة الأولى الفصحى، كقوله تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ واللغة الثالثة: نَعْمَ وبَئْسَ بفتح فسكون، والرابعة نَعِم وبَئِسَ بفتح فكسر، وهي الأصل فيهما.

ولا بد لهما من شيئين: فاعل، ومخصوص بالمدح أو الذم، والقول بفعليتهما إنما هو قول البصريين، والكسائي، بدليل دخول تاء التأنيث عليهما في قول الرسول ﷺ: «**مَنْ توضأ يومَ الْجُمُعةِ فَبِهَا ونِعْمَتْ، وَمن اغتسلَ فَالْغسْلُ أفضَلُ**». وقال الكوفيون إلا الكسائي: هما اسمان بدليل دخول حرف الجر عليهما في قول أعرابي، وقد أخبر بأن امرأته ولدت بنتاً له: (والله ما هِيَ بِنِعْمَ الولدُ، نصْرُها بكاءٌ، وبرُّهَا سَرِقَةٌ)، وقول غيره: (نِعْمَ السَّيْرُ على بِئْسَ الْعَيْرُ).

وأوله البصريون على حذف كلام مقدر؛ إذ التقدير: والله ما هي بولد مقول فيه: نعم الولد، ونعم السير على عير مقول فيه: بئس العيْرُ. والمعتمد في ذلك قول البصريين، هذا؛ ويجب في فاعلهما أن يكون مقترناً بأل، كما في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أو مضافاً لمقترن بها، كما في الآية الكريمة، أو ضميراً مميزاً بنكرة، كقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ أو كلمة (ما) نحو قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾.

هذا بالإضافة إلى تفسير الدار بما رأيت، أقول: الدار هي منزل الإنسان ومسكنه في الدنيا، وهي مؤنثة، وقد تذكر، أصلها دَوَر بفتحتين، قلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وجمعها دِيار ودُور، وأَدْؤُر وأَدْوُر، وأَدْوِرَة، وأَدْوار، ودُورات، ودِيارات، ودُوران، ودِيران، وأصل ديار دِوار، قلبت الواو ياء لأنها وقعت عيناً في جمع على وزن فعال، لمفرد اعتلت عينه بالقلب، هذا؛ والدار أيضاً البلد، والقبيلة، ودار القرار في الآخرة، والداران: الدنيا والآخرة، ودار الحرب بلاد العدو.

هذا؛ وقد قال أبو حاتم: إن الديار العساكر والخيام، لا البنيان والعمران، وإن الدار البنيان والعمران، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي: في عساكرهم وخيامهم ميتين، وقال جل شأنه: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي: في مدينتهم المعمورة، ولو أراد غير ذلك لجمع الدار، فعلم من كلامه، أن الديار مخصوصة بالخيام. انتهى. قال صاحب الخزانة: وهذه غفلة عن قول الشاعر، وهو مجنون ليلى: (أُقبِّلُ ذَا الجدَارَ) وهو حائط البيت، وذلك في قوله: [الوافر]

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ، دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارَ وذَا الجِدَارَا

ومَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قلبي ... ولَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

الإعراب: ﴿سَلَـٰمٌ﴾: مبتدأ، سوغ الابتداء به وهو نكرة الدعاء، ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، واقع حالاً من الملائكة، أي: قائلين: سلام عليكم. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿صَبَرْتُمْ﴾: فعل وفاعل، وما والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه الكرامة بسبب صبركم، ولا يجوز تعليقهما بـ ﴿سَلَـٰمٌ﴾ للفصل بالخبر، وهو أجنبي، والجملة هذه من جملة مقول الملائكة. ﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء: حرف عطف. (نعم): ماض جامد لإنشاء المدح. ﴿عُقْبَى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿عُقْبَى﴾: مضاف، و﴿ٱلدَّارِ﴾: مضاف إليه، والمخصوص بالمدح محذوف، التقدير: الممدوحة هي، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فتكون من مقول الملائكة أيضاً، هذا؛ وقيل: الفاء الفصيحة، ولا وجه له كما ترى.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: لما ذكر الله أحوال السعداء، وما أعد لهم من الكرامات والخيرات، ذكر بعده أحوال الأشقياء، وما أعد لهم من العقوبات، ومعنى ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف بربوبيته، والقبول لعهده الذي أخذه عليهم في عالم الذر، أو بالذي أودعه فيهم من العقول، وغيرها مما ميزوا به عن عالم الحيوانات والجمادات، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ أي: من الإيمان بالرسول ﷺ، وصلة الأرحام، وموالاة المؤمنين، وعدم التفرقة بين الرسل والكتب في التصديق. ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي والظلم وإثارة الفتن. ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الموصوفون بما ذكر. ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: الطرد من رحمة الله. ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: سوء المنقلب والمرجع والمآب، وهو جهنم وبئس القرار.

تنبيه: لقد كرر الله لعن الكفار في الآية رقم [١٦١] من سورة (البقرة)، كما لعن الظالمين والكاذبين، والناقضين للعهد والميثاق في آيات متفرقة، وهو دليل قاطع على أن من مات على كفره فقد استحق اللعن من الله والناس أجمعين، وأما الأحياء من الكفار فقد قال العلماء: لا يجوز لعن كافر معين؛ لأن حاله عند الوفاة لا يعلم، فلعله يموت على الإسلام، وقد شرط الله في آية البقرة إطلاق اللعنة على من مات على الكفر، ويجوز لعن الكفار، أي: جملة بدون تعيين، كما في قولك: لعن الله الكافرين، يدل عليه قول النبي ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ حُرِّمَتْ عليهمُ الشُّحُومُ، فجمَّلُوهَا وباعوهَا**». وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار، بدليل جواز قتاله. وهو الصحيح، كيف لا؟ وقد لعن حسان بن ثابت رضي الله عنه أبا سفيان، وزوجه هنداً في شعره ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك، خذ قوله: [الكامل]

لَعَنَ الإلٰهُ وزَوجَهَا مَعَهَا هِنْدَ الْهُنُودِ طَوِيلَةَ الْبَظْرِ

وقد لعن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور السلمي وغيرهم الذين قدموا المدينة، بعد موقعة أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم جماعة من المنافقين، وقالوا للنبي ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على سيد الخلق وحبيب الحق، فقال الفاروق: يا رسول الله ائذن لي في قتلهم، فقال: «**إني أعطيتهم الأمان**». فقال الفاروق: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك، كيف لا؟ وآية اللعان في سورة (النور) تأمر المسلم أن يلعن نفسه إن كان من الكاذبين.

وأما العصاة من المسلمين، فلا يجوز لعن أحد منهم على التعيين قطعاً، وأما على الإطلاق، فيجوز، كما في قولك: لعن الله الفاسقين والفاسقات، والفاسدين والفاسدات... إلخ لما روي أن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ السارِقَ يسرِقُ البيضةَ والحَبْلَ، فتُقْطَعُ يَدُهُ**». ولعن رسول الله ﷺ: «**الواشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ، وآكِلَ الرِّبَا، ولعَنَ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأرضِ، ومَنِ انتسبَ إلى غَيْرِ أبيهِ، ومَنْ عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوطٍ، وَمَنْ أَتَى امرأةً في دُبُرِهَا، وغَيرَ ذَلِكَ**». وكل هذا في الصحيح.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَنقُضُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿عَهْدَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: عهدهم الله، أي: معاهدتهم الله، ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: ﴿مِنۢ﴾ زائدة، وليس بشيء، وقيل: متعلقان بمحذوف حال ولا وجه له، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله على اعتباره عائداً على العهد، وفاعله مستتر فيه، أو من إضافة المصدر لفاعله على اعتباره عائداً إلى اسم الله تعالى، وجملة: ﴿يَنقُضُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وانظر إعراب مثلها في الآية رقم [٢٣]، وجملة: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معطوفة عليها أيضاً لا محل لها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ في الآية رقم [٢٠] بلا فارق بينهما، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ .. أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ لا محل لها، وهذا على اعتبار (الذين) الأول مبتدأ كما رأيت هناك، ومستأنفة على اعتباره تابعاً لأولي الألباب. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿سُوٓءُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلدَّارِ﴾: مضاف إليه من إضافة الصفة للموصوف، والجملة الاسمية هذه معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ فهي في محل رفع مثلها.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: لما بيَّن الله عاقبة المؤمنين المتصفين بالصفات النبيلة الثمانية، وعاقبة المشركين، الناقضين للعهد والميثاق، القاطعين ما أمر الله به أن يوصل، المفسدين في الأرض؛ بيَّن في هذه الآية أنه تعالى يوسع في الرزق على من يشاء، ويضيق على من يشاء في هذه الدنيا؛ لأنها دار امتحان واختبار، فبسط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته، بل قد يكون استدراجاً له، والتقتير على بعض المؤمنين لا يدل على إهانتهم، بل ربما

يكون امتحاناً لصبرهم وتكفيراً لذنوبهم، أو رفع درجاتهم، ومعنى (يقدر) يضيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ أي: ضيق.

﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: فرح أهل مكة لما وسع الله عليهم في الرزق، فبطروا، وأشروا، وانظر الفرح في الآية رقم [٥٨] من سورة (يونس) عليه السلام، وانظر شرح الحياة الدنيا في الآية رقم [٢٣] منها أيضاً، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: في جنبها، وبالنسبة إليها. ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ أي: من الأمتعة التي يتمتع فيها، مثل القصعة، والقدر، ونحوهما، وقال البيضاوي: إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب، وزاد الراعي. انتهى. أي: ثم تذهب وتفنى، كذلك الحياة الدنيا ذاهبة لا بقاء لها.

هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿يَبْسُطُ﴾ في الآية رقم [٢٤٤] من سورة (البقرة) بالسين والصاد.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَبْسُطُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: مفعول به. ﴿لِمَن﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(من) موصولة، أو موصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو لشخص يشاؤه، وجملة: (يقدر) مع المتعلق المحذوف معطوفة عليها، والجملة الفعلية: ﴿يَبْسُطُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَفَرِحُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (فرحوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿فَتَحُوا۟﴾ في الآية رقم [٦٥] من سورة (يوسف). ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة (الحياة) مجرورة... إلخ، وجملة: (فرحوا...) إلخ مستأنفة لا محل لها، وقول القرطبي: معطوفة على ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وفي الآية تقديم وتأخير، لا وجه له ألبتة. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية مهملة. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة الحياة مرفوع... إلخ. ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، وهو على رأي من يجيز مجيء الحال من المبتدأ، والذي دعا إلى ذلك عدم صحة تعليقهما في الحياة، ولا في الدنيا؛ لأنهما لا يكونان في الآخرة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَتَٰعٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من الحياة الدنيا، والرابط: الواو وإعادة صاحب الحال بلفظه، وكان حقه الإضمار، وإنما أعيد بلفظه زيادة في تحقير الحياة الدنيا، وصرفاً للأنظار عنها.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: من أهل مكة، والقائل هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي وأصحابه. ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: هلا أنزل على محمد ﷺ آية ومعجزة كالعصا، واليد، والناقة، ونحو ذلك. ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ أي: إضلاله، فلا ينفعه نزول الآيات، وكثرة

المعجزات، إن لم يهده الله عز وجل، وذلك لأن الآيات الباهرة التي ظهرت على يد الرسول ﷺ بلغت في الكثرة، وقوة الدلالة إلى حالة يستحيل فيها أن تصير مشتبهة على العاقل، فطلب آيات أخرى بعد ذلك لا يفيد شيئاً.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الحق، أو إلى الإسلام، أو إلى الله. ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رجع إليه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ ومصدر الفعل ﴿يُضِلُّ﴾ الإضلال، وهو: خلق فعل الضلال في العبد، والهداية: خلق فعل الاهتداء في العبد، هذا هو الحقيقة عند أهل السنّة، وقد يعترض بعض الناس على خلق فعل الضلال في العبد، فيقول: إذاً لا مؤاخذة على العبد، فكيف يعذبه الله؟ والجواب: أن معنى خلق الضلال... إلخ: تقدير ضلاله، وهذا التقدير مبني على علم الله الأزلي بأن هذا العبد لو ترك وشأنه، لم يختر سوى الكفر والضلال، ولذا قدره الله عليه، هذا بالإضافة إلى اختياره الضلال، بعد أن بين الله لكل واحد الخير والشر، والحسن والقبيح، كما قال الله عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقول): مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان به. ﴿ءَايَةٌ﴾: نائب فاعل. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ...﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَةٌ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (يقول...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُضِلُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: يضل الذي، أو شخصاً يشاء الله إضلاله، وجملة: ﴿يُضِلُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وإعرابها ظاهر إن شاء الله تعالى.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أنساً به، واعتماداً عليه، ورجاءً منه تعالى، أو بذكر رحمته، بعد القلق من خشيته، أو بذكر دلائله، الدالة على وجوده ووحدانيته، أو بكلامه، يعني: القرآن الذي هو أقوى المعجزات. انتهى. بيضاوي. وقيل: تطمئن بوعده، أو تطمئن بذكر

فضله، وإنعامه، كما توْجل بذكر عدله وانتقامه وقضائه، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا في الحلف، وذلك أن المسلم إذا حلف بالله على شيء؛ سكنت قلوب المؤمنين إليه. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: تسكن قلوب المؤمنين، ويستقر اليقين فيها، بسبب ذكر الله تعالى.

هذا؛ وقد ذكر الله في سورة (الأنفال) في الآية رقم [٢] أن قلوب المؤمنين توجل من ذكر الله تعالى، وذكر هنا أن قلوبهم تطمئن وتسكن لذكره تعالى!؟ والجواب: أن الوجل إنما يكون عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة، إنما تكون عند الوعد والثواب، وهذا مقام الخوف والرجاء، وقد جُمِعا في آية الزمر: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: تقشعر جلودهم من ذكر عقاب الله ووعيده، ثم تلين وتطمئن جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ أو عطف بيان عليه، أو هو منصوب بفعل محذوف، التقدير: أمدح ونحوه، وأجيز اعتباره مبتدأ خبره الموصول في الآية التالية، كما أجيز اعتباره خبر مبتدأ محذوف، وهذان الوجهان ضعيفان جداً، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ معطوفة عليها، لا محل لها، واعتبارها حالاً لا يجوز إلا على تقدير مبتدأ قبلها، أي: وهم تطمئن قلوبهم، والضعف يظهر على الاعتبارين، وأرى، بل وأعتمد وأرجح أن الواو صلة، وعليه فالجملة تحتمل وجهين في محل رفع خبر الذين على اعتباره مبتدأ، وفي محل نصب حال على اعتباره بدلاً مما قبله، أو على اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف، وزيادة الواو قيل بها في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾، وخذ قول ابن الذئبة ربيعة بن عبد ياليل: [الطويل]

فَمَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لأَجْبُرَ عَظْمَهُ حِفاظاً، وَيَنْوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي؟

إذاً الأصل (ينوي) وفي الآيات الكريمة جملة: (ناديناه) جواب لما كما هو ظاهر. هذا؛ ومثلها الآية رقم [٢٥] من سورة (الحج)، والجملة: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة على اعتبار الموصول مبتدأ، ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿بِذِكْرِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وجوز أبو البقاء اعتبارهما مفعولاً به للفعل بعدهما، كما جوز تعليقهما بمحذوف حال من القلوب، وكلاهما ضعيفان. ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: مضارع وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، والإيمان الصحيح هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان،

والعمل بالأركان، أي: الجوارح، وانظر زيادته ونقصه في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال). ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الأعمال الصالحات على اختلافها وتفاوت درجاتها ومراتبها. ﴿طُوبَىٰ﴾: اختلف العلماء في تفسير هذه الكلمة، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فرح لهم وقرة عين، وقال عكرمة: نعمى لهم، وقال الزجاج: طوبى من الطيب، وقيل: تأويلها الحال المستطابة لهم، وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة، من بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وقيل: غير ذلك، وقيل: هي شجرة في الجنة، ويؤيده ما رواه سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ في الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الراكبُ في ظِلِّهَا مئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا**». متفق عليه، وفي رواية عن أبي سعيد الخدري تشبه رواية سهل، وزاد البخاري في رواية عن أبي هريرة: «**واقرؤوا إن شئتم**: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾». و﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر كبُشرى ورُجعى وزُلفى، والأصل «طُيْبى» فقلبت الياء واواً لسكونها وضم ما قبلها، كما قالوا: موسر وموقن، والأصل مُيْسِر ومُيْقِن.

قال الأزهري: طوبى لك، وطوباك لحن، لا تقوله العرب، وهو قول أكثر النحويين، وقال الأخفش: من العرب من يضيفها، فيقول: طوباك، وقال الشهاب الخفاجي ما حاصله: إن اللام مقدرة في طوباك، والمقدر في حكم الملفوظ، فلا يعد خطأ، وفي مغني اللبيب لابن المعتز قوله: [البسيط]

يَا نَفْسُ صَبْراً، لَعلَّ الْخَيْرَ عُقْبَاكِ ... خَانَتْكِ بَعْدَ لَذِيذِ الْعَيْشِ عَيْنَاكِ

مَرَّتْ بِنَا سَحراً طَيْرٌ، فَقُلْتُ لَهَا ... طُوبَاكِ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوبَاكِ

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: مرجع، يقرأ بضم النون وفتحها بسبب عطفه على ما قبله، والإضافة لـ: ﴿مَـَٔابٍ﴾ قراءتان سبعيتان، ويقرأ شاذاً بفتح النون، ورفع (مآبٌ) و(حُسْنَ) على هذا فعل ماض، نقلت ضمة سينه إلى الحاء، وهذا جائز في فَعْلَ إذا كان للمدح أو الذم. انتهى. عكبري.

تنبيه: عطف العمل الصالح على الإيمان يسمى في فن البديع احتراساً، وهو يفيد: أن الإيمان وحده قد لا يكفي بدون عمل صالح، ومن قرأ القرآن بتدبر وتفهم يجد العمل الصالح معطوفاً على الإيمان في كثير من الآيات، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٢] من سورة (الحجر) باختصار، وما ذكرته في رسالة الحج والحجاج بإسهاب وإطناب، وإلى الله المرجع والمآب.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلته، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿طُوبَىٰ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ وساغ الابتداء بها لما فيها من معنى الدعاء، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وأجيز

اعتبار ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلاً من قوله: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ وعليه يكون ﴿طُوبَىٰ﴾ منصوباً بفعل محذوف، تقديره: جُعِلَ طوبى لهم، كما قيل: ﴿طُوبَىٰ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، وعليهما فاللام في ﴿لَهُمْ﴾ للبيان مثل سقيا لك، ورعيا لك، أو هو منصوب على الحال، وعليه يكون ﴿لَهُمْ﴾ متعلقين بـ: ﴿طُوبَىٰ﴾ ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ انظر أوجه القراءات في الشرح، والإعراب يتغير تبعاً لها.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ أي: إرسالك يا محمد إلى قومك كائن مثل إرسال الرسل السابقين إلى أممهم. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ أي: مضت أمم كثيرة قبل الأمة التي أرسلت إليها. ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: لتقرأ على أهل مكة القرآن الذي أنزل إليك بواسطة جبريل. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: لا يؤمنون بالبليغ الرحمة، الذي وسعت رحمته كل شيء. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ أي: متولي أموري، وخالقي، ورازقي. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا إله موجود في هذا الكون إلا الله. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: اعتمدت ووثقت به. ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أي: مرجعي ومصيري إلى الله تعالى.

قال مقاتل وابن جريج: نزلت الآية الكريمة في صلح الحديبية حين أرادوا أن يكتبوا كتاب الصلح، فقال النبي ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**». فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة ـ يعنون: مسيلمة الكذاب ـ اكتب باسمك اللهم، وهكذا كان الجاهليون يكتبون، فقال النبي ﷺ لعلي ـ كرم الله وجهه ـ: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**». فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله، ثم قاتلناك، وصددناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فقال أصحاب الرسول ﷺ: دعنا نقاتلهم، فقال: «**لا، ولكن اكتب ما يريدون**». فنزلت.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: «**اسجدوا للرحمن**». قالوا: وما الرحمن؟ وقيل: سمع أبو جهل رسول الله ﷺ يدعو في الحجر، ويقول: «**يا الله يا رحمن**». فقال: كان محمد ينهانا عن عبادة الآلهة، وهو يدعو إلٰهين، فنزلت هذه الآية، ونزل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟...﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: أرسلناك في أمة إرسالاً كائناً مثل إرسال الرسل من قبلك لأممهم، أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الحال والشأن كما أرسلناك... إلخ، واللام

للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول. ﴿فِىٓ أُمَّةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتْ﴾: ماضٍ مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة. ﴿مِن قَبْلِهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أُمَمٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، و(ها): في محل جر بالإضافة، وهي عائدة على ﴿أُمَّةٍ﴾ باعتبار لفظها، وقد عادت عليها الضمائر فيما يأتي جمعاً باعتبار معناها. ﴿أُمَمٌ﴾: فاعل خلت، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿أُمَّةٍ﴾. ﴿لِّتَتْلُوَا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (أرسلنا). ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: أوحيناه. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية (هم...) إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ﴿عَلَيْهِمُ﴾ والرابط: الواو والضمير، وقيل: مستأنفة، وهو ضعيف، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿رَبِّى﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن): ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها كونه بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء، وثانيها كونه بدلاً من (لا) وما عملت فيه؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء وثالثها: كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأقوى، والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان للمبتدأ هو، أو هي في محل رفع خبر ربي على اعتباره مبتدأ ثانياً، وتكون الجملة الاسمية: ﴿رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ ﴿هُوَ﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (إليه): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَتَابِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: زعزعت الجبال عن مقارها لعظمة هذا القرآن وهيبته، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: تصدعت من خشية الله عند قراءته، أو شققت فجعلت عيوناً أو أنهاراً. ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: فتقرأه، أو فتسمع وتجيب عند قراءته، وجواب (لو) محذوف، اختلف في تقديره، فقال قوم: التقدير: ولو أن قرآناً فعل به كذا وكذا، لكان هذا القرآن، وإنما حذف اكتفاءً بمعرفة السامع مراده، فهو كقول الشاعر: [الطويل]

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ... سِوَاكَ؛ ولكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مِدْفَعَا

أراد: لو شيء أتانا رسوله سواك لرددناه، وقال آخرون: جواب (لو) دل عليه ما قبله؛ إذ التقدير: ولو أن قرآناً سيرت... لكفروا به ولم يؤمنوا لما سبق في علمنا فيهم، وقد أظهر ما أضمر هنا في الآية رقم [١١١] من سورة (الأنعام)، وهي: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ .. مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: هو المالك لجميع الأمور، الفاعل لما يشاء منها، فليس ما تطلبونه مما يكون بالقرآن، إنما يكون بأمر الله.

﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: قال الكلبي: هو بمعنى: أفلم يعلم، وهي لغة النخع، وقيل: هي لغة هوازن، ويؤيده ما روي أن علياً وابن عباس، وجماعة من الصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ قرؤوا (أفلم يتبين) وهو تفسيره وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأنه مسبب عن العلم بأن الميئوس منه لا يكون، وقال الليث وأبو عبيدة: هو بمعنى: ألم يعلم، واستدلوا لهذا اللغة بقول سحيم بن وثيل اليربوعي، وقال القرطبي: هو لمالك بن عوف النصري: [الطويل]

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي: ... أَلَمْ تَيْئَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ؟

زهدم اسم فرس سحيم، وقال رباح بن عدي: [الطويل]

أَلَمْ يَيْئَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيَا؟

﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: ولكنه لم يشأ لما سبق في علمه الأزلي، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٩] وفي الآية رد على القدرية وغيرهم. ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا

صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ أي: داهية تفزعهم وتقلقهم بسبب كفرهم، مرة بالجدب، ومرة بالسلب، ومرة بالقتل والأسر، كما حصل في غزوة بدر. ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: تنزل القارعة والبلية قريباً من مكة دار المشركين، والمراد بذلك السرايا والبعوث التي كان الرسول ﷺ يبعثها إلى قبائل العرب حول مكة، فتقتل من المشركين، وتنهب من أموالهم ومواشيهم، وقيل: إن المراد أن النبي ﷺ قد حل بجيشه قريباً من دارهم عام الحديبية. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ أي: الموت، أو فتح مكة، أو يوم القيامة لأن الله يجمعهم فيه، فيجازيهم بأعمالهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: فيه تسلية للنبي ﷺ، وتشجيع قلبه، وإزالة الحزن عنه، وتثبيته في الملمات.

هذا؛ والوعد يستعمل في الخير وفي الشر، فإذا قلت: وعدت فلاناً؛ من غير أن تتعرض لذكر الموعود به، كان ذلك خيراً، وإذا قلت: أوعدت فلاناً من غير ذكر الموعود به، كان ذلك شرّاً، وهو ما في بيت طرفة بن العبد من معلقته: [الطويل]

وَإِنِّي، وَإِنْ أوعدْتُهُ، أَوْ وَعَدْتُهُ ... لَمُخْلِفُ إيعادِي، ومُنجِزُ مَوْعِدِي

وهذا هو قول الجوهري، وقول كثير من أئمة اللغة، وأما عند ذكر الموعد به، أو الموعَد به، فيجوز أن يستعمل (وعد) في الخير وفي الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾، ومن الثاني قوله جل شأنه: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وأنشدوا: [الطويل]

إِذَا وَعَدَتْ شَرّاً أَتَى قَبْلَ وَقْتِهِ ... وَإِنْ وَعَدَتْ خَيْراً أَرَاثَ وَعَتَّمَا

كما يستعمل (أوعد) فيهما أيضاً، كقوله: (أوعدت الرجل خيراً، وأوعدته شراً)، هذا؛ والمركز في الطبائع: أن من مكارم الأخلاق، وجميل العادات أنك إذا وعدت غيرك أن تنزل به شرّاً، كان الخلف محمدةً، وإذا وعدته خيراً، كان الخلفُ منقصةً، وهذا ما أراده طرفة في بيته المتقدم.

هذا؛ والثابت عند الأشاعرة أنه يجوز إخلاف الوعيد في حقه تعالى كرماً، وعند الماتريدية: لا يجوز، وأما الوعد فلا يجوز الخلف في حقه تعالى اتفاقاً، دليل الأشاعرة قول النبي ﷺ: **«مَنْ وَعَدَهُ اللهُ عَلَى عَمَلٍ ثَواباً، فَهُوَ مُنْجِزٌ لَهُ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عقاباً، فَهُوَ بالْخِيَارِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفا عَنْهُ»**.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في نفر من قريش، منهم أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية كانوا خلف الكعبة، وأرسلوا خلف النبي ﷺ فأتاهم، فقال له عبد الله بن أبي أمية: إن سرك أن نتبعك، فسيِّر جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفتح عنا، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس الأشجار ونتخذ البساتين، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه، أو سخرها لنا لنركبها إلى الشام لميرتنا، وحوائجنا ونرجع

في يومنا، كما سخرت لسليمان، فلست كما زعمت بأهون على ربك من سليمان، أو أحي لنا جدك قصياً، أو من شئت من موتانا، لنسأله عن أمرك، أحق هو أو باطل؟ فإن عيسى كان يحيي الموتى، ولست كما زعمت بأهون على الله من عيسى، فأنزل الله الآية.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿قُرْءَانًا﴾: اسمها. ﴿سُيِّرَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْجِبَالُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة: ﴿قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ معطوفة عليها فهي في محل رفع مثلها، وكذا جملة: ﴿كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ معطوفة أيضاً، فهي في محل رفع مثلها، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف هو شرط لو عند المبرد، التقدير: ولو ثبت تسيير الجبال، ونحوه، وقال سيبويه هو في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: ولو تسيير الجبال ثابت أو واقع، وقول المبرد هو المرجح هنا؛ لأن (لو) لا يليها إلا فعل ظاهر أو مقدر، والفعل المقدر على قول المبرد وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، انظر تقديره في الشرح، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿بَل﴾: حرف عطف وإضراب. ﴿لِّلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْأَمْرُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الأمر مؤكدة، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (فَلَمْ): الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لم). ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه، ولو ومدخولها في محل رفع خبر (أَنْ) والإعراب واضح لا خفاء فيه، و(أن) واسمها المحذوف وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به للفعل ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، أو معطوفة على جملة محذوفة حسب ما تراه في الكلام على ﴿أَفَلَمْ﴾، وعلى الوجهين فالكلام مستأنف لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَزَالُ﴾: مضارع ناقص. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿تُصِيبُهُم﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء صنعوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بصنعهم. ﴿قَارِعَةٌ﴾: فاعل تصيبهم، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (لا يزال) وهذه الجملة مستأنفة لا محل لها. ﴿تَحُلُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (قارعة) أو تقديره: «أنت» انظر

الشرح. ﴿قَرِيبًا﴾: صفة ظرف مكان محذوف، التقدير: مكاناً قريباً متعلق بالفعل قبله. ﴿مِّن دَارِهِمْ﴾: متعلقان بـ ﴿قَرِيبًا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَحُلُّ...﴾ إلخ معطوفة أيضاً على جملة: ﴿تُصِيبُهُم...﴾ إلخ فهي في محل نصب مثلها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿يَأْتِيَ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» المضمرة. ﴿وَعْدُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿تَحُلُّ﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُخْلِفُ﴾: مضارع والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلْمِيعَادَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليلية أو مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: فيه تعزية وتسلية لسيد الرسل ﷺ عما كان من تكذيب المشركين له، واستهزائهم به، فقد جعل الله له أسوة في ذلك الأنبياء الذين كانوا قبله، وتلك سنة متبعة في الأولين والآخرين، حيث لم يقم داع يدعو إلى الله، وإلى الإصلاح والخير، إلا وقوبل بالاستهزاء والسخرية. ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: الإملاء أن يترك مدة طويلة من الزمان في دعة وأمن، واطمئنان، وقد يكون على سبيل الاستدراج، كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: يعني بالعذاب بعد الإمهال، فعذبتهم في الدنيا بالجدب والقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: فكيف رأيت ما صنعت بالأمم السابقة من الإهلاك بعد الإمهال، فكذلك أصنع بقومك يا محمد؛ ليكونوا عبرة لمن يعتبر.

الإعراب: ﴿وَلَقَدِ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿بِرُسُلٍ﴾: في محل رفع نائب فاعل، ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة رسل، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له من الإعراب. (أمليت): فعل وفاعل. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟...﴾ إلخ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، وجملة: (أمليت...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَخَذْتُهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف.

(كيف): اسم استفهام وتعجب مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿عِقَابِ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وجملة: (كيف...) إلخ مستأنفة لا محل لها، وهي مفيدة للتعجب. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة بقوله: ﴿وَلَقَدِ﴾ وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبر الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف، ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو وأقسم والله، وبعضهم يقول: اللام موطئة للقسم، والموطئة معناها المؤذنة، وهذه اللام إنما تدخل على إن الشرطية لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر). افهم هذا؛ واحفظه فإنه جيد. فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به وبقاء حرف القسم، فالجواب: أن المقسم به قد حذف حذفاً مطرداً في أوائل السور مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ...﴾ إلخ فإن التقدير: وربِّ الضُّحى، وربِّ السماءِ.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ أي: حافظها، ورازقها، ورقيب عليها: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: بما عملت من خير أو شر، فيثيبها إن أحسنت، ويعاقبها إن أساءت، والجواب محذوف؛ إذ التقدير: كمن ليس بقائم، بل هو عاجز عن أي شيء، والمراد بذلك الأصنام التي لا تنفع ولا تضر. ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي: كفار قريش. ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي: أصناماً أشركوها مع الله في العبادة، والله سبحانه هو المستحق للعبادة وحده. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: يا محمد قل لهؤلاء الجهلة الذين عبدوا الحجارة: صفوهم وتعرفوا حقيقتهم، ثم انظروا هل هذه الحجارة جديرة بالعبادة والتقديس والتعظيم، والمعنى على التهديد، فقد سموا بعض الأصنام اللَّاتَ، والْعُزَّى، وَمَنَاةَ وهُبَل... إلخ.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أفتخبرون الله بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم، أو بصفات لهم يستحقونها لا يعلمها، وهو العالم بكل شيء، ولو كان لعلمه. ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: أم تسمون الأصنام آلهة بظاهر من القول، من غير حقيقة، واعتبار معنى، كتسمية كل زنجي كافوراً، وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز. انتهى.

بيضاوي، وقيل: معناه: بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته، وقيل: معناه: بباطل من القول، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

أَعَيَّرْتَنَا أَلْبَانُهَا ولُحُومُهَا وذَلِكَ عَارٌ، يَا ابْنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ

أي: باطل، وقيل: كذب من القول. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ زين لهم الشيطان الكفر، وإنما فسر المكر بالكفر؛ لأن مكرهم برسول الله ﷺ كفر منهم، والمزين في الحقيقة هو الله تعالى؛ لأنه هو الفاعل المختار على الإطلاق، لا يقدر أحد أن يتصرف في الوجود إلا بإذنه، فتزيين الشيطان إلقاء الوسوسة فقط، ولا يقدر على إضلال أحد، أو هدايته إلا الله تعالى، ويدل عليه آخر الآية. ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾: صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية، ومنعوا من ذلك، والصاد المانع لهم هو الله تعالى، وقرئ (صدوا) بالبناء للمعلوم، ويكون المعنى: صدوا غيرهم عن الإيمان بالله تعالى. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أي: من يضله الله ويبعده عن الإيمان فلن تجد له ولياً مرشداً وهادياً إلى الله تعالى، وانظر ما ذكرته في الآية [٢٩] بعد هذا انظر شرح النفس في الآية رقم [٥٣] من سورة (يوسف) عليه السلام، وانظر إعلال ﴿نَاجٍ﴾ في الآية رقم [٤٢] منها، فإعلال هاد مثله.

الإعراب: ﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، الفاء: حرف عطف، أو هي حرف استئناف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿هُوَ قَآئِمٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بقائم؛ لأنه اسم فاعل، لذا فيه ضمير مستتر هو فاعله، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿قَآئِمٌ﴾ أيضاً وقيل: متعلقان بمحذوف حال ولا وجه له، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء كسبته، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبها، وخبر المبتدأ محذوف: التقدير: كمن ليس بقائم، وقد صرح به في الآية رقم [٢١] والجملة الاسمية: ﴿أَفَمَنْ هُوَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي معطوفة على جملة محذوفة على مثال ما رأيت في الآية [٢١] والكلام كله مستأنف لا محل له. (جعلوا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول، أو هما متعلقان بشركاء بعدهما، أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وجملة: (جعلوا...) إلخ فيها أوجه: عطفها على جملة: ﴿كَسَبَتْۗ﴾ واعتبارها مستأنفة، واعتبارها حالاً من المضمر المستتر بقائم، والرابط: الواو ولفظ الجلالة المصرح به، فأقيم الظاهر مقام المضمر تقريراً للإلٰهية، وتصريحاً بها، وقيل: معطوفة على جملة: ﴿ٱسْتُهْزِئَ...﴾ إلخ فيكون ما بينهما اعتراضاً، وهو أضعف الأوجه. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله

مستتر تقديره: «أنت». ﴿سَمُّوهُمْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿تُنَبِّئُونَهُ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل مثل سابقتها، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء لا يعلمه، وعلى اعتبار المصدرية، التقدير: بعدم علمه. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وجملة: ﴿تُنَبِّئُونَهُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿سَمُّوهُمْ﴾ وهو عند التحقيق عطف استفهام على متقدم في المعنى؛ لأن قوله ﴿سَمُّوهُمْ﴾ معناه ألهم أسماء الخالقين، أم تنبئونه... إلخ، وقيل: المعنى قل لهم: أتنبئون الله بباطن لا يعلمه... إلخ، وقيل: إن الجملة الفعلية معطوفة على ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾. انتهى. قرطبي بتصرف كبير. ﴿بِظَاهِرٍ﴾: معطوفان على ﴿بِمَا لَا...﴾ إلخ من القول: متعلقان بظاهر. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وإضراب. ﴿زُيِّنَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان به، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿مَكْرُهُمْ﴾: نائب فاعل والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، وقرأ ابن عباس ومجاهد ﴿زَيَّنَ﴾ بالبناء للفاعل، ونصب (مكرهم)، فيكون الفاعل عائداً إلى الله، وجملة: ﴿زُيِّنَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (صدوا): مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وقرئ بالبناء للفاعل، فيكون فعلاً وفاعلاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو هو مفعول به مقدم، ﴿يُضْلِلِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: يضلله الله. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿هَادٍ﴾: مبتدأ مؤخر، مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، وعلى اعتبارها مفعولاً مقدماً فتكون الجملة فعلية، وعلى الوجهين فالكلام مستأنف لا محل له.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤)﴾

الشرح: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: للمشركين الصادين عذاب في الحياة الدنيا بالقتل، والسبي، والأسر، وغير ذلك من الأسقام والمصائب. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أشد وأصعب لدوامه... ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: من حافظ ومانع يمنعهم من عذابه، وانظر شرح (عذاب

وسلام) في الآية رقم [٢٦]، هذا؛ وإعلال ﴿وَاقٍ﴾ مثل إعلال ﴿نَاجٍ﴾ في الآية رقم [٤٢] من سورة (يوسف) عليه السلام.

الإعراب: ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾: متعلقان بـ ﴿عَذَابٌ﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة الحياة مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَعَذَابُ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: لام الابتداء. (عذاب): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿الْآخِرَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَشَقُّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بالخبر المحذوف نفسه، أو هما متعلقان بـ ﴿وَاقٍ﴾ لأنه اسم فاعل. ﴿وَاقٍ﴾: مبتدأ مؤخر مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، و﴿مِن﴾ حرف جر صلة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)﴾

الشرح: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفة الجنة التي هي مثل في الغرابة، ووقوع المثل بمعنى الصفة موجود في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾ وأنكر أبو علي الفارسي وقوع المثل بمعنى الصفة، وقال: إنما معناه الشبه، ألا تراه يجري مجراه في مواضعه ومتصرفاته، كقولك: مررت برجل مثلك، كما تقول: مررت برجل شبهك، وقال الفراء: المثل مقحم للتوكيد. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت قصورها وأشجارها، وفي بعض الآيات ﴿مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: بين أيديهم ينظرون إليها من أعالي أسرتهم وقصورهم، وهذا أحسن في السرور والنزهة والفرجة، وانظر: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ في الآية رقم [٢٣] وانظر شرح الأنهار في الآية رقم [٣].

﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾: لا ينقطع ثمرها، كما جاء في أحاديث النبي ﷺ، إذا أخذت ثمرة عادت مكانها أخرى. ﴿وَظِلُّهَا﴾ أي: دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس؛ لأنه لا يوجد في الجنة شمس ولا قمر، ولا ظلمة. ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ أي: الجنة الموصوفة مآل المتقين، ومقرهم، ومصيرهم. ﴿وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾: مآل الكافرين، والمجرمين النار وبئس القرار، وانظر شرح ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ في الآية رقم [٢٤]. وفي ذكر (عقبى الفريقين): إطماع للمتقين. وتيئيس للكافرين من رحمة الله تعالى، وقد ذكرت المقابلة بين الإيمان والكفر، وبين المؤمنين والكافرين، وبين الطاعة والمعصية في الآية رقم [٢٣] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ، اختلف في خبره، فقال سيبويه: محذوف، التقدير: فيما يتلى عليكم مثل الجنة. وقال الخليل: خبره جملة: ﴿تَجْرِي...﴾ إلخ أي: صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، كقولك: قَوْلي يقوم زيد، وانظر الشرح، وقال الفراء: المثل مقحم للتأكيد، والمعنى: الجنة التي وعد... إلخ، والعرب تفعل ذلك كثيراً بالمثل، وانظر الآية رقم [١٨] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، و﴿مَثَلُ﴾: مضاف، و﴿الْجَنَّةِ﴾: مضاف إليه. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة الجنة. ﴿وُعِدَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿الْمُتَّقُونَ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول؛ إذ التقدير: التي وعدها المتقون. ﴿تَجْرِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿الْأَنْهَارُ﴾: فاعل، وجملة: ﴿تَجْرِي...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الجنة، وهذان الاعتباران إنما هما على رأي: سيبويه، وهي في محل رفع خبر المبتدأ على رأي: الخليل والفراء مع اختلاف تقديرهما. تأمل. ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾: مبتدأ وخبر، و(ها): في محل جر بالإضافة، ويجوز في الجملة الاسمية ما جاز في الجملة الفعلية قبلها من الاعتبارات. (ظلها): مبتدأ، وخبره محذوف لدلالة خبر الأول عليه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عُقْبَى﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿عُقْبَى﴾: مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿اتَّقَوا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿تِلْكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (عقبى): مبتدأ مرفوع... إلخ، وهو مضاف، و﴿الْكَافِرِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿النَّارُ﴾: خبر المبتدأ، أو ﴿النَّارُ﴾: مبتدأ مؤخر، و(عقبى) خبر مقدم لمناسبة الأول، ولعله أقوى، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦)﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ...﴾ إلخ: المراد بهم الذين أسلموا من اليهود، كعبد الله بن سلام، وأصحابه، ومن آمن من النصارى، وهم ثمانون رجلاً: أربعون من نجران، وثمانية من اليمن، واثنان وثلاثون من الحبشة، أو عامتهم فإنهم يفرحون بما يوافق كتبهم،

والمعتمد الأول، وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ يفرحون بنور القرآن، قاله قتادة، ومجاهد، وابن زيد، والمعتمد الأول، ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ أي: كفرة اليهود والنصارى الذين تحزبوا على عداوة رسول الله ﷺ ككعب بن الأشرف وأصحابه، والسيد والعاقب وأشياعهما من نصارى نجران ومن لف لفهم من مشركي العرب، وهؤلاء كانوا ينكرون بعض ما في القرآن؛ أي: الذي لا يوافق هواهم، وقيل: إن كفار قريش كانوا ينكرون لفظ (الرحمن) من أسماء الله تعالى، ولا ينكرون لفظ الجلالة (الله) وانظر ما ذكرته لك في الآية رقم [٣٢] هذا؛ والأحزاب جمع حزب، وهو في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حزبه، أي: أهمه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾: هذا جواب للمنكرين بعض القرآن، والمعنى: قل: يا محمد لهؤلاء: إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله، وأوحده، وهو العمدة في الدين، ولا سبيل لكم إلى إنكاره، وأما ما تنكرونه من القرآن مما يخالف هواكم، ويخالف شريعتكم، فليس هذا ببدع ولا بغريب؛ لأنه لا بد أن تخالف بعض الشرائع بعضها حسب مقتضيات الأحوال، وتطور الأزمان. ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ أي: أدعو الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده.

﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ أي: إلى الله مرجعي في أموري كلها، وأيضاً إلى الله مرجعي يوم القيامة، فهو الذي يحكم بيني وبينكم بالحق، وهو خير الحاكمين.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف، (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاتَيْنَـٰهُمُ﴾: فعل وفاعل ومفعوله الأول. ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿يَفْرَحُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِمَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط: رجوع نائب الفاعل إليها، التقدير: يفرحون بالذي، أو بشيء أنزل إليك، والجملة الفعلية هذه في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الذين...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجملة: ﴿يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها، هذا هو الإعراب الظاهر، ولا أعتمده وإنما أعتمد ما ذكرته في الآية رقم [٤٩] من سورة (التوبة) ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أُمِرْتُ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ...﴾ في محل نصب مفعول به ثان لأمر؛ لأن هذا الفعل يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر، كما هو

معروف، فإن قدرت المصدر مجروراً بحرف جر محذوف، فيكون الجار والمجرور متعلقين بالفعل (أمرت) وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. لا: نافية. ﴿أُشْرِكَ﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. هذا؛ وقرئ الفعل ﴿أُشْرِكَ﴾ بالرفع، فتكون الجملة الفعلية مستأنفة، وهي في محل نصب مقول القول. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿أَدْعُواْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، أو هي في محل نصب حال من فاعل ﴿أَدْعُواْ﴾ المستتر، والرابط الضمير فقط. (إليه): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَـَٔابِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها، وهذه تقوي الحالية.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: الضمير للقرآن. ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ﴾: وتقدير الكلام: كما أنزلنا الكتب على الرسل السابقين بلغاتهم ولسانهم أنزلنا عليك يا محمد القرآن عربياً بلسانك ولسان قومك، وإنما سمي القرآن حكماً لأن فيه جميع التكاليف والأحكام وتبيين الحلال والحرام، والنقض والإبرام، وتوضيح النافع من الضار، وتمييز الحسن من القبيح، فلما كان القرآن سبباً للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة، وانظر الآية رقم [٢] من سورة (يوسف) عليه السلام تجد ما يسرك.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا﴾ أي: فيما يدعونك إليه من تقرير دينهم، والصلاة إلى قبلتهم بعد أن حولت عنها من بعدما عرفت أنك على الحق وقبلتك الكعبة هي المفضلة على جميع الاتجاهات، وقيل: الداعي له هم المشركون، فقد دعوه إلى أشياء كثيرة فيها مجاملة، ومداهنة، وقد نهاه الله عن متابعة أهوائهم، وما في الآية إنما هو على سبيل الفرض والتقدير؛ لأن من المحال أن يتبع الرسول ﷺ أهواء الزائغين من اليهود والنصارى والمشركين. ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ أي: ليس لك نصير ولا حافظ يمنعك من عذاب الله وعقابه، إن اتبعت أهواء الضالين المضلين، ففيه قطع لأطماعهم، وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم، وانظر شرح الهوى في الآية رقم [٣٧] من سورة (إبراهيم) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: أنزلناه حكماً عربياً إنزالاً كائناً مثل إنزال الكتب بلغة الرسل والأمم التي أنزلت عليهم قبلك يا محمد، وانظر إعراب (كذلك) مفصلاً في الآية رقم [٣٢] ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿حُكْمًا﴾: حال من الضمير المنصوب. ﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿وَلَئِنِ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، أي: دالة عليه. (إن): حرف شرط جازم. ﴿ٱتَّبَعْتَ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿أَهْوَآءَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَعْدَمَا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و(بعد) مضاف، و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿جَآءَكَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ما، والكاف مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل (جاء) المستتر العائد إلى (ما)، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾ وجملة: ﴿جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿ٱتَّبَعْتَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بالخبر المحذوف نفسه، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وأجيز اعتبار (ما) حجازية، وهو ضعيف هنا بسبب عطف ما بعده عليه، ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿وَاقٍ﴾: معطوف على ما قبله مجرور تبعاً للفظه، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية: ﴿مَا لَكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب للقسم المدلول عليه باللام، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة التي رأيت شرحها في الآية رقم [١٤] من سورة (يوسف) عليه السلام، والكلام ﴿وَلَئِنِ...﴾ إلخ كله مستأنف لا محل له.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾: روي: أن اليهود، وقيل: المشركين عابوا على النبي ﷺ الزواج، وعيروه بذلك، وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبياً؛ لكان مشتغلاً بالنبوة، والزهد وترك الدنيا، فأنزل الله هذه الآية التي تبين: أن من سنّة المرسلين الزواج، وكان لهم ذرية، فقد كان لسليمان عليه السلام ثلاثمئة امرأة حرة، وسبعمئة سرية، وكان لأبيه داود عليه السلام مئة امرأة، فلم يقدح ذلك في نبوتهما. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا

﴿وَذُرِّيَّةً﴾ أي: جعلناهم بشراً يتمتعون بما أحل الله لهم من شهوات الدنيا، وإنما خصوا بنزول الوحي عليهم.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات، واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات، كما رأيت في الآية رقم [٣١]. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي: لكل حدث يحدث وقت معين لا يتخطاه، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، التقدير: لكل كتاب أجل، أي: لكل أمر كتبه الله تعالى أجل مؤجل، ووقت معلوم محتم، لا يتأخر عنه، ولا يتقدم.

هذا؛ والرسول ذكر حر من بني آدم، سليم عن منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به، ويؤمر بتبليغه، وإن لم يؤمر به فهو نبي، هذا؛ والنبي مأخوذ من النبأ، وهو الخبر؛ لأنه يخبر عن ربه فيما أوحي إليه، وقيل: بل هو مأخوذ من النَّبْوة، وهو الارتفاع؛ لأن رتبة النبي ارتفعت عن رتب سائر الخلق، وانظر عدد الأنبياء والمرسلين، وما ذكرته بشأنهم في الآية رقم [١٦٣] من سورة (النساء)، والآية رقم [٨٦] من سورة (الأنعام)، هذا؛ والنبي يجمع جمع مذكر سالماً، وجمع تكسير، وأما الرسول فلا يجمع إلا جمع تكسير: (رسل) بضم الراء والسين، ويجوز تسكينها، قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل عسر، ويسر، ورحم، وحلم، وأسد.

﴿اللَّهِ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأوقات عند الدعاء به؛ لتخلف شروط الإجابة التي أعظمها أكل الحلال.

تنبيه: هذه الآية تدل على الترغيب في النكاح والحض عليه، وتنهى عن التبتل، وهو ترك الزواج، وهذه سنة المرسلين، كما نصت عليه هذه الآية، والأحاديث الشريفة واردة بمعناها، قال الرسول ﷺ: «**تَزَوَّجُوا فَإِني مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ**». وعن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: إني أَصَبْتُ امرأةً ذَاتَ حَسَبٍ ومَنْصِبٍ ومالٍ، إلا أنها لا تَلِدُ، أفأتزوجها؟ فنهاهُ، ثُمَّ أتاهُ الثانيةَ، فقالَ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ أَتاهُ الثَالِثَةَ فقال لَهُ: «**تزوَّجوا الوَدُودَ الولودَ، فإني مكاثِرٌ بِكُمُ الأمَمَ**». رواه أبو داود، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٠] من سورة (المائدة) بشأن الذين أرادوا التبتل، والانقطاع للآخرة.

وقد روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يقول: إني لأتزوج المرأة، وما لي فيها من حاجة، وأطؤها وما أشتهيها، قيل له: وما يحملك على ذلك يا أمير المؤمنين؟! قال: حبي أن يخرج الله مني من يكاثر به النبي ﷺ النبيين يوم القيامة، وإني سمعته يقول: «**عَلَيْكُمْ بالأَبْكَارِ، فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهاً، وَأَحْسَنُ أَخْلاقاً، وَأَنْتَقُ أَرْحَاماً، وَأَرْضَى بالْيَسِيرِ، وَإِنِّي**

مكاثِرٌ بكُمُ الأُمَمَ يوم القيامة». انتهى. قرطبي. وفسر (أرضى باليسير) بأحد شيئين: الجماع، أو النفقة، أو بهما معاً.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ انظر إعراب: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ في الآية رقم [٣٢] ففيه الكفاية. ﴿رُسُلًا﴾: مفعول به. ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿رُسُلًا﴾ أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، والأول أقوى، والكاف في محل جر بالإضافة. (جعلنا): ماض مبني على السكون، و(نا): فاعله. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿أَزْوَاجًا﴾: مفعول به. ﴿وَذُرِّيَّةً﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: (جعلنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف، (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِرَسُولٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَأْتِيَ﴾ أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، والأول أقوى؛ لأنه يفيد الحصر، و(إِذْنِ): مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: (ما كان...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(كل): مضاف، و﴿أَجَلٍ﴾: مضاف إليه، ﴿كِتَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية تعليل للنفي لا محل لها من الإعراب.

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: قال النحاس: وحدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: يبدل الله من القرآن ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله. ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول: جملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ والمنسوخ، وقيل: المعنى يمحو سيئات التائب، ويثبت الحسنات مكانها، وقيل: يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء، ويترك غيره مثبتاً، أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه، وقيل: يمحو قرناً، ويثبت آخر، وقيل: يمحو الفاسدات، ويثبت الكائنات، وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا أشياء: الْخَلْق، والْخُلُقُ، والأجل، والرزق، والسعادة والشقاوة، وقال ابن عمر - رضي الله عنهما -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يمحُو اللهُ ما يَشَاءُ ويُثْبِتُ إلّا السعادةَ والشقاوةَ والموتَ»**.

بعد هذا أذكر: أنه يوجد قضاء معلق، وقضاء مبرم، فالمحو يكون في القضاء المعلق، والمبرم لا يكون فيه محو، والقضاء المعلق هو الذي يطلع الله عليه الملائكة، ويقول لهم: إن فعل فلان كذا، أو كذا من أعمال البر، والخير، فرزقه كذا، وإذا لم يفعل؛ فرزقه كذا، وفلان عمره أربعون سنة مثلاً، فإن وصل رحمه وعمل كذا وكذا من أعمال البر والخير؛ فزيدوه إلى

خمسين، أو إلى ستين مثلاً، وإن لم يصل رحمه؛ فعمره أربعون فقط، ثم إن سبق في علم الله الأزلي بأن رزقه كذا يوفقه لعمل الخير لينال الزيادة في الرزق والعمر، وإن لم يسبق في علم الله الأزلي بأن له كذا فلا يوفقه لعمل الخير، وهذا أحد تفسيرين لقول الرسول ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، ويُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**. رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي القرطبي: وقيل لابن عباس - رضي الله عنهما - لما روى الحديث الصحيح عن رسول الله أنه قال: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ اللهُ في عُمُرِهِ وَأَجَلِهِ، ويَبْسُطَ لَهُ في رزقِهِ فَلْيَتَّقِ الله؛ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**. كيف يزاد في العمر والأجل؟ فقال: قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والأجل الثاني، من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا اتقى العبد، ووصل رحمه؛ زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ ما شاء، وإذا عصى وقطع رحمه؛ نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء، فيزيده في أجل البرزخ، فإذا تحتم الأجل في علمه السابق، امتنع الزيادة والنقصان، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فتوافق الخبر والآية، وهذه زيادة في نفس العمر، وذات الأجل على ظاهر اللفظ في اختيار حبر الأمة، والله أعلم انتهى بحروفه. هذا؛ ولا يفوتني أن أقول: إن الزيادة في الرزق والعمر، إنما تكون بالبركة، وهذا ملموس في واقعنا، وتفسيره بأن الله يوفق واصل رحمه للعمل الصالح، وطاعة الله وامتثال أوامره، فيسجل في صحيفته حسنات في ثلاثين سنة أكثر مما يسجله غيره في ثمانين سنة أو أكثر. هذا؛ والأم: أصل الشيء، والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أمّاً، ومنه أم الرأس للدماغ، وأم القرى لمكة المكرمة، ومنه: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي: إنه ساقط على أم رأسه في الهاوية، أي: إنهم يهوون في النار على رؤوسهم.

الإعراب: ﴿يَمْحُواْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يمحو الله الذي، أو شيئاً يشاء محوه، (يثبت): مضارع معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والمفعول محذوف، التقدير: يثبته، وقرئ بتشديد الباء، والجملة الفعلية: ﴿يَمْحُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها. (عنده): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أُمُّ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿أُمُّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من فاعل (يثبت) فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾: الخطاب للرسول ﷺ. ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي: من العذاب في الدنيا، وقد مر كثير من التهديد والوعيد للكفار. ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: نميتك قبل أن نريك ما نعدهم به من العذاب. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي: ليس عليك إلا تبليغ الرسالة، وليس عليك شيء من حسابهم، و﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ اسم أقيم مقام التبليغ مثل ﴿سَلَٰمٌ﴾ في الآية رقم [٢٤] ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ أي: حسابهم علينا، فنحن نجازيهم بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، وانظر (نا) في الآية رقم [٨] من سورة (هود) عليه السلام.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إما): هي إن الشرطية مدغمة في (ما) الزائدة. ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: مضارع فعل الشرط مبني على الفتح في محل جزم، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول. ﴿بَعْضَ﴾: مفعول به ثان، والفاعل بصري وقد تعدى إلى المفعول الثاني بهمزة التعدية؛ لأنه من الرباعي، و﴿بَعْضَ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿نَعِدُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، وهو المفعول الثاني؛ إذ التقدير: نعدهم إياه، والجملة الفعلية: ﴿نُرِيَنَّكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فذاك شافيك من أعدائك. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه وفي محل جملته، ويقدر له جواب بـ: فلا تقصير منك، ولا لوم عليك. وانظر الآية رقم [٤٦] من سورة (يونس) عليه السلام، ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وتقديمهما أفاد القصر والحصر. ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية تعليل لجواب الشرط الثاني المحذوف. (علينا): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْحِسَابُ﴾: مؤخر مبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: المعنى: أولم ير كفار مكة أنا نأتي الأرض، فنفتحها لمحمد ﷺ أرضاً بعد أرض حوالي أراضيهم، أفلا يعتبرون فيتعظون، ومعنى نقصان الأرض: فتح بلاد الشرك، فإن ما زاد في دار الإسلام فقد نقص في دار الشرك، وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين، وقيل: نقصان الأرض: موت علمائها،

وصلحائها، وقيل: موت الأشراف من أحبار اليهود والنصارى، وقيل: هو خراب الأرض حتى يكون العمران في ناحية منها، وعن عطاء: هو ذهاب فقهائها، وخيار أهلها، وقيل: المراد بالنقصان: نقصان بركاتها وثمارها. ٧٤٤

وأعتمد الأول من هذه الأقوال؛ لأن الكلام مع كفار قريش، وهم المقصودون بهذا الكلام، ففيه تهديد ووعيد لهم، لعلهم يعتبرون، فيتعظون بما يرون من استيلاء المسلمين على أرض الشرك، من خيبر، وفدك، ومساكن بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وهذا على أن الآية مدنية، وأطراف: جمع طرف بفتح الطاء والراء، وانظر الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) عليه السلام تجد ما يسرك.

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ أي: لا راد لحكمه، ولا ناقض لقضائه، والمعقب: هو الذي يعقب غيره بالرد والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق: معقب؛ لأنه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب، ومحصله: أنه سبحانه حكم للإسلام بالإقبال، وحكم على الكفر بالإدبار، وهو سريع الحساب، فيحاسبهم بعد زمن قليل في الآخرة، بعدما ما عذبهم بالقتل، وأخرجهم من ديارهم في الدنيا، فلا تستبطئ عقابهم، فإنه آت لا محالة، وكل آت قريب، انتهى جمل. وفي القرطبي: سريع الانتقام من الكافرين، سريع الثواب للمؤمنين، وقيل: لا يحتاج في حسابه إلى روية قلب، ولا عقد بنان. انتهى. و﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة، وصف سبحانه نفسه بسرعة الحساب مع ما ذكر ليدل بذلك على كمال قدرته؛ لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، ولا يحتاج إلى آلة، ولا أمارة، ولا مساعد، فلا جرم كان قادِراً أن يحاسب جميع الخلائق في أقل من لمحة.

تنبيه: في الآية الكريمة التفات من التكلم إلى الغيبة، كما يكون من الغيبة إلى التكلم، وإلى الخطاب، ومن المفرد إلى الجمع، وبالعكس، وقد نبهت على ذلك فيما مضى، كما أنبه عليه في محاله الآتية، إن شاء الله تعالى، وله فوائد كثيرة: منها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه حثُّ السامع، وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصصه بالمواجهة. انتهى.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الواو: حرف عطف على محذوف مقدر، أو هي حرف استئناف. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَرَوْا۟﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿نَأْتِى﴾: مضارع

مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾: مفعول به. ﴿نَنقُصُهَا﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(ها): مفعول به. ﴿مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿نَنقُصُهَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿نَأۡتِي﴾، أو من الأرض، والرابط على الاعتبارين الضمير، وجملة: ﴿نَأۡتِي...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول ﴿يَرَوۡاْ﴾، والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: ألم ينظروا في ذلك، ولم يروا... إلخ، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَحۡكُمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الله...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿مُعَقِّبَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لِحُكۡمِهِۦۚ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿لَا مُعَقِّبَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل يحكم المستتر، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿سَرِيعُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلۡحِسَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ الأصل: سريع حسابه، والجملة الاسمية: (هو...) إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿يَحۡكُمُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة لا محل لها، وعلى الأول فهو من تعدد الحال، وهو جملة.

﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾

الشرح: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: من قبل مشركي قريش من الأمم الماضية الذين مكروا بأنبيائهم، والمكر: الاحتيال والتدبير في إيصال المكروه والضر للإنسان من حيث لا يشعر، كما مكر نمرود بإبراهيم، وفرعون بموسى، واليهود بعيسى، ومكر كفار قريش هو ما بيتوه في ليلة الهجرة، من قتل النبي ﷺ، أو حبسه، أو نفيه من مكة. ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: عنده تعالى جزاء مكرهم، فهو يعاقبهم عليه.

وقال الواحدي: يعني جميع مكر الماكرين له، ومنه، أي: هو من خلقه وإرادته، فالخير والشر بيده، وإليه النفع والضر، هذا؛ والله منزه عن المكر بالمعنى الأول، واستعمال العقاب والجزاء بلفظ المكر، إنما هو من باب المشاكلة، وقد مر معنا كثير من هذا، انظر الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنفال).

﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ﴾ أي: جميع أعمال العباد وتأثيراتها معلومة لله تعالى، وهو خالقها.

فيجازي عليها. ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾: يقرأ بالجمع على أن المراد بهم جماعة المستهزئين بالنبي ﷺ، وهم خمسة نفر من كفار مكة، ويقرأ بالإفراد على أن المراد به أبو جهل الخبيث. ﴿لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة، فلا ريب أن المحمودة للمؤمنين، والمذمومة في الدنيا والآخرة للمشركين حين يدخلون جهنم، وبئس المصير.

هذا؛ والفعل ﴿يَعۡلَمُ﴾ من المعرفة، لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

لِعِلْمِ عِرْفَانٍ، وَظَنٍّ تُهَمَهْ   تَعْدِيَةٌ لِوَاحِدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ وخبر، وأيضاً فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات، دون النسب، بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني والنسب، وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفت زيداً، فالمعنى أنك عرفت ذاته، ولم ترد أنك عرفت وصفاً من أوصافه، فإذا أردت هذا المعنى لم يتجاوز مفعولاً؛ لأن العلم والمعرفة تناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك، وإذا قلت: علمت زيداً قائماً، لم يكن المقصود: أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنما المعنى أن العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة.

الإعراب: ﴿وَقَدۡ﴾: الواو: حرف استئناف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَكَرَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، واعتبارها حالاً من واو الجماعة فيه بعد. ﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء: هي الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلۡمَكۡرُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿جَمِيعٗاۖ﴾: حال من ﴿ٱلۡمَكۡرُ﴾ إذ المراد أنواع المكر، وفي مجيء الحال من المبتدأ خلاف، والجملة الاسمية (لله...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر بـ «إذا» التقدير: وإذا كان قد حصل ذلك منهم فلله... إلخ، والكلام مستأنف لا محل له. ﴿يَعۡلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: يعلم الذي، أو شيئاً تكسبه كل نفس، وعلى الثالث تؤول ﴿مَا﴾ مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم كسب كل نفس، وجملة: ﴿يَعۡلَمُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: رجوع الفاعل إليها، والاستئناف ممكن، وفيها معنى التفسير لمكر الله تعالى. ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾: الواو: حرف استئناف. السين: حرف استقبال. ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾: مضارع وفاعله. ﴿لِمَنۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(من) اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿عُقۡبَى﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر،

و﴿عُقْبَى﴾: مضاف، و﴿الدَّارِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿لِمَنْ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل (يعلم) والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها على اعتبارها مستأنفة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: المراد بهم مشركو العرب، وقيل: المراد بهم رؤساء اليهود. ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ أي: من عند الله، بل أنت متقول، وإنما قالوا للنبي ﷺ ذلك حين لم يأتهم بما اقترحوا عليه من المعجزات والآيات. ﴿قُلْ﴾: أي: قل لهم يا محمد. ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: المراد بشهادة الله على نبوة محمد ﷺ ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة الدالة على صدقه، وأعظمها القرآن الكريم؛ الذي أسكت فصحاءهم، وأخرس بلغاءهم، وتحداهم بأن يأتوا بمثله، ولكنهم عجزوا عن ذلك، بل هم أعجز وأعجز. ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: ومن عنده علم الكتاب يشهد على نبوتك وصدقها، وهذا احتجاج على مشركي العرب؛ لأنهم كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب أي: من آمن منهم، وهم مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، والنجاشي وأصحابه، قاله قتادة وسعيد بن جبير، ورد هذا بأن السورة مكية، وهؤلاء إنما أسلموا بالمدينة. أقول: وهذا يصح على القول إن السورة مدنية، وهو لا غبار عليه، وانظر ما ذكرته في أول السورة.

وقيل: المراد به جبريل عليه السلام، وهو ضعيف؛ لأن جبريل لا تمكن شهادته ورؤيته، وقيل: المراد به المؤمنون من هذه الأمة، وهو ضعيف؛ لأن الكفار لا يقبلون شهادة المؤمنين، هذا؛ وقرئ: (ومن عنده) بكسر الميم والدال فيكون المعنى: ومن عند الله علم الكتاب، أي: القرآن، كما قرئ: (ومن عنده علم الكتاب) بكسر الميم، وضم العين في (عُلِم) على أنه ماض بالبناء للمجهول، وهو بمعنى سابقه.

﴿لَسْتَ﴾: حذفت عينه لالتقاء الساكنين: الياء والسين؛ إذ أصله ليسَ بكسر الياء، ثم سكنت الياء للتخفيف، ولم تقلب ألفاً على القياس؛ لأن التخفيف بالتسكين في الجامد أسهل من القلب، فلما اتصل بضمير رفع متحرك، سكنت العين، فالتقى ساكنان: الياء والسين، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فصار لست.

﴿كَفَىٰ﴾: هذا الفعل بمعنى: اكتف، فالباء زائدة في الفاعل عند الجمهور، وهو لازم لا ينصب المفعول به، ومثله مضارعه، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ وأما إذا كان بمعنى: جزى وأغنى، فيكون متعدياً لمفعول واحد، وإذا كان بمعنى: وقى؛ فإنه يكون متعدياً

لمفعولين كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

(بين): ظرف مكان بمعنى وسط بسكون السين، تقول: جلس بين القوم، كما تقول: جلس وسط القوم، هذا؛ والبين: الفراق والبعاد، وهو أيضاً الوصل، فهو من الأضداد، كالجون يطلق على الأسود والأبيض، ومن استعماله بمعنى الفراق، والبعاد قول كعب بن زهير رضي الله عنه: [البسيط]

وَمَا سعادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا   إِلَّا أَغَنُّ غضِيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

الإعراب: ﴿وَيَقُولُ﴾: يقول: مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿لَسْتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء، اسمه. ﴿مُرْسَلًا﴾: خبر ليس، والجملة: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية (يقول...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كَفَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الله): فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿شَهِيدًۢا﴾: تمييز، ويقال: حال. ﴿بَيْنِى﴾: ظرف مكان متعلق بشهيد منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على لفظ الجلالة، ﴿عِندَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِلْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿عِندَهُۥ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، هذا؛ وعلى القراءة بكسر الميم والعين فيكون جاراً ومجروراً متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و(عِلْمُ) مبتدأ مؤخر، وعلى القراءة الثالثة فعلم مبني للمجهول، والكتاب نائب فاعله، ويكون مِنْ عنده متعلقين بالفعل بعدهما، وعليه فالجملة فعلية، وهي صلة الموصول، وجملة: ﴿كَفَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على الهادي محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (الرعد) بحمد الله وتوفيقه، والحمد لله رب العالمين.

فهرس